

سليم حسن

مصر القديمة

الجزء الرابع

عهد الهكسوس

وتأسيس الإمبراطورية



2000

مهرجان القراءة للجميع



موسوعة مصر القديمة

الجزء الرابع

الجزء الرابع

«صورة الغلاف» :

رأس نفرتيتى :

تمثال نصفى للملكة نفرتيتى، نحت من الكوارتز الغامق، وهو موجود بـتل
العمارنة عُثر عليه فى مرسوم النحات تحتمس، ويفيىض وجه التمثال رقة
وعذوبة وبساطة، وهو غاية فى مرونة التشكيل، أما نظرتة فهى تنم عن
ذكاء حاد، والخطوط غاية فى الدقة، وعلى وجه الخصوص فإن ذلك يتمثل
فى الأنف، وهو تمثال يضاهى تمثال نفرتيتى النصفى الشهير (الملون،
والمنحوت فى الحجر الجيرى والمحفوظ بمتحف برلين) وكذا تمثال
نفرتيتى الموجود بمتحف اللوفر.

محمود الهندى

موسوعة مصر القديمة

الجزء الرابع

عهد الهكسوس وتأسيس الإمبراطورية

سليم حسن



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(موسوعة مصر القديمة)

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

والمجموعة الثقافية المصرية

موسوعة مصر القديمة

الجزء الرابع

سليم حسن

الغلاف

والإشراف الفني :

الفنان : محمود الهندي

المشرف العام :

د . سمير سرحان

على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جامدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثناء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع الملائم المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. هيرى حجاز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

إن عصر الدولة الوسطى - وقد فصلنا القول فيه على قدر ما سمحت به مصادرها - عهد حضارة وثقافة ، وفق عظيم ، فلقد قطعت فيه مصر شوطا بعيدا صاعدة في معارج الرقي الإنساني من جميع نواحيه ؛ ولكن ما لبث هذا العهد أن انقضى ، وخلفه عهد مظلم حالك ، لا يكاد المؤرخ المحقق يلمح فيه ما يهديه الى حال البلاد ونظمها ومقدار ثقافتها ، اللهم إلا ومضات لا تكاد تلمع حتى تخبو ، ثم تتوالى بحافل الظلام وتتلاحق بعد ذلك ، فتحجب كل شئ في جوفها القاتم العابس . كان ملوك هذه الدولة لا يكاد يستقر أحدهم في عرشه حتى تتزلزل قواعده ، ويهوى بين عشية وضحاها ، وهكذا ظلت هذه الحال المفجعة تطغى على البلاد ، على إثر سقوط الأسرة الثانية عشرة ، حتى حوالى ختام الأسرة الثالثة عشرة ، عند ما ظهر على مسرح السياسة المصرية قوم من الأجانب ملكوا أزمة البلاد ، وريضا بخاصة ، وتحكوا في أقدارها قرابة قرن ونصف قرن من الزمان . وتدل معلوماتنا الحديثة على أن هؤلاء المقتصبين لم يهبطوا على البلاد بغداة فاستولوا عليها كما يزعم المؤرخون ، ولكنهم تسربوا إليها ببطء وعلى مهل ، حتى إذا نشروا ثقافتهم ومبادئهم ، ووضعت أمامهم سبل مصر وشعابها ، انقضوا عليها بجيش جرار ، سيطروا به على الدلتا في بادئ الأمر ، ثم امتد سلطانهم الى مصر الوسطى ، ولقد ألحق المصريون بهؤلاء الغزاة كل نقیصة متأثرين بعدوانهم ، فسموهم « الهمج » و « الهكسوس » (الرعاة) و « الطاعون » الى غير هذه الأسماء التي يضيفها المغلوب على المقتصب القاهر . ولم يكن هؤلاء الغزاة الذين اجتاحتوا مصر جملة حوالى عام ١٧٣٠ ق م همجا ولا متوحشين ، كما تحدثنا التقاليد التاريخية التي وصلت إلينا عن تاريخ كتاب الإغريق ، بل كانوا

مثقفين ذوى حضارة وعرفان ، فنهلت مصر من موردتهم ، واستنارت بمدنيّتهم التي انتظمت فنون الحرب ، ونواحي الصناعة ، وأخذت عنهم كثيرا من المخترعات التي لم تعرف قبل في وادي النيل . ولقد كان ذلك حافزا لنا على أفراد فصل من هذا الكتاب لبحث أحوال أولئك الأجانب ، وما خلّفوه في البلاد من آثار ، وكيف هاجروا إليها أولا ، ثم كيف غزوها جملة ، ومن أين أتوا ، وإلى أى السلالات البشرية ينسبون ، وغير ذلك من المسائل المعضلة في تاريخ هؤلاء القوم . ولقد عينا بتحقيق مدّة إقامتهم في ديارنا ، الى أن استيقظ الروح القومي ، وهبّ الوعي المصرى ، وشعر بما تعانيه البلاد من ذلّ ومهانة ، في ظل الحكم الأجنبي الفاسد ، وسيطرته على معظم تربة مصر ، وهى أرض الدلتا التي تفيض بالثراء ، ومصر الوسطى التي تنعم بأجمل الأجواء ، وأطيب الغلات ، من أجل ذلك هبّ المصريون الى ساحة القتال يناضلون عن استقلال بلادهم ، يقودهم سلسلة من ملوك مصر الشجعان ، لتخليص البلاد من النير الأجنبي ، فاستشهد منهم من استشهد في ساحة الشرف مدافعا عن أرض الكنانة ، وناضل منهم من ناضل حتى مات حتف أنفه ، الى أن قبض الله لمصر النصر النهائي ، وتحرّرت البلاد منهم على يد الفرعون العظيم « أحمس الأول » ، الذى طارد العدو المستعمر حتى خارج حدود مصر . ومما هو جدير بالذكر هنا أن الجنود السودانيين الشجعان قد أسهموا في القضاء على هذا العدو المشترك منذ بداية الأمر ، إذ كانوا يؤلفون فرقة في جيش الفرعون « كامس » .

وقد كان « أحمس الأول » مجلّ الهكسوس عن البلاد ، وأوّل فراعنة الأسرة الثامنة عشرة ، المؤسس الأوّل لبناء الإمبراطورية المصرية ، التي امتدّ سلطانها ، وثبتت دعائمها في أواخر عهد العاهل العظيم « تحتمس الثالث » الذى يلقيه بحق مؤرّخو الغرب « نابليون الشرق » ، فصارت تمتدّ من أعلى نهر « دجلة والفرات » شمالا حتى الشلال الرابع جنوبا ، وقد حافظ على كيانها أخلافه حتى نهاية عهد « أمنحتب الثالث » ، الى أن جاء الفرعون « إخناتون » يحمل لواء عقيدة

التوحيد ، والإيمان بالإله الأحد الفرد الصمد ، وأخذ في نشر تعاليمه السلمية علنا بعد أن كانت تذاع تحت ستار من الإبهام ؛ غير أن انكابه على نشر رسالته الروحية قد صرفه عن الالتفات الى أحوال البلاد الداخلية والخارجية ، مما أدى الى تداعى ذلك البنیان الذى أقامه أجداده بمحدّ السيف وحسن السياسة ، فانتقصت الدولة من أطرافها حتى انكشفت فى عقر دارها ، ولكن عهده كان محجوبة صيف نقشت إثر اختفائه من مسرح الحياة ، فقيض الله للبلاد جنديا من أبنائها الأبطال وهو « حور محب » الذى أعاد للبلاد بعض سؤددها السالف وسمعتها الحربية التى كانت قد تداعت .

وسنحاول هنا أن نستعرض تاريخ الكثانة فى عهد هذه الأسرة بطريقتنا الخاصة ، التى سيكون اعتمادنا فيها على الوثائق الأصلية ، وآخر البحوث العلمية التى نشرت حتى الآن .

وعلى الرغم مما يعترض مؤرخى العصر القديم من عقبات ، ومسائل معقدة لم يزل حلها معلقا ، والقول الفصل فيها متوقف على نتائج الحفائر العلمية التى تقوم فى مصر وغيرها من بلدان الشرق المجاورة ، فإن لدينا مادة وفيرة تكشف لنا القناع بعض الشيء عن حضارة البلاد وثقافتها ، بصورة واضحة جلية فى نواح كثيرة كانت مجهولة ، وبخاصة حياة الشعب ، وما كانت عليه أحوال أفرادها من صلوات اجتماعية تربط بعضهم ببعض ، وبطائفة الحكام ؛ وكذلك لدينا من الوثائق ما يضع أمامنا صورة مفهومة عن أعمال فراغة هذه الأسرة فى داخل البلاد وخارجها ، وما تركوه لنا من آثار خالدة هنا وهناك .

وهذه المادة التى سنتمد على استنباط تاريخ هذا العصر منها لنحصر أولا فيما خلفه لنا عظماء القوم فى نقوش مقابرهم الفاهرة فى طول البلاد وعرضها ؛ وثانيا فيما تركه لنا الملوك من مباني دينية ، ومقابر ملكية وأوراق بردية فى « طيبة » عاصمة ملكهم وغيرها دونوا عليها كل أعمالهم العظيمة فى كل مرافق الحياة .

والواقع أن المقابر التي نحتها عظماء القوم ، ورجال البلاط ، والموظفون في عهد هذه الأسرة ، والأسرات التي كانت فيها « طيبة » عاصمة الملك تعد بمثابة سجل تاريخي من الطراز الأول ؛ إذ أنهم لم يغادروا صغيرة ولا كبيرة في نواحي حياتهم اليومية ، العامة والخاصة إلا أحصوها ، ولم يحذف عن هذا المنهج المحبب شريف أو موظف منهم . فترى رئيس الوزراء يصور لنا على جدران مزار قبره صورة صادقة يوضح فيها كل مهام أعماله الحكومية في داخل البلاد ، كما يصور لنا في منظر آخر استقباله للوفود الأجانب الذين أتوا إلى مصر حاملين ما فرض عليهم من جزية للفرعون ، أو جالين الهدايا له ، طلباً في وده ومصادقته . فترى أمامك ممثلي الأقطار الخاضعة لمصر ، وبخاصة السوري ، والفلسطيني ، والسوداني واللوبي ، مقدمين ما عليهم من جزية ، كما نرى « الخيتي » و « الكريتي » و « القبرصي » و « الآشوري » حاملين الهدايا ، وكل منهم يرتدى لباسه القومي ، مقدماً ما تنتجه بلاده من خيرات وطرائف ؛ وفي ناحية أخرى دقون لنا القوانين والتعاليم التي يجب أن يسير على هديها هو وطائفة الموظفين الذين في ركابه في إقامة العدالة في البلاد ؛ أو تراه يشرف على كل الأعمال العظيمة من مشاريع اقتصادية وزراعية وفيه وهندسية ، ويوجه العمال إلى إدارة أعمالهم حتى في أحقر المهن وأصغرها شأنًا حتى يعلم كل أنه محيط بكل شيء ، ومتنبه لكل صغيرة وكبيرة ، وفي ناحية أخرى تراه مصوراً وهو مترج على كرسيه المتواضع في قاعة العدل ، يصرف العدالة بين أفراد الشعب ، ويوجه رجال الدولة إلى تصريف مهامها ، ويستقبل وفود المقاطعات ، ويطلع على الضرائب وكيفية توزيعها وجمعها على حسب ما تقتضيه حالة النيل من زيادة أو نقص .

وعلى جدران مزار مقبرة أخرى نرى صاحب الأملاك أو الشريف وهو يشرف على سير العمل في ضياعه ، وهنا ترى صورة صادقة عن حياة الفلاح المصري القديم تطابق حياته الزراعية الحديثة ، فتراه يحث الأرض ويبذر فيها الحب ،

ويتعهدا بالرى ، ثم يضم المحصول ويدرسه ، ويخزنه للشريف كما يحدث الآن مع فارق واحد هو أن صاحب الأرض في مصر القديمة مهما كانت مكانته كان يتزل للفلاح عن نصيب معين يقتات به هو وأسرته ، سواء أكان المحصول كثيرا أم ضئيلا ؛ ولذا نلاحظ أن الفلاح كان يعمل لسيدته بقلب مطمئن ونفس راضية .

ونقرأ على جدران مقابر الموظفين من رجال الإدارة والجيش والسلك السياسى صفحات أخرى تبدى ما كانوا يقومون به من أعمال جسام خدمة لبلادهم وللفرعون الذى كانوا يحيطون به إحاطة النجوم بالقمر فى ليلة صافية الأديم ، وبخاصة إذا علمنا أن هؤلاء الموظفين فى تلك الفترة من تاريخ البلاد لم يكونوا من طبقة أشرف ورائين ، بل كانوا أفرادا من عامة الشعب ، شقوا طريقهم الى المجد والرفعة بما قاموا به من خدمات مخلصه لبلادهم وللفرعون فى ساحة القتال ، أو فى تسيير دفة الحكم فى البلاد ، لذلك كان كل واحد منهم يصور لنا حياته من كل نواحيها ، فيذكر لنا مناقبه ، والوظائف التى تقلدها ، والإنعامات الملكية التى نالها جزاء ما قام به من جليل الأعمال فى داخل البلاد وخارجها ، غير معتمد على نسبته لأسرة شريفة أو جاه عريض ، بل كان يفخر بأنه نشأ من أبوين رقيقى الحال ثم يشفع ذلك بالمناظر التى تصور لنا ذلك كله ، فنشاهده وقد أرسله الفرعون فى بعثة إلى « سوريا » أو « فلسطين » أو « السودان » لإنجاز مهام سياسية أو لإحضار الأخشاب اللازمة لبناء المعابد والقصور ، ثم نشاهد البعثة وقد وصلت سالمة إلى ميناء « طيبة » محملة بالخيرات ، وعلى جدران مقبرة أخرى نشاهد أحد كبار رجال الجيش يمثل لنا حياة الجندى العظيم ، وهو يقوم بما فرض عليه من واجبات ، فراه مع جنوده وضباطه ، وهو يوزع عليهم أرزاقهم وأعطياتهم كما يعرض علينا كيفية تجنيدهم وتسليحهم ، واستعراضهم وتدريبهم على فنون الحرب والفرعون يشرف على هذا بنفسه . على أن هؤلاء العظماء وكبار الموظفين لم ينسوا أن يصوروا لنا على جدران مزار مقابرهم نصيبهم من الحياة الدنيا ومتاعها ، فقد صوروا لنا مناظر خروجهم

للصيد والقنص في عرباتهم المظلمة، تبهمهم كلابهم المدتربة ؛ أو وهم في قواربهم لصيد السمك ، ومعهم أزواجهم وبناتهم ، أو زراهم في حفل أسرى دعى إليه الأقارب والأصدقاء وهنا نشاهد ما كان طليه المصرى صاحب اليسار من أناقة الملبس ، وتسامح في معاقرة الخمر والتهايم أشهى الأطعمة المختلفة الألوان ، وفي هذا الحفل ترى أواصر الأسرة المحكمة والحب المتبادل ، كما ترى من ناحية أخرى مقدار ما وصل إليه المثال من الدقة والإبداع في إخراج الصور وتنسيقها .

ولدينا طراز آخر من المقابر نرى على جدرانها أن الموظف قد غنى عناية خاصة بتصوير حياته الحكومية فيمثل لنا الحفل بتنصيبه في وظيفته الجديدة بين يدي الفرعون ذا كرا لنا كل ما كان يحمله من ألقاب ووظائف ، وكيف درج فيها ومعتدا لنا ما كان متصفا به من فضائل وعدالة فذة ، وبالقرب من هذا الموظف آخر قد غنى بناحية أخرى من حياته الحكومية وبخاصة المشرفين على غلات البلاد ومحاصيلها ، وما كان لهم من شأن عظيم في حياة البلاد ، ولا سيما إذا علمنا أن حياة مصر كانت تعتمد على ما تنتجه من غلات وما كان للقائمين بهذا العمل من مكانة خطيرة ، ولا أدل على ذلك من أن «يوسف» عليه السلام الذى يحتمل أنه دخل مصر حوالى هذه الفترة كان أول ما طلب من الفرعون هو أن يجعله على خزائن الأرض أمينا ، لذلك نرى المشرف على خزائن غلات مصر فى ذلك العهد قد مثل لنا مهام أعماله بدقة بالغة مقدما للفرعون مقدار ما تخرجه أرض مصر وما يفسد عليها من غلات من الخارج ، كما كان يصور لنا الحفل العظيم الذى كان يعقد ابتهاجا بعيد الحصاد الذى كان يرأسه الفرعون بنفسه .

ومما يلاحظ هنا أنه قد أتى على مصر فترة في عهد هذه الأسرة كان الفلاح فيها سعيد الحال موفور العيش لدرجة — إذا صدقنا ما نشاهده في المناظر الباقية — أنه كان يرتدى الملابس الجميلة ، وينتعل النعال المتينة فى أثناء قيامه بحصد المحصول مما يتناه فلاح مصر اليوم .

وقد صور لنا المصري معتقداته الدينية في شعائره التي نرى بعضها حتى الآن، فقد كان المصري في كل مناظر قبره يدقن الصلوات والتعاويذ الدينية لأجل بقاء تماثيله وجسمه حتى ينعم بكل ما كان ينعم به في الحياة الدنيا التي صورها على جدران قبره، والتي كان يأمل أن تكون حقيقة ملموسة، إذا ما تليت عليها الأدعية والصلوات الخاصة بذلك، ولعل هذا هو السر في تصوير كل هذه المناظر في تلك القبور، ولا نزاع في أن المصري كان يعد أكبر مواطن أحب وطنه إذ كان يعد متاعه في الحياة الدنيا، ونعيمه المقيم في عالم الآخرة، لأنه كان يعتقد أن جنة عالم الآخرة ليست إلا صورة أخرى لمصر وطنه المحبوب.

من أجل ذلك كله رأيت — وأرجو أن أكون قد أصبت الهدف — أن أتبع عهد كل فرعون بوصف قبور نخبة من رجال عصره شارحا ما تنطوى عليه مناظر مزارات قبورهم وما تكشف لنا من حياة الشعب الاجتماعية، وعلاقتهم بكار رجال الدولة وبملكهم. ولقد وجهت عناية خاصة لقبر الوزير «رخ مى رع» الذى يعد بحق أعظم وزراء مصر في عهد الأسرة الثامنة عشرة، بل في التاريخ المصرى كله، والواقع أن قبر هذا الوزير فضلا عن فخامته وعظمته من حيث النحت والضخامة سجل في تاريخ الحياة الاجتماعية والسياسية والفنية والهندسية. ولا نكون مباغين إذا قورنا هنا أنه يمثل أمامنا تمثيلا حيا مملكة بأسرها رسمت على جدران قاعات مزاره الفسيحة الأرجاء، فترى على أحدها الفرعون ينصب الوزير ويلقى عليه خطابا رثما عن مهام وظيفته في حفل عظيم رسمى، ثم نشاهده في قاعة العدل على كرسيه وحوله أعوانه وكتبته على استعداد لسماع شكايا القوم والفصل فيها، وبعد ذلك نزاه في مشهد آخر يستقبل الوفود من الممتلكات المصرية ويستقبل وفود الأقاليم من كل مقاطعة يعرضون عليه أحوال البلاد المختلفة، ونزاه في منظر آخر يشرف على مشروعات الفرعون العظيمة من بناء معابد ووضع تصمياتها، وتهيئة كل ما تحتاج إليه حتى صناعة اللبانات كان يشرف عليها ويوجه العمال في كيفية

صناعتها كما كان يسهر على مصلحة العمال من نساء ورجال ، وبخاصة الأسرى الذين كان يحسن معاملاتهم ويعطيهم نصيبهم من الحياة ، وكذلك نشاهده يشرف على ممتلكات الإله « آمون » وعبيده في معبد الكرنك وما يتبعه من المعامل والمصانع التي كان يقوم فيها أهل الحرف والصناعات بأعمالهم خير قيام ، ولم يترك لنا « رخ مى رع » حرفة أو صناعة إلا مثلها أمامنا تمثيلا صادقا بكل آلاتها ومعداتنا مما لم يجتمع في مزار مقبرة أخرى بصورة واضحة جلية ، فترى أمامك النجار يعمل بآلته ، والخباز والحديد ودافع الجلود ، والصائغ وصانع الأحذية والنحال وتحضير الشهد وصهر المعادن وصبها والمباني وكيفية إقامتها ، والأحجار وقطعها ونحتها ، وغير ذلك مما سيراه القارئ بعد مفصلا .

وفي ناحية أخرى من قبره نشاهده بين أفراد أسرته في حفل أسرى دعا فيه الأهل والخلان ، وفي حفل آخر نزاه داعيا كبار موظفيه ليستأنس برأيهم في تصريف الأمور ، وفي كل ذلك نرى الأزياء الخلابة وأنواع الطعام الفاخرة هذا إلى مناظر دينية خاصة بإحياء تمثاله أو موميته في عالم الآخرة ، وترتيب الأوقاف الخاصة بطعامه الأبدى ، وغير ذلك مما سنراه في مكانه . هذا إلى أنه قد ترجم لنفسه ليظهر للعالم ما كان عليه من أعباء جسام وما اتصف به من من خلق كريم ومكانة فذة .

ولدينا صنف آخر من كبار رجال الدولة قد حاول أن يمثل في قبره مناظر تصفه في مكانة رفيعة تضارع ما كان يعمل للفرعون نفسه كما فعل « سنوت » أكبر رجال الدولة في بلاط « حتشبسوت » فقد زين جدران قبره بمناظر تدل دلالة واضحة على أنه كان قاب قوسين أو أدنى من الاشتراك في الملك مع سيده وصديقه « حتشبسوت » كما ترك لنا بعض المناظر العلمية وبخاصة المنظر الفلكي الذى حل به سقف قبره مما لا نجد إلا في قبور الملوك العظام .

ولا إخال القارئ الذى ينظر إلى التاريخ نظرة اجتماعية يحدنا قد شططنا عن الصواب في الاهتمام بتصوير حالة الشعب وما كانوا عليه من نعيم أو شقاء ، أو أنا

قد جاوزنا الحد في العناية بشرح ما على مقبرة «رخ مى رع» من مناظر تصف لنا الحياة المصرية كما كانت عليه منذ ٣٥٠٠ سنة تقريبا ، وفي رأي أن هذا هو التاريخ الحق ، ذلك التاريخ الذى يعنى بالشعب وحياته من كل الوجوه . ولا غرابة في ذلك فقد عرف أحد المؤرخين المحدثين علم التاريخ بأنه هو « علم الاجتماع » . والمصدر الثانى الذى اعتمدنا عليه في كشف النقاب عن تاريخ هذه الفترة هو الآثار التى خلفها لنا فراعنة هذه الأسرة وتختصر في المعابد التى أقاموها للآلهة في مختلف أنحاء الإمبراطورية ، وكذلك المعابد التى شيدها لأنفسهم والمقابر التى نحتوها في جوف الجبال في الجهة الغربية من النيل ، هذا إلى البقية الضئيلة التى خلفوها لنا من مبانيهم الدنيوية ، وما عثر عليه من أوراق بردية في مختلف تلك الآثار . والواقع أن ملوك هذه الأسرة قد اتخذوا معابد آلهتهم الذين كانوا يهونهم النصر في ساحة القتال سجلا لتدوين كل أعمالهم ومفازهم إلى جانب الغرض الأسمى من إقامة هذه المعابد ، وهو إقامة الشعائر الدينية للإله الذى كان يمد والد الفرعون ، وتلك مزينة خاصة وظاهرة جديدة اختص بها فراعنة الدولة الحديثة ؛ لأن الإله في ذلك العهد أصبح هو المسيطر بنفوذه السياسى والدينى على كل الإمبراطورية المصرية ، وسادت العقيدة بذلك كل أرجاء الدولة ، ولما كان الإله يمد في نظر الشعب والد الفرعون كان لزاما على ابنه أن يدون على جدران معابده ومعابد الآلهة الآخرين التابعين له والذين آزره وعززوه ونصروه في ساحة القتال ، كل ما أحرزه من نصر حربي ، كما يكشف عن خطته الحربية وما إلى ذلك من جسام الأمور وجليل الأعمال التى تمت في عهده في ظل عطف والده الإله سواء أكان ذلك في داخل البلاد أم في خارجها . وفي الحق لم نجد لهذه الظاهرة أثرا من قبل في كل ما بقى لنا من آثار ملوك الدول المصرية السابقة إلا الشيء القليل ؛ إذ كانت كل نقوشها بوجه عام خاصة بالمراسيم الدينية وإقامة الشعائر .

ولا نزاع في أن معبد «الكرنك» أو معبد «الدير البحرى» أو معبد «أمنحتب الثالث» الجنائزى وغيرها من المعابد التى أقيمت في المدن المصرية الأخرى

أو في السودان هي سجلات دؤنت عليها حروب ملوك مصر في عهد الأسرة الثامنة عشرة، كما دؤنت عليها بعوثهم التجارية وعلاقاتهم الخارجية ، وقد كانت ولا تزال معرضا علميا من الطراز الأول لما كان عليه القوم من ثقافة عالية في مختلف العلوم والفنون، وبخاصة في فن البناء والنحت والحرف والصناعات الدقيقة ، والأدب مما كان يعمل به الفرعون إرضاء لوالده الإله مستعينا في تنفيذه بما يتدفق على الكنانة من الجزية والهدايا التي ترسلها البلاد الخاضعة لسلطان الفرعون بمجد السيف أو بالمهادنة والمصادقة ، كما كانت هذه المعابد سجلا للملك أنفسهم يدونون عليها تاريخ حياتهم وكيفية اتصالهم بالإله الأعظم صاحب السيادة العالمية « آمون رع » وقتئذ .

فبينما نرى الملكة « حتشبسوت » مثلا تصوّر لنا على جدران معبدها بالدير البحري تاريخ ولادتها وكيفية اعتلائها عرش الملك نراها تمثل لنا في نفس المعبد البعثة البحرية السلمية التي أرسلتها الى بلاد « بنت » وهي الأرض المقدسة التي كانت تمتد على ساحل الصومال وبلاد اليمن لتحضر البخور والأشجار العطرية لتفرسها في معبدها الذي بنته لنفسها ولوالدها الإله « آمون » وتعود البعثة وسفنها محملة بكل طرائف بلاد بنت مما وقفنا على كثير من أحوال أهلها وغللاتها وحيوانها وسمكها، والأجناس التي تسكنها ، ونرى كذلك « تحتمس الثالث » يدون لنا على جدران « معبد الكرنك » تاريخ حروبه وفق يوميات كانت تؤلف لهذا الغرض في ساحة القتال ، ويقم معبدا للإله « آمون » الذي نصره في كل المواطن على هيئة خيمة حربية مشعرا بذلك أن إلهه لم يكن إله سلم وحسب ، بل كان إله نضال أخذ بناصر ابنه الفرعون في ساحة القتال ، وكذلك نراه يعرض علينا كل أنواع الهدايا والفنائم والأعمال العظيمة الدينية التي قدمها للآلهة الذين وهبوه النصر في ساحة الوغى ، ثم يمدد لنا أنواع الجزية التي كانت تجبي من البلاد التي فتحها وبخاصة الذهب والمعادن والأحجار والتحف الفنية التي كانت تأتي الى خزائنه ، مما يكشف لنا عن مقدار التقدم الفني والصناعي في ذلك الوقت وكذلك العيد

والإماء التي كانت ترد الى مصر فكان لها الأثر السيء في البلاد بعد ، ويحدثنا عن أسطوله الذي كان يشد أزره في تلك الأصقاع النائية من امبراطوريته مما ملكه زمام البر والبحر ، وقد دون لنا كل ذلك على جدران المعابد أو على لوحات تنصب كالأعلام في جهات الامبراطورية المختلفة ، وكذلك نجده يحدثنا في مواطن كثيرة عن حبه للرياضة البدنية في مختلف أشكالها ، وضروب الفروسية التي ورثها عنه ابنه «أمنحتب الثاني» وغيره من ملوك هذه الأسرة كما يحدثنا عن معاملته السمحة للأعداء وعلاقته بجنده ورجال بلاطه وحسن معاملته لمهم ، وما كان لذلك من التفاف الشعب حوله ، وبخاصة الطبقة الوسطى الذين تألف منهم في آخر الأمر عظماء جيشه وحاشيته الذين أنشئوا وتربوا مع أمراء البيت المالك ، فأخلصوا من أجل ذلك للملكهم في ساحة القتال وفي إدارة البلاد، ولا أدل على ذلك من أن عددا عظيما منهم كانوا إخوة للفرعون في الرضاعة أو تربوا معه في مدرسة واحدة، وقد كان لهؤلاء الملوك شأن آخر في معاملة أولاد الأمراء الذين أتى بهم أسرى من البلاد المغلوبة على أمرها إذ كان ينشئهم على حب مصر ثم يوليهم أمور بلادهم بعد موت آبائهم، وتلك سياسة اتبعتها دول أخرى قديمة وحديثة، ولكنها لم تأت بثمرتها المرجوة .

ومقابر هؤلاء الملوك ومعابدهم الجنازية سجل من طراز آخر يختلف اختلافا بينا عن مقابر عظماء القوم ، فمعظم عنايتهم موجهة الى إخفاء مقابرهم في جوف الجبل لما كانت تحتويه من أثاث فاخر عظيم القيمة دل على ذلك مقبرة « توت عنخ آمون» مع أنه لم يكن من أعظم ملوك تلك الأسرة، والواقع أن أثاث مقابر هؤلاء الملوك ينطق بما كانت عليه البلاد من ثراء مادي وغنى فني وحياة رقيقة وبذخ وتأنق في سبل الحياة مما يجعلنا نقف مشدوهين أمام ما وصلوا إليه من حضارة راقية .

ونقوش مقابرهم كانت من طراز فذ إذ كانت كلها خاصة بعالم الآخرة ، وما كان يلاقيه الفرعون المتوفى من صعاب لا بد من التغلب عليها حتى يصل الى جنة الخلد كما شرحنا ذلك عند الكلام على الحياة الدينية وكتاب الموتى .

وكانت معابدهم الجنازية تشبه معابد الآلهة في محتوياتها ونقوشها الدينية ، وقد كانوا يقيمونها بعيدة عن المقبرة الأصلية على ضفة النيل الغربية ، ولا غرابة في أن نجدها على طراز معابد الآلهة إذ كان الفرعون يعد نفسه إلهاً أو ابن الإله وخليفته على الأرض ، هذا فضلاً عن أن بعض الملوك كانوا يتخذون آلهة بعد مماتهم أو كانوا يبنون معابدهم على أنهم آلهة سيعبدون فيها ، ولا أدل على ذلك من المعبد الذى أقامه « أمنتحتب الثالث » لعبادته هو فى « طيبة » الغربية ، وقد كان الفراغ يقفون على المعابد والأوقاف العظيمة لإقامة الشعائر الدينية ، كما كانوا يقفون الأملاك العظيمة على معابد الآلهة ويكلون أمر إدارتها وتسييرها فى كلتا الحالتين للكهنة ، مما أدى الى زيادة نفوذ هذه الطائفة الدينية حتى أصبحت عاملاً كبيراً فى انحلال البلاد ، حتى آل الملك فيما بعد الى طائفهم .

والظاهرة التى تبدو غريبة فى تلك الأزمان القديمة ، وهى التى وجهنا لها بعض العناية عند التحدث على مقابر الأفراد والملوك ، ولمعابد الخاصة بالآلهة والملوك جميعاً هى ما أحدثه أولئك القدماء من تخريب ومحو وإثبات على جدران ما خلفه غيرهم ، مما يصور لنا ما كان عليه هؤلاء القوم من أحتاد ، وما كان يحتدم فى صدورهم من غل متبادل ، فنشاهد الملوك يكيد بعضهم لبعض ، فيمحو الخلف ما سطره السلف من كتابة وينسب لنفسه ما لم يكن لها . ولدينا أكبر دليل على هذه المأساة ، ما قام به ملوك التحامة من محو وإثبات فى آثارهم ، مما عقد علينا نتيج توارينهم بصفة قاطعة حتى الآن وتعدت هذه الظاهرة مقابر الملوك الى مقابر وجهاء القوم الذين كانوا يحون أسماء أسلافهم وينسبون آثارهم لأنفسهم أو يتلفون معالم أعدائهم ، كل ذلك قد قوت علينا جزءاً عظيماً من تاريخ هذه الفترة من حياة الشعب ، ولكنا مع القليل الذى أبقت عليه يد التخريب قد أمكننا أن نضع أمام القارئ صورة قد يكون بعض أجزائها مغطى بحجاب شفيف إلا أنها مع ذلك فى مجموعها تقدم للقارئ فكرة مفهومة عن روح العصر ، واتجاهاته المتنوعة .

ولقد حاولنا في كل هذا البحث أن نعتد على الوثائق الأصلية ، وقد كان استعراضها أمام القارئ بما تحويه من مبالغات وتهويل ليرى بنفسه ويحكم إذا أراد ثم شفعنا ذلك بالنقد والتحليل بقدر ما استطعنا . وقد يظن القارئ أننا قد بالغنا في الإكثار من ترجمة النصوص الأصلية ولكنا قد دونناها هنا عن قصد ، وذلك رغبة في أن نجعل أهل الجيل الحاضر يعرفون كيف كان أجدادهم القدامى يدونون تاريخهم ، وليأخذ النشء الحديث كذلك وبخاصة المثقفين منهم تاريخ بلادهم من مصادره الأصلية ، ويعرف كيف يفرق بالطرق العلمية الحقة بين خالصه وزيفه . ولا شك أن التاريخ الصادق هو حياة الشعب وما تنطوى عليه تلك الحياة من تقدم وورق أو انحطاط وتدهور ، وإن إسعاد الشعب يتوقف على ما تنطوى عليه نفوس القادة وفق ما أوتوا من ثقافة حقة وجهتها خير الإنسانية كما ضرب لنا المثل الأعلى في ذلك المضمار الوزير « وسر » ومن بعده الوزير « رخ مى رع » وغيرهما ممن كانوا يعتقدون أن عمل رئيس الوزارة بل مهمته في الحياة تقتصر في إسعاد مصر وراحة شعبها ، وأن ذلك لا يتأتى إلا بالعمل على توفير أسباب العدالة الاجتماعية . والسلام على من اتبع الهدى ، واتعظ بالماضى .

شكر

وإني أقدم هنا بعظيم شكرى لصديقى الأستاذ محمد النجار المدرس بالمدرسة الإبراهيمية لما قام به من مراجعة أصول هذا الكتاب وقراءة تجاربه بعناية بالغة ، كما أقدم بوافر الشاء على حضرة الأستاذ محمد نديم مدير مطبعة دار الكتب المصرية لما بذله من جهد مشكور وعناية ملحوظة في إخراج هذا المؤلف ، ولا يفوتنى أن أقدم شكرى للأستاذ محمد إبراهيم نصر الذى أبدى عناية في كتابة أصول هذا الكتاب وبذل مجهودا مشكورا في قراءة تجاربه كلها وعمل الفهارس معى ما

والله أسأل أن يوفقنى إلى ما فيه خير البلاد ومجدها ما

ملوك الأسرة الثامنة عشرة

بيان بأسماء ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، وتواريخ حكمهم على وجه التقريب ، على حسب رأى الأستاذ « ادورد مير » ؛ إذ الواقع أننا لا زلنا فى ظلام دامس بالنسبة لمدة حكم كل فرعون على حدة ، وكذلك ترتيبهم لأن الآثار لم تسمحنا حتى الآن بمعلومات أكيدة محددة :

أحمس الأول ١٥٨٠ — ١٥٥٨ ق م .
أمنحيب الأول
تحتمس الأول	من ١٥٥٧ — ١٥٠٧ ق م .
تحتمس الثانى
حشيشوت وتحتمس الثالث	حكما معا ٥٤ سنة من ١٥٠٤ — ١٤٥٠ ق م .
أمنحيب الثانى
تحتمس الرابع	١٤٥٠ — ١٤٠٥ ق م .
أمنحيب الثالث ١٤٠٥ — ١٣٧٠ ق م .
أمنحيب الرابع (أخناتون)	١٣٧٠ — ١٣٥٢ ق م .
سمنخ كارع
توت عنخ آمون
آى ١٣٥٢ — ١٣١٠ ق م .
حورحجب

وستتناول بالبحث تواريخ آخر ملوك هذه الأسرة فى الجزء التالى على ضوء آخر الكشوف والآراء الحديثة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدولة الوسطى

الأسرة الثالثة عشرة

مقدمة

كان تولى الملكة « سبك نفرو رع » عرش مصر آخر مرحلة تنذر بسقوط الأسرة الثانية عشرة ، فباتهاء حكمها انقطع نسل هذه الأسرة ، ودخلت مصر في عصر مضطرب . تغشيه ظلمة حالكة لتضائل أمامها تلك الظلمة التي غشت البلاد على إثر سقوط الدولة القديمة . فالمصادر التي لدينا عن ذلك العصر نادرة ، والآثار التي كُشف عنها حتى الآن ضئيلة ، لا تساعدنا على تفهم أحوال البلاد ، ولا ترشدنا إلى ترتيب ملوكها ترتيباً تاريخياً مسلسلاً .

ومما يؤسف له جد الأسف أن أهم هذه المصادر ورقة « تورين » ، وقد وصلتنا ممزقة مهلهلة وبخاصة عند سرد ملوك هذه الأسرة ، عدا الجزء الأول منها ؛ من أجل ذلك أصبح من العسير وضع كثير من ملوكها في أماكنهم الأصلية ، إلا عن طريق الحدس والتخمين .

وكذلك قائمة الملوك التي أمر بنقشها « تحتمس الثالث » في معبد « بالكرك » ، في المكان المعروف الآن بقاعة الأجداد (راجع الجزء الأول ص ١٥٩) لا تشمل إلا نخبة من الملوك الذين حكموا مصر منذ القدم حتى عهد هذا الفرعون .

أما المصادر الإغريقية فلدينا منها مقتطفات ومختصرات قلها « يوسفس » و « أفريكانوس » و « يوزيب » عن المؤرخ المصرى « مانيتون » . فقد ذكر لنا هذا المؤرخ في مختصره عن تاريخ مصر أن الأسرة الثانية عشرة قد أعقبتها

الأسرة الثالثة عشرة ، وأن ملوكها نحو ستين فرعوناً ، وأنهم اتخذوا مدينة « طيبة » عاصمةً لملكهم ، وأنهم حكموا نحو ثلاثة وخمسين وأربعمئة عام . ثم خلفهم ملوك الأسرة الرابعة عشرة ، واتخذوا مدينة « سخا » من أعمال الدلتا مقراً لملكهم ، وكان ملوكها ستة وسبعين فرعوناً حكموا نحو أربعة وثمانين ومائة عام . وفي عهد هذه الأسرة كانت كارثة غزو البلاد بقوم من الأجانب يعرفون بـ « الهكسوس » ، أو ملوك الرعاة . والمعروف أن هؤلاء الفاتحين ظلوا يسيطرون على البلاد طيلة عهد الأسرتين : الخامسة عشرة ، وملكها ستة ، والسادسة عشرة ، وفراعنتها اثنان وثلاثون فرعوناً .

وأخيراً جاء عهد الأسرة السابعة عشرة ، وقد حكم خلالها ثلاثة وأربعون ملكاً من ملوك « الهكسوس » وثلاثة وأربعون فرعوناً من فراعنة « طيبة » المصريين في وقت واحد .

ويقدر « مانيتون » زمن حكم ثلاث الأسر الأخيرة ، أى من الأسرة الخامسة عشرة إلى السابعة عشرة ، بنحو ثلاثين وتسعمائة سنة . ويقدر الفترة التي بين نهاية الأسرة الثانية عشرة والسابعة عشرة ، بما في ذلك عهد الفرعون « أحس الأول » مخلص مصر ، بنحو سبعين وخمسمائة وألف عام .

ولا شك في أن هذا التقدير الزمني مبالغ فيه إلى درجة لا يقبلها العقل والمنطق معاً . وسنتكلم عن هذا الموضوع في حينه . غير أننا نجد أن ما ذهب إليه « مانيتون » يتفق وما جاء في « ورقة تورين » في تسامع الأسر ، وسنى حكم كل ملك ، فنجد في « ورقة تورين » بعد الأسرة الثانية عشرة قائمة بأسماء ملوك شغلت أعمدة عدّة منها ، ويمكن الباحث أن يلاحظ فيها نحو خمس فواصل يدلّ كل منها على تغيير أسرى . وتبتدئ إحدى هذه الأسر بالفرعون الواحد والستين . ومن ثم نعرف أن الستين ملكاً الذين سبقوا هذا الفرعون هم الفراعنة

الذين تتألف منهم الأسرة الثالثة عشرة ، حسب رأى « مانيتون »^(١) . ثم إلى ذلك في الورقة سلسلة طويلة بأسماء الملوك الذين تتألف منهم الأسرة الرابعة عشرة . ولم يبق لنا من الأعمدة الأخيرة المؤلفة لهذا الجزء من البردية إلا بعض نتف صغيرة نقرأ فيها بعض أسماء ملوك الهكسوس ، وأسماء فراعنة ممن حكموا في « طيبة » في عهد الأسرة السابعة عشرة . وإن كان يبق لنا محفوظا في هذه الورقة تواريخ نحو ثلاثين فرعوناً ، أكثرهم من الأسرة الثالثة عشرة ، والقليل منهم من الأسر التي أعقبتها .

ونفهم من هذه التواريخ أن مدة حكم كل ملك منهم كانت قصيرة ، وأنهم تولوا الحكم متلاحقين مسرعين . وهذه الحقيقة تتفق اتفاقاً منطقياً مقبولا وما عرفناه من الآثار القليلة التي تركها لنا ملوك هذا العصر . ذلك إلى أنه يمكننا التدليل على أن ملوك الأسرة الرابعة عشرة ، بل وبعض ملوك أواخر الأسرة الثالثة عشرة ، كانوا يحكمون في عصر واحد مع ملوك « الهكسوس » الفزاة ، كل على الجزء الذي كان يسيطر عليه ، كما سنرى بعد .

ومما يؤسف له أن المجاميع الشاملة لمدة حكم فراعنة كل أسرة قد فقد معظمها من بردية « تورين » ، ومن الجائز أن مؤلف الورقة قدر أن كل أسرة ذكرها قد أعقبت سابقتها ولم تعاصرها وكذلك فعل « مانيتون »^(٢) (اللهم إلا سلسلة الملوك المزدوجة من الهكسوس والمصريين الذين ظهروا في عهد الأسرة السابعة عشرة) . وهذا خطأ وقع فيه المؤرخون للتاريخ البابلي في عهد الأسر القديمة .

(١) راجع : "A Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology," by W. Smith. (London, 1873), Vol. II, P. 915-916, & Ed Meyer, "Histoire de l'Antiquité", § 151.

(٢) راجع : Ed. Meyer, "Histoire de l'Antiquité", Tome II, § 298,

أما قائمتا الملوك اللتان عثر عليهما في « سقارة » و « العرابة المدفونة » فقد أغفلنا ذكر أسماء الملوك الذين حكموا البلاد منذ بداية الأسرة الثالثة عشرة حتى الأسرة السابعة عشرة ، وهذا على العكس من قائمة الكرنك المنسوبة إلى « تحتمس الثالث » كما ذكرنا ، فإنها عُدّت لنا أسماء خمسة وثلاثين فرعوناً انتخبوا من ملوك الأسرة الثالثة عشرة والأسرة السابعة عشرة ، وقد بقي محفوظاً لنا منها خمسة وعشرون اسماً بعضها سليم والبعض الآخر مهشم . ولكن يلحظ أن هذه القائمة قد أغفلت ذكر ملوك الأسرة الرابعة عشرة ، وكذلك تجاهلت أسماء ملوك « الهيكسوس » التجاهل كله . ومع ذلك فإن هذه القائمة لا تتبع في عامتها الترتيب التاريخي إلا في بعض مجاميع انتخبت على حدة .

وستتكلّم عن ملوك الأسرة الثالثة عشرة في ضوء هذه القوائم ، وما وجد من الكشف الحديثة بقدر ما تسمح به آخر المظان والبحوث التي ظهرت حتى الآن .

الملك سخم رع خوتاوى - أمنمحات سبك حتب



لم تصل إلى أيدينا معلومات وثيقة عن حال نهاية حكم الملكة « سبك نفرو رع » آخر ملوك الأسرة الثانية عشرة ، ويظن بعض المؤرخين أنها لا بد قد تزوّجت الملك « سخم رع خوتاوى » (أمنمحات سبك حتب^(١)) ، وأنه بزواجه منها أصبح ملكاً شرعياً . ولكن ليس لدينا ما يدعم ذلك الزعم ، فمن الجائز أن

(١) يرى الرأي السائد عند المؤرخين أن الملك « رع خوتاوى وجاف » هو أول ملوك الأسرة الثالثة عشرة (Meyer, "Geschichte des Altertums" §. 299) إلى أن كشف في الحفائر التي عملت في « الممدود » بعض أحجار باسم الملك « أمنمحات سبك حتب » وعلى ضوء هذا الكشف بحث الأستاذ فيل (Weill) موضوع ترتيب هذه الأسرة من جديد (R. Weill, "Revue de l'Egypte Ancienne" II. (1929) P. 147).

هذا الفرعون قد اغتصب الملك منها ، وبخاصة إذا علمنا أن حكم النساء لم يكن مرغوبا فيه في كل عصور التاريخ المصرى . هذا إلى أنه اتحل لنفسه اسم « أمنمحات سبك حتب » تيمنا بهذا الاسم الذى كان يحمله أولئك الملوك العظام الذين حكموا البلاد في عهد الأسرة الثانية عشرة ، وذلك ليخفى اغتصابه للملك ، وليكون خليفة للفرعون « أمنمحات الرابع » آخر ملوك الأسرة الثانية عشرة من الذكور .

وقد حكم « أمنمحات سبك حتب » البلاد المصرية ما لا يقل عن أربع سنوات ، وخلف وراءه آثارا عتة في طول البلاد وعرضها ، مما يدل على أنه كان مسيطرا على القطر كله . وقد ذكر جرفث (Griffith, "Hieratic Papyri from Kahun and Gurob," P. 87.) أن هذا الفرعون كان يسيطر على الإمبراطورية التي أقامها « سنوسرت الثالث » ، أى من الدلتا حتى قلعة « سمنة » . وكذلك عثر له على تمثال في « سمنة » وآخر في « كرمه » . هذا إلى أنه استمر في تدوين مقاييس النيل في السنين الأربع الأولى من حكمه في « قبة » و « سمنة »^(١) .

وعثر له في الدير البحرى على حجر منقوش عليه اسمه ، يظن أنه من عتب باب^(٢) ، وذلك مما يدل على أنه أقام بعض مباني المعبد الذى شيده ملوك الأسرة الحادية عشرة . ووجد له في « المدمود » بعض أجزاء مقاصير ، منها جزء من منظر للملك والآلهة^(٣) . وفي « كاهون » القريبة من « الفيوم » عثر على بردية دون فيها قائمة

(١) راجع : Revue : L. D. II, 151 a, 151 b, 151 c, 151 d. & De Rougé, "Archeologique", V, P. 312.

(٢) راجع : Naville, "Deir el Bahari", Archaeological Report of the Egypt Exploration Fund, 1906-1907, P. 6.

(٣) راجع : Bisson de la Roque, "Rapport sur les Fouilles de Meda-moud" (1926) 40, 41, fig. 29 & ibid (1928), P. 87 ff. & P. 131-133. fig. 85 & P. 134-136 pl. IV.

باسماء أسرة كبيرة ، وذكر فيها السنة الأولى والثانية من حكم هذا الفرعون . وقد جاءت إشارة في هذه البردية إلى تعداد سابق عمل في السنة الأربعين من حكم الملك « أمنمحات الثالث » .

وفي « تل بسطة » عثر له على جزء من (بوابة) وقطعة أخرى ^(١) .

وأخيرا عثر له على بعض أسطوانات محفوظ بعضها « بالمتحف البريطاني » و « متحف اللوفر » ^(٢) .

الملك سعنخ - تاوى - سخم كارع



وخلفه على العرش الفرعون « سعنخ تاوى سخم كارع » . ولا نعلم عن أعماله في مدة حكمه الذى دام نحو ست سنوات إلا القليل . وأهم أثر له عثر عليه لوحة في « أتريب » (بنها الحالية) ، وقد رسم عليها صورة إله النيل يقدم القربان إلى الصقر المتوج (الملك) . واللوحة لأمير يدعى « مرى رع » ^(٣) .

وكذلك وجد له في « تانيس » (صان الحجر) عقبا باب من الشبه المطعم بالفضة نقش عليها اسمه الحورى ، واسم الملكة زوجته ، وثلاث أميرات من بناتها .

(١) راجع : Naville, "Bubastis" Pl. XXXII, 1. & ibid XXXIII a

(٢) راجع : Cylinder no. 3663. British Museum; Petrie, "Historical Scarabs" P. 10 No. 278, and "A History of Egypt". Vol. I. P. 209, fig. 118; & Cylinder No. 1657, British Museum; Petrie, "Historical Scarabs" P. 10 No. 279.

(٣) راجع : Brugsch "Thesaurus", P.1455; & Budge, "A Guide to the Egyptian Collections in the British Museum" (1909) P. 223, Pl. XXVIII; and "A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture)" (1909) P. 80.

(راجع : Mariette, "Monuments Divers Recueilli en Egypte et en Nubie", pls. 103, 104.)

ووجد اسم هذا الفرعون منقوشا على منحور « شط الرجال » بالقرب من بلدة السلسلة (Petrie, "A Season in Egypt" pl XV No 466) . وفي أوراق « كاهون » وجد تاريخ باسم هذا الفرعون في السنة الثانية (؟) وكذلك في السنة الثالثة (Pap. 1. 3) (Kahun Pap. Pl. 1X, 11. 8 & 1) . ويدل اسم وزيره « خنمس » في منحرة في « أسوان » على أنه كان غير غافل عن هذا الجزء الجنوبي من بلاده . (راجع : De Morgan, "Catalogue des Monuments et Inscriptions de l' Egypte Antique" P. 26, 186).

وقد أهدى هذا الفرعون وزيره « خنمس » تمثالا من الجرانيت الأسود ، وقد اشتراه الأستاذ «نيوبرى » من القاهرة . (راجع : "Proceedings of the Society of Biblical Archaeology", Vol. XXIII (1901) P. 222, 223)

بوادر الانحلال في الحكم : ولا نزاع في أن بوادر الانحلال أخذت تظهر في نهاية حكم أول فراعنة هذه الأسرة بصورة جلية واضحة وفي حكم الفراعنة الذين خلفوا هذا الملك ، فضلا عن انقطاع تدوين مقاييس النيل بعد السنة الرابعة من حكم هذا الفرعون وانقطاع قوائم التعداد في حكم خلفه في ورقة « كاهون » ، فضلا عن كل ما بذله الفراعنة الذين خلفوه من جهود للحفاظ على تقاليد الملك العظيمة التي سارت على نهجها البلاد ، فقد كان الانحطاط سريعا ؛ إذ نجد أن انتقال الحكم من فرعون إلى فرعون كان يجري في سرعة خاطفة مدهشة . ولا أدل على ذلك من أن ثلاثة من هؤلاء الملوك الذين تربعوا على عرش البلاد لا نعرف لواحد منهم اسم تتويج ، مما يدل على أنهم قد خلعوا عن العرش على إثر توليتهم قبل أن يتاح لهم التتويج رسميا . يضاف إلى ذلك أن خامس فراعنة هذه الأسرة ، وهو « إيؤنى » ، كان يحمل على ما يظهر اسما لا يدل على أنه درج في حجر الملكية . ولا بد أن هذا العصر كان يمتاز بالثورات التي كانت تشب في القصر فيغتصب العرش من كان في جانبه القوة .

سزفا كارغ - كاى أمنمحات



فقد وجد منقوشا مع الملك « وجاف » الذى سيأتى ذكره على قطعة من الحجر الجيرى فى « المدمود » ولا بد أن الأخير قد حكم بعد الأفل (راجع : Bisson, de La Roque, "Tod" (1934-1936) op. cit & Weill, R. E. A. II. (1929) P. 156 ff (Fig.4).

الملك خوتناوى رع - وجاف



حكم هذا الملك مدة مجهولة من السنين وثلاثة أشهر وأربعة وعشرين يوما ، وقد عثرله على قطعة من لوحة فى « خبيثة الكرنك » ونشرها « لجران » (راجع : Legrain "Notes d' Inspection," Annales du Service des Antiquities de l' Egypte, Vol VI, (1905), p. 133.

وقد جاء ذكر اسمه فى قائمة « قاعة الأجداد » المنسوبة للفرعون « تحتمس الثالث » (راجع : Sethe, "Urkunden des Agyptischen Altertums" Vol : IV. p. 610,

وقد اختلف المؤرخون فى تقدير سنى حكمه ، فيقدره الأستاذ « ادورد مير » بنحو ستين وثلاثة أشهر وأربعة وعشرين يوما (Gauthier, L. R. II, P. 2) فى حين أن «لوث» (راجع : Manetho und der Turiner Konigspapyrus : p. 236, adopted by Unger in "Chronologie des Manetho" p. 133). يقدره بنحو اثنتى عشرة سنة وثلاثة أشهر وأربعة وعشرين يوما . والواقع أن ما أصاب « ورقة تورين » من التمزيق فى هذه النقطة يجعل تقدير سنى حكمه

بصفة قاطعة أمرا عسيرا ، هذا إلى أن الآثار لا تسعفنا بأية معلومات في هذا الصدد . وقد وجدت آثار في أنحاء القطر ذكر عليها اسم هذا الفرعون ، منها لوحة من الحجر الجيري الأبيض عثر عليها في « إلفنتين » وهي محفوظة الآن « بالمتحف المصرى » تحت رقم ٣٨٣٣٣ ، وقد كتب عنها « لجران »^(١) . ويعتقد أنها كانت لوح تمارين لتلميذ . ووجد له كذلك قطعة من تمثال جالس في « الكرنك »^(٢) .

ويقول « لجران » عن هذه القطعة : إن آثار التهشم التي وجدت تحت الطغراء تدل على أن التمثال يرجع في تاريخه إلى عهد ما قبل ثورة « اخناتون » الدينية . ويظن أن هذه القطعة من تمثال يتعبد له في « الكرنك » .

وقد عثر الأستاذ « بدج » على تمثال لهذا الفرعون في « سمنه »^(٣) .

وهو محفوظ الآن بمتحف « الخرطوم » .

وقد درس « لجران » هذا التمثال ثانية^(٤) ، ويقول الأستاذ « بدج » عنه أنه أقدم أثر عرف حتى الآن ذكر عليه اسم الإله « دودون »^(٥) معبود بلاد النوبة . فيقول عنه : إنه محبوب « دودون » صاحب « خنتى ستى » (النوبة) ؛ ويعتقد « بدج » أن الملك « وجاف » كان من أصل نوبى وأن لباس عيد « سد » الذى يرتديه التمثال يشعر بأن هذا الملك كان يتقبل تعبدا جنازيا في « سمنه » .

(١) راجع : A. S. VIII P. 250-2.

(٢) راجع : A. S. VI (1905) P. 130.

(٣) راجع : Budge, "The Egyptian Sudan" 1, P. 484-486.

(٤) راجع : Legrain, A. S., X (1910) P. 106-7.

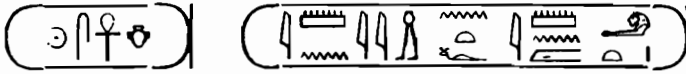
(٥) هذا إذا استثنينا ذكر هذا الإله في « متون الأهرام » راجع Sethe, "Die Altägyptischen Pyramidentexte", (Leipzig, 1908 — 1922) lines 803, 994, 1017, 1476, 1718.

الملك سنفراب رع - سنوسرت



يدل ما كشف من الآثار على أن هذا الفرعون قد جاء بعد الملك « وجاف » السابق الذكر ؛ إذ قد عثر على لوحة صغيرة في « إلفتين » عليها اسم كل من « سنفراب رع سنوسرت » و « وجاف »^(١) ، ووجد لهذا الفرعون تمثال ضخيم وكذلك لوحة صغيرة وكلاهما مستخرج من « الكرك » . وقد ذكر عليهما معا كل ألقاب هذا الفرعون وكذلك عثر على مائدة قربان منقوش عليها اسم هذا الفرعون في « الكرك » وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري^(٢).

الملك سعنخ اب رع - أمينى انتف أمنمحات



أهم ما وجد لهذا الفرعون عدة موائد قرايين بعضها من الحجر الرملى كشف عنها في « الكرك » وهي الآن « بمتحف القاهرة »^(٤) . وقد كتب عنها المرحوم « أحمد باشا كمال » في كتابه « موائد القربان » . وقد جاء اسم هذا الفرعون في « قائمة الكرك » وكذلك ذكر في « ورقة تورين » وله أيضا أسطوانة باسمه و « جعران »^(٥) .

(١) راجع : Weill, R. E. A. II. (1929) P. 156 et seq. fig. 4

(٢) راجع : Weill, "La Fin du Moyen Empire Egyptien" P. 313 - 14.

(٣) راجع : Mariette "Karnak" P. 9410.

(٤) راجع : Kamal, "Tables d'Offrandes", I. P. 31-7.

(٥) راجع : Sethe. Urk. II. P. 609.

(٦) راجع : (Col VII. frag. No. 72 P. 10 Lepsius, "Auswahl", V.

(٧) راجع : P. S. B. A. (1914) P. 37.

(٨) راجع : Petrie, "Scarabs & Cylinders", 13. 6.

والظاهر أن هذا الفرعون قد حكم مدة طويلة إذ يقول « جرفث » إنه وجد إحصاءاً للشاشية في « كاهون » وأنه قد ذكر العام العشرون ، وأن هذا التاريخ لا يحتمل إسناده للملك « إيوني » الذي لم يمكث على العرش إلا برهة قصيرة كما يظهر بل ينبغي أن يعزى للفرعون « سعنخ اب رع » الذي ترك لنا موائد قربان جميلة الصنع في « الكرنك » .

هور اب شدت - أمنمحات



وجد لهذا الفرعون عمود في مدينة « الفيوم » عثر عليه الأستاذ « جولنشياف » وقد نسب « جوتييه » للملك « أمنمحات الأول » خطأ ^(١).

الفرعون ستنح اب رع أمنمحات



وجد لهذا الفرعون ثلاث موائد قربان في مدينة « سمنود » وهي الآن بمتحف الاسكندرية . وكذلك جاء اسم هذا الملك في « ورقة كاهون » فيهرن ^(٢) « جرفث » بذلك على أن طغراء هذا الملك لا بد أنه ينسب إلى عهد بعد « أمنمحات الرابع » وقد جاء ذكره كذلك في « ورقة تورين » ^(٤).

ولدينا فراعنة عدة ربما جاءوا بعد أولئك الذين ذكرناهم ، ويعتبرون من أهم ملوك الأسرة الثالثة عشرة ، لما تركوه من الآثار الهامة نسيا ، إذ نجد من بينها

(١) راجع : Gauthier, "Le Livre des Rois d'Egypte", I. P. 259. A. S. (1937) P. 85-95. وراجع كذلك ما كتبه الأستاذ ليب حبشي عن ذلك في

(٢) راجع : Daressy, A. S, V. (1904) P. 124.

(٣) راجع : Griffith, "Kahun Papyri", Pl. XXVII. 1-14 (Text) P. 69.

(٤) راجع : Lepsius, "Auswahl", Taf. V. Col. VII. Frag. No. 72.1.8.

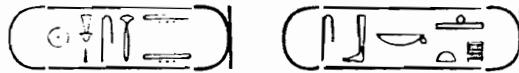
تماثيل جميلة الصنع ، ولحسن الحظ قد حفظت لنا قائمة ملوك الكرنك أهم هؤلاء
 الفراعنة مرتبة ترتيباً صحيحاً . ولا ريب في أن معظمهم كانوا ممن اغتصبوا عرش
 البلاد ، إذ نجد على أختامهم وعلى آثارهم أن الملك منهم كان يضيف إلى اسمه
 اسم والده الذي كان يلقب « والد الإله » وأحياناً اسم والدته التي كانت كذلك
 تلقب « والدة الإله » . وذلك يدل على أنهم لم يخفوا اغتصابهم لعرش البلاد .
 وأول ملوك هذه السلسلة :

الملك سمنخ كارع - مرشح



وقد عثر له على تماثيل عظيمين في « تانيس » الواقعة في الشمال الشرقي من
 « الدلتا » وقد اغتصبها لنفسه « أبو فيس » الثاني أحد ملوك « الهكسوس »
 فيما بعد ، ومن ثم يتضح لنا أن سلطان هذا الفرعون كان ممتداً حتى بلاد الدلتا .
 وأهم ملك يأتي بعده هو :

سحم رع سواز تاوى - سبك حطب الثالث



لم يأت ذكر هذا الملك في قائمة « الكرنك » على الرغم مما يبدو له من
 الأهمية ، ولكن وجد له آثار عدة تدل على نشاطه في طول البلاد وعرضها .

(١) مضى كلمة « مرشح » قائد الجيش .

(٢) Edwards, Harpers New Monthly Magazine, Oct. 1886, P. : راجع :
 718 & Petrie "Tanis" I. Pl. III. 17D, & L. D. III. 259 C., Texte I.
 P. 218 & Evers, "Staat aus dem Stein", Pl. 146-148.



(۱) الملك رمسيس الثاني - سبك حنب

فى « تل بسطة » عثر على تمثال من الجرانيت الأحمر ، لوحظ فيه بعض تحريف فى اسمه بُعِد به عن الاسم الحقيقى ، وربما كان سبب ذلك خطأ المثال . ويظهر فى هذا التمثال أغلاط المثال الفنية الخاصة بهذا العصر ، إذ نجد فيه الرأس والوسط صغيرين ، وكذلك وجد له فى « الكرنك » جزء من تمثال مصنوع من « الجرانيت » ؛ وقد عثر على « سبك حتب الثالث » وليس ذلك مؤكدا . وله « بمتحف اللوفر » لوحة (C. 8) ^(١) يدل نقشها وصورها على أنها قد صنعت فى هذا العهد بمهارة تضارع فى دقتها فن الأسرة الثانية عشرة الرفيع ، وقد مثل عليها زوجة الملك وابنتان من بناته تتعبدان للإله « مين » . ولدينا آثار أخرى تحدثنا عن أفراد أسرة هذا الفرعون منها لوحة فى « ثينا » لأمير اسمه « سنب » ووالداه هما « متوحتب » و « أوهت أبو » وهما والدا هذا الملك نفسه . وله جمارين مبعثرة فى جهات مختلفة يعلم منها اسم والد هذا الفرعون ، وهو الملقب « بوالد الإله » « متوحتب » والأم المقدسة « أوهت أبو » ^(٢) .

وقد قام هذا الفرعون بإنشاء مباني فى معبد الأقصر « بطيبة » يدل على ذلك وجود بقايا بعضها فى هذه الجهة ، منها عقد باب ، وأعمدة ، وقطعة من الحجر ،

(١) راجع : Budge, "Egyptian Sculptures in the British Museum" :
Pl. XVI.

(٢) راجع : Pierret, "Recueil d'Inscriptions inedites du Musee Egyptien du Louvre", Vol. II, P. 107.

(٣) راجع : Petrie. "History" I, Fig. 125.

(٤) راجع : Recueil de Travaux Relatifs à la Philologie et à l'Archéologie Egyptiennes, Vol. VII, P. 188.

(٥) راجع : Petrie. "Hist. Scarabs". P. 10 No. 291 & L. D. text I.P. 15 & Petrie. ibid P. 10, No. 292.

وكلها منقوش عليها اسمه^(١) ، والظاهر أنه قد أقام بعض المباني في معبد « الكرنك » وذلك لوجود قطعة من الحجر عليها اسمه^(٢) .

وفي « الجبلين » وجد له عتب باب منقوش عليه اسمه^(٣) . أما في مدينة « الكاب » فكشف عن مقبرة في « سفح الجبل » لأمير يدعى « سبك نحت » وقد ذكر في نقوشها أن هذا الأمير عاش في عهد هذا الفرعون^(٤) .

أما ما بقي من آثاره فتتضمن في بعض الجعارين ، وخرزة من حجر الجمشت^(٥) ، وكرة صغيرة من الذهب^(٦) ، وكذلك قبضة (بلطة)^(٧) ، وكلها قد نقش عليها اسمه . والظاهر أن هذه الآثار كلها من بقايا محتويات قبره الذي نهب في الأزمان القديمة وكشف عنه الأهالي في أيامنا . وقد كشف حديثا عن مقصورة أقامها في « المدمود »^(٨) ، كما اغتصب لنفسه بعض آثار أحد الملوك ، والظاهر أنها « لسنوسرت الثالث » .

وقد مكث على العرش نحو ثلاث سنوات كما جاء في « ورقة تورين »^(٩) .

(١) راجع : "Zeitschrift für Agyptische Sprache", Vol. XXXIV, P. 122. Weigall, "A Guide to the Antiquities of Upper Egypt", P. 70.

(٢) راجع : Mariette, "Karnak", 8.

(٣) راجع : Rec. Trav. XX. P. 72.

(٤) راجع : Champollion, "Notice Descriptive des Monuments Egyptien du Musee Charles X," P. 273. & L. D. III. 13 b-c (Text).

(٥) راجع : Newberry, P. S. B. A. XXVII. P. 104.

(٦) راجع : Petrie, "Scarabs & Cylinders" 13, 20. 1.

(٧) راجع : Budge, "Guide" (1909) P. 115. 223 & Pl. XXVII.

(٨) راجع : Bisson de La Roque & Clere (1929), "Medamoud", 83-94 & ibid 1930 P. 93.

(٩) راجع : Lepsius, Turin Pap. Col. VII. frag. 79-80 1-2 = "Auswahl" Taf. V.

وعثر أخيراً على بعض أحجار لمعبد أقامه في مدينة « الكاب » (المحاميد) واستعملت في أساس معبد من الأسرة السادسة والعشرين . ونقوش هذه الأحجار تعدّ في الطبقة الأولى من حيث الدقة الفنية ، بل تقارب في إتقانها صناعة الأسرة الثانية عشرة . ولا نزاع في أن هذه الأحجار هي بقايا معبد لأننا نشاهد على بعضها أجزاء من المنظر المألوف الذي يمثل الاحتفال بوضع أساس معبد ، وقد كشف عن هذه الأحجار في عام ١٩٣٨ .

الملك خع سخم رع . نفر حتب



خلف الفرعون « سبك حتب » الثالث على عرش البلاد ملك يدعى « نفر حتب » بحسب ما جاء في ورقة « تورين » . وقد عرفنا نسب هذا الفرعون من ثلاثة نقوش دونت على الصخر : النقش الأول موجود على صخور أسوان^(١) ، والثاني على صخور جزيرة « سهل » (بالقرب من أسوان^(٢)) ، والثالث نقش على صخور « شط الرجال^(٣) » ، هذا إلى جعارين مختلفة منقوش عليها اسمه ، واسم بعض أفراد أسرته . ومن كل ذلك نعلم أن اسم والده هو « حاعنخف » واسم والدته « كمي » . أما زوجه أم أولاده فتدعى « سنسنب » (Sensenb) . واسم بكر أولاده « ساحتحور » وهو الذي قد اشترك معه في حكم البلاد . هذا وكان له فضلاً عن ذلك ثلاثة أولاد آخرين وهم « سبك حتب » و « حاعنخف » و « حرتب » ،

(١) راجع : Petrie "Season" P. 337.

(٢) راجع : Mariette, "Monuments", XXI, P. 3.

(٣) راجع : Petrie, "Season", Pl. XV no. 479 P. 15.

كما كان له كذلك أخوان تولى كل منهما فيما بعد عرش الملك ، وهما «سبك حتب» الرابع ، و « من وازرع » . والواقع أن الفرعون « نفرحتب » قد ترك لنا آثارا هامة في طول البلاد وعرضها ، وقد كشف حديثا عن آثاره تدل على أن نفوذ مصر كان يمتد إلى فلسطين في عصره .

وقد أراد هذا الفرعون أن يسير على نهج أسلافه في إحياء ذكرى الإله «أوزير» وقد ترك لنا لوحة في « العرابة المدفونة » يحدّد لنا فيها ما قام به من عظيم الأعمال الدينية لوالده «أوزير» . وقد أدت به غيرته أن قام بنفسه برحلة إلى «العرابة المدفونة» حيث أحضر على حسب أوامره الخاصة تمثال الإله «أوزير» من قبره ليقابله عند وصوله ، ثم عاد بعد ذلك الإله والملك سويا إلى المعبد ، وهناك مثلت (دراما) موت الإله «أوزير» ثم إحيائه ثانية . وقد تكلمنا عن ذلك فيما سبق



(٢) الملك خع سنخم رع - نفرحتب

(راجع الجزء الثالث ص ٥٠٧) . وقد قص علينا هذا الفرعون كل ما قام به في هذه الرحلة على لوحة نصبها في « العرابه المدفونة » فاستمع إلى ما جاء فيها^(١) .

« في السنة الثانية من حكم جلالة الملك « نفرحبت » الذي أنجبته الأم الملكية « كمي » لها الحياة والثبات والسعادة مثل « رع » مخلدا (عندما) اعلى جلالة عرش الصقر (الملك) في القصر المسى « المسيطر على الجمال » (ويحتمل أن هذا القصر كان بالقرب من « اثت تاري » أو « منف ») خاطب الأشراف والنبلاء من أتباعه ، ومهرة الكتاب وحفاظ كل الكتب السرية قائلا : لقد تاق قلبي إلى رؤية الكتابات القديمة الخاصة بالإله « آتوم » ولذلك يجب عليكم أن تقوموا لي ببحوث عظيمة حتى يمكن للإله (أى الملك) أن يعلم كيف خلق ، وكيف فطرت الآلهة ويعلم ما يجب أن تتألف منه القرابين الخاصة بهم . وحتى يمكنني أن أعرف الإله « أوزير » في صورته الحقيقية ، وبذلك يكون في مقدوري أن أنحت له تماثلا كما كانت في غابر الزمان في الوقت الذي كان فيه الآلهة يخشون تماثيل « لأقسم » في مجلسهم « السماوى » لأجل أن يثبتوا آثانهم على الأرض . فقد منحوني إرث إله الشمس إلى آخر ما تحيط به دائرة الشمس . وإني سأزيد ما هو موكل بي (من القرابين) وهم من جانهم سيزيد حبيهم لى ما دمت أعمل على حسب ما يأمرون » .

فأجاب الأشراف على ذلك بقولهم : « يا أيها الملك والسيد ، إن كل ما أمر به جلاتك سيفتد ، وعلى ذلك فلتذهب جلاتك إلى المكتبات ، ولتنظر جلاتك إلى كل كلمة مدونة .

وعندئذ ذهب جلالة إلى المكتبة ، وفتح الكتب في حضرة الأشراف فوجد سجلات معبد « أوزير » أول أهل الغرب ، وسيد « العرابه المدفونة » ثم قال جلالة للأشراف : إن جلاتي يحى « أوزير » أول أهل الغرب ورب « العرابه المدفونة » ، وإني سأنحت تماثلا له تكون أعضاؤه وبداه على حسب (الإيضاح) الذى رأيته في هذه الكتب ، وهى التى تمثله بوصفه ملك الوجهين القليل والبحرى عند ما خرج من فرج إلهة السماء (فوت) . ومن أجل ذلك أمر بإحضار ضابط كان في معيته للثول بين يديه ، وقال له « عليك أن تصعد فى النيل وبصحبك جنود وبجارية ، ولا تنم ليلا ولا نهارا حتى تصل إلى « العرابه » وعليك أن تأتى بتثال أول أهل الجبابة الغربية حتى أقم آثاره كما كانت عليه فى بداية الزمن ، وحينئذ قال الأشراف : إن كل ما أمرت به سيكون بأمر الملك والسيد . وإنك ستفعل بلذك أول أهل الجبابة الغربية فى « العرابه » على حسب قولك » ، ثم انطلق هذا الضابط جنوبا ليفتد ما أمر به جلالة . وقد وصل

(١) راجع Breasted, A. R., I. § 753 & Mariette, "Description des Fouilles Executees sur l'Emplacement de cette Ville", (Paris, 1869) P. 28 ff.

إلى « العرابة » . (حيث أمر بإخراج تمثال أول أهل الجبابة الغربية من قبره وبعد بضعة أيام) وصل جلالة هذا الإله (الملك) ونزل في القارب المقدس « لأوزير » رب الأبدية حيث كان شاطئاً النهر مغمسين بالعطور وروائح بلاد « بنت » (أى كان يطلق البخور عند حافة النهر) ؛ وأخيراً وصل الملك إلى « العرابة » سائحاً في القناة الخارجة من النيل إلى « العرابة » ؛ ووصل في وسط المدينة حيث حصر رسول منه قائلاً : إن هذا الإله « أوزير » قد خرج من قبره في أمان ، وعندئذ ذهب جلالة إلى القارب المقدس . عند رأس القناة . (حيث كان تمثال « أوزير » ينتظره ومن ثم ذهب إلى المعبد) . ومع هذا الإله ، وهناك أمر بتقديم قربان بلذة أول أهل الجبابة الغربية ، فأخزى البخور والمواد المقدسة « لأوزير » أول أهل الجبابة الغربية في كل مظاهره (وأنهى الاحتفال التقليدى الخاص بهزيمة أولئك الذين كانوا أعداء القارب المقدس . وبعد ذلك ظهر جلالة هذا الإله في احتفال تأسوسه المنعدين معه في حين أن « ديوات » (الإله الذى في صورة ابن آوى) كان يسير أمامه بوصفه مرشداً للطريق . وبعد ذلك أمر جلالة أن يذهب هذا الإله إلى معبده ، وأن يوضع في المقعد الموجود في المحراب الذهبى (لمدة بضعة أسابيع في أثناء اشتغال الصناع في العمل) لينتولوا جمال جلالة « أوزير » وتأسوسه ، وليضموا موائد قربان من كل الأحجار الفاخرة الفسالية المحلوقة من أرض الإله ، وقد كان الملك يشرف على صناعة ما يصاغ من الذهب بنفسه ، ولكن جلالة قبل أن يفعل ذلك تطهر بالطهور الملائق بالإله . (الجمل التى تنلوا ذلك في المتن مهشمة ولا يمكن ترجمتها) والظاهر أنه بعد انتهاء العمل خاطب الفرعون الكهنة بنفسه قائلاً : « كونوا يقظين في المعبد وحافظوا على هذه الآثار التى أقيمت . ولقد وضعت أمامكم تصميماً لكل الأزمان ، وعندما وضعت هذا المثل في قلوبكم كنت أبحث وراء عمل ما يجب أن يكون صحيحاً للمستقبل ، وما يجب أن يحدث بانتظام في هذا المكان الذى صنعه الإله ، وذلك لرغبى في توطيد ذكرى باني في معبده ، ولأجل أن تبقى أوامرى دائماً في هذا البيت ، وأن جلالة « أوزير » يجب ماقت به له ، وإنه لفرح بما قد أمرت بعمله لأنه بذلك قد تأكد من انتصاره ، على أنى له بمثابة ابن وحام ، وأنه هو الذى يعطى وراثته الأرض ، وأنا بذلك ملك عظيم القوة ممتاز في مراسيمى ولن يعيش من يعادىنى ، ولن ينتم النفس من يثور على ، ولن يبقى اسمه بين الأحياء ، وسيقبض على روحه أمام من في يدهم السلطان ، وسيلقى به بعيداً عن حضرة الآلهة (هذا هو العقاب الذى سيحل بمن سيجعل أوامرى جلالتي ، وبكل من لا يعمل على حسب هذا الأمر الذى أصدرته جلالتي ، وبكل من لا يدعو إلى هذا الإله الجليل ، وبكل من لا يحترم ما فعله خاصة بقربانه ، وبكل من لا يقدم لى الشكر في كل عيد في هذا المعبد سواء أكان ضمن طائفة من كهنة محراب هذا المعبد أم يشغل أية وظيفة أخرى في مدينة « العرابة » ؛ وذلك لأنى قد أقت هذه الآثار بلدى « أوزير » أول أهل الجبابة الغربية ، ورب العرابة ، لأنى أحببته أكثر من كل الآلهة ، ولأجل أن يتمتعن جزاء ماقت به له (ملايين) السنين .

وبعد أنقضاء عامين من إقامة هذه اللوحة، أى فى السنة الرابعة من حكم هذا الفرعون ، أقام لوحين آخرين بمثابة حدين عند طرفى جزء معين من الجبانة العظيمة القائمة خلف العرابة ، وذلك لمنع العامة من اقتحام هذا الجزء من الجبانة . وكان الكهنة قد رغبوا فى حفظها لعبادة الإله « وبوات » وقد أبقت يد الدهر على واحدة منها . وقد نقش عليها بعد التاريخ واسم الفرعون ما يأتى :

« فرجلتى أن هذه الجبانة الواقعة جنوب « العرابة » يجب أن تصان وتخصص لوالدى « وبوات » رب الجبانة « تاجسر » (أسم جبانة العرابة) كما فعل الإله « حور » لوالده « أوزير » ، فلا يسمح لأى شخص أن تطأ قدمه هذه الجبانة . ولهذا فإن هاتين اللوحتين قد أقيمتا فى نهايتى الجنوب والشمال ونقش عليهما اسم جلالتيه . وأى شخص يوجد داخل المساحة المحيطة بهاتين اللوحتين تجب معاقبته ، ولو كان صائدا أو كاهنا يزاول صناعته ؛ وأى موظف يقيم لنفسه قبرا داخل هذه الجبانة فلا بد من التبليغ عنه ، ويجب أن ينفذ فيه القانون ، وكذلك تنفذ هذه الأوامر حتى على حارس الجبانة من هذا اليوم . أما أى امتداد وراء هذا الجزء المعين فليصرح لهم بالدفن فيه . »

ومما سبق يتضح لنا ما كان للإله « أوزير » والإله « وبوات » من المكانة فى ديانة القوم وبخاصة عند الملوك ، ولا غرابة فى ذلك فقد أخذ الإله « أوزير » يحتل مكانة عظيمة فى الديانة فى عهد الدولة الوسطى حتى أصبح يعتبر أعظم الآلهة شأنا ، وبخاصة فى إقامة شعائره الدينية ، كما أفضنا القول فى ذلك فى الجزء السابق (راجع ج ٣ ص ٥٠٧) .

والظاهر أن هذا الفرعون كان قد أشرك خلقه المسمى « خع نفرسبك حتب » معه فى الحكم إذ عثر على قطعة حجر فى « الكرنك » ذكر عليها اسماهما معا ^(١) ، غير أن قائمة « ورقة تورين » قد وضعت بين اسميهما اسم ملك آخر يدعى « سيحتحور رع » . وإذا حذفنا كلمة « رع » من اسم هذا الملك الأخير فإنه يبقى لنا اسم « سيحتور » فقط وهو ابن « نفرحتب » . ويمكن تفسير ذلك بأن

« نفرحتب » قد أشرك معه ابنه هذا في الحكم ؛ غير أنه مات قبل والده . والواقع أن « سيحتحور » هذا لم نجد له أى أثر ولكنه أنجب ولدا اسمه « سبك حتب » . وقد عثر له على جعران نقش عليه ما يأتى : ابن « سبك حتب » الذى أنجبه ابن الملك « سيحتحور » . وهذه العبارة تدل على أن الأمير « سبك حتب » كان قد بلغ الحكم قبل أن يشترك والده « سيحتحور » مع « نفرحتب » فى إدارة شئون البلاد . وقد ذكر المؤرخ « ويجول » فى كتابه تاريخ مصر^(٢) العبارة التالية : ومما هو جدير بالتنويه عنه هنا أنه منذ ذلك العهد لم نعث على ما يدل على أن هذه الأسرة كانت تمد نفوذها فى الدلتا ، ومن الجائز إذن أن الوجه البحرى قد أفلت تماما من يد ملوك هذه الأسرة فى خلال حكم هذا الفرعون ، ولكن يظهر أن ملوك الأسرة الرابعة عشرة الذين كانوا يحكمون فى « سخا » هم الذين استولوا على الدلتا لأننا لم نعث على اسم واحد منهم خارج منطقة نفوذهم ؛ غير أن ما ذكره « ويجول » لا يتفق مع ما كشف حديثا فى بلدة « ببلوص » (جبيل) الواقعة على شاطئ « فينقية » ، إذ عثر على أثر من الأهمية بمكان . وهو قطعة حجر منقوشة نقشا غائرا صور عليها شخص جالس يرتدى ثوبا فضفاضاً نقش أمامه سطر عمودى . ونقوش هذا الأثر لها أهمية تاريخية عظيمة إلى حد بعيد ، إذ نجد فيها بعد الديباجة الخاصة بهذه الشخصية سطرا آخر على حدة قد كتب أفقيا وهو يحتوى على ديباجة ملكية مصرية محضة ، وعلى الرغم مما أصابها من العطب والمحو فإنه كان من الممكن تمييز طغراء الفرعون « خع سخم رع نفرحتب » وقد جاء فى نهاية ديباجة الصلاة للآله « رع حور اختي » ما يأتى : أمير « ببلوص » « بنتن » له الحياة مجددة ابن الأمير « رن » . ولا نزاع فى أن اسم الأمير هو « بنتن » أعنى « يوناتان » كما ذكر ذلك الأستاذ « ديسو »

(١) راجع Petrie, "History", I, P. 223

(٢) راجع Weigall, "A History of the Pharaohs" Vol. II. P. 159.

(١) (Dussaud). ويلحظ أن أمير « ببلوص » الجالس في النقش أمام الديباجة الملكية يد يده اليمنى نحوها باحترام مما يدل على أنه تابع حر يقدم خضوعه للقوة العظيمة الملكية التي كانت تسيطر على عاصمة « فينيقية » منذ الأزمان السحيقة في القدم . وهذه الوثيقة لها أهمية فائقة كما ذكرنا وبخاصة فيما يخص تاريخ مصر الداخلي ، إذ نعرف منها أن الفرعون « خع سخم رع » كان لا يزال يسيطر على ساحل البحر الأبيض المتوسط الذي كان يشرف عليه أجداده في القرون الخالية ، وإذا كان الفرعون « نفرحتب » يسيطر على بلاد « فينيقية » في تلك الفترة فمن المحتمل إذاً أن ملك الدلتا كان لا يزال باقياً في قبضة يده . وقد يجوز أن الوجه البحري قد أفلت من يد خلفه . وقد ترك لنا هذا الفرعون آثاراً عدة في طول البلاد وعرضها منها تمثال صغير لنفسه محفوظ الآن بمتحف « بولونيا » من حجر البروفير ، وقد ذكر في نقوشه أنه محبوب الإله « سبك » صاحب « شدت » (الفيوم) ومحبوب « حور » في « عين شمس » مما يدل على أنه نحت في أحد البلدين ، وكذلك يدل على أن « منف » كانت لا تزال في يده ، وصناعة هذا التمثال آية في دقة النحت ، وهو يمثل الفرعون جالسا ، وقد اتبع المثل في تمثيله التقاليد القديمة التي كانت متبعة في نحت التماثيل ، غير أن تقاسيم الوجه تدل على النعومة وليونة الشباب مما لا يتفق مع ما كان عليه هذا العصر المضطرب الصاخب . وفي معبد « الكرنك » وجد له محراب نقش عليه صورتان يحتمل أنهما تمثالان الفرعون وقرينه (كا) . ويظن « لجران » أن الصورتين تمثالان الملك « نفرحتب » الأول وشريكه في الملك أخاه « سبك حتب » الثالث . وتدل الآثار على أن سلطان هذا الفرعون قد امتد

(١) راجع : "Les Peuples de L'Orient Méditerranéen II. L'Egypte" P. 278.

(٢) راجع : Petrie, "History", I. P. 221 & Naville, "Rec. Trav". I. P. 109, 110.

(٣) راجع : Legrain, "Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers", Vol. I, No. 42022

جنوبى الشلال الثانى إذ قد عثر على لوحة عليها اسمه فى « بوهن » القرية من (وادى حلفا) ، وكذلك توجد له نقوش على صخور « كونوسو » حيث يشاهد الفرعون ممثلا يتعبد للإله « مين »^(٢) ، كما يشاهد فى نقش آخر فى نفس المكان وهو ممثل بين الإله « متو » والإلهة « سات » فى صورة الإله « مين » بعضو التذكير منتشر^(٣) . ويشاهد كذلك فى نقش على صخور « سهل » أمام الإلهة « عنقت »^(٤) ، وكذلك نجد له نقشا فى « شط الرجال » شمالى بلدة سلسلة^(٥) . هذا وقد وجدت لوحة فى « سهل » ذكر عليها أسماء بعض أعضاء الأسرة المالكة^(٦) . وعثر على لوحة فى « العرابة المدفونة » ذكر عليها اسمه^(٧) . كما وجد طفراؤه فى معبد « أوزير » فى « العرابة المدفونة »^(٨) . وفى « متحف برلين » يوجد رأس عمود عليه اسمه^(٩) . وقد وجدت عدة جعارين عليها اسمه منها واحد فى مجموعة « فريزر » عثر عليه فى « تل اليهودية » ، وآخر موجود فى متحف « تورين »^(١٠) ، وكذلك له جعران فى متحف « اللوفر »^(١١) ، وآخر فى متحف « ستوتجارات »^(١٢) بألمانيا ، ونجد له صولحانا صغيرا فى مجموعة

(١) راجع : Maclver & Woolly., "Buhen", pl. 74.

(٢) راجع : L. D. II. 151 f. (Text) IV. P. 13.

(٣) راجع : L. D. II. 151 h. (Text) IV. P. 130.

(٤) راجع : L. D. II. 151 g. (Text) IV. P. 126.

(٥) راجع : Petrie, "Season" pl. XV. No. 479 P. 15.

(٦) راجع : L. D. II. (Text) IV. P. 126.

(٧) راجع : Lange & Schafer, "Grab und Denkstein des Mittleren Reichs", II., P. 24, Pl. 47.

(٨) راجع : Petrie, "Abydos" I. Pl. LIX.

(٩) راجع : Schafer, "Aegyptische Inschriften aus den Koniglichen Museen zu Berlin", II. P. 140.

(١٠) راجع : Petrie, "Hist. Scarabs", Nos. 297 - 298.

(١١) راجع : Petrie, ibid, No. 296.

(١٢) راجع : Wiedemann, "Kleinere agyptische Inschriften aus der XIII - XIV Dynastie", No. 15.

« ستروجانوف »^(١) (Stroganoff) ؛ وله آنية من المرمر محفوظة الآن بالمتحف
« البريطاني »^(٢) . هذا وقد جاء اسمه في قائمة قاعة الأجداد التي أقامها « تحتس
الثالث »^(٣) ، كما جاء ذكره في « ورقة تورين »^(٤) .
وقد حكم نحو إحدى عشرة سنة على وجه التقريب .

الملك ساحتحور رع



تدل شواهد الأحوال على أن هذا الأمير لم يحكم منفردا بل كان مشتركا مع
والده في الحكم والظاهر أنه قد مات قبل والده كما أسلفنا ولكن الأستاذ
« ادوردير » يقول إنه لم يحكم إلا مدة ثلاثة أيام ثم خلفه على العرش عمه
(راجع (Ed. Meyer, "Hist. de l'Antiquité" (2) § 300.)

الملك خع نفر رع - سبك حتب الرابع



قلنا فيما سبق إن هذا الملك قد اشترك مع أخيه في الحكم بعد وفاة « ساحتحور »
ومن ثم نستنبط أنه كان لا بد قد تخطى سن الكهولة وقتئذ ، وبخاصة إذا علمنا
أنه نصبه شريكاً له في الملك . وتدل الآثار التي تركها هذا الفرعون على أن نفوذه
كان يمتد من الدلتا حتى الشلال الثالث .

(١) راجع : Wiedemann, ibid, No. 16.

(٢) راجع : Prisse, "Revue Arch". 1845 P. 15.

(٣) راجع : Sethe Urk IV. P. 609.

(٤) راجع : Lepsius, "Auswahl", Taf. V. Col VII frag. Nos. 79-80.

فى « تانيس » عثر له على تمثال مخم غير أنه كان فى الأصل مقدما للإله « بتاح » فى « منف » ، ثم نقله « رعمسيس » الثانى إلى « تانيس » مفتصبا إياه لنفسه ، وكذلك وجد له تمثال آخر فى نفس البلدة ، غير أنه يحتمل أنه نقل من بلدة « المعلة » إذ وجد عليه اسم إله هذه البلدة وهو « حن » .^(١)

وفى « تل بسطة » عثر له على تماثيل كما يقول الأستاذ « ادور ديمر » .^(٢)

وفى « أطفيح » وجد له تمثال « بواهل » من الجرانيت الأسود .^(٣)

ومن المحتمل أنه كان يوجد هناك مقر فرعونى ، وبخاصة أن هذا الإقليم كان مركز عبادة الإله « حتحور » . يضاف إلى ذلك أن ابن الفرعون كان يسمى « ساحتحور » (أى ابن حتحور) وكذلك وجد لهذا الفرعون جمران فى « اللشت » .^(٤)

أما فى مصر العليا فكان له آثار عدة لدرجة ظن معها المؤرخ « ويمبول » أن هذا الفرعون قد اتخذ مقر ملكه فى « طيبة » .^(٥) فى « العراية المدفونة » نجد أنه قد أضاف (بوابة) عظيمة من الجرانيت الأسود فى معبدها ، وكذلك وجد له هناك جزء من لوحة من الجرانيت يظهر فيها الفرعون يتعبد للإله « مين » .^(٦)

(١) راجع : Pierret, "Rec, d'inscription" II. P. 19.

(٢) راجع : Ed. Meyer, "Hist." II. § 300 & Rosellini, Mon. Stor.

Texte III. No. 78.

(٣) راجع : Cairo Mus. Salle H., Guide to Museum No. 263.

(٤) راجع : Gauthier & Jequier, "Fouilles de Licht", 106.

(٥) راجع : Weigall, "History" II. P. 161.

(٦) راجع : Petrie, "Abydos" I. LIX. & II. Pl. XXVIII.

(٧) راجع : Lange und Schafer, "Grab und Denkstein," I, 172.

Pl. XIII.

وفي « متحف بروكسل » يوجد له نقش غائر عثر عليه في « العرابة »^(١) وفي « دندرة » عثر له على آنية من المرمر الأزرق منقوش عليها اسمه (راجع A. S. IX. P. 107) .
ويذكر لنا المؤرخ « ويمبول » أن هذا الفرعون قد أقام معبدا في « الأقصر » عثر على بعض آثاره غير أن ذلك يحتاج إلى إثبات^(٢) .

وفي معبد « الكرنك » وجدت له آثار عدة تشهد بنشاطه في هذه البقعة منها عارضة باب من الجرانيت عثر عليها « لجران » (راجع A. S. IV. P. 26) كما وجد له قاعدة تمثال من حجر « الكوارتسيت » في « الكرنك »^(٣) .

وكذلك بقايا تمثال في صورة « أوزير » في « خيئة الكرنك »^(٤) . هذا وقد أصلح « سبك حتب » الرابع التمثال الذي أهده « سنوسرت » الثاني ، وسنوسرت الثالث إلى جدهما « متوحتب » الثاني أعظم ملوك الأسرة الحادية عشرة ، وهو موجود الآن بالمتحف المصري .^(٥) ووجد له في « طود » الواقعة جنوب الأقصر تمثال وهو الآن بمتحف « اللوفر » وقد قدمه لإله هذه المدينة^(٦) .

أما في بلاد « النوبة » فقد وجد له تمثال في جزيرة « أرجو »^(٧) .

(١) راجع : Speelers, "Recueil des Inscriptions Egyptiennes des Musees Royaux du Cinquantenaire à Bruxelles", P. 16, No. 7.

(٢) راجع : Weigall, "History, II. P. 162.

(٣) راجع : Mariette, "Karnak", Pl. 8. (Text) P. 45.

(٤) راجع : Legrain, A. S. VII. P. 33-34.

(٥) راجع : Naville, "The XI Dynasty Temple at Deir el Bahari", I, P. 57-58.

(٦) راجع : De Rougé, "Notice des Monuments exposes dans la galerie d'Antiquities Egyptiennes au Musee du Louvre", P. 15.

(٧) راجع : L. D. II. 151. I; L. D. (Text), II, 120 h; Breasted, "A History of Egypt", Fig. 99; "The American Journal of Semetic Languages and Literature, XXV. P. 43. Fig. 26.

ولكن يقال إن هذا التمثال قد نقل إلى هنا على يد ملك نوبى فى العصر المتأخر وهو مصنوع من الجرانيت المحبب ، ولا بد أنه قطع من محاجر جزيرة « تومبوس » . ويقول الأستاذ « ادورد مير » : « على أن وجوده فى هذه البقعة يدل على أن الحدود الجنوبية لمصر التى امتدت فى عهد « سنوسرت » الأول حتى الشلال الثالث ثم فقدت فى عهد الملوك الذين جاءوا بعده فى عهد الأسرة الثانية عشرة ثم أعيدت ثانية الى ما كانت عليه فى عهد « أمنمحات » الثالث أو فى عهد مؤسس الأسرة الثالثة عشرة ، قد حافظ عليها الفرعون « خع نفر رع سبك حتب الرابع » .

على أنه توجد لهذا الفرعون آثار عدة صغيرة لا يعرف مكانها الأصلى مبعثرة فى متاحف العالم ، أهمها :

- (١) جزء من رمز الثبات « د د » ^(١) (أى رمز أوزير) .
- (٢) جزء من لوحة من الحجر الرملى وهى محفوظة « بالمتحف البريطانى » ^(٢) .
- (٣) جعران نشره « مريت » ^(٣) .
- (٤) قطعة حجر كتبت عليها اسم هذا الفرعون ، وقد استعملت فى بناء عمود « بومبي » بالإسكندرية ، وذلك على حسب ما جاء فى تاريخ مصر للأستاذ « بترى » ^(٤) .
- (٥) جعران فى مجموعة « فريزر » رقم ٤٩ ، وهذا الى جعارين فى مجاميع الأستاذ « فيدمان » ^(٥) ، وكذلك جعارين عدة فى مجموعة الأستاذ « بترى » ^(٦) .

(١) راجع : Newberry, P. S. B. A. XXIII, 220

(٢) راجع : Budge "Guide", P. 223, "Guide to Sculpture" P. 80. No. 278.

(٣) راجع : Mariette, "Monuments" Pl. 43n.

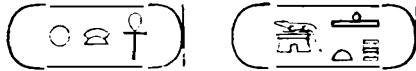
(٤) راجع : Petrie, "History" I, 5th ed Pl. XXVII.

(٥) راجع : Wiedemann, "Kleinere Agyptische Inschriften aus der XIII-XIV Dynastie", No. 12.

(٦) راجع : Petrie, "Hist. Scarabs", Nos. 315-316; ibid No. 303.

وقد ذكر اسم هذا الفرعون في قاعة الأجداد برقم ٣٨٠ . وكذلك ذكر في « ورقة تورين »^(٢) وقد كشف حديثاً في « الكرنك » قطعة من لوحة محفوظة الآن في « المتحف المصرى » مسجلة برقم ٥١٩١١^(٣) ، وهى منحوتة من حجر الجرانيت المحجب . وقد أقامها الملك « خع نفر رع سبك حتب الرابع » لتكون تذكاراً لما قام به من أعمال الخير التى حبسها على معبد « آمون » بالكرنك ونخص بالذكر هنا من بين عبارتها الجملة التالية . قال الملك : « ليعط أربعة نيران » : واحد من إقليم رأس الجنوب ، وآخر من إدارة الوزير ، وثالث من الخزانة ، والرابع من إدارة ما يعطيه الناس ، (وقد تكلمنا عن هذه الإدارات فى الجزء الثالث راجع ص ٣٨٩) .

الملك خع عنخ رع . سبك حتب الخامس



تولى الملك بعد « سبك حتب » (الرابع) الفرعون « خع عنخ رع - سبك حتب » (الخامس) ، والظاهر أنه كان شريكاً له فى الملك ، يدل على ذلك جعران كتب عليه اسماهما^(٤) . وتوجد لهذا الفرعون عدّة آثار فى المتاحف الأوروبية ، منها مائدة قربان من الجرانيت محفوظة الآن بمتحف « ليدن » ، وهى مهداة للإله « مين »

(١) راجع : Sethe, "Urk"., P. 109.

(٢) راجع : Lepsius, "Auswahl", Taf. V, Col. VII, frag. 79-80. 15.

(٣) راجع : Journal d' Entree 51, 911.

(٤) راجع : Weill, "La Fin du Moyen Empire" II. P. 848.

وقد نقش عليها ألقاب هذا الفرعون ^(١) كاملة ؛ وكذلك وجد له قاعدة تمثال صغير من الجرانيت الأسود اشترت من « طيبة » عام ١٨٩٨ ^(٢) . وقد أقام هذا الفرعون في « العرابية المدفونة » مقصورة لم يبق منها إلا بعض قطع جميلة الصنع ، وهي محفوظة الآن « بمتحف اللوفر » ، منها قطعة محفورة حفرا غائرا . ويلاحظ عليها الملك واقفا أمام الإله « وبوات » برأس ابن آوى ، وكذلك نشاهد على قطعة أخرى الفرعون واقفا أمام « بتاح مكر » ، وعلى قطعة ثالثة نشاهده مائلا أمام الإله « مين » ^(٣) .

وكذلك وجدت له لوحة محفوظة الآن في « متحف اللوفر » ^(٤) . وفي « قفط » كشف عن قطعة من لوحة من الحجر الرملى نقش عليها اسم زوجة ملكية تدعى « نب ام حات » واسم ابنة ملكية تدعى « سبك أم حاب » ، ويظن أنهما زوجته وابنته على التوالى غير أن ذلك ليس محققا ^(٥) .

والظاهر أن اسم هذا الفرعون لم يذكر في قائمة « الكرنك » ، وإذا كان قد ذكر فإنه قد هشم ^(٦) .

(١) راجع : Böser, "Beschreibung der ägyptischen Sammlung des Niederländischen Riechsmuseums der Altertumer in Leiden", III. Pl. 7., & Moret, "Sphinx, XI. P. 35.

(٢) راجع : P. S. B. A. XXV. PP. 136-137.

(٣) راجع : Louvre B. 3, 4, 5; De Rouge, "Monuments", P. 55. & Weill, "Fin du Moyen Empire", 455-465.

(٤) راجع : Steles du Louvre. C. 10. Pierret, op. cit. II, P. 34. & De Rouge, "Cat. Mon". P. 46, 78.

(٥) راجع : Petrie, "Koptos" Pl. XII, 2. 1-3. P. 12.

(٦) راجع : Sethe, "Urk II. P. 609. VI, P. 8.

الملك خع حتب رع - سبك حتب السادس



لم نجد لهذا الفرعون حتى الآن آثاراً تستحق الذكر ، وتدل شواهد الأحوال على أنه قد قام ببعض أعمال في «معبد العرابة المدفونة» ذكر عليها اسمه . وكذلك وجد له خمسة جعارين : صور على إحداها في صورة أسد يسير قدما ، وقد كتب عليه اسمه ، وإثنان كتب عليهما اسم التتويج (راجع Petrie, "Scarabs and Cylinders" PL. XIII, 24).

هذا وقد جاء ذكره في قائمة « الكرنك » ، وكذلك في « ورقة تورين » ، وقد جاء فيها أنه حكم أربع سنوات وثمانية أشهر وتسعة وعشرين يوماً^(٢).

الفرعون مرسخم رع - نفر حتب



كل ما يعرف عنه أنه عثر له على تمثال جالس من الجرانيت الأسود في « الكرنك »^(٣) وقد جاء ذكره في قائمة « الكرنك »^(٤) رقم ٤٦ أيضا .

(١) راجع : Rosellini, "Mon. Storici Pl. III.

(٢) راجع : Ed. Meyer, "Aegyptische Chronologie". P. 64.

(٣) راجع : Legrain, "Rec. Trav"., XXVI, (1904) P. 220 & Cat. Gen. du Mus. du Caire.

(٤) راجع : Sethe, "Urk. II. P. 609.



(٣) الفرعون مرتختم رع — قفحطب

الملك مر كاورع - سبك حناب



عثر له على تمثال من حجر البروفير في « الكرنك » ، وقد وجد له تمثال آخر مماثل للسابق غير أن نقوشه مهشمة ^(١) ، ولكن نسبته لهذا الملك غير مؤكدة بسبب تهشيم النقوش وقد نقش اسمه في « قاعة الأجداد » رقم ٤٥ ، وكذلك ذكر اسمه في « ورقة تورين » ^(٢) .

الملك نى خع نى ماعت رع - خنزر



تدل الكشف الحديثة على أنه كان يوجد ملكان باسم « خنزر » : فأولهما الذى نحن بصدده الآن ، وقد عثر له على لوحين محفوظين بمتحف « اللوفر » وهما خاصتان بإصلاحات قام بها كاهن يدعى « أمينى سنبو » فى معبد « العرابة المدفونة » ^(٣) .

(١) راجع : Weill, "La Fin du Moyen Empire" I, P. 503. & Mariette, "Karnak" Pl. 8. I.

(٢) راجع : Sethe. "Urk. II. P. 609, VI. P. 103.

(٣) راجع : Turin Pap. Col. VIII. frag. 87-88.

(٤) راجع : Chabas, "Melanges Egyptologique", II, P. 203 ;

Breasted, "A. R." 1, §. 781 ; & Griffith, "A. Z." XXIX P. 106.

وقد جاء في اللوحة الأولى (Louvre C. II) ما يأتى : « لقد حضر ابن رئيس الوزراء ليدعونى بأمر من رئيس الوزراء ، فذهبت معه ووجدت رئيس الوزراء « عنخو » فى ديوانه ، وقد أبلغنى هذا الموظف أمرا فحواه : لقد صدر الأمر بأن ينظف معبد « العرابة » هذا ، وستقدم لك العمال لهذا الغرض ، هذا بالإضافة إلى « كهنة الساعة » التابعين للجهة ، وهم عمال مخزن القربان ، فقامت بتنظيف الطابقين السفلى والعلوى للمعبد ، وجانبى جدرانها كليهما ، وقد ملأ المصورون (النقوش والكتابة) بالألوان ، والترصيع والتطعيم ، وبذلك أصلحوا ما كان قد صنعه الملك « سنوسرت » الأول . ثم أتى بعد ذلك حارس الشجرة المقدسة لياشر أعمال وظيفته فى المعبد وكان ويكل الخزانة يتبعه ، وقد أتى على كثير قائل : ما أعظم حظوة من عمل هذا الإله . وقد أمضى بمؤن قيمتها عشرة دبنات^(١) (من الذهب) هذا إلى تمر ونصف ثور ، وبعد ذلك انحدر رئيس الـ ... فى النهر من « طيبة » وفحص العمل وكان سروره به عظيما جدا . »

أما اللوحة الثانية فتذكر اسم هذا الفرعون ثم تقص علينا ما يأتى : « لقد صدر الأمر بتبليغ الرسالة الملكية الثانية الى « أمينى سنبو » وهى : إن هذه الأعمال التى قمت بها قد فحست ، وإن الفرعون يشكرك ، ويرجوك أن تعيش عمرا سعيدا . فى هذا المعبد الخاص بإلهك ، وقد صدر الأمر بأن يقدم لى الربيعين الخلفيين من ثور ، وكذلك صدر الأمر بأن يبلغ لى أمر جاء فيه : « يجب عليك أن تشرف على كل تفتيش يجرى فى هذا المعبد ، وقد قمت بعملى على حسب ما صدرت به كل الأوامر : وقد أمرت بإصلاح كل محراب لكل إله فى هذا المعبد ، فأصلحت موائد قربانها بنحش الأرز ، وكذلك أصلحت المذبح العظيم الذى كان منصوبا أمام الإله . وبذلك أنفذت رغبتى مما سر إلهى ، وشكرنى الملك عليه . وقد ترك لنا رئيس الوزراء « عنخو » هذا المذكور فى هذه الوثيقة بعض آثاره ، فقد عثر

(١) الدين مثقال مصرى وزنه ٩١ جراما .

«الجران» على تمثال له، كما نعرف له لوحتين، هذا بالإضافة الى ذكر اسمه في برديه، وقد عثر له على جعران^(٢)، وآخر محفوظ الآن في «المتحف البريطاني»^(٣) غير أن هذين الجعرانين في الواقع للملك «ختر» الثاني كما سيأتى بعد .

الملك وسركارع - خنزر



وقد خلف «ختر» الأول ملك آخر يدعى «خنزر وسركارع»، وكان بعض علماء الآثار يعتبرون هذين الملكين ملكاً واحداً^(٤)، ويرجع السبب في ذلك إلى أن «خنزر» الثاني لم يكن معروف الاسم إلا من الجعرانين السابق الذكر، وقد بقي هذا الشك إلى أن كشف الأستاذ «چيكيه» عن هرم «وسركارع خنزر» ونشر نتائج كشفه عام ١٩٣٣^(٥).

وقبل هذا الكشف بقليل اعترف كل من «نيوبرى» و«جاردنر» عند فحصهما «ورقة تورين» عند هذه النقطة بوجود لقب هذا الملك الأخير وهو «وسركارع»^(٦).

وقد كشف «چيكيه» عن هرم هذا الفرعون في «سقارة» وهو مبنى باللبن، ومكسو بالجمر الجيرى الأبيض، ويبلغ ارتفاعه نحو من سبعة وثلاثين متراً،

(١) راجع : Breasted, "A. R. ,I. note d, §. 342.

(٢) راجع : Fraser, "A Catalogue of Scarabs Belonging to G. Fraser (London, 1900), No, 65 P. 9.

(٣) راجع : Br. Mus. No. 42716.

(٤) راجع : Gauthier, "L. R." PP 138 - 139.

(٥) راجع : Jequier, "Deux Pyramides du Moyen Empire".

(٦) راجع : Jequier, op. cit. P.27.

وقد عثر على بعض قطع من أحجار هذا الهرم ، وكذلك عثر على لبنة من جدرانها عليها نقوش بالخط الهيراطيقي ، وهي تكشف عن معلومات قيمة عن سير العمل في بناء هذا الهرم ، مما يدل على أن البناء كله تم في أربعة أعوام . ويوجد له في الجمعية التاريخية « بنيويورك » أسطوانة كتب عليها لقبه « وسركارع » راجع (A. Z. Vol. XI, 81) ، كما وجد له قطعة من الخزف المطلق في « اللشت » كتب عليها اسمه « خنزر » .^(١)

الملك واح اب رع اع اب



الظاهر أن هذا الفرعون « واح اب رع » يتبدى عصره كله اضطرابات ، فيلوح أنه قد اغتصب الملك ، وقد ذكر اسمه على لوحة وجدت في « طيبة » وهي الآن بالمتحف البريطاني^(٢) ، وكذلك عثر له على جمران محفوظ الآن في مجموعة « بترى »^(٣) ، ووجد له خاتم أسطوانى الشكل^(٤) ، وذكر اسمه على آنية من الخزف المطلق كشف عنها في « كاهون »^(٥) وقد حكم على حسب « ورقة تورين » عشرة أعوام وثمانية أشهر ، وثمانية وعشرين يوما .

(١) راجع : Ibid, P. 83.

(٢) راجع : Budge, "Sculpture", P. 279.

(٣) راجع : Petrie, "Historical Scarabs", (London, 1889), P. 219

fig. 131.

(٤) راجع : Ibid, P. 323.

(٥) راجع : Petrie, "Kahun, Gurob and Hawara", Pl. X, Fig. 72.

الملك مر نفر رع آى



وتدل الآثار على أن كل هؤلاء الملوك الذين ذكرناهم حتى الآن في هذه الأسرة كانوا لا يزالون يحكمون مصر كلها ، ومن المحتمل أنهم حكموا البلاد نحو خمسين سنة (١٧٦٠ - ١٧١٠) بحسب تاريخ الأستاذ « ادوردير » وقد خلف الفرعون « واح اب رع » : الملك « مر نفر رع آى » وقد عثر له على جزء من (بوابة) في معبد « الكرنك » من الحجر الجيري بالقرب من « البحيرة المقدسة » كتب عليه اسمه ^(١) ، وذلك يدل على أن ملكه كان يمتد في أعلى الصعيد ، بل وفي مصر كلها ، وبخاصة أننا وجدنا له جعارين مبعثرة في أنحاء القطر . إذ عثر له على واحد في « قفط » ^(٢) وثنان في « العراية المدفونة » ^(٣) وثالث في « تل اليهودية » ^(٤) ورابع في نفس المكان ، وكذلك جعران في « تل بسطة » وجعرانان في « اللشت » ^(٥) ، وكذلك توجد جعارين باسم هذا الفرعون في « متحف برلين » ^(٦) وله جعارين أخرى في متاحف مختلفة ^(٧) ، وقد حكم هذا الفرعون على حسب ما جاء في « ورقة تورين » ثلاث عشرة سنة وثمانية أشهر ، وثمانية عشر يوماً . والظاهر أن حكم هذا الفرعون يعتبر نهاية جزء من حكم هذه الأسرة ، وبعد ذلك نجد في بردية تورين أسماء ملوك عديدين كثير منهم هشم اسمه ، وسندكر هنا ما يستحق الذكر .

(١) راجع : Legrain, A. S. IX P. 273, 276.

(٢) راجع : Petrie, "Koptos", Pl. XXIV No. 3 P. 24.

(٣) راجع : Petrie, "Hist. Scarabs", No. 327.

(٤) راجع : Petrie, "Hyksos & Israelite Cities", Pl. IX No. 116.

(٥) راجع : Fraser "Coll". No. 55 P. 8.

(٦) راجع : Gauthier et Jequier, "Fouilles de Licht", P.107. Fig. 135.

(٧) راجع : Berlin Mus. No. 10190.

(٨) راجع : Gauthier, L. R. II P. 44 ff.

(٩) راجع : Turin Pap., Col. VIII Frag. No. 81, 1,3.

الملك مرحتب رع - إني - (سبك حتب الثامن)



يأتى هذا الفرعون بعد الملك السابق فى « ورقة تورين » وقد جاء ذكره كذلك فى قائمة « الكرنك » وورد اسمه على لوحة من « العراصة المدفونة » محفوظة



الآن بالمتحف المصرى نقش عليها "الإله الطيب رب الأرضين « مر حتب رع »
(الواحد المحبوب مدخل السرور على إله الشمس) معطى الحياة محبوب « وبوات »
رب تازسر (جبانة العرابة) القاطن في « العرابة »^(١) ، هذا وقد عثر له على جمران
محفوظ الآن بمتحف « اللوفر »^(٢) ، وقدّر حكمه في « ورقة تورين » بسنتين وشهرين
وتسعة أيام ، ويشك بعض المؤرخين في أنه هو « سبك حتب الثامن »^(٣) (٩)

الملك سواز إن رع - نب اري راو



لقد كشف عن اسم هذا الفرعون حديثا على لوحة موجودة الآن « بالمتحف
المصرى » رقم ٥٢٤٥٣ ، وقد عثر عليها « شفرييه » في قاعة العمد « بالكرك »
وهذه اللوحة لأحد كبار الموظفين ، وقد وضعت بتصریح ملكى فى معبد « الكرك »
وقد جاء على هذه اللوحة صورة نص تعاقد لعظيم باع مهام وظيفته « حاكم
الكاب » التى ورثها عن جدّه ببلغ يعادل ٦٠ دينا من الذهب . وقد ترجم هذه
الوثيقة الأستاذ « لاكو » حديثا وهاك الترجمة لما لها من أهمية عظيمة فى كشف
النقاب عن بعض نواحي هذا العهد الغامض .^(٤)

(١) راجع : Lange und Schafer, "Grab und Denkstein des Mittleren : Reiches," Vol. I, P. 54, No. 20044.

(٢) راجع : Deveria, "Oevres I, P. 119 & Petrie, "History". I. : Fig. 138.

(٣) راجع : Gauthier, L. R. II P. 46 Note I & Weigall, "History". Vol. II. P. 168.

(٤) راجع : Lacau, B. I. F. A. O., Vol. XXX P. 881 ff. & Weill : B. I. F. A. O. Vol. XXXII PP. 28 - 33.

عطف ملكى بالموافقة (على وضع هذه اللوحة)

فى معبد « آمون »

الألقاب الملكية : إنه « حور » (الملك) العائش = وهو الذى يجعل الأرضين نصرتين ، وسيد الإلهتين = وهو المقدس فى وجوده ، « حور » الذهبى = الجميل فى إشراقه ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى = الذى يجعله « رع » نصرا ، معطى الحياة ، والمحبوب من « آمون » سيد عروش الأرضين ، الإله العظيم ، ابن « رع » « نب إرى ، راو » (= سيدهم جميعا) لئنه يعيش مخلدا ، ومن قلبه ينشرح على عرش « حور » الأحياء ، ومن النظر إليه جميل مثل إشراق قرص الشمس ، ومن صار ثابتا فى مظاهره مثل « كفيس » (ثور أمه) ، وابن « آمون » ، من جسمه ، وهو الذى أنجب من بذرة الفخمة ، ومن تحبه جميع الآلهة دائما .

تاريخ الوثيقة : السنة الأولى ، الشهر الرابع ، من فصل الفيضان ، اليوم الأخير من الشهر ، من عهد جلالة هذا الإله (الملك) .

عنوان الوثيقة الأولى التى ذكرنا تاريخها : « نزول كتابى عن ملكية حررها رئيس رجال مائدة الأمير (المسمى) « كبسى » لرجل من عترته ، وهو الابن الملكى ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، ورئيس المعبد (المسمى) « سبك نخت » :

« حيث إنه معترف بوجود وظيفتى حاكما للكتاب ، وهى التى أتت إلى بوصفها وظيفة والدى حاكم « الكاب » المسمى « إمرو » ، وقد ورثها والدى هذا بوصفها ملكا لأخيه من أمه وهو حاكم الكاب المسمى « آى » الصغير ، وهو الذى مات

(١) وهذا العطف الذى منحه الفرعون مزدوج إديشل فضلا عن إهداء هذه اللوحة إبادة وضعها فى معبد « آمون » مما يبرهن على صحة ما جاء فى هذه اللوحة .

دون أن يعقب أولادا ، وقد أصبحت هذه الوظيفة ملك هذا الرجل الذى من عترتى ، وهو الابن الملكى ، ورئيس المعبد المسمى « سبك نخت » من ابن لابن ، ومن وارث لوارث^(١) ، على أن يعطى الخبز والجمعة واللحم ، والمؤن ، وكهنة الروح ، والخدم ، والبيت التابعة لتلك الوظيفة ، فيجب ألا يقيم أى شخص عقبة فى سبيل هذا النزول الكتابى ، وذلك لأنه دفع لى الثمن وقدره ستون دبنا من الذهب فى صورة أشياء متنوعة ، وإذا قدم شخص شكاية أمام الحاكم (سار) أو أمام من يستمع للأوامر قائلا : « إن هذه الوظيفة تثول إلى ، فيجب ألا يلتفت إليه بل يجب أن تعطى « سبك نخت » وأن تكون له من ابن لابن ومن وارث لوارث ، وعظورة الإصفاء لأى فرد يشكو فى هذا الصدد ، وذلك لأنها وظيفة ورتها عن والدى ، وقد مكنت هذا الرجل منها لأنه من عترتى ، وهو الابن الملكى ، ورئيس المعبد المسمى « سبك نخت » ، وإذا جاء أحد من أولادى أو من بناتى ، أو إخوتى ، أو أخواتى ، أو أى فرد من عترتى ليقول : « إن هذه الوظيفة تثول إلى ، فيجب ألا يصنى إليه ، بل يجب أن يُعطاها أنى هذا وهو الابن الملكى ، حاكم « الكاب » المسمى « سبك نخت » ، وهذا النزول الكتابى قد عمله السيد (ساب) المسمى « رن سنب » فى حضرة عمدة المدينة والوزير ، ورئيس المحاكم الكبرى الست المسمى « سبك نخت » والسيد « نب سومنو » وكاهن « حور » إله « نحن » المسمى « سبك نخت^(٢) » .

وإذا حدث أن عوق تنفيذ هذا النزول الكتابى فيجب ألا يلغيه أى شخص أبدا .

(١) والواقع أن واضع هذا النزول قد عنى بإظهار أنه هو المالك الحقيق لهذه الوظيفة إذ أعلن أنها قد أنت إليه عن طريق والده الذى ورثها بدوره عن والده ، وسرى فيما بعد أنه بدلى بالبراهين التى تؤكد ذلك .

(٢) كان اسم « سبك نخت » اسما شائعا فى تلك الفترة .

وقد حرر بواسطة مكتب مراقب « القسم الشمالى » ، وقد كان كاتب السجن المسمى « امنحوتب » معينا ليمثل كاتب مراقب القسم الشمالى (من البلدة؟) . وقد عمل له الإجراء على حسب القانون بعد موته أى أنه وضع أمامه (التزول المكتوب) لتجديده كل سنة على حسب القانون^(١) .

فى السنة الأولى ، الشهر الرابع من فصل الفيضان ، اليوم الأخير من الشهر من حكم جلالة هذا الإله (الملك) .

دفع الثمن : من الابن الملكى حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، ورئيس المعبد « سبك نخت » ورئيس رجال مائدة الأمير المسمى « كبسى » ابن الوزير « إمرو » لأجل حكومة « الكاب » . ما أعطاه الابن الملكى ، وحامل خاتم الوجه البحرى ، ورئيس المعبد المسمى « سبك نخت » لرئيس رجال مائدة الأمير المسمى « كبسى » يساوى ستين دبنا ذهبيا ، ويشمل ذلك نضارا وشبها وحبوبا وملابس^(٢) .

وقد تحقق أن الوثيقة الأصلية قد أرسلت من مكتب مراقب « القسم الشمالى » (وعرت) إلى ديوان الوزير ، فى السنة الأولى من عهد حامى مصر (أى الملك) له الحياة والصحة والعافية ، وهذه الوثيقة كانت باسم الكاهن « حور » إله^(٣) « نخن » المسمى « سبك نخت » وباسم رئيس رجال مائدة الأمير المسمى « كبسى » وقد حملت إلى مكتب حاجب (وحم) القسم الشمالى وكان قد أتى بها من ديوان الوزير بسبب شكاية فى السنة الأولى من عهد حامى مصر (الفرعون) له الحياة والصحة والعافية^(٤) .

(١) وبعد ذلك يأتى عقد آخر وهو متمم للسابق وهو عقد الدفع (أى دفع الثمن) لهذه الوظيفة التى نزل عنها صاحبها . (٢) والسطران الأخيران ملخص مختصر لكل الوثيقة .

(٣) الكاهن « حور » صاحب « نخن » كان النائب عن « سبك نخت » وهو الذى قدم شكاية باسم « سبك نخت » الأخير ، ولهذا نجد اسمه مذكورا بجوار اسم « كبسى » المدافع عن هذه الوظيفة . (٤) وعلى ذلك كانت الوثيقة محفوظة فى ديوان الوزير .

وهذه الشكوى جاء فيها : « لقد أتيت بوصفى ممثلا لابن الملكى رئيس المعبد المسمى « سبك نخت » لأقول « إني قد أودعت أمانة قيمتها ستون دينا من الذهب ، وتشمل نضارا وشبها وملابس وجوبيا من مناعى لدى رئيس رجال مائدة الأمير المسمى « كبسى » وإنه لم يردها لى ، ولذلك أقمت دعوى عليه . وهاك ما تم خاصا بذلك فى مكتب حاجب قسم الشمال ليتسنى وضع هذه الشكوى تحت نظر رئيس رجال مائدة الأمير (المسمى) « كبسى » (أى يواجه بها) وقد اعترف بالحقيقة ، ولذلك يقول : « لقد حدث أنى قد أضعته بيدي (أى المال الذى أخذه ثمنا للوظيفة) » .

وهاك اعترافه : « إنى سأعوضه (المدعى) عن ذلك بوظيفتى « حاكم الكاب » التى أتت لى إرثا من والدى عمدة المدينة ، والوزير « إمرؤ » وقد أتت إليه بمثابة ملك من أخيه من أمه المسمى « آى » الصغير وهو الذى مات دون أن يعقب أطفالا . وهذه الوظيفة كانت قد قلدها إياه والده الوزير « آى » بمقتضى نزول مكتوب فى السنة الأولى من عهد الملك « مرحتب رع » المرحوم . وقد وضع ذلك (العرض) أمام الكاهن « سبك نخت » النائب عن حاكم « الكاب » « سبك نخت » فأعلن ارتياحه لذلك أيضا ، ثم أمرا بحلف اليمين على ذلك (الاتفاق) وذلك بالقسم بالسيد (الملك) له الحياة والصحة والعافية ، وبالامتناع عن الرجوع فى ذلك (الاتفاق) أبدا . »

وقد عقد هذا اليمين أمام الحاجب المسمى « كسو » التابع « لقسم الشمال » فى نفس اليوم ، وفى الوقت نفسه الذى سجلت فيه هذه المستندات فى مكتب الوزير . وهاك الكيفية التى أجرى بمقتضاها هذا الوزير (المسمى) « آى » نزولا مكتوبا لابنه رئيس مائدة قربان « آمون » المسمى « آى » الصغير ، وذلك فى السنة الأولى من عهد الفرعون « مرحتب رع » المرحوم :

عمل الأصل بمكتب الوزير في اليوم نفسه وقد جرى بالتقرير الذي أتى به من مكتب الوزير . وقد أحضره « السيد » (ساب) « رنسنب » الذي كان يشغل وظيفة « كاتب الوزير » . (وقد أودع) التقرير ومناقشته مكتب الوزير ، وتحقق أن عمدة المدينة والوزير المسمى « آى » قد حرر نزولا مكتوبا خاصا بحكومة « الكاب » هذه لابنه رئيس مائدة قربان « آمون » المسمى « آى » الصغير ، وذلك في السنة الأولى ، الشهر الرابع من فصل الحصاد في اليوم التاسع عشر من عهد الملك « مر حتب رع » المرحوم . وقد قال بصدد هذا النزول المكتوب الذى عمله : لما كان هذا التعاقد قد أصبح ملغيا بالنسبة لابنى رئيس مائدة قربان « آمون » لأنه لانسئل له ، من أجل ذلك ينبى أن تعطى وظيفة حكومة « الكاب » ملكى لإخوته من الأم ، وهى التى ولدت لى زوجى ، البنت الملكية المسماة « رديتنس » . وقد أرسل لإحضار كاهن الإله « حور » إله بلدة « نحن » المسمى « سبك نخت » وهو الذى كان نائبا عن هذا الابن الملكى ، حامل خاتم ملك الوجه البحرى ورئيس المعبد المسمى « سبك نخت » وقد أحضر فى الوقت نفسه رئيس رجال مائدة الأمير المسمى « كبسى » بمساعدة هذه الوثائق (أو هؤلاء الموظفين) إلى مكتب الوزير ، وقد كان لزاما على مكتب الوزير أن يقوم بذلك على حسب القانون ، وقد حلفا اليمين (على الاتفاق) فى السنة الأولى ، الشهر الأول من فصل الحصاد بموافقة رئيس (هات) المحكمة المسمى « رن سن » . راجع A. S. XL P. 1 - 20

ومن هذه الوثيقة نعلم أن بقايا نظم العهد الإقطاعى كانت لا تزال باقية فى البلاد أو على الأقل فى مقاطعة الكاب التى كان فى استطاعة حاكمها أن يتصرف فى بيع وظيفة حكمه لها . والظاهر أن هذا البيع كان يحدث بين أفراد الأسرة نفسها كما يدل على ذلك النص . وقد كان من الضرورى إجراء هذا البيع فى مكتب الوزير الذى كان يعتبر الرئيس الأعلى للبلاد بعد الملك . يضاف إلى ذلك أنه كان

في الإمكان تغيير هذا البيع والتزول عنه كلما اقتضت الأحوال ذلك . والظاهر أن هذا الإجراء كان متبعاً بوجه خاص في مقاطعة الكاب لأن أمراءها كانوا أقوياء . وعلى ولاء عظيم للبيت المال ، وقد استمروا على هذه الحال حتى أوائل الأسرة الثامنة عشرة كما سترى بعد . وعلى أية حال فإن ظاهرة بيع وظيفة حكومة بلد من بلدان القطر تدل على تفكك أو اصر الروابط الحكومية في البلاد . ولا غرابة إذن في أن نشاهد ذلك في عهد الأسرة الثالثة عشرة التي كان ملوكها على جانب عظيم من الوهن والضعف مما أدى إلى غزو البلاد على أيدي الهكسوس كما سترى بعد .

الملك زد نفر رع = ددوس



يعرف هذا الفرعون ببعض آثار عثر عليها في جهات مختلفة ، أهمها لوحة كشف عنها في « الجبلين » وهي الآن بالمتحف المصري ^(١) ، وفي هذه اللوحة يظهر هذا الفرعون بين الإله « خنسو » والإله « أنوبيس » ، وكذلك وجد له بعض الجعارين ^(٢) ، ومن صناعة هذا الجعران يظهر أنه يشبه صناعة الأسرة العاشرة ، وكذلك عثر له على جعران آخر في مجموعة « فريزر » ^(٣) .

وقد عثر « ناقل » على قطعتين من (خرطوش) هذا الفرعون في « الدير البحري » ^(٤) ويقول « مانيتون » إن الهكسوس غزوا البلاد المصرية في عهد هذا الملك .

(١) راجع : Lange & Schafer "Grab und Denkstein", II. PP. 136-138

& Daressy, "Rec. Trav". XIV, P. 26.

(٢) راجع : Petrie, "History", I. P. 245. Fig. 140.

(٣) راجع : Fraser, "Coll". P. 9.

(٤) راجع : Naville, "The XI Dyn. Temple", II Pl. X PP. 1 21.

الملك زد حنب رع ددومس



عرف لنا اسم هذا الملك من لوحة عثر عليها في « أدفو »^(١) ، وكذلك وجدت لوحه مؤرخة بحكم هذا الفرعون عند تاجر في « أدفو » ولا بد أنها قد استخرجت من آثار هذه البلدة ، وصناعة هذه اللوحة غاية في الخشونة ، وتشبه السابقة . وقد أهداها الابن الملكي الأمير العظيم ابن رع « ددومس »^(٢) ؛ ويحتمل أن هذا الملك قد خلفه على العرش .

الملك سواح إن رع - سنسب ميو



آثار هذا الملك قليلة جدا إذ لم يعثر على اسمه إلا على قطعة من « محراب » كشف عنها « نافيل » في الحفائر التي قام بها في معبد الملك « متو حنب » الثاني في « الدير البحري » وهي الآن في « المتحف المصري » وهي مصنوعة من الجرانيت المحبب^(٣) .

(١) راجع : Barsanti, "Stele inedite au nom du Radadouhotep : Doudoumes", A. S. IX (1908) P. 1 - 2.

(٢) راجع : A. S. XXI (1921) P. 189 - 190 & Weill, B. I. F. A. O. : XXXII (1932) P. 27 - 8.

(٣) راجع : Naville, "The XI th. Dyn. Temple at Deir-el-Bahari", II. Pl. X. ff. P. 12.

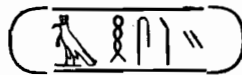
وكذلك نقش اسمه على عصا محفوظة في « بتروجراد » وقد وجدت في التابوت^(١)
رقم ٨٠٣ كما ذكر اسمه على جزء من لوحة وجدت في « جبلين »^(٢) وذكر اسمه كذلك
في قائمة « الكرنك » في قاعة الأجداد رقم ٥٣^(٣)

الملك زده عنق رع - منتوأم راف



آثار هذا الملك قليلة جدا إذ لم نثر على اسمه إلا على قطعة من الحجر في « الجبلين »
وهذا الحجر محفوظ الآن « بالمتحف المصري »^(٤) هذا بالإضافة إلى جمران محفوظ^(٥)
« بالمتحف البريطاني » باسمه .

الملك نصسى (العبد)



عزى إلى الملك قطعة حجر ربما كانت من مسلة في « تانيس » تدل على أنه كان
أميرا وربما كان هذا الأثر قدّمه له والده قربانا للإله « ست » معبود المكسوس الأعظم
في ذلك العهد، وفي هذا دليل قاطع على أن هذا الملك قد عاش في عهد المكسوس
وأنه كان ضمن الأمراء الخاضعين لحكمهم^(٦)، وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري .

(١) راجع : Lacau, "Sarcophages Anterieur au Nouvel Empire", II, P. 150.

(٢) راجع : Fraser, P. S. B. A., XV (1893) P. 498 (Fig. XVI) & Petrie, "History", I, P. 246.

(٣) راجع : Sethe, "Urk, IV P. 610, VII. PP. 1 - 2.

(٤) راجع : Daressy, Rec. Trav. XX, P. 72.

(٥) راجع : Budge, "The Book of the Kings of Egypt", Vol. I, P. 83.

(٦) راجع : Petrie, "Tanis" II, P. 18. No. 19 A.

هذا وقد وجد له حتى الآن ستة جعارين بعضها باسمه وهو أمير وبعضها وهو ملك .

وقد عثر على أحدها وهو أمير في « تل بسطة »^(١) كما عثر له على تمثال في « تل المقدام » كان الفرعون « مرنباتج » بن « رعسيس الثاني » قد اغتصبه في عهد الأسرة التاسعة عشرة .

وقد ذكر عليه أن « نحسى » هذا محبوب الإله « ست » رب « أواريس »^(٢) ويقول الأستاذ « ادوردمير » إن هذه العبارة تبرهن بصفة قاطعة على أن ملوك « المكسوس » قد حكموا مصر منذ أواخر الأسرة الثالثة عشرة، وأن الإله « ست » لم يذ كر قط على آثار « تانيس » قبل عهد المكسوس . وهذه فكرة خاطئة سنتناولها بالبحث عند الكلام على غزو المكسوس لمصر .

الملك من خمورع شى أب



لم يوجد لهذا الفرعون إلا لوحة عثر عليها في « كوم السلطان » « بالعراية المدفونة » ويشاهد فيها الملك يتعبد للإله « مين » ويقول في أولها : الصلاة لك يا « مين حور نخت » عند طلعتك الجميلة ، من ملك الوجهين القبلى والبحرى « من خمورع » معطى الحياة الأبدية ابن الشمس « ششب أب » العائش مخلدا يقول أنخ^(٣) .
وقد جاء ذكر هذا الملك في « ورقة تورين » مهتما مما جعل الشك يحوم حول اسمه^(٤) .

(١) راجع : Gauthier, L. R. Vol. II, P. 55.

(٢) راجع : Mariette, "Monuments", Pl. 63.

(٣) راجع : Mariette, "Catalogue General des Monuments d'Abydos decouverts pendant les fouilles de cette ville", No. 771, P. 236 et "Abydos" II. Pl. 27. b. & Lange & Schafer, "Grab und Denkstein", II, PP. 111-112. & Lacau, B. I. F. A. O., XXX (1931) P. 882.

(٤) راجع : Gauthier, L. R. II. P. 67.

الملك حتب أب رع . سيامو حور نر حرتف



لم نجد اسم هذا الفرعون إلا على قطعة من الحجر في بلدة « الأطاوله » قبالة « أسيوط » ، وقد نقش عليها : الإله الطيب رب القربان « حتب أب رع » ابن الشمس من بدنه « سيامو حور نر حرتف »^(١) .

ومن المحتمل جدا أن هذا الملك والذي — قبله وهما اللذان لم يوجد لهما آثار في أنحاء البلاد كسابقيهم ، بل اقتصر آثار كل منهما على بلدة واحدة من مصر الوسطى — كانا أميرين محليين وحسب .

(١) راجع : Daressy. "Rec. Trav". XVI. (1894) P. 133. & A. Kamal,

"A. S." III. (1902) P. 80.

نظرة عامة فى حكم الأسرة الثالثة عشرة

تدل شواهد الأحوال على أن نظام الحكومة فى عهد الأسرة الثالثة عشرة بقى على حاله كما كان فى زمن الأسرة الثانية عشرة، فنشاهد أن الملك «نفر حنب» الأول يجمع كبار الموظفين والمستشارين حول عرشه فى السنة الثانية من حكمه، ويأمر بإخراج الكتاب المقدس لتاسوع الإله «آتوم»، وهذا الكتاب يوحى إليه بفكرة القيام بإنجاز أعمال فى معبد «أوزير» «بالعراية المدفونة»؛ وكذلك أمر الفرعون «خنزر» الأول وزيره «عنخو» أن يقوم بإنجاز إصلاح فى معبد «سنوسرت» الأول هذا إلى أن كثيرا من فراعنة هذه الأسرة قاموا بإصلاحات عدّة فى المعابد القائمة فى أمهات المدن «كقفط» و«العراية المدفونة»، وبخاصة معابد الإله «مين» والإله «أوزير» والإله «وبوات»، وهم الذين شاعت عبادتهم فى هذه الفترة، بذلك قد أظهروا ما فى قلوبهم من الرغبة والاحترام لخدمة آلهتهم متى أتاحت لهم الفرص كما كان يفعل ملوك الأسرة الثانية عشرة.

فقد كانوا يقطعون الأحجار من وادى الحمامات لنحت تماثيل ضخمة لأنفسهم، وبنوا بها كذلك مقابرهم، وقد أقام «سبك أم ساف» وزوجه قبريهما فى «طيبة»، ولكن يظهر أن «نفر حنب» الأول كان مقرّر ملكه فى منطقة «منف».

وكان الموظفون متواضعين، يحنون رءوسهم أمام الأوامر التى تهبط عليهم ويتقبلون الهبات الملكية التى كانت تجزل لهم. غير أن هذه الهزة القاسية التى همزت أركان الإمبراطورية لم تحدّثنا النقوش الباقية حديثا شافيا يجعلنا نصل إلى كنهها، ومع ذلك فلما نلمس حقيقتها من اضطراب البيت المالك، فما يكاد الفرعون يستقر فى عرشه حتى يفتصب منه الملك ويطرد ثم يتلوه غيره، وتتجدّد معه المأساة، مما يدل على أن البلاد كانت منحدرّة نحو الخراب والتدهور المشين، ولا يبعد أن يكون الملوك الذين يموتون على فراشهم ميتة

طبيعة قلائل جدا . غير أنه لا يمكننا أن نفسر الأسباب التي أدت إلى سوء النظام وقتئذ ؛ إذ كانت أحوال البلاد لا تزال غامضة لدينا ؛ لأن السجلات الرسمية والنقوش الجنازية ، أو نقوش الإهداء التي بقيت لنا لا تسمحنا بشيء يبرر لنا السبيل في هذه الناحية . وقد ظن البعض فيما مضى أن أزمة الحكم الإقطاعي قد بلغت قمتها وقتئذ ، وأن أمراء الإقطاع بعد أن أصبحوا مستقلين قد وضعوا أيديهم على التاج ، غير أن هذه كانت فكرة خاطئة ؛ لأن أزمة حكام الإقطاع كانت قد حلت في الفترة التي بين الدولة القديمة والدولة الوسطى ، وأن ملوك الأسرة الثانية عشرة قد قضوا في نهاية الأمر على استقلال أمراء المقاطعات جملة كما ذكرنا من قبل . ولم نجد ملاكا ممولين ، لهم استقلال شامل في عهد الأسرة الثالثة عشرة اللهم إلا في مكان واحد وهو بلدة « الكاب »^(١) الملكية القديمة في جنوبي الوجه القبلي حيث نجد أن أمراءها قد أقاموا مقابر مزينة بالنقوش على نط أمراء الإقطاع الأقدمين ، وأقدم هؤلاء الأشراف من أصحاب « الكاب » هو « سبك نخت » الذي عاش في عهد الفرعون « سبك حتب » السادس والفرعون « نفر حتب » وكان يحمل لقب « أمير » وكاهن أعظم ، وكذلك كان يحمل لقب « حامل الخاتم » و « السмир الوحيد » مما يذكرنا بالأمراء الوراثيين ، ولكن نجد أن خليفته « ران سنب » و « بي » كان كل منهما يحمل لقب « رئيس مائدة الحاكم » وقد كانا أقرباء ملوك وكبار موظفين ، ومع ذلك فقد كان « بي » له من الاستقلال ما يكفي أن يتكلم بلهجة أمراء المقاطعات الأقدمين عن أعمال الخير التي أصدقها على بلده ؛ إذ زعم أنه كان يوزع خمسين رغيفا على كل فرد فقير أو غني ؛ وكذلك تكلم عن الحقول التي أمر بزرعها الخ ، وعلى ذلك نجد أنه في عهد الأسرتين السادسة عشرة والسابعة عشرة قد تكوّنت من جديد إمارة

(١) راجع : Taylor, "Wall Drawings and Monuments of El Kab",
Vol. III, No. 10, Sebeknakht, No. 9. Ransaneb, No. 8. bis. Babi;
L. D. (Text) IV, P. 53.

حقيقية، ولكن كان يشغلها في هذه الحالة موظفون وصلوا إلى مركز قوى أو مرتبة أمير، وذلك إما بالزواج أو بامتلاك أراض . على أن ما كان يحدث في "الكاب" على حسب ماتسمح به الوثائق التي في متناولنا يكشف لنا بعض الشيء عن الحالة الحقيقية لهذه الأزمة التي ارتسمت في عهد الأسرة الثالثة عشرة، وهي أن كبار الموظفين الخاضعين للتاج ، وبخاصة الضباط منهم الذين كانوا وقتئذ يفتصبون العرش ، كانوا يتشاحنون فيما بينهم، وكان كل منهم يطمح إلى أن يكون الفائز . فكان يحل الواحد منهم مكان الآخر دون أن يفوز مقتصب بأن يضمن لنفسه مركزا ثابتا أو يفلح في تأسيس أسرة قوية الأركان مدعمة البنيان، هذا إلى أن كبار رجال الدولة كانوا يبيعون وظائفهم كما تباع السلع ، فلا غرابة في أن يكون العرش كذلك يباع ويشترى لمن في يده قوة وجاه .

الأسرة الرابعة عشرة

قلنا فيما سبق إن المؤرخ « ادوردمير » قد اتخذ من نقش الملك « نحسى » على تمثاله العبارة التالية : " محبوب الإله « ست » صاحب « أواريس » " دليلا على أن الهكسوس كانوا فعلا قد استعمروا مصر في عهده، ويزعم أن الإله « ست » لم يذكروا على أى أثر في « تانيس » قبل عصر الهكسوس، إذ ذكر لنا كل من الفرعون « مرمشع » و « سبك حتب » (السابع) على تماثيلهما : " المحبوبين من الإله « بتاح » صاحب « منف » " . وكانت « أواريس » عاصمة الهكسوس، والإله « ست » هو إلههم، ومن ثم كان « نحسى » ووالده من رعايا « الهكسوس » ؛ وأن غزوهم لمصر كان قبل نهاية الأسرة الثالثة عشرة، ومن الممكن أن تعزى التغيرات السريعة في تولية العرش إلى الفترة التي تلاها دخول « الهكسوس » . على أن هذا البرهان لا يرتكز على أساس متين؛ وذلك لأن « ست » كان يعبد في « الدلتا » في هذه المنطقة منذ الأسرة الرابعة كما سنبين ذلك، وأن « أواريس » هي نفس « تانيس »

كما برهن على ذلك الأستاذ «ينكر» في مقاله عن «بحر نقر» ، وسنفصل القول في ذلك عند الكلام على عصر الهكسوس . وعلى أية حال فإنه لم يمض طويل زمن على نهاية حكم « نحمسى » حتى انتهت الأسرة الثالثة عشرة ، على حسب ما جاء في « ورقة تورين » ثم ابتدأت الأسرة الرابعة عشرة كما ذكر « مانيتون » .

وملوك الأسرة الرابعة^(١) عشرة ينسبون الى بلدة « سخا » (أكسيوس) في شمال الدلتا ، وقد حفظت لنا « ورقة تورين » من أسماء ملوك هذه الأسرة نحو من واحد وعشرين ملكا (العمود الحادى عشر) ، ونجد فيها فاصلا جديدا يدل على تغيير فرع الأسرة المالكة . على أننا لم نجد من بينهم ملكا واحدا مذكورا على الآثار أو في قائمة « الكرنك » . ويمكننا أن نقرر أنهم لم يحكموا الوجه القبلى ، بل كان سلطانهم منكشا غرب الدلتا حيث كانوا تابعين لملوك الهكسوس الذين استوطنوا شرق الوجه البحرى . وتدل الأرقام التى حفظت لنا عن حكم هؤلاء الملوك على أنهم كانوا لا يمكنون على العرش إلا زمنا قصيرا جدا مثل أسلافهم ملوك الأسرة الثالثة عشرة ، ومن المحتمل أن الأسرة القديمة أو بعارة أخرى بقية البلاط قد احتموا في منافع الدلتا حيث كانت المنازعات مستمرة من أجل ظل العرش . ومما لا ريب فيه أن الهكسوس كانوا في هذه الحالة يشجعون على استمرار هذه المنازعات والخلافات بزج مدع جديد للعرش يشدون أزره . وقد كان الوجه القبلى في ذلك العهد مقرا لبيت ثالث يدعى ملك الوجهين القبلى والبحرى ، وهو الأسرة السابعة عشرة على حسب رأى « مانيتون » ، وهؤلاء من جهة لم يحكموا كل الوجه القبلى ، وذلك لأننا وجدنا بجانبهم إمارات مستقلة ، بالفعل أو بالحق الشرعى . ومن ثم نشاهد أن بداية حكم « الهكسوس » وتسلطهم على البلاد كان عهد انحلال جديد لوحدة الدولة المصرية .

عصر الهكسوس

مقدمة

لقد كان موضوع «الهكسوس» من أبرز ما تناوله علماء الآثار من الموضوعات في السنين الأخيرة، وبخاصة بعد الكشف الحديثة الناجمة من الحفائر التي قامت في الشرق الأدنى . سنحاول هنا الاستفادة من كل ما كتبه هؤلاء الباحثون لتكون صورة واضحة بقدر ما تسمح به معلوماتنا عن هؤلاء الغزاة .

ولقد احتدم الجدل في الماضي في الوقت الذي اجتاحت فيه الهكسوس البلاد المصرية . أما تاريخ طردهم من أرض الكثانة فيكاد يكون من المتفق عليه الآن أنه كان حوالى عام ١٥٨٠ م على يد الفرعون أحمس الأول ، مؤسس الأسرة الثامنة عشرة، كما سنشرح ذلك فيما بعد، وكذلك نعلم حسب تفسير الأستاذ « زيتيه » للوحة « أربمئة السنة » أن الهكسوس كانوا قد أصبحوا أصحاب السلطان في أرض الدلتا حوالى عام ١٧٣٠ ق . م . وعلى ذلك نرى أنهم كانوا قد حكموا مصر بين مئة وجزر نحو قرن ونصف قرن من الزمان .

وقد كانت الفكرة الراسخة في الأذهان عند عامة المؤرخين إلى بضع سنين مضت أن هؤلاء الغزاة قد انقضوا على الديار المصرية بغلاء من بلادهم الأصلية، واستولوا عليها عنوة، وأن ذلك قد حدث في فترة كانت مصر قد بلغت فيها من الضعف والوهن حدًا بعيدا، أى عند ما كانت الحروب الداخلية تفتك بها كل الفتك، ولكن سيرى القارئ فيما بعد أن هذا الزعم خاطئ من أساسه، بل الواقع أنه توجد أسباب عدة تدل على أن أولئك الغزاة كانوا قوة ثقافية في وادى النيل منذ عهد الملك « سنوسرت » الثانى (١٩٠٦ — ١٨٨٧) ق . م . أى في منتصف عهد « الدولة الوسطى » عند ما كانت مصر في أوج عظمتها، أو بعبارة أخرى في إبان عصرها الذهبي . وسنميز تمييزا بينا بين المؤثرات الثقافية والمؤثرات السياسية التى أدت

إلى ذلك . وتدل شواهد الأحوال على أنه لا توجد أسباب تدعو إلى الشك في أن الهكسوس قد حكموا مصر قبل عام ١٧٣٠ ق . م . ولكن من الطبعي أن المؤثرات الثقافية التي كانت موجودة قبل ذلك العهد في الأقطار الآسيوية المجاورة قد تركت أثرها إلى حد ما في مصر، ومن المحتمل أن المصريين أنفسهم قد نقلوها إلى بلادهم . وهذه المسألة نجد حلها في الجواب على السؤال التالي وهو : كيف يتسنى للبر أن يفسر ظهور ثقافة جديدة في بلد ما ؟ وسيرى القارئ فيما بعد أن عناصر ثقافة جديدة قد أدخلت في كل من سوريا وفلسطين بل وفي مصر نفسها حوالي عام ١٩٠٠ ق . م . وسلاحظ كذلك وجود علاقة بين هذه العناصر الثقافية الجديدة وبين ثقافة الهكسوس الخاصة بهم مدة عهد سلطانهم السياسي في مصر؛ على أن هذا القول يحتاج إلى تفسير وإيضاح ينسجم مع الحقيقة القائلة : إن مصر كانت وقتئذ في عصر من أزهر عصورها ، وإن « ببلوس » الواقعة على الشاطئ السوري كانت موالية لمصر حتى عام ١٧٤٠ ق . م . ويظهر أن الجواب المقنع على ذلك هو أن غزو الهكسوس لمصر لم يتم دفعة واحدة بين عشية وضحاها، ولكنه قد تم تدريجاً وعلى مهل ، فكان يكتسب قوته بمرور الزمن كالشجرة التي تضرب بأعراقها على مر الأيام في أرض خصبة فتزداد نمواً وإنباعاً . على أننا من جهة أخرى لا نجد في سقوط الأسرة الثانية عشرة الذي أدى إلى ضعف مصر سبباً يساعد على حركة قامت للأسباب التي أوردناها هنا، وهي التي كانت نتيجة توطيد أول أسرة للهكسوس في أرض الدلتا حوالي عام ١٧٣٠ ق . م .

هجرة الهكسوس : وإذا أخذنا بأن هجرة الهكسوس قد بدأت من المنطقة الشرقية للبحر الأبيض المتوسط حوالي بداية القرن التاسع عشر ق . م . على حسب ما سنورده من البراهين التي نستخلصها من قطع الفخار الأثرية ، فإننا لن نجد تضارباً في ذلك مع الحقائق التاريخية ، ويكون لدينا في الوقت نفسه تفسير

لظهور منتجات مبكرة لو وجدت في متون مؤرخة يرجع عهدها إلى قرنين بعد ذلك لحكمتنا بأنها من عهد « الهكسوس » بلاريب . والحقيقة الوحيدة التي لا بد من التذكير بها بالنسبة للهكسوس هي أنهم لم يدخلوا البلاد دفعة واحدة ، بل وفدوا إليها جماعات صغيرة متفرقة . وهذه الجماعات كانت تزداد في عددها إلى أن أصبح لهم سلطان عظيم في البلاد بتسريحهم بهذه الكيفية ، فكان مثلهم في ذلك كمثل الكاسيين الذين استولوا على بابل بهذه الطريقة ، حتى أن هذه العناصر المختلفة الجنسية قد أصبحت فيما بعد عاملا سياسيا قويا في مصر أدى إلى جعل البلاد تحت سلطانهم ، وعلى هذا الأساس ظهرت الأسرة الخامسة عشرة في مصر .

طررد الهكسوس : والواقع أن الهكسوس قد قضى عليهم جملة في مصر بوصفهم أمة حاكمة على يد « أحمس » الأول وليس معنى هذا أنه قد قضى على نفوذهم الثقافي من البلاد ، إذ ليس من الضروري أن يسير النفوذ السياسى جنبا لجنب مع النفوذ الثقافى ، أو أن كلاهما ينسب الى الآخر بصفة مباشرة ، إذ لدينا من الأدلة ما يبرهن على أن ثقافة الهكسوس قد استمرت تطبع الحياة المصرية بطابعها الخاص الى مدة لا يستهان بها في عهد الأسرة الثامنة عشرة بعد طردهم من البلاد كما سنشرح ذلك في حينه . أما من جهة فلسطين فإننا نعتقد أن « تحتمس الثالث » قد ضرب الهكسوس ضربة قاصمة قضت على أطماعهم فيها ، وعلى نفوذهم في « آسيا » ، ولكن مع ذلك نجد أن دم « الهكسوس » وطرق حياتهم وعاداتهم قد تغلغلت في نفوس أهل « كنعان » سكان « فلسطين » كما نجد ذلك عند وفود « العبرانيين » على هذه البلاد .

ولا يخيل أن غرضنا هنا أن نقدم صورة مفصلة دقيقة من الوجهة الأثرية عن ثقافة الهكسوس المادية ، فإن مثل هذه المعلومات ليست من أغراضنا هنا ، ويمكن للباحث في التفاصيل أن يستقى معلومات غزيرة في هذا الصدد من تقارير

عمال الحفر المختلفة التي لها علاقة بهذا الموضوع . على أننا من جهة أخرى قد حاولنا أن نضع أمام القارئ رأياً شاملاً لبعض المسائل الخاصة بالمكسوس متجاوزين الحد في التفصيل كلما دعت الضرورة ، وذلك رجاء الوصول إلى ما نرمي إليه من كشف النقاب عن هذا الموضوع المعقد الذي شغل بال العلماء زمناً طويلاً ، ولا تزال بعض مسأله تحتاج إلى بحوث عميقة أهمها القيام بحفائر في كل الجهات التي احتلها أولئك الغزاة .

معلوماتنا عن المكسوس من المصادر القديمة المدونة

لقد كانت معلوماتنا عن « المكسوس » قبل كشف النقاب عن رموز اللغة المصرية القديمة وغيرها من لغات الشرق القديمة تنحصر فيما رواه لنا « فلافيوس يوسفس » Flavius Josephus المؤرخ اليهودي الذي عاش في خلال القرن الأول من التاريخ الميلادي . والمعلومات التي قدمها لنا هذا المؤرخ قد أخذها بدوره عن المؤرخ المصري « مانيتون » المعروف . وقد كان غرض « يوسفس » الأول فيما نقله عن « مانيتون » العمل جهد الطاقة في الرفع من شأن قومه اليهود الذين كان يحقرهم كتاب الإغريق ، ويحطون من شأنهم ، لذلك أخذ المؤرخ « يوسفس » يبرهن لئلا أن اليهود والمكسوس هم عنصر واحد ، وأنهم خرجوا من مصر منذ حوالي ألف سنة قبل حروب « طرواده » الدائمة الصيت ، وهي تلك الحروب التي خلدها « هوميروس » الشاعر اليوناني في كتاب « الإلياذة » وكتاب « الأودسي » ؛ وقد كان عهد هذه الحروب في نظر الإغريق تاريخاً صحيحاً في القدم . ومما يؤسف له أشد الأسف أنه لم يعثر حتى الآن عن أصل إغريق من كتاب « مانيتون » الذي وضعه في تاريخ مصر ،

ولم يبق لنا من كتابه هذا إلا بعض فقرات نقلها بعض الكتاب مثل « يوسفس »^(١) وغيره ، ومع ذلك فإن هذه الفقرات أو الاقتباسات التي بقيت لنا قد كتبت بعد طرد الهكسوس من مصر بنحو ١٣٠٠ سنة تقريبا ، وعلى ذلك أضفى الاعتماد عليها بوصفها مصدرا تاريخيا لا يوثق به كثيرا ، وبخاصة إذا كنا نعلم أن بعض الوقائع التي ذكرها لنا « مانيتون » تكاد تكون من الوجهة التاريخية مستحيلة . على أن هذا لا يمحى على التخلي عن ذكر بعض الوقائع الصادقة المعقولة فيما رواه ، كما سنرى عند فحص المصادر القديمة المصرية الأصلية التي كشف عنها في خلال نصف القرن الأخير^(٢) .

والظاهر أن كلمة « هكسوس » لم تكن معروفة قبل عهد « مانيتون » ، وأنه هو أول من استعملها ، وسنورد فيما يلي الاقتباسات الهامة التي ذكرها « يوسفس » نقلا عن « مانيتون » .

فيقول « يوسفس » : « إن « مانيتون » كتب عنا (أى اليهود) ما يأتي ، وإني سأقتبس كلماته كآني قد وضعته في قصص الشهادة » لا أعرف لماذا قد نزلت بنا في عهد توتمايوس « Tutimaheus (تحتمس) صاعقة من غضب الإله ، فقد تجزأ قوم من أصل وضع من الشرق على غزو بلادنا ، وقد كان مجيئهم أمرا مفاجئا ، وقد تسلطوا على البلاد بجسود القوة في غير صعوبة ما ، وبدون نشوب واقعة حربية . وبعد أن تغلبوا على الرؤساء أحرقوا المدن بوحشية ، وأزالوا معابد الآلهة من أساسها ، وساروا في معاملة الأهليين بكل قسوة ، وقتلوا بعض القوم ، وسبوا نساء وأطفال أناس آخرين ، وفي نهاية الأمر نصبوا واحدا منهم اسمه « سالاتيس » ملكا ، فأتخذوا مدينة « منف » مقرا له ، وضرب الضرائب على الوجه القبلي والوجه البحري ، وترك له حاميات في الأماكن التي كانت أعظم صلاحية للدفاع . وقد أمن جناحه الأيمن بوجه خاص لأنه كان يتنبأ بما عساه أن يحدث من اغتصاب الآشوريين بمهاجمته عند مآزدد قوتهم في المستقبل ، ولما كشف في مقاطعة « سترويت (Sethroite) » عن مدينة حسنة

(١) Edward Meyer. "Geschichte des Altertums", (Stuttgart und Berlin, 1926) § 151

(٢) راجع كتاب Raymond Weill, "La Fin du Moyen Empire Egyptien". عن الآثار المعروفة للهكسوس قبل عام ١٩١٨ ميلادية .

الموقع مقامة على الجهة الشرقية من فرع « بوسطة » عمل على بنائها من جديد وحصن جدرانها ووضع فيها حامية يبلغ عددها نحواً من ٢٤٠٠٠ رجل مسلحين لحماية حدوده . وكان قد اعتاد زيادة هذا المكان كل صيف لتوزيع الجرايات ودفع أجور الجنود من جهة ، وكذلك ليلقى عليهم دروساً هامة في فنون الحركات الحربية ، ولأجل أن يلقي الخوف في قلوب الأجانب من جهة أخرى . ثم توفي بعد أن حكم البلاد تسع عشرة سنة “ بعد ذلك تأتي قائمة بأسماء الملوك التالية « بنون » حكم ٤٤ سنة — « أبا خناس » حكم ستاً وثلاثين سنة وسبعة أشهر — « أبو فيس » حكم إحدى وستين سنة — « يناس » حكم خمسين سنة وشهراً و « أسيس » حكم ٤٩ سنة وشهرين . وقد كان هؤلاء الملوك السنة الذين يعتبرون حكامهم الأول يطمعون باستمرار في محو الشعب المصري ، وكان شعب هؤلاء الفسادة يسمون « هكسوس » ومعنى الاسم « ملك الرعاة » وذلك لأن كلمة « هك » معناها في اللغة المقدسة « ملك » أما كلمة « سوس » معناها في اللهجة الدارجة « راعي » أو « رعاة » ، ومن ثم كانت الكلمة المركبة « هكسوس » ، ويقول البعض : “ إنهم « عرب » ” . ثم يستمر « يوسفس » بألفاظه هوقائلاً : « وعلى أية حال فإنه جاء في نسخة أخرى أن كلمة « هك » لا تعني « ملوكا » بل تدل على العكس على أن الرعاة كانوا « أسرى » وهذا الرأي يظهر لي أكثر احتمالاً وأكثر موافقة للتاريخ القديم .

وملوك القوم الذين يطلق عليهم الرعاة ومن تناسل منهم وهم الذين عددناهم فيما سبق قد ظلوا أسباد مصر على حسب ما ذكره « مانيتون » نحو خمسمائة وإحدى عشرة سنة “ .

وفي الفقرة التالية يحلل « يوسفس » ما جاء في « مانيتون » :

”وبعد ذلك قام ملوك إقليم « طيبة » وسائر البلاد المصرية بثورة على الرعاة وشبث نار حرب عظيمة طالت مدتها ، ويقول إنه في عهد ملك يدعى « مسفراجوئيس (Misphragmouthis) » هزم الرعاة وطردوا من مصر كلها وحوصروا في مكان يدعى « أواريس » ومساحته عشرة آلاف « أرورا » وكان الرعاة كما ذكرنا « مانيتون » قد أحاطوا كل هذه المساحة بمجدران عظيمة مبنية حجارة لكل متاعهم وغنائمهم “ ثم يستمر قائلاً إن « توموسس (Thoummosis) » ابن « مسفراجوئيس » حاصر الجدران بجيش يبلغ ٨٠٠٠٠ رجل ، وحاول أن يجملهم يستسلمون بالحصار . ولكنه لما يئس من بلوغ غرضه عقد معهم معاهدة تقضى بأن يخلوا كل أرض مصر ، وأن يذهبوا حيث شاءوا دون أن يضيق عليهم . وبمقتضى هذه الشروط غادر مصر ما لا يقل عن ٢٤٠٠٠٠ من الأسرى جميعاً يحملون متاعهم ، ومختارين الصحراء إلى « سوريا » ، ولما كان الرب قد أخذ منهم كل ما أخذ خوفاً من بطش الآشوريين

الذين كانوا في خلال هذه الفترة أصحاب السيادة في « آسيا » فإنهم أقاموا مدينة في الإقليم الذي يدعى « يودا » صالحة لإيواء جميعهم الهائل وقد أطلقوا عليها اسم « أورشليم »^(١) .

التعليق على رواية يوسفس : ويحق لنا أن نشك في الحال في قوّة « آشور » في تلك الفترة من التاريخ كما يحق لنا كذلك أن نتشكك في مساحة مدينة «أواريس» عاصمة « الهكسوس » وفي عدد الرجال الذين كانوا فيها وقتئذ، يضاف إلى ذلك أنه ليس من المعقول أن « الهكسوس » بعد طردهم من مصر قد استوطنوا بلدة جديدة هي « أورشليم » ولكن لا يخفى ما لهذه الحقيقة من قيمة في نظر « يوسفس » اليهودي .

ولكن قبل فحص الوثائق الأقدم من تلك ، بالنسبة لعلاقتها بتقاليد البطالمة دعنا نفحص كلمة « هكسوس » أولا .

تفسير كلمة هكسوس : ذكرنا من قبل أن كلمة « هكسوس » تنسب نشأتها للوُزخ «مانيتون» والتفسير اللغوي الذي وضعه لها مقبول، وذلك لأن كلا من جزأى الكلمة له ما يقابله في اللغة المصرية القديمة، فكلمة « حقا » معناها « حاكم » وكلمة « شاسو » معناها « بدوى »، ومن الجائز أن الأخيرة قد كتبت بالإغريقية « سوس » وبالقبطية « شوس »^(٢) ؛ وعلى أية حال فإن الرأي المتفق عليه الآن في تفسير كلمة « هكسوس » هو أنها مركبة من كلمتي « حقاو » و « خاسوت » ومعناها معا هو « حكام الأقاليم الأجنبية »، وهذا التفسير لا يتناقض مع ما جاء في القاموس المصري القديم (W.B. P.171) III؛ وقد كان أول من اقترح هذا الاشتقاق هو الأستاذ « جرفث »^(٣) . وما تجدر ملاحظته أن هذا التعبير كان معروفا في المصادر المصرية من عهد مبكر يرجع

(١) راجع : "Against Apion", I, PP. 74-90. English Translation :
by H. St. J. Thackery (London 1926).

(٢) راجع : "The Journal of Egyptian Archaeology", Vol. V, (1918) :
P. 38.

(٣) راجع : P. S. B. A. XIX. (1897) P. 297.

للأسرة السادسة، وبقى مستعملا حتى عهد البطالمة^(١). وهذه فترة أطول بداهة من العصر الذى احتل فيه المكسوس البلاد المصرية، وليس لدينا من البراهين القاطعة الآن ما يثبت أن هذه العبارة كانت تطلق على المكسوس فحسب. وإذا كان لنا أن نفهم نشأة كلمة المكسوس على حقيقتها فلا بد أن نتصور أن كلمتى «حقاو» و «خاسوت» قد مزجتا كاسم جنس، واستعملتا فى الصورة التى نقلها لنا «مانيتون». ولكن المدهش فى ذلك أننا نجد استعمال هذا التعبير فى النقوش قبل الأسرة الثامنة عشرة بعد طرد المكسوس من مصر، غير أننا من جهة أخرى نلاحظ أن بعض ملوك المكسوس أنفسهم قد سموا على الآثار أو على الجعارين «حقاخاسوت» أى «حاكم البلاد الأجنبية» مثل الملك «خيان»^(٢) و «سمقن»^(٣) و «عنات هر»^(٤) فقد لقب كل منهم بهذا اللقب.

وقد كانت أول ما عثر على كلمة «حقاوخاسوت» فى صيغة الجمع فى قصة «سنوهيت» (راجع كتاب الأدب المصرى القديم ج ص ٣٥)، ويظن الأستاذ «ولف» خطأ أن المقصود منها فى هذا النص هم بدو «فلسطين»^(٥).

ومما يلفت النظر أننا لم نعثر على كلمة بعينها فى اللغة المصرية القديمة وضمت علما لأولئك الغزاة الذين سماهم «مانيتون» المكسوس. فتجد مثلا فى «ورقة ساليه» الأولى أنهم سموا «الطاعون»، غير أن ذلك ليس بغريب، لأن المصريين كانوا يطلقون عليهم هذا الاسم بوصفهم أعداء. والظاهر أنهم كانوا يسمون

(١) J. E. A, V, P. 38.

(٢) Macalister, "Gezer", III, Pl. CCIV. P. 16.

(٣) Petrie, "Scarabs & Cylinders", Pl. XXI.

(٤) Newberry, "Scarabs", Pl. XXXIII. II.

(٥) Wolf, "Der Stand der Hyksosfrage Zeitschrift D. M. : ج ٨، heft. I. (Leipzig. 1929). P. 67.

« عامو » أى الأسويين فى عهد الهكسوس أنفسهم^(١) ، وكذلك كانوا يسمون « ستيو » فى لوحة « كارزفون » (راجع (J. F. A., V. P. 46.) وأطلق عليهم فى نقش تاريخ « أحسن بن أبانا » اسم « مئوسنت » (راجع (Urk. IV. 5: 4.)

ملوك الهكسوس فى ورقة تورين : وفصلا عن المصادر اليونانية التى ذكرت لنا بعض أسماء ملوك « الهكسوس » كما كتبها الإغريق فإنه يوجد لدينا قوائم ملوك مصرية بحتة أتم من القوائم اليونانية ، وإن كانت متناقضة فى بعض الحالات وأهمها « ورقة تورين » وهى المصدر الذى كان فى الأصل يشمل على ما يظهر كل أسماء ملوك « الهكسوس » ولكن ، مما يؤسف له أن بعض أجزائها قد حدث فيه تمزيق بالغ^(٢) ، غير أنه لحسن الحظ وجدنا فيها قائمة تحتوى على ما يظهر أسماء ستة من ملوك « الهكسوس » حكوا مائة وثمانى سنين .

ولدينا قائمة ملوك أخرى محفوظة بمتحف « اللوفر » نقلت من معبد « تحتس الثالث » بالكرك وهو المعروفة « بقاعة الأجداد » وقد ذكرناها فيما سبق^(٣) .

وكذلك توجد قائمة ملوك فى « العرابة » وأخرى « بسقارة » ولكنهما لا تحتويان أسماء ملوك « الهكسوس » احتقارا لهم ، ولعدم الاعتراف بحكمهم ، وذلك لأن أولئك الغاصبين قد بقيت ذكراهم فى أذهان القوم بوصفهم أعداء مقتصبين لمدة طويلة بعد طردهم وهربهم من مصر .

(١) راجع : Carnarvon Tablet I, "J. E. A., V. P. 44. Inscriptions of Speos Artemidos", Breasted, "A. R", II. § 303.

(٢) راجع : Guilio Farina, Il papiro re rest anrato IR. museo di Torino Pubblicazioni egittologiche I. (Roma 1938) P.56.

(٣) راجع : B. Porter and Rosalinde. B. Moss, "Bibliography", II. (Oxford 1929) P. 42.

وقد ذكرنا هذه الحقائق هنا بصفة عابرة ، لأنه لو كان لدينا حتى الأسماء الصحيحة لأولئك الملوك مرتبة ترتيبا تاريخيا متسلسلا لكان مع ذلك تنقصنا الحوادث والأحوال التي تربط أسماء بعضهم ببعض . والظاهر أن الأمل الوحيد في الحصول على مثل هذه المعلومات لن يأتي إلا عن طريق إجراء حفائر في مصر في المواقع الهامة التي استوطنتها « الهكسوس » وقد تصلنا هذه المعلومات الأثرية في صورة أوراق بردية .

العثور على جعارين من عهد الهكسوس : هذا وقد عثر في أوقات متفرقة على جعارين نقش عليها أسماء بعض ملوك لم تكن معروفة لنا من قبل ، وقد تحقق بالدرس أنها ملوك من « الهكسوس » ومع ذلك فإن هذا الكشف لم يحل لنا مسألة التسلسل التاريخي لأولئك الملوك ، وهي المسألة التي يجتهد المؤرخون للوصول إليها ، هذا فضلا عن أن كشفها لم يضيف شيئا ماديا لفهم عصر أولئك الفزاة .

ولكن من جهة أخرى نجد أنه قد حدث بعض التقدم في إمطة اللثام عن أحوال العصر المظلم الذي تلا سقوط الأسرة الثانية عشرة ؛ إذ قد أصبح من المسلم به على وجه عام أن العصر الذي يقع بين الأسرتين الثالثة عشرة والسابعة عشرة كما نلخصه « مانيتون » لا يمكن أن تكون الأحوال قد سارت فيه سيرها الطبيعي بل كان عصر تقلبات وقلاقل ، ولم تنسجم فيه أمور البلاد إلا غرارا . فقد استوطن ملوك الأسرة الثالثة عشرة مدينة « طيبة » وسيطروا في بداية الأمر على البلاد كما ذكرنا آنفا (حوالى عام ١٧٨٨ ق م) من الدلتا حتى الشلال الثاني^(١) . وقد ظلت الأحوال في البلاد تسودها السكينة والنظام حتى نهاية عهد رابع ملوك هذه الأسرة . وعلى أية حال نجد أن خامس ملوك هذه الأسرة الذي كان يحمل اسم

« يوفنى » كما جاء فى « ورقة تورين » قد دُون بصورة تختلف عن طريقة تدوين أسماء الملوك المتبعة^(١).

الأسرة الرابعة عشرة : أما الأسرة الرابعة عشرة فكما ذكرنا كانت عاصمتها بلدة « سخا » (اكسيوس) من أعمال الدلتا على حسب ما جاء فى « مانيتون » ؛ والظاهر أنها كانت وليدة تمزق شمل الدولة بعد بداية الأسرة الثالثة عشرة مباشرة ، وبعبارة أخرى كانت كل من الأسرة الثالثة عشرة ، والرابعة عشرة معاصرة لزميلتها ، فالأولى كان مقرها مدينة « طيبة » والثانية كان مقرها مدينة « سخا » من أعمال الدلتا .

وعلى الرغم مما يحيط بمعلوماتنا من إبهام وغموض عن هذا العصر فإنه مما لا ريب فيه أن أول أسرة أسسها « الهكسوس » أى الأسرة الخامسة عشرة قد قامت على حساب الأسرة الرابعة عشرة . أما الأسرة الثالثة عشرة التى كانت لا تزال قائمة فى « طيبة » فإن شواهد الأحوال تدل على أن أواخر ملوكها كانوا خاضعين لنفوذ « الهكسوس » . فقد ذهب الأستاذ « ادورد مير » إلى أن « نحسى » ثالث ملك من أواخر ملوك الأسرة الثالثة عشرة ووالده كانا تابعين للملوك « الهكسوس »^(٢) .

أما عن الوقت الذى أسس فيه « الهكسوس » الأسرة الخامسة عشرة فى بلدة « أواريس » وعبادة الإله « ست » فإن المعلومات الجديدة التى لدينا عن هذا الموضوع تتركز على تفسير الأستاذ « زيت » للوحة « أربعمائة السنة » التى عثر عليها أولاً « مريت » فى « تانيس » فى منتصف القرن الأخير^(٣) وهى التى كشف عنها ثانيا الأستاذ « مونتيفيه » منذ بضع سنين بعد أن بقيت مطمورة فى الرمال

(١) راجع : Gauthier, "L. R." II, P. 7.

(٢) راجع : Gesch. II. §§ 305 & 316. ff.

(٣) راجع : Rev, d'Arch. N. S. XI. (1865) PP. 169-90.

مدة طويلة^(١) ؛ وكذلك على ما ألقاه من الضوء الأستاذ « ينكر » في مقاله عن « بحر نفر » أحد كبار رجال الدولة في عهد الأسرة الرابعة ، وقد أبان فيه حقيقة عبادة الإله « ست » في « أواريس » . ولما كان موضوع عبادة « ست » مرتبطا بعيد « أربمئة السنة » الذي كان قد أقيم احتفالا بهذا الإله ، رأينا أن نبحث هنا موضوع علاقة الإله « ست » بالهكسوس ، ثم علاقته بلوحة أربمئة السنة ، وكذلك نبحث مسألة عبادة هذا الإله في عهد الأسرة الثالثة عشرة في « أواريس » ، وأخيرا لا بد من تحقيق أن « تانيس » هي نفس « بررعسميس » ، وبذلك يمكن فهم المعنى الحقيقي للوحة « أربمئة السنة » ، وموقف الإله « ست » وعلاقته بالهكسوس والمصريين .

علاقة الإله « ست » بالهكسوس

لقد ظل موضوع علاقة الإله « ست » بالهكسوس من الموضوعات الغامضة إلى أن أجلى معمياته الأستاذ « ينكر » في مقال رائع عن نقوش مقبرة العظيم « بحر نفر » أحد كبار رجال الدولة في أوائل الدولة القديمة ، وقد عثر على قبره في « سقاره »^(٢) . وقد برهن الأستاذ « ينكر » في مقاله هذا على أن الإله « ست » كان الإله المحلي لبلدة « سِرت » (Strt) وهي سترويت (Sethroite) في العهد الإغريق الواقعة في الشمال الشرق من الدلتا ، كما يعتقد ينكر ، وعلى ذلك كان لإثبات وجود عبادة هذا الإله منذ هذا العهد السحيق في القدم في هذه الجهة أثر في تغيير الآراء التي كانت معروفة عن موقف هذا الإله بالنسبة لعلاقته « بالهكسوس » تغيرا أساسيا ؛ ولا غرابة في ذلك فقد كان المعتقد حتى قبل هذا الكشف الذي وفق إليه الأستاذ « ينكر » أن الهكسوس هم الذين جلبوا عبادة « ست » إلى هذه الجهة ، لأنه

(١) راجع : Montet, "La Stele de l'An 400", Kemi IV. (1933) PP.191-215.

(٢) راجع : Junker, "Phnfr", A. Z. Vol. 75. PP. 63-84.

كان موحدًا مع معبود لهم ، كما كان يزعم كل علماء الآثار . ولكنا نعلم الآن أن الهكسوس لما اجتاحتوا البلاد وتسلطوا عليها ، وجدوا عند استيطانهم فيها أن الإله « ست » كان هو المعبود المحلى للبقعة التى أقاموا فيها تحصينات عاصمتهم العظيمة التى اتخذوها بمثابة نقطة الاتصال بين أجزاء دولتهم الضخمة ، وهى التى كانت تضم بين جوانبها مصر وفلسطين وسوريا . وقد كان مثل أولئك الفاتحين كغيرهم ممن غزوا أرض الكانة ، اعتنقوا الديانة المصرية القديمة على إثر دخولهم البلاد . فلا عجب إذا أن يختار غزاة الهكسوس الإله المحلى للبقعة التى ألقوا فيها عصا تسيارهم ، وبنوا فيها عاصمة ملكهم ، إلهالهم ، وهو الإله « ست » ، وقد اتخذوه حاميا لدولتهم الجديدة ، وعلل البعض اختيارهم لهذا الإله بما يوجد بين « ست » هذا وبين إلههم « بعل » أو الإله « تشب » من تشابه فى الصفات . ولكنا لا نعلم أن الغزاة فكروا فى شئ من هذا بل كل ما فعلوه أنهم نقلوا الإله المحلى القديم وهو « ست » إلى عاصمتهم الجديدة وعبدوه ، وهذا رأى أقرب للفهم من أنهم كانوا يبحثون عن إله حام ينتخبونه من بين جماعة الآلهة المصريين ليوضع جنبًا إلى جنب مع إله قبيلتهم . وسيظل مقدار مدى الأهمية التى كان يتوقف عليها اختيار الإله « ست » وما بينه وبين إله الغزاة الفاتحين من روابط وصفات خفية مشتركة ، من الموضوعات المغلفة التى لا يمكن الفصل فيها ، وذلك لأن الهكسوس على ما يظهر ، وكما سنرى بعد ، كانوا خليطًا من أجناس متباينة مما جعلنا نجعل حقيقة كل شئ عن آلهتهم أو الإله المرشد لقبيلتهم . حقا نعلم أن كلا من الإلهين « بعل » و « تشب » قد وحد بالإله « ست » ولكن ذلك قد حدث فى عصور متأخرة عن عصر الهكسوس ، ومع ذلك يبقى علينا أن نوضح بجلاء أن الإله « ست » كان فى عهد الهكسوس هو إله الفاتحين الأجانب . والواقع أنه بوصفه إله الحرب قد ظهر فيه بعض الصفات المشتركة بينه وبين آلهة الأسويين مما حجب فيه الهكسوس .

عبادة الإله ست في الدلتا : ولما كانت عبادة الإله « ست » في الشمال الشرق من الدلتا قائمة منذ فترة طويلة ثم اعتنقها « الهكسوس » عند غزوهم البلاد ، فإنه كان من الطبع أن تظل عبادته بعد طرد أولئك الفزاة حتى ولو بوصفه الإله المحلي لتلك الجهة .

وإذا كان الأمر قاصرا على موضوع توحيد الإله الأجنبي بالإله « ست » رب « أمبوس » (كوم امبو) القديم وحسب لاخفت عبادته باختفائهم من البلاد ، ولكن الأمر كان أعظم شأنا وأجل خطرا من ذلك ، إذ كان الإله « ست » منذ زمن سحيق في القدم قد اتخذ الدلتا موطننا ثانيا له ، وبذلك لم يكن في مقدور إنسان أن يزحزحه عن مكانه ؛ لأن عبادته كانت قد ضربت بأعراقها في أعماق نفوس القوم القاطنين في تلك البقعة .

على أن تقديس « الهكسوس » للإله « ست » لم يكن موضوعا ذا بال عند المصري نفسه ، لأنه على الرغم مما كان لهذا الإله من سوء السمعة منذ القدم فإن عبادته كانت لا تزال مرعية قائمة على أقل تقدير في المدن التي كان يعبد فيها قديما مثل « أمبوس » (كوم امبو) والاقليم الذي يشتمل على المقاطعتين الحادية عشرة والثانية عشرة من مقاطعات الوجه القبلي ، وكذلك في الشمال الشرق من الدلتا . على أن كل ما فعله الفاتحون هو أنهم رفعوه بصفة بارزة الى مرتبة الإله الأعلى بل وإله دولتهم . والواقع أن هذا الحادث كان ضربة قاسية في صميم قلب مدن « طيبة » و « منف » و « هليوبوليس » وهي التي كانت تجسد فيها عبادة « آمون » و « بتاح » و « رع » على التوالي بوصفهم أعظم الآلهة سلفا ونفوذا في الديار المصرية ، هذا فضلا عن اتصالهم الوثيق بالحكومة البلاد . وقد كان مما يمكن احتماله أن يكون « ست » معبودا محليا بوصفه رفيقا لهذه الآلهة العظام ؛ ولكن الذي لم يكن في استطاعة الكهنة والحكومة استساغته أن يصبح

« ست » صاحب السيادة الدينية في البلاد كلها ، وهو الإله المعروف بعدائه للإله « حور » بل كان قاتل الإله « أوزير » والده أيضا .

ومما هو جدير بالاهتمام الآن إذا أن نفحص المصادر التي وصلتنا مرة أخرى عن طريق « مانيتون » وغيره من النقوش والكتابة القديمة ، وهي التي تحدثنا عن غزو الهكسوس وتقديسهم للإله « ست » على ضوء ما لدينا من المعلومات الجديدة حتى يتبين لنا حقيقة الأمر بقدر المستطاع .

رواية مانيتون عن الهكسوس

يدل ما رواه « مانيتون » على أنه قد ناقض نفسه في موضوع مدينة « أواريس » ، إذ ذكر لنا في بداية كلامه أن « ملك الهكسوس » قد وجد المدينة قائمة عند وصوله ، ثم عاد فقال إنه أسسها . وقد بحث المؤرخون المتن اليوناني ونخص بالذكر منهم « ادوردير » ثم الأستاذ « ينكر » (A. Z.Vol. LXXV. P. 8.) وقد وصل الأخير إلى النتيجة الآتية وهي : « أن المتن يكون منطقيا عندما نفهم أن رواية « مانيتون » تحمل في ثنايا ألفاظها أن الهكسوس قد وجدوا مدينة مشيدة عند دخولهم البلاد تدعى « أواريس » ، واتخذوها عاصمة مختارة للملكهم ، وأنهم قد أصلحوها وأمروا بتحصينها » . وبذلك تكون الفقرة التي أختلف في ترجمتها قد حافظت على معناها الحقيقي على حسب رأى « ينكر » وهي : « ولكن المدينة كانت على حسب التعاليم الإلهية منذ أقدم العهود هي مدينة « تيفون » (أى ست) » . ولذلك يجب علينا أن نقول هنا بحق إن الهكسوس قد اتخذوا « أواريس » عاصمة لهم ، وهي المدينة التي كان يقدر فيها « ست » منذ زمن سحيق في القدم ، أى منذ أن اتخذها هذا الإله موطناً له قبل الأسرة الرابعة بزمن بعيد .

وكذلك جاء في فاتحة متن « ورقة سالييه » وصف يدل على أن الهكسوس قد اتخذوا الإله « ست » معبوداً لهم .

« اتخذ الملك « أبوفيس » لنفسه الإله « سنخ » (ست) معبودا ، ولم يقدس من آلهة البلاد كلها سوى الإله « سنخ » وقد أقام له معبدا بمثابة عمل جليل خاله بجوار مقر الملك . وكان يخرج كل يوم ليقدم القرбан للإله « سنخ » في حين كان وجهاء القوم يحملون الأكاليل على غرار ما كان يفعلها الناس في معبد الإله « رع حوراختي » .

ومن هذا النص نرى أن هذه القصة تحدثنا أن ملك « الهكسوس » قد رفع الإله « ست » إلى مرتبة السيادة على ملكه وجعله إله الدولة الأعظم ، وقام له على حسب التقاليد المصرية بأعظم آيات التجلة والاحترام . على أننا وإن كنا نجد بين السطور تجزئيا لادعا للإله « ست » فإن ذلك يرجع فقط إلى أولئك الذين لم يرق في نظرهم المقام الأسمى والمكانة الممتازة التي اعتلاها هذا الإله . ولا غرابة في ذلك فإن التقاليد قد شوهت اسمه بكثير من المساوئ كما هو معروف . على أنه ليس لدينا من جهة أخرى أقل إشارة تدل على إدخال إله أجنبي في البلاد أتى به الهكسوس . ولا نزاع في أن مؤلف « ورقة ساليه » لم يكن ليتغافل عن ذكر أية إشارة خاصة بذلك ، وعندما قيل « إن ملك الهكسوس » الأجنبي قدم قربانا للإله « ست » كما يفعل الناس في معبد الإله « رع » أعظم الآلهة المصرية مقاما فلا يعنى ذلك أن القوم كانوا يقدسون على وجه عام إله « أواريس » بل على العكس يدل ذلك على أن الغزاة قد رفعوه إلى درجة أعلى من درجات الآلهة الأخرى وحسب . وبينى طينا إذا أن تقر أن الملك « أبوفيس » لم يعبد إلها آخر ، وأن الأجانب لم يعرفوا الإله « رع » أو أنهم أرادوا القضاء عليه ، بل كان كل ما يتفوننه هو إبراز الشهرة الكاذبة التي أرادوها لإله دولتهم الجديد ، هذا إلى التخلي عن التجريح الذي كان يغمز به هذا الإله العظيم القديم . والواقع أن هؤلاء الملوك الفاتحين كانوا كذلك يقدسون آلهة أخرى من آلهة وطنهم ممن نجد اسمهم قد ركب مع اسم الملوك تركيبا مزجيا مثل اسم الملك « عنات هر » ، وكذلك نجد بعض هؤلاء الملوك قد اتخذوا لأنفسهم لقب « ابن الشمس » مما يدل على عبادتهم للإله « رع » ؛ هذا إلى أننا نجد أسماء التتويج لكثير من ملوك « الهكسوس » قد ركبت مع اسم « رع » أعظم الآلهة المصرية شهرة وقدما كما سيجىء بعد .

اللوحه التذكارية للاحتفال بعيد أربعمائه السنة التى مرت

على تنويع « تبتي » (الله ست) ملكا على دولة الهكسوس

الآن وقد أثبتنا أن الإله « ست » كان إلها أصليا يعبد في « أواريس » منذ القدم نعود إلى التكلم عن لوحه أربعمائه السنة وقيمتها التاريخية بالنسبة لمهد « الهكسوس » .

لقد ظن بعض المؤرخين أن « نبتى » الذى جاء فى لوحه « أربعمائه السنة » ملك حكم البلاد المصرية . وظل رأى كذلك إلى أن كتب الأستاذ « زيته » مقالا رائعا فى هذا الصدد (راجع A. Z. LXV. P. 85) أدلى فيه بالحجج المقنعة بأن نقش لوحه « أربعمائه السنة » خاص بالإله « ست » لا بملك من ملوك عصر الهكسوس الذين حكموا مصر ، وهاك نص ما جاء فى هذه اللوحه مع اختصار الألقاب الرسمية :

« يعيش الملك « رعسيس » الثانى الأمير الذى زين الأرضين بآثار يحمل اسمه ، والذى يشرق بحب إله الشمس له فى السماء . لقد أمر جلالة بإقامة لوحه من الجرانيت الأحمر باسم آباه العظيم لنعيد ذكر اسم آبه والده ثانية واسم الملك « سيقى الأول » باقيا وخالدا إلى الأبد مثل اسم « رع » كل يوم » .

هذا هو الجزء الأول من هذا الأثر . أما الجزء الثانى ويحتوى على ستة أسطر مثل الجزء السابق فإنه يتحدثنا عن حادث من الأهمية بمكان حدث فى الماضى ، وتدل الرسوم التى فى أعلى اللوحه على ما كان عليه الملك « رعسيس الثانى » من التقوى نحو أجداده ، وما قام لهم به من عظيم الخدمات . وهذا القرار الذى اتخذه قد أزعج ووضع فى صورة مرسوم كما يأتى :

« السنة الأربعمائه ، الشهر الرابع من فصل الصيف ، اليوم الرابع من حكم ملك الوجهين القبلى والبحرى « ست » عظيم القوة ابن الشمس المحبوب « نبتى » المحبوب من « رع حوراختى » الذى سبق مخلدا . لقد حضر الأمير الورائى والمشراف على العاصمة والوزير وحامل المروحة على يمين الفرعون ، ورئيس الرماة ، والمشراف على البلاد الأجنبية ، والمشراف على حصن (تارد) ، ورئيس المازوى (جنود الشرطة فى الصحراء) ، والكتاب الملكى ، والمشراف على الخيالة ، ومدير عهد كبش « مندبى » (نيل الربيع

الحالى) والكاهن الأول للإله «ست» ، والمرتل للآلهة «بوتو» فاتحة الأرضين ، والمشرى على كل كهنة الإلهة «سيتى المرحوم» ابن الأمير الوراى وعمدة العاصمة ، والوزير ورئيس الرماة ، والمشرى على البلاد الأجنبية ، والمشرى على حصن ثارو (تل أبو صيفة الحالى) ، والكتاب الملكى ، والمشرى على الخيالة «برعميس» المرحوم الذى وضعه ربة البيت المغنية «تيا» المرحومة . ويقول : الحمد لك يا «ست» يابن «نوت» يا صاحب القوة العظيمة فى سفينة الملايين (أى سفينة الشمس) ، والذى طرح الثعبان المعادى (لرع) أرضا والذى على رأس سفينة رع ، ومن صوته عظيم فى الحرب . لينك تمنحنى حياة جميلة لأجل أن أأخذك ، ولأجل أن أبقى فى (حظوتك) .

وقد ظن الأستاذ «زيت» ، لأسباب ذكرها عن هذا العيد الربمأى أنه قد احتفل به فى مدينة «تائيس» لمرور أربعمائة سنة على تأسيسها فيقول : «ومن البدى أننا نعالج هنا موضوع عيد أربعمائة السنة الذى يدل على وجود مدينة «تائيس» . ووجود هذه المدينة يفهم منه فى المتن السيادة الملكية للإله المحلى «ست» ولكن ينبغى على العكس أن تكون علاقة هذا العيد بتأسيس هذه البلدة علاقة غير مباشرة ، وبخاصة عند ما نعرف أنه لم يأت ذكر فى النقوش عن هذه المدينة بوجه خاص . والواقع أنه لا يحتمل أن يحتفل القوم ثمانية بذلك اليوم الذى أقام فيه الغزاة مدينة لتكون بمثابة حصن منيع فى وجه المصريين ، بل الحقيقة الواقعة أن هذا العيد قد احتفل به تذكارا لاعتلاء الإله «ست» مرتبة السيادة على البلاد ، وجعله إله الدولة الرسمى للهكسوس . وهذا هو نفس الرأى الذى قصته علينا «ورقة ساليه» الأولى ، إذ جاء فيها أن الهكسوس قد نصبوا الإله «ستخ» سيدا على البلاد ، وينبغى علينا أن نضع الشرح التالى نتيجة لما سبق تفصيله : كان الإله «ست» منذ العهود القديمة قد اتخذ لنفسه موطنًا مختارًا فى الشمال الشرقى من الدلتا ، وفى الإقليم الذى تقع فيه بلدة «تائيس» ، وعند ما اقتحم الهكسوس البلاد وأقاموا فيها عاصمة لملكهم كان أول ما فعلوه أن اتخذوا الإله المحلى حاميا لدولتهم ، وفى هذه الفترة اعتلى الإله «ست» عرش الملك الإلهى ، وقد كان حتى الآن أو على الأقل فى المصور التاريخية يعتبر أحد الآلهة الذين يستدون فى درجة

أقل من درجة إله الدولة الأعظم . على أنه بطرد الهكسوس من البلاد زالت عنه تلك السيادة الإلهية على البلاد ؛ وعلى الرغم من ازدهار سلطان « ست » وسيادته مدة ارتباطه بالفراة « الهكسوس » ، فإنه قد ضرب من جديد ضربة قاسية في الصميم كانت لا تقل عن الضربة التي صوّبت إليه عند انهزامه وقهره على يد الملوك الحوريين في عصر ما قبل التاريخ . ومع ذلك فقد بقيت عبادته في الشمال الشرقى من الدلتا موطنه الثانى قائمة لم تصب بسوء حيث نجد من جديد أن معبده قد بقى قائماً على الرغم من تغيير الأحوال في مصر بقيام دولة وسقوط أخرى ، ولا بد أن عبادته في « تانيس » كانت تذكر بفخار وكبرياء دائماً ذلك العصر الزاهر الذى مدّ فيه هذا الإله سلطانه على البلاد كلها ، ولذلك عندما انقضت أربعمائة سنة على اعتلائه عرش دولة الهكسوس احتفل القوم بهذا الحادث الضخم بمهرجان عظيم . وقد تولى الموظف « سیتی » الذى أضفى فيما بعد ملكاً على البلاد باسم « سیتی الأول » إدارة شئون الاحتفال بهذا العيد . وقد كان « سیتی » هذا موظفاً في شرق الدلتا إذ كان يحمل لقب المشرف على حصون « نارو » والمشرف على البلاد الأجنبية ، ومدير عيد كبش « منديس » . ويحتفل أن وطنه الأصل الإقليم الذى أقيم فيه الاحتفال . هذا إلى أنه كان يحمل كذلك لقب الكاهن الأول للإله « ست » ؛ ولا بد أن هذه الوظيفة الدينية كانت خاصة بخدمة الإله « ست » في الدلتا ، وعلى ذلك يكون « سیتی » هذا قد قام بوظيفة الكاهن الأول للإله « ست » في الاحتفال بالعيد في « تانيس » .

وقد فهم الأستاذ « زيته » من الجملة التى جاءت على هذا الأثروهي : « يريد إحياء اسم آباء والده ثانية » أنه يقصد من هذه العبارة ردّ اعتبار للإله « ست » الذى كان اسمه قد لوث بالعار في مصر منذ الأزمان العتيقة ، ولكن ينبغي ألا تؤخذ هذه الجملة على هذا المعنى المشين بل يجب أن تؤخذ على المعنى الجليل الذى اكتسبه عندما كان اسمه يلمع ويضئ منذ أربعمائة سنة مضت أى عندما رفعه الهكسوس إلى مرتبة ملك الدولة .

وسقوط الإله « ست » كان انتصارا للإله « آمون » في حين أن « آمون » نفسه كان قد هزمه عدوه « آتون » رب إختاتون ، ولكن أفول نجم « آتون » إلى الأبد لم يقض على كل عدااء كان موجهًا لقوة إله « طيبة » وهو « آمون » ، إذ يلاحظ أن ملوك الأسرة التاسعة عشرة الذين يطلق الأستاذ « زيته » أن وطنهم الأصلي الإقليم الشمالى الشرقى من الوجه البحرى ، لم يمزجوا أسماء أعلامهم باسم الإله « آمون » كما كان يفعل كثير من ملوك الأسرة الثامنة عشرة مثل « أمنحتب » الأول والثانى الخ . بل مزجوا أسماءهم باسم الإله « رع » أو « بتاح » أو « ست » . ويرجع السبب فى ذلك إلى ما كان يلوح فى الأفق من الخطر الذى يهدد ملكهم بازدياد قوة « آمون » واتساع نفوذه ، ومن هنا نفهم السر فى نقل « رعمسيس » الثانى (الذى أقام هذه اللوحة) عاصمة ملكه إلى « تانيس » ، فإنه لم يفعل ذلك لقربها من ممتلكاته فى آسيا ، أو لأنه كان يرغب فى جعل بلاطه فى البقعة التى ولد فيها أباه وحسب ، بل ليقصى كذلك بلاطه عن كهنة « آمون » ويبعد المسافة بينهم وبين عاصمته . وقد كان تنفيذ هذه الفكرة ضربة قاسية لمدينة « طيبة » ، ويمكننا أن نفهم الآن أكثر من ذى قبل سبب محو اسم الإله « ست » فى معابده القديمة التى كانت قائمة فى الدلتا بعد انتصار « آمون » وعودة عاصمة الملك إلى « طيبة » فى عهد الأسرة التاسعة عشرة .

عبادة الله « ست » فى « أواريس » وفى عهد الأسرة الثالثة عشرة

أثبتنا فيما سبق قدم عبادة الإله « ست » فى الشمال الشرقى من الدلتا فى مقاطعة « سترويت » ، والآن نريد أن نبرهن على أن عبادة هذا الإله فى بلدة « أواريس » فى عهد الأسرة الثالثة عشرة لم تكن بالأمر الغريب كما يزعم بعض المؤرخين فقد كتب الأستاذ « ادورد مير » الذى يعد عمدة مؤرخى العصور القديمة^(١) عن الأسرة

الثالثة عشرة يقول : لدينا آثار غربية من عصر ثالث آخر ملوك الأسرة الثالثة عشرة الذى كان يدعى « نحسى » (العبد) وهو اسم كان يسمى به كثير من أفراد عامة الشعب . ففى « تانيس » وجدنا اسم هذا الأمير على قطعة حجر ربما كانت من أثر قد أهده والده للإله « ست » صاحب « را أخت » ؛ وكذلك وجد فى « تل المقدام » الواقعة فى قلب الدلتا (مركز ميت غمر) تمثال ملكى لهذا الأمير نقش عليه « محبوب ست » صاحب « أواريس » ؛ ولكنا نعرف أنه لم يذكركلنا على أى أثر اسم الإله « ست » فى « تانيس » قبل عهد « الهكسوس » ، وقد ذكرنا كل من الملك « مرمشع » والملك « سبك حتب » الرابع كثيرا على تماثيله التى وجدت فى « تانيس » أنه المحبوب من « بتاح » صاحب « منف » وأن « أواريس » كانت عاصمة الهكسوس ، وأن « ست » صاحب « أواريس » هو الههم . ومن ثم نعلم أن كلا من « نحسى » ووالده كان قد أصبح من أتباع « الهكسوس » وأن غزو هؤلاء القوم الأجانب للبلاد كان قد حدث قبل نهاية الأسرة الثالثة عشرة ، ومن المحتمل أن تسابع تولى الملوك عرش البلاد بسرعة مدهشة فى هذه الفترة يرجع بعضه إلى عظم نفوذهم .

والواقع أن ما وصلنا من معلومات جديدة يجعلنا نعيد النظر فيما كتبه هذا المؤرخ ، وذلك لأنه فى إقليم « تانيس » كانت عبادة الإله « ست » قائمة منذ العهود القديمة ، وقد عرفنا الآن أن معبد هذا الإله موجود فى « سثرت » على مقربة من « تانيس » منذ أوائل الدولة القديمة على أقل تقدير ، وعلى ذلك فإن إقامة « نحسى » أثرا لهذا الإله القديم فى إقليم « تانيس » لا يدل على أى اتصال « بالهكسوس » ، كما لا تدل عبارة وصف الإله بأنه صاحب « أواريس » على أية علاقة قط بالهكسوس ، وذلك لأن هذه المدينة كانت قائمة قبل غزو الهكسوس

(١) راجع رأى الأستاذ جاردنر فى هذه المدينة وموقعها : (Gardiner, "Ancient Egyptian

كما سبقت الإشارة إلى ذلك . هذا فضلا عن أن اسم مدينة « أواريس » مصرى خالص ، ولا يشم منه أن الغزاة قد أسسوا بنيانها ، ويجب أن يفهم الإنسان ذلك حقا ، فقد ميز « رعمسيس » الثانى المباني الجديدة التى أقامها فى المدينة بتخليد اسمه فأطلق عليها اسم « بررعمسيس » (بيت رعمسيس) . ولا شك فى أن توحيد « تانيس » « بأواريس » يقدم لنا سندا قويا لتفسير الرأى الذى نعرضه هنا الآن . وذلك لأن الآثار المكشوفة تحدثنا بأنه منذ القدم كانت تقوم فى هذه البقعة مدينة على جانب عظيم من الأهمية . وكذلك يدل ما كشف من آثار على أن نشاط « نحسى » من ناحية البناء فى « تانيس » كان ضئيلا بدرجة مدهشة كما كانت الحال مع أسلافه فى عهد الدولتين القديمة والوسطى .

والواقع أن التفسير الذى أدلى به الأستاذ « ادورد مير » عن « نحسى » وآثاره لا يصمد أمام النقد ، إذ كيف ينبغى « لنحسى » أو والده أن يقيم معبدا لإله الغزاة الأجانب فى عقر عاصمتهم ؟ والأحرى بهذا الأمير إذا كان يريد أن يظهر خضوعه ، وتبعيته للغزاة أن يقيم أثرا لإله الدولة الحديد الذى كان يعتبر هو من أتباعه فى الإقليم الذى يقع خارج مدينتهم ، أما فى « تانيس — أواريس » التى بناها الهكسوس ثانية على حسب (تصميم) موضوع لم يكن يسمح « لنحسى » أن يقيم فيها للإله « ست » معبدا بوصفه إلهه ، بل كان ذلك من الأمور الخاصة التى يمتاز بها أسباده الفاتحون . هذا ونعلم من النقوش التى دؤنت على المباني أشياء أخرى ، إذ نعرف أنه قبل الغزو الأجنبي كانت توجد مدن لعبادة « ست » غير بلدة « سثرت » ومدينة « حوت وعمرت » (أواريس) مثل « را أخت » التى كانت تقع حتما فى إقليم « أواريس » وخلافا لهذه المعابد نعلم أن الإله « ست » كان يشغل مكانة ممتازة فى مقاطعته .

(١)

تانيس - أواريس - بررعسميس

لقد أشرنا في سياق عرضنا لهذا الموضوع إلى أن هذه الأسماء الثلاثة قد تدل على مدينة واحدة بعينها .

وفي الواقع أن النقوش التي لدينا قد لا تذكر لنا ذلك صراحة ، ولكن عندنا من الحوادث والأدلة التي تقصها هذه الآثار ما يعتمد عليه في إضحاك المعارضة التي أدلى بها الأستاذ « فيل » في أمر توحيد هذه البلاد (J. E. A., Vol. XXI) . هذا فضلا عن أن الأستاذ « مونييه » قد أدلى بشرح طويل في كتابه عن « حفائر تانيس » مبينا الأسباب التي جعلته يوحد « تانيس » مع « أواريس » وكذلك يوحدنا مع « بررعسميس » .

وقد وصل كذلك الأستاذ « جاردنر » في بحثه موضوع « بررعسميس » إلى نفس النتيجة التي تقول بتوحيد هذه المدن الثلاث . ويظهر لنا أن تفسيره وما أدلى به من حجج لا يمكن الاعتراض عليه كثيرا ، هذا إلى أن تفسيره للوحة « عيد أربعمائة السنة » الخاص بالإله « ست » يعدّ تفسيراً مقنعا إذ يقول : ولكن الاستنباطات المختلفة التي اقترحها الأستاذ « زيتيه » ينقصها الأساس الأصلي كما يظهر لي ، اللهم إلا إذا كان الإله « ستخ » المرسوم في المنظر الذي في أعلى اللوحة هو نفس « ستخ » صاحب « أواريس » وأن « تانيس » التي وجد فيها « مريت » اللوحة هي المدينة التي تشمل كلا من « ستخ رعسميس » و « ستخ أواريس » بوصفه إلهها المحلي . وبعبارة أخرى كانت « أواريس » و « بررعسميس » و « زعت » (تانيس) هي أسماء ثلاثة جاءت متتالية لبلد واحد بعينه . ثم يقول

(١) راجع : Montet, "Les Nouvelles Fouilles de Tanis", P. 15-28; ibid 29-32 & 164. ff.

غير أن البحوث الحديثة تميل إلى توحيد بررعسميس ببلدة قتيير وهو الرأي الذي دافع عنه الأستاذ حمزة بك في مقالة وعاضده فيه بعض الأثريين (راجع "Onomastica" Vol.II.P.172 & 278) . لا يزال يرى الموضوع مطلقا .

في مكان آخر في نفس المقال (P. 126) : وإني أظن الآن أنه حتى نفس التغيرات التي حدثت في الاسم يمكن أن تفسر تفسيراً مقبولاً . فن الجائر أن « أواريس » كان الاسم الذي عرفت به مدينة « تانيس » في عهد الدولتين القديمة والوسطى ، وليس لدينا من الأدلة ما يوحى بأنها أسست في عهد « الهكسوس » . على أن هذا ليس بالمثال الوحيد الذي نجد فيه أن مدينة مصرية قد غيرت اسمها في عهود التاريخ إذ نرى مثلاً أن « إنب حر » قد أصبحت تدعى منذ الأسرة الثامنة عشرة « من نقر » (منف) . ومن المحتمل أن السبب الذي دعا إلى تغيير اسمها هو أن المدينة القديمة التي كان يطلق عليها « حوت وعمرت » ، والتي أقامها الهكسوس لتكون حصناً منيعاً ، قد هدمها « الطيبون » عند إعادة فتحهم للبلاد وطردهم الهكسوس . ولما أسس « رعمسيس » الثاني عاصمة ملكه في هذا المكان سماها باسمه « بيت رعمسيس » ، غير أن الاسم القديم لم ينس كما يدل على ذلك اسم الإله « ست » صاحب « أواريس » الذي نجده على التماثيل القديمة التي اغتصبها « مرنبتاح » لنفسه دون أن يفتن لتغيير كل ما عليها من النقوش القديمة التي تدل على أصلها^(١) ، وقد كان أول اختفاء لاسم المدينة ، واسم الإله عند حدوث الانقلاب الحكومي في عهد الأسرة الواحدة والعشرين ، فأصبحت تسمى المدينة من وقتئذ « تانيس » وهذا ليس باسم جديد . إذ الواقع أن اسم « زعنت » (تانيس) لم يمر على السنة القصور مدة حكم الهكسوس ، وكما نجد اسم « را — أخت^(٢) » يظهر في قائمة هذا الإقليم ويليه بالتوالي « سحت زعنت » « غيط تانيس » و « حوت وعمرت » بوصفها أسماء لبلدة واحدة ، نجد كذلك أسماء « لطية » مثل « الأقصر »

(١) راجع : J. E. A. , 'The Problem of the Site of Avaris', Vol. XXI, (1935) P. 14. ff.

(٢) راجع : Mariette, "Monuments", Pl. 31. (Texte) P. 58.

و «الكرك» وقد تخلى القوم عن تسمية البلدة باسم «أواريس» تفاديا من استذكار اسم هذا الإله البغيض لهم ، وكذلك قضوا على معابده جملة ، غير أننا لانعلم الآن إلى أى مدى كان انتقال قلب المدينة بالنسبة لـ «تائيس» الأصلية . وقد بحث الأستاذ «فيل» مسألة موقع «أواريس» (J. E. A. Vol. 215. P. 10) قاصدا تفنيد القول بتوحيد «تائيس» و «أواريس» ؛ إذ يقول فى خلاصة مقاله : «ويمكن استنباط ما يأتى إن «تائيس» و «أواريس» كانتا محلتين ، وأن الإله «ستخ» قد استوطن كليهما مع قوم يدعون «المكسوس» ، وليس من الضرورى أن يكونوا ملوكا من أسرة «أوفيس» الذين تدل رواية «مانيتون» على أنهم نفس المكسوس الغزاة ، بل فى الواقع هم أولئك الغزاة أنفسهم عند ما أقاموا مستعمراتهم الأولى فى «الدلتا» قبل عهد «أوفيس» بحسب ما أصبنا من النجاح فى تصوير الصورة التاريخية التى شرحناها هنا . وبعبارة أخرى فإن استيطان الإله «ست» «تائيس» (وقد فهم الأستاذ «زيت» من هذه العبارة تأسيس «تائيس») وإقامة المكسوس فى «أواريس» . (ويلاحظ هنا أن «مانيتون» لم يذهب فى روايته الى حد تأسيس «أواريس») كانا حادثين تاريخيين لهما أهمية أعظم بكثير ، وهما وصول الآسيويين الجدد واستعمارهم للبلاد .

والواقع أن الأستاذ «فيل» قد بنى استنباطاته على أسس خاطئة . وهذا فيما يخص أولا فهمه لفق عصر المكسوس ، والعهد الذى غزوا فيه البلاد وعلاقته بالأسرة الثالثة عشرة . وهذا الموضوع قد بحث فى غير هذا المكان (Ed. Meyer "Gesch". I. §. 303)

أما أهم خطأ وقع فيه فهو قوله إن «ستخ» إله أجنبي قد أحضره الغزاة معهم من «آسيا» مع أنه هو نفس الإله «ست» المصرى كما شرحنا ذلك من قبل ، وبخاصة فى النقوش الخاصة بالموظف «بحرنفر» التى قدمت لنا برهانا آخر قاطعا بأن «ست» المصرى كان يعبد منذ الأزمان القديمة فى الشمال الشرقى للدلتا

بعد أن اتخذها موطناً له ، وبذلك هدم عماد يرتكز عليه مقال الأستاذ « فيل » . والواقع أن « ست » كان الإله المحلى منذ زمن بعيد في « أواريس » وقد اتخذها الهكسوس بمثابة إله حام للملكهم ، وقد رفعوه إلى مرتبة « ملك الآلهة » . والواقع أن لوحة أربمائه السنة لم تذكر لنا دخوله « تانيس » بل ذكرت لنا النقوش حقاً اسم المدينة التي استوطنتها الإله الحديد . ولم يبق علينا هنا إلا الاعتراف بصحة ما استنبطه الأستاذ « جاردنر » ، وأن اعتلاء « ست » المصرى (نبتى) عرش الملك لا يمكن إلا أن يكون في عاصمة الملك التي وضعها تحت حمايته ، وهذه كانت « أواريس » ، وفي ربوعها فقط يمكن للإنسان أن يعقد الاحتفال بعيدة ، ونصب لوحة تذكارية له .

وفي الختام يجب أن نبحث على وجه التحقيق في أى زمن اتخذ « ست » صاحب « أمبوس » (كوم امبو) بلدة « سثرت » موطناً له . وهذه الهجرة يمكن أن تكون قد حدثت في أى زمن ، ولكن يجب أن يعتبر الإنسان أمرين هامين : أولاً يجب أن يكون انتقال معبود من مملكة لمملكة أخرى عن طريق الفتح وذلك أن يستولى إله الفاتحين على أرض القوم المغلوبين ، وهذا ما حدث على سبيل المثال في عبادة « آمون » في السودان وفي المستعمرات الآسيوية ، إذ قد نقلها الفاتحون إلى هذه البقاع . ثانياً : لم يكن من المعقول أن الإله « ست » يؤسس بلدة جديدة تقام فيها عبادته في الوجه البحرى في وقت كانت سمعته سيئة فيه منذ القدم . غير أننا نعلم أنه كان يقطن منذ بداية الدولة القديمة في « سثرت » ، فيجوز في أمر هجرته إلى الشمال . أنها حدثت عند ما أخضع « ست » مملكة الإله « أوزير عترى » أمير مقاطعات شرق الدلتا ، أو عند ما قهر « مينا » الوجه البحرى وجعله تحت سيادة الجنوب ، وقد سلم الأستاذ « زيتيه » في كتابه عن عصر ما قبل التاريخ (Sethe, "Urgeschichte und Alteste Religion der Agypter", § 47. ff.) قد هاجر

منذ زمن يبعد بكثير عن « حور » معبود « دمنهور » نحو « ادفو » ، فقد هاجر أولا في العصر التاريخي إلى الشمال الشرقى من الوجه البحرى ، غير أنه لم يقدم لنا أى برهان على هذا الزعم . ولكن على حسب ما جاء عن العيد الذى كان يقام هنا للإله « ست » قبل الأسرة الرابعة يمكننا أن نبحث على ضوء الاحتمالين الذين قدمناهما للفصل فى هذا الموضوع ، ونرجح أن هذا الانتقال قد حدث فى أواخر عصر ما قبل التاريخ ، وذلك لأن حكام الوجه القبلى الذين كانوا قد أخذوا منذ الأسرة الأولى يخضعون الوجه البحرى تدريجا ، كانوا يعبدون كذلك الإله « ست » بوصفه الإله الحامى للملكة غير أن « حور » كان مع ذلك الإله الرئيسى ؛ ففى الحروب التى انعكست صورتها أماننا فى قصة « أوزير » كان « ست » إله الحرب فى الوجه القبلى هو المنتصر ، وقد اغتصب شرق الدلتا من « عزتى » سيد المقاطعات الشرقية . على أنه يمكننا من هذا أن نقرن استعمار جنوبى الوجه القبلى خلال سيادة « هليوبوليس » باستعمار الجزء الشرقى من الوجه البحرى بملوك أمبوس (كوم امبو) ، وقد كان هذا الاستعمار بلا شك قليل الأهمية جدا لأن المعلومات عنه كانت لا تتركز إلا على ذكر مقاطعة « سترويت » التى ذكرها مؤرخو اليونان .

تحديد تاريخ غزو الهكسوس لمصر

والآن نعود بعد أن أجلينا الموقف أمام القارئ عن الإله « ست » وعلاقته بالهكسوس وبالمصريين ، وبمدينة « أواريس » من كل النواحي إلى تحديد الزمن الذى أقيم فيه الاحتفال بعيد أربعائة السنة تخليدا لطرد الهكسوس من مصر . فالأستاذ « زيت » يظن أن ذلك العيد قد حدث فى عهد حكم الملك « حورمحب » حوالى عام ١٣٣٠ ق م على وجه التقريب مستنبطا ذلك مما جاء فى لوحة أربعائة السنة (89-85 A. Z. LXV. P. أى حوالى عام ١٧٣٠ ق م؛ على أن هذا التاريخ وإن كان مقبولا شكلا ، فإنه تعوره بعض عيوب يمكن التغلب عليها ؛ وعلى حسبه

تكون مدة حكم الأسرة الثالثة عشرة منحصرة في الفترة التي بين نهاية الأسرة الثانية عشرة أى سنة ١٧٨٨ ق م ونهاية هذا القرن . وتكون النتيجة الفعلية لهذا التفسير أن نعدّ الهكسوس قوما كانوا ذوي قوة سياسية في مصر لمدة قرن ونصف قرن من الزمان ، غير أننا لا نعرف الطريقة التي صار بها أولئك الأجانب قوة مهيمنة على البلاد خلافا لما نعلمه من أنهم اتخذوا من ضعف البلاد الداخلي قوة لأنفسهم ؛ وعلى ذلك فليس لدينا ما نستعين به على فهم هذه الحالة إلا الاستنباط ، وهو أمضى سلاح لدينا . فنجد من المعقول في هذه المناسبة أن يصتق الإنسان الحالة التي كانت ترزح تحت عبثها البلاد كما وصفها « ابور » الكاهن والمفكر المصري في العهد الإقطاعي الأول ، وأنها كانت تطبق على حالة البلاد في الواقع لو كان الإنسان يعيش فيها حوالى عام ١٧٠٠ ق م (راجع الجزء الأول من كتاب الأدب المصري القديم ص ٢٩٤ - ٣١٧) . وهذه الوثيقة كما فصلنا القول فيها تعطينا صورة عن العصر الإقطاعي الأول ؛ ولكنها في مجموعها كما يظهر تصوّر لنا حالة لا بد من وجودها ليتسنى للأسويين اغتصاب السلطة في أى وقت ، ولذلك نجد « ابور » يتحدث إلينا عن الفوضى التي عمت البلاد ودخول الأسويين أرض الدلتا فيقول : « تأمل إنما (الدلتا) في أيدي من لا يعرفها مثل أولئك الذين يعرفونها ، وأن الأسويين مهرة في مهن أرض المستنقعات » . ويلاحظ حتى في البلاد الخارجة عن حدود الدلتا أن الأجانب قد ضربوا بأعراقهم فيها . ولا بد أن بداية سيطرة الهكسوس السياسية قد اتخذت سبيلا مماثلة لتلك التي وصفناها . ولا غرابة في ذلك فقد مرّ بوادي النيل في عدّة مناسبات الدورة التي كانت تمثل فيها القوة فالانحلال فالاغتصاب ثم تنتهى في آخر المطاف باسترجاع قوتها ونهوضها ثانية .

الهكسوس وأثارهم الباقية

الواقع أننا لا نعرف إلا الشيء اليسير عن بداية عهد تسلط الهكسوس على مصر ، فنعلم أن الأسرة الخامسة عشرة قد نشأت ثم تلاشت وحلت محلها الأسرة السادسة عشرة على حسب ما رواه « مانيتون » لأن الوثائق التاريخية القيمة التي تساعد على فهم هذا العهد من تاريخ البلاد معدومة بالمتة ، وكل ما لدينا هو أسماء عدة ملوك لا يمكن ترتيبها ترتيبا تاريخيا متسلسلا ولذلك سنكتفى هنا بسردها وما ذكر عنها .

قسم « مانيتون » ملوك مصر في عهد الهكسوس إلى ثلاث أسرات فذكر أولا ستة ملوك ، يتألف منهم عهد الأسرة الخامسة عشرة وهم : (١) سالاتيس (٢) بنون (٣) وأباخناس (٤) وأبوفيس (٥) يناس (٦) وآست .

بعد ذلك جاء في مختصر « أفريكانوس » (Africanus) أسرة ثانية وهي الأسرة السادسة عشرة ، وعدد ملوكها إثنان وثلاثون ملكا ، ثم جاءت الأسرة السابعة عشرة ، وقد حكم فيها ثلاثة وأربعون ملكا من الهكسوس ومثلهم من الطيبين جنبا لجنب وانتهت بطرد الهكسوس على يد الفرعون « آمس » الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة . ولدينا في الوثائق المصرية ، والنقوش الأثرية ثلاثة ملوك من الهكسوس يحملون اسما واحدا مشتركا وهو « أبوفيس » ولكن ألقابهم مختلفة وهم :

(١) ملك الوجهين القبلي والبحري « ابن الشمس عاو سرع » = أبوفيس

(٢) الإله الطيب رب الأرضين « ابن الشمس نب خبش رع » = أبوفيس

(٣) الإله الطيب « عاقن رع ابن الشمس » = أبوفيس

وكذلك لدينا مجموعة من ملوك الهكسوس يحمل كل منهم لقب «حقاخاسوت»
(أى الهكسوس) وهؤلاء هم :

(١) حاكم البلاد الأجنبية « ستمن » (راجع G. Fraser, "A Catalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser (London, 1900), P. 24, No. 80).

(٢) حاكم البلاد الأجنبية «عانت هر» (من تل بسطة) (راجع ibid, P. 24 No. 180

وهذان الملكان لم يعرف لهما آثار غير الجمارين التى وجدت باسميهما .
(٣) حاكم البلاد الأجنبية « خيان » .

وكذلك عثر على مجموعة أخرى من الملوك يحمل كل منهم لقب «الإله الطيب» ،
ولم نعرف لهم آثارا عدا الجمارين وهم :

(١) الإله الطيب « عاحتب رع » (راجع H. R. Hall, "Catalogue of the Egyptian Scarabs in the British Museum" Vol. I. No. 283).

(٢) الإله الطيب « مرومرع » (راجع Newberry, "Scarabs", Pl. XXII. No. 27 - 30

(٣) الإله الطيب « وازد » (راجع ibid Pl. XXII. No. 7 9 .

(٤) الإله الطيب « خع وسمرع » (راجع ibid Pl. XXI No. 25 - 29 .

(٥) الإله الطيب « سمنع ن رع » (راجع ibid Pl. XXI. No. 19 - 22 .

(٦) الإله الطيب « ماع اب رع » (راجع ibid Pl. XXI, No. 1 8 .

(٧) الإله الطيب «نب تاوى رع» (راجع Hall, "Scarabs", No. 286 .

(٨) الإله الطيب « خع مورع » (راجع Newberry, "Scarabs", Pl. XXI. No. 30.

وتوجد كذلك مجموعة رابعة من الملوك يحمل كل منهم لقب « ابن الشمس » وقد عرفت أسماؤهم كلها على وجه التقريب من الجعارين فقط وهم :

(١) ابن الشمس « ششى » (راجع Hall, "Scarabs" No. 269) .

(٢) ابن الشمس « سكت » (راجع ibid No. 282) .

(٣) ابن الشمس « يعقوب هر » (راجع Newberry, "Scarabs", Pl. 23 No. 13 & Petrie, "History", I, P. 250 No. 146; Newberry, Pl. 23 No. 1 - 2; Hall "Scarabs", No. 284, 285; Fraser, "Coll.", No. 181.

(٤) ابن الشمس « إاع » (راجع Fraser, "Coll." No. 182) .

(٥) ابن الشمس « عامو » (راجع Newberry, "Scarabs" Pl. XXII. No. 14 - 18

(٦) ابن الشمس « فار » (راجع Newberry, "Scarabs", Pl. XXI. No. 23 - 24

ولدينا من آثار عصر متأخر أسماء ثلاثة ملوك من الهكسوس . إذ في عام ١٩٣٢ ضم إلى مجموعة متحف « برلين » قطعة كبيرة من جدار برقم ٢٣٦٧٣ ، وهى من مقبرة كاهن من « منف » يرجع تاريخها إلى عام ٧٠٠ ق م ، وقد ذون عليها هذا الكاهن شجرة سلسلة نسبه ، وكذلك دون عليها أسماء الملوك الذين عاش أجداده في عهد حكمهم ، ومن بين هؤلاء ثلاثة من ملوك الهكسوس^(١) . وهؤلاء الملوك الثلاثة هم :

(١) عاقن^(٢) (٢) و « شارك » (٣) و « ابب » .

(١) وأحسن مصدر لأسماء هؤلاء الملوك هو مقال الدكتور « باهو » وقد اعتمدنا عليه راجع : Borchartdt, "Ein Stamm baum Memphitischer Priester", Berlin 1932, Sitzungsberichte der Preussischer Akademie de Wissenschaften Phil-Hist. Klasse, (1932), XXIV S. 5 der Sonderausgabe.

(٢) ومعنى « عاقن » الحمار الشجاع مما يدل على أن الحمار كان مقدسا عند الهكسوس ولا غرابة في ذلك فإنه يشبه معبودهم الإله « ست » .

وقد وضعهم «بورخارت» بين عهد ملك يدعى «ابى» فى عصر الاضطرابات فى المدة التى تقع بين سقوط الأسرة الثانية عشرة ، وعهد الملك « نب بحقى رع » (أحمس الأول) مؤسس الأسرة الثامنة عشرة ، وقال عنهم لإنهم من ملوك الهكسوس ، وآخر واحد منهم وهو « ابب » (أبوفيس) قد ذكره « مانيتون » بالاسم ، على أن ذكر ملوك الهكسوس فى هذه القائمة مما يلفت النظر بوجه خاص ، وذلك لأنهم لم يذكروا فى قوائم الملوك الرسمية مما يدل على أنهم قد أغفل تدوينهم قصدا ، ومن بين الملوك الستة الذين تقلهم لنا « مانيتون » يمكن أن نعرف أسماء أربعة منهم على الآثار . وهم : (١) « بون Beon » أو « بنون » كما جاء فى « أفريكانوس » ونجد هذا الاسم فى «ورقة تورين» مكتوبا بلفظ «ينم» . (٢) وأباخنم Apakhnem (وقد كتب بلفظة « باخنم » فى أفريكانوس) ، وينبغى أن يكون هو الملك « عاقن رع أبوفيس » الذى نجده مدونا على الآثار ، وأخيرا « يونس » و « أبوفيس » وهما اللذان وحدا بسهولة مع « خيان » و « ابب » . ومن المحتمل أن الملك « آسث Aseth » هو ملك الهكسوس المسمى « حاسهر رع » .

ومما يوسف له جد الأسف أننا لم نجد على الآثار أى دليل يرشدنا إلى ترتيب هؤلاء الملوك كما ذكرنا من قبل ، وقد حاول « بترى » أن يرتب هؤلاء الملوك ترتيبا تاريخيا بوساطة اختلاف صناعة الجعارين المنقوش عليها أسماء هؤلاء الملوك ، غير أن ذلك لم يحد نفعاً ، ومن المعلوم أن جعارين عهد الهكسوس تختلف عن جعارين كل العهود المصرية كما أشار إلى ذلك الأستاذ « نيوبرى » .^(٢)

(١) Petrie, "Historical Studies" (London 1911). P. 13 ff. راجع

(٢) Hall, "Scarabs", P. 33; Pieper, "Skarabaen", in Pauly راجع

Knoll, Real Encyclopädie der Klassischen Altertum-Wissenschaft, 5 Halbband, P. 44.

على أنه لم يبق لنا من آثار الهكسوس إلا التزر اليسير وما تبقى منها يتضاءل
عند ما نعلم أن عددا عظيما من الآثار التي تركوها قد انتحلوها لأنفسهم باغتصابها من
الآثار القديمة التي تركها أسلافهم من ملوك مصر ، ولا أدل على ذلك من تماثيل
« بواهول » التي وجدناها منسوبة إليهم وهي في الأصل للملك « أمنمحات الثالث » .
والآن نلقى نظرة خاطفة على الآثار القليلة التي تركها لنا ملوك الهكسوس خلافا
للجمارين

آثار الملك عاوسر رع أبو فيس

وجد لهذا الفرعون بعض الآثار غير الجمارين منها لوحة كاتب مصنوعة من
الخشب وجدت في الفيوم وهي محفوظة الآن بمتحف « برلين » برقم ٧٧٩٨ ،
وهذه اللوحة كانت هدية من هذا الفرعون لموظف يدعى « إاثو » وقد جاء عليها
أنها من ملك الوجهين القبلي والبحري « عاوسر رع » بن الشمس « أبو فيس »
معطى الحياة مخلدا مثل « رع » كل يوم ، وابن الملك من جسمه ، والابن المحبوب
من « رع » ؛ و « إاثو » هذا كان كاتباً ملكياً ، ويلاحظ أن الكتابة التي على هذه
اللوحة مهشمة بعض الشيء ويمكن أن نقرأ عليها مديحا للفرعون بوصفه ملك مصر
كما يأتي : « صورة رع » الحية على الأرض ، والشجاع في يوم القتال ، ومن اسمه
أعظم من أى ملك آخر ، ومن شهرته قد وصلت حتى الأراضي الأجنبية » .

وكذلك عثر في « الجبلين » على قطعة أخرى من الحجر محفوظة بمتحف القاهرة
(راجع. (Daressy, "Rec. Trav." XIV, P. 26 (No. XXX) كتب عليها :
يعيش الملك الطيب « عاوسر رع » . وقد جاء ذكر هذا الفرعون في « ورقة رند »
الرياضية المحفوظة الآن بالمتحف البريطاني ، وقد ذكر فيها عام ٣٣ من حكم هذا

الملك وهو التاريخ الوحيد الذى حفظ لنا عن حكم ملك من ملوك الهكسوس^(١) .
وقد دون هذا التاريخ كما يأتى :

« السنة الثالثة والثلاثون ، الشهر الرابع من فصل الزرع ملك الوجهين
القبلى والبحرى « عاوسر رع » معطى الحياة » .

وفى مقبرة الملك « أمنحتب » الأول وجدت قطعة من آنية من الجرانيت
باسم الملك « أبو فيس » وأخته « هرتى » كتب عليها : ابن الشمس أبو فيس
الملك الطيب « عاوسر رع » والابنة الملكية « هرتى^(٢) » أما عن الجمارين التى عثر
عليها حتى الآن لهذا الفرعون فقد كتب عنها الأستاذ « فيل^(٣) » .

أثار الملك نب خبش رع (أبوفيس)



من أهم الآثار التى وجدت لهذا الفرعون خنجر من الشبه فى « سفارة » فى تابوت
شخص يدعى « عابد » (Daressy, "Un Poignard du Temps du Rois Pasteurs,"
A. S. VII, PP. 115 - 120, Pl. VII) ، وقبضته تشمل قطعة من الشبه مستديرة
السطح، وعلى وجهها منظر صيد يشاهد فيه صياد يرمى أسدا كما يشاهد غزال يقفز
فوق الأسد (؟) . (انظر الصورة ص ٨٨) .

(١) راجع E. Peet, "The Rhind Mathematical Pap." (Liverpool 1923).

(٢) راجع Gardiner, "The Egyptian Origin of the Semetic Alphabet",

J. E. A. 1916, Pl. I.

(٣) راجع Weil, "La Fin du Moyen Empire, PP. 794 - 5.



(٥) مقبض خنجر (من عهد الهكسوس)

وتحت منظر الصيد هذا نقش لقب صاحب هذا الخنجر الفاخر واسمه :
(تابع سيده «نخن») وهذا الاسم لم يرد إلا في هذا النص . وعلى الجانب الآخر
نجد النقوش التالية : ”الإله الطيب رب الأرضين ثم الاسم «نب خبش رع بن
الشمس» «أبوفيس» معطى الحياة“. وهذا الخنجر كما يقول الأستاذ «باهور ليب»

أقدم خنجر زين بالنقوش التاريخية المصرية ، ولصناعته أهمية عظيمة جدا ، إذ يذكرنا بخنجر الملك « أحمس » وكذلك يعتقد أن هذين الخنجرين بينهما ارتباط من جهة الصناعة وإن اختلفا بعض الشيء من حيث الزينة التي على كل منهما ، فخنجر « أبو فيس » قد رسم على مقبضه منظر صيد ، أما خنجر « أحمس الأول » فقد جاء الرسم على نصله ، وليس ثمة شك في أن الرسم الذي على نصله قد تأثر من حيث الفن والشكل بالفن الذي على قبضة خنجر الهكسوس . ويمكننا أن نحكم الآن بأن هذا الخنجر إنما هو تقليد من كل الوجوه لخنجر الذي كان يصنع في « كريت » و « مسينا » (راجع ، Fimmen, "Kret. Myken. Kultur", 1921, (P. 204.) .

وفي « المتحف البريطاني » « ملعة » من الطران نقش عليها العبارة التالية :
الإله الطيب رب الأرضين « نخبش رع » بن الشمس ومحبوه « أبو فيس » .
(راجع ، British Mus. No. 44988 & Weill, "La Fin du Moyen Emp". (P. 176, No. 3.) .

الملك عاقن رع (أبو فيس)



(١) يوجد الآن في « متحف برلين » قطعة كبيرة من إناء باسم هذا الفرعون ، عثر عليها في « ميت رهينه » وقد نقش عليها ما يأتي : الإله الطيب « عاقن رع » ابن الشمس « أبو فيس » معطى الحياة والسعادة .

(٢) وفي « متحف القاهرة » توجد له مائدة قربان من حجر الجرانيت الأسود ، ولا بد أنه قد عثر عليها في ضواحي القاهرة . وقد نقش عليها النص التالي :

« حور مهدئ الأرضين الإله الطيب » « عاقن رع » قد أقام هذا الأثر بمثابة ذكرى لوالده « ستخ » رب « أواريس » الذى جعل كل الأراضى تحت قدميه .
أما الكتابة التى على الجهة اليمنى فتحدثنا فضلا عن ذلك عن إهداء عمد الأعلام .^(١)

(٣) وفى « تانيس » عثر على تمثال للملك « مرمشع » أحد ملوك الأسرة الثالثة عشرة ، وقد كتب عليه فيما بعد النقش التالى « الإله الطيب » « عاقن رع » ابن الشمس « أبو فيس » معطى الحياة^(٢) ، مما يدل على أن الأخير قد اغتصب هذا التمثال .

ولدينا بعض آثار تنسب للوك الثلاثة الذين قد تسموا باسم « أبو فيس » ، غير أنه لا يمكننا أن نميز أى « أبو فيس » كان المقصود ، لأن اللقب الذى يدل على شخصيته لم يذكر .

فلدينا أولا قطعة من قاعدة آنية موجودة الآن « بمتحف برلين »^(٣) وقد كتب على الجزء الأمامى منها « أنها مهداة للإله « متو » سيد « طيبة » من « سنوسرت » الأول محبوبه » . أما على الخلف فقد نقش ما يأتى : ... « أبو فيس » معطى الحياة » وقد ذكر كذلك اسم الأخت الملكية « ثانى (Thany) وحامل الخاتم ... وهذا دليل على أنه اغتصب من « سنوسرت » الأول .

(٤) وكشف فى « تل بسطه » عن قطعة من الحجر خاصة بنقوش مبان الملك يحمل اسم « أبو فيس » وهى الآن « بالمتحف المصرى »^(٤) وقد نقش عليها

(١) راجع : Ahmad Kamal, "Cat. des Antiquities Egypt. du musée du Caire "Tables d'Offrandes", Le Caire 1909 Vol. I. P. 61.

(٢) راجع : Petrie, "Tanis" Pl. III. 17c.

(٣) راجع : Berlin No. 22487 ; Labib, "Die Herrschaft der Hyksos in Agypten und ihr Sturz", P. 30, Pl. 6.

(٤) راجع : Naville, "Bubastis", Pl. 35c.

« أن ابن الشمس » « أبو فيس » معطى الحياة قد (صنع) عددا عظيما من عمد الأعلام ومصاريع لأبواب من النحاس لهذا الإله .

(٥) صاجات وجدت في « دندره » باسم ملك يدعى « أبو فيس » (راجع A.Z. XXXIX, P. 86) .

(٦) وفي « كاهون » وجد خاتم من خشب لملك يدعى « أبو فيس »^(١) .

الملك سوسرن رع خيان



كان الملك « خيان » الذى جاء ذكره فى قائمة « مانيتون » وعلى الآثار من أعظم ملوك الهكسوس الذين حكموا مصر ، وقد ذكر اسمه فى قائمة « مانيتون » على ما يظهر باسم « يناس » Jannas وآثاره منتشرة فى جهات مختلفة ، وقد مثل على جعارين عدة وأختام باسمه ، ومنها نعلم أنه كان يحمل الألقاب التالية : (١) حاكم البلاد الأجنبية « خيان »^(٢) . (٢) الإله الطيب « خيان » أو الإله الطيب « سوسرن رع »^(٣) . (٣) حاكم المجندين « خيان »^(٤) . (٤) ابن الشمس « سوسرن رع »^(٥) أو ابن الشمس « خيان » ، وكذلك أصبح يحمل اللقب الحورى « حور » ضام الأرضين ، الإله الطيب أو ابن الشمس « خيان » محبوب قرينه

(١) راجع : Petrie, "Illahun, Kahun and Gurob" Pl. XII, P. 16.

(٢) راجع : Fraser, "Coll". No. 178; Newberry, "Scarabs" Pl. XXII, 20-22 & Pl. VII. 7; Petrie, "History". I. P. 252.

(٣) راجع : Fraser, "Coll". No. 176; Newberry, "Scarabs" XXII, 23.

(٤) راجع : Seal Cylinders, Petrie, "History". I. P. 252.

(٥) راجع : Fraser, "Coll". No. 176; Newberry, "Scarabs" XXII, 22.

(كا) . وقد كان المنتظر أن يقول محبوب إلهه بدلا من لفظة « قرين (كا) » . وهذا اللقب وجد منقوشا على تمثال قديم من الدولة الوسطى محفوظ الآن بالمتحف المصرى . وفى « متحف ليدن » يوجد له خاتم من الذهب لا يعرف فى أى مكان عثر عليه .

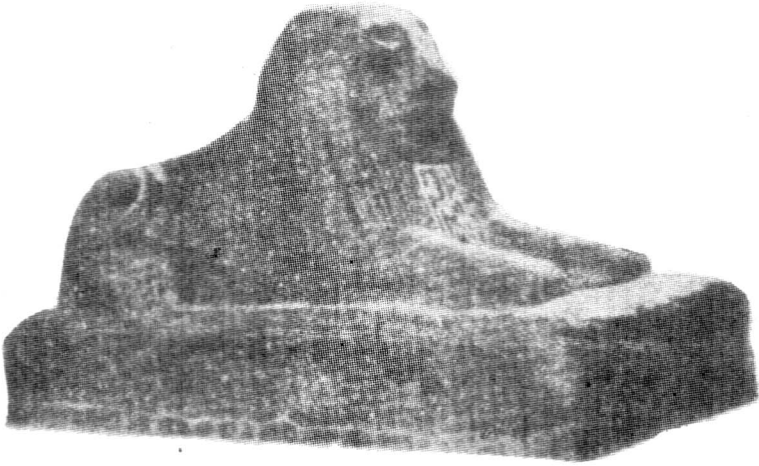
على أن أهم ظاهرة فى حكم الملك « خيان » هى وجود آثار له خارج القطر المصرى فى جهات نائية بعيدة جدا لدرجة أن بعض المؤرخين ظن أن مملكته قد مدت أطرافها إلى تلك البقاع . فقد وجد له آثار فى « سوريا » و « فلسطين » من جهة ، وفى « بغداد » و « كريت » من جهة أخرى . أما عن وجود جعارين باسم هذا الملك فى « سوريا » و « فلسطين » فلا غرابة فيه ؛ لأننا نرى أن هذين القطرين كانا ضمن البلاد التى يسيطر عليها المكسوس أيام عظمة مجدهم^(٢) .

وأما عن وجود آثاره فى « بغداد » و « كريت » فيرجع إلى سبب آخر . والواقع أنه قد عثر على تمثال أسد صغير ارتفاعه نحو ٢٥,٤ سنتيمترا وطوله نحو ٤٨,٢ سنتيمترا نقش عليه اسم « خيان » : الإله الطيب « سوسرن » رع . وهذه العبارة قد نقشَت على صدر هذا الأسد^(٣)

(١) راجع : Naville, "Bubastis", Pl. XII; Borchardt, "Statuen und Statuetten von Königen und Privatleuten", P. 62.

(٢) راجع : Palestine Exploration Fund Quarterly Statement, 1904. Pl. VI. P. 224. No. 16. Gezer-S. Macalister, "The Excavation of Gezer" (London 1912) I. P. 253; III P. 204. Fig. 20.

(٣) راجع : Catalogue of British Museum No. 987; Budge, "Guide", P. 97, No. 340.



(٦) أسد عثر عليه في بغداد من عهد الهكسوس

وهذا التمثال قد اشترى في « بغداد » من تجار الآثار ؛ أما في « كريت » فقد كشف الأثرى « إيفان » في أثناء أعمال الحفر التي قام بها في هذه الجزيرة في أساس قصر « كنوسوس » الثاني ، عن غطاء آنية من المرمر باسم « خيان » ؛ وقد نقش عليه النص التالي : « الإله الطيب سوسرن رع بن الشمس « خيان » ؛ وهذه القطعة محفوظة الآن بمتحف « كندية » عاصمة جزيرة « كريت »^(١). والسؤال الهام هنا هو : كيف تسربت هاتان القطعتان الأثريتان إلى « بغداد » و « كريت » ؟ أما من جهة الأسد الذي وجد في « بغداد » فإن الجواب على وجوده في هذه البقعة بسيط ؛ إذ من الجائز أنه قد وصل إلى « بغداد » عن طريق التجارة وحسب ، وبذلك لا يدل قط على اتساع رقعة ملك الهكسوس حتى بلاد النهرين كما يدعى

(١) راجع A. Evans ; "The Palace of Minos at Knossos", (1921)

I, P. 419. Fig. 304. b.

ذلك الأستاذ (ادوردير . Gesch I. §§ 306.& 307) ، إذ بهذا الادعاء يكون الهكسوس قد مدّوا سلطانهم حتى « بابل » و « كريت » . والواقع أن وجود مثل هذه القطع المفردة في مثل هذه الجهات النائية لا يمكن أن يكون إلا عن طريق التجارة أو الهدايا وبخاصة في « كريت » التي كانت مصر على اتصال تجارى بها وبغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط . وإذا كان سلطان الهكسوس قد امتد فعلا إلى « بابل » و « كريت » لكان من المعقول . بل ومن الضروري أن نجد فيهما قطعاً كثيرة من الآثار تثبت هذه السيطرة وتؤكدّها ، ولكن من المتظر كذلك أن يجد الإنسان تأثيراً فنياً بابلياً أو كريتياً في هذه القطع ، ولكن الواقع أنها مصرية بحثة في صورتها وصناعتها .

وهذا هو كل مانعلمه عن ملوك الهكسوس في عهد الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة . أما عن ملوك مصر فإننا لا نعلم عنهم شيئاً في ذلك العهد ، إلى أن ظهر على الآثار ملوك مصريون ، وهم الذين عدهم « مانيتون » فراعنة الأسرة السابعة عشرة وقد اتخذوا مدينة « طيبة » عاصمةً لملكهم وهي التي كان يحكم فيها ملوك الأسرة الثالثة عشرة . وعلى يد ملوك هذه الأسرة بدأ النضال لطرد الغزاة من البلاد . وقبل أن نشرح الحروب التي انتهت بهزيمة الهكسوس وإقصائهم عن البلاد جملة سنتكلم ببعض الاختصار عن فراعنة هذه الفترة وما جرى في عهدهم من أحداث ، وبخاصة لأن هذه الفترة من تاريخ البلاد غامضة . والواقع أن تاريخ أواخر الأسرة السابعة عشرة قد بقي مبهماً حتى جمع الأستاذ « ونك » شتات المعلومات الخاصة بتاريخ ملوكها^(١) مما سهل علينا فهم سير الحوادث التي أدت إلى نزح النير عن عاتق البلاد على يد أبنائها من الفراعنة الأعماد . (انظر مصوّر طيبة الغربية) .

(١) راجع : J. E. A., X. (1924) P. 217-277.

فراعنة الأسرة السابعة عشرة نختم رع واج خع = رع حتب

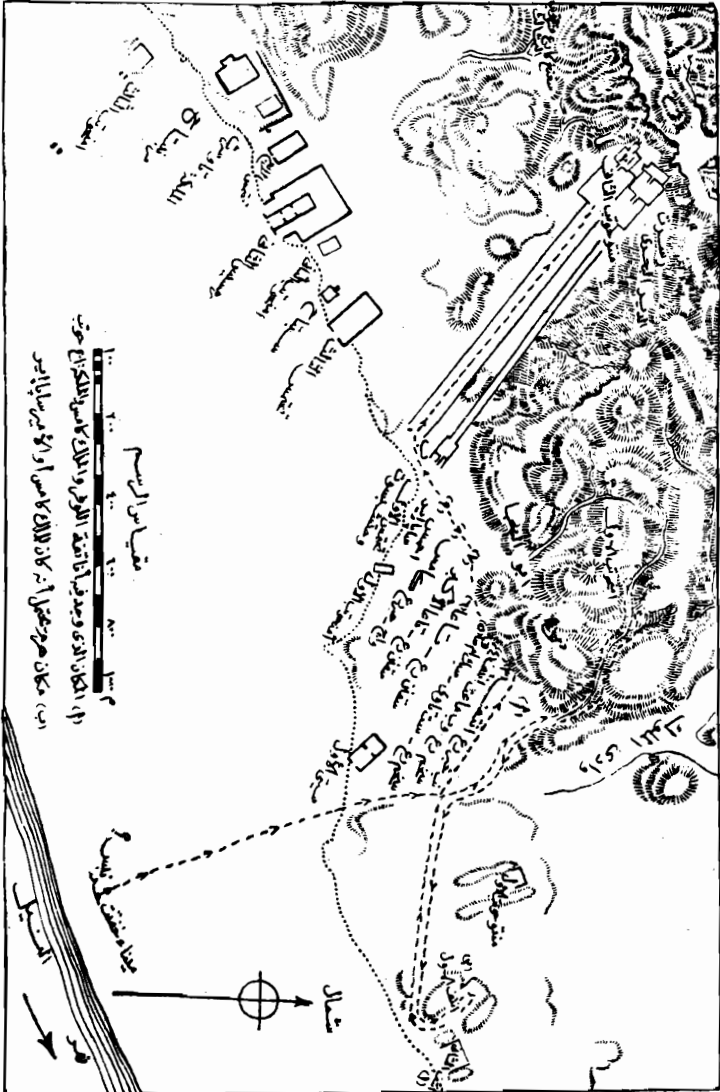


يعتقد الأستاذ « ونلك » أن مقبرة هذا الفرعون موجودة في جبانة « طيبة » الغربية غير أنه لم يعثر عليها حتى الآن ، وقد عزز رأيه هذا بالقصة الخرافية التي كانت شائعة في « طيبة » في عهد الأسرة العشرين ، وهي القصة التي تحدثنا عن المخاطر الخارقة للألوف التي قام بها الكاهن الأعظم ، للإله « آمون » في أثناء بحثه عن موقع قبر . وقد وقعت حوادث هذه القصة في عهد الفرعون « رع حتب » (راجع كتاب الأدب المصري القديم ص ١١٨) (J. E. A. Vol. 10. P. 265-7).
وقد عثر له على عدة جمارين .^(١)

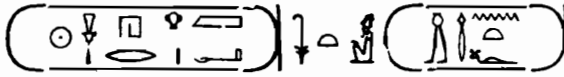
وكذلك وجدت له لوحة بالمتحف البريطاني عليها طغراؤه^(٢)

(١) .راجع : Gauthier., "L. R". II. P. 89.

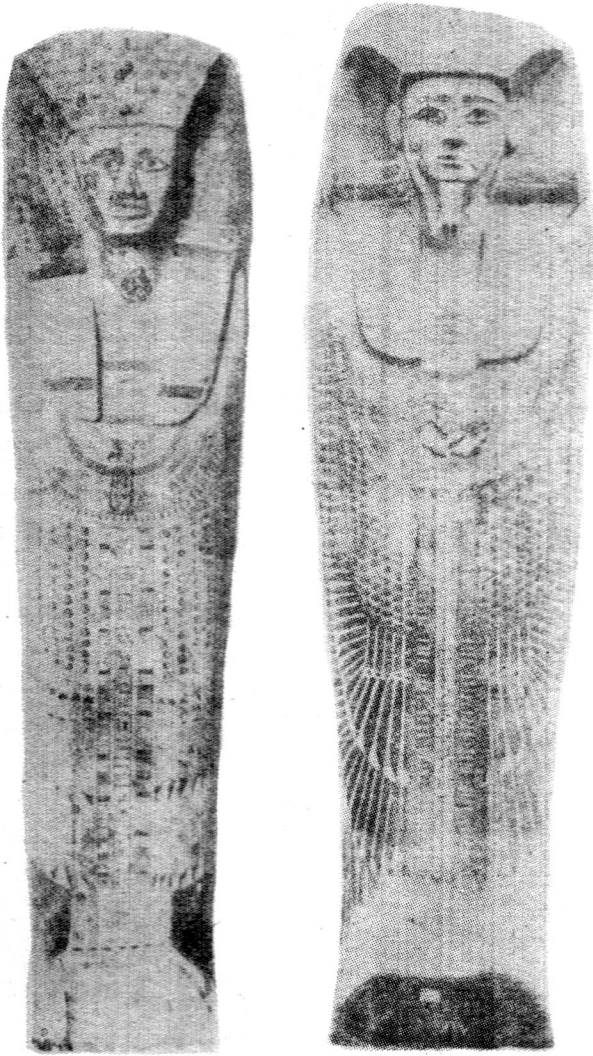
(٢) .راجع : B. M. Stelae, IV. Pl. XXIV.



الملك نخم رع هروهر ماعت - انتف



عثر على تابوت هذا الفرعون في جبانة « طيبة » ، وقد كان أحد تابوتين اشتراهما « مريت » عام ١٨٥٤ ، غير أنه لم يوفق للكان الذى دُفن فيه ، ويحتمل أنه وجد بالقرب من جبانة « ذراع أبو النجا » فى الضفة الغربية للأقصر . وتدل صناعة التابوت الخشنة على أنه قد اشترى من متعهد يبيع التوابيت بخاصة ، وتدل خشونة صناعته ، وعدم وجود آثار أخرى قط لهذا الفرعون على أنه مات بعد توليته العرش مباشرة أى قبل أن يجهز لنفسه أثاثاً جنازياً أو يكون له وارث يقوم له بذلك . وتابوت هذا الفرعون محفوظ الآن بمتحف « اللوفر » وهو من الخشب .
(انظر ص ٩٨) .



الملك وازخبرع — كامس

(٨) الملك سخم رع هروحرامت — انتف

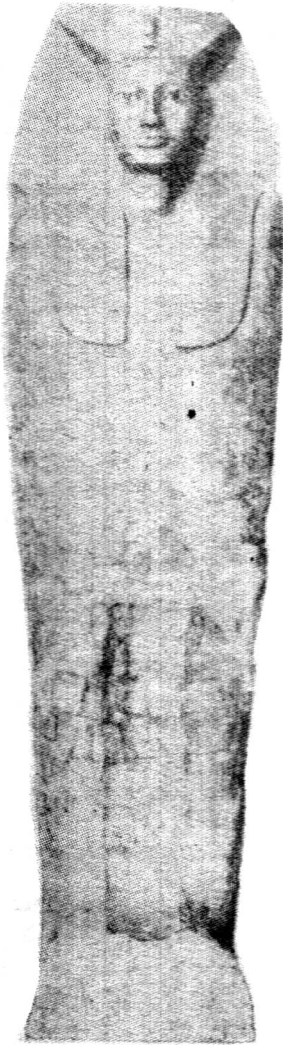
الملك سخم رع وب ماعت - انتف عا



إن أهم المعلومات التي وصلت إلينا عن هذا الفرعون جاءت عن طريق «ورقة أبوت» الخاصة بإجراء فحص مقابر الملوك في عهد الأسرة التاسعة عشرة أيام حكم الفرعون «رع عمسيس التاسع»، وقد جاء فيها عن هرم هذا الفرعون العبارة التالية: «هرم الملك سخم رع وب ماعت» له الحياة والسعادة والصحة ابن الشمس أنتف «عا» (الأكبر) له الحياة والسعادة والصحة: لقد وجد أن اللصوص كانوا في طريقهم إلى نقبه، عند المكان الذي كانت مقامة فيه لوحة الهرم. وقد فحص في هذا اليوم ووجد أنه لم يمس بسوء، إذ لم يكن في مقدرة اللصوص أن يقتحموه^(١). والنقطة الهامة في هذا النص هي ذكر موضع اللوحة، وهو المكان الذي كان يرجح أن يكون النفق تحته عادة أو الممر الذي يؤدي إلى حجرة الدفن. وقد عثر على قبة هرمه المصنوعة من الحجر الجيري الأبيض، والظاهر أنها وجدت بالقرب من مقبرة هذا الملك، وقد نقش عليها «حور وب ماعت» ملك الوجهين القبلي والبحري «سخم رع وب ماعت» بن الشمس «أنتف الأكبر أنجبه... ووضعت الأم الملكية والزوجة الملكية العظيمة التي ارتدت التاج الأبيض الجميل...». وهذا النقش من الأهمية بمكان من الوجهة التاريخية، إذ يؤكد لنا أن «أنتف» الأكبر هذا كان وارتا شرعيا لللك لأنه ولد من أبوين ملكيين، ويحتمل جدًا أن تابوته الذي كتب عليه «أنتف» الأكبر هو الموجود الآن «بمتحف اللوفر». والمعروف أن هذا التابوت قد وجد مع الملك «سخم رع وب ماعت» و«حرمات أنتف» السالف الذكر في خيثة تقع في أقصى جبانة «ذراع أبو النجا»^(٢). ويمتاز هذا التابوت من الوجهة

(١) راجع : Abbot pap. Pl. II. line 16; Breasted, A. R. IV § 516.

(٢) راجع : Chabas, "Rev d'Arch." (1859), P. 269.



الملك نب خروع - أننف



(٩) الملك سخم رع وب ماعت - أننف عا

التاريخية بأنه كان قد صنع بمثابة هدية من أخيه الملك « أنتف » محبوب « أوزير » إلى الأبد . والظاهر أن « أنتف » الذى أهدى أخاه « أنتف عا » تابوت وأشرف على معذات جنازه هو الفرعون « نب خبر رع » الذى يوجد تابوته الآن بالمتحف البريطانى . وخلاصة القول أن « مخم رع وب ماعت أنتف الأكبر » (الذى يوجد تابوته وأوانى أحشائه فى متحف اللوفر) قد قام بدفنه «نب خبر رع أنتف » الذى يوجد تابوته فى « المتحف البريطانى » وأن « أنتف » الأكبر كان ابن ملك ، ومن سلالة ملك وملكة ، غير أنه مات صغيرا دون أن يترك وارثا على العرش . أما قبره فليس لدينا إلا إشارة واحدة مبهمة عن مكانه ، وهى أن قبر الأخوين كانا متقاربين (راجع 7 - J. E. A. Vol. X, P. 236) .

الملك نب خبر رع - أنتف



يظهر من تقرير « ورقة أبوت » أن قبر هذا الفرعون كان بوجه عام فى واجهة « جبانة ذراع أبو النجا » فى الطرف الشمالى من الجبانة ، هذا إذا سلمنا بأن تقرير المفتشين كان قد عمل على حسب ترتيب وضع القبور ، وقد أثبت الكشف التى قام بها « مريت » فى هذه الجهة أن هذا القبر كان فعلا فى « ذراع أبو النجا » .^(١)

أما فى « ورقة أبوت » فقد جاء تقرير المفتشين عن قبره ما يأتى : " مرم الملك « نب خبر رع » له الحياة والسعادة والصحة ابن الشمس « أنتف » . لقد وجد أن القصر كانوا جاذين فعلا فى قبره ، قد حفروا وفقا طوله ذراعان ونصف ذراع فى جداره الخارجى ، وذراع فى الجهة الخارجية

(١) راجع : Maspero, "Bibliothèque Egyptologique". 18. Pl. CXIII, and Abbot Pap. Pl. II, lines 11, 12 ff.

لقبر رئيس حلة قربان بيت « آمون » « شوى » الخوفى ولم يصب قبر الملك بسوء، وذلك لأن اللصوص لم يتمكنوا من اقتحامه^(١)، والواقع أن كل مانستفيده من الوصف الذى جاء فى هذا التقرير أن القبر كان له جدار خارجى نقب فيه اللصوص نفقا طوله حوالى متر وثلاثة سنتيمترات دون أن يصلوا إلى حجرة الدفن، وقد وجد أمام هذا القبر عدة قطع من مسلتين كانتا قائمتين أمامه، طول الأولى ثلاثة أمتار ونصف متر، وطول الأخرى ثلاثة أمتار وسبعون سنتيمترا . وقد نقش عليهما فى أربعة أسطر عمودية ألقاب الفرعون « نب خبرورع » بن الشمس « أنتف » لمحبوب الإله « أوزير » « وسبد » (Sopd) رب الجبال الشرقية ، « أنوبيس » رب الأرض المقدسة (تاجسرت) . والظاهر أن قبر هذا الملك كان قد وجد سليما عام ١٨٢٧ كما كان فى عهد « رعمسيس التاسع » وقد نهبه رجال قرية « القرنة » المدترين على سرقة المقابر . وقد كان هذا القبر يحتوى على حجرة واحدة وجد فى وسطها تابوت محفور فى أصل الصخر، وفى قلبه تابوت من الخشب مذهب ومحل بأشكال يغلب فيها رسم الريش، وقد كتب عليه « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى » « أنتف » (انظر ص ١٠٠) وتدل الآثار التى تركها هذا الفرعون على أنه كان ذا جد ونشاط، وأن الدم المصرى الخالص كان يجرى فى عروقه على الرغم مما أصاب البلاد من التمزق والكوارث التى سببها الفتح الأجنبى . وأكبر برهان على ذلك المرسوم الذى نقشه على مدخل باب جميل بناه « سنوسرت » الأول فى معبد « قفط » (راجع Petrie, "Koptos", Pl. VIII) ويلوح من مضمون هذا المرسوم أن شريفا يدعى « توتى » بن « منحوتب » قد اشترك فى مؤامرة مع أعداء الملك، وأن هذا المرسوم الذى دونه هذا الفرعون هو إعلان بنى هذا الشريف عقابا له على فعلته . ويحتمل أن الأعداء المشار إليهم فى المرسوم هم « الهكسوس » حكام الدلتا ، وربما كانوا قبائل الصحراء الذين كانوا ينتمون إليهم . وهالك نص المرسوم كما جاء على هذا الأثر : " السنة الثانية الشهر الثالث

اليوم الخامس والمشرون من حكم الملك « نب خبر رع » بن الشمس « أنتف » الذى منح الحياة مثل إله الشمس مغلداً . أمر ملكى لحامل الخاتم أمير « فقط » المسى « منحات » ولابن الملك وحاكم « فقط » « قانز » ولحامل الخاتم كاهن الإله « مين » ولكتاب المعبد « قرحنب ور » ولكل جنود « فقط » ولكل موظفى المعبد : « تأملوا إن هذا المرسوم قد صدر إليكم ليجعلكم على علم بأن جلالتى قد أرسل كاتب الخزانة المقدسة للإله « آمون » وكذلك المسى « سامون » وكبير رجال المحكمة ليقوموا بتحقيق فى معبد « آمون » وقد جاء من أجل ذلك موظفو معبد والدى « آمون » إلى جلالتى بتقريرهم قاطعين : إن مكروها يوشك أن يقع فى هذا المعبد ، وذلك أن « توتى » بن « منحوب » لمن اسمه قد تسرق على الصدور . فليطرد من معبد والدى « مين » وليحرم وظيفته فى المعبد (هو وذريته) من ولد لولده ووارث لوارث . وليصبح طريداً من الأرض ، وليحرم نصيبه من الخبز والحم (الذى كان دخل وظيفته) ، وليجعل اسمه منسباً فى هذا المعبد ، وذلك على حسب ما يستحقه فرد مثله قد ثار وروى وجهه نحو أعداء إلهه . ولتحج ذكريات اسمه فى معبد « مين » وفى « الخزانة » وفى كل وثيقة أيضاً .

وأى ملك أو أى حاكم سيصطحبه دعوت عليه أن يحرم التاج الأبيض ، ولا يلبس التاج الأحمر ، وألا يجلس على عرش « حور » الملك الحى ، وألا يفوز بعطف ربحى العقاب والصل .

وأى حاكم أو موظف ينصح الفرعون بالقعوده أمسى أهله ومناعه وأملاكه ملكاً لوقف والدى « مين » رب « فقط » . وكذلك يجب ألا يظن فى وظيفته أى فرد من أسرته ، أو أقارب والده أو والدته ، بل يعطى حامل الخاتم والمشرف على الأملاك الفرعونية « منحات » وظيفته على أن يعطى ما يخصها من خبز ولحم ، وأن يثبت ذلك كتابة فى معبد والدى « مين » رب « فقط » وكذلك يكون ذلك (تسله) من ولد لولده ووارث لوارث .“

على أن ما يلفت النظر فى هذا المرسوم أن هذا الفرعون على ما يظهر كان يحذر ملوك المستقبل بأنهم لن يصلوا إلى عرش الملك إذا أظهروا الرحمة مع الجائعين ، وذلك يوحى بأنه فى هذا الوقت كان فى مقدور الفرد أن يكون فرعوناً ، وأن البلاد كانت فى الواقع محكومة بملوك صغار ، كل مستقل فى مملكته . ولا شك فى أن عدد هؤلاء الملوك كان أقل فى هذا العهد عنه فى العهد الإقطاعى الأول . يضاف إلى ذلك أن مرسوم الملك يشعر تماماً بأنه كان فى استطاعته أن يتدخل فى أمور رعاياه ، وإن كان يستعمل هذا الحق لكل قوّة غير أن هذه القوّة على ما يظهر

كانت منحصرة في طرد المجرم وحرمانه أملاكه ، وفي ذلك نرى منتهى الرقة والإنسانية التي كانت يتحلّى بها المصري إذا وازناها بالوحشية وحب سفك الدماء والغلظة التي كانت شائعة بين الأقوام القديمة الأخرى المعاصرة .

وقد أقام هذا الفرعون مباني كانت قد تهدمت في معبد « قفط » . وقد عثر على عدّة ألواح من الحجر مغطاة بالرسوم والكتابة في معبد « قفط » خاصة بمعبد هذا الفرعون نرى عليها أن هذا الفرعون يقدّم قربان للإله « مين » والإله « حور » وإلهه . وكذلك نلاحظ أنه قد أقام مباني عظيمة في « العرابة »^(٢) . وقد كشف « بترى » غير عمد وأحجار منقوشة من هذا المعبد ، عن لوحين بين خرائبه ، يشاهد على أحدهما الفرعون وابنه نحت الذي كان بلقب قائد الرماة ، واقفاً أمام صورة مهشمة للإله « أوزير » وعلى الثانية يشاهد الملك « انتف » وحامل خاتمه « اعح نفر » أمام الإله .

الملكة سبكاسف

أما زوج هذا الفرعون المسماة « سبكاسف » فتدلّ الكشف على أن مسقط رأسها « إدفو » ، وهي من أصل ملكي إذ كانت تلقب « الزوجة الملكية العظيمة التي ترتدى التاج الأبيض » « سبكاسف » ؛ وقد دفنت في « إدفو » مع أتباعها ، وأصلحت الملكة « أعح حتب » قبرها ، وقد عثر عليه ثانية ، ونهب في الأزمان الحديثة^(٣) .

وعثر لهذه الملكة على قلادة في « إدفو » وقد كتب مع اسمها اسم الفرعون زوجها^(٤) ، وكذلك وجدت وسادة لرئيس خرائنها ، وهي محفوظة الآن بالمتحف

(١) راجع : Petrie, "Koptos", Pl. VII.

(٢) راجع : Petrie, "Abydos", I ; Pls. VI, VII ; II XXXII.

(٣) راجع . Lacau, "Steles du Nouvel Empire", 34009 & Urk, IV. P. 29.

(٤) راجع : P. S. B. A., (1902), P. 285, & Brit. Mus. No. 23068.

البريطاني . ومن الآثار الصغيرة التي وجدت لهذا الفرعون رأس فهد من الخزف الأزرق، ومثله على تمثال صغير يظهر فيه الفرعون متصرا على الأسبوين والسود، وربما دل ذلك على أنه كان في حرب مع الهكسوس في الدلتا ، كما يشعر بذلك مرسوم « قفط » السابق ^(٢) . هذا وتوجد عدة جعارين له ، جمع حتى الآن منها نحو ثلاثة عشر ، كلها من طراز واحد ، هذا فضلا عن خاتم أسطوانى الشكل كتب عليه اسم هذا الفرعون ومعه آخريدعى « واح نب رع » وربما كان الأخير أحد صفار ملوك هذا العصر ^(٣) ؟

الملك نخم واز خع . سبك امساف



تدل شواهد الأحوال على أن قبر هذا الفرعون يوجد بالقرب من قبر الملك « نب خبر رع انتف » السالف الذكر (راجع J E A. Vol. 10, P. 269) في « ذراع أبو النجا » وهذا الملك قد وجد له عدة آثار أهمها :

(١) تمثال واقف من الجرانيت الأحمر في حجم ثلاثة أرباع القامة الطبيعية وجد في « العرابية المدفونة » ، وقد نقش عليه اسم هذا الفرعون (راجع Mariette, "Abydos", II, P. 26.)

(٢) تمثال صغير بدون رأس من البازلت الأسود يحتمل أنه وجد في « طيبة » ^(٤) وكذلك عثر له في « تانيس » على مسلة صغيرة باسمه (راجع A. S. Vol. VI. P. 284.) ومن الواضح أن هذا الفرعون قد أرسل حملة إلى وادى الحمامات لأن طفرام

(١) راجع : Petrie, "History", I, P. 273.

(٢) راجع : ibid P. 273,

(٣) راجع : ibid P. 273,

(٤) راجع : Petrie, "History", P. 235 fig. 136.

« هرم الملك » محم رع شداوى « له الحياة والسعادة والصحة ابن الشمس » سبك ام ساف « له الحياة والسعادة والصحة . لقد وجد أن الصوص قد اقتحموه وذلك بنقب يؤدى للحجرة السفلية الهرم من الجرة الخارجية لقبر « نب آمون » مدير مخازن التلال لك « منبر رع » (تخمس الثالث) . وقد وجدت جرة دفن الملك خاوية من سيدها وكذلك جرة الزوجة الملكية الطيبة « بتخمس » ، إذ قد وضع الصوص أيديهم عليها . وقد قام الوزير والأشراف والمتفتشون بجمعها ، لحرق الطريقة التي بها استول الصوص على الملك وزوجه ؛ وقد كان خبر هذه السرقة موضوع حديث طيبة في تلك الليلة ^(١) ، غير أن الصوص كانوا قد وضوا في الأطلال وحقق معهم بمعنى مزدوجة ، وفي اليوم التالى سيقوا إلى القبر ليحقق معهم ثانية في محل وقوع الجريمة ، وقد دزن الاعتراف الذى ائتمتع منهم في أثناء هذا التحقيق الأخير بنون « لخص هرم الملك محم رع شداوى » وحفظ في سجل الجبابة مع لخص الأمرام بين الوثائق الخاصة بالصوص ، وهى التى كانت في الآنية الأخرى .

وتوجد قائمة هذا الإناء المفعم بالوثائق في مجموعة « امبراس » . وكذلك قد حفظ لنا جزء من الوثيقة التى دُون فيها اعتراف اللصوص في « ورقة امهرست » ^(٢) . وقد فقد جزء كبير جدًا من هذه الوثيقة ، وليس لدينا منها إلا صفحة باقية ضاع منها الأسطر الأربعة الأولى ، وكانت تحتوى على وصف اقتحام اللصوص حجرة دفن الملك حيث وجدوه راقدًا . والجزء الباقى من الصفحة يقص علينا كيف اقتحموا جرة الزوجة الملكية (لها الحياة والسعادة والصحة) من مكان جدارها الخارجى ، وقد كانت مسقوفة محاطة بـ ... والملاط ومنظاة بكل من الحجر ففقدنا فيها جميعها ، ووجدنا عند حيطانها أيضًا قنحتا تابوتيهما ، وصندوقيهما اللذين كانا فيهما ووجد موميّة الملك التخم ، وقد كان مسلحًا بسيف (؟) ، وكان هناك مجاميع مذة من التمام والحلى من الذهب حول عنقه ، وكان تاجه وأكالبه المصنوعة من الذهب على رأسه ، وكانت موميّة الملك القانحة كلها منشأة بالذهب ، وكان تابوته الخشبي مموّها بالذهب والفضة من الداخل والخارج ومرصا بكل نوع من الجرانيتين الفانر فائزعا الذهب الذى كان يكسو موميّة هذا الإله وكذلك تمازيده ، والحلى التى كانت حول عنقه ، والتابوت الذى كان ينطبع فيه ،

(١) راجع : Pap. Abbot, Breasted A. R. IV § 528.

(٢) راجع : Newberry, "The Amherst Papyri", P. 25, Pl. V; Breas-

ted, A. R. IV § 538.

كما وجدنا الزوجة المصكبة ، وانتمنا كل ما كان يوجد معها أيضا ، وأسطنا التارفي تابوتيهما ، ومرقا الأثاث الذى وجدناه معهما ، ويشتمل على أوران من الذهب ولقضة والشبه ، وقسنا الذهب الذى وجدناه مع هذين الإلهين ، ما كان منه على موبنيتها وعلى تصاريدهما وعلى حلبيهما وعلى تابوتيهما ثمانية أقدام .

ومما سبق يمكن الإنسان أن يكون فكرة عن القبر وما فيه من أثاث ، ونرى من النص المصرى القديم أن اللصوص قد سيقوا إلى التحقيق عن هرم هذا الإله (الملك) الذى كان فيه حجرتا الدفن . على أن حجرة قد قيل عنها فى مكان آخر إنها « الحجرة السفلية للهرم » ، وهى التى حفر اللصوص نفقا للوصول إليها من مقبرة قريبة كما سلف ذلك . على أننا نجد فى اعترافات اللصوص على ما يظهر أنه كان يوجد حجرتان متصلتان للدفن واحدة للذك والأنثى للملكة ، والأخيرة قد اقتحمها اللصوص من الجدار الخارجى ، وهذا ما نعرفه فقط فى هرم الملك « نب خبرع » . والظاهر البدهى أن حجرة الدفن هذه لم تكن مشيدة فى البناء العلوى من المقابر ، بل كانت كما هى المادة منحوتة فى الصخر الذى يكون أسفل منها .

وقد وجد كل من الملك والملكة فى تابوت خارجى من الجمر وآخر داخل من الخشب فى شكل آدمى ، وكان الأخير مغطى بورقة من الذهب على ما يظهر مثل تابوت الملك « نب خبرع » وقد أحرقة اللصوص ، ووصف بأنه مطعم بالأحجار نصف الكريمة . والواقع أن الوصف بالتقوية بالذهب وبالتطعيم ينطبق تمام الانطباق على توابيت الأسرة الثانية عشرة ، وكذلك على توابيت بداية الأسرة الثامنة عشرة التى وصفناها فى العصر الذى يقع بين الدولة الوسطى والدولة الحديثة فهل ذلك يعزى إلى أن الملك « سبك ام ساف » وزوجه « بنخس » كانا أعظم نفامة وأبهة أكثر من غيرهما من ملوك تلك الفترة ؟ أم أن ذلك قد جاء عن طريق المبالغة من الكاتب الذى دون ذلك ليعطينا فكرة عما يجب أن يكون عليه تابوت الفرعون من الأبهة والعظمة ؟

وقد كانت موميتاهما مزينتين بتعاويذ وعقود من الذهب ، وكان على رأس الفرعون أكاليل كاتى وجدها اللصوص الحاليون على رأس الملك « انتف » ، وقد كان يجانبه في تابوته الخشبى سيفه ، وسرى فيما يأتى مثل ذلك الأثاث مع الملك « كامس » والملكة « اعح حتب » ، وأخيرا كان معهما أوان من ذهب وفضة وشبهه ، وقد دل اعتراف اللصوص على أن كل هذا الأثاث قد أُلُف عن آخره ، وليس هناك أى أمل فى أنه قد ترك شئ حتى الآن ليجد سبيله إلى المتاحف الأوروبية . وقبر هذا الملك على ما يظهر موجود فى « جبانة ذراع أبو النجا » . (انظر ص ٩٦) .

وقد جاء ذكر الملكة « بنخمس » زوج هذا الفرعون على لوحة محفوظة الآن بمتحف « اللوفر » حيث وصفت بأنها بنت رئيس القضاة « سبك ددو » وتسمى الوارثة العظيمة والزوجة الملكية العظيمة وسيدة كل النساء ، وقد قش على هذه اللوحة سلسلة نسب هذه الملكة .

الملك نخم رع سمنتاوى - تهنوى



يطلق الأستاذ « ونلك » بعد درس طويل أن قبر هذا الفرعون يوجد بجوار قبر زوجته الملكية « متوحتب » الذى يقع فى الجنوب أو فى الجزء الأوسط من « جبانة ذراع أبو النجا » فى الشمال مباشرة من مقبرى الملكين اللذين يحملان اسم

(١) J. E. A. Vol. X, p. 237-40. راجع :

(٢) J. E. A. Vol. X, Pl. XIII. راجع :

(٣) Pierret, "Recueil d'Inscriptions, II. P. 5. راجع :

« تاعا » و « تاعا الأكبر » . وقد عثر على اسم هذا الفرعون ولقبه على قطعة حجر ضمن مبنى من الحجر الرملى المحبب فى « نقادة »^(١) .

وكذلك عثر على صندوق أوان للأحشاء فى « جبانة طيبة » ، وجده « بسالكوا » (Passalacqua) بالقرب من موميته وكتب عليه اسم « الملك تحوتى » ، ولحظ أنه أضيف على غطاء هذا الصندوق سطر كتب بخط مختلف ومداد مختلف ، غير الذى كتبت به النقوش الأخرى التى على الصندوق ، وهذه الكتابة تخبرنا بأن الصندوق قد قدم هدية من الملك للزوجة الملكية العظيمة التى ارتدت التاج الأبيض الجميل « متوحتب » صادقة القول ، ومعنى ذلك أنها كانت قد توفيت قبل الفرعون . وقد جاء اسم هذا الفرعون فى قائمة « الكرنك » (راجع Sethe Urk. IV. P. 608) هذا وقد ذكر اسمه مرات عدة فى كتاب الموتى بالصورة التى كتب بها على صندوق الأحشاء السابق الذكر وهو المحفوظ الآن « بمتحف برلين » (راجع Erman, "Historische Nachlese", A. Z. XXX. P. 46).

الملك سمنت ان رع - تاعا الأول

وزوجه نيتى شرى



بعد أن فحصت لجنة التحقيق التى قامت فى عهد « رعمسيس » التاسع قبر الفرعون « سمنت رع شدى تاوى سبك ام ساف » اتجهت نحو الجنوب إلى « هرم الملك « سقن رع » (له الحياة والسعادة والصحة) ، ابن الشمس « تاعا » ، وقد فحصه اليوم المفتشون ، ووجد أنه لم يمسه سوء . وكذلك هرم الملك « سقن رع » (له الحياة والسعادة والصحة) ، ابن الشمس « تاعا » الأكبر له (الحياة والسعادة والصحة) ، وبذلك يكونان ملكين اسم كل منهما « تاعا » قد فحصا فى هذا اليوم وقد وجد كل منهما سليما .

ومما سبق نجد أن النص المصرى صريح فى أنه كان يوجد ملكان كل منهما يحمل لقب « سقن رع » وأحدهما يسمى « تاعا » الأكبر . وقد حرص كاتب الوثيقة بعد ذكر اسمى هذين الفرعوين على أن يقول « فىكون المجموع ملكين باسم « تاعا » . وقد اختلف العلماء فى تفسير ذلك ، وبخاصة عند ما علم أنه قد وجد على الآثار ملك يدعى « سقن رع » يذكّر باسم « تاعا » أحيانا وأحيانا يذكّر باسم « تاعا » الأكبر ، وأخيرا يذكّر أحيانا بلقب « قن » أى « الشجاع » فهل يوجد ثلاثة ملوك موحدة أسمائهم ، أم أنه يوجد فقط ملكان كما جاء فى « ورقة أبوت » ؟ وقد اختلف العلماء عند الفصل فى هذه المعضلة إلى أن بحث الموضوع الأستاذ « ونلك » من كل وجوهه ، واهتدى إلى القول بأنه يوجد فقط ملكان أحدهما باسم « سنخت إن رع تاعا عا » والآخر يدعى « سقن رع تاعا » وفسر ما جاء فى توحيد اللقبين فى « ورقة أبوت » بأن كلمتى « نخت » و « قن » يكتبان بخصص واحد فى اللغة المصرية القديمة ، ومن ثم يحتمل أن الكاتب القديم قد خلط فى كتابة اللقبين ؛ وعلى أية حال فإن الموضوع لا يزال معلقاً .^(١)

وعلى حسب نظرية « ونلك » يكون « سنخت إن رع » هو « تاعا » الأول ، وقد لقب بالأكبر ، وهو والد « سقن رع تاعا » الثانى جدّ « أحمس » الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة . وعلى ذلك يكون « سنخت إن رع تاعا » الأكبر زوج الملكة « تيتى شرى » التى كانت جدّة « أحمس » .

الملكة « تيتى شرى » : وتحدثنا الآثار عن ملكة تدعى « تيتى شرى » جاء ذكرها خمس مرات فى وثائق باكورة الأسرة الثامنة عشرة . (١) فنشاهدها أولاً تشترك مع « أحمس » الأول فى إهداء معبد (Breasted, A. R. II. § 33-7) . (٢) ونجد أنها قد أعطيت ضيعة فى قائمة ضيعات بالوجه البحرى ، وذلك بعد

(١) راجع : Winlock, J. E. A. Vol. X, PP. 243. ff.

(٢) راجع : Erman. "Miscellen". A. Z, Vol. XXXVIII (1900) P. 150.

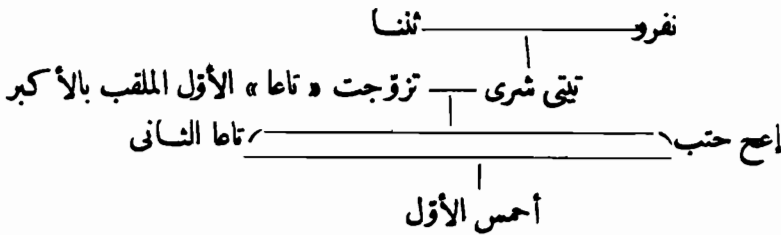


(١٠) الملكة "تيتي شري"

اتهاء حرب المكسوس . هذا وقد وجد اسمها مكتوبا على لفائف موميتها . كما وجد في قبرها تماثلان ، وكذلك وجدت لها لوحة تذكارية منصوبة في « المرابة المدفونة » وستكلم عن ذلك فيما بعد .

والواقع ان « تيتي شرى » كانت أول سلسلة نسل الملكات ، والوارثات والأرامل الملكية اللاتي كنّ أصحاب الميطرة في عهد الأسرة الثامنة عشرة حتى نهايتها . وتنسب « تيتي شرى » إلى أسرة من عامة الشعب ، فقد كانت تلقب « بالأم الملكية » « تيتي شرى » التي وضعتها ربة البيت وأنجبها الشريف « ثننا » ^(١) (Thenna) .

ويحتمل أن هذا هو السبب الذي من أجله لم نجد اسمها في قائمة « أرباب الغرب » الذين كانوا يعبدون في الأجيال المتأخرة بوصفهم أجداد النسل الملكي . وعلى أية حال فإنها كانت ملكة مشتركة في الحكم في عهدها ، وسلسلة النسب التالية تفسر الرأي الذي قلناه ، وهو أنها كانت زوج الملك « تاعا » الأكبر الأول



ومن ذلك نعلم أن « تيتي شرى » تزوجت من « تاعا » الملقب بالأكبر ، ورزقا ابنة تسمى « أصح حتب » وابنا اسمه « تاعا » وهو الذي أصبح ملكا بعد والده ، وقد تزوج من أخته « أعح حتب » وقد رزقا بدورهما « أحمس » الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة وقد عاشت « تيتي شرى » حتى ماتت في عهد « أحمس » الأول ، ويحتمل أنه دفنها بالقرب من قبره .

ويمكننا أن نقرر بصفة مؤكدة أنها دفنت في « طيبة » ولا أدل على ذلك من الحديث الذى دار بين الملك « أحمس الأول » وزوجه الملكة « نفرتيرى » عندما كانا يتناقشان فيما كان لأجدادهما الذين رحلوا من فضل عليهم ، وقد وجد ذلك مدقونا على اللوحة التذكارية التى نصبها فى « العرابة » ، وقد وجهت الملكة سؤالاً للملك جعلته يبيع بما يكنه صدره ، إذ أجابها قائلاً : « حقا لقد مر بنحاطرى أم والدتى ، والدة أبى الزوجة الملكية العظيمة ، والأم الملكية « تيتى شرى » المرحومة . حقا إن حجرة دفنها وقبرها الوهمى موجودان الآن فى مقاطعتى « طيبة » و « طينة » على التوالى وقد قلت لك ذلك لأن جلاتى يرغب فى أن يقيم لها هرما ومعبدا فى الأرض المقدسة « العرابة المدفونة » بالقرب من آثار جلاتى » . والواقع أنه قد عثر على معبد هرم العرابة . ولا نزاع فى أن هذه اللوحة كانت قد أقيمت فيه ^(١) .

أما القبر الذى دفنت فيه فى طيبة فلم يكشف عنه حتى الآن غير أنه عثر على بعض محتوياته فقد وجد له تمثالان ^(٢) .

وهذان التمثالان موحدان من كل الوجوه من حيث الحجم والكتابة والجلسة ، وعلى جانب عرش كل منهما نقش دعاء لطلب القربان باسم « أوزير » رب « العرابة » ، و « آمون » رب « الكرنك » لروح الأم الملكية « تيتى شرى » كما ذكر أن خادمها الصالح المشرف « سنسنب » (Senseneb) هو الذى يخلد اسمها .

(١) راجع : Ayrton, Currelly, Weigall, "Abydos", III, P. 35.

(٢) راجع : Statue in B. M. 22558; Budge, "A History of Egypt : from the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra VII. B. C. 30", Fig. 64, also Cairo fragment, Gauthier in Bull. Inst. de France. (1926) P. 128.

وكذلك عثر على لفائف نسيج من كفتها بين قطع الأكفان المبعثرة التي وجدت في الخبيثة الملكية التي كشف عنها في إحدى مقابر الدير البحري ، ولا بد أن جسمها كان موجودا بين البلث التي كانت في هذه الخبيثة ، ويحتمل أن الباحثين قد تعرفوا على موميئتها بمقارنة ملامحها بملامح أسرة الفرعون « أحسن » .

الملك سقن رع « تاعا » الثاني



كان الفرعون « سقن رع تاعا » الثاني من أعظم ملوك مصر وأجسدهم في تاريخ البلاد ، إذ تدل كل الأحوال على أنه في عهده قد بدأ النضال الفعلي لطرد المكسوس من مصر ، وتخليص البلاد من الير الأجني الذي ظل ينقل عاتقها حقة طويلة من الزمن .

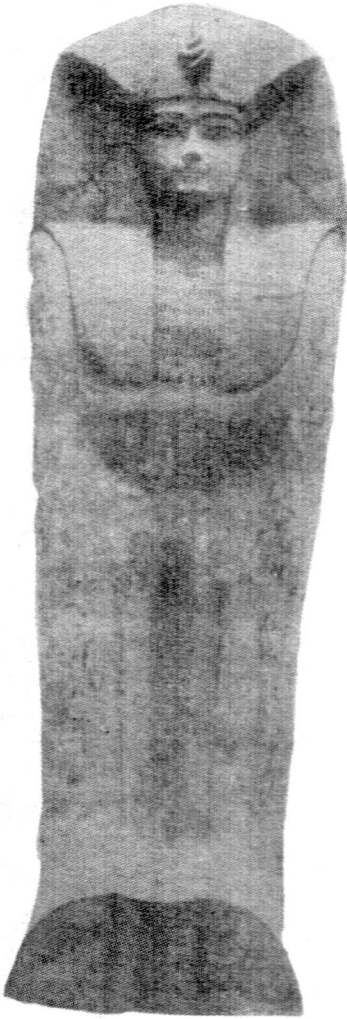
وقبل أن نفصل القول في ذلك سنتكلم عن الآثار الباقية لهذا الفرعون وأسرته .

لقد ذكرنا فيما سبق أن « ورقة أبوت » تحتوي على العبارة التالية عن قبر هذا الفرعون عند فحصه :

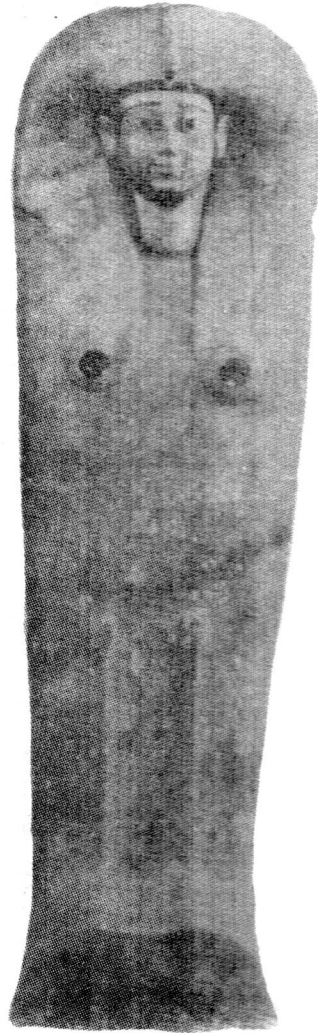
” قبر الملك « سقن رع » (له الحياة والسعادة والصحة) ، ابن الشمس « تاعا » (له الحياة والسعادة والصحة) ، قد فحصه هذا اليوم المفتشون ، ووجد أنه سليم “ .

وتدل الآثار الباقية على أن قبر هذا الفرعون كان يرعاه كاهن جنازى يدعى « مس » في باكورة الأسرة الثامنة عشرة ، كما كان يرعى قبر الملك « كامس » أيضا ، وقد عثر « مريت » على خاتم من الحجر الجيري النحشن الصنع في « ذراع^(١) »

(١) راجع : Petrie, “A Season in Egypt”, P. 25, Pl. XXI; Lacau : “Steles du Nouvel Empire”, 24030, PP. 64-5, Pl. XXII; Gauthier L. R. II. P. 158.



غطاء تابوت (الملكة امنت حنب)



(١١) غطاء تابوت (الملك سقن رع - تاعا الثانى)

ابو النجا « كتب عليه « سقن رع » ؛ ومثل هذا الخاتم مما تستعمله الكهنة الجنازيون في ختم الأواني الخاصة بهم . ونلاحظ في عهد الأسرة التالية أن اسم « سقن رع » كان ضمن الأسماء البارزة في قوائم « أرباب الغرب » ، ومن المحتمل أن حراسة قبره كانت موكولة لكهنة « مكان الصدق » (الجبانة) في ذلك الوقت



(١٢) موميّة الملك «سقن رع» - ناعا الثاني
السهم في الصورة تشير إلى أماكن الجروح

وصف تابوت الملك سقن رع : وقد كانت مومية الملك « سقن رع » هذا وتابوته الخشن ضمن الكشف المشهور الذى حدث عام ١٨٨٠ فى الخيئة القريبة من معبد الدير البحرى ^(١) ، ومن المحتمل أن اللصوص كان قد أخطأهم نهب هذا القبر كما قررت ذلك لجنة التحقيق ، غير أنه فى وقت ما قد سطا عليه الكهنة القائمون على حراسته . وتابوت هذا الفرعون الخشبي الذى وجد جسمه فيه محلى برسم ريش عليه كما كان المتبع فى حلية توايت هذا العصر ، ولذلك أطلق على التوايت التى من هذا الطراز « الريشية » (انظر ص ١١٦) وكانت تغطيه طبقة سميكة من الذهب مما جعل السبيكة التى على ظاهره مغرية ، للقراس . والواقع أنهم انتزعوها ، غير أنهم قد اتخذوا حذرهم ألا يلمسوا الجزء الذى يغطى الصل الملكى ورءوس الصقور التى على القلائد ، والعقاب الذى على الصدر ، وكذلك اسم الإله « بتاح سكر » ؛ وكل هذه رموز آلهة قد اعتقد القوم أنها ترسل الموت إلى كل من اتهمك حرمتها . ولما كان اللصوص المحترفون لم يعقهم على ما يظهر مثل هذه الشكوك والخرافات فى مقبرة الفرعون « سبك ام ساف » السالف الذكر فلا نكون مخطئين إذا نسبنا مثل هذه السرقات الفنية للكهنة أنفسهم . ومع ذلك فيظهر أن ونز الضمير فى ارتكاب مثل هذا العمل قد لعب دوره ؛ إذ نجد الكهنة قد صبغوا بعض الأجزاء التى أزالوا من فوقها الذهب باللون الأصفر إخفاءً لجريمتهم ، وبخاصة الوجه ولباس الرأس ، ثم كتبوا النقوش بالمداد الأحمر ثانية ، ثم رسموا قلادة على صدره وخطوطاً زرقاء حول العينين اللتين نزع منهما إطارهما الذهبي ، أما باقى الغطاء فقد ترك مغطى بالحص الأبيض الذى انتزع منه الطبقة الذهبية ، وقد بقى آثار النقوش الأصلية على أية حال ، ويمكننا أن نقرأ

(١) راجع : Daressy, "Cercueils des Cachettes Royales" 51001 & Petrie, "History", II, P. 8. Fig. 3; Maspero, "Guide du Visiteurs du Musee du Caire", P. 415, No. 3893 etc.

منها : ” ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « سقن رع » ابن الشمس « تاعا » الشجاع “ وهذا الاسم هو الذى أطلق عليه فى قائمة أرباب الغرب فى مقبرة « خع بخت » (Petrie, “History” II. P. 7.) .

دفن هذا الفرعون بسرعة : ومن المقول بطبيعة الحال أن الملك قد دفن دون أن يعمل له أى جهاز جنازى ، ولكن لما كانت أكفانه قد فكت عن آخرها ثم لفت ثانية على عجل فن المحتمل أن السرقة لم تقتصر على غشاء الذهب الذى كان يحلى تابوته بل قد امتدت كذلك أيدى الكهنة إلى مجوهراته وأسلحته . ومما هو جدير بالذكر هنا أنه لم يبق مع أى مومية ملكية أية قطعة من المتاع مما لها قيمة حقيقية عندما أودعت فى مخبئها بالدير البحرى ، وتدل مومية الفرعون « تاعا » الثانى (انظر ص ١١٧) الذى كان يلقب بالشجاع على أنه كان معتدل القامة بالنسبة للصريين ، إذ كان يبلغ طوله نحو من ١٧٠ سنتيمترا ، عظيم الرأس . وهو نموذج لرأس المصرى الأصيل ، ويمتاز ببنية عظيمة ، فكان مقتول العضلات نشيط الجسم . أما شعره فكان أسود كثيفا مجعدا ، هذا الى أنه كان حليق الحية ، ولم يتجاوز الثلاثين ربعا من عمره عند وفاته إلا بقليل .

الملك سقن رع يموت فى ساحة القتال : أما المخامرة التى لاقى فيها الملك «سقن رع» حنفة بفجئته من أعظم الشخصيات المصرية بطولية فى التاريخ المصرى فتظهر من تصوير الأستاذ « اليوت سميث » قصة موته من الجروح التى فى رأسه فيقول : «إنه كان فريسة هجمة غادرة قام بها عدوان أو يزيد ، فقد أخذ على غرة عند ما كان نائما فى فراشه ، أو أنهم تسللوا من خلفه وطعنوه بمنجبر تحت أذنه اليسرى فخاص الخنجر فى عنقه ، ولقد كانت الضربة مفاجئة فلم يقو على رفع يده ليسدرا عن نفسه ضرباتهم التى انهالت من (البلط) والسيوف والعصى على وجهه فهشمته وهو ملقى طريحا . وتدل شواهد الأحوال على أن تجهيز الجثة للدفن كان على عجل ، وأن عملية التحنيط كانت بسرعة فائقة بفئات غاية فى الاختصار ،

ولم تعهل أية محاولة لوضع الجسم في وضعه المستقيم الطبيعى ، إذ قد ترك منكشا كما كان طريحاً وهو في حالة التزعج ، فكان الرأس ملقى إلى الخلف ، ومثنياً نحو اليسار ، ولسانه بارز من فمه يضغط عليه بأسنانه توجعا وألماً ، ولم يسمح سائل غشه الذى كان يجرى على جبينه بسبب الجروح التى أصابت رأسه ، وكانت ساقاه منبسطين بعض الشيء ، ويدها وذراعاها منكشتين كما كانتا عند ما لفظ روحه ، وقد أزيلت أحشاؤه من فتحة عملت في بطنه ، وقد حفظ الجسم بوضع نشارة معطرة عليه وحسب . والواقع أن الجسم في حالته الراهنة يشبه موميئة قبطية قد بست وثقبها الدود .

وقد ظن « مسبرو » وتبعه في ظنه « اليوت سميث » أنه قد قتل بعيداً عن « طيبة » ، والمحتمل أنه مات في ساحة القتال ، وأن تحنيطه في مكان القتل كان إجراء مؤقتاً لعدم توفر المعدات للذين قاموا بهذه العملية في هذا المكان أما « بترى » الذى وافقه الدكتور « فوكيه » في رأيه فيزعم أن الجسم كان قد تعفن في أثناء نقله إلى « طيبة » ولم يعتن به في ساحة القتال ، ثم حاول تحنيطه ثانية بعد وصوله إلى « طيبة » . وترتكز نظرية قتله في ساحة القتال على ما توحى به محتويات قصة « ورقة ساليه » التى نقرأ فيها أن « سقن رع » كان مناهضاً للملك الهكسوس « أبو فيس » وليس هناك ما يدعو إلى ترجيح هذه النظرية .

« الملكة اع حتب » : والزعم السائد أن « اع حتب » كانت زوج الفرعون « سقن رع »^(١) (انظر ص ١١٦) غير أنه لا توجد آثار تدل على ذلك صراحة ، ولكن توجد براهين جلية تثبت ذلك ، فعلم أن « اع حتب » كانت والدة « أحس » الأول ، وأنها كانت الزوجة الأولى للملك « سقن رع ناعا » وكذلك كانت ابنة ملك^(٢) .

(١) راجع : Maspero, "Momies Royales de Deir el Bahari", P. 625;
 "Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient", Vol. II, P. 78.
 (٢) راجع : J. E. A., Vol. X, P. 251. Note 4.

ونجد على تمثال أمير يدعى « أحس » أن والديه كانا يحملان الألقاب الآتية : الإله الطيب رب الأرضين « ناعا » والابنة الملكية العظيمة التي استولت على التاج الأبيض « أع حتب » . ومن ذلك يتضح أن « أع حتب » هذه كانت لا بد هي أم « أحس الأول » وأن هذا الملك « ناعا » هو زوجها وهو « سقن رع » الثاني الذى ينسب إلى الجيل الذى سبق « أحس » الأول مباشرة . ومما لا نزاع فيه أن « أع حتب » كانت على قيد الحياة بعد وفاة زوجها ، بل المظنون أنها عاشت حتى عهد « أمنحوتب الأول » بل عاصرت « تحتمس الأول^(١) » . أما أنها عاشت حتى عهد « أحس الأول » فلا جدال فى ذلك ، فكما أن « تيتى شرى » قد كانت تمثل القوة خلف الملك فى بداية حكمه كما يظهر ذلك على اللوحة التي كشف عنها « بترى » فإننا نشاهد كذلك أن « أع حتب » أخذت مكاتها هذه بعد موتها كما يظهر ذلك على لوحة « الكرنك » وفى « بوهن » بالقرب من (وادى حلفا) . ولم تحمل السنة الثانية والعشرون من حكمه حتى أخذت مكاتها « نفرتيرى » كما تدل على ذلك نقوش « طره » . وقد كان لهذه الملكة الثلاثة الحظوة عند الجميع حتى اعتلاء « تحتمس الأول » عرش الملك ، ولا نزاع فى أن تلاًو نجم « نفرتيرى » لم يلمع ولم يسطع إلا فى نهاية حكم « أحس الأول » أى بعد موت « أع حتب » وذلك ظاهر من الحفاوة التي خصها بها « كامس » و « أحس » من هدايا جنازها التي وجدت معها فى تابوتها ، وأنه لم يشترك فى إهدائها غير هذين الملكين ، ولكن يلوح فى الوقت نفسه أن زوجها قد اشترك فى إعداد أثاثها الجنائزى ، فقد دل الفحص على أن تابوتها الخشبى يكاد يكون قطعة مطابقة لتابوت الملك « سقن رع » زوجها^(٢) .

(١) راجع : Maspero, "Momies Royales", P. 627; Petrie, "History",

II, P. 10; Breasted. "History", P. 252

(٢) راجع : J. E. A. Vol. X, P. 251 Note. 3.

وعلى الرغم من أن دفن الملكة « أع حتب » لم يحدث في عهد الأسرة السابعة عشرة كما دفنت الملكة « تيتي شرى » فإن هناك من الأسباب مع ذلك ما يدعونا للإشارة إليه هنا .

الكشف عن تابوت الملكة « أع حتب » : والواقع أن عمال « مريت » قد كشفوا عن تابوت هذه الملكة الذى كان يحتوى كذلك على مجوهراتها فى التراب القريب من « ذراع أبو النجا » عام ١٨٥٩م وقد كان لهذا الحادث منحة عظيمة ، حتى تضاربت الأقوال فى كنه هذا الكشف ومحتوياته ، غير أنه لحسن الحظ كان العالم الأثرى « ديودور دقريا » فى إجازة من « متحف اللوفر » وكان موجودا مع « مريت » فى « متحف بولاق » فى ذلك الوقت . وقد دَوّن الحادث فى خطاب خاص مؤرخ فى الثانى والعشرين من مارس سنة ١٨٥٩م ^(١) . وسنورد هذا الخطاب هنا ليرى القارئ كيف كانت تسير الأحوال فى تلك الفترة من عهد والى سعيد باشا وما هو ذا :

نص خطاب « دقريا » : « ولما أطن المسيو « مونييه » مساعد قنصل مصر خبر هذا الكشف أرسل إلى « مريت » نسخة من النقوش التى على التابوت فأمكننى منها الانتهاء إلى أن هذه كانت مومية الملكة « أع حتب » وعندئذ كتب « مريت » لإرسالها فى الحال إلى متحف « بولاق » على ظهر باخرة خاصة ، ولكن لسوء الحظ كان مدير الجهة (قنا) قد فتح التابوت قبل أن يصل الخطاب ، ولا نعرف سبب ذلك أحبا فى الاطلاع ؟ أم حقا وغيظا منه . ومهما يكن من أمر فإنى لم أرغب فى أن أوجد نفسى فى فعل هذا الموظف عندما يقع نظرى « مريت » عليه لأول مرة . وقد حدث كالمعتاد فألقيت أكفان الملكة وعظامها جانبا ، واحتفظ بالأشياء التى دفنت مع المومية ، وقد حصل « مريت » على قائمة بمحتويات التابوت من أحد الموظفين المصريين هناك . وقد أرسل مدير « قنا » من جانبه قائمة بتلك الأشياء للوالى ملطنا إياه أنه مرسل الأشياء مباشرة إلى بلاطه .

والواقع أن القائمتين كانتا شبه موحدتين فى المحتويات ، غير أن فيهما مبالغة ظاهرة فى عدد الأشياء الموصوفة ، وفى وزن الذهب الذى تحتويه . ولما حصلنا على أمر وزارى بأن يكون لنا الحق فى الاستيلاء

(١) راجع : Maspero, "Bib. Egypt". 18, CII, ff, and Maspero,

على أى قارب يحمل آثارا ونقلها إلى قاربنا ، سرنا فى النيل فى باكورة يوم واحد وعشرين من مارس ، ولم نكد نصل إلى « سمند » حتى لهذا القارب الذى كان يحمل الكنز الذى أخذ من المومة الفرعونية . يقترب منا ، وماهى إلا نصف ساعة حتى تلاقى القاربان ، وبعد تبادل كلمات صاخبة مصحوبة بإشارات صغرة هدد « مريت » أحدهم بأنه سيقبض فى الماء ، وهدد الثانى بأنه سيشوى غمه ، والثالث بأنه سيرسله إلى الأعمال الشاقة فى السفن ، والرابع بأنه سيضع حب المشقة فى عنقه . وكانت نتيجة ذلك أن حفظة الكنز سلوه مقابل حك من « مريت » . وقد كانت دهشتنا عظيمة عندما رأينا أن الصندوق يحتوى كمية من المجوهرات ، ورموزا ملكية وتماويذ وتكاد كلها تحمل اسم « أحس » أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، فى حين أن الملكة « أعح حنب » لم يذكر اسمها على واحدة منها . ودقة صنع هذه المجوهرات يفوق كل الذى عرف حتى الآن وهو قليل جدا ، وعلى ما أعلن لم يكن الذهب الذى تحتويه هذه التحف يزيد عن كيلوجرامين فى الوزن ، غير أن قطع المجوهرات كانت قد صيغت بمهارة عظيمة ، ورصمت بأجوار صلبة ومينا ملونة .

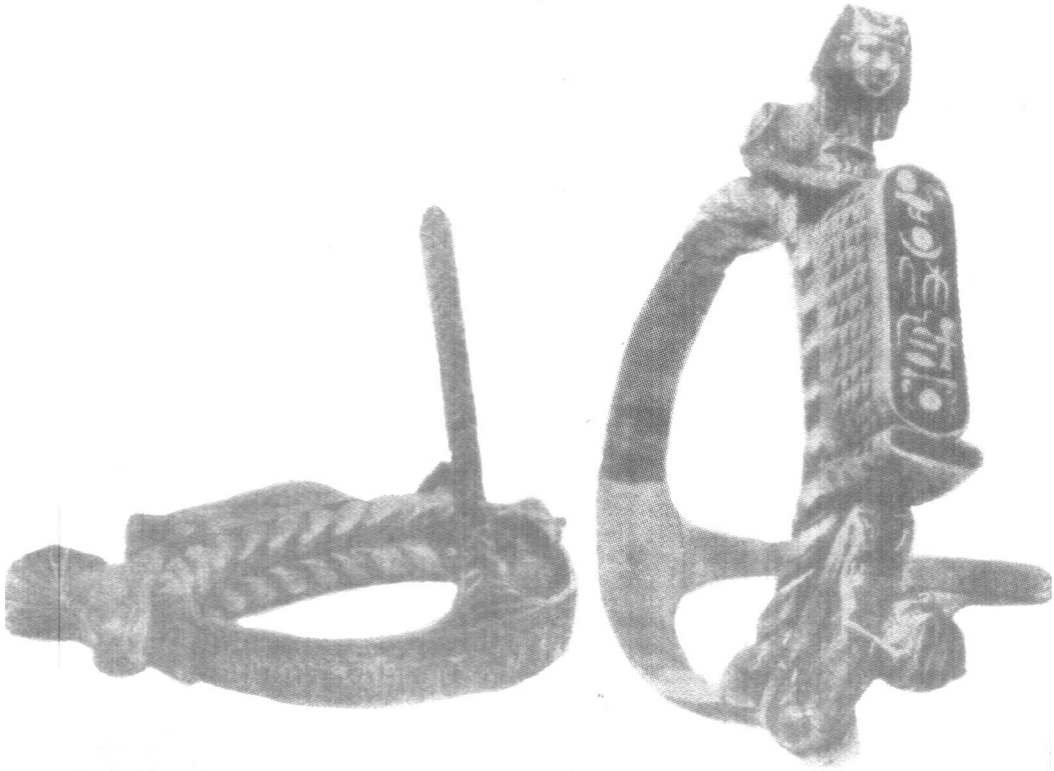
وقد أسرع « مريت » بالمجوهرات إلى الوالى سعيد باشا فى الاسكندرية ، وقص عليه القصة بطريقة خلاصة حتى أن سعيدا قد تفاخى عن استيلاء « مريت » على قارب حكومى بغير إذن ، بل على العكس استغرق فى الضحك وشمله برعايته ، وقد استعار « سعيد باشا » من هذا الكنز سلسلة من الذهب معلقا فيها جعران لأحب زوجاته إليه غير أنه أعادها بعد فترة وجيزة ^(١) إلى متحف بولاق .

سبب وجود آثار للملكين « كامس » و « أحمس » فى تابوت الملكة « أعح حنب » : وقد تضاربت الأقوال فى وجود آثار « أحمس » و « كامس » فى تابوت الملكة « أعح حنب » ، غير أن رأى الذى أدلى به الأستاذ « ونلك » عند فحص هذا الموضوع هو رأى الذى يقرب من الحقيقة إذ يقول : " ليس لدى من الأسباب التى تجعلنى لا أصتق أن الملكة « أعح حنب » كانت قد دفنت فى أوائل حكم الفرعون « أحمس » وأنها زينت بالمجوهرات التى أهداها لها هو والملك « كامس » الذى حكم قبل « أحمس » مباشرة . ^(٢) وأثار الملكة « أعح حنب »

(١) راجع : Maspero, "Bib. Egypt". op. cit. CIII.

(٢) راجع : J. E A., X, P. 254.

مشهورة جدًا، وسنذكر أهمها هنا، وبخاصة ما كان له قيمة من الوجهة التاريخية :
« وجد على الجثة جعران وسلسلة باسم « أحس الأول » الذي كتب على المشبك ،
هذا فضلًا عن ثلاثة أسورة يد ، وسوار ذراع ، وكلها باسم « أحس » أيضًا ،
أما في داخل لفائف الكفن ، فقد وضعت (بلطة) من الذهب وخنجر وكلاهما



(١٣) سواران للملكة أحم حنب

نقش عليه اسم « أحمس » ، وعلى ذلك تكون الزينة الشخصية الخاصة بهذه الملكة قد قدمها لها « أحمس » أى عند ما كانت بين الخمسين والخامسة والسبعين من عمرها .

وخلافا لهذه المجوهرات التى نقشت باسم الملك « أحمس » كان معها أشياء أخرى باسم ولدها البكر « كامس » . ففى التابوت وجد قاربان نموذجيان يجاديف ، واحد منهما مصنوع من الذهب وعليه اسم « كامس » ، والثانى من الفضة خال من النقش . أما الأشياء فهى : مذبة و (بلطة) من الشبه باسم « كامس » ، ويحتمل كذلك (بلط) أخرى وحربة باسمه محفوظة الآن فى إنجلترا ، وقد أتت من نفس الكثر . ولا نزاع فى أن هذه المجوهرات عنوان واضح على التقدم الطبى فى ثروة البلاد والمهارة الفنية ، التى جاءت نتيجة لطرد الهكسوس من مصر . ولا أدل على ذلك مما نشاهده من المجوهرات الخشنة الصنع التى تعزى لأول حكم « أحمس » وهى التى وجدت على جسم الفرعون « كامس » الذى كان فى حروب مستمرة مع الهكسوس .

وقد وجد تمثال باسم الابن الأكبر الملكى « أحمس » المرحوم .^(١)

ومن هذا التمثال نعرف علاقة « أعح حتب » بالملك « سقن رع » . إذ نجد بين الدعاء بطلب قرايين للإله « بتاح سكر » قد ذكر أسماء أفراد أسرة هذا الأمير الذين جعلوا اسمه يعيش لأجل أن يقوم بكل عمل خيرى لهم فى العالم السفلى ، وهؤلاء الأقارب هم والده « ناعا » الثانى ، وأمه « أعح حتب » كما ذكرنا آنفا ، ثم أخته الابنة الملكية العظيمة « أحمس » وأختها الابنة الملكية العظيمة « أحمس » الصغرى وقد كانت على قيد الحياة .

التعرف على شخصية « أحمس نفر تارى » : ولما كانت « أعح حتب » الابنة الملكية العظيمة قد تزوجت من أخيها « ناعا » الثانى ، فإن هذه الابنة الملكية

« أحمس » أسنّ الأختين كانت بلا شك هي « أحمس نفرتيرى » التى نعرفها بوصفها أخت الفرعون « أحمس » وزوجه ، وهى التى يمكن أن تكون قد تزوجت من الملك « كامس » أولاً على ما يظهر ، ولدينا نص آخر ربما يشعر بأنها هى التى قد ذكرت عليه ، وهولوحة عثر عليها فى « ذراع أبو النجا » جاء عليها : « الأخت الملكية ، والزوجة الملكية « أحمس^(١) » ، وكذلك يحتمل أنه قد جاء من قبر الابن البكر « أحمس » خلافا لما ذكرنا تماثلالن مجاوبان ، وجدا فى « ذراع أبو النجا » نقش عليهما : « الابن الملكى « أحمس^(٢) » وكذلك نقش على جمران لا يعرف المكان الذى جاء منه ، « الابن الأكبر « أحمس^(٣) » ، ولا نزاع فى أنه « أحمس » المشار إليه فى قبر « خع نخت » بوصفه من أرباب الغرب ، وكان يعبد فى الأجيال التالية باسم الابن الملكى « أحمس » معطى الحياة مثل « رع » ، ونجد كذلك الاسم الملكى « أحمس » قد قرن باسم يدعى « بنبو » (Binpu) فى طغراء واحد ، كما جاء على تمثال « حربو خراد^(٥) » .

ولاشك فى أن المسائل التاريخية التى سنعالجها هنا من الصعوبة بمكان بالنسبة لهذا العصر كله ، ولا بد من أن نتلمس حلها ، وعلى أية حال فإن اشتراك « أحمس » و « بنبو » فى طغراء واحد يذكّرنا باسم آخر فى قائمة مقبرة « خع نخت » الخاصة بأرباب الغرب . كان يلقب « الابن الملكى » (بنبو) معطى الحياة مثل (رع) . وليس لدينا حل آخر الآن لهذه المعضلة ، إلا أن نرجع بـ « بنبو » الذى جاء فى قائمة مقبرة « خع نخت » إلى عهد الملك « تاا » الثانى ، وأن نعدّه مؤقتاً أحد أولاده

(١) راجع : Northampton, Spiegelberg, Newberry, "Report on Some Excavations in the Theban Necropolis During the Winter of 1898-1899", Pl. XVI. P. 3.

(٢) راجع : Northampton, etc op. cit. 31. No. 11.

(٣) راجع : Newberry, "Scarabs". Pl. XXVI. No. 6.

(٤) راجع : Gauthier, "L. R", II, P. 160.

(٥) راجع : Mariette, "Monuments", Pl. 48.

إلى أن نتحقق من شخصية كل من « أحس » و « بنبو » اللذين ذكرا على لوحة « حريوخراد » وسندكر هنا ما استخلصناه من الدراسة السابقة لأولاد الملك « تاغا » الثانى ، و « اعح حتب » بصورة مختصرة واضحة .

(١) الأمير « أحس » الأكبر — مات صغيرا فى خلال حكم والده .

(٢) الأميرة « أحس نفرتيرى » تزوجت من الملكين اللذين خلفا « تاغا » الثانى .

(٣) الملك « كامس » تولى بعد والده عرش الملك ، ومات بعد توليته بقليل .

(٤) الملك « أحس » خلف أخاه وأسس الأسرة الثامنة عشرة .

(٥) الأميرة « أحس » الصغيرة .

(٦) الأمير « بنبو » ؟ مات صغيرا ، ومن المحتمل أنه قضى نحبه فى الوقت نفسه الذى مات فيه « أحس » الأكبر .

بداية المناوشات مع الهكسوس

على أنه توجد آثار أخرى لأفراد عاشوا فى هذا العصر ، وقد ذكر عليها اسم « تاغا » غير أننا لم نعرف أيهما كان المقصود : الأول أم الثانى^(١) .

وتدل شواهد الأحوال على أن الفرعون « تاغا » الثانى الملقب بالشجاع هو أول ملك بدأ النزاع بينه وبين ملك الهكسوس مما أدى إلى قيام البلاد كلها دفعة واحدة فى وجه أولئك الغزاة ، فلدينا وثيقة فى هذا الصدد جاءت فى صورة قصة وهى « ورقة ساليه » الأولى ، وعلى الرغم من أنها تنسب إلى العصر الذى نكتب عنه إلا أنها قد كتبت بعد وقوع حوادثها بنحو أربعائة سنة ، ومع ذلك فإنها على ما يظهر ترسم لنا صورة تاريخية عن الخلاف الذى وقع بين ملك الهكسوس المسمى

(١) راجع : Daressy. "Statues de Divinties", P. 55; J. E. A. Vol. X, P. 257. ff.

« عاقن رع أبو فيس » والملك « سقن رع » الشجاع ، الذى فصلنا القول فيما نعرف عنه فيما سبق ، وظاهر الخلاف هو أن « أبو فيس » ملك الهكسوس ادعى وهو فى « أواريس » الواقعة فى شمال الدلتا أن أصوات أفراس البحر التى تعيش فى « بحيرة طيبة » تزججه وتقض مضجعه لقوتها ، على الرغم من أن المسافة بين « طيبة » و « أواريس » تبلغ نحو ٥٠٠ ميل ، وأنه لذلك يأمر ملك « طيبة » أن يبد فرس البحر الذى يسكن فى تلك البحيرة إن أراد أن يبقى على إرضاء الملك « سقن رع » . وهذه الورقة قد كتبت على أن تكون تمارين لتلميذ من تلاميذ العصر الذى كتبت فيه ، ونهايتها وهو الجزء الهام فيها لم يتم نقله ، ومن أجل ذلك كانت القصة التى وصلتنا ناقصة ، ولكن إذا وازناها بقصص أخرى مماثلة لها من قصص الشرق الأدنى ، كان من المحتمل جدًا أن تدلنا نهايتها على سرعة بديهة « سقن رع » أو سرعة خاطر نصحاثة الذين كانوا حوله فأحسنوا الرد على ملك الهكسوس ، فخلصوا بذلك ملك مصر من الورطة التى أراد أن يوقعه غريمه فيها ، ومن المحتمل جدًا أن الجزء الضائع من الورقة كان يحتوى على بداية المقاومة المنظمة التى قام بها المصريون ضد الهكسوس .

وإذا صح ذلك كان طلب ملك الهكسوس الغريب مجرّد ذريعة اتخذها تعله لإعلان الحرب على ملك « طيبة » الذى كان على ما يظهر يكيد له ، وتكون قصة الذئب والجمل التى نتناقلها ونتمثل بها فى التاريخ الحديث صدى لأختها قصة فرس البحر فى عصر الهكسوس . والجزء الباقى من القصة كما جاء فى الورقة هو ما يأتى :

متن القصة

حدث أن أرض مصر كانت فى جائحة شماء . (؟) ولم يكن للبلاد حاكم يعلّم ملكا فى هذا الوقت . وقد حدث أن الفرعون « سقن رع » كان حاكما على المدينة الجنوبية (معنى طيبة) . ولكن كانت الجائحة الشماء فى بلد « العامو » (الهكسوس) ، وكان الأمير « أبو فيس » فى « أواريس » وكانت كل البلاد خاضعة له ، وكذلك كل حاصلاتها بأكلها ، وكذلك كل طيبات « تميرا » (أى مصر) وقد بق هذا اللفظ فى كلمة الديمير .

وقد اتخذ الملك « أبوفيس » الإله « سنخ » رباله ، ولم يعبد أى إله آخر فى البلاد غير « سنخ » .
وقد بنى معبدا ليكون عملا حسنا خالدا بجانب قصر « أبوفيس » وقد كان يستيقظ كل يوم ليفترق الذبابح اليومية للإله « سنخ » ، وكان موطو جلالته يحملون الأكابيل من الزهر كما كان يفعل تماما فى معبد « رع حوراختى » .

وكان الملك « أبوفيس » يرغب فى خلق موضوع للتفارب بين الملك « سقنر » أمير المدينة الجنوبية .

والآن بعد انقضاء عدة أيام على ذلك أمر الملك « أبوفيس » بإحضار رئيسه
(عند هذه النقطة نجد المتن غير متصل لكثرة القجوات ، وقد حاول « مسبرو » أن يملأها على وجه التصريب) .
[... .. وقال لهم (أى المستشارين) : إن رغبة جلالتي فى أن أرسل رسولا إلى المدينة الجنوبية لأصق تهمة بالملك « سقنر رع »] لم يعرفوا كيف يجيبونه ، وعندئذ أمر بإحضار كتابه والحكام من أجل ذلك ، فأجابوه قائلين : " أيها الحاكم ، يا سيدنا توجد بحيرة فرس بحر [فى المدينة الجنوبية] النهر [... ..] وهى (فرس البحر) لا تسمح للنوم أن يأتى لنا نهارا ولا ليلا ، لأن الضجيج فى أذنا ، وعلى ذلك أرسل جلالتك إلى أمير المدينة الجنوبية الملك « سقن رع » ودع الرسول يقل له : الملك « أبوفيس » [... ..] يأمر بك بأن تجعل فرس البحر يترك البحيرة وبذلك سترى جلالتك قلة أعوانه ، لأنه لا يميل للإله فى الأرض كلها إلا « آمون رع » ملك الآلهة .

وبعد مرور عدة أيام على ذلك أرسل الملك « أبوفيس » إلى أمير المدينة الجنوبية بشأن التهمة التى قالها له كتابه والحكام ، ووصل رسول الملك « أبوفيس » إلى أمير المدينة الجنوبية فأخفوه إلى حضرة الأمير ، فقال الواحد (الفرعون) لرسول الملك « أبوفيس » : ما رسالتك إلى المدينة الجنوبية ؟ وكيف قطعت هذه الرحلة ؟ فقال له الرسول : « لقد أرسل لك الملك « أبوفيس » يقول : مر بأن يهجر فرس البحر بحيرته التى فى ينبوع المدينة الجارى (المدينة هنا طيبة) لأنه (أى فرس البحر) لا يسمح للنوم أن يشغى ليلا وأوتارا ، إذ أن أصواته المزججة فى أذنى .

وعندئذ بنى أمير المدينة الجنوبية صامتا ، وبكى مدة طويلة ، ولم يكن يعرف كيف يصوغ جوابا لرسول الملك « أبوفيس » فقال له أمير المدينة الجنوبية : كيف سمع سيديك عن البحيرة التى فى ينبوع المدينة الجارى ؟ فقال له الرسول : الموضوع الذى من أجله قد أرسلتك (؟) . وأمر أمير المدينة الجنوبية أن يقدم لرسول الملك « أبوفيس » كل الأشياء الطيبة من لحم وخبز وقال له أمير المدينة الجنوبية : ارجع إلى الملك « أبوفيس » سيديك ! أى شيء أقول له سأفعله عندما تأتى (؟) [... ..] وعاد رسول الملك « أبوفيس » مسافرا إلى المكان الذى فيه ميده .

وعندئذ أمر أمير المدينة الجنوبية بإحضار ضباطه العظام ، وكذلك كل إر الجند الذين كانوا عنده ، وأعاد عليهم التهمة التي بعث بها إليه الملك « أبو فيس » . وقد ظلوا صامتين جميعا لمدة طويلة ، ولم يستطيعوا الإجابة بخير أو شر ، وأرسل الملك « أبو فيس » إلى ...» .

(وهنا تقطع القصة في الورقة التي استعملت بقيتها في خطابات نموذجية . وهي أسلوب إنشائي كان بلا شك في ذلك الوقت أكثر فائدة ، ولكنها ليست بذات أهمية لنا الآن ، لأننا كنا نود أن نعرف نهاية القصة) .

وإنه لمن العسير علينا تحديد تاريخ الشجار الذي قام بين الملك « سقن رع الشجاع » و « أبو فيس عاقنرع » على وجه التأكيد ، ولكن من المحتمل أنه قد نشب حوالى عام ١٥٩٠ ق م ويرجح قرب هذا التاريخ من الحقيقة أن « أحمس بن أبانا » الذى كان يعمل فى جيش « أحمس » الأول (١٦٨٠ - ١٥٥٧ ق م) . كان والده يعمل جنديا فى جيش « سقن رع » ولا بد أن أعطى مدة كافية لحكم الملك « كامس » الذى خلف « سقن رع » . وقد توهمنا فيما سبق أن « سقن رع » و « كامس » و « أحمس » الأول حكموا تباعا على التوالى . وبعد موت « سقن رع » فى حومة الوغى كما تدل على ذلك الجروح التى وجدت فى جسمه تولى الملك بعده الملك « كامس » .

الملك كامس



يعتبر الملك « وازخبر رع كامس » آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة من أبرز الشخصيات الملكية فى التاريخ المصرى القديم ، إذ تدل الآثار المكشوفة حتى الآن على أن الحروب الحقيقية لخلاص مصر من نير الهكسوس الذى ظل عبثا على عاتق البلاد أكثر من قرن ونصف ، قد بدأت فى عهده . وقبل أن نتكلم عن الدور

الذى لعبه في تاريخ البلاد وما عثر عليه من آثار له نفقت النظر إلى أن الاسم الحورى لهذا الفرعون يحيط به شيء من الغموض والإبهام لم نستطع مما كشف عن الآثار حتى الآن حله حلا موقفا يعتمد عليه ، حتى أن بعض علماء الآثار قد ظنوا أنه يوجد ثلاثة ملوك بهذا الاسم ، وتفصيل ذلك أن اسم الفرعون الذى وجدناه على اللوحة الذى كشفه « كازنفون »^(١) يختلف عن الاسم الذى وجدناه على « ورقة أبوت » وهو نفس الملك الذى عثر على تابوته ، ومحتوياته الموجودة « بمتحف اللوفر » وغيره من المتاحف كما سيأتى بعد . وقد عارض الأستاذ « جوتيه » فى توحيد هذين الملكين . وعاد لمناقشة الموضوع مرة ثانية^(٢) ، وذلك عندما عثر على قاعدة تمثال عليها اسم ملك يدعى « كامس وألقابه » ، وأن اسم الصل والعقاب عليه يماثل ما وجد على لوحة « كازنفون » غير أن اسمه الحورى يختلف عن الاسم الحورى للملكين السابقين بهذا الاسم ، فهل معنى ذلك أنه يوجد ثلاثة ملوك باسم « كامس » ؟ ولكن « جوتيه » يجب على ذلك بقوله إنه لا يوجد إلا ملكان بهذا الاسم ، وأن أحدهما قد غير اسمه الحورى خلال حكمه والواقع أنه لا يمكننا أن نستنتج الآن شيئا . وسيكون القول الفصل للوحة « الكرنك » التى وجد معها « شفرييه » قطعة من لوحة وهى النموذج الذى كتب عنه لوح « كازنفون » فإذا وجدت بقية هذه اللوحة التذكارية ، وعلم منها أن لقب هذا الملك عليها هو « وازخبرع » فإن اختلاف الاسم الحورى الذى وجد مختلفا فى ثلاث حالات لا يهم ، من أجل ذلك نحكم بأنه لا يوجد إلا ملك واحد يدعى « كامس » . أما إذا اختلف اللقب فإنه يوجد كما قل « جوتيه » ملكان باسم « كامس » . على أن كل الدلائل تشير بأنه لا يوجد إلا ملك واحد يسمى « كامس » ، وهو الذى بدأ الحروب مع « الهكسوس »

(١) راجع : J. E. A. ibid.

(٢) راجع : "Studies Presented to Griffith", (London 1912) P. 3. ff.

بصفة فعلية . والواقع أن الآثار والمعلومات التي وصلتنا عن هذا الفرعون محصورة فيما كشف له في « طيبة » وما ذكر عنه في « ورقة أبوت » التي تحدثنا عن الفحص الذي أجرى في قبره في عهد « رمسيس » التاسع عندما انقض اللصوص على قبور « طيبة »^(١) . فقد جاء عن قبر هذا الفرعون ما يأتي : « انتقل المفتشون من قبرى الملكين المسمين « تاعا » إلى هرم الملك « وازخبرع » له الحياة والسعادة والصحة ابن الشمس « كامس » له الحياة والسعادة والصحة ، وقد فحص اليوم ووجد أنه لم يصبه ضرر » .

حقا يظهر أن قبر « كامس » لم يصب بسوء في عهد « رمسيس » التاسع ؛ غير أنه من المحقق أن حراس القبر خافوا عليه عبث اللصوص في تاريخ متأخر في العهود القديمة ، فنقلوا تابوته ودفنوه على وجه السرعة سليما كما هو في حجر من تراب السهل الذي تطل عليه جبانة « ذراع أبو النجا » في مكان يقرب من المكان الذي كشف فيه عن تابوت الملكة « اعح حتب » السالفة الذكر . وقد ظل الملك « كامس » مستريحا في تلك الحفرة الحفيرة حتى كشف عنه « مريت » عام ١٨٥٧ ميلادية .

قصة الكشف عن بقايا الفرعون كامس : ولما كانت قصة الكشف عن بقايا هذا الفرعون ، وما دفن معه في تابوته من الحوادث العظيمة في تاريخ علم الآثار المصرية وتأسيسه في مصر لم نبدأ من تلخيصها هنا إذ أنها في الواقع تكشف لنا أمورا كثيرة عن أحوال مصر في تلك الفترة من تاريخها وكيف كان ينظر ولايتها لآثارها وتراثها الخالد . وذلك أنه في ربيع عام ١٨٥٧ ميلادية كان الأمير « نابليون » ابن عم الإمبراطور « نابليون » الثالث عائدا من رحلة في المحيط المتجمد . ولما كان هذا الأمير مصدر قلق ومضايقة

(١) راجع : Abbot Pap. Pl. III, line. 12 ; Breasted, A. R. IV, § 519.

دائمة لابن عمه الإمبراطور فقد كان الأخير لا يردّ له طلبا يقتضى رحلة خارج فرنسا ولذلك لم يتردد طرفه عين في إجابة مطلبه في القيام برحلة إلى الشرق ، ولا تزال رحلة الأرشدوق « مكسمليان » النمساوى في النيل ترسّ في الآذان وموضوع حديث عليّ القوم . ولم يكن الأمير « نابليون » يرغب في منافسة الأرشدوق وحسب بل يريد أن يفوقه في الحصول على مجاميع أثرية أهم من التي حملها إلى النمسا ، وعندما وصل إلى « سعيد باشا » وإلى مصر خبر هذه الزيارة المزعومة عقد العزم على أن يظهر لسموّزائه الإمبراطورى كل مظاهر التجلّة ، ومراسيم الاحترام التي يستطيع إبداءها ، ولذلك أرسل في الحال إلى « مرّيت » باشا الذي كان ملحقا « بمتحف اللوفر » وقتئذ بالحضور إلى مصر في أكتوبر سنة ١٨٥٧ في إرسالية مدتها ثمانية أشهر ، وقد رغب سعيد باشا في أن تكون كل خطوة يخطوها الأمير في زيارته جهات القطر ينبت فيها من الآثار ما يسرّ عين الأمير ويملاّ قلبه غبطة وعجبا .

واقْتَصَادَا في وقت الأمير أمر « سعيد » باشا « مرّيت » أن يصعد في النيل ويقوم بأعمال الكشف عن الآثار ثم يدفنها ثانية في الأماكن التي سيمرّ بها الأمير في رحلته ، وقد أعدّ المال اللازم لتلك الأعمال من جيب كل من « سعيد باشا » والأمير « نابليون » وكذلك خصص الوالى يخته لذلك ، وأصدر الأوامر إلى المديرين لتقديم ما يلزم من الأيدي العاملة . وفي هذه اللحظة كان « هنريج برکش » قد وصل إلى مصر فكلفه « مرّيت » بالاستعداد للقيام معه بأعمال الحفر ، وقد قامت فعلا الكشوف الأثرية على قدم وساق في « الجيزة » و « سقارة » و « العرابية المدفونة » و « طيبة » و « الفتين » ، وقد كشف فعلا عن مجموعة عظيمة من الآثار الهامة ، غير أن الأمير الذي من أجله قامت هذه الاستعدادات لم يحضر لاعتبارات هامة . وفي فبراير سنة ١٨٥٨ طلب إلى « مرّيت » العودة إلى عمله الرسمي « بمتحف اللوفر » ، ولكنه كان وقتئذ قد رسم لنفسه خطة البقاء في مصر

ليبقى مستقبله العاسى بها ، وقد اتخذ فعلا الخطوات الأولى المؤدية إلى ذلك ، فقد كان يعرف ميول الأمير « نابليون » إلى عمل مجموعة أثرية ليضعها في قصره ، ولذلك عرض عليه عن طريق سكرتيه أنه إذا أخر موعد سفره إلى فرنسا فإنه يكون في استطاعته أن يستولى له من « سعيد باشا » على بعض هدايا من التي كانت أعدت لرحلته التي لم تنفذ ، فأجيب « مريت » على طلبه هذا بأن الأمير يكون سعيدا جدا إذا حصل على مجموعة لا تكون نفاستها من ناحية قيمتها العالمة بل يرغب في بعض مجوهرات وتماثيل صغيرة ، ونماذج من الفن المصرى مع إيضاحات عن كيفية الكشف عنها .

وقد وافق الوالى على ذلك ورجا « مريت » أن ينتخب من الآثار كل ما يروق في عين الأمير ويرضيه ، ويضعها تحت تصرفه دون مقابل ، ولم يبق على « مريت » بعد ذلك إلا أن يرتب أمر الحصول على سفينة بدون أجر لهذا الأمير المقتصد ، وفى مقابل هذه الخدمات يستعمل هذا الأمير نفوذه لتعيين « مريت » مأمورا للآثار المصرية بالقطر المصرى . وقد تم له ما أراد ، وبذلك أصبحت مصلحة الآثار المصرية في عالم الوجود .

نتائج الحفائر التى قام بها مريت وبركش فى القرنة :

وقد كانت للحفائر التى قام بها كل من « مريت » و « بركش » فى « القرنة » نتائج سريعة . وقد وقفنا على معلومات عن المكان الذى وجد فيه تابوتان لاثنين من الأناقة ، وهما التابوتان اللذان كانا قد اشتراهما « مريت » قبل ذلك بثلاثة أعوام لمتحف « اللوفر » وبمعرفة هذا المكان الذى كان يعدّ مفتاحا للعثور على آثار أخرى من نوعهما أخذنا يتابعان عمل الحفر فى السهل المنبسط الذى تشرف عليه « جبانة ذراع أبو النجا » وعلى مقربة من نفس هذا المكان كان قد عثر على تابوت « أحح حنب » ، وكشف « مريت » فى ديسمبر سنة ١٨٥٧ عن تابوت الملك « كامس » مدفونا تحت كومة من التراب ، وقد وضع بدون عناية ولا اهتمام ، غير أنه كان لم

يمس بعد . ولما فحص « مريت » باشا محتوياته وجد أن التابوت ذاته ليس من الأشياء التي تروق في عين الأمير « نابليون » ولذلك بقى في مصر . والواقع أن هذا التابوت ليس من نوع التوابيت الملكية الفاهرة التي كانت توشى بطبقة من الذهب النضار كما أن الفرعون لم يكن يحمل على جبهته الصل الفرعوني المعروف . حقا إن التابوت كان من النوع الريشى غير أنه كان مما يعمل للأفراد لا الملوك ، وقد ذكر اسم الملك « كامس » عليه ! « الملك ابن الشمس » كامس » ، وكذلك وجد عليه اسم الملك « كامس » دون أن يذكر لقبه ، كما وجدنا مثل هذه الحالة على تابوت الملك « أنتف » مما جعل الباحثين وقتئذ في حيرة مستمرة .

محتويات التابوت :

وقد لوحظ أن المومياء لم تجهز للدفن بعناية كما كانت الحال في كثير من الأحيان في هذا العهد المضطرب ، ولذلك فإنه عندما كشف عنها « مريت » الفطاء ذهبت هباء لتحللها تحلا كليا . وقفند لاحظ « مريت » أنه كان مربوطا على أعلى ذراع « كامس » بردية مجدولة جدلا أنيقا ، يتدل منها خنجر من الطراز النوبى . كما وجد معه جعران وبعض تعاويذ ، ووضع على صدره طغراء ملكية محاطة من كلا الجانبين بأسدين مصنوعين من خالص النضار ، هذا إلى امرأة من البرنز ، وقد كان الخنجر والطغراء والأسدان ضمن ما تشمله الهدية التي قدمها « سعيد باشا » للأمير « نابليون » وقد آل مصير الخنجر إلى « متحف برنسل » ببليجيكا ، أما الطغراء والأسدان فقد كانا من نصيب « متحف اللوفر » . وكذلك كان « مريت » قد أرسل المرأة مباشرة إلى « متحف اللوفر » أما الجعران والتعاويذ فقد اختفت ولا نعلم عنها شيئا حتى الآن .

ويعد الخنجر من الآلات الفاهرة التي عثر عليها في الآثار المصرية ، ويبلغ طوله نحو ٣١ سنتيمترا ، ويشبه في صنعه الخنجر الذى وجد مع الملكة « أع حتب » اللهم إلا في بعض التفاصيل ، أما المرأة فكانت مصنوعة من البرنز الذهبى اللون ويبلغ حجمها حجم المرأة التي وجدت مع الملكة « أع حتب » .

ما يستنبط من دفن الملك « كامس » بهذه الكيفية :

ويمكننا أن نستخلص بعض حقائق هامة من دفن الملك « كامس » إذ تدل ظواهر الأمور على أن الفرعون قد قضى نحبه بعد حكم قصير، فلم يستطع أن يجهز لنفسه تابوتا ملكيا مذهباً يتفق مع ملكه ، ولذلك نجد أن خلفه قد دفنه بعد وفاته بزمن قصير في تابوت رخيص مما كان يشتري عادة من حانوت المتعهد لأفراد القوم وقد خلفه على العرش « أحمس » وهو الذى وجد سواره على مومية « كامس » والرأى السائد الآن أن « أحمس » كان أخاه الأصغر وهذا ما توحى به كل القرائن التى جمعت من « جبانة طيبة » على أنهما كانا ابني الفرعون « سقن رع » والملكة « أع حتب » ولم نعرف شيئاً مباشراً عن آثار هذا الفرعون إلا اللوح الذى وجدته « كارنفون » وسنتكلم عنه فيما بعد، ولكن من جهة أخرى نعرف اثنين من الكهنة الذين كانوا فى حراسة قبر هذا الملك فى با كورة الأسرة الثامنة عشرة . أولهما « مس » الذى كان يحمل ألقاباً كاهنية فى معبدى الملك « ناعا » والملك « تحتمس » الأول وكان يعمل كاهناً جنازياً للملك « كامس » والكاهن الآخر اسمه « مس » أيضاً ، وقد وجد له الأثرى « لانسنج » بعض بقايا من آثاره فى « البرابى » ، وكان يقوم بوظيفة رئيس الكهنة للفرعون . وقد ذكرنا أن « كامس » كان يعدّ ضمن أرباب الغرب الذين يعبدون فى عهد الأسرة التاسعة عشرة .

مقبرة الملك كامس :

وعلى الرغم من أننا حددنا المكان الذى وجدت فيه موميته فإنه ليس من السهل تحديد موقع قبره الأصيل لأنه من المستحيل علينا أن نحدد مقدار المسافة التى تبعد بين محبته وبين مكان دفنه الأصيل ، وموضع قبر هذا الفرعون فى القائمة التى فحصت بمقتضاها القبور الملكية فى ورقة « أبوت » يعتبر واحداً من القبور الأخيرة التى وصل إليها المفتشون قبل معبد « متوحتب الثانى » فى الدير البحرى ، وإذا فلسنا نبعد عن الصواب إذا جعلنا موقع قبره عند النهاية

الجنوبية من واجهة « جبانة ذراع أبو النجا » الشرقية . وفي هذا المكان بالضبط عثر على هرم صغير أقيم من اللبن يرجع عهده إلى عهد الأسرة السابعة عشرة أو الثامنة عشرة ، فإذا جرؤنا على القول بأن هذا الهرم هو قبر الملك « كامس » فإن الأحوال تدل على أنه قبر هذا الملك أو قبر الأمير « أحس ساب أير » وبخاصة لأنه قد رُم ثانية خوفا من العبث به (J. E. A. Vol. X. P. 262.) .

أما القبر الذى وجد فيه « اللورد كارزفون » لوح هذا الفرعون الخاص بحروب المكسوس فإنه يبعد عن هذا الهرم بنحو ١٥٠ مترا .

وقد عثر فى إحدى المقابر التى تجاور المقبرة التى عثر فيها على لوحة « كارزفون » على جمران مركب فى خاتم من ذهب ومنقوش عليه الإله الطيب « وازخبرع » معطى الحياة (راجع Newberry. "Scarabs" P. 1. XXVI, I) .

ولهذا الفرعون ثلاثة أسلحة فى المجموع الأثرية الانجليزية قد يحتل أنها من أحد مقابر حاشيته ، وكلها تحمل اسم هذا الفرعون ، وأجمل قطعة بينها سيف من النحاس آية فى دقة الصنع ، وهو فى مجموعة « إيشانز » منقوش عليه : « وازخبرع » محبوب « أع » وعلى نصله كتب أبو الهول الإله الطيب رب القربان « وازخبرع » رع « إنى أمير شجاع محبوب رع بن « أع » (القمر) والذى أنجبه « تحوت » ابن الشمس (كامس) متصرا فى الأبدية .

ولا نزاع فى أن هذا النقش يشعر بما كان يحسه هذا الملك من الثقة بنفسه فى المعركة المقبلة التى كانت تنتظره لطرده المكسوس من البلاد فيقول : « إنى أمير شجاع » . وقد لقب والده من قبله « تاعا » الشجاع مما يدل على أن هذه الأسرة كانت سليلة الشجاعة والإقدام فى البلاد .

والسلاحان الآخران هما رأسا (بلطتين) متشاكلتين وهما مثل (البلطة) الفاخرة التى وجدت مع الملكة « أع حتب » وتوجد إحداهما فى مجموعة « إيشانز » والأخرى

وهي أكثر الاثنين حفظا موجودة في المتحف البريطاني^(١)، وقد نقش على جانبي أولاهما : ”الإله الطيب « وازخبر رع » معطى الحياة ابن الشمس « كامس » مخلدا ، وعلى إحدى جانبي الأخرى : الإله الطيب « وازخبر رع » معطى الحياة ابن الشمس الحاكم الشجاع أبديا “ . وعلى الجانب الآخر : ” الإله الطيب « وازخبر رع » معطى الحياة ابن الشمس حاكم الجنوب أبديا “ .

كامس يتخذ لنفسه اسما جديدا :

ومما تجدر ملاحظته هنا أنه قد ظهر اسم غريب لللك « كامس » على لوحة من متاع أساس مبنى وهذه اللوحة محفوظة بمتحف « ينفرستى كويلج » قد سمي فيها « وازخبر رع » والحاكم العظيم^(٢)، فعلى هذه الآثار نشاهد « كامس » يطلق عليه اسم التتويج « وازخبر رع » الأمير الشجاع ، « وأمير الجنوب » و « الأمير العظيم » ، وبعبارة أخرى نلاحظ أنه لم يتخذ لنفسه اسما شمسيا وحسب بل اتخذ كذلك بدلا من اسمه الشخصي اسما « رسميا » وهذا ما يدل على أنه تقدم خطوة إلى الأمام أكثر من والده الذى أضاف لاسمه الشخصي نعت « الشجاع » ؛ إذ أدخل تجديدًا فى تأليف الألقاب الفرعونية ، فجعل من هذه الصفة ما يدل على اسمه الشخصي . والظاهر أن الفرعون « أحمس » الأول قد حاول محاولات ضخمة ليستمر على هذا النحو فنجدين مخاريط عثر عليها فى مقبرة أحد رجال حاشيته المسمى « تحوتى الكاهن الأول لآمون » ورئيس الخزانة ثلاثة مخاريط نقش عليها اسم الفرعون ولقبه بالنقوش التالية : ” الإله الطيب « نب بحتى رع » معطى الحياة مخلدا ، وابن الشمس « حاكم الأرضين » “ وكذلك عثر على جمران فى مجموعة « جرنفيل » منقوش عليه (نب بحتى حاكم الأرضين) . ففى كل هذه الأمثلة نجد أن اسمه الأميرى « حاكم الأرضين »^(٣)

(١) راجع : Budge, "Archeologia" (1892), P. 86.

(٢) راجع : Newberry, "Scarabs" Pl. XXVI, 2.

(٣) راجع : Petrie, "Ancient Egypt", 1916, P. 27, No. 16.

يحل محل اسمه « أحمس » ونجد كذلك أنه حتى « تحتمس » الأول قد حاول المحافظة على هذا التقليد^(١) .

والظاهر أن السبب المباشر الذى دما أولئك الفراعنة الأماجد الذين يؤلفون باكورة فراعنة الأسرة الثامنة عشرة ، وهم الذين على يدهم كان القضاء على قوم الهكسوس الفاصبين للبلاد إلى المحافظة على هذا التقليد ، هو أنهم أرادوا أن يظهروا للعالم المصرى أولا ، وللا تم المجاورة ثانيا أنهم قد أصبحوا حكاما على البلاد ريفها وصعيدها ، وأنهم نالوا ذلك بشجاعتهم ، وقوة بأسهم . فبدلا من أن يركبوا أسماهم بأسماء الآلهة مزجوا أسماهم بصفات الشجاعة أو ما يدل على القبض على ناصية القطرين ، فنعت « سقن رع » أول مناضل مع الهكسوس نفسه بالشجاع ، ثم خلفه « كامس » وسمى نفسه « بالأمير الشجاع » ، ثم جاء بعده « أحمس » فأطلق على نفسه « أمير الأرضين » بدلا من اسم « أحمس » وأخيرا جاء « تحتمس » الأول وقلد جده فسمى نفسه كذلك « أمير الأرضين » والظاهر أنه بعد أن استقر لتلك الأسرة ملك البلاد نهائيا ، وأخذت فتوحهم تمتد خارج حدود مصر لم يروا ضرورة للتسمية بهذه المسميات .

لوح كارنرفون الخاص بحروب الملك « كامس » :

والآن نود لشرح الجزء الذى قام به هذا الفرعون (أحمس) فى تحرير البلاد كما جاء على لوحة « كارنرفون » .

والواقع أنه هو الذى بدأ محاربة الهكسوس بصفة جدية ، وقد كان النصر حليفه ؛ إذ هزمهم شمالي الأشمونين فى مصر الوسطى ، وقد استقينا معلوماتنا عن حروبه هذه من نقوش على لوح من عصره كتب بالخط المهراطيق عثر عليه « اللورد كارنرفون » فى « طيبة » كما سلف ذلك ، وقد كان المظنون فى بادئ

الأمر أنه حديث خرافة ، ولكن العثور على جزء من لوحة أثرية عليها جزء من نقش النص دل على أنها نص تاريخي ، وقد نشر الأوتلى الأستاذان « جاردز » و « جن »^(١) ووجد الثانية « شفرييه » ونشرها المسيو « لاكو »^(٢) . وهالك نص لوحة الملك « كامس » وهى بلا شك أول نص تاريخي يعتمد عليه :

« السنة الثالثة » — « حور » الظاهر على عرشه ، وصاحب الإلهتين ، لمجد الآثار — « حور الذهبى الذى يجعل الأرضين مسرورتين ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (واذ خير رع ابن الشمس) « كامس » معطى الحياة مثل « رع » أبد الآبدين ، محبوب « آمون رع » سيد الكرنك .

المملك القوى فى ربوع « طيبة » « كامس » معطى الحياة مخلدا ، كان ملكا محسنا وقد جعله « رع » ملكا حقيقيا ، وسله القوة بالحق المين ، وقد تكلم جلالة فى قصره الى مجلس كبار الدولة الذين كانوا فى حاشيته قائلا الى أى مدى أدركت كنه قوتى هذه عندما أرى حاكما فى « أواريس » وآثر فى بلاد « كوش » (بلاد النوبة) وأنا أجلس (فى الحكم) مشتركا مع رجل من « العامو » (المكسوس) وعبد ، وكل رجل منهما مسئول على جزئه من مصر هذه ؟ وذلك الذى يقاسمى الأرض لأجله يمزق ماء مصر حتى « منف » تأمل ! إنه يسيطر على الأشيونين ، ولا يرتاح رجل لصيرورته عبدا للستيو (الأسويين) وإنى سأصارعه وأبقر بطنه ، وإن رغبى هى تحرير مصر والقضاء على الأسويين .

وعندئذ قال عظما مجلسه . تأمل لقد تقدم الأسويون حتى وصلوا الى القوسية ، ولقد أنجبوا ألسنهم لنا حتى آثروا (احتقارا كما يفعل الآن) . إننا فى طمانينة نملك نصيينا من مصر ، و « إلفتين » قوية ، والأرض الوسطى فى جانبنا حتى « القوسية » (وهى عاصمة المقاطعة التالية لمقاطعة الأرب) . والقوم يحرقون لنا (أى المكسوس) أحسن أرضهم ، وما شئتنا رعى فى مستنقعات الدلتا البردى . والشعير يدرس لخنازيرنا ، ومواشيتنا لم تقتصب بسبب ذلك وهو (المدو) يستولى على أرض العامو (أى أرض الدلتا) ونحن نملك مصر ، ولكن كل من يأتى إلى أرضنا ، ويأخذنا عندئذ سنناهضه .

وكانوا قد أغضبوا قلب جلالة (بقولهم هذا) : أما عن مجلسكم هذا فإن هؤلاء العامو الذين تأملوا فإنى سأحارب العامو وإن النصر سيأتى وإذا بالبكا. فإن

(١) راجع : J. E. A., III P. 95 - 110 & ibid Vol. V.

(٢) راجع : A. S. Vol., XXXV P. III.

الأرض فاطبة سترحب بي بوصفى الحاكم القوي في داخل « طيبة » « كامس » حامي مصر ، ولقد أفلحت منجدرا في النيل بوصفى محاربا لأهزم « العامو » بأمر « امون » صادق النصيحة ، وقد كان جيشي شجاعا يسير أمامي كأنه عاصفة من نار ، وكان جنود « المازوى » في مقدمة معاقلتنا لينجسوا على مواقع السيو ، ولیدمروا مواقعهم شرقا وغربا ، ومهمهم طعامهم وأدمهم ، وقد كان جيشي مكتظا بالمؤن في كل مكان . وقد أرسلت جيشا من « المازوى » في حين أني قد أمضيت اليوم لأحبس ؟ ... « تتي » بن « بيوي » داخل « قروسي » وهي مدينة على بعد بضعة أميال شمالى الأشمونين ، وقع بين الأخيرة والكوم الأحمر) ، وكنت لا أريد السماح له بالحرب ، ثم جعلت « العامو » الذين اعتدوا على مصر يولون الأدبار ، وقد كان مثله كمثل رجل قوّة العامو . ومضيت الليلة في سفيني وقلبي فرح ، وعندما أضاء النهار انقضضت عليه كالصقر ، وعندما جاء وقت قطر النجم (الإفتار) كنت قد هزمت ونجرت أسواره ، فبحث قومه ، وجعلت زوجه تنزل الى شاطئ النهر .

وكان رجال جيشي كالأسود عندما ينقضون على الفريسة ، ومهمهم الصيد والقطمان والأدم والشهد ، فقسوا غنائمهم وقلوبهم فرحة ، وكان أعظم « قروسي » على وشك السقوط ، ولم يكن بالأمر العظيم عندما أن تحبس زوجه ؟ وكان « برشاق » غير موجود عندما وصلته ، وهربت غيولهم في الداخل ، والحامية (؟) « .

محتويات هذا اللوح :

وإذا فحصنا محتويات هذا النص فإنه يتضح منه أن « كامس » أراد أن يخلص مصر من قبضة الآسيويين الذين لم يكونوا يملكون الدلتا وحدها ، بل كانوا وقتئذ قد زحفوا نحو الجنوب حتى مصر الوسطى وقد حاول نصحاء الملك « كامس » أن يمنعه إعلان الحرب قائلين له إنه يتمتع بحقوق زراعية في الأراضي التي يستولى عليها الأجنبي (ولا يبعد أن تكون هذه العبارة الأخيرة حيلة أدبية كان الغرض منها تبرير نوايا « كامس » . وجعلها أفعالا شريفة خالدة) ولكنه على الرغم من ذلك جهز جيوشه وأقلع شمالا منجدرا في النيل وهزم المكسوس هزيمة منكزة عند « قروسي » (؟) وهذا المكان غير معروف موقعه ، ولكنه على ما يظهر يقع على مسافة بضعة أميال شمالى « الأشمونين » ومن المحتمل أنه

يقص علينا في الجزء الذى لم يدون أن من نتائج هذه الهزيمة طرد الهكسوس ثانية إلى أرض الدلتا حيث نجدهم هناك في عهد الملك الذى خلفه ، غير أن هذا القول لا يخرج عن كونه مجرد زعم قد يصيب وقد يخطئ . هذا ومما نقش في اللوحة نعلم أن البسلاد كانت في زمنه ثلاثة أقسام ، فكانت الدلتا ومصر الوسطى في قبضة الهكسوس ، ومصر العليا يحكمها ملوك « طينة » في حين أن بلاد النوبة منفصلة عن مصر يحكمها ملك أسود من بلاد « كوش » . ولا يبعد أن « كامس » هذا بعد أن هزم الهكسوس وأرجعهم إلى الدلتا حول نظره نحو بلاد النوبة وهزمها ، واستولى عليها ، إذ نجد اسمه مقرونا باسم أخيه « أحس » على صخرة بالقرب من تشكة^(١) .

وخلف « أحس الأول » على عرش الملك (١٥٨٠ - ١٥٥٧) الملك « كامس » وعلى الرغم من أنهما من أسرة واحدة فإن الملك الجديد كان يعد على حسب ما جاء في « مانيتون » مؤسس الأسرة الثامنة عشرة .

ولا نزاع في أن فكرة « مانيتون » ووضع « أحس » الأول على رأس أسرة مصرية جديدة كانت فكرة موفقة من الوجهة التاريخية المصرية لأنه هو الذى طرد الهكسوس المبغضين للصيرين ، والمدهش أن معلوماتنا عن هذا العصر من الوجهة الحربية لم تصلنا عن طريق النقوش التاريخية الملكية ، فلم نثر إلى الآن على نقوش خاصة بالهكسوس جاءت عن طريق وثائق الملك « أحس » اللهم إلا نصا واحدا نجده قد أشار إليهم إشارة بعيدة . بذكريات حوادث نعلم من مصادر أخرى أنها قد وقعت ، فقد ذكر لنا على لوحة هامة سنتناول الكلام عنها فيما بعد يقول : « لقد كان زئيره في أراضى « الفنخو » (بلاد فينقيا وسوريا^(٢)) » .

(١) راجع : Weigall. A Report on the Antiquities of Lower Nubia LXV.

(٢) راجع : Weigall, "A Report on the Antiquities of Lower Nubia", Pl. LXV.

(٣) راجع : Urk IV, 18 : 6 & J. E. A., V, P. 52.

النصوص الخاصة بعروب المكسوس :

ولذلك فلا بد أن نحول أنظارنا إلى ترجمة حياة رجلين من كبار رجال الهندية في عصر هذا الفرعون لنقف على بعض تفاصيل عن طرد المكسوس . وأولهما هو « أحس بن أبانا » (أبانا اسم والدته) وقد التحق بخدمة الفرعون « أحس » في أوائل حكمه ، وقبل مماته ترك لنا قصة تاريخ حياته على جدران قبره بالكاب .

(١)

وهناك ما جاء فيها خاصة بعروب المكسوس :

يقول الضابط البحرى « أحس » بن « أبانا » (أبانا اسم والدته) صادق القول :

« أيها الناس إني أتكم اليكم جميعا ، وأجعلكم تعرفون الإنعامات التي قلها وكيف أتى قد كوفت بالذهب سبع مرات أمام الأرض قاطبة ، وكذلك بالميد والإماء ، وكيف أتى قد منحت أراضى شاسعة جدا ، لأن اسم الرجل الشجاع يكثر في الشئ الذي فعله وإنه لن يضر (اسمه) في هذه الأرض إلى الأبد .

وهكذا تكلم : لقد نشأت في مدينة (نخب) الكاب الحالية ، وقد كان والدى جنديا ملك الوجه القبلى والوجه البحرى المرحوم « سقن رع » واسمه « بابا » بن « رعنت » وقد انخرطت جنديا بدلا منه في سفينة الثور الوحشى ، في زمن سيد كلتا الأرضين ، صادق القول « نب بجى رع » (أى الملك أحس) حينما كنت شابا ، ولم أكن قد اتخذت لى زوجا ، بل قضيت ليلالى في سرير بحار ، وعندما أسست منزلا (أى تزوجت) نقلت على ظهر السفينة المسماة « الثمالية » لأنى كنت شجاعا ، وكنت قد اعتدت مصاحبة الملك على الأقدام ، في خلال أسفاره إلى الخارج في عربته ، وعندما جلسوا أمام مدينة « أواريس » (حاصروها) أظهرت شجاعا ، وأنا على قدمى في حضرة جلالتهم ، وعلى ذلك رقيت إلى السفينة المسماة « الظهور » في « منف » .

وعندما بدوا الحرب على الماء في القناة « بزدكو أواريس » أسرنا أسيرا وأحضرت يدا ، وقد أعلن ذلك لحاجب القرون ، ومن أجل هذا أعطيت « ذهب الشجاعة » .

وقد أعيد القتال في هذا المكان ، وقت بأسر أسير آخر هناك ، وأحضرت يدا فأعطيت « ذهب الشجاعة » ثانية ، وعندما حاربوا في مصر في الجزء الجنوبي من هذه البلد (أى أواريس) أحضرت أسيرا حيا . وقد ذهبت به إلى الماء ، لأنه كان قد أسرف في الجهة التي فيها المدينة ، وحمله معى في الماء إلى

الجهة الأخرى ، وقد أعلن حاجب الملك بذلك ، وتأمل : لقد كوفت « بذهب الشجاعة » من جديد ثم ساروا بعد ذلك لنهب « أواريس » وقد أحضرت من هناك أسلحا : رجلا واحدا وثلاث نساء ، أى مجموع أربعة رهوس ، وقد أعطانيهم جلالة عبيدا . ثم حاصروا بلدة « شروهن » ثلاث سنوات ، وعندما نهبا جلالة أحضرت من هناك غنائم : امرأتين ويدا ، وقد أعطيت « ذهب الشجاعة » ، وتأمل فإن غنيمتي قد أعطيتها عبيدا .

والآن عندما ذبح جلالة « منتيو » (آسيا) صعد جنوبا إلى « خنت حن نقر » (بلاد النوبة) ليقضى على بدو « بلاد النوبة » وبدأ جلالة مذبحه عظيمة فيهم ، وبعد ذلك أحضرت من هناك غنيمة : رجلين على قيد الحياة ، وثلاث أيد ، وقد كوفت بالذهب من جديد . انظر ! فقد أعطيت أمتين ، وأقلع جلالة شمالا وقلبه فرح (بما أوق) من شجاعة وفوز ، لأنه استولى على الجنوبيين والشمالين .

وبعد ذلك جاء « آنا » صاحب الجنوب إذ ساقه حتفه ، وآلهة الوجه القبلي مستولون عليه ، وقد وجده جلالة في « تناعا » (مورد) ، وأحضره جلالة أسيرا حيا ، وكذلك أخذ كل قومه غنيمة باردة ، وبعد ذلك أحضرت محاررين أسيرين من سفينة « آنا » وأعطيت خمسة رهوس وجزءا من الأرض مساحته خمسة « أرورا » في مدينتي ، وقد كوفت كل الأسطول بمثل ذلك .

ثم أتى ذلك الخائن المسمى « تيتي عن » وقد جمع العصاة معه ، فذبحه جلالة وقضى على بحارته ، وبعد ذلك أعطيت ثلاثة رهوس وخمسة « أرورا » في مدينتي .

وحملت على الماء ملك الوجه القبلي والوجه البحري المرحوم « زمر كارع » (المنحوت الأول) عندما كان متجها جنوبا إلى « كوش » ليوسع حدود مصر ، وقد قضى جلالة على ذلك النوبي البدوي في وسط جيشه ، وأحضره إلى مصر في الأغلال ، ولم يفلت واحد منهم ومن أراد الفرار ألقي أرضا وصار كالذين لم يسبق لهم وجود أبدا ؛ والآن كنت في مقدمة جيشنا ، وقد حاربت بكل شجاعة ، ورأى جلالة شجاعتي ، وقد أحضرت يدين ، وقد منّا بجلالته ، وعندما ذهبوا ليبحثوا عن قومه وماشيته أحضرت أسيرا حيا وقد قدم بجلالته ، وحملت جلالة في يومين إلى مصر من بر « حراو » وكوفت على ذلك بالذهب ، ثم أحضرت أمتين غنيمة خلافا للآتي قدمته بجلالته ، وقد رقيت إلى وظيفة محارب للحاكم (لقب حربى) .

وقد حملت على ظهر الماء ملك الوجه القبلي والوجه البحري المرحوم « عاخر كارع » (تحتس الأول) عندما كانت موصدا جنوبا إلى بلاد النوبة ليقضى على العصيان في كل الأراضى ، وليطرد المغيرين من الأقاليم الصحراوية ؛ وقد أظهرت شجاعة في حضرته في المياه المضطربة ، وذلك بجعل السفينة تقتحم الشلال ، وعلى ذلك رقيت ضابطا بحريا .

وقد سمع جلالة أن ... وصار جلالة غاضبا عند ذلك كأنه فهد ، وأرسل جلالة سهبه ؛ وقد لصق أول سهم في عتق الشمس . وهؤلاء العصاة كانوا ... وارتبك عند صل جلالة . وقد أقيمت هناك مذبحه لمدة ساعة ، وأحضر قومهم أسرى .

ثم انحدر جلالة في النهر نحو الشمال ، وكل أراضيه الأجنبية في قبضة يده ، ورأس ذلك الخاضع النوبي البدوي منكس في مقدمة سفينة جلالة (الصقر) وزلوا في « الكرك » .

وبعد ذلك قام (جلالة) بجملته إلى بلاد « رتنو » ليفصل قلبه (أى لينتقم) من كل البلاد الأجنبية ، فوصل جلالة نهرينا (أى بلاد النهرين) أو (مسوبوتاميا) .

وقد وجد جلالة ذلك الخاضع ما كان ينظم قواته . وقد أحدث بينهم مذبحه عظيمة ، وكان الجنود الأسرى الذين أحضرهم جلالاته من انتصاراته يخطمهم العدة وكنت في مقدمة جيشنا ، وقد رأى جلالة كيف كنت شجاعا . وقد غنمت عربية ببجوادها ، وكان الجندي الذي فيها أسيرا حيا ، وقد قدمت هذه لجلالاته ، وكوفت بالذهب من جديد ، وإنى قد أصبحت مقعدا ووصلت إلى سن الشيوخه ، ولكن العطف الذي أظهر لي كان مثل العطف الأول ... إلى أضطجع في القبر الذي أقنعه لنفسى في الأرض العالية (الجبابة) .

أهمية نصوص تاريخ حياة أحمس بن أبان :

وقد كان المصري يبذل همه في إلباس الحقائق المجردة ثوبا من التجميل والزخرفة فلم نجد في الوثائق المعاصرة التي في متناولنا شيئا من حقائق التاريخ المجردة الخاصة بالاستيلاء على « أواريس » وهي حادثة تاريخية من الأهمية بمكان اللهم إلا في ترجمة حياة ضابط حربي نقشها على جدران قبره في بلد ريفية بعيدة .

ولقد ترك لنا « أحمس » آثارا عامة لنفسه ومن بينها لوحة كبيرة من الأهمية بمكان جاء فيها أشياء عتة عن أعمال هذا الفرعون وما كان لوالده من المكانة في تاريخ البلاد ، وقد أشار فيها إلى الأعمال الحربية التي قام بها في الكلمات التالية : إنه ملك جعله « رع » يحكم وعظم من شأنه « آمون » فهما يعطيانه الأصقاع والممالك كلها دفعة واحدة ، وحتى كل ما يشرف عليه « رع » وسكان الصحراء يقتربون منه خاضعين في موكب ، ويقفون بأبوابه ، ورهبته بين أهل النوبة ،

ووثيرة في أراضى « الفخو » والخوف من جلالته في قلب هذه الأرض مثل الإله « مين » في عام حضوره . وهم يحضرون له الجزية الطيبة ، محملين بالعطايا لهذا الملك^(١) ، فما أعظم الفرق بين هذا وبين الأسلوب التاريخي الذي نقرؤه في الوثائق البابلية ، غير أنه إذا كان الأول كلاما طنانا وثرثرة خالية من المعنى ، مما يجعل نفس الإنسان شور حنقا ، فإن الثاني محمل مجذب يقص الحوادث الجافة كأنها عظام نخرة لجسم هامد لا تدب فيه الحياة .

وعلى أية حال فإننا لا نجد في قصة « أحس » نقيضة مما نتصف بها المتون المصرية في مثل هذا الموضوع . ويحتمل أنه هو الذى قد أملاها بنفسه ، وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن ننظر إليه من جانبنا على أنه كان محاربا مستا يقص قصته بصراحة دون أن يرنى للسانه العنان في تقيق الألفاظ والإسفاف مع الإسهاب في التعبير ، والظاهر أن والده كان جنديا بسيطا أو بحارا وحسب ، وتاريخ الأسرة هنا يكشف لنا عن كيفية ظهور طبقة جديدة موالية ملتفة حول الفرعون في أوائل الأسرة الثامنة عشرة ؛ إذ بعد ذلك بنحو ثلثمائة سنة قرأ في عهد « رععمسيس » الثاني عن المنازعات القضائية لأسرة قد كوّنت ثروتها مثل « أحس » بن « أبانا » من هبة أرض قدمها « أحس » الأول لفرد يدعى « نشى » كان ضابطا أميناً للسفن^(٢) . وفي بداية ترجمة حياته نجد « أحس » يفتخر بأنه قد كوفئ بأراض كثيرة جدا ، ومن الجائز أن نواة هذه الثروة هي الهبة الصغرى من الأرض التي كافأها بها « أحس » الأول ، وهي التي تبلغ مساحتها في هذه المرة خمسة (أور) أى نحو ثلاثة أفدنة ونصف فدان تقريبا ، وبعد ذلك بقليل أعطى مثلها . والظاهر على الرغم مما في المتن من تهشيم أن أحد الملوك الذين أتوا بعد « أحس » قد منحه فضلا عما عنده ستين أورورا أخرى (أى نحو ٤ فدانان انجليزيا) ، وإذا أضفنا المنح الأخرى التي

(١) راجع : Sethe, "Urkunden, IV", PP. 17 - 18.

(٢) راجع : Gardiner, "Inscriptions of Mes", P. 25.

قد ضاع عددها في الثغرات التي نجدها في المتن أمكننا أن نقدر ضيعته بنحو مائة أرور عند موته ، أو ما يقرب من سبعة وستين فدانا انجليزيا ، وإذ قرنا هذا بالمائة والخمسين أرورا التي منحها تحتمس الأول أحد ضباطه أمكننا أن نستنبط أن « أحس » حتى في نهاية خدمته الحكومية لم يكن قد وصل إلى الوظيفة الرفيعة التي تسند إليه أحيانا (أمير البحر) . والواقع أنه رجل من عامة الشعب قد جنت له شجاعته ثروة طائلة ، ولكنه على وجه التأكيد لم يكن أميرا بحريا للأسطول المصرى كما يقال عنه ، ومن المحتمل أنه كان له أقران في مدينته التي ولد فيها . والقائمة الخاصة بالأراضى التي منحها إياه « أحس » تتبعها قائمة أخرى تنص على العبيد الذين أعطاهم إياه الفرعون .

ومعظم أسماء هذه القائمة هي أسماء مصرية ، ولا بد أن نستنبط على الأقل أن بعض الأجانب الذين ضموا إلى بيت « أحس » قد غيروا أسماءهم الأجنبية بأسماء مصرية ، والاسم الوحيد الذى يمكن أن نعده (بشئ من الصحة) اسما ساميا هو اسم الأمة « استارام » وهو الذى قد ركب على ما يظهر تركيا مزجيا مع اسم الإلهة « عشتارت » ، ويقول « بورخارن » إنه يتركب من اعشتارامى : أى « عشتارت أُمى » ؛ وإن كان ذلك ليس محققا . والاسم « تاموثو » قد قرن بأسماء عبرية مثل « آموس » ، غير أنه وجد أن مصرية من علية القوم تحمل هذا الاسم بعد ذلك العهد بقرن من الزمان .

أحس ابن أبلان وأصله فى هروب الهكسوس

والآن يجب أن نعود للحملة التي اشترك فيها « أحس » والتي كان من جرائها منحه « ذهب الشجاعة » خمس دفعات في عهد « أحس » الأول ومرة في عهد كل من خلفيه ، ويدل حصار « أواريس » من طريقة سرد وقائعه على أنه كان حصارا طويلا الأمد . وقد رقى « أحس » مرة ، وكوفئ مرتين قبل أن يقوم بالعمل الذى توج حياته فى هذه الحملة ؛ ومن المحتمل أن المصريين كانوا قد صلبوا ، وأجبروا على

التقهقر لمدة ما لأنهم كانوا وقتئذ يحاربون في الإقليم الواقع جنوبى المدينة، وكذلك جنوب فرع من فروع النيل كما يظهر ، أو قناة ربما كانت تسمى « قناة بزدكو » وهى تقع بين المدينة وبين المصريين . والظاهر أن « أحمس » قد ترك رفاقه وذهب على متن الماء منحدرًا فى النهر ، وقد أسر واحدا من الهكسوس على الشاطئ الذى يعسكر عليه الهكسوس ، وخاض به فى الماء إلى الشاطئ الذى عليه المصريون ، والأسير على ظهره ، وقد كوفئ على هذا العمل بالذهب من جديد . الحادث التالى الذى نسمع عنه هو تخريب « أواريس » وهو الذى منح من أجله عبدا وثلاث إماء نصيبه من الغنائم ، وذكرى هذا الحادث قد وصل إلى عهد الإغريق ، وذلك لأن مؤرخًا يسمى « بطليموس » المنديسى قد وصلته قصة تقويض « أحمس الأول » « لأواريس » حتى الأرض ^(١) .

وبعد ذلك جاء حصار « شاروهن » وهى بلدة فى قبيلة « سيمون » جنوبى « يوده » ، وهى التى قد تقهقر إليها الهكسوس . وقد سلمت بعد حصار ثلاث سنوات ، وقد كان « أحمس » حاضرا ، واشترك فى الغنائم ، وقد وجد الأستاذ « زيت » فى مقدمة تاريخ « تحتمس » الثالث المهشم ما يعتبره إشارة إلى استقرار حامية الهكسوس فى « شاروهن » ولكن هذه العبارة تظهر لنا أنها تشير إلى عسكرة الجنود المصرية فى البلدة إلى أن أصبح مركزهم مهتدا بعصيان واسع النطاق فى سوريا ، وذلك عند ما شعر الفرعون بأنه لا بد من تدخله وحمايتهم .
(وترجمة زيت لهذه الفقرة ما يأتى ^(٢)) :

« السنة الثانية والعشرون ، الفصل الرابع من فصل الشتاء اليوم الخامس والعشرون من جلالة بقلة « ثاروا » فى أول قلة مظفرة ، ليطرد الذين هاجموا حدود مصر بشجاعة ونصر ، وبقوة وفوز .

(١) راجع : Tatian, or. ad. Gr. 159 (J. E. A. Vol. 5, P. 54 Note 1.

(٢) راجع : Sethe, A. Z. XLVII (1910) P. 84.

وقد مرت مدة طويلة من السنين كان فيها الآسيويون يحكمون البلاد اغتصاباً ، والكل يخدمون أمام (أمراءهم الذين كانوا في أواريس) وقد اتفق في أزمان أخرى أن الحامية التي كانت هناك كانت في مدينة « شارو هن » وهم الآن من « ريد » حتى نهاية الأرض في استداد للثورة على جلالته .
غير أن هذه الترجمة قد عارضها الأستاذ « جاردنر » من وجوه عدة^(١) .

على أن سقوط « شارو هن » لم يمه حملة « أحس » الأول في فلسطين ، وذلك لأن لدينا جندياً آخر يدعى « أحس بنخبت » من مدينة « الكاب » أيضاً يخبرنا كيف أنه سار في ركاب الملك إلى « زاهي » أو « فيتيا » حيث أسر أسيراً ويداً . أما عن « أحس بن أبانا » فإننا نسمع عنه ثانية في بلاد النوبة حيث قام بأعمال جليلة جديدة ، وكوفئ عليها بكرم .

أما الحملتان الأخريان اللتان حارب فيهما في عهد « أحس » الأول فكانتا على ما يظهر في مصر نفسها حيث قام عصيان أولاً بقيادة صدق مغمور الذكر ، قد يحتمل أنه نوبي يدعى « آنا » ، وثانياً عصيان آخر بقيادة شخص يدعى « تقي طان » وهو على ما يظهر من اسمه قد يكون مصري المنبت .

ما نستخلصه من رواية أحس بن أبانا عن حروب الهكسوس :
ومما يؤسف له أن قصة « أحس بن أبانا » التي تكلمنا عنها الآن ينقصها كثير من التفاصيل الهامة لهذه الحروب ، ومع ذلك فإننا من المكافآت العدة التي نالها « أحس بن أبانا » ثمناً لشجاعته — وقد كان غوراً معتراباً — نعلم بطريق المصادفة تقريباً أن الهكسوس كانوا قد حملوا على « أحس » خمس حملات أربعاً منها في « أواريس » نفسها . وإذا كانت هذه الهجمات قد وقعت في خلال سنة واحدة أو أكثر فلا سبيل إلى معرفة ذلك من النص الذي قدمناه للقارئ ، ولكننا نعلم أنه عند نهاية الهجوم الخامس والأخير قضى على النفوذ الأجنبي جميعه ، إذ قد

أصبحت « أواريس » مدينة مخزبة في وسط سهول الدلتا . وعلى أثر هذا الانتصار المين ، اقتنى « أحس » أثر الهكسوس متجها نحو الجزء الشمالى من صحراء « سينا » إلى أن تحصنوا بمدينة « شاروهن » الواقعة في فلسطين الجنوبية ، وضرب عليهم الحصار فيها ثلاثة أعوام (وشاروهن) بلدة ضمن قبيلة «سيمون» كما سبق^(١)، وعلى الرغم من أن موقع هذه المدينة لم يحدد بالضبط فإنه من المحتمل أنها توجد ببلدة «تل الفارا» الحالية ، وهى معروفة بأنها مؤسسة هكسوسية قوية . وفى النهاية استولى المصريون على المدينة ، وخلفا لهذه الحقيقة العارية عن كل تفصيل لم يقص علينا هذا الجندى إلا ما كسبه بنفسه من غنائم وذهب الشجاعة الذى كوفئ به . أما الفصل التالى في تاريخ حياة « أحس بن أبانا » هذا نخاف بجملة بلاد النوبة ، وأقل ما نعلمه منها أن حدود البلاد الشمالية كانت في مأمن من أى اعتداء وقتئذ ، وليس لدينا بعد ذلك إشارة إلى آسيا في التاريخ المصرى حتى عهد « تحتمس » الأول عند ما قاد « أحس بن أبانا » جيش الفرعون إلى « نهرينا » وهو طاعن في السن كما ذكرنا .

الدور الذى قام به أحس « بنخبت » في حروب الهكسوس : على أن الحملة التى قام بها « أحس » الأول على الهكسوس لم تكن نهايتها سقوط « شاروهن » ، وقد رأينا فيما سبق أن الملك نفسه قد أشار إلى الخوف الذى كان يملأ قلوب الناس منه في أراضى « الفنخو » . هذا إلى ما جاء ذكره عن حروب هذا الفرعون في آسيا في تاريخ حياة « أحس بنخبت » ، وهو بطل من أبطال الجندية ، ولد في نهاية الأسرة السابعة عشرة وعمر حتى عهد الملك « تحتمس » الثالث ، وقد ترك لنا تاريخ حياته على جدران مقبرته في « الكاب »^(٣) فيقول .

(١) راجع : Joshua, 19. 6.

(٢) راجع : Albright, "The Archeology of Palestine & the Bible" 2nd. ed. New York 1933, P. 53 & n. n. 82 - 84.

(٣) راجع : Breasted, A. R. II, §. 20; Urkunden IV, P. 35, 17.

” لقد رافقت ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « نب بحتى رع » (أحمس الأول) المرحوم وقد غنمت له من « زاهى » أسيرا حيا ويذا “ و « زاهى » هذه تعرف على وجه عام عند المؤرخين بأنها « بلاد فينقيا » ^(١) ولكنا فى الواقع لا نعرف لأراضى « الفنخو » التى سبق ذكرها حدودا جغرافية معينة قد وضعها الباحثون فى عصرنا ، كما أن القدماء لم يحددوها لنا ، وكل ما نعلمه أنها كانت على وجه التأكيد تقع شمالى « شاروهن » .

الإشارة إلى هروب الهكسوس فى المتون المصرية :

وهذه المصادر الضئيلة التى لا تشفى غلة هى كل ما وصل إلينا من وثائق مدونة عن تاريخ الهكسوس السياسى حتى وقت طردهم من مصر جملة . وقد كان الفراعنة الذين جاءوا بعد هذا الحادث الجلل فى تاريخ البلاد يشيرون إليه فى نقوشهم وإلى ما لاقته البلاد من يؤس وشقاء فى عهد أولئك الفزاة القساء ، فنجد على ما يظهر « تحتمس » الأول يشير إلى ذلك فى نقوش لوحة كشف عنها فى « العرابة » قال فيها : لقد جعلت حدود مصر تمتد إلى ما تحيط به الشمس ، ولقد هيات النصر لأولئك الذين فى وجل ، ولقد أبعدت الشر منها ، ولقد جعلت مصر تصبغ سيدة ، وكل أرض أصبحت عبيدا لها ^(٢) . ويلحظ فى هذه العبارة أن الهكسوس لم يذكروا بالاسم ، غير أنهم من غير جدال كانوا فى ذهن المؤلف وهو يكتب هذا المتن ^(٣) . وفى عهد الملكة « حتشبسوت » أصدرت الأوامر بحفر نقش على مدخل المعبد المنحوت فى الصخر فى « بنى حسن » وهو المكان المعروف الآن عند العامة باسم « اصطبل عتر » ، وعند اليونان باسم « سبيوس » وستكلم عنه فيما بعد .

(١) ويقول عنها « زيه » أنها منذ العرة الحديثة تعتبر الأراضى التى على ساحل فينقيا (راجع ترجمة

Urk. P. 9 note 4.

(٢) راجع : 11 - 15. : Urkunden IV, P. 102 ;

(٣) راجع : 7. : 12 - 648 : Urkunden IV, P. 647 ;

والجزء الخاص بالإهداء في هذا النص هو « لقد أنجزت هذه الأشياء بتدبير قلبي ، ولم أغفل بوصفي إنسانا نساء بل لقد قويت ما تدعى ، ولقد رتقت ما تمزق ، وذلك منذ أن كان الأسويون في . « أواريس » الشمال ومعهم قبائل حائلة بينهم ، هادمين ما كان قائما ، وقد حكموا بدون « رع » وإنه لم يعمل حسب الأمر الإلهي حتى عهد عظمى^(١) .

وفي الوقت الذي كان لا يخامر فيه الشك فكر أى إنسان في أن الهكسوس لم يبق لهم أى نفوذ فعلى مادي في البلاد بعد أوائل الأسرة الثامنة عشرة ، كان لا بد من قيام أعمال حفر واسعة النطاق إلى حد ما للاقتناع بأن الهكسوس بقوا مستوطنين في فلسطين وسوريا حتى عهد « تحتمس » الثالث (١٤٧٩ — ١٤٤٧ ق م) بل ويحتمل حتى عهد « امنحوتب » الثاني (١٤٤٨ — ١٤٢٠ ق م) ، وقد كان أول من فطن إلى هذه الحقيقة الأستاذ « برستد » وقد بنى استنباطه هذا على ما لاحظته بذهنه الحاد عن أحوال بداية الأسرة الثامنة عشرة في غربي آسيا^(٢) ، فقد رأى أن آخر طائفة للهكسوس لم يقض عليها إلا في حروب « تحتمس » الثالث . وقد وصل الأستاذ « زيته » كذلك إلى نفس النتيجة التي وصل إليها « برستد » بانبا رأيه على لقب كان يحمله كل من « تحتمس » الثالث وابنه « امنحوتب » الثاني ، وهذا اللقب هو : « ضارب الهكسوس الذين هاجموا (حوى حقا وخاسوت بجوسو)^(٣) . وكذلك نجد عبارة تشير إلى وجود هذا اللقب في عهد « امنحوتب » الثاني على لوحة عثر عليها في « أمادا »^(٤) .

وسنرى فيما بعد إلى أى حد قد حققت الحفائر هذا الرأي .

(١) راجع : J. E. A. V. P. 55, & Urkunden IV. P. 390 : 5 - 11. & J. E. A. XXXII P. 46 etc.

(٢) راجع : Breasted, "A History of Egypt", P. 220.

(٣) راجع : A. Z ; XLVII, P. 86 ff.

(٤) راجع : ibid P. 85.

مدى فتوح الهكسوس فى مصر :

وقبل أن تترك موضوع الهكسوس كما نعرفهم من المصادر المكتوبة يستحسن أن نفحص باختصار مدى امتداد نفوذهم الجغرافى فى مصر خلال احتلالهم لها .
 فقد روى لنا «مانيتون» أن الهكسوس عند فتحهم البلاد قد استولوا عليها جميعا ، غير أن هذا التعميم يحتاج إلى إثبات بطبيعة الحال . ونحن لا نشك فى أن الدلتا كانت فى قبضتهم ، وكذلك فى العهد الأخير من الأسرة السابعة عشرة امتد سلطانهم حتى مصر الوسطى كما نعلم ذلك من لوح «كارزفون» الأول السالف الذكر ، على أنه لا يمكننا أن نجزم حتى الآن فيما إذا كان الغزاة قد احتلوا البلاد جنوبى مصر الوسطى أم لا ، هذا على الرغم من وجود آثار تنسب إلى ملوك الهكسوس فى هذه الجهة مثل آثار الملك «خيان» كما ذكرنا سالفاً^(١) ، وآثار الملك «سوسرن رع»^(٢) «أبوفيس»^(٣) وهما ملكان من أعظم ملوك هذا العصر .

وقد عارض الأثرى « هول » هذا رأى ، إذ كان يرى أن استعمال الملك « أبو فيس » ملك الهكسوس جرائيت « أسوان » لا يمكن أن يتأتى إلا إذا كان مسيطرا على البلاد حتى الشلال الأول^(٤) . وهذا رأى منقوض لأن وجود رخام بلدة « كرازا » خارج إيطاليا لا يعنى أن إيطاليا بلد محتلة . والواقع أن التبادل المشترك أو التجارة وحدها يمكن أن يكون السبب فى وجود الأحجار التى تستخرج من أرض الجنوب فى بلاد الشمال .

(١) راجع : Daressy, "Rec. Trav, XVI. (1894) P. 42, No. LXXXVIII.

(٢) راجع : ibid XIV, P. 26, No. XXX.

(٣) راجع : Newberry P. S. B. A. XXX, P. 119 f.

فيقول الأستاذ « نيورى » إن الهكسوس لم يحتلوا البلاد قط جنوبى « القوصيه » وقد بنى استنباطه هذا على قلعة البراهين من مصر الجنوبيه ومن لوح « كارزفون » ومن نقوش « اصطبل عتر » التى يظهر منها أن « حنشبوت » لم يجد ضرورة لإعادة بناء معابد جنوبى المعبد الموجود جنوبى « القوصيه » .

(٤) راجع : Hall, "The Ancient History of the Near East" (1920)

على أنه توجد بعض أدلة قد تبرهن على أن ملوك الهكسوس كان لهم سلطان في الجنوب . فمثلا نلاحظ أن الملك « خيان » خلافا لتسميته نفسه « حاكم البلاد الأجنبية » كان يحمل لقب « ضام الأرضين » أى مصر السفلى ومصر العليا^(١) . حقا إن هذا اللقب له تأثيره على الآذان ، ولكن هل هذا في نفسه برهان صادق يعتمد عليه كما هو ؟ إن بعض ملوك الأسرة السابعة عشرة لم يحكموا الدلتا التى كانت وقتئذ فى قبضة الهكسوس ، ومع ذلك فقد استعملوا ألقابا طنانة مثل « ملك الوجه القبلى وملك الوجه البحرى » وكذلك « رب الأرضين » مما يدل على أنهم كانوا يحكمون البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، وهذا ما لا يبرره الواقع . ومن جهة أخرى تدل الأحوال على أنه من الجائز أن تكون البلاد كلها منذ بداية حكم الهكسوس فى الدلتا ، (ويحتمل كذلك منعظم مدة حكمهم) كانت تحكم نفسها بنفسها بموافقة الغزاة .

ولدينا براهين معاصرة قد توضح لنا ذلك ، ففى نهاية الأسرة السابعة عشرة نشاهد أن الملك « سقن رع » الشجاع ، كان يحكم فى « طيبة » تحت نفوذ ملك الهكسوس كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق . ولكن من جهة أخرى ليس لدينا براهين فاصلة عن هذا النوع من الحكم فى بداية عهد الهكسوس والعصر الذى جاء بعده ، وليس فى استطاعتنا أن نجزم بأن الهكسوس كانوا يسيطرون على الإقليم الذى فيه « طيبة » أو الإقليم الذى فى جنوبها إلى أن تصل إلينا معلومات تؤكد ذلك . وكل ما يمكن زعمه فى هذا الصدد هو أن بلاد الجنوب كانت تدفع جزية فادحة للهكسوس أصحاب السيادة فى الدلتا ، وقد بقيت الحال كذلك حتى مل أهل الصعيد دفع الجزية وأخذت قوتهم تزداد تدريجا حتى انتهى بهم الأمر إلى أن هبوا فى وجه الغزاة وهزموهم ، وأخرجوهم من ديارهم أذلاء مشردين .

(١) راجع : Edward Naville, "Bubastis", Pl. XII & XXV A.

المكسوس من المصادر الأثرية

لا جدال في أن علم الآثار منفردا لا يمكنه أن يمدنا بنوع المعلومات التي تمدنا بها الوثائق المكتوبة اللهم إلا إذا وجدت الوثائق في أثناء الحفر، لأن معظم القطع الأثرية تكون عارية من النقوش . والواقع أن المخطوطات تبحث في الآراء والحوادث والشخصيات ، أما الآثار فخاصة بالأشياء الأثر مادية . غير أن هذه الأشياء المادية قد تنطق أحيانا بما لا تنطق به أية وثائق .

والواقع أنها قد نمت معلوماتنا كثيرا عن المكسوس . هذا ونجد أن كلا من المصدرين مكمل للآخر كما أنه لا يمكن الاعتماد على واحد منهما دون الآخر .

ومع أنه قد تظهر مادة جديدة في عالم الوجود في أية لحظة زيادة عما كشف ، فإنه مما لا شك فيه الآن أن الهيكل العظمى الأثرى لهذا العصر يمكن أن نعتبره قد تكون واتخذ شكلا ظاهرا . ويرجع معظم الفضل في ذلك للأستاذ « البريت (Albright) » أولا لما قام به من حفائر علمية دقيقة في « تل بيت مرسيم » في « يودا » وثانيا لتطبيقه علم الآثار المقارن ، ولا أدل على ذلك من تقاريره عن حفائر « تل بيت مرسيم »^(١) .

غير أن عمل « البريت » كان لا يمكن أن يأتي بثماره المطلوبة دون الملاحظات السابقة التي أدلى بها كبار الباحثين مثل الأب « فنان » و « كلونس فشر »^(٢) .

وإذا حاولنا أن نضع هنا بيانا مختصرا قد لا يفنى بالمقصود عن الطريقة اللازمة للوصول إلى هذا الغرض ، فإن ذلك قد يعزى إلى وجوب تحقيق المواد

(١) راجع : Speiser, in Annual of the American Schools of Oriental Research, XII, (1932) and XIII, 55-127.

(٢) راجع : Pere Vincent & Clarence S. Fisher.

التي صنعها المكسوس أو استعملوها في حاجياتهم . والواقع أنه قد اعترضت الباحث في بادئ الأمر عدة عقبات ، فقبل البحث المقارن كان بعض الآثار الخاصة بالمكسوس وحدهم (وهي التي لم تكن معروفة بأنها من صناعة المكسوس) قد أوزعت بمهد متأخر يرجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد . وهذه الغلطة قد صححت في الحال ، ويرجع معظم الفضل في ذلك لوجود جمارين معروف تاريخها مع تلك الآثار ، ومن ثم أصبحت المسألة تتحصر في درس هذه الآثار على أنها داخلة في نطاق عهد المكسوس .

الكشوف الأثرية في فلسطين تزيد في معلوماتنا عن المكسوس :

وقد تقدمت معلوماتنا تقدما محسوسا في هذا السبيل في خلال السنين القليلة الماضية ، ومن العجيب أن هذا التقدم في الحصول على معلومات في هذا الصدد لا يرجع كثيرا لمصر كما يرجع إلى فلسطين . وهذا الموقف يعزى إلى أن فلسطين من الوجهة الأثرية بلد فقير ، إذ ليس فيها معابد ضخمة أو مقابر ضخمة كما يوجد في مصر ، ولذلك كان لزاما على الأثرى أن يتعرف ثانية تاريخ البلاد القديم من فحص بقايا البلاد التي دفنت منذ زمن بعيد بكل دقة وعناية ، وقد كانت نتيجة ذلك أنه أصبح في مقدور الأثرى أن يضع المواد الأثرية الخاصة بمهد المكسوس ، في مكانها التاريخي بثقة بسبب ارتفاع النيل في طبقات تربتها الآن ، إذ لا نزاع في أن الدلتا هي المكان الذي يجب أن تتطلع إليه قبل أي مكان للعثور على آثار قد تأثرت بمدينة المكسوس .

أما في « سوريا » فإن التقدم في هذا السبيل يسير بخطى واسعة ، غير أنه يجب أن نحول أظارنا في الوقت الحاضر نحو « فلسطين » وما يكشف فيها من آثار عملت على حسب حفائر نظمت موادها وفق الطبقات التي خرجت منها ؛ إذ تعتبر فلسطين الضابط الحقيقي لعصر المكسوس في سوريا ومصر .

الدور الذى لعبته قطع الفخار فى التاريخ : ولست فى حاجة لتأكيد الدور الذى لعبته قطع الفخار فى تقدم التاريخ الصحيح على حسبها . والواقع أنه على أثر إمكان تحديد فخار عصر الهكسوس ، قد أصبح من الممكن أن نعرف نواحى أخرى من ثقافة هؤلاء القوم . فالآلات المعدنية مثلا التى كانت فى العادة توجد جنبا لجنب مع فخار عصر الهكسوس يمكن عثها من صناعة الهكسوس أيضا . والواقع أنه أصبح من الميسور درس كل نواحى بلد ما من جهة الحياة ، والعادات والمميزات الهكسوسية . ومع وجود أشكال عدّة من الفخار فى « فلسطين » خاصة بمهد الهكسوس ، فإنها كلها لا تعنينا فى هذا البحث . وسيكفى لفرضنا هنا ذكر القليل منها الذى يعدّ من إنتاج الهكسوس بكل معانى الكلمة .

طرّاز فخار تل اليهودية :

وأحسن طرّاز معروف خاص بعصر الهكسوس هو ما يسمى طرّاز « تل اليهودية » ، وقد سُمى بذلك من اسم موقع هام ينسب للهكسوس فى الدلتا ، حيث قد وجد فيه هذا النوع من الفخار بكثرة ^(١) . وهذا الفخار كثرى الشكل ذورقة طويلة ضيقة ، وقبضته تمتد من كتف الإناء إلى حافته ، وتمتاز بأنها مزدوجة . وتنتهى قاعدته فى الفالب بزر . وظاهر الإناء مصقول ، ولونه فى العادة أسود غريب ، أو برتقالى لامع ، وعند ما يكون لون الإناء أسود فإن ظاهره يكون غالبا مغطى بأشكال مختلفة غائرة . وهذه الخطوط الغائرة المؤلفة لهذه الأشكال مملوءة بصبغة بيضاء اللون .

وكذلك يوجد طرّازان آخران خاصان بمهد الهكسوس كبيرا الحجم نسبيا ، ولكل واحد منهما مقبض مثبت عند كتف الإناء ^(٢) ، هذا إلى إبريق صغير ظريف الشكل

(١) راجع : Petrie, "Hyksos & Israelite Cites" (London 1906) Pl. VIII. P. 36 & 38.

(٢) راجع : Petrie, "Ancient Gaza", II. (London 1932) Pl. XXXII. P. 43c 4.

له قاعدة مدببة^(١) . ومن ذلك يرى في الحال أنه عند ما يتعزف الإنسان على طراز من هذا الذى ذكرنا بأنه من صناعة الهكسوس ، يصبح مساعدا ذا قيمة لا تقدر لكشف المواقع التى كان يحتلها الهكسوس .

ظهور فخار من طراز جديد يدل على هجرة قوم جديد

ويلاحظ أنه بعد أن وطد الهكسوس أقدامهم بمدة في فلسطين قامت حركة هجرة أخرى تركت أثرها في البلاد ، وليس لدينا وثائق مدونة من فلسطين تدلنا على من هم هؤلاء القوم الجدد . ولكن الفخار ذا اللونين الذى كان يرسم عليه غالبا أشكال طير أو شجرة أو سمكة^(٢) ، هو الذى كان يستعمله هؤلاء القوم ، هذا بالإضافة إلى اختتامهم^(٣) الأسطوانية الشكل ذات الطابع الخاص التى تجمعنا إذا ما قرناها بمثلاتها مما يصنع في شمالي « مسوبوتاميا » نقترح بأن هؤلاء حوريون . وبعبارة أخرى نقول إن العناصر الجديدة من الفخار التى دخلت « فلسطين » يمكن قرنها بمواد استعملها قوم يسكنون شمالي « مسوبوتاميا » كانوا يتكلمون اللغة الحورانية^(٤) ، وستستعمل كلمة « خوراني » في هذا المعنى هنا ، وإن كنا سنبرر استعمال هذا الاسم بأسباب أخرى فيما بعد .

وهذه العناصر الجديدة من الفخار مع كونها « خورانية » يجب أن نعتبرها هكسوسية لأن الأساس الثقافي الذى وضعت قواعده على يد الهكسوس الأول قد استمر جنبا بلجنب مع الثقافة الجديدة ، وكذلك لأن هذا التغير الجديد قد ظهر

(١) راجع : e. g. O. I. P. XXXIII. Pl. 23 : 6.

(٢) راجع : Ibid Pl. 46 : 14,-16. and 47; 14-17.

(٣) راجع : of Kirkuk. Nuzi type; See ibid P. P. 182-84 for Comparison of Seal designs from Nuzi & Megiddo.

(٤) راجع : Speiser in A. A. S. O. R. XIII. P. 13-54.

في مصر قبل طرد المكسوس منها بمئة ما (راجع المصدر عن ظهور الفخار الخوراني في العصر الذي يقع قبل الأسرة الثامنة عشرة في مصر فيا يأتي^(١)) .

أما فيا يخص فلسطين وحدها فانه كانت توجد ثقافتان تنسب إحداهما إلى الأخرى في خلال احتلال المكسوس للبلاد .

علاقة المكسوس ببلاد مسو بوتاميا :

ويلاحظ أنه لم يرد إلى مصر أى صنف من الفخار الذي ذكرناه أبداً ، ولكن هذا لا يمنع قل بعض الأفكار الصناعية إليها ، وهذا مؤكد على ما يظهر في التفتيم الزخرفى الذى يشاهد على القدور ، ولكن الأوعية نفسها كانت تصنع في مصر كما يبرهن على ذلك وجود المصانع المحلية الخاصة بها ووجود مقدار عظيم من الطراز الخوراني يجعلنا نحقق إذا أرجعنا سبب ذلك إلى هجرة مباشرة من بلاد «خورى» الواقعة شمالي «مسوبوتاميا» إلى مصر ، على أنه من جهة أخرى توجد بعض أشياء مستوردة لا تحتل الشك نشاهدها في زمن خرائب المكسوس ، وفي مدافن هذا العصر . وهذه الواردات معظمها من « قبرص » .

إنتشار تجارة المكسوس ومدنيتهم : وفي الوقت نفسه نجد أواني من صناعة « المكسوس » في « قبرص » مما يوحى بتبادل تجارى بين البلدين^(٢) ولم تكن التجارة كاسدة في عهد المكسوس ، بل كان من المحتمل وجود موان بحرية أكثر نشاطا على الشاطئ الشرقى للبحر الأبيض المتوسط في ذلك العصر ، وكان يزيد

(١) راجع : Petrie & Guy Brunton, "Sedement" (London 1924) I. Pl. XLV, 67-68 & 71 ; George Moller, "Die archeol. Ergebnisse des Vorgesch Grabfeldes von Abusir el Meleq" : Alexander Scharff (W. V.D. O. G. XLIX. (1926). Pl. 70: 484-85; Brunton, "Qua & Badari." III. Pl. XVI, 55 P. & R.

(٢) راجع : Diedrich Fimmen "Die Kretisch-Nykenische Kultur" Leipzig und Berlin (1914. P. 159. Fig. 158.

عددتها على ما هو موجود الآن ، وقد كان الهكسوس أصحاب نشاط كذلك في ميدان صناعة المعادن^(١)، وتدل التحاليل العدة التي أجريت في المعادن التي عثر عليها في فلسطين بأن النحاس كان المعدن الهام المستعمل في اليهود التي قبل عصر الهكسوس ، ولكن عند وفود القوم الجدد على البلاد أمكننا أن نرى بداية حلول عصر استعمال البرنز ، ومن المعلوم أن أول ظهور للبرنز في أى مجتمع كان له دائماً تأثير انقلابي ، وذلك لأن مقدار التصدير الذي يضاف إلى النحاس ، وهو المادة الهامة في تكوين سبيكة البرنز ، يكون عوناً في الحال على إحداث تحسينات فنية ، لأن السبيكة الناتجة من هذا المزج تسهل عمل قالب نظيف ، وكذلك تنتج معدناً أشد صلابة وأكثر قعماً ، فضلاً عن انصهاره بدرجة حرارة منخفضة^(٢) . وتوجد ميزة أخرى لهذه السبيكة ، وهى إمكان معالجتها في قوالب مقفلة تكون نتيجتها إخراج أشكال جديدة .

وقد أحضر الهكسوس معهم هذا المخترع الفنى إلى البلاد في صورة راقية رقيقاً بارعاً ، ومن المحتمل أن فوائده كانت ظاهرة في حالات عدة في معاملهم مع البلاد التي لم تكن تعرف بعد البرنز وبخاصة مصر .

وليس من الضروري أن نعالج هنا أشكالاً معدنية معينة لأن بعض هذه سيشار إليه عند فحص مسائل نوعية ؛ ونكتفى هنا الآن أن نقرر بأنه يوجد طراز خاص

(١) راجع فحص تحليل المعادن التي وجدت في « مجدو » (O. I. P. XXXIII, P. 161) وقد نسب « إيفان » قطعة من النقوش المصرية ظهر عليها أفراد يحملون جزية في صورة سباتك من المعدن الأبيض يسمى « رحتى » إلى الأسرة الحادية عشرة (راجع "Palace of Minos", II, P. 179-8 (London 1928) وقد ترجم قاموس برلين كلمة « رحتى » قصدير ولكن « إيفان » يقول أنها تعنى صفيح op. cit. P. 177 no. 3.

(٢) راجع : Lucas, "Ancient Egyptian Materials", 2nd. Ed rev. (London, 1934) P. 174.

(٣) راجع ملخص لذلك في « مجدو » O. I. P. XXXIII, P. 163-77

يشمل الأسلحة والمجوهرات التي كانت على ما يظهر مميزة لعهد الهكسوس ، وذلك ينطبق على أشياء أخرى مثل الجصارين والأواني المصنوعة من المرمر ، والمطعمة بالعظم ، ومواد أخرى مثر عليها في بلاد أو مدافن تنسب إلى الهكسوس .

طراز التحصينات الخاص بالهكسوس : وطراز تحصين المدن الذي كان من أعظم مخصصات الهكسوس يتألف من طوار منحدر أو استحكام يبنى فوقه جدار البلدة نفسها ، وزيادة في التحصين كان يحاط بحفر خندق أو حفرة في غالب الأحيان ، وكان يستعمل في إقامة مثل هذا الطوار غالبا المواد الموجودة في البيئة التي أقيم فيها هذا المبنى مثل الرمل والطين واللبن والأحجار والبص . وكان تصميم بناء مدن الهكسوس يميل إلى حد ما التكوين الطبقي للأرض التي ستقام عليها المدينة ، فإذا كانت السلالة الجديدة قد عقدت العزم على أن تقيم بلدها مثلا على تل بيض الشكل أو غير منتظم الأضلاع لأجل أن تكون بالقرب من عين ماء أو لتستفيد من البناء على قلعة ، فإن أفرادها في مثل هذه الأحوال يبنون جدرانهم حسب طبيعة المكان وما فيها من شذوذ^(١) .

(١) وقد ثبت الآن أن الجدار المقام من اللبن الذي عثر عليه شينخري يرجع إلى عهد الهكسوس (راجع : "Tell el Mutesellim", I (Leipzig, 1908) Pl. II الذي ظهر فيها هذا الطراز هي تل بيت مرسم Albright, in A. A. S. O. R. XII, P. 19, B. A. S. O. R. No. 47 (Oct. 1932) P. P. 8 f., "Archaeology of Palestine and the Bible", [2nd Ed.] P. 86; Tell el Duwair (J. L. Starkey in P. E. F. Q. S. (1934) PP 167 - 70); Jericho (John Garstang in P. E. F. Q. S. (1930) Pls. IV & VI; (1931) PP 187 - 90); Tell Taa'nnak (Ernst Sellin, "Tell Taa'nnak", K. Akademie der Wissenschaften in Wien, "Denkschriften" L. 4 (1904) Plan following Pl. XIII; Tell el'Ajul (Petrie, "Ancient Gaza", II, 1, 3 and 13, and Pls. XLIV, LI), Tell el Fara, (Petrie, "Beth Pelet" I, 16, Pl. XIII); Ascalon (Garstang, P. E. F. Q. S. , 1922 PP. 122 ff. and Joshua - Judges [London, 1931] P. 359); Tell el Hasi, (F. J. Bliss, "A Mound of Many Cities," [New York and London, 1894], P. 18.

وهذا أمر على ما يظهر طبعى جدا ، ومن خصائص بعض تحصينات المكسوس أنها تميل إلى الشكل المستطيل أو المربع حينما تسمح بذلك طبيعة الأرض التى سيقام عليها المبنى . هذا وقد لفت نظر الباحثين أن جوانب هذه المباني أو أركانها ، كانت تقام مواجهة الجهات الأربع الأصلية ، وقد كشف عن مثل هذه التحصينات فى الوجه البحرى ، وفى فلسطين وسوريا ، وفى معظم الأحيان قد عرفت أنها من مباني « المكسوس » بخصائصها ، وقد كان أحسن معسكر مستطيل الشكل وهو الأول الذى عرف أنه من بناء المكسوس هو المعروف الآن « بتل اليهودية » فى الدلتا^(١) .

وصف حصن تل اليهودية : وكانت مساحة المبنى نحو ١١٠٠ قدم مربع من الداخل ، وأركانه مستديرة ، وله رصيف من الرمل مطلى بالحص ، وقد دعم بعناية من الداخل بجدار واق كان يبلغ اتساعه عند القاعدة ما بين ١٣٠ و ٢٠٠ قدم ، أما فى الجزء الأعلى فكان يتراوح ما بين ٥٠ إلى ٧٠ قدما ، وكان الطوار ينحدر بزاوية متوسطة انفرجها نحو أربعين درجة . وتدل الشواهد على أن الاستحكام لم يكن يعملوه جدار ، لأنه كان بطبيعته عاليا بقدر الحاجة ، وكان لهذا الحصن طريق طويلة منحدرة تؤدى إلى باب محصن أقيم على قمة الاستحكام . وعلى مسافة أحد عشر ميلا جنوبى « هليوبوليس » أقيم بناء مماثل للسابق ، غير أنه كان أكثر بساطة منه ، مربع الشكل ، أركانه مستديرة ، ولم يكن له على ما يظهر مدخل على مستوى الطريق العامة^(٢) ، ويشير هنا « بترى » إلى حظائر أخرى عظيمة مسورة دون وجود أى باب أصلى ، وقد لحظ مثل ذلك فى الدلتا ، وكذلك فى مصر الوسطى .

(١) راجع : Petrie, "Hyksos & Israelite Cities", Pl. II-IV. & PP. 3-10

(٢) راجع : Hazor W. M. F. Petrie & Ernest Mackay, "Heliopolis,

Kafr Ammar and Shurafa". (London 1915) Pls. I-VI. & P. P. 3 f.

وفي فلسطين كشف عن موقعين حصن كل منهما على وجه عام مستطيل الشكل ، وفي سوريا كشف عدد من هذا الطراز أهمها الحصن الذي وجد عند بلدة « مشرفة » (قطنا القديمة ^(٢)) ، وحجم هذا الحصن ضخم جدا إذ تبلغ مساحته مساحة « تل اليهودية » ست مرات . والواقع أن كل المواقع التي أقامها الهكسوس كانت تحتوى على طوارى في صورة ما .

ويظهر على قدر ما وصلت إليه معلوماتنا أن الطوارى والاستحكام المربع كانا فكرة خاصة بالهكسوس ، ولذلك عند ما نرى هذا الشكل من البناء في « سوريا » أو في « فلسطين » أو في « مصر » نعرف أنها أقاليم خاضعة لنفوذ الهكسوس ، وإذا حكمنا على الهكسوس من هذه الناحية فقط أيقنا أنهم شعب محارب ، ولدينا في الواقع من الأسباب الأخرى ما يجعلنا على الاعتقاد بأن الهكسوس كانوا كذلك في بعض الأوقات ، وهذه الآراء الجديدة ، وكل الآراء الأخرى التي تصادفنا في الأوساط الهكسوسية تجعل الإنسان بطبيعة الحال يفحص مسائل أصلهم ، وستقوم بمحاولة للإجابة على بعض هذه المسائل في فصل خاص .

الهكسوس يجلبون الخليل والعربات إلى مصر : وإذا كنا نرى أن كثيرا من نجاح الهكسوس يعزى إلى أسلحتهم المتفوقة وحصونهم الممتازة ، فلا نبعد عن الصواب إذا قلنا إن الخليل والعربات قد لعبت دورا كبيرا في أقدارهم ، والواقع أن الهكسوس كانوا يعتبرون منذ زمن بعيد أنهم هم الذين جلبوا هذه العناصر الجديدة الهامة من المدنية إلى مصر ، وقد كان سندنا الهام في ذلك لغويا ، وقد كانت أول

(١) راجع : Garstang in A. A. A. XIV. (1927) 35-42 & Joshua-Judges (١) (هازور) P. 371-83, & Sechem (ملاطبة الحديثة) Gabriel Welter in Archeologi Scher Anzeiger etc. (1932), cols, 294-96 & Albright, in J. P. O. S. XV. (1935), P. 224.

(٢) راجع : "Du Mesnil du Buisson", La Site Archeologique, de : (٢) Mishrife-Qatna (Paris 1935) P. P. 40-42. & Pls. I-II. etc.

إشارة وردت في المتون المصرية عن الخيل واستعمالها في المتون المصرية ما جاء في لوح « كارزفون » الأول بلفظة « حثرو » أى الخيل^(١) ، والآن يأتى علم الآثار متقدما بنفس القصة ، فقد أمدتنا الحفائر التى قام بها السير « فلندر زبترى » فى « تل العجول » الواقع فى جنوب فلسطين بمعلومات عظيمة عن الحصان بوصفه حيوانا خاصا بالهكسوس ، إذ لم يظهر الحصان هناك حيوانا يسرح فقط ، بل كذلك عثر عليه فى ودائع الأساس (أى يقدم قربانا) هذا إلى أنه كان مظهرا هاما من مظاهر المدافن الآدمية ، فكان يوضع ضمن القرايين التى توضع مع الميت^(٢) ، وعلى الرغم من أنه لا توجد إلا أمثلة قليلة نسبيا تدل على امتطاء صهوة ظهور الخيل ، فإن الحصان كان عمله الرئيسى فى الأصل ، ينحصر فى جر العربى ، وقد بقيت الحال كذلك إلى عصور التاريخ المتأخرة ، والأسباب الداعية لذلك ليست واضحة ، غير أنه من الجائز أن الأحوال التى جلب بسببها الحصان قد تكون هى التى هيات طريقة استعماله ، أما ما يقال بأن صغر حجم الحصان هو الذى جعله غير صالح للركوب ، فقول مردود على من ادعاه ، إذ نعلم أن الحمار كان أصغر حجما من الحصان ، ومع ذلك كان يركب فى مصر منذ زمن بعيد جدا قبل عهد الهكسوس .

عظم مدينة الهكسوس : ولا نعلم حتى الآن من الآثار عن أحوال الهكسوس ومظاهر حياتهم إلا القليل ، فإذا ألقينا نظرة على حياتهم كما تتصورها على أساس البلاد الأثرية المكشوفة حديثا ، وما عثر عليه فى مقابرهم ، اتضح لنا أنهم قوم على جانب عظيم من المدنية ، بل كانوا أكثر تقدما فى بعض النواحي من جيرانهم فى وادى النيل ، الذين كانوا يعتبرون أقدم منهم ، فصفاتهم

(١) J. E. A. III. P. 107. راجع :

(٢) Petrie, "Ancient Gaza" I. (London 1921) P. 4f. & Pls. راجع :

VII.-IXc. LVII; 114 & 14; IV. (London 1934) 16. & Pls. XXIII. & XXV.

الحربية ظاهرة في كثير من المواد التي شاهدها حتى الآن، ولكن إذا كان ذلك يستلزم أن ننظر إليهم بأنهم قد بقوا قبيلة بالمعنى المتعارف لكلمة قبيلة مدة طويلة بعد نزولهم على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، فإن ذلك لا يرتكز على حقائق ثابتة، بل على العكس لدينا أمارات عدة على أنهم كانوا يعيشون عيشة منظمة بالمعنى الاجتماعى الصحيح، فقد خططوا البلدان المنظمة التي راجت فيها التجارة ، وقد كان صانع الفخار عضوا هاما في الجماعة ، فقد كانت أوانيهِ الجميلة الصنع يوضع فيها محاصيل الحبوب الخصبية ، وكان الحدّاد ، وصانع المجوهرات كل ينتج في صناعته بمهارة فائقة، ولم تشهد من قبل السواحل الجنوبية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط إقامتا في ميدان صناعة المعادن ، والواقع أن هذا الإقناع لم يكن ميسورا قبل تقدم عمل السبائك والتفنن فيها، وهو ما ظهر على يد المكسوس في صناعته .

ولا نزاع في أن التجارة بين الجماعات كانت من الأشغال اليومية العادية ، ومع هذا فإن البرهان على ذلك كان يظهر للباحث أصعب وأشدّ تعقيدا من البرهنة على التجارة بين الأقطار النائية بعضها عن بعض ، فنعلم أن « قبرص » ومصر و « فلسطين » و « سوريا » كانت تتجر سويّا في مواد مختلفة في خلال عهد احتلال المكسوس للبلاد كله . فقد كان كل ساحل سوريا وفلسطين يزخر بالموانئ البحرية الصالحة للتجارة ، وكانت المواد الكيالية تأتي من قبرص إلى هذه الموانئ ، ثم توزع منها إلى الداخل ، كما كانت محاصيل المكسوس تشحن إلى قبرص ؛ فهذه الأدلة وغيرها توضح لنا بجلاء أن حياة المكسوس كان لها شأن ومكانة راسخة لم يعترف بها كل المؤرخين ، ولا نزاع في أن كل ما أتى به المكسوس من جليل الأعمال التي أشرنا إليها لا يمكن أن يتم في جو كله حروب مستديمة ، بل يجب أن تعزى تلك الأعمال إلى قوم على جانب عظيم من المهارة ، قد اعتنقوا طرائق الحياة المتمدينة التي تحيط بهم عند ما حطوا رحالهم واستقر بهم المكان .

الأدلة على وجود الهكسوس فى عهد الأسرة الثانية عشرة

والآن ننتقل إلى نقطة عويصة فى تاريخ الهكسوس لم تبحث حتى الآن بطريقة علمية منظمة ، وهى وجود عنصر الهكسوس فى مصر فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، قبل أن يغزوا البلاد جملة ، وسرى أن المواد الأثرية التى كشف عنها قد لعبت دورا هاما فى كشف النقاب عن الجواب على هذه المسألة ، والواقع أن وضع تاريخ متصل الحلقات مهما كان سليما فى نظرنا ، لابد أن يعتمد فى خطاه الأولى على المواد الأثرية ، على أن الأهمية التامة لذلك لا يمكن تحقيقها إلا إذا كان هذا التسلسل مؤرخا بطريقة ما ، ثم تحقيقها على ضوء ما يقابله بالنسبة للاقطار المحيطة ، ونحن هنا سنعالج موضوعا خارجا عن حدود عهد احتلال الهكسوس لمصر ، وهو العهد الذى ينحصر على ما يظهر من المتون المصرية بين عامى ١٧٥٠ و ١٥٨٠ ق م . وإذا فحصنا اتجاه حركة هجرة الهكسوس ، رأينا من الواضح أنهم قد استوطنوا سوريا وفلسطين قبل أن يحتلوا البلاد المصرية ، ولكن السؤال الهام هو : ما مقدار السرعة التى احتلت بها هذه الأماكن ؟

والجواب على ذلك يتوقف على طريقة الفارة التى قام بها هؤلاء الغزاة ، هل كان هجوما خاطفا مخربا أو كان تقدما جاء تدريجا وعلى مهل ، ولكن بقوة متزايدة ذات مفعول محس ؟ ولا نزاع فى أن طريق فحص مثل هذا الموضوع مليئة بالأحاييل التى تستلزم اليقظة والانتباه التام . وسنفرض أولا أن الفخار ، والحصون والأشكال المعدنية ، والمواد الأخرى التى ذكرناها فيما سبق كلها دلائل تحدثنا عن وجود الهكسوس فى البلاد . وقد زعمنا أن كل فخار « تل اليهودية » وكذلك كل الفخار والأشياء الأخرى التى توجد معه ، متصلة بالهكسوس ؛ وكذلك اعتبرنا الثقافة الحديدية الخاصة بعصر البرز المتوسط ، وهو ذلك العصر الذى يختلف اختلافا يكاد يكون تاما عن التقاليد الثقافية لمصر البرز الأول لأنه جاء عن طريق الشعب الحديد وهم الهكسوس ؛ فإذا حاز هذا الرأى قبولا حسنا فإننا نكون

في حل من أن نحاول تأريخ بقايا آثار الهكسوس كما وجدناها في سوريا وفلسطين ومصر .

عندما وجد علماء الآثار طراز أوانى « تل اليهودية » لأول مرة عدوه من إنتاج الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة ، ولم يكن مفهوما وقتئذ أن هذه الأوانى من إنتاج عصر الهكسوس ، ولكن عند ما عرفت صلتها بالهكسوس فيما بعد تنحى العلماء عن اعتبارها معاصرة للأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة ، وذلك لأن عصر الهكسوس قد خلف سقوط الدولة الوسطى . وقد كانت المؤثرات السياسية والثقافية تعتبر إلى حد بعيد متعاصرتين ، أى أنهما تقعان في عهد واحد . فمثلا نجد الأستاذ « بيت » (Peet) يتحدثنا بالبيان التالى عن أوانى « تل اليهودية » : أما فيما يتعلق بتاريخ هذه الأوانى المحززة فليس فيه صعوبة كبيرة ، إذ لا أعرف مثالا واحدا من عهد الأسرة الثانية عشرة^(١) ، ولا شك في أن هذا الدفاع كان طبيعيا للغاية بالنسبة لمعلومات الوقت الذى قيل فيه ، ولكن منذ أن كتب الأستاذ « بيت » ما كتبه ، ظهر فى جوّ الكشف الأثرية براهين جديدة فى تناول الباحث الآن ، وهى التى على ضوءها أصبح من الممكن إعادة فحص المواد القديمة التى سبق الحكم عليها خطأ ، وفى الصفحات التالية سنستعرض البراهين الخاصة بهذا الموضوع كما وجدناها فى مواقع أثرية تمتد ما بين نوبيا وسوريا .

آثار الهكسوس فى « بوهن » : فى « بوهن » القريبة من (وادى حلفا) من أعمال بلاد النوبة عثر على عدة أوان من طراز « تل اليهودية » ، وقد ذكر كل من الأثرين « راندل ماك ايفر » و « ولى » أنه على الرغم من علمهما بأن فخار « تل اليهودية » هو من مميزات عهد الهكسوس فى مصر ، فإنهما مع ذلك لم يحدا محيصا من تأريخ أقدم نوع من هذا الطراز ، وهو الذى وجد فى « بوهن » بالأسرة

(١) راجع : Naville and Peet, "The Cemeteries of Abydos II", (London 1914). P. 68.

الثانية عشرة ، وذلك لأنه قد عثر على قطعتين أثريتين في الجبانة القديمة التي وجد فيها هذا الطراز من الأواني الفخارية منقوش على كل منهما لقب الفرعون «أممنحات الثالث» (١٨٤٩ — ١٨٠١ ق م) هذا ولم يوجد في هذا المدفن الذي نحن بصددده ما يمكن تأريخه بعهد بعد الأسرة الثانية عشرة^(١).

آثار الهكسوس في الفيوم : وقد عثر كذلك في «الحرجة» الواقعة بالقرب من «الفيوم» على أوان سوداء من طراز «تل اليهودية» المحرز بأشكال مملوءة باللون الأبيض ، وقد عثر عليه في «الجبانة» ب التي تحتوى على مقابر حفرت في هيئة آبار . وقد أُرخت إحدى هذه الآبار بعهد الفرعون «سنوسرت» الثالث (١٨٨٧ — ١٨٤٩ ق م)^(٢) ؛ وقد وجدت أمثلة أخرى من هذا الطراز في أكوام من قطع الفخار المنسوبة للفرعون «سنوسرت الثاني» (١٩٠٦ — ١٨٨٧ ق م). وقد قال عنها «انجلباخ» إن معظم الأمثلة على ما يظهر قد انحدرت إلينا مع طائفة الصناع الذين كانوا يعملون في بناء هرم «سنوسرت الثاني» في «اللاهون»^(٣).

آثار الهكسوس في اللشت : وقد وجد في «اللشت» الواقعة عند مدخل الفيوم عدة قطع من طراز «تل اليهودية» بما في ذلك إبريق ذو مقبض مزدوج ، ومحلى بظيور ملونة وسمك . وقد وجد في نفس البئر المؤرخة بالأسرة الثانية عشرة عدة أوان سوداء محززة ، ولها مقابض وتنسب إلى طراز أواني «كاهون»

(١) راجع : D. R. MacIver and C. Woolley, "Buhen", (Philadelphia : 1911) P. P. 33. ff.

(٢) راجع : Engelbach, "Harageh", (London 1923) P. 3.

(٣) راجع : ibid P. 10. Or. P. 18. reference is made to another pot. Pl. XLI. 99 d, found in apparently late 12 Dyn. Context Or. P. 17 fragment of the same type (Pl. X. 16) is attributed to 11nd Dyn. This example stands alone as evidence of such an early date & naturally requies corroboration.

أى طراز « تل اليهودية »^(١) ، وقد وافق المستر « أمبروز لانسج » على هذا التاريخ عند ما كان يتحدث عن أعمال قامت بعد في نفس هذا الموقع بقوله : « وجدت قطعة من نفس الفخار في حفرة منفردة يرجع تاريخها للأسرة الثانية عشرة ، وقد كانت كل محتوياتها أشياء من الأسرة الثانية عشرة ، غير أنه لم يوجد من بينها قطعة مؤرخة بعهد ملك خاص ، ويجب أن نضيف إلى ما قاله أن هذه كانت القطعة الوحيدة التي وقعت تحت نظر المستر « لانسج » مباشرة ، والتي يمكن أن تؤرخ في نظره بالتحديد إلى عهد يرجع إلى الأسرة الثانية عشرة ، على حين أنه كانت توجد قطع أخرى قد تكون من هذا العهد يمكن أن يرجع تاريخها كذلك إلى العهد الإقطاعي .

وقد كشف في « كاهون » الواقعة عند مدخل « الفيوم » ، وهي التي ظهرت في عالم الوجود عند ما أقام « سنوسرت » الثاني هرمه ، عثة أشكال من الفخار المنسوب إلى « سوريا » في « فلسطين » . ويقول الأستاذ « بترى » أن فخار « تل اليهودية » الأسود اللون قد وجد مع آثار أخرى يرجع تاريخها للأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة^(٢) . ولكنه قال فيما بعد . « إن هذا الفخار لم يكن معروفا حتى الآن في مصر في أى عصر من عصور تاريخ البلاد إلا في عهد الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة ، وهذا يوجهنا إلى أن الفخار المستخرج من « كاهون » يجب أن يفحص فحصا دقيقا ، لأنه لم فيما بعد أن طراز فخار « تل اليهودية » كان من خصائص الإنتاج المكسوسى . وقد ذكر لنا « هرمان ينكر » أنه لا يوجد أساس لاعتبار فخار « كاهون » من عهد الأسرة الثانية عشرة^(٣) ، وإنه لمن الجائز أن

(١) راجع : A. Mace in Bulletin of the Metropolitan Museum of Art. (1921) Nov. Part. II. P. P. 17 f. & fig. 18

(٢) راجع : Petrie, "Kahun, Gurob and Hawara". (London 1890) P. 25; See also Pl. XXVII, 199-202

(٣) راجع : Ibid P. 42.

يكون قد صنع بعد هذا العهد بزمن كبير غير أنه على ما يظهر لا توجد براهين تدحض نسبته للأسرة الثانية عشرة^(١).

آثار الهكسوس في كاهون : وكذلك عملت حفائر في « كاهون » في سنة ١٨٨٩ ، وقد وجد فيها ثانية قطع فخار من هذا النوع وعزيت للأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة ، غير أن هذه لم يكن في الإمكان تحقيقها بطريقة مرضية^(٢). ولكن لحسن الحظ عثر على طراز آخر من الفخار ينسب إلى شكل طراز خاص بالهكسوس^(٣) قد أشرنا إليه فيما مضى ، ولكنه في هذه الحالة قد أزعج بم عهد « سنوسرت » الثاني (١٩٠٦ — ١٨٨٦ ق م)^(٤).

وتفسير هذه الجملة بوصفها ذات علاقة بظهور الهكسوس في مصر يمكن أن يعزى إلى جلب عمال من « سوريا » و « فلسطين » للعمل في اعداد هرم هذا الملك ، أو لإقامة مبان أخرى ومشاريع للرى في الجهة المجاورة ، وتاريخ الفخار الذى يجب أن يكون مبكرا عن تاريخ ظهور الهكسوس حقيقة في مصر يحدد سندا إضافيا في الأدلة الحديثة التى عثر عليها في « بيلوص » الواقعة على شاطئ سوريا .

آثار الهكسوس في بيلوص من عهد الأسرة الثانية عشرة : ففي القبرين رقم واحد ورقم اثنين في « بيلوص » وهما في كل مظاهرها ترجعان الى عهدي « أمنمحات الثالث » و « أمنمحات الرابع » (١٨٤٩ — ١٧٩٢ ق م) عثر في قبر

(١) راجع : Herman Junker, "Die Nubische Ursprung der Sogenannten Tell el Jahudiyeh-Vasen, "Akademie der Wissenschaften in Wien, Philos-Hist. Klasse", Sitzungsberichte, "CXCVIII, 3. Abhandlung (1921) P. 83.

(٢) راجع : Petrie, "Illahun, Kahun and Gurob", (London, 1891), Pl. I. 17, and 20-21, P. 10.

(٣) راجع : Ibid. Pl. I. II.

(٤) راجع : Petrie, ibid, P. 9.

رقم ١ على إناء من حجر الأبسديان نقش عليه لقب « أمنمحات الثالث » وفي القبر رقم اثنين وجد فيه صندوق من الأبسديان كذلك، وعليه لقب « أمنمحات الرابع »^(١)، ووجدت أمثلة عدة لطرازين من الفخار ينسبان بوضوح إلى الأشكال المكسوسية التي سبقت الإشارة إليها^(٢).

وقد كشفت الحفائر الحديثة في « ببلوس » عن وجود طراز جديد آخر متصل بقائمة فخار المكسوس، ويمكن قرنه بفخار « بيت مرسيم »^(٣) (G-F) الملون، ويدل المتن الذي معه على أنه أقدم من القبر رقم واحد والقبر رقم اثنين اللذين عثر عليهما في « ببلوس » على أنه يكاد يكون من المستحيل الآن أن نحكم من أدلة « ببلوس » على مقدار هذا القدم.

ولكن على ما يظهر كان هذا الفخار من عصر لا يخرج عن نطاق القرن التاسع عشر ق. م وذلك بسبب تاريخ القبرين رقم واحد ورقم اثنين، ومع ذلك فإن هذه الأدلة لا يجب أن تعبر عن أن المكسوس كانوا يحتلون « ببلوس » في ذلك الوقت، وإن كان من الجائز وجود بعض أفراد المكسوس وقتئذ في المدينة، والذي يظهر مؤكدا هو أن المكسوس كانوا معاصرين لأهل « ببلوس » في تلك الفترة.

والقول بأن فخار « مرسيم » (G-F) ينسب إلى المكسوس يتركز جزئيا على معاصرة فخار « مرسيم » لأقدم طراز من الفخار وجد في « تل اليهوديه »^(٤) وتوجد أدلة تعضد وجهة النظر هذه فيما أنتجته الحفائر التي عملت في « تل كيسان » في سهل

(١) راجع : Montet, "Byblos et l'Egypte", PP. 155-159.

(٢) راجع : Ibid P's, CXVI. 791. and 800 & CXVIII, 791 & 800.

Pere Vincent "Revue Biblique", XX. (1922), P. 178.

(٣) راجع : A. A. S. O. R, XIII. P. 69-71.

(٤) راجع : Ibid. P. 79.

« عكة » حيث وجد الأثرى « رو » أن هذا الطراز من الفخار الملون كان أحدث ما لوحظ في حشوطارات المكسوس التي كانوا يقيمون عليها حصونهم^(١) . والمنطق هنا هو أن يفترض الإنسان أن أحدث مواد توجد في بناء مثل بناء الطوار الذى تتألف مواده إلى حد ما من تراب ومواد أخرى أخذت من جهة مجاورة تمكن الإنسان من أن يؤرخ بها المبنى . فثلا الجدار الذى يوجد فيه قطعة نقود مطبوعة باسم الامبراطور « هدریان » لن يكون أقدم من عهد « هدریان » وبطبيعة الحال يمكن أن يكون الجدار قد بنى فى أى عهد آخر بعد عهد هذا الامبراطور .

ولكن هذا الموقف يختلف بعض الشيء فى حالة طوار بالنسبة لطريقة بنيائه ، إذ لا يمكن منع وجود قطع من الفخار فى التراب المحلى الذى استعمل فى حشوه . وقد استعملت هذه البقايا الأثرية التى عرف تاريخها بصفة محققة أساسا لبحثنا ، وبخاصة تلك التى وجدت فيها مواد يمكن تأريخها خلافا للفخار الذى نحن بصددده .

ولا يزال كثير من المواد الأثرية التى نسبها الحفاريون للأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة باقيا ، غير أنه لا يمكن عقد موازنة بينها على الوجه الأكمل^(٢) !

على أن تفسيرنا للحجج السابقة يمكن الاعتراض عليه ، ولكن إذا قبلت نظرية وجود الصفات المادية المعينة الخاصة بالمكسوس بأنها تحمل معنى وجود المكسوس عند ما نجد لأول مرة هذه الصفات المميزة ، فعندئذ يكون من الصعب أن ننظر إلى الحالات التى عرضناها الآن نظرة مخالفة .

(١) راجع : Albright, A. A. S. O. R. XVII. (1938) P. 24.

(٢) راجع : Griffith, "The Antiquities of Tell el Yahudiyeh" Egypt- Exploration Fund, Seventh Memoir, (London. 1890) PP. 33- 74, P. 56, Pl. XIX; for Khataanah material, G. A. Wainwright, "Balabish" (London, 1920) P. 66. esp. note. 5.

يضاف إلى ذلك حقيقة أخرى ، وهي أن هذه البراهين قد جاءت إلينا من عدد من الأماكن تقع في نطاق مساحة (جغرافية) شاسعة ^(١) .

وهكذا حتى الآن كان أساس بحثنا مرتكزا على الفخار ، ولكن قد يكون في الإمكان الحصول على صورة مماثلة لتلك عرضناها إذا كان في مقدورنا معالجة أشياء من مواد أخرى غير الفخار مثل الذهب والبرنز والعظم بنفس الثقة ، ولكن الواقع أن علم الآثار المقارن لم يصل إلى الحد الذي يمكن فيه معالجة الأشياء الصغيرة التي يمكن أن تكون ذات أهمية في فهم ثقافة حوض البحر الأبيض المتوسط الشرق في باكورة الألف الثانية قبل الميلاد . ولا نزاع في أن فحص الغدود الأجنبية الذي برهن على وجوده بقطع آثار صغيرة يرجع تاريخها إلى عهد الدولة الوسطى في مصر مستمر متابعته بثقة متزايدة وقائدة أعظم بعد عمل قوائم شاملة للأشكال الفلسطينية ^(٢) .

الآثار الأخرى التي تنسب إلى المكسوس : ويظهر حتى الآن أن بعض أشكال الأسلحة الأسبوية قد جلبها المكسوس إلى حوض البحر الأبيض المتوسط الجنوبي الشرق في خلال عهد الدولة الوسطى . مثال ذلك السيف « خبش » وقد سمى بذلك لأنه يشبه مقدمة ساق الحيوان ^(٣) ، وكذلك مقبض خنجر على صورة هلال كالذي وجد في مقبرة « إتا » ^(٤) وفي نقش ملون في مقابر « بنى حسن » ^(٥) .

(١) وقد قال : قبل إن غزا المكسوس قد حدث بعد انتهاء الأسرة الثامنة عشرة مباشرة (راجع : J. E. A. XXI. P. 23.) غير أن البراهين التي ارتكز عليها راجعة من أساسها .

(٢) ومجدد ملخصا في (O. I. P, XXXIII. table. V.) للأشياء التي وجدت في المقابر المكسوسية في مكدومع الإشارة إلى الاتصالات الأجنبية .

(٣) راجع : Montet, "Byblos et l'Egypte", Pl. XCIX-C.

(٤) راجع : J. de Morgan, "Fouilles" a Dahchour 1894-1895 : (Vienne, 1903), Pl. VI, cf. O. I. P. XXXIII, Pl 149 : 2-3.

(٥) راجع : Newberry, "Beni Hasan", I Pl. XLVII.

يرجع تاريخه إلى أوائل الأسرة الثانية عشرة يشاهد أسبورون يستعملون (بلطا) من طراز يوجد عادة في « سوريا » . أما مسألة النقوش أو أشكال الحلية الخزونية التي نشاهدها على الجمارين التي كانت تستعمل اختاما في عهد الأسرة الثانية عشرة ، فإنها تحتاج إلى دراسة خاصة ^(٢) . وتوجد أدلة على أن هذه الجمارين قد صنعت في مصر ، وكذلك لدينا براهين على أنها قد صنعت خارجها ^(٣) . وإذا سلم بأن فكرة الشكل الخزوني قد استعارتها مصر ، فقد يصبح من الضروري إذا أن نفحص الفن « المنواني » المبكر ^(٤) .

والدور الذي قام به المكسوس في هذا الموضوع يخالف الحقيقة الثابتة في أن النقوش التي على الجمارين كانت من مميزات المكسوس ، وقد اختفت باختفائهم ، وهذه مسألة مشكوك فيها ، فنجد أن كلا من « نيوبرى » و « جارستانج » يرى في مميزات بعض مجوهرات الأسرة الثانية عشرة التي وجدت في « دهشور » أنها قد ترجع إلى تأثير أجنبي ، وأن الحوادث التي تلت قد كشفت عن أهمية هذه الأشياء ^(٥) . غير أنه قد يكون من باب المخاطرة ادعاء أن كل العناصر الحديدية في ثقافة الأسرة الثانية عشرة ، قد شملتها يد أجنبية ، وإن كانت توجد دلائل على أن بعضها قد تأثر فعلا بعوامل أجنبية ، والواقع أنه لا يمكن أن نجري فصلا

(١) راجع : Dunand in "Syria", X. (1929), Pl. XXXIX, and Schaffer :
in "Syria", XIII. (1932), Pl. XIII-4.

(٢) راجع : Newberry, "Scarabs", P. 81.

(٣) راجع : G. A. Reisner and N. F. Wheeler in Museum of Fine Arts, Bulletin XXVII (1930) P. 54.

(٤) راجع : Evans, "The Place of Minos" I, Fig 76-77. 80-81. and :
86-87 for E. M. III. examples

(٥) راجع : Petrie, "Scarabs and Cylinders with Names" Pl. XXI.

(٦) راجع : "A Short History of Ancient Egypt" (8ed., London. :
1911. PP. 63. ff.

مرضيا في مثل هذه الأمور إلا إذا نظمت قوائم مضبوطة لكل ثقافات الأقاليم المحيطة بمصر . كما حدث في أنواع الفخار ، وقد عدت كل من هجرة المكسوس ، وهجرة الكاسيين غالبا أنهما مشهدان من هجرة عظيمة جدا ، وفدت إلى الشرق الأدنى في باكورة الألف الثانية قبل الميلاد ، ووجهة النظر هذه لا تحتاج إلى سند كبير ، ومع ذلك فإنه لا يخلو من الفائدة أن تلفت النظر إلى تفاصيل معلومة عن غزو الكاسيين لبلاد « بابل » .

ويشاهد في الإيضاح الذي سيأتي بعد ، العلاقات بين التقدم الكاسي ، والتقدم المكسوسي حسب السنين ، والأخير منهما يرتكز على وجهة النظر التي نتبعها في هذا الفصل عن المكسوس .

موازنة بين هجرة المكسوس وهجرة الكاسيين : وأول ظهور معروف للكاسيين في « بابل » كان في خلال حكم الملك « حورابي » (١٩٤٧ — ١٩٠٥ م) ، والظاهر أنهم كانوا في هذه الفترة سكانا مسالمين في هذه البلاد ، وعلى أثر موت « حورابي » انتقل عرش الملك لابنه « سامسيولونا » . وهو الذي صدف في السنة التاسعة من حكمه غارات الكاسيين التي اقضوا فيها من الجبال ، والوئائق الخاصة بأعمالهم مدة القرن ونصف القرن التالية تذكر لنا « الكاسيين » بوصفهم زراعا وعمالا^(١) . وعلى أثر غارة « الحيتا » على « بابل » أضحت البلاد تحت سيطرة الأسرة الكاسية (١٧٤٩) .

(١) راجع : The Cambridge Ancient History I. 2nd ed, Cambridge :
والتواريخ من فوائم الأستاذ ألد (Olmstead) P. 552 2, (1928) لم نشر بعد .

(٢) راجع : Ibid I. P. 554 .

(٣) راجع : A Ungad in Beitrage zur Assyriologie VI. Heft. 5 :
(1909). PP. 21-26.

(٤) راجع : Cambridge "Ancient" History I. P. 561-63 .

وتنقصنا التفاصيل عن نمو قوة الكاسيين ، ومع ذلك يمكننا إدراك صورة معينة عن نموها فقد أعقب صدهم تدخل سلمى في البلاد كانت نتيجة النهائية النجاش^(١) . وليس ثمة مانع من أن نزعّم في بادئ الأمر أن غزو الهكسوس لمصر قد جاء على غرار نموذج مماثل لما ذكرناه عن الكاسيين ، ومن المحتمل أن « مانيتون » لم يكن بعيدا عن الحق عندما قال إن الهكسوس قد استولوا على مصر من غير معركة .

الهكسوس : الكاسيون :

حمورابي = عمال في مسوبوتاميا

١٩٥٧ - ١٩٠٥ ق م

المغبيرون الكاسيون يصدون = ١٩٠٠ ق م = عمال في مصر

عمال في مسوبوتاميا عمال في مصر

الأسرة الكاسية ١٧٥٠ - ١٧٣٠ ق م . أول أسرة للهكسوس .

ومن جهة أخرى يحتمل أن سيطرة أسرة الهكسوس في « فلسطين » و « سوريا » قد حدثت في عهد مبكر عنه في مصر ، وذلك لأن حركة هجرة الهكسوس قد اتخذت سبيلها من الشمال إلى الجنوب على الأقل على ساحل البحر الأبيض المتوسط . أما عن حالة كل من « سوريا » و « فلسطين » خلال حكم الهكسوس لها فليس هناك ما يحيل على الظن في أنهما كانتا تؤلفان وحدة سياسية أكثر مما كانتا عليه في نهاية الأسرة الحادية عشرة المصرية^(٢) ، حيث نجد أن عدّة ولايات مستقلة قد وُجِدت بجلاء ، وكذلك تشعّرنا قصة « سنوهيت » بنفس الفكرة وهو نفس النظام الذي

(١) راجع : Cameron, "History of Early Iran" Chicago 1936. PP. 92 f

(٢) راجع : Sethe, "Achtung" P.P. 43 - 59 ; & Albright, J. P. O. S. VIII. (1928) P. 223 - 56

كان موجودا في عهدى التحاسنة وتل العمارنة (راجع تاريخ تختمس الثالث وخطابات تل العمارنة ، وهذه الحقيقة يمكن ملاحظتها عند ما أشار « أحس » الأفل الذى طرد المكسوس من البلاد إلى أراضى « الفخو » فى صيغة الجمع كما ذكرنا آنفا).

وإذا جاءت نتائج حفائر مقبلة معضدة للرأى القائل إن المكسوس قد وصلوا حوالى عام ١٩٠٠ ق . م . درجة فى تقدمهم الثقافى بحيث كانوا يصنعون منتجات خاصة بجماعتهم كما نعرفهم فيما بعد ، وأنهم على ذلك كانوا قد استوطنوا بعض أجزاء سوريا وفلسطين فإنه سيكون من الضرورى وقتئذ أن نتحصن أدلة اتصالات الأسرة الثانية عشرة بالبلاد الأسيوية ، وسيكون معنى ذلك أن أمثال هذه الاتصالات كلها بعد عام ١٩٠٠ ق . م . تجعلنا نشك فى أنها تتضمن وجود المكسوس ^(١) . على أن المسألة ليست بالأمر الهين ، إذ لا يمكن أن يقال إن كل « سوريا » و « فلسطين » لم تكونا تحت نفوذ المكسوس ، فثلا نجد أن « ببلوس » (جبيل) لم تكن خاضعة لحكم المكسوس قبل عام ١٧٣٠ ق . م . قهرىا ، وذلك على الرغم من وجود طراز من فخار المكسوس فيها ، والواقع أن « ببلوس » كانت متمصرة أكثر من الإقليم المحيط بها ، ولذلك يمكننا أن نفرض على أية حالة أن المكسوس كانوا مجاورين لها وأن بعض صناعات المكسوس ، ومتجاتهم الحديثة الطراز كانت تلاقى سوقا رائجة فى « ببلوس » . ومن الجائز كما ذكرنا آنفا أن عمالا من المكسوس كانوا يمدون مجالا متسعا لأعمالهم فى « كاهون » بلدة الحرم التى أقامها « سنوسرت » الثانى . وقد كان المكسوس بطبيعة الحال فى عهد عز الأسرة الثانية عشرة يأتون إلى مصر بوصفهم زلاء مسالمين ، كما كان الكاسيون ، فى عهد « حورابى » يزلون فى بلاد « بابل » . ومن المحتمل أن بعضهم قد رحلوا إلى مصر فى الوقت الذى رحل إليها « إبتا » الذى صوّر على مقبرة حاكم المقاطعة

(١) راجع : مصر القديمة جز ٢ ص ٤٢٤ - ٤٢٦ .

(٢) راجع : Kemi I (1928) P. 90 - 93 .

« خنوم حنب » في « بنى حسن » وهذا المنظر قد أرخ بالسنة السادسة من حكم الملك « سنوسرت الثاني » (١٩٠٠ ق.م) وهو يمثل الحاكم « إيشا » ومعه ثلاثون تابعا من العامو يحملون كلالا لزينة العبين . ومن الجائز أن السورين الفلسطينيين قد انخرطوا في عداد جيش الملك جنودا مرتزة ، غير أن هذه الفكرة على الرغم من رجحان حدوثها لا يوجد ما يدعمها في الوثائق المعاصرة ، على أن عدم الإشارة لأعداء مصر من الأسويين باسم الهكسوس لا يكاد يعد دليلا على أن الهكسوس لم يكونوا قد وضعوا أقدامهم في فلسطين وسوريا في عهد منتصف الأسرة الثانية عشرة ، ولقد رأينا فيما سبق أن المصريين المعاصرين كانوا يسمون الهكسوس أنفسهم « عامو » و « ستيو » و « متيوسنت » . وهذه الأسماء كانت تستعمل للتعبير عن الأسويين في خلال الأسرة الثانية عشرة .

وطريقة البحث هذه تظهر غير مجدية للبرهنة على أى شيء اللهم إلا أنها تترك بصفة جازمة السؤال مطروحا أمام الباحث عما إذا كان الهكسوس قد استوطنوا فلسطين وسوريا حوالى عام ١٩٠٠ ق.م . أم لا .

عصر الهكسوس المتأخر

ظهور طراز جديد من الفخار غير فخار تل اليهودية : يمثل الاتساع الذى قام به الهكسوس في عصرهم الثانى العظيم في مصرف خصائص حورانية كما سبقت الإشارة لذلك ، فقد ظهر في هذا العصر طراز من الفخار ذو لونين من صنع الحورانيين ، وقد أظهرت أعمال الحفر التى عملت على أسس علمية على حسب طبقات الحفر في فلسطين ، أن هذا الطراز من الفخار أحدث من طراز الفخار الذى استخرج من « تل اليهودية » الذى كان يعد رمزا خاصا لإنتاج عهد الهكسوس القديم . والطراز الجديد يؤرخ بعهد يرجع إلى ما قبل الأسرة الثامنة عشرة ؛ فلا بد من أن يكون تاريخ وجوده إذا في مصر قبل عام ١٨٥٠ ق.م . وهذا هو السبب

الرئيسى الذى من أجله يعتقد بأنه ينسب إلى المكسوس والخورانيين على السواء ، ولدينا حقيقة أخرى بدعية ، وهى أن الفخار الخوراني لا بد أن يكون إحضاره إلى مصر قد وقع فى حدود عهد الأسرة السادسة عشرة لا الأسرة الخامسة عشرة التى لم يوجد فيها ، وإذا فليس من خطئ الرأى أن نرى فى ظهور الفخار الجديد فى البلاد المصرية علامة على تغيير أسرى . وقد كان كل من طراز الفخار الجديد والقديم على ما يظهر يستعمل بكثرة فى مصر ولكن لما كانت الأسرتان اللتان خصصهما « مايتون » لمهد المكسوس لم يجد أجلهما أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ، فإنه قد يكون من المعقول أن يرجع ظهور الفخار الخوراني إلى حوالى عام ١٦٥٠ ، أما فى فلسطين وسوريا فلا بد أن يكون قبل ذلك بزمن قليل . وعلى الرغم من احتمال وقف صنع الفخار ذى اللونين فى مصر بشكله الخاص حوالى عام ١٨٥٠ ق . م عندما طرد « أحس » الأول المكسوس من البلاد ، فإنه كان لا يزال بقية فى البلاد من المتسكين بالقديم ، وقد استمروا فى البلاد إلى منتصف القرن الخامس عشر على أقل تقدير ، وبين هؤلاء نلاحظ وجود فخار خوراني فى شكل مختلف^(١) ، هذا إلى ظهور طراز جديد من المرمر^(٢) ومن الجعارين^(٣) ، ومن ذلك نرى أنه فى الوقت الذى لم يكن فيه قوذة « المكسوس » السياسى فى مصر قائما بعد عام ١٥٨٠ ق . م نجد من جهة أخرى أن ثقافة المكسوس لم تمنع من الوجود فى البلاد المصرية مباشرة . أما فى « سوريا وفلسطين » فكان الموقف ينحطف تماما فى خلال الجزء الأول من الأسرة الثامنة عشرة . ففى نهاية الأمرين السادسة عشرة

(١) راجع : (Balabish Pl. XIX, 3 (late 18th Dynasty.

(٢) راجع : Howard Carter in J. E. A. III. P. 151 - 53. Pl. XXII. 1 - 4
& Brunton and Engelbach, "Gurob", (London 1927) Pl. XXIV P. 53
(Thutmose III ?) cf. O. I. P. XXXIII, Fig. 184 : 1 - 5.

(٣) راجع : Newberry, "Scarabs" P. 73. & Brunton and Engelbach,
"Gurob", Pls. XXIV, 50 & XL, 22 (Thutmose III); cf. O. I. P.
XXXIII, P. 184 f.

والسابعة عشرة اللتين كانتا تحمكان البلاد في مدة واحدة قريبا هزم المكسوس في «أواريس» وولوا الأدبار مخترقين الصحراء إلى أن وصلوا إلى «شاروهن» حيث قاوموا حصار «أحمس» لهذه المدينة طوال ثلاثة أعوام ، ثم دارت الحرب بعد ذلك في الشمال ، ولكن بعد أن أحس «أحمس» أن الخطر قد زال عن بلاده عاد إلى مصر ليلتفت إلى مهام البلاد الأخر ، والظاهر أن المكسوس في الوقت نفسه لم يتقهقروا إلى أبعد من النقطة التي طردوا إليها ، بل من الجائز أنهم قد طادوا فتقدموا ثانية نحو مصر بعد عودة المصريين إلى بلادهم ، غير أن عملهم هذا لم يتعد مجرد حركات حربية وحسب ، وبطبيعة الحال بقي جزء كبير من السكان في مساكنهم ، وتحدثنا الوثائق المصرية عن غزوين آخرين لآسيا قبل عهد «تحتمس» الثالث . فقد قام تحتمس الأول بحملة إلى آسيا وصلت في سيرها حتى بلاد نهرين على نهر الفرات على حسب ما جله في حياة «أحمس بن أبانا» وكذلك «أحمس» بن «بختب» وهما اللذان جاء ذكرهما لأول مرة في عهد «أحمس» الأول . وقد قاد «تحتمس الثاني» في مدة حكمه القصيرة على أقل تقدير حملة إلى «آسيا» كما سيجيء بعد ، وقد ذكرنا فيما سبق الأسباب التي تحمل على الاعتقاد بأن المكسوس كانوا لا يزالون في «فلسطين» و«سوريا» عند ما احتل «تحتمس» الثالث العرش ، وأنه هو وابنه «أمنحتب» الثاني قد قضيا على المكسوس القضاء الأخير في هذه البلاد .

تحتمس الثالث يقضى على فلول المكسوس في آسيا : هل أن الصورة التي كانت نتيجة مباشرة لهذه الحروب ، على الرغم من أنه تنقصها تفاصيل كثيرة محنة ، هي في الواقع تمثل عدم استقرار زمني ، ومخطط عظيم من جهة الآسيويين ظل مدة تيف على قرن بعد طرد المكسوس من مصر . وبعد ذلك عند ما احتل «تحتمس» الثالث (١٤٧٩ - ١٤٤٧) عرش الملك بعد حكم «حتشبوت» الذي سادته السكينة بدأت سلسلة غزواته في آسيا . ومن الواضح أن حلفا من

ولايات آسيا يقودهم ملك « قادش » قد شعروا في أنفسهم بالقوة الكافية لمقلومة ذلك الفرعون الذى كان مجهولا وقتئذ . وقد ساق « تحتمس » جيوشه في ست عشرة حملة في خلال نحو عشرين عاما الى هذه البلاد ، وبعد فترة ساد فيها السلام ظاهرا في تلك الأصقاع ، قام « أمنحوتب » الثانى بمحلتين مظفرتين على أثر ثورات شبت بعد وفاة والده . والظاهر أنه بعد هذه الحملات المتتالية لم يعد للمكسوس وجود في هذه البلاد من الوجهة السياسية أو الحربية ، وتدل المعلومات الأثرية التى يترايد ظهورها كل يوم في فلسطين على أن نظام الحكم المصرى لم يصبح ذا أثر فعال في البلاد الآسيوية حتى عهد « تحتمس الثالث » ، وأن المكسوس لم يظلوا على أمرهم في هذه الأراضي الآسيوية إلا في هذا الوقت . ومن أهم العوامل التى تبرهن على ذلك أنه وجد طراز من الجمارين الخاصة بالمكسوس ، قد بقى شائع الاستعمال بكثرة حتى عهد « تحتمس » الثالث ، ولا نزاع في أن استعمال الجمارين خذاع من الوجهة التاريخية ، وذلك بالنسبة لمجموعها ، وفي عادة دسها في غير أماكنها الأصلية ، ولكن عندما نجد الجمارين في أماكن لم تمس بعد ، ويشفع ذلك نتائج حفائر واسعة النطاق في موقع غير مشتببه فيه ، يمكننا عند ذلك فقط أن نحكم بأننا قد كشفنا عن حقيقة جديدة . وقد أصبح من الأمور التى تزداد وضوحا كل يوم نتيجة للملاحظات التى تشاهد كل يوم في خلال الحفائر التى تجري في فلسطين أن الجمارين الخاصة بالمعهد الذى قبل عهد التحامسة كانت من طراز جمارين^(١) المكسوس ، وكذلك الفخار الحوراني يمتد طرازا خاصا بالإنتاج المكسوس ، والظاهر أنه كان عظيم الانتشار قبل عهد « تحتمس » الثالث ، غير أنه حدث فيه

(١) فى « مجدر » (راجع : O. I. P. XXXIII, 185 and Gordon Loud in I L N June 20, (1936) P. 1108), Jericho (Garstang in A A A, XX, 1933) P. 21 - 38. نجد في كل هذه المصادر براهين مفصلة واستنباطات تحتم أن نعلم من آثاره جرين وجد فيها جمارين من عهد حنبسوت وتحتمس الثالث وأمنحبت الثانى وكذلك جمارين من عهد المكسوس) (راجع كذلك في Baisan (Garstang, ibid P. 22.

تغيير عظيم بعد ذلك العهد هذا إلى أن بعض المواد المصنوعة من المرمر كذلك ، والأسلحة المصنوعة من البرز ، والتطعيم بالمظام قد بطل استعمالها في أشكالها الهكسوسية الخاصة بها في غضون عهد « تحتمس »^(١) الثالث .

ثقافة الهكسوس في فلسطين : ومما سبق نعلم أنه يوجد لدينا مجمع ندل على أن ثقافة الهكسوس كانت سائدة في « فلسطين » على أقل تقدير حتى منتصف عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وبالعكس لا نجد أى تأثير للحكم الإمبراطورى المصرى في أى طبقات أرضية قبل عهد « تحتمس » الثالث فيما كشف عنه حتى الآن . والعصور التى مرت بها بلدة « مجدو » تعد ضابطا ممتازا لمعرفة ذلك ، إذ من المعلوم أن « تحتمس » الثالث قد حاصر هذه المدينة ، واستولى عليها في حملته الأولى إلى فلسطين (١٤٧٩ ق . م) . ونعلم من نتائج أعمال الحفر أن الطبقة الحورانية الرئيسية المعلقة برقم ٩ تنسب إلى طراز من الهكسوس المتأخر المحض ، ولكن الطبقة التى فوقها وهى الثامنة ، يدل ما وجد فيها بوضوح على أنها من آثار أواخر الأسرة الثامنة عشرة^(٢) . ولا شك في أن المدينة التى استولى عليها « تحتمس » كانت تمثل آثار عهده في الطبقة التاسعة ، ومنذ ذلك العهد فلاحظ أن ثقافة الهكسوس ، قد تغيرت تغيرا محسوسا . والصورة الأثرية العامة لعهد « تحتمس » الثالث في « فلسطين » تمثل أمانا القضاء على ثقافة الهكسوس .

ويمكن وضع تواريخ تقريبية لعهد الهكسوس المتأخر في فلسطين ، وهو العهد الذى ميز بوجه خاص بالفخار الحوراني ، إذ يظهر لنا من المصادر المدونة ، ومن المصادر الأثرية أن هذا العهد قد استمر نحو قرنين من الزمان أى من حوالى عام ١٦٥٠ ق . م . حتى عام ١٤٤٥ ق . م . وذلك عندما أحمد « أمنحتب الثانى » ثورة أوقد نارها القوم الذين حاربهم والده سنين عدة .

(١) راجع : O. I. P. XXXIII Chap. IV.

(٢) راجع : Loud, loc. cit. & S. A. O. C. No. 17.

وقد يكون من الأمور التي يظهر فيها التكلف أن يرسم الإنسان خطا فاصلا بين عهد المكسوس والمهد الذي جاء بعده ، وذلك لأن نفوذ المكسوس لم يقض عليه في سنة معينة ، ولكن يمكن القول بوجه عام أن عمود المكسوس الفقري قد كسر ، وأن ثقافتهم قد قضى عليها بالحروب الطاحنة التي شنها « تخمس » الثالث ، ومن بعده ابنه « أمنحوتب الثاني » .

ولقد حاولنا فيما سبق أن نوضح أن كلمة « حوراني » قد استعملت بسبب أن بعض المظاهر الأشد تميزا لثقافة المكسوس المتأخرة يمكن قرنها بالصور المادية التي كان يستعملها قوم الحورانيين القاطنين شمالي « مسوبوتاميا » ، وهم الذين كانوا يحاصرون المكسوس ، على أنه ليس من الضروري في هذه الحالة أن يكون قوم المكسوس المتأخرين ، يتكلمون اللغة « الحورانية » ، وذلك لأن الثقافة يمكن نقلها بطرق ملتوية . وعلى أية حال فإن انتشار المواد الحورانية في بلاد المكسوس يدل على حركة هجرة أقوام حدثت . ولدينا دليل أكيد في أحد الأسماء ، وهو كلمة « خارو » وهي التي استعملت في عهد الإمبراطورية المصرية لتدل على « سوريا » وفلسطين ، ولدينا جميع تدمم هذا الرأي فيما وجدناه في شكل بعض أسماء العبيد الذين وجدت أسمائهم على قطعة من الحجر الجيري التي مثر عليها في مصر ، ويحتمل أن تاريخها يرجع الى النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة^(٢) .

وإذا وجدت متون أخرى زيادة على ما ذكرنا يمكن أن نوضح الموقف كثيرا ، فإن الاسم الجديد الذي أطلق على « فلسطين » و « سوريا » وحده ذو أهمية

(١) راجع : Breasted. A. R. § 420 (Thutmose III), 798 A. (Amenhotp II) & 821 - 22 (Thutmose II). & cf. Griffith, "The Demotic Pap. in the John Rylands Library", P. 421 etc.

(٢) وقد نشر محتويات هذا الأثر الأستاذ ستينورف الذي اضرم أسماءه راجع : A. Z. XXXVIII P. 15 - 18. غير أن جنساف في (8 - 54 P. LXIV A. Z.) يلاحظ أنه وإن كان مظهرها ساميا فإن بعضها حوراني ، وكذلك يقترح أن اسم « سنن » أحد ملوك المكسوس في مصر يحمل اسما حورانيا .

بالغة في توضيح الموقف ، ويلاحظ أن انتشار الثقافة الحورانية في شكلها الثابت نسبيا في أنحاء أجزاء كبيرة من فلسطين وسوريا في عهد الهكسوس المتأخر ، (ومن المحتمل حتى حوالي عام ١٤٤٥ ق م) يحمل معنى أوضح لوجهة النظر إلى الحوادث التالية ، إذ نجد بعد انقضاء جيلين من ذلك التاريخ (١٤١١ - ١٣٧٥ ق م) أن « أمنحوتب الثاني » قد واجه في هذه البلاد عصيانا علنيا أو سرىا ، وقد كان كثير من رؤساء الثورة يحملون أسماء حورانية كما هو معلوم من قبل ^(١) .

وفضلا عن ذلك نجد أن مملكة « منى » وإن كانت في ذلك الوقت قد تحالفت مع مصر ، كان لها مطامع في قطر مصبوغ بالصبغة الحورانية . على أن هذا البحث وإن كان ليس له اتصال بالمسألة التي نفحصها الآن ، فإن الفرض منه إبراز نقطة خاصة هي أن المنصر الهكسوسى الحورانى الذى كان يعيش في فلسطين وسوريا في منتصف القرن الخامس عشر يمكن أن يكون منتسبا إلى عنصر حورانى في نفس البلاد في نهاية هذا القرن . والواقع أنه يحتمل أن أهل منى والحورانين الذين كانوا يقطنون سوريا وفلسطين كانوا ذوى قرابة وطيدة منذ حوالى منتصف القرن السابع عشر ، وانتشروا جنبا لجنب ^(٢) .

وقبل أن نترك هذا الموضوع ، ورغبة في تأكيد وجهة نظرنا ، يستحسن أن نعيد هنا براهين أثرية عن العلاقة بين الهكسوس المتأخرين ، وعصور العارنة ، والواقع أن الروابط عديدة ومشجعة لتقرير حقيقة وجود علاقة كبيرة من الوجهة الثقافية ، والوجهة الجنسية بين المهدين . ولا بد أن يمتد ذلك طبعا ، ولا يكاد يكون فيه ما يناقض رأى العام القائل بأن ثقافة الهكسوس كانت قد تغيرت من

(١) راجع : Gustavs, "Die Personennamen in den Tontafeln von Tell Ta-anek" (Deutscher Palestina. Verein Zeitschrift L. (1937) P. 1 - 18)

(٢) راجع : A. A S O R., XIII, P. 44 & Reveue Biblique XLIV : (1935) P. 34 - 41.

أساسها حوالى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وهذه العوامل الخاصة التى لا يمكن تقديرها الآن تماما ، ولكنها فى الوقت نفسه تظهر على أعظم جانب من الأهمية قد نشأت من فحص بقايا المهدين ، وهى التى وجدت فى « مجدو » . فقد وجد فى المهد الأخير أن الرسوم التى على الفخار المقون لا تخرج عن أنها رسوم « حورانية » محورة . وكذلك يظهر أن طراز الأختام الأسطوانية المستخرج من كركول - نوزى ، كان من خصائص العصر الأخير ، كما كان من خصائص العصر الأول ، هذا ويدل فحص الهياكل التى وجدت هناك على أن نفس المنصر فى كلا المهدين كان واحداً وكان العالم « الكنعانى » الذى واجه العبرانيين عندما دخلوا هذه البلاد يرتكز إلى حد بعيد على شعب أساسه من المكسوس .

السلاسل التى تلفل منها شعب المكسوس ،

إن أعمال الحفر الحديثة التى قامت بوجه خاص فى « سوريا » قد وضعت أمامنا فكرة حسنة عن حياة المكسوس وعاداتهم ، وبذلك يمكننا أن نرى أولئك القوم فى بيوتهم ، وفى مصانعهم ، وقد عثرنا على أشياء كثيرة من التى صنعوها ، فيمكننا أن نصورهم كذلك فى معاملتهم التجارية مع البلاد الأخرى ، كما أننا نعرف بعض السلع التى كانوا يتجربون فيها ، وقد وصلتنا تفاصيل كثيرة عن حياة المكسوس ، ومع ذلك عندما يطرح السؤال من هم المكسوس ؟ فإنه لا يسعنا إلا الاعتراف بالجهل التام^(١) ولكن من المؤكد أن ثقافتهم كانت مختلفة بدرجة ظاهرة تلفت الأنظار من الثقافة التى سبقها ، مما يحتم علينا الاعتراف بأن هذه الثقافة قد جاءت

(١) راجع (لأجل التفاصيل التى لا يمكن سردها هنا) O. I. P. XXXIII, 156 (Pottery)

182 - 84. (Cylinder Seals) & 192.

(٢) راجع الحصول على مختصر عن الآراء الخاصة بأصل هؤلاء القوم : Walther, Wolf

"Deutsche Mongenlandische Gesellschaft Zeitschrift" LXXXIII. (1929)

P. 67 - 79.)

إلى حد بعيد عن طريق شعب جديد . على أن الأمر لم يكن يقتصر على حد وفود طبقة قوية من الحكام ليقوموا بهذا التغير الكلى فى الثقافة ، إذ كان الأمر أعظم من ذلك ، فالقليل الذى لدينا من البراهين الخاصة بفحص المياكل العظمية ، يدل على أن جنسا من أجناس البحر الأبيض المتوسط القدامى ، قد حل محله جزئيا فى خلال عهد المكسوس جنس يشبه الجنس الألبى ، على أن هذا البيان لا يرتكز إلا على فحص أشكال بعض جماجم قليلة العدد عثر عليها فى « مجدو »^(١) ، غير أنها لا يمكن أن تمثل كل جماعة المكسوس ، وعلى الرغم من القليل الذى نعرفه عن هذا الموضوع المقعد فإنه مع ذلك يحتمل أن عددا من السلالات قد اشتركت فى تنشئة المكسوس^(٢) ، ولا غرابة إذا فى أن تكون الجماجم التى وجدت تدل على أن أصحابها كانوا من سلالة من السلالات التى كان لها شرف الاشتراك فى هجرة المكسوس ، وكذلك كان من بين الطوائف اللغوية التى ذكرت « الساميون » و « الحورانيون » و « الهنود الإيرانيون » و « الخيتا » ؛ وقد أراد « يوسفس » أن يرى فيهم العبرانيين والواقع إن نسبة كل أولئك الأقوام إلى المكسوس لا يخرج عن دائرة الاحتمالات ، فالأسماء السامية مثل « يعقوب هر » و « يعقوب بعل » قد عرفت بوضوح فى النقوش الخاصة بالمكسوس^(٣) .

وهذه الأسماء ، بصرف النظر عن بعض الأسماء المصرية التى انتقلها المكسوس لأنفسهم مثل « أبو فيس » و « تيتى »^(٤) ، هى الأسماء الوحيدة التى حققت نسبتها

(١) راجع : Hrdlicka in O.I. P. XXXIII P. 192 & S. A. O. C. Strata XV - XII.

(٢) راجع : Spieser in A A S O R XIII, P. 47 - 52.

(٣) راجع : Hall. J. E. A., V. P. 75 & Max Borchardt A. Z., L. (1912) P. 6 - 8. غير أن تحقيقات بورخارت لم تقبل كلها إذ عثر البعض أن اسم خيان ليس سائى الأصل .

(٤) راجع : Gauthier L. R. II, P. 139 - 44 ; Newberry, "Notes on the Carnavon Tablet No. I", P. S. B. A., Vol. XXXV, (P. 117 - 22).

للهكسوس ، وقد فشلت المحاولة التي بذلت لتوحيد العلاقات اللغوية لأسماء الهكسوس التي وردت في المصادر الإغريقية ، إلا إذا كان رسم الأسماء المصرية المعروف كتابة يحقق ما يماثله في المصادر الإغريقية . وعلى ذلك كان يوجد في الهكسوس عنصر سامى واضح قد اختلط فيما يطلق عليه هجرة الهكسوس . هذا إذا استثنينا عنصرا غير سامى لم يحقق بعد . وهذا ليس بغريب بالنظر إلى التفوق الشامل للسامية (ويشمل ذلك العاموريين والكنعانيين) في فلسطين وسوريا حوالى ٢٠٠٠ ق م . كما يدل على ذلك متون « اللغة »^(١) التي تنسب إلى أواخر عهد الأسرة الحادية عشرة المصرية ، وكذلك اللوحات الكابوديشية التي تشير إلى مدن شمال سوريا .

الساميون هم العنصر الهام لقوم الهكسوس : وعلى أية حال فإن الساميين لا يكاد يتألف منهم العامل الرئيسى المسئول عن الزحف الحديد الذى شتته آسيا على مصر ، وقد تعزى غلبة الأسماء السامية المعروفة لنا الآن لتفوق الساميين فى العدد ، ولكن يمكن أن يرجع سببها لعدم كفاية الأدلة التى فى متناولنا أو لأن العناصر غير السامية قد هضمت بسرعة ، ويجب ألا ننسى الاشتباكات الخاصة بالتغير الأساسى فى الثقافة ، وأن أقواما من سلالة غير سامية كانوا يزحفون على حدود مريضة شمالية فظهر الحوريون فى الأناضول ، أما الكاسيون الذين كان يظهر أن بعض آلهتهم من أصل هندى إيرانى فكانوا ينجرون كالسيل فى « مسوبوتاميا »^(٢) ،

(١) راجع : Sethe, "Achtung"; Albright, J. P. O. S. Vol. VIII. P. 223 - 56.

(٢) راجع : Gotze, "Kleinasian" (Handbuch der Altertums wissen schaft, 3 Abt. 1. Teil 3 Bd.; "Kulturgeschichte des Alten Orients, 3 Abschnitt, I Lfg. [Munchen, 1933], P. 69, N. 4; Ignace J. Gelb, "Inscriptions from Alishar and Vicinity", (O. I. P. XXXVII. [1935 PP. 131 and 16.

ومن مكان ما خارج فلسطين وسوريا ، وقد قوم من الأجانب جلبوا معهم صناعة معادن راقية ، وأفكارا جديدة في صناعة الفخار ، وكذلك أحضروا الحصان والعربة ، وآراءا جديدة في إقامة حصون غربية تماما عن البلاد التي اتخذوها موطننا جديدا لهم . ولما كنا لا نزال في فجر دراسة الشرق الأدنى فلا يمكننا إذا أن نخبر من أين أتت تلك العناصر ؟ أو من الذين نقلوها إلى مصر ؟ ولكن منذ أن بدأنا نتعرف على الهكسوس في مصر ، يمكن الإنسان عند البحث عن أصلهم أن يرجع في ذلك إلى اقتفاء آثارهم في شمالي « سوريا » وبعد ذلك نجد على أية حال أن الأثر قد أخذ يتضائل ، فإذا أردنا أن نحصل عليه ثانية كان لابد من قطع مسافات طويلة ، وقد تزداد الصعوبة باحتمال أن الأثر لم يكن فرديا قبل « سوريا » إذ من المحتمل أنه كان يحتوى على وحدات قد جاءت ثم عادت بحالة بسودها سوء النظام ، والارتباك التامان .

من أين أتى الهكسوس : وإذا اقتفينا أثر الممدن الحديد وهو البرنز ، والأشكال المعدنية الجديدة إلى منابعها الأصلية ، فقد تكون هذه طريقة مجدية للوصول إلى الحقيقة التي نتبعها ولا نزاع في أن ذلك يكون له في النهاية قيمة ثمينة للغاية ، غير أن ما كشف من المواد للآن قليل جدا لا يكفي أن يكون أساسا متينا للبحث ، وقد ظن البعض أن بلاد القوقاز قد تكون مصدر هذا الممدن وهذه الأشكال المعدنية ، غير أنه وجد بالمقايضة أن أشكال المعادن التي عثر عليها في هذه البلاد ، كانت على وجه عام أحدث من التي وجدت في « سوريا »

(١) وما يلاحظ أن المدنية في الأردن كانت قد عثر عليها منذ القدم في الألف الثانية . (راجع Nelson Gluck in A. A. S. O. R. XIV. (1934) P.82. وهذا الاتفاق مع الحوادث التي كانت جارية في فلسطين لا يمكن أن يكون مجرد صدفة .

(٢) راجع : Henri Hubert "De Quelques objets de Bronze trouve à Byblos", "Syria" VI, (1925) P.16-29, Henri Frankfort, "Archaeology and the Sumerian Problem" (S. A. O. C. No. 4 [1932] PP. 52-57.

وفلسطين وقد نشر العالم « شيلدا »^(١) النظرية القائلة بأن بلاد « سومر » نفسها كانت مركزاً مبكراً لنشر هذه الأشكال المدنية ، وبما لا ريب فيه أن أقدم نماذج من الأشكال التي تشبه أو تفرق ببعض الآلات المدنية التي تبعد من الطراز المكسومي قد وردت من « مسوبوتاميا » ويمكن أن يذكّر على وجه خاص مقبض الخنجر الذي على هيئة هلال ، وكذلك رموس (البطل) التي لها قلوب تثبت فيها^(٢) ، وقد ظهرت كذلك الدبابيس القصيرة في « مسوبوتاميا » منذ ٣٠٠٠ عام .

أما فكرة صناعة البرنز نفسها ، فإن من الحقائق الثابتة أنها كانت معروفة في « سومر » والأناضول في النصف الأول من الألف الثالثة^(٣) ، في حين أن مصدر الصفيح وحتى النحاس ووجود معدنيهما في « سومر » يجب أن يبحث عنهما خارج هذه الأصقاع ، ولذلك يقترح « لوكاس » أن كلا من « أرمينيا » و « إيران » قد تكون مصدراً لاستخراج الصفيح : ومن الأدلة التي سبقت حتى الآن يظهر أن بلاد « مسوبوتاميا » لها ضلع في هذه المسألة ، ولكن طينا أن نتظر نتائج حفائر منظمة في بلاد القوقاز ، والأصقاع الأخرى التي يظن وجود هذه المعادن فيها قبل أن نكون فكرة ثابتة^(٤) . وإذا كانت المواد المسوبوتامية من عهد الألف الثالثة ق . م . وهي المقابلة لنفس مواد المكسوس تبرهن على أن لها

(١) راجع : Stefan Przeworski in Archiv Orientali, VIII (1936) P. 395.

(٢) راجع : (A A A. XXXIII (1936) P. 113 - 9.

(٣) راجع مثل الذي في O. I. P. XXXIII, Pl. 149 : 2 - 3, cf Woolley, "Ur Excavations II. The Royal Cemetery" (London, 1934) Pls. 152-154b.

(٤) راجع : Woolley, op. cit. 239, 310; Speiser, "Excavations at Tepe Gawra", I, (Philadelphia, 1935), P. 109, 114, 183.

(٥) راجع : O. I. P. XXXIII, P. 162.

(٦) راجع : Albright, A. A. S. O. R, XII. § 20.

(٧) راجع : Lucas in J. E. A. XIV. (1928) P. 104.

علاقة مباشرة بالحالة التي نجشها، فإن ذلك قد يبرهن على أنها إنتاج سامى أو سومرى مهما بعدت شقة الزمن بين المهددين .

الموطن الأصلي للحصان : والفكرة العامة المتفق عليها الآن أن الحصان له علاقة أصلية بالأقوام الآرية ، والظاهر أنه يمكن اقتفاء أثر أصل الكلمة المصرية والسامية الدالة على لفظة الحصان إلى اللغة الهندية الإيرانية ، وهى « أسوا » فى السانسكرت « أسفا »^(١) .

ومن الواضح أن الكلمة المصرية « سسمت » مشتقة من اسم الجمع العبرى (الكنعانية) « سوسيم » وكلمة « سسمت » لا تمثل إلا الحروف الساكنة للاسم وحرف التاء فيها تاء التانيث . وعلى أية حال فإن وجود وسيط « سامى » فى نقل الكلمة إلى المصرية يجعلنا نظنّ بعض الشيء أن الجنس الهندى الآرى نفسه لم يأت إلى مصر ، ولكن من جهة أخرى يحتمل أنهم قد اختلطوا بنصر سامى من بين المكسوس . ولدنا كلمة أخرى نجدها فى اللغة المصرية وهى « مرين » ومعناها « جندى سورى » أو خيال (سائق عربية) ، والظاهر أنها تنسب إلى الكلمة المتنية « مارينا » وهذه الكلمة الأخيرة قد قرنت بالكلمة السانسكرتية « ماريا » ومعناه « الرجل الفقى » (الشاب)^(٢) ، والكلمة المصرية « ودريت » التى تدل على « العربى » اشتقاقها غامض . وتوجد كلمة أخرى تدل على العربى وهى « مركبة » وهى سامية الأصل .

وكذلك قد تكون عاملا وسيطا بين الهنود الإيرانيين والمصريين . ولا نزاع فى أن الحصان والعربة وما يلزمهما من عدد قد أدخلت فى مصر فى عهد المكسوس ، وبصرف النظر عن الاعتقاد السائد أن مهدها الأصل آرى ،

(١) راجع : Childe, "The Aryans" (New York, 1926) PP.18,83,109.

(٢) راجع : Meyer. "Gesch". P. 12. § 465 ; Childe. "The Aryans", P. 19.; Gunn, A. A. S. O. R., XIII, P. 49. f. n. 119.

وأنها لم تستعمل في جنوب شرق آسيا ومصر إلا في عهد متاخرة نسبيا ، فإن الاشتقاقات التي اقتبسناها عن أصل الحصان والعربة وغيرها تعد مجبا على وجود الهنود الآريين في الشرق الأدنى ، ولكن مع هذه الحجج لا يمكن أن نثبت أو ننفي وجود الآريين في مصر .

نسبة اختراع الحصون المستطيلة للآريين : وهكذا قد نسب إلى الآريين اختراع بناء الحصن المستطيل وطواره الخاص ، وإن كان ذلك لم يدعم إلى الآن بالبرهان البين . ^(٢) حقا إن هذا الطراز من الحصون كان غريبا عن مصر وفلسطين وسوريا وكان أول ما ظهر في الآثار الخاصة بالهكسوس في هذه البلاد . ولا شك في أن النظرية التي تربط مثل هذا الطراز من الحصون بما يشابهها من المباني في « إيران » و « ترنس كاسيا » (ما وراء بحر خوارزم) ^(٣) نظرية مغرية غير أنها تحتاج لإثباتات أكثر لتجعلها حقيقة مؤكدة . وعلى أية حال هل هذه الحصون مبنية آرية ؟ والواقع أن الشكل المستطيل الذي اتخذه مدن الهكسوس عند تشييدها يشعر بأن هؤلاء القوم كانوا يسكنون في بلاد ذات سهول حيث كان الشكل الذي تنهى على غواره المدن لا يقيد بتعارض طبيعة قمة التل الذي تقام عليه ، وعلى ذلك نستنتج أن حل مسألة الهكسوس يقع بوضوح تام في أراض

(١) وقد كانت السجلات تشمل في بابل في أزمان أقدم قارة Henri Frankfort, Thorkild Jacobsen and Conrad Preusser, "Tell Armâr and Khafaje" (Oriental Institute Communications", No. 13 [Chicago, 1932], Figs. 44 - 45.

(٢) راجع : Petrie, "Hyksos and Israelite Cities", (London, 1906) PP. 2 - 10; Albright in J. P. O'S. II, 122 f, in Society of Oriental Research, Journal, X, (1926) P. 245 - 254; B. A. S. O. R. No. 47 (Oct. 1932) P. 8.

(٣) راجع : Garstang, "The Hittite Empire", [London, 1929] pp. 81 f.

بعيدة جدا من مصر . والواقع أن التحصينات التي تنسب إلى العهد النيوليتيكي وعصر البرنز المبكر كانت عظيمة الانتشار في أوروبا بما في ذلك جنوبي « روسيا » ويمكن أن يكون ذلك له علاقة بالمسألة فإذا كان هذا الغرض صحيحا فإن بلاد القوقاز يحتمل أن تكون طريقا ممكنا للهجرة . ومع كل يمكننا أن نقتر ما يأتي عن وجود المعسكرات الأجنبية في الجنوب الغربي من آسيا ومصر :

من المحتمل جدا أن سلالة جديدة ، قد أحضروا الفكرة التي تشمل مدة خصائص ثابتة وأنهم أقاموا تلك المباني بأنفسهم تحت إشرافهم ، لا أن الفكرة قد نقلت إلى مصر وفُذت بطريق غير مباشر .

عل أن الصعوبة الحقيقية في قبول فكرة وجود عنصر هندي إيراني بين المكسوس هو انعدام وجود العلاقات اللغوية في « فلسطين » و « سوريا » حتى عهد المارنة^(١) ، ولم يحقق وجود أسماء هندية إيرانية في الوثائق الحورانية المبكرة بما في ذلك الوثائق التي عثر عليها في « أرنج^(٢) » في شمالي سوريا على أنه من باب الحيلة فقط نعيد إلى الذاكرة أن من أهم النقاط الخاصة بالمكسوس في مصر ، أنهم على ما يظهر قد اتحلوا اللغة المصرية لغة لهم ، وأن ملوكهم اتخذوا لأنفسهم الألقاب الملكية ، هذا إلى أنهم في بعض الحالات كانوا يحملون أسماء مصرية ، مما كان يعطى كل سمات أصول مسمياتهم اللغوية .

(١) راجع : Joh. Friedrich Arier in "Syrien und Mesopotamian" (Reallexikon der Assyriologie", 1, (1928), P. 144-148); Childe, "The Aryans", PP. 18 - 20; N. D. Mironov in "Acta Orientalia" XI (1933) P. 150 - 170; A. B. Keith "The Indian Historical Quarterly", XII. (Calcutta, 1936) P. 571 - 575.

(٢) راجع : Speiser in A. A. S. O. R. XIII, P. 51. and Gardiner : "Onomastica", II. P. 177 & Vol. II. P. 273.

المكسوس يصطبغون بالصبغة المصرية : وقد يترض بأن ما ذكرنا لا يمد أدلة حقيقية على قبول المكسوس الذين وصلوا إلى مصر الثقافة المصرية قبولاً شاملاً . والجواب على ذلك نجده في أن ملوك البطالمة قد أقاموا مبانيهم على الطراز المصرى ، واستعملوا اللغة المصرية الفصحى في نقوش آثارهم ، واتخذوا الألقاب الفرعونية التقليدية شعاراً لهم ، ومع ذلك فإنهم عاشوا عيشة الإغريق^(١) . حقا قد يفت النظر مع ذلك أن البطالمة لم يتسموا بأسماء مصرية كما فعل بعض ملوك المكسوس . ومن الأدلة التي تبرهن على أن المكسوس قد حاولوا أن يمتدوا أنفسهم لقبول الثقافة المصرية ما نشاهده في استعمالهم إشارات هيرغليفية رديئة الصنع لا تفهم في قش عدد عظيم من الجمارين ، والنقطة الهامة في ذلك هي أنه على الرغم من أن اللغة المصرية كانت غريبة عنهم ، وأن استعمالهم لها كان غالباً استعمالاً رديئاً فإنهم مع ذلك اتخذوها لغة لهم .

والظاهر أن الحورانيين هم النصر الوحيد الذى قد برز بوضوح نتيجة للبحوث الحديثة ، دالا على أنه كان ضمن العناصر التي تكون منها المكسوس ، ومع ذلك فإنه لم يتعرف على اسم من الأسماء غير السامية التي تسمى بها المكسوس بأنه حوراني الأصل^(٢) . وعلى أية حال فإن الأستاذ « البريت » يرى أن بعض الأسماء الملكية مثل « سمن » و « شارك » و « خيان » ترجع إلى أصل حوراني ، وقد استعملنا في مناقشاتنا حتى الآن كلمة الحورانيين ، لتدل على عصر المكسوس المتأخر . وقد كان أساسنا في ذلك تشابه الصفات في الصناعات التي كانت قائمة في بقعة شمال « مسوبوتاميا » وهي التي كانت فيها اللغة الحورانية اللغة السائدة في ذلك العصر . ويدل مقدار صيغ مدينة المكسوس بعناصر الثقافة الحورانية في عهدهم المتأخر ، على

(١) راجع : Edwin Bevan, "A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty" (London, 1927) P. 118 - 124.

(٢) راجع : Speiser in A. A. S. O. R. Vol. XIII, P. 512, Leary, "From the Pyramids to Paul", (New York, 1935) P. 17.

أن ذلك لم يأت عفوا بل جاء عن طريق هجرة واسعة النطاق، ويحتمل أنها بدأت في « أرمينيا » حسب رأى الحديث . وهذا رأى مضافا الى صيغ مدينة فلسطين وصوريا بصيغة حورانية شديدة في عهد المكسوس المتأخر، مما يرجح كفة اشتراك الحورانيين في هجرة المكسوس بدرجة عظيمة ، و على أقل تقدير في مظاهرها المتأخرة^(٢) في حين أنه قد يكون من الصعب أن يبرهن على عدم احتمال وجود التأثير الحوراني بين المكسوس الاول ، فإن هذا التأثير على أية حال لم يكن قويا كما كان في عهدهم المتأخر . وعند ما نقول ذلك يحضر الى ذهننا الأسماء القليلة التي من هذا النوع في المتون الكابوديشية التي يرجع تاريخها الى القرن العشرين قبل الميلاد ، ولكن مهما كانت معلوماتنا قليلة عن موضوع أصول هؤلاء السلالات التي يتألف منها المكسوس ، فإن وجود أى عنصر جديد في الجهات المجاورة يحتمل لحصه . فبعد مرور قرن أو أكثر أى في خلال القرن الثامن عشر نجد سلالة الحورانيين في جماعات منظمة قد تصادموا مع « الخيتا » في غاراتهم على « حلب » و « بابل » ؛ و نرى أن ثلاثة أجيال من ملوك « الخيتا » (حنوشيليش ، موشيليش ، خنيليش) قد تكلموا عن الحورانيين في تاريخهم . وإذا كان بعض المتون يحيطه الإبهام بالنسبة لموقع بلاد هؤلاء القوم ، فإننا نعرف مع ذلك أن بعضهم كان يسكن على وجه التأكيد شمالي « سوريا »^(٣) .

(١) راجع : Gotze, "Hethiter, Churriter und Assyrer", (Oct. 1936) P. 105.

(٢) والواقع أن العلاقة الملحوظة الآن بين القوايين الحورانية وما جاء به الرسل البرانيون له تأثير بين في شرح هذه المسألة . أما عن الحورانيين والحوريين فيمكن الرجوع الى ما قال : Speiser, A. A. S. O. R, Vol. XIII, 26 - 31 ; Albright, "The Horites in Palestine", in "From the Pyramids to Paul", P. 9 - 26.

(٣) راجع : Emil Foreer, "Die Boghazkoi-Texte in Unschrift II. (W. V. D. O. G. XLII), (1922) 12. A. i 24-25; 14 a i 12 and 16; 17. A rev. (?) III. 16, 18, 23, 33; 19: 4, 8; 20. II. 15; 21. III. 9 - 15; 23. A. I. 30; 30; Edgar Sturtevant and George Bechtel, "A Hittite Chrestomathy", (Philadelphia, 1935) P. 185.

وعلاقة هؤلاء «الخورانيين» بهجرة المكسوس الأولى محض تخمين، ومع ذلك فإنه بسبب عنصر الزمن الذي وجدوا فيه، وما لدينا من تأكيدات على أنه كان يوجد دم سامي بين المكسوس يحذر بنا إذا ألا نهمل ما قد يكون هناك من علاقة .

على أن أى دليل لقرن الخورانيين بهجرة المكسوس الأولى يكون أسامه الجوار، فإذا لم يكن للجهاجم علاقة في تدعيمه، فنحن نذهب أن تعتبر «الحيتا» ضمن السلالات التي يحتويها شعب المكسوس لنفس السبب وهو الجوار. على أن كل معلومات لدينا عن الخورانيين الأول الذين ذكرناهم الآن، ندين بها «الحيتا» الذين تلاقوا معهم في غارات قاموا بها على «سوريا» و «مسوبوتاميا» ويظهر أن شخص هذا الموضوع من الوجهة الأثرية ليس فيه أمل يذكر بالنسبة للأناضول، على أنه من المحتمل أن تسفر حفائر مقبلة في كل من بلاد «الأناضول» وشمالي «سوريا» عن علاقات ثقافية لها أهميتها ^(١).

والآثار الخورانية التي تعد أقدم مما سبق في شمالي «سوريا» لم تحقق بعد بصفة قاطعة، وكذلك لدينا عنصر آخر يحتمل علة من المكسوس، ويجب فحصه، مع العلم أنه يستعمل على صفة تختلف اختلافا ظاهرا عن العناصر التي مابلحناها حتى الآن، وهذا المنصرهم قوم «الحبيرو»، وقد كان أول ظهورهم في التاريخ في «مسوبوتاميا» حوالي نهاية الألف الثالثة ق م، وقد كان لهم اتصال وثيق بالخورانيين في القرون التي تلت ^(٢)، ولم يكن الحبيرو طائفة لها لغتها الخاصة أو جنسيتها الخاصة، بل كانوا على ما يظهر قوما أرخوا لساقهم اللتان، يتألفون من سلالات مختلفة، ويحمل معظمهم أسماء سامية، ولكنهم أحيانا يتحون لأنفسهم صلات لغوية أخرى ^(٣).

(١) T.J. Meek, "Hebrew Origins", (New York and London, راجع : P. 5. 1936) حيث يقترح أن بعض المكسوس يمكن أن يكونوا من أصل «لوي» .

(٢) Speiser in A. A. S. O. R. XIII. P. 34. راجع :

(٣) Edward Cheira in A. J. S. L. XLIX. (1932) P. 117. f ; راجع : Speiser in A. A. S. O. R., XIII, P. 35.

على أن تحقيق أسماء « الخيرو » في المتون يتوقف كلية على النص عليها بأنها أسماء « خيرو » ، فهؤلاء القوم على ذلك يؤلفون طائفة لاجنسا له طابمه الخاص ، وإنه لمن الصعب أن يضع الإنسان تعريفا يحدد به هذه الطائفة قبل رقيهم فيما بعد ووصولهم الى مرتبة طائفة قومية هي طائفة اليهود^(١) ؛ ولكن كلا من الأثرى « خيرا » و « سيهد » قد وجد من دراسته لوحات « نوزى » تعابير خاصة يظهر أنها تنطبق على كل « الخيرو » وهي : أغراب ، عبيد مفيرون ، جوالون ، أصداء أجنب ، مخاطرون^(٢) .

وفي حين أن غالبية « الخيرو » ساميون ، فإنهم كانوا في العادة على اتصال وثيق مع العنصر الحوراني المنتسب الى « المكسوس » . ولما لم يكن هناك وحدة جنسية أولفوية بين « الخيرو » القدامى ، فإنه من المحتمل عدم وجود وحدة ثقافية بينهم .

وفي الإمكان البرهنة على وجود علاقة بين الحقائق التي لاحظناها ، وبين قصص الأنبياء ، فمن المحتمل أن إبراهيم هو « هامبرى » أى البدوى ، قد صور يزور مصر في رحلة سلمية . والواقع أنه قد قرن غالبا بين رحلته ورحلة « إيشا »^(٣) الذى سار على رأس قافلة لزيارة مصر في عهد « سنوسرت » الأول ؛ كما أسلفنا ومن غريب الصدف أن هذا العصر هو العصر الذى لاحظنا فيه لأول مرة أدلة على وجود

(١) راجع : Meek, "Hebrew Origins", PP. 1 — 45. Wilson, "The Eperu of the Egyptian Inscriptions", A. J. S. L., Vol. XLIX, P. 275-80; Parzen, "The Problem of the Ibrim (Hebrews) in the Bible", ibid, P. 254 — 61 ; Gunn, "A Note on the Aperu", A. A. S. O. R, Vol. XIII, P. 38, note, 93.

(٢) راجع : Chiera in A. J. S. L. Pl. XLIX, 118 - 24 ; Speiser A. A. S. O. R., XIII, P. 36. f.

(٣) راجع : Speiser in A. A. S. O. R. XIII, P. 43 & 52.

المكسوس في مصر كما سبق تفصيله . وبعد فترة من الزمن دخلت كل أسرة يعقوب مصر، واتخذوها موطناً لهم . ومن المحتمل أن لدينا في هذا الحادث ذكرى لاحتلال المكسوس الشامل للوجه البحرى^(١) . والواقع أن تكوين المكسوس الجنسى لا يزال موضوعاً بعيداً عن الحل ، ويموز أن بعض نواحيه لن يكشف عنها أبداً، غير أنه واضح أن العنصر السامى كان قوياً فيه، وكذلك يظهر أن الحورانيين قد لعبوا دوراً هاماً في هجرة المكسوس ، ومن المحتمل أن بعضاً من طائفة « الخيبرو » المختلطة الأجناس قد صاحبوا المهاجرين . ومن بين الذين يمحوز إسهامهم في هذه الهجرة كذلك الهنود الإيرانيون فإنهم على ما يظهر قد قاموا بنصيب هام في هذه الحركة .

ويجب عند فحص مسألة التكوين القومى للمكسوس أن تعالج من وجهات النظر للفوية والجنسية والثقافية ، على ألا تعالج ناحية من هذه النواحي بأهمية دون معالجة النواحي الأخرى بنفس الأهمية، لأنه من المقبول أن نفرض أن أسرة حورانية الأصل مثلاً، لما خصصاتها الجنسية والثقافية، قد تشكلت بإحدى اللهجات السامية بعد استيطانها « سوريا » و « فلسطين » مدة جيل من الزمان . وتفسير

(١) لا نزاع في أن قصص الأنبياء تحفظ لنا في ثناياها ذكريات في حوادثها لها قيمتها التاريخية . وقد أفاض من بعضها الكشوف الأثرية الحديثة من ذلك القصص التي تحتوي على عناصر من القانون الحوراني (Gen 31 : 19-35) . وتدل شواهد الأحوال على أن يوسف كان وزيراً لأحد : (Gen 41 : 39-44) . القراصة المكسوس في مصر . وكذلك الآراميون يمحوز أنهم كانوا ضمن هجرة المكسوس . وقد وصف يعقوب بأنه رأى جوالاً في وقت كان يميز فيه العبرانيون بينهم وبين الآراميين بوضوح جل (Deut. 26 : 5) وهذا قد يدل على استمرار تقاليد قامت على خلاف . وكذلك يمكن أن نثير هنا إلى أن اسماء يعقوب كاتا قد تزوجا من آرميات (Gen. 25 : 20 & 28 : 2-5) . ولعلبارة التي اتجست كثيراً (Nun. 13-22) من « حبرون » بأنها بنت قبل زاون (قائس — أواريس) بسبة أروام لم تحقق قط حتى الآن من الوجهة الأثرية . وكذلك من الصعب أن يبالغ الإنسان موضوع شراء إبراهيم عليه السلام لكهف في حقل « ماخيلاه » من « حبريم الخبي » (Gen. 23) غير أنه ليس لدينا على ما يظهر سبب يدعو لندم سكنى الخبي في حبرون في ذلك العهد .

البراهين اللغوية الخاصة بالآلف الثانية قبل الميلاد الى أن اللهجات السامية كانت سائدة في هذه البلاد ، وإذا أردنا مثلا أن نقبس مثلا حيا ينطبق على الحالة التي نتكلم عنها حيث نجد كل أنواع الجنسيات والقوميات والمادات يختلط بعضها ببعض تحت نفوذ لغة واحدة رئيسية ، فلدينا الولايات المتحدة الحالية . ومهما يكن أصل تكوين المكسوس فإن اللغات التي استعملوها ، كانت تميل إلى الاختفاء أمام اللغة السائدة في البلاد ، في حين أن العادت كانت تمكث مدة أطول من اللغة والجنس على ما نعلم ، ويمكن الكشف عن هذا الجنس إذا كان في الإمكان جمع طائفة كافية من الجماجم لدرسها . وقد أبرزنا فيما سبق الدور الذي لعبه الساميون في هجرة المكسوس ، والظاهر أن نفوذهم كان عظيما بسبب انتشار لغتهم ، ومع ذلك فليس لنا الحق في أن نقول إن من يحمل اسما ساميا بين قوم المكسوس لم يكن حورانيا أو حيتيا (خيتا) أو هنديا إيرانيا ، إذ نجد من بين ملوك المكسوس من كان يحمل أسماء مصرية محضة ، ومع ذلك فإن أولئك الملوك لم يكونوا منتسبين إلى أصل مصرى . على أن استمرار بقاء أسماء من مسميات الطوائف التي كانت لغاتهم خاضعة لسيادة لغة أخرى يكون مفيدا للغاية ، وبهذه المناسبة يجب ألا نتغاضى عن التنبيه على أن عددا من أسماء المكسوس قد بقي إلى الآن لم يحقق لغويا . وهكذا سيظل موضوع أصل شعب المكسوس في حاجة إلى أدلة جديدة بعد أن استعرضنا الوثائق الحديثة العظيمة التي وصلتنا عنه حتى الآن ، ولذلك كان الكشف عن متون جديدة من البقاع التي احتلتها المكسوس مساعدا عظيما لحل هذه المسألة ، ويجب أن يكون قيام بحوث أثرية جديدة في سوريا وما ورامعا على أساس العناية الدقيقة في جمع الأدلة الثقافية ونتائج فحص المظالم جزئا من الطريقة التي نتبع لحل هذه المسألة .

الأسرة الثامنة عشرة

أحمس الأول



١٥٥٨ — ١٥٨٠

أحمس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة : لقد كان « مانيتون » المؤرخ المصرى القديم محقا عند ما جعل « أحمس » الأول فاتحة ملوك الأسرة الثامنة عشرة على الرغم من أنه من أسرة كانت تسيطر على جزء كبير من البلاد فى عهد الأسرة السابعة عشرة . إذ الواقع أنه فى حكم هذا الفرعون قد طويت صحيفة من تاريخ البلاد سطر عليها عهد استعباد الشعب المصرى مدة قرن ونصف من الزمان ، ثم بدأ صحيفة جديدة كان أول ما خط فيها آيات بينات تحدثنا عن استقلال البلاد وطرد الغزاة الغاصبين من أرض الكنانة ، ثم الإصلاحات التى قامت



(١٤) تابوت أحمس الأول

في طول البلاد وعرضها بعد استتباب الأمن في الداخل والخارج على أسس متينة هيأت لمن جاء بعده من الفراعنة الشجعان أن يؤسسوا دولة مترامية الأطراف تمتد من الشلال الرابع جنوبا إلى أعلى نهر دجلة والفرات شمالا، وتدين لها كل الأمم المجاورة ماديا وأدبيا حتى أصبحت في عهد « تحتمس » الثالث الذي يلقبه مؤرخو الغرب « بنابليون » الشرق الامبراطورية الأولى في عالم التاريخ القديم . وقد كانت المثل الذي احتذته الامبراطوريات الغربية العظيمة قديمها وحديثها في تأسيس ملكها ومد سلطانها .

أعماله الحربية في الخارج والداخل : والواقع أن الحادث الجلل الذي يعلم به حكم « أحس » الأول الذي خلف أخاه « كامس » هو متابعة الحروب العظيمة التي نشبت بين المصريين والمكسوس وهي المعروفة بحروب الاستقلال التي كانت أبجد صحيفة في التاريخ المصري . وقد فصلنا القول في هذه الحروب الطاحنة في موضعه ، ولم تمض أربع أو خمس سنوات على بداية هذا النضال العنيف حتى أطلع « أحس » في طرد المكسوس من البلاد حملة بل سار يمشيه حتى بلاد « زاهي » (فينقيا) حيث يحدثنا « أحس » عما أحرزه من انتصار . وبعد أن تم له الفوز في هذه الأصقاع الآسيوية عاد ثانية موليا وجهه نحو الحدود الجنوبية حيث كان السود قد اقتنصوا فرصة اشتغاله بالحروب في آسيا، وزحفوا شمالا نحو البلاد المصرية فلاحق بهم، وأعمل السيف فيهم في مذبحه عظيمة كما دون ذلك على جدران قلعة « سمته » الملك « تحتمس » الثاني^(١) .

على أنه لما قفل راجعا وجد أن بعض الثورات قد اندلعت ليهيها في داخل البلاد ولا يبعد أن الذين قاموا بتديرها أفراد من الذين تخلفوا في البلاد من المكسوس بعد طردهم وهذا ليس بالحادث المستغرب لأن طرد قوم بأكملهم استوطنوا البلاد مدة طويلة دفعة واحدة يعد من الأمور الصعبة التحقيق . ولا نزاع في أن الثورتين

الذين قام بهما «آنا» ثم «تتاغان» وكان يجري في عروقهما الدم المكسوسى، قد هزم كل منهما فى ثورته هزيمة منكرة، ومن ثم لم نسمع بقيام ثورات داخلية بعد ذلك. والظاهر أنه بعد هذه الحروب لم تصادفنا حوادث خطيرة فى حكم هذا الفرعون، بل تدل الأحوال على أنه أخذ فى تنظيم حكومة البلاد وإصلاح ما تخرب فيها خلال حرب الاستقلال مما استغند الجزء الأكبر من مدة حكمه.

اللوحه التى أقامها فى معبد الكرنك تخليدا لأعماله وأعمال والدته :
والواقع أنه ليس لدينا تواريخ بعد السنة الخامسة من حكم هذا الفرعون، وهى السنة التى قضى فيها القضاء المبرم على قوة أعدائه شمالا وجنوبا، الى أن نصل الى السنة الثانية والعشرين من حكمه، حيث نجد «أحمس» قد أقام لوحة عظيمة بمعبد «الكرنك» تكشف لنا عن نواح عدة من نشاطه، وما قامت به والدته «أعح حنب» من أعمال عظيمة وعلاقتها بجزيرة «كريت» وملكها، وما قام به للآلهة، وبخاصة الإله «آمون» من جليل الأعمال مما يكشف لنا عن حالة البلاد المادية والصناعية وقتئذ، ولذلك لم نربنا من إثبات محتويات هذه اللوحة بأكملها على الرغم مما فيها من النعوت البليغة التى يصف بها هذا الفرعون نفسه، ثم نعلق على ما جاء فيها من حقائق جسيمة قد توه عن بعضها الأستاذ «ادورد مير» فى مؤلفه التاريخ القديم^(١).

وهاك النص كما جاء فى الأصل المصرى القديم مع التعليق عليه .
(١) يتبدى النص بذكر ألقاب الفرعون الخمسة الرسمية :

وهى (١) حور — عظيم الشكل (٢) العقاب والصل = حسن الولادة (٣) حور القاهر = الضام الأرضين (٤) ملك الوجه الثقل والبحرى = رب الأرضين نب بحتى رع (٥) ابن الشمس = الذى يحب أحمس عاش نخدا (راجع تفسير الألقاب الملكية مصر القديمة جز. أول ص ١٦٧-١٦٨)

(١) راجع : Meyer, "Gesch." II, 1. P. 54-55.

(٢) لم تذكر ألقاب هذا الفرعون الخمسة كلها على أثر واحد خلافا لهذه الرواية (راجع Gauthier

(V) (L. R. Vol. II. P. 177.)

اللقاب أحسن ووصف عظمة ملكه : ابن أمون رع من جسده ومحبوه ووارثه ، ومن أعطى له عرشه ، الإله الطيب حقيقة ، قوى الساعد والذي لا يشوبه مين ، وإله أمير يشبه الإله « رع » وتوأم ولدى « جب » (إله الأرض) ووارثه الذى يتمتع بالسرور ، وصورة « رع » الذى ظهره ، والمتقم له الذى جعله على الأرض ، والذي يضى دهورا ، رب الانسراح ، وماخ النفس فى أنوف السيدات (؟) ، والشديد البأس ... معطى الحياة ، ومقيم العدالة ، ملك الملوك على كل أرض ، الملك (له الحياة والعافية والصحة) الذى يضم الأرضين ، عظيم الاحترام ، القوى فى الظهور ، ... من يخضع له ، وألهمهم يحملون له الحياة والسعادة ، وهو واحد فى السماء ، والثانى على الأرض ، ومن يخلق من صوته النور ، محبوب « آمون » ومن يثبت الوظائف مثل الإله ، حسن الوجه (أى بتاح) ، المسيطر على السنين مثل جلاله « رع » (أى يحكم سنين عدة) ، ومن يحمله الإله يعرف محرابه ، وما يلزم لكل حيد إله ، ملك الوجه القليل فى بلدة « بوتو » ، والأمير على مصر ، وعماد السماء ، وسكان الأرض ، ومن استولى على ما تحيط به الشمس ، ومن قد ثبت على رأسه التاج الأبيض ، والتاج الأحمر ، ومن نصيب كل من « حور » و « ست » تحت سلطانه (أى مصر كلها) ، والمضى الطلعة فى شبابه ، ومن قدر لنا حبه أعجوبة مزدوجة فى كل ساعة ، رفيع الرشتين ، ومن يكون أمامه الصلان القويان على جبينه مثل ما يكونان على جبين « حور » عند ما يسيطر على الأرضين ، وهو ملك له الحياة والسعادة ، مستول على التيجان فى « خمس » وصاحب التاج ، حور المفسور بالحلب ، ومن يأتى له الجنوب والشمال والشرق والغرب ، وهو سيد باق ، ومن وطد أرضه (مصر) ومن استولى على إرث من أنجب ، ومن تراجع أمامه الأرضان قاطبة ، وقد أعطاه إرثهما والده الفانر ، وقد سيطر على طبقة « الخنمت » وقبض على طبقة الرخيت (المتعلمين) وقدم له الخضوع « البت » (القليل الخاصة) . وكانت كل فرد يقول إنه سيدنا ، وسكان بحر إيجيه جميعا يقولون أنه إلهنا ، والأراضى تقول : نحن أتباعه وأنه ملك قد نصب « رع » أميرا ، وجعله « آمون » عظيما . وقد أعطاه الشواطىء والأراضين دفعة واحدة ، وكذلك ما تضى عليه الشمس ، ويقف الأجانب فى موكب واحد عند باب قصره ، والرجل منه فى بلاد « خنت نقر » (قبائل البجة القاطنة ساحل البحر الأحمر والنيل) ورثه فى أراضى « الفنخو » ، والخوف من جلالة فى هذه الأرض (مصر) مثل الخوف من الإله « مين » فى السنة عند ما يأتى (أى فى سنة القحط) ، وإنهم

(١) كوم الخبيزة الحالية فى شمال الدلتا وهى التى ولد فيها حور وأهل الشمس أو بنو الإنسان كما يقول جاردنر (Onomastica Vol. I. P. 112.)

(٢) الخنمت قد يقصد منها رجال الدين كما يقول « ادورد مير » .

(٣) رخيت هم المواطنون سكان الدلتا .

يحضرون الطرف العالية عند ما يأتون محلين بالهدايا إلى القرمون ، وعندئذ يخرج الملك ويصحبه أتباعه مثل القمر في وسط النجوم ، يسير في رقة ، ويخطو في تودة ، ويقدم تاجه ، ونعل طائع ، يعرف عليه بها . « رع » ويحبه « آمون » والده الفخار ، ويضع له الطريق ، والقطران يقولان : حنا إنا نراه ، ووجهه يملأ كل إنسان ، وتقهر العيان برؤية هذا الملك ، والقلوب تنبض بحبه ، وتلمظه كأنه « رع » عند إشرافه ، وهو مثل قرص الشمس عند ما يسطع ، ومثل شمس الظهيرة عند ما تضيء العينين ، وأشعث في الوجوه مثل أشعث « آتوم » وهو في شرق السماء عند ما ترقص النعامة في وديان الصحراء (أى في وقت الظهيرة) ومثل « ياخو » (إله الشمس) عند ما يرسل أشعث وسط النهار ، وقت ما تكون الهديان جميعا محرورة ، وهو الإله الأوحده الذي أرضعه نحم الصباح (إيزيس) ، ومن مدحه الإلهة « شات » (إلهة الرياضة التي طلت الملك) ، ومن تكتفه هيئة الإله « نحتو » (إله العلم) الذي يمنحه معرفة الأشياء ، وإله الذي يهدي الكاتب إلى الحق ، وعظيم في فنون السر ، وإله مالك الحب أكثر من كل الملوك ، وهو « حور » (الملك) الذي يحبه « رع » ، والذي يجعل القلوب تقي عليه والأفئدة تقدم له المديح في الأجسام .

طلب الملك إلى رعيته أن يحترموه : اصنوا بأهل الوجه القبيل ، وبأرجال الهين ، وبأهل الوجه البحري ، وبأهل الناس جميعا ، يا من يبعون هذا الملك في خطواته ، اطعنوا نخاره للآخرين ، وتطهروا باسمه ، وتطهروا بحياته (بحلف اليمين) . تأملوا به إله على الأرض ضد مواله الخضوع مثل « رع » . اتوا طبه مثل شأنكم على القمر ، فهو ملك الوجه القبيل والوجه البحري « نب بحق رع » الذي يضع في الأغلال كل أرض أجنبية .

دعوة القوم إلى تجميل الملكة « أعح حنب » ومديح تلك الأميرة لما لها من سلطان : قدموا المديح لبدة البلاد ، وسيدة جزر « بحرايجة » ، فاسمها رفيع الشأن في كل بلد أجنبي ، هي التي تصنع الخطة لبهايم ، زوج الملك ، وأخته الملكية ، لها الحياة والسعادة والصحة ، وهي أخت ملك ، وأم ملك ، الفاتحة ، والحاذقة التي تهتم ، وتضطلع بشئون مصر ، ولقد جمعت جيشها ، وحثت هؤلاء ، فأعادت الهاربين ، وجمعت شتات الذين هاجروا ، وهددت روع الوجه القبيل (أى مملكة طيبة) ، وأخضعت صاته ، الزوجة الملكية ، « أعح حنب » العاتية .

الهدايا والمباني التي أمر الفرعون بإقامتها للإله « آمون » : والآن أمر جلالة صياغة آثار لوالده « آمون رع » تشمل : أكاليل عذقية من الذهب ، وقلائد من جهر الافرودد الحقيق ، وتاوريز من ذهب ، وإبريق ماء عذيقا من الذهب ، وآنية ماء وبأباريق من النفضة ، وآنية لصب ماء

القربان من الذهب ، ومائدة قربان من الذهب والفضة ، وحقود « منت » من الذهب والفضة يتخللها حبات من اللازورد والفاورز وآنية « تاب إن كا » من الفضة ، وقاطعتها من الفضة ، وآنية « تاب إن كان » من الفضة ، وحاقها من الذهب ، وقاطعتها من الذهب والفضة ، وآنية « نني » من الفضة وآنية ماء من الجرايت الأحمر مملوءة بالزيت ، وآنية « وشم » كبيرة من الفضة والذهب وحاقها من الذهب ... من الفضة ، وعمودا من الأبنوس ، والذهب والفضة ، وتماثيل الهول ... من الفضة ، وصيت من النعش .

ثم أمر جلالة أن تنزل السفينة في النهر ، واسمها « ومرحات » (تمثال آمون صاحب التثال الصني القوي) ، وأن تكون من خشب الأرز الجديدة من أحسن خشب المدرج (أى جبال لبنان) لتقوم برحلة للبحر الجديدة ... وقد أفت عمد أعلام من خشب الأرز ، وكذلك السفن والأرضية ، وأعطيت ... «

أهمية هذا النص من الوجهة التاريخية : هذا النص على ما يحتويه من تفاصيل دقيقة ، وإشارات بعيدة إلى أمور جسام في حياة الفرعون « أحس » الأول يرى فيه المؤرخون أنه عبارات مدح تقليدية تشغل نحو ستة وعشرين سطرا منه ، وستة الأسطر الباقية تعدد إصلاحات هذا الملك التي قام بها لإعادة أثاث معبد « آمون » وأوانيها ، وأن الملك لم يشر إلا إشارة عابرة مبهمة عن حروبه في خلال تلك الجمل المملة المتابعة ، ولكن الواقع أن هذه اللوحة تمد على جانب عظيم من الأهمية من الناحية التاريخية والثقافية والأدبية في عهد هذا الفرعون ، وبخاصة لأنها تشير من طرف خفي إلى طلاقة مصر يجيرانها ، وتصور لنا حالة البلاد ، وعلاقتها بالملك ، وأمه « أع حتب » ثم الدور الذي لعبته هذه الملكة في إدارة سكان هذه البلاد . وقد كان أول من لفت النظر إلى مكانة هذه الملكة في تسيير أمور الدولة في عهد ابنها « أحس » هو الأستاذ « ادور ديمر » مما سنفصله هنا :

تبدئ اللوحة بذكر ألقاب الفرعون الخمسة التي لا بد أن يحملها كل فرعون بعد تنويحه ملكا على البلاد ، ثم يذكر لنا « أحس » أنه من نسل الآلهة ، وأنه وارث « أوزير » والإله « رع » أول من حكم على الأرض ، ونشر فيها العدالة ،

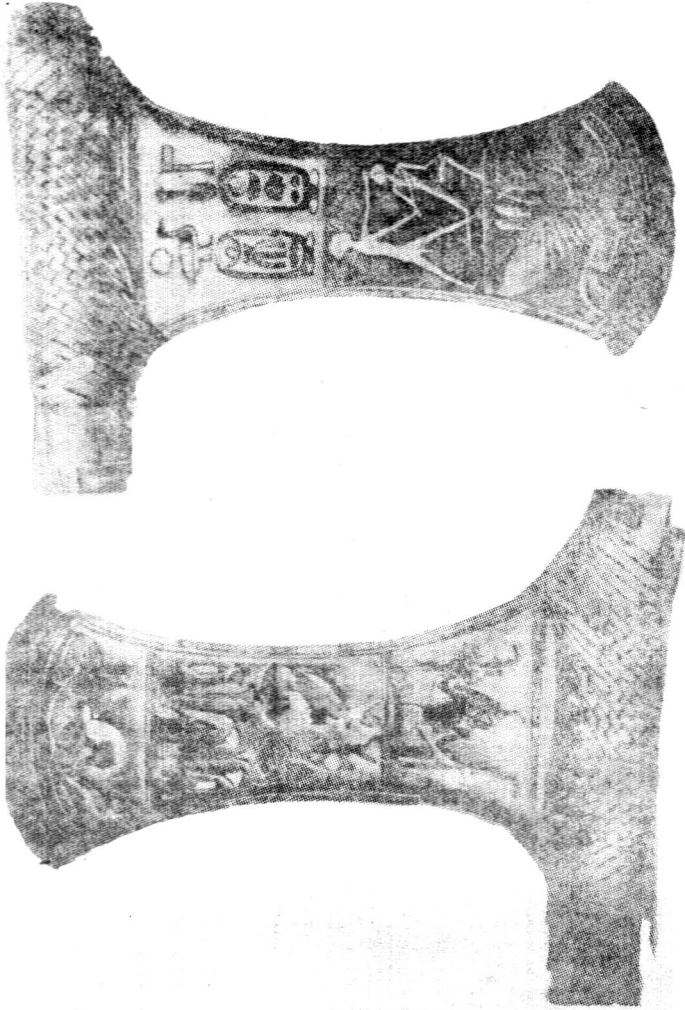
ثم يذكر لنا هذا الفرعون أنه أصبح ملك الملوك بعد انتصاراته على الغزاة القاهرين حتى أن آلهتهم يقدمون له الحياة والسعادة ، ثم يذكر لنا المتن أنه واحد في السماء ، والثاني على الأرض ، فهل يعنى بذلك أن والدته كانت شريكته في ملك مصر ؟ وبعد ذلك يقول إنه ملك الوجه القبلى في « بوتو » و « بوتو » كانت العاصمة الدينية للوجه البحرى منذ القدم ، فهل معنى ذلك أنه بعد أن كان حاكما على الوجه القبلى وحده ، أصبح يمتد سلطانه حتى « بوت » العاصمة الدينية للوجه البحرى بعد طرد الهكسوس ؟

ولا نزاع في أن هذا المعنى هو المقصود من المتن ، إذ بعد هذه الجملة يأتى مباشرة : إنه حاكم « تيرا » أى أرض مصر كلها ثم يستمر المتن قائلا إنه قد استولى على ما تحيط به الشمس وأن نصيبى « حور » و « ست » وهما الوجه القبلى والوجه البحرى قد أصبحا تحت سلطانه وأن سكان الجنوب والشمال والشرق والغرب يأتون إليه طائعين ، وأن طبقات سكان مصر الثلاث « رخيت » (العامة) وسكان الوجه القبلى « بمت » (الأغنياء) وبنو الإنسان (حنمت) لا يعقدون الأيمان إلا باسمه ، وأنهم يمدحونه ، ويعظمونه مثل ما يعظمون ويمدحون الشمس والقمر ، ثم بعد ذلك تأتى فقرة لم نلاحظ مثلها فى النقوش الملكية قط ، وأخى بها ذلك الأمر الذى دعا به « أحس » الناس للتعظيم من شأن أمه الملكة « أعح حب » وهى التى تحمل لقب سيدة الأرض (أى مصر) وأميرة شواطئ « حايونبوت » وكلمة « حايونبوت » كناية عن سكان جزر البحر الأبيض ، وهى فى هذه الفقرة لابد يقصد منها جزيرة « كريت » وما جاورها من الجزر . وبعد ذلك تأتى عقود المديح التى صيغت لهذه الملكة فاستمع إليها : « اسمها رفع الشأن فى كل بلد أجنبى ، وهى التى تقود الجماهير ، زوجة ملك ، وأخت ملك ، وبنت ملك ، وأم ملك ، الفاحرة والحادقة التى تهتم وتضطلع بكل شئون مصر ، وهى التى جمعت جيشها ، وحثت أولئك الناس ، وأعادت الهارين ، وجمعت شمل الذين هاجروا

وهذأت روع الوجه القبلى (أى مملكة طيبة) ، وأخضعت عصاته بوصفها الزوجة الملكية « اعح حتب » العائشة : ففى هذه الكلمات التى فاه بها ابنها ، تظهر فيها هذه الملكة بأنها هى التى أنشأت مصر الجديدة ، وأنها الروح الذى أقال مصر من عثرتها ، وكتب لها النجاح ، يضاف إلى ذلك أنه قد يستنبط من هذه الكلمات أنها لا بد كانت قد قامت بنشاط محس فى خارج بلادها ؛ إذ كان لا يمكنها أن تبقى الهاريين وتجمع شتاتهم إلا فى البلاد الأجنبية ، وكذلك كان فى مقدورها أن تقود هناك جيشها إلى النصر . ومن أجل ذلك يجب أن نسلم أنها بعد وفاة زوجها « تاعا » الشجاع ، أخذت فى يدها مقاليد الأمور بعزم وحزم معضدة ابنها « كامس » المحارب الذى كان على ما يظهر لا يزال حدث السن . على أن مظهرها هذا ليس فيه ما يتناقض مع موقف « كامس » . ولما تولى « أحس » وقد كان على ما يظهر حدث السن أيضا ، أصبحت هى الوصية الحقيقية على عرش « طيبة » ؛ ولكن لابد أنها كانت فى الوقت نفسه قد عقدت أواصر المودة والصدقة بينها وبين ملك « كريت » ومن المحتمل أنها تزوجت منه ، وذلك لأنه لا يمكننا تفسير عبارة « أميرة شواطئ حايونبوت » على أى وجه آخر كما يقول « ادورد مير » .

ومما سبق يتضح — إذا كان التفسير الذى أوردناه مقبولا — أن المكسوس قد وقعوا بين مغالب مملكة « طيبة » وجزيرة « كريت » التى أصبحت حليفها ، وبهذا أصبح من السهل حصار « أواريس » والتغلب عليها . ونجد فى هذه الأئشودة الملكية فضلا عن ذلك ما يثبت هذا الزعم ، فطبقات الشعب الثلاث تقول « إنه سيدنا » ويقول أهل « حايونبوت » نحن فى ركابه ، والأراضين تقول : نحن ملكه . وفى استطاعة الإنسان أن يميز بوضوح ثلاث طوائف مختلفة ، الرعية المصرية وأهل « كريت » حلفاء مصر ، وهم الذين يقومون لها بالمساعدة الحربية ، ثم سائر العالم (أى سوريا وبلاد السودان) ، وهى الأراضى التى يظلمها سلطان مصر .

وقد كان أثر هذه العلاقة الوثيقة التي توثقت عراها بين مصر « وكريت » على جانب عظيم من الأهمية ، وبخاصة في الثقافة والصناعة التي تبودلت بين أهل البلدين منذ زمن بعيد ، وقد زادت هذه الروابط الحديدية قوة مما جعلها تنمو وتعظم في الأزمان المقبلة .



(١٥) سلاح بلطة أحسن الأول

والواقع أن تبادل الثقافة والصناعة بين البلدين قد ظهر أثره في سلاحين من أسلحة الزينة في نفس العصر الذى نحن بصدده ، قد كان يحملهما الملك « أحس » وكذلك في قطعة أخرى من الحلى باسم « كامس » وجدت مع مجوهرات والدته « اعح حتب » فنجد أنه قد نقش على أحد وجهى خنجر « أحس » المعلق في خيط من الذهب اسم الملك ، وكل حرف من حروفه قد غطى بصفيحة من الذهب الجليل الصنع ، ثم نجد بعد ذلك أنه قد صيغ على نفس الوجه أسد يقتنى أثر نور ثم أربع جرادات ، ويرى في صنع هذا الخنجر تأثير الفن الكريتى المحض ، إذ قد وجد في هذه الجزيرة وفي « مسينا » خناجر مطابقة لخنجر الملك « أحس » غير أن الصناعة كانت مصرية وكذلك نجد نفس التأثير « الكريتى » في (بلطة) « أحس » (انظر ص ٢٠٧) يضاف إلى ما سبق أن الفرعون قد أشار إلى البلاد التى تغلب عليها كما ذكرنا آنفا .

أما علاقة هذا الملك بشعبه ، وما يحملونه له من رهبة وتجلة في قلوبهم ، وما يحيط به نفسه من الأبهة والعظمة عند خروجه على الناس في المحافل الرسمية ، فقد جاء وصف كل ذلك في قطعة رائعة ربما تذكرنا بعهد ملوك الدولة العباسية ، وما كانت توصف به مواكبهم ، وكذلك ينطبق على سلاطين الممالك ، وما كانوا يحيطون به أنفسهم من مظاهر الملك الرائعة ، فاستمع إلى هذه الفقرة التى لم نجد لها مثيلا في النقوش المصرية التى طبقت هذا العصر ، ولم نقرأ ما يشابهها في العصور التى تلت : ويطلع الملك وحاشيته كأنه القمر في وسط النجوم ، يسير في رفق وبخطى وثيدة ، وبقدم ثابتة ، ونعل ينطبع على الترى أثره ، ويرفرف عليه بهاء « رع » ويحميه « آمون » والده الفانخر ، مفسحا له الطريق ، والقطران يقولان : حقا إنا نراه ، وجهه يضمركل إنسان ، وتنبهر العينان لرؤية هذا الملك ، والقلوب تحفق له ، وتنتظر اليه كأنه « رع » عند إشراقه الخ .

إصلاحات أحسن : ولا عجب في أن نرى « أحسن » يصف نفسه بهذه الأوصاف ، ويعمل قومه المدينين له يرددونها بصوت عال ، فهو جدير بكل مراسم الاحترام ، وآيات الحب والإعظام لأنه هو الذى خلص البلاد من ريق العبودية الأجنبية .

ثم نرى بعد ذلك « أحسن » يوجه عنايته نحو إصلاح ما أفسده الدهر من آثار إلهه العظيم « آمون » الذى كان بزعمه قد هيا له النصر على الأعداء ، هذا فضلا عن أنه كان إله الدولة ، وحامى حماها ، فأمر بصنع أوإن جديدة لمعبده « بالكرك » معظمها من خالص النضار والفضة ، والأحجار الغالية على يد مهرة الصناع ، ومن أوصاف تلك الأوانى وحدها يمكننا أن نعرف ما وصل إليه الفن المصرى من الدقة والإتقان ، وحسن النوق في زمنه ولا بد من أن الذهب كان يوجد بكثرة في مصر الآن وبخاصة بعد أن أخضع بلاد النوبة التى كانت أكبر مصدر لهذا المعدن الكريم ، وكذلك نجد أن هذا الفرعون قد صنع سفينة الإله « آمون » التى كانت تجرى في النيل بين « الكرك » و « الأقصر » تحمل تمثال الإله في عيد رأس السنة من خشب الأرز الجديد . وفي وصف هذا الخشب بالحديد فوز جديد « لأحسن » الأول ، إذا أنه قد أحضره من الجبال الواقعة على شاطئ « لبنان » مما يرهن على أن هذه الجهات قد أصبحت في قبضة يده كما يدل على ذلك النص المصرى .

مبانيه : والظاهر أن هذا الفرعون كان في الوقت الذى أمر فيه بصنع الأوانى والحلى الخاصة بمعبد « آمون » كان قد بدأ يحول عنايته لإعادة بناء المعابد الهامة في عاصمة الملك . على أن بقاء عاصمة البلاد ، وأهم مركز دينى بدون إصلاح ما خرب منها لا كبر دليل على ما كانت تحتاج إليه البلاد من تنمية الثروة الضرورية لنهوض البلاد من كبوتها المادية الطويلة الأمد ، قبل أن يتم ليكها بإنشاء الكليات ، وما تطمح إليه نفسه ، وقد كان ذلك يحتاج إلى نهوض جيل جديد يحورى في عروقه دم الحزينة تنتعش به البلاد مما حل بها من خراب واضطهاد .

على أن المباني التي أقيمت في هذا العهد في « طيبة » و « منف » قد ابتلتها التغيرات التي حدثت في مبانيهما في الأزمان التي تلت ، والتخريب الذي لحق بهما على يد الأجانب ، ولكن لحسن الحظ قد حفظت لنا الوثائق التي تحدثنا عنها في محاجر « طرة » أن « نفر برت » حامل خاتم الفرعون ، ورفيقه ، قد نقش لوحين مؤرختين بالسنة الثانية والعشرين من حكم « أحمس » ، وقد سجل عليهما فتح محاجر لقطع الأحجار اللازمة لبناء معبد « بتاح » بمنف ومعبد « آمون » بطيبة ، ونجد قبل النص في أعلى اللوحة ألقاب الملك « أحمس » ثم ألقاب زوجه « أحمس نفر تارى » بصورة بارزة تفوق ألقاب زوجها ، والنص هو :

السنة الثانية والعشرون من حكم الفرعون « أحمس » بن « رع » معلى الحياة . هذه الحجرات الخاصة بقطع الأحجار قد فتحت من جديد ، واستخرج الحجر الجيري الأبيض الجليل من عيان (اسم الإقليم القديم) لبناء معابده التي ستبقى ملايين السنين ، وهما معبد « بتاح » في « منف » ومعبد « آمون » في « الأقصر » ولكل الآثار التي يقيمها جلالته له (أى لآمون) وقد جرت الأحجار بالثيران التي غنمها جلالته في انتصاراته على « الفخفر » .

وبعد هذا النص يأتي ذكر « نفر برت » الذي قام بهذا العمل ، وما يحمله من ألقاب ، وقد وصف نفسه بأنه ساهر على إصلاح المباني الأثرية ، ويرى تحت هذا النقش رسم ستة ثيران تجر زحافة عليها قطعة كبيرة من الحجر ، ويلاحظ أن السائقين الثلاثة الذين يسوقون الثيران أجنب كل منهم له لحية قصيرة ، ولا يبعد أنهم كانوا من الأسرى الذين ساقهم « أحمس » معه إلى مصر .^(١)

الملكة نفر تارى : ومما يلفت النظر في هذه اللوحة بروتاسم الملكة « أحمس نفر تارى » مما يدل على الأهمية العظمى التي كانت تتماز بها الوراثة الملكية في الأسرة الفرعونية في هذا العهد . والواقع أن الأثرى « ويمول » قد وجد اسمها منقوشا وحده في محجر مرمر في وادى أسيوط .^(٢) وقد كشف لها عن عدة تماثيل صغيرة

(١) راجع : L. D. III, Pl. 3 ; Petrie, "History", II, P. 37.

(٢) راجع : A. S, XI, P. 176.

تمثلها، مع أنه لم يعثر لزوجها « أحس » على تمثال واحد حتى الآن . هذا وقد وجد لها تمثال ضاع رأسه في « معبد الكرنك^(١) » .

ومن المدهش أن هذه الملكة كانت تقدس أكثر من زوجها، وقد بقي تقديسها على مر السنين أكثر من أى ملك آخر، فقد وجدت آثار تدل على ذلك حتى عهد



(١٦) الملكة أحس نفرتارى

الأسرة الواحدة والعشرين . والواقع أنها كانت تعد في نظر المصريين إلهة مثل آلهة
طيبة العظام ، وكان لها طائفة خاصة من الكهنة تقوم على خدمتها كما كان لها محراب
مقدس يوضع على سفينة مقدسة يحمل على الأكتاف في الاحتفال بالأعياد العظيمة ،
وقد كان القوم يدعونها بصيغة القربان المعروفة^(١) ، وتلقب على الآثار بالإبنة الملكية ،
والأخت الملكية ، والزوجة الملكية العظيمة ، والأم الملكية ، والحاكمة العظيمة ،
وسيدة الأرضين ، فهي بذلك تضارع الملكة « امح حنب » أم « أمحس » الأول
في نفوذها إذ كانت وصية عليه أيام حادثته كما أسلفنا . والظاهر أنها عاشت
مدة طويلة بعد وفاة زوجها الذي مات في سن الأربعين ، وقبرها مجهول مكانه حتى
الآن ، ولكن وجد تابوتها في خبيثة الدير البحري ، وهو موجود الآن بالمتحف
المصرى ، ويبلغ طوله أكثر من عشرة أقدام ، وقد عمل الغطاء على هيئة صور
الملكة ، وتلبس التاج والريشتين الطويلتين ، المميزتين للليكة أو الالهة ، وذراعاها
مشتيتان ، وفي كل يد من يديها رمز الحياة ، وقد وجد في تابوتها موميئتان : إحداها
حقيقية في منظرها ، والثانية التي كانت موضوعة في تابوت ثان محفوظة حفظا جيدا
ومحنتة تحنيطا متقنا . والظاهر أن أصحاب الشأن في المتحف المصرى ، قد ظنوا
أن الجسم الذى كان في التابوت هو جسم « أمحس نفر تارى » ، وأن الجسم الثانى
كان دخيلا وضعه الكهنة عند ما كانوا ينقلون الجثث الملكية في مخدعهم الأخير ،
ولذلك حفظ في مكان خاص ، غير أنه تأثر في هذا المكان بالرطوبة ، فتصاعدت
منه رائحة كريهة ، فدفن في الحال في حديقة المتحف . ولكن أخذ الشك يخامر
« مسبرو » بعد في أن الجسم الذى دفن في الحديقة هو جسم الملكة « نفر تارى » ،
ولذلك أخذ الأثريون يندبون النهاية المحزنة التي لاقتها جثة الملكة « أمحس
نفر تارى » ، غير أن « مسبرو » على ما يظهر أكد لنا أن الجسم لم يفقد قط ، وأنه

(١) راجع : Petrie, "History", II, P. 37. ff.

(٢) راجع : Maspero, "Guide" No, 1173. bis

الآن في مكانه بالمتحف المصرى . ولكن الدكتور « إلبت سميت » عند ما أخذ يفحص الأجسام التى وجدت في خيثة الدير البحرى أكد بأن واحدا من الجسمين يحمل أنه جسم الملكة ، لأنه كان جسم امرأة قد حفظت على الطريقة التى كانت متبعة في عهد باكورة الأسرة الثامنة عشرة . وتدل نواجز فكها الأعلى البارزة التى كانت من مميزات الأسرة على أنها « نفر تارى » ، فإذا كان هذا هو الواقع ، فإن جسمها هو الذى يحمل رقم ٦١٠٥٥ في متحف القاهرة . ويمكن الإنسان أن يقول : إنها عند مماتها كانت امرأة طاعنة في السن هزيلة الجسم تكاد تكون صلعاء ، وقد غطت هذا الصلع بمجدائل من الشعر المستعار . ولا بد أن تلفت النظر هنا إلى أنها كانت أكبر من أخيها « أحس » بسنين عدة ، وقد لفظت النفس الأخير في عهد ابنها « أمنخوتب الأول » .

اللوحة التى أقامها في العرابة للملكة تنبئ شرى : ومن الآثار القليلة الهامة التى بقيت لنا من عهد هذا الفرعون لوحة عثر عليها في « العرابة المدفونة »^(٢) ولا بد أنها قشيت في أواخر حكمه ، وألفاظها تم على أنها ليست من الطراز التقليدى في عبارتها بل يمجّد الإنسان فيها التعبير عن الأحاسيس بالبر البنوى نحو الوالدة ، إذ الواقع أن « أحس الأول » وزوجه « نفر تارى » قد أظهرها في نقوش اللوحة فضل جديتهما عليهما ، وحبهما لإحياء ذكرياتها بتوسيع قبرها الرمزى المقام في « العرابة المدفونة » . وهاك النص :

والآن اتفق أن جلالة ملك الوجه القليل والوجه البحرى « سنبت بحتى رع » ابن الشمس « أحس » كان جالسا في قاعة الاستقبال (في القصر) في حين كانت الأميرة الوراثية ، صاحبة الخطوة العظيمة ، والرفة الفاخرة ، بنت الملك ، وأخت الملك ، والزوجة المقدسة ، والزوجة العظيمة « أحس نفر تارى » كانت مع جلالة ، وكان الأول يتكلم للآخرى باحثين عما فيه صلاح أولئك الذين هناك (الأموات) ويتكلمان عن تقديم القربان ، وتقريب الضحايا على المذبح : وترين اللوحة الجنائزية التى سيشرح في عملها

(١) راجع : Catalogue of Cairo Museum, No. 61. 55.

(٢) راجع : Ayrton, Currelly, Weigall, "Abydos", III, Pl. LII.

في عيد أول يوم من كل فصل ، وفي العيد الشهري لأول الشهر ، وفي عيد خروج الكاهن « سم » وعيد ليلة التضحية ، اليوم الخامس من الشهر ، وفي عيد اليوم السادس من الشهر ، وفي عيد « حكر » وفي عيد « واج » (عيد الخمر) ، وفي عيد الإله « تحوت » ، وفي عيد بداية كل فصل في السماء والأرض . وعندئذ قالت له أخته إجابة على ما قال لما ذكرت هذه الأشياء ؟ فقال لها الملك نفسه ؛ إني قد كنت أفكر في والده والدتي بنفسى (وهى التى كانت كذلك) والدة والدى ، الزوجة الملكية العظيمة ، والدة الملك الراحلة « تنى شرى » وعلى الرغم من أن قبرها وضريحها موجودان في هذا الوقت على أرض طيبة ، والعرابة على التوالي فإنى مع ذلك قلت لك ذلك لأن جلاتى يرغب في إقامة هرم لها ومحراب في جبانة « العرابة المدفونة » بمثابة أثر لها من جلاتى ، فبحيرته المقدسة ستكرى ، وتقرس الأشجار حولها ويؤسس قربانه ، ويمد بالرجال الذين تحبب عليهم الأراضى المجهزة بالماشية ، وسيكون له كهنة جناز يون ومرتلون كل واحد منهم يعرف واجبانه ، وعلى أثر نطق جلاته بهذه الكلمات أقيمت هذه المباني على وجه السرعة . وقد فعل ذلك جلاته لأنه كان يحبها أكثر من أى شئ . على أنه لم يفعل ملوك سبقوه مثل ذلك لأمهاتهم ، وعند ما تمت المباني جاء جلاته ومد ذراعه ، وحنى رأسه (إجلالا) ، ونطق لها بصيغة دعاء القربان الملكى ، وقدم قربانا للإله « جب » (إله الأرض) ولتاسوع الآلهة العظام ، ولتاسوع الآلهة الصغار ، وللإله « أنوبيس » في محرابه المقدس ، ومقدما آلافا من القربان من الخبز والجلعة والثيران ، والأوز والماشية إلى روحها ... » (بقية النقش قد فقد) .

الكشف عن الآثار التى ذكرت على هذه اللوحة : وقد كشف كل

ما تبقى من هذه المباني الأثرية « كارلى » (Abydos III.) في الصحراء على بعد بضعة أميال جنوبى « العرابة المدفونة » إذ بنى لها « أحمس » الهرم على مسافة قريبة من الحقول ، وعلى مسافة ميل في الصحراء أقام معبدا مدرجا على جانب التل ، وبين هاتين النقطتين أقام محرابا ، وعلى مسافة منه بنى الضريح الوهمى ، وكان المحراب يحتوى على سلسلة من الحجرات الصغيرة أقيمت أمامه اللوحة التى ترجمناها الآن . أما الضريح أو القبر فيشتمل على عدة حجرات وممرات محفورة في أصل الصخر الذى تحت رمال الصحراء ، وقد كان الوصول إليها من بحر صغير حقيق قطع في الصخر الذى تغطيه الرمال حتى أن كشفه كان يعد من المعجزات ، ومع ذلك فإن هذه الحجرات السفلية قد نهبت في الأزمان القديمة ، ولم يجد الحفارون

المحدثون إلا بعض قطع صغيرة من ورق الذهب مما يدل على أن حجرة الدفن كانت هناك أيضا، وقد كان رأى السائد أن القبر والمعبد اللذين في جانب التل هما للملك «أحمس» نفسه، ولكن من المحتمل جدا أن القبر والمحراب هما الضريح الأصلي للملكة «تيتي شري» المشار إليه في النقوش وأن الهرم والمعبد المندرج هما اللذان أشير إليهما في النقش بأن «أحمس» قد أقامهما لخدمته العظيمة .

ونجد لهذا الفرعون بعض الآثار تدل على أنه أقام بعض المباني في معبد «العراة» إذ عثر فعلا على نقش غائر يمثل رأس «أحمس» الأول^(١) .

أسرة أحمس الأول : وقد كانت أسرة الفرعون «أحمس» الأول كثيرة العدد ، ومما يسترعى النظر هنا أن زوجته وأولاده كثيرا ما كانوا يضعون أسماءهم في طغراء ملكية، وقد كان هذا الاستعمال شاذا في هذه الأسرة ، مما لم يوجد مثله في أى عهد آخر بهذه الصورة ، وأكبر مميز عرفنا به أفراد هذه الأسرة هو أنهم كانوا يعبدون بعد مماتهم ، وقد وجدت أسماءهم منقوشة في مقبرة . «أنخور خورى» (L. D. III. Pl. 2d.) وفي مقبرة «خع بنحت» ويشاهد كل منهما يتعبد إليهم (Ibid) .

ومعظم أولاد هذا الفرعون من زوجه «نفرتارى» ونخص بالذكر منهم «مریت آمون» وهى أكبر أولاد الملكة «نفرتارى» وقد توفيت صغيرة ، ثم الأميرة «سات آمون» وهى ثانی بناتها وتوفيت وهى طفلة ، والأمير «سابا إير» وهو أكبر أولادها الذكور وتوفى صغيرا، ثم «سا آمون» ومات كذلك صغيرا، والملكة «أصح حتب» وهى ثالثة بناتها ، ثم «أمعنحتب» وهو ثالث أولاد «نفرتارى» الذكور ، وقد أصبح فيما بعد ملكا . وأخيرا «سات كامس» وهى رابعة بناتها وتوفيت فى سن الثلاثين، وقد كانت تحمل الألقاب التالية «بنت الملك» ، وأخت

(١) راجع : Petrie. "Abydos", II, XXXII.

الملك، وزوج الملك، ولذلك يقول عنها «ويمحول» إنها كانت ابنة الملك «كأمس»^(١) وأنها تزوجت من «أحمس» الأول، وبذلك لا تكون ابنته كما ذكر «بترى»^(٢). وقد وجدت موميته مع الموميات الملكية الأخرى المحفوظة بالمتحف المصرى،^(٣) ويدل جسمها على أنها كانت قوية البنية تكاد تشبه الرجال فى تركيب جسمها، ويبلغ طولها ما بين خمس وست أقدام، وكانت ما بين الثلاثين والخامسة والثلاثين عند وفاتها لأن شعرها الأسود لم يعث به المشيب.

مربية الملكة نفرتارى : ومن مشهورات نساء هذا العهد مربية الملكة «نفرتارى» التى تدعى «رى» وقد حفظ جسمها بين الموميات الملكية (رقم ٦١٠٥٤)، ويدل على أنها كانت رشيقة القوام جميلة الطلعة ماتت وهى فى مقتبل العمر، وكانت ذات شعر غزير مصفوف فى صفائى عذبة، وكانت صغيرة القدمين واليدين جدا. ويدل بروز أسنان فكها الأعلى على أنها من الأسرة المالكة.

ومن بين زوجات «أحمس الأول» الثانويات «سنسنب» وهى التى وضعت لهذا الفرعون ولدا اسمه «تحتمس» وهو الذى أصبح فيما بعد «تحتمس الأول»، ولما كان من غير زوجته الأولى أصبح لا يستحق وراثة الملك، بل تولى العرش بعد وفاة «أحمس» ابنه «أمنحتب» الأول كما يقول «بترى» غير أن ذلك^(٤) غير محقق.

بعض آثار هذا الفرعون : ولا يفوتنا أن نذكر هنا أنه وجد لهذا الفرعون بعض آثار أخرى منها آنية من المرمر محفوظة بالمتحف المصرى، ومنقوش عليها اسمه^(٥)، وآنية للزينة على شكل صقر من الخلف الأزرق^(٦). وقد رسم

(١) راجع : Maspero, "Momies Royales", P. 541.

(٢) راجع : Petrie, "History", Vol. II. P. 43.

(٣) راجع : Cat. Cairo Mus No. 61063.

(٤) راجع : Petrie, "History", II, P. 43.

(٥) راجع : Mariette, "Catalogue de Boulaq", 6^{me}. Ed. 536.

(٦) راجع : Mariette, "Monuments", P. 52.

على أحد جوانب قاعدته صورة ثلاثة أسرى ، سودانى ، ومورى ، ولوبى ، على أن ما يلفت النظر فى هذا النقش هو وجود لوبى بين أولئك الأسرى مما يدل على أن هذا الفرعون قد حارب اللوبيين ، اللهم إلا إذا كان هذا الرسم تقليديا وحسب فإنه لا يدل على قيام أية حرب بينه وبين اللوبيين .

ووجد « شفرييه » حديثا قطعة من الحجر يستدل منها على أنها جزء من جدار معبد له وجدها فى حشو (البوابة) الثالثة فى أثناء العمل فى معبد « الكرنك » .

ووجد له كذلك عدة جمارين محفوظة الآن فى كثير من متاحف أوروبا وبخاصة المتحف البريطانى « ومتحف اللوفر » ومتحف « ليدن » ومتحف « تورين »^(٢) . وله كذلك تمانل مجاوب فى المتحف البريطانى من الجرانيت المحبب ، وتمثال صغير من الحجر الجيري الأبيض فى متحف « تورين »^(٤) .

مومية أحسن الأول : وتدل مومية هذا الفرعون الذى تدين له مصر بتحريرها النهائى من ربق عبودية المكسوس ، وبتأسيس أسرة تعد من أشهر أسر العالم إن لم تكن أعظمها ، مما جعله من أعظم ملوك التاريخ المصرى ؛ على أنه مات فى ربيع العمر بين الأربعين والخمسين ، وكذلك نستنبط من موميته التى وجدت بين الموميات التى عثر عليها فى خيثة الدير البحرى ، أنها لرجل قوى الجسم عظيم المنكين عريضهما ، طوله نحو خمسة أقدام ، وست بوصات ، أسود الشعر مجمده ، له شايأ بارزة بعض الشيء ، وتلك من مميزات الأسرة ، وقد طوق جيده إكليل من الأزهار .

(١) راجع : A. S. Vol. XXXVI. (1936) P. 137.

(٢) راجع : Gauthier, L. R. Vol. II. P. 179 - 80.

(٣) راجع : Budge, "History" Vol. III. P. 185.

(٤) راجع : Orgurti, "Catalogo Illustrato dei Monumenti Egizii del R. Museo di Torino". II. P. 72. & No. 39et. Regio museo de Turino I. P. 412. No. 3032.



(١٧) مومية أحسن الأول

الأميرة أحمس حنت تمحو والدته حتشبسوت : وبالإضافة إلى زوجته الأولى تزوج من نساء عدة ، نذكر منهن غير ما ذكرناه آفا الأميرة « أنحابي » التي وضعت له ابنة أطلق عليها الأميرة « أحمس حنت تمحو » وهي التي يقال إنها أنجبت له من « تحتمس » الأول حتشبسوت الذائعة الصيت ، ومن ثم نرى أن « أحمس الأول » لم يكن مؤسس الأسرة الثامنة عشرة فقط ، بل كان له نصيب وافر في أنه أنجب لهذه الأسرة بعض أفرادها المشهورين .

عبادة أحمس الأول : والظاهر أن عبادة « أحمس الأول » كانت منتشرة في البلاد ، وبخاصة في العرابة المدفونة حيث أقيم له ضريح وهمى وشعائر دينية وقد ظلت عبادته حتى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، وبخاصة لأن تماثله كان يقوم بالفصل في المخاصمات التي كانت تقوم بين أفراد الشعب ، ولا أدل على ذلك مما جاء على اللوحة التي عثر عليها في « العرابة المدفونة » وهي محفوظة الآن بالمتحف المصرى (راجع A. S. XVI. P. 161.) .

وهذه اللوحة أقامها كاهن مطهر للإله « أوزير » ويدعى « موسى » ويشاهد في أعلاها صورة السفينة المقدسة يحملها ثمانية من الكهنة وفي وسطها محراب للإله « أحمس الأول » وأمامه صورة الملكة « نفرتيتي » تلوح بكتفا يديها صاجتين ، ويرى أمام السفينة الكاهن « موسى » يتضرع للإله « أحمس » ليحكم في صالح ابنه « باسر » .

ويتلخص ماجاء من النقوش على هذه اللوحة فيما يأتى :

كان « باسر » بن « موسى » يملك حقلا ادعى بعض الأهالى ملكيته (على ما يظهر) وقد كان يظن أن « باسر » لابد أن يرفع للإله أوزير وكهنته ظلامته ، إذ أنه هو الإله الأعظم في تلك المنطقة ، غير أنه رفعها إلى الملك « أحمس الأول » الذى كان على ما يظهر على جانب عظيم من القداسة بوصفه مؤسس الأسرة الثامنة عشرة ، والظاهر أن الحكم في هذه القضية قد صدر بحركة قام بها حامل المركب

المقدسة التي كانت تحتوى محراب تمثال الإله . وهذه الحركة كانت إما بلفته نحو صاحب الحق وإما بإشارة من التمثال نفسه ، وفى كلتا الحالتين كان هذا من عمل الكهنة أنفسهم . وهذا هو نفس ما نشاهده اليوم عندما يحمل جثمان أحد المشايخ فإننا نشاهد الحملة يحدثون مثل هذه الحركات المصطنعة فيقفون طويلا أو يلتفتون نحو مكان خاص ويفسرون ذلك بأنه كان مُرئاد الشيخ ومن الأماكن المحببة إليه . وأظن أن مثل هذه الحركات تأتي من إيماء نفسى يصوره الخيال والشعور بالرهبة والخوف فيتمثل حقيقة فى أذهان الحملة . وقد يكون ذلك كله محض تمويه واختلاق يدفع إليه الرشوة أو المحاباة .

رجال الدولة والحياة الاجتماعية فى عهد احمس الأول

مقدمة : عندما يفحص المؤرخ تاريخ مصر فى أى عصر من عصورها القديمة ، تعترضه صعوبة لا يمكن التغلب عليها إلا بعد بحوث طويلة قد لا تجدى فى النهاية ؛ وبخاصة عندما يريد إبراز شخصية فرعون من آثاره التى تركها لنا . حقا يمكننا أن نعرف طراز الفرعون الخاص ، أما إبراز شخصيته وبيان الناحية التى ظهر فيها فذا ممتازا فذلك لا يتسنى لنا إلا فى حالات قليلة جدا ، لأننا نرى كل فرعون يحدثنا فى آثاره عن فتوحه فى الخارج وما قام به من مباهات وأعمال ضخمة فى داخل مملكته ، فى حمل وعبارات ومناظر تقليدية ثابتة تناقلتها الملوك منذ فجر ظهور الوثائق المدونة مثل منظر ضرب الفرعون المظفر أعداءه بصو بلحانه ، وقد وجدناه للمرة الأولى على لوحة «نعرمر» ، وقدبقى هذا المنظر ينتحله كل ملك بعده حتى العهد الرومانى ، وهذه التقاليد ثابتة فى المناظر الملكية . هذا ونجد مثل ذلك فى النقوش التى من هذا الصنف ، فكانت متبعة عن قصد ، لأن كل فرعون يرغب فى أن يظهر أمام العالم بأنه هو الملك المؤله التقليدى ، وكان لذلك تأثيره السيئ على فهمنا تاريخ أولئك الملوك . ولما كانت العادات تحتم أن يوصف الفرعون أو يمثل وهو يقوم بعمل خاص فإن كل فرعون كان يرغب فى اتباع هذا التقليد دون مراعاة

للصدق في القول أو العمل ؛ ففي عهد الأسرة الثامنة عشرة مثلا كان من مفانر الملوك أن يسيروا على رأس جيوشهم ويقهروا بلاد آسيا ويعودوا منها بالفنائم . وقد ذكر لنا « أمنحتب الثالث » وكذلك « توت عنخ آمون » أنهما ذهبا إلى بلاد آسيا وقهرا الأعداء . والواقع أنهما لم يذهبا قط إلى هذه الجهات للغزو والفتح كما تخمّلتا الآثار صراحة عن ذلك كما سيأتى بعد . وكذلك نعلم أن « تحتمس الرابع » قد سار على رأس جيشه وهزم السوريين وخلد انتصاراته برسم إحدى المواقع على ظهر عربته التي عثر عليهما في قبره . وقد أراد « توت عنخ آمون » أن يظهر هو من ناحيته بدور الفاتح فترك لنا رسم موقعة حربية على جدران أحد الصناديق التي وجدت في قبره ، وهو كما نعلم لم يذهب قط إلى ساحة القتال . كل ذلك يحطنا نشك كثيرا في القيمة التاريخية للمناظر التي تركها لنا أولئك الملوك . حقا في استطاعتنا أن نستخلص بعض حقائق تاريخية من النقوش الملكية في كثير من الأحوال على الرغم مما فيها من مبالغات ، ولكن إذا أردنا أن نعلم شيئا عن الحالات الاجتماعية المعاصرة لكل فرعون أو نختلس بعض نظرات سائحة عن شخصيات أولئك الفرعنة

وشعوبهم . فعلينا أن نوجه عنايتنا وكل اهتمامنا إلى النقوش التي تركها لنا كبار رجال الدولة الذين كانوا يقومون بالأعمال الحكومية في عهد كل ملك ويتعاملون مع أفراد الشعب من كل الطبقات . فالواقع أن الموظف المصري منذ عهد الدولة القديمة كان شخصا مغرما بالتحدث عن نفسه ، إذ كان دائما حريصا على أن يذكر خلفه كل ما قام به من أعمال جليلة وما ناله من شرف وفخار على يد سيده الفرعون مدة خدمته له ؛ ولا شك في أننا مدينون لمثل أولئك الأفراد وما دونوه على جدران مقابرهم بجزء كبير من تاريخ البلاد الحقيقي أى تاريخ البلاد الاجتماعى . فإن الموظف عندما كان يعتد لنا ما ناله من منحه وشرف على يد مليكه يذكر لنا لمحات هامة عن أعمال سيده وعلاقته بشعبه ، بل أحيانا تسعدنا المقادير فنجد بعض المناظر في قبور عليه القوم يظهر فيها الفرعون وأفراد أسرته . فمثلا يدين التاريخ لما دون على مقابر

رجال عهد « اخناتون » في معرفة عصر الانقلاب الديني الذي قام في عهده . وأكثر من ذلك النقوش التي تركها لنا كل من « أحسن بن أبانا » و « أحسن بنخبت » اللذين عاصرا أوائل ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، فهي تعدّ حتى الآن مصدرنا الوحيد عن الحروب التي شنها « أحسن الأول » ومن بعده « أمنحتب الأول » و « تحتمس الأول » لطرد الهكسوس من مصر . هذا فضلا عن أن المقابر التي بقيت محفوظة بعض الشيء من عهد الأسرة الثامنة عشرة قد وجد على جدرانها مناظر عدّة تكشف لنا الغطاء عن حياة القوم الاجتماعية والدينية والسياسية معا

ومما يؤسف له جدّ الأسف أن عهد باكورة الأسرة الثامنة عشرة كان فقيرا في المقابر الشعبية المؤرخة التي تحتوى على مناظر ونقوش مما نحتاج إليه في كشف النقاب عن أحوال البلاد الداخلية وأحوال معيشة أهلها وعاداتهم وبخاصة أخلاقهم .

على أننا مع ذلك عند ما نفحص تاريخ موظفي هذا العصر وألقابهم الرسمية نرى بعض الضوء على كثير من النقط الغامضة في تاريخ البلاد وبخاصة من الوجهة الإدارية والدينية .

فمنذ عهد « أحسن الأول » نجد أن الألقاب الدينية المحضة قد أخذت تفسح الطريق لغيرها من الألقاب الحربية والإدارية الجديدة . على أننا نجد مع ذلك أن الفرد الواحد كان يشغل عدّة وظائف في آن واحد . ولا بدّ من أن نشير هنا الى أن الأفراد الذين كانوا يحملون هذه الألقاب معظمهم من عامة الشعب الذين كوّنوا أنفسهم بأنفسهم في تلك الفترة التي اختفى فيها كل الأمراء الوارثيين الذين قد قضى عليهم منذ نهاية الأسرة الثامنة عشرة .

وقد كان من أوّل نتائج توسيع رقعة البلاد ومدّ حدودها في الجنوب أن عين الفرعون نائباً له في السودان كما فصلنا القول في ذلك ، وكذلك كان من جراء ظهور

« طيبة » واتخاذها عاصمة للكل بوصفها مقر الإله « آمون » أن عين لها حاكم خاص أطلق عليه لقب « عمدة المدينة الجنوبية ». كما أصبح للإله « آمون » أملاك خاصة وموظفون مختصون بإدارة شئون أملاكه التي كانت وقفا عليه في آسيا وبلاد النوبة . وقد أصبح اسمه يقرن بهذه الوظائف مثل « مدير مخازن غلال الإله آمون » كما كان يقرن اسم الفرعون باسم كل إدارة من إدارات مملكته .

ولا شك في أن ذلك يدلنا على كيفية زيادة ثروة الإله « آمون » بما كان يقدمه له الفرعون من أموال وأملاك حتى انتهى الأمر إلى أن أصبحت أملاكه ورجال إدارته يمثلون حكومة في قلب حكومة الدولة ؛ هذا فضلا عن عظم سلطانه الديني في البلاد ، فنجد مثلا أن نائب بلاد « كوش » المسمى « سني » الذي بدأ حياته الحكومية في عهد « أحسن الأول » وبقى في خدمة الحكومة حتى عهد « تحتمس الثاني » قد بدأ يصعد إلى قمة المجد بوظيفة « مدير مخازن غلال الإله آمون » و « مدير الأعمال في الكرنك » (راجع Urk, IV. P. 40) وعلى الرغم من أن هذه الألقاب كانت موجودة في وظائف الدولة منذ عهد الدولة القديمة إلا أنها بدأت تأخذ معاني جديدة وسلطانا أعظم في عهد الدولة الحديثة . فمثلا وظيفة « مدير أعمال الفرعون في الكرنك » كانت تدل على بداية قيام مبان ضخمة جدا في هذه البقعة مما جعل « طيبة » إحدى عجائب العالم ، وأعطى حامل اللقب مكانا عليا لم يكن يحلم بمثله نده في عهد الدولة القديمة أو الدولة الوسطى ، ومن التجديدات الهامة التي تسرعى الأنظار في الدولة الحديثة الوظائف والألقاب التي اكتسبتها المرأة في هذه الفترة . والواقع أن المرأة المصرية لم تكن محبوبة عن الأنظار كما هي العادة في التقاليد الشرقية ؛ بل كانت الملكة والفلاحة على السواء تظهر كلتاهما في المجتمع منذ الدولة القديمة ، ولكن ظهور المرأة في المجتمع الراقى قد ازداد زيادة محسنة في عهد الدولة الحديثة ، وبخاصة تمسك القوم بتقاليد وراثة الملك ، وما كان للمرأة من نصيب في حكم البلاد ، فكان للكمة حاشيتها الخاصة

وأملأ كلها وموظفوها، وقد عظم سلطان الملكات حتى كُنَّ يمين أصحاب الخطوة عندهنَّ في أعلى مناصب الدولة، وكذلك أخذ الفراغة يتخذون لأنفسهم وصيقات وخليلات ومربيات ومرضعات لأولادهنَّ . وقد نتج عن ذلك أن كل من اتصل بأولئك النسوة عن طريق النسب أو المصاهرة يمنح أعظم الوظائف في الدولة كما سنشرح ذلك في حينه .

ولما جلبت الخيل إلى مصر في تلك الفترة وأنشئ أسطول بحرى للبلاد خلقت وظائف جديدة لم تكن معروفة من قبل بطبيعة الحال ، هذا فضلا عن أن علاقات مصر بما جاورها من البلاد قد أوجد في البلاط الفرعونى جقواً جديداً وحياة جديدة دعت الى إنشاء وظائف عدّة لم يسمع بمثلا في عهد الدولة المصرية السابقة . والآن سنحاول هنا فحص ألقاب أهم الموظفين في عهد الأسرة الثامنة عشرة وما تركه كل منهم من آثار هامة يمكن أن تكشف لنا عن بعض نواحي حياة القوم في خلال هذه الأسرة . وستناول فحص آثار كل موظف وتاريخ حياته الحكومية في عهد الملك أو الملوك الذين عاصروهم وبخاصة من الناحية الاجتماعية بقدر ما تسمح به الأحوال .

أحمس بن أبانا : كان « أحمس بن أبانا » في نظر المؤرخين المحدثين أهم شخصية بين موظفى عهد « أحمس الأول » ، وقد كان يحمل الألقاب التالية : (١) رئيس بحارة الفرعون . (٢) ورئيس بحارة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى الملك « زسركارع » (أمنحوتب الأول) ، (٣) وحاجب الملك . على أن ألقابه لا يمكن أن نستخلص منها كثيراً عن حياته ولكنه ترك لنا على جدران قبره في « الكاب » ترجمة حياته التى يتحدثنا فيها عن شجاعته وما ناله من نخار وترف ، ولحسن الحظ قد قص علينا فيها تاريخ الحروب التى شنها الفرعون « أحمس » على المكسوس وكانت نتيجة طردهم من البلاد ، وهذه الوثيقة تعدّ مصدرنا الهام عن حرب الخلاص كما سبق شرحه . والمناظر التى تركها لنا على جدران قبره قليلة

فقد حطم معظمها، وما بقى منها يقدم لنا معلومات ضئيلة عن أسرته ، فرى من بينهم أحد أحفاده المسمى « جرارى » الذى كان يحمل لقب « رسام آمون » وقد مثل واقفا أمام والده، كما نشاهد حفيدا آخر يدعى « باحرى » ويشغل وظيفة « رسام آمون » ، وقد نقش منظره واقفا أمام جدّه « أحمس بن أبانا » وزوجه يرتل صيغة قربان .

وقد مثل « أحمس بن أبانا » وزوجه جالسين معا وتحت كرسيهما فرد أليف يأكل من سلة فاكهة ، وقد كان يقلد فى ذلك « أحمس » الذى كان يمدّ يده لياخذ بعض الطعام من مائدة قربان أمامه . غير أن هذه المائدة لم تصوّر على الجدار ولكن النقوش تدل على وجودها، وهذا يعنى أن المفتن لم يتم رسم المنظر .

أحمس بننخبت : وكذلك ظهر فى بلدة « الكاب » جندى آخر فى هذه الآونة يسمى « أحمس بننخبت » وكان يحمل لقب « محارب الفرعون » ولقب « حامل الخاتم » و « حامل خاتم الوجه البحرى » ، وهذا اللقب الأخير يرجع تاريخ استعماله إلى الدولة القديمة . هذا إلى أنه كان يحمل ألقاب الشرف القديمة الآتية :

« الأمير الورائى والحاكم والسمير الوحيد » . وقد كانت فى الأزمان القديمة ألقابا تحمل معناها الحقيقى، غير أنها أصبحت فى ذلك العهد تمنح مثل ألقاب الشرف والأوسمة الحالية . وقد لعب « أحمس بننخبت » مثل « أحمس بن أبانا » دورا هاما فى حروب الهكسوس ، وقد ترك لنا تاريخ حياته على جدران قبره فى « الكاب » وقد بلغ من العمر أزدله إذ امتدّ به الأجل حتى عهد « تحتمس الثالث » والمملكة « حتشبوت » ، وقد كانت آخر وظيفة شغلها هى (مربى الأميرة « نفروع » ابنة « حتشبوت ») كما ذكرنا ذلك .

« سنى » : أما « سنى » الذى تحتلنا عنه فيما سبق فقد بدأ حياته فى عهد « أحمس الأول » حتى عهد « تحتمس الثانى » ، وقد كانت دائرة عمله فى الأصل بلدة « طيبة » حيث كان يشغل وظيفة « أمير » أو « عمدة المدينة الجنوبية »

و « المشرف على مخازن غلال آمون » و « مدير أعمال معبد الكرنك » ، وقد عين فيما بعد « نائب الملك صاحب كوش » ولقب بـ « ابن الملك » و « المشرف على الأراضى الجنوبية » (راجع Urk. IV. P. 40, 142.) .

نقربرت : ومن رجال هذا العصر « نقربرت » الذى كان يلقب « مدير الخزانة الخ » كما أسلفنا .

عاباو : وكان من أهم الأسلاب التى يستولى عليها الفرعون من البلاد الأجنبية الماشية ، ولذلك كان المشرف على ماشية الفرعون يعد من الموظفين الذين لهم أهمية . ومن بين هؤلاء « عاباو » الذى كان يلقب (بالمشرف على ثيران الفرعون « أحمس الأول » ، وقد عثر له على لوحة فى حفرة شجرة من التى غرست فى معبد « سبتى الأول » فى العرابة (راجع فى J. E. A. Vol. XIX & XXII, 2.) .

باكا : وتدل النقوش على وجود مشرف آخر على الماشية فى عصر هذا الفرعون أيضا ويدعى « باكا » ، وقبره فى « طيبة » الغربية بذراع أبو النجا . (Gauthier, "Dra Abu'l'Naga", P.49.)

إيوفف : ذكرنا فيما سلف أن الملكات العظيمات اللاتى عشن فى باكورة الأسرة الثامنة عشرة كن يحتفظن بموظفين يقومون على خدمتهن الخاصة ، ومن بين هؤلاء الموظفين الذين تركوا لنا شيئا عن أعمالهم « إيوفف » الذى يقض علينا خبر المنح التى نالها من اثنتين من هؤلاء الملكات على لوحة عثر عليها فى « إدفو » فيقول لنا : « إنه بدأ خدمته فى عهد الملكة « اعح حنب » والدة « أحمس الأول » وظل فى الخدمة حتى عهد الملكة « أحمس » زوج « تحتمس الأول » ووالدة الملكة « حتشپسوت » والمتن الذى على هذه اللوحة هو :

قربان يقدمه الفرعون « لحورإدفو » و « أوزير » و « أوزير » ليقدموا خبزا وجة وثيرانا وإوزا وكل شئ . طريف وطاهر روح الزوجة الملكية العظيمة وأم الفرعون « اعح حنب » المتصرة ولابنها « أحمس الأول » المتصر . ولقد نصبنى كاهنا ثانيا للقيام على أوقاف مائدة القربان وحارسا لباب المعبد

وكاها مطهرا . « أيوف بن أريت ست » يقول : « لقد أصلحت قبر بنت الملكة «سبك أم ساف» بعد أن وجدته آيلا للخراب » ثم يقول هذا الكاهن « أتم يامن تمرن بهذه اللوحة سأخبركم وسأجعلكم تسمعون عن حظوقي لدى الزوجة الملكية العظيمة « اعح حنب » . لقد نصبتى لأقدم لها القربان وكذلك وكلت إلى أمر تمثال جلالتها ومنحتى مائة رغيف « ست » عشرة رغفان « برسن » وقدحين من البجة وقطعة لحم من كل نور، وكذلك أعطيت أرضا عالية وأرضا منخفضة (للزرع) وكذلك وهبتى كرة أخرى مسحة ، فقد أعطيتى كل مناعها في إدفو لأديره بجلالتها . وكذلك أعقدت على الزوجة الملكية العظيمة «أحمس» التى يمزها «تخمس الأول المتصر فضلا آخر، فقد نصبتى كاتباً لحامل الخاتم الإلهى ، وقد وكلت إلى رعاية تمثال جلالتها وأعطيتى مائة رغيف وإناوين من البجة وقطعة لحم من كل نور وكذلك منحت أرضا عالية وأرضا منخفضة . (راجع : Breasted, A. R. Vol. II. Par. III. ff.)

حرى : وفى جبانة «ذراع أبو النجا» فى « طيبة الغربية » يوجد قبر موظف يدعى «حرى» كان يحمل لقب « المشرف على مخازن غلال زوج الملك وأم الملك « أعح حنب » (راجع : Gardiner and Weigall, "Catalogue", No. 12.)

غير أننا لا نعرف عن هذا الموظف غير لقبه هذا ، ولم يبق لنا من رسوم قبره إلا منظر وليمة . وقد بقي يشغل وظيفته هذه حتى عهد « أمنحوتب الأول » .

تتى كى : ومن كبار الموظفين فى عهد «أحمس الأول» عمدة المدينة الجنوبية «طيبة» المسمى «تتى كى» وكان يلقب كذلك «ابن الملك» غير أن هذا اللقب هنا لا يعنى أنه كان نائب الفرعون فى بلاد كوش كما لا يعنى أنه هو ابن الفرعون نسا لأن والده كان مجرد موظف يلقب « بالمشرف على منته الفرعون » . وكانت أمه تدعى «ربة البيت» وهو لقب يطلق على كل زوجة عادية . وعلى ذلك فهذا اللقب كان مجرد لقب فخرى أعطيه « تتى كى » وحسب .

أهمية مناظر قبر تتى كى : وتشمل مقبرة « تتى كى » هذا سلسلة مناظر قيمة على الرغم مما أصابها من تكسير ومحو ، والواقع أنها تعد مثالا من أمثلة الآثار القليلة التى عثر عليها فى هذا العهد فى « طيبة » وغيرها فبوساطتها أمكننا أن نأخذ فكرة عامة عن الحياة الاجتماعية فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة . فهذه المناظر

بفض الطرف عن أنها تعد مثالا عن عهد الانتقال بين الدولة الوسطى والدولة الحديثة تمدنا ببعض نقط هامة ورسوم جديدة كما نجد فيها المناظر القديمة التي يرجع عهدها الى عهد الدولة القديمة (راجع J. E. A. Vol. XI. P. 10. ff; Pl. II.) .
فنجد على الجزء العلوى من الجدار الشرقى من المزار منظرا مزدوجا مثل فيه عبادة البقرة المقدسة « حتحور » العزيزة سيدة « دندرة » . وهنا نشاهد الملكة « أمحس نفرتارى » تحرق البخور وتصب الماء على قربان محروق وضع أمام البقرة المقدسة التي يشبه لون جلدها لون البقرة التي على توابيت ملكات الفرعون « متوختب » (راجع ج ٣) . والظاهر أن هذا أول منظر من هذا النوع نشاهده فى مقبرة خاصة على أن طراز الرسم هنا يذكرنا بطراز الدولة الوسطى .

منظر الوليمة : أما الجزء الأعلى من الجدار الغربى فنشاهد فيه « تتى كى » يقدم قربانا ويحرق بخورا للإله « أوزير » وخلفه شخص يدعى « سورس » يلقب بالمحارب يضحي بغزالة . وفى أسفل يشاهد والدا « تتى كى » وهو يقدم لها قربانا (Ibid, Pl. III.) . وعلى الجدار الشمالى نرى منظر وليمة ، وقد جلس فيها « تتى كى » وزوجه « سنب » فى مقصورة ترتكز على عمد على هيئة سيقان البشنين وتحت مقعدهما جلس كلبهما المسمى « عزا » وأمامهما الضيفان نساء وعذارى . ويلاحظ أن أحد الضيفان قد غالى فى التمتع بالوليمة أكثر مما يجب وأفرط فى معاقرة الشراب حتى غلب عليه القيء ، فنراه فى هذه الحالة وإحدى السيدات تقدم له بشفقة إناء يفرغ فيه ما زاد على جوفه (Ibid. Pl. IV.) ، على أن منظر القيء الذى كان يحدث لأولئك الذين يفرطون فى المأكول والمشرب فى الولايم يرى هنا للمرة الأولى فى عهد الدولة الحديثة على ما يظن ، ولم يكن هذا يقتصر على الرجال بل تعداهم الى السيدات ، فنراهن وقد أخذت منهن الخمر المصرية اللذيذة كل ماخذ يقئن من شدة الإفراط .

الإشراف على الحصاد : ومن المناظر الطريفة التي أخذت تظهر منذ هذا العهد المنظر الذى مثل فيه « تتى كى » وزوجه وهما جالسان تحت شجرة يشرفان على آخر مرحلة للحصاد فى حقلهما ، فترى أمام « تتى كى » رجالا وبنات يذرون الحبوب التي كانت توضع بعد ذلك فى حقائب وتحمل على ظهور الحمير وقد خارت قوى حمار ناء بحمله . وبعد ذلك تجمع الحبوب حتى تصير كومة كبيرة حيث تكال ويدقن مقدارها كاتب جلس فوق كومة القمح . وهذه المناظر كانت مستعملة فى الرسوم بطبيعة الحال منذ الدولة القديمة ، ولا تزال تشاهد حتى الآن فى ريف مصر وصعيدها .

الاحتفال بالجنائزة : أما الجدار الجنوبي فقد خصص لمناظر الاحتفالات الجنائزية ، وقد كان معظمها يستعمل منذ عهد الدولة الوسطى ، وكذلك فى عهد الدولة القديمة (Ibid. Pl. V.) ، ففى الجزء الأعلى نشاهد تابوت المتوفى تحت عرش ، وقد وضع على زحافة يميزها ثوران وثلاثة رجال . ونشاهد مثل هذا المنظر فى مقبرة « نب كاوحر » التي كشفنا عنها فى سقارة (A. S. Vol. XXXVIII. Pl. XCVII.) ، وكذلك نشاهده فى مقبرة « مستفرو آنى مرتف » فى دهشور (De Morgan, "Fouilles à Dahchour", Pl. XXII.) ؛ غير أنه فى كل من هذين المثالين يرى أن التابوت قد وضع على قارب صغير بدلا من الزحافة ، وأنه كان يحرر برجال فقط . وقد ظهرت الثيران والزحافات فى عهد الدولة الوسطى فى مقبرة « انتف اقر » (Davies and Gardiner, "The Tomb of Antefoker", Pl. XIX, XXI.) ونلاحظ فى هذا المنظر أنه يتقدم نحو الجنائزة راقصون يسمون « موو » يرقصون رقصة جنائزية خاصة ، ويرجع تاريخ هذه الرقصة وممثلها إلى عهد الدولة القديمة ، وقد عثر عليها أول مرة فى مقبرة « نب كاوحر » فى سقارة .

ومن المناظر الهامة كذلك هنا المنظر الذى نشاهد فيه مومية المتوفى موضوعة فى محراب على تل من الرمال وأمامها كاهن يحرق البخور . وهذا المنظر جزء من

الاحتفال يفتح الفم الذى نقرأ عنه فى متون الأهرام ونشاهده كذلك فى مقابر الدولة القديمة . وستكلم عنه فى ترجمة الوزير « رخ مى رع » .

شعيرة تكنو : وفى مناظر مقبرة « تتى كى » نشاهد كذلك منظر إقامة الشعيرة الغامضة المسماة إحضار « تكنو » ، فيشاهد رجل ملفوف فى عباءة إلا رأسه على أن صفة هذه الشعيرة الحقيقية غير معروفة ، والظاهر أنها تمثل تضحية إنسان ، ويحتمل أنها تمثل شعيرة قديمة تنحصر فى ذبح خدم ليكونوا مع سيدهم فى عالم الآخرة (راجع : Gardiner, "The Tomb of Amenemhet", P. 51. & 52.)

مركز المرضعة الملكية : وفى المنظر الذى مثلت فيه « أحمس نفرتارى » تتعبد للبقرة « حنحور » صورة امرأة واقفة خلف الملكة مباشرة ، وقد كتب عليها مرضعتها « تتى حمت » والظاهر أن هذه المرأة هى إحدى أقارب صاحب المقبرة « تتى كى » ، ولا غرابة فى أن نرى رسمها هنا لأن مركز المرضعة الملكية على وجه عام كان له أهمية كبرى وتأثير عظيم كما سنرى بعد ؛ فقد كان زوج المرضعة الملكية وأولادها يشغلون فى كثير من الأحوال مناصب عظيمة فى الدولة .

رعى : وقد حفظت لنا الآثار اسم مرضعة أو مربية أخرى للملكة « أحمس نفرتارى » وتلقب : مرضعة زوج الإله « أحمس نفرتارى » المرحومة ، وهى السيدة « رعى » وموميتهما من أحسن الموميات التى بقيت سليمة بين موميات خيطة الدير البحرى (Elliot Smith, "The Royal Mummies", Pls. VI.)

تحوتى : ومن الموظفين الذين عاصروا « أحمس الأول » الكاهن الأكبر للإله « آمون رع » المسمى « تحوتى » وكان يحمل كذلك لقب المشرف على حاملى الأختام .

ومن المدهش أنه لم يعثر له للآن على آثار غير مخروط واحد فى جبانة شيخ عبد القرنة (راجع : Legrain, "Repertoire", P. 9. No. 14.) مع عظم مكانته بين موظفى الدولة .

امنتخب الأول



١٥٥٧ - ١٥٣٥ ق م

ذكرنا فيما سبق أن « أحس » الأول كان له أولاد كثيرون من زوجاته
الكثيرات، وقد كانت أكثرهن خصبا على ما نعلم زوجه الأولى وأخته، « نفر تاري »
إذ وضعت له ستة أطفال على أقل تقدير، وكانوا الأولاد الشرعيين الذين ينتخب



(١٨) . امنتخب الأول في صورة الإله « أوزير »

من بينهم الوارث للعرش . وأكبر أولاد « أحس » هو على ما يظهر ، الأمير « ساپا ايرى » ، وقد كان يحمل كل الألقاب التى تؤهله لولاية العرش ، غير أن المنية عاجلته وهو فى صباه فأصبح الوارث بعده للعرش أخوه « امنحبت » .

ولما لاقى « أحس » الأول حنقه كان ابنه « امنحبت » الأول ، لا يزال حدث السنّ لم يبلغ مبلغ الرجال ليتولى العرش بنفسه ، فأخذت « نفر تارى » زمام الحكم فى يدها ، وأصبحت الوصية على العرش ، كما فعلت والدتها « اعح حتب » مع « أحس » الأول كما سبق ذكره . ولا غرابة فى أن نجد هذا النشاط من جانب « نفر تارى » إذ قد عرفنا أنها كانت صاحبة نشاط عظيم فى عهد زوجها « أحس » الأول . وهى بلا شك تعدّ ثمانية الملكات اللائى — بما لهن من حق مقدس شرعى — لم يجلسن فى عقر دارهنّ خاملات ، بل أخذن على عاتقهنّ أعباء الملك ومهامه ، مدعيات لأنفسهنّ المساواة بل التفوق — بما يحملن من ألقاب — على أزواجهنّ وأولادهنّ فى حكم البلاد . ولا نعجب إذا رأينا الملكة « اعح حتب » التى كانت قد بلغت من الكبر عتيا الآن تلعب دورها من وراء الستار فى إغراء « نفر تارى » فى أخذ مقاليد الأمور فى يدها لتكون هى الوصية على عرش ابنها الصغير كما فعلت هى من قبلها مع « أحس » الأول . وقد عاشت « اعح حتب » حتى السنة العاشرة من حكم « امنحبت » الأول . غير أنها قد أجمعت عن التدخل فى مهام الحكم إلى أن وافاها المنون ، وقد عثر على تابوتها كما سبق الكلام عن ذلك .

حروب أمنحبت الأول : والظاهر أن أول حملة قام بها « امنحبت » الأول كانت على بلاد « كوش » كما سبق القول عن ذلك عند الكلام على ترجمة « أحس » بن « أبانا » ، فقد صعد الفرعون فى النيل فى سفينة « أحس » بن « أبانا » حيث يقول هذا الضابط البحرى : إنه هزم العدو وعاد إلى مصر مظفرا . أما فى آسيا فلا نمرف أنه قام بحروب فيها ، ومع ذلك فإنه يحتمل أن هذا الفرعون قد حاول طوال مدة حكمه أن يسير على متابعة سياسة

والده الاستعمارية ؛ والواقع أننا نجد في نقش مؤرخ بالسنة الثانية من حكم « تحتمس » الأول ، أن دولته كانت تمتد من « تمبوس » (في النوبة العليا) حتى « نهر الفرات » ، وليس لدينا ما يحملنا على الشك في هذا التصريح ، كما أنه ليس من المعقول أن يكون المصريون قد أوغلوا كل هذه المسافة في السنة الأولى من حكم « تحتمس » الأول ، بل يجب أن يعزى ذلك التقدم إلى عهد « أمنحتب » الأول . ولما كانت الوثائق تعوزنا تماما لمعرفة مصدر هذا التقدم في الفتح المصرية في عهد كل من هذين الملكين ، فإنه من المحتمل جدا أن تأسس الامبراطورية يعزى إلى حكم « أمنحتب » الأول الذي كان حكمه طويلا نسبيا .

أما عن الحملة التي يقال إن الفرعون قام بها على اللوبيين (؟) فقد جاء ذكرها في ترجمة حياة « أحمس بنخبت » (Urk. IV. P. 36) حيث يقول : وقد رافقت ثانية ملك الوجه القبلى والبحرى « زسر كارع » (أمنحتب الأول) المرحوم ، وقد أحضرت له من شمالى « يامو » التابعة لحقول « كهك » ثلاث أيد ، وقد قال الأستاذ « زيته » إن حقول « كهك » هذه مكان غير معروف ، يحتمل أنه في الشمال الغربى من مصر . كما يقول : إن « حقول يامو » يحتمل أن تكون إحدى الواحات الواقعة في الصحراء اللوبية^(١) . أما « مسبرو » فيقول : « إن الفرعون قام بحملة إلى « لوبيا » بعد حملته على « أثيوبيا » . وتسكن قبيلة « كهكا » بين بحيرة « مريوط » و « واحة آمون » ، ولا بد أنها قد هاجمت بجمرة المقاطعات الغربية من الدلتا . وقد نظم الفرعون حملة عليهم مخلدا ذكرى انتصاره بصنع لوحة صغيرة من الخشب ، نجد ممثلا عليها الملك المظفر ملوحا بسيف في يده على العدو الذى كان طريقا على الأرض عند قدميه^(٢) .

(١) راجع : Sethe, Urkunden IV. Bearbeitet & Übersetzt P. 19.

(٢) راجع : Rosellini, "Monumenti Storici", Vol. III, 1. Pl. 108.

& Pl. 11b.

والظاهر أن أعمال « أمنحتب » الأولى الحربية قد وقفت عند هذا الحد ، إذ ليس لدينا من الآثار ما يشير إلى أى انتصارات أخرى قد أحرزها في مدة حكمه الطويل . غير أن هذا لم يمنع معاصريه من الاحتفال به بوصفه فرعوناً فاتحاً مظفراً ، إذ نشأه مصوراً على لوحة صغيرة من الخشب محفوظة بمتحف « اللوفر » وهو يضرب بسرور أمراء البلاد الأجنبية^(١) ، كما نراه في مشهد آخر واقفاً في عربته على أهبة مطاردة عدوين أو الحمل عليهما ، وقد أمسك بهما وهما في حالة إغماء^(٢) . أما في الصيد والقنص فتدل المناظر التي وصلتنا من عصره على أنه كان صياداً ماهراً ، إذ نجده مثلاً وهو يقبض على أسد من ذيله ، وقد رفعه في ملح البصر في الفضاء قبل أن يقضى عليه^(٣) ، والواقع أن هذه المناظر كانت من الأمور التقليدية عند المصريين في حروبهم وصيدهم ، غير أنها أحياناً كانت تركز على حقائق تاريخية هامة .

ولامراء في أن البلاد المصرية كانت في حاجة إلى فترة من الراحة ، والتزوع عن متابعة الحروب ابتغاء أن تشفى من الجروح التي أصابها مدة الحروب الطويلة التي عانتها البلاد في عهد والده وسلفه مع الهكسوس . وسواء أَرغب « أمنحتب » عن الحروب لعدم ميله إليها ، أو لأسباب سياسية ، فإن الجيل الذي عاش فيه قد استفاد من كراهيته للحروب ، كما استفاد الجيل السابق من حب والده « آمحس » لشن الغارة على العدو وقهره . ولا غرابة إذا في أن نرى المدن في عهد « أمنحتب » قد استعادت حياتها العادية ، ونمت فيها الزراعة ، وازدهرت التجارة مما زاد في ثروة مصر وجعلها على استعداد تام للقيام بفتوحها المقبلة على يد فراعنتها الشجعان .

(١) راجع : Ibid. PP. 108-110 & Pl. 11, A. D.

(٢) راجع : Maspero, "The Struggle of the Nations", P. 101.

(٣) راجع : Rosellini, "Monumenti Storici", Vol. III, P. 110 &

المباني في عهده : لم يكن حب المباني الضخمة قد شاع في عهد هذا الفرعون لدرجة تستنفد مالية الدولة ، وذلك لأن الحالة الاقتصادية لم تكن قد بلغت شأوا بعيد من الرخاء ، ومع ذلك نجد لهذا الفرعون آثارا عدة في أنحاء البلاد . ففى « أبريم » نجد وثيقة تدل على أنه قد نحت كهفا في جبال « أبريم » ببلاد النوبة ، وأهداه للآلهة « سات » إحدى آلهة الشلال^(١) .

وفى « الكرنك » وجد له « بوابة » في الجانب الجنوبي من المعبد (A. S. IV. P. 15) ونقش عليها ما يأتى :- « لقد أقام الملك « أمنحتب » تذكارا لوالده « آمون » رب « طيبة » بوابة عظيمة ، ذرعا اثنا وعشرون ذراعا . عند واجهة المعبد المزبوجة ، وقد صنعها من حجر « عيان » (أى من الحجر الجيري الأبيض المستخرج من محاجر « طره ») ، وكذلك يشير النقش إلى بناء بيته (آمون) وتأسيس معبده ، وإقامة (بوابته) الجنوبية التى يبلغ ارتفاعها عشرين ذراعا من الحجر الأبيض الجميل^(٢) .

وقد جاء فى نقش مهشم فى مقبرة شريف يسمى « لئى » (وتقع مقبرته فى « شيخ عبد القرنة » فى الجهة الغربية من طيبة) وكان مدير الأعمال فى « الكرنك » ، ما يشير إلى بعض مبان ربما كانت « بالكرنك » نفسه ، أقامها هذا الفرعون ، وأحضر إليها المرمر من محاجر « حتنوب » الواقعة بالقرب من « أسيوط » فيقول النقش :

وكانت أبوابها مشاة بخماس عمل من قطعة واحدة ، وبعضها كان من « السام » (خليط من الذهب والفضة) . وقد خُصت كل ما عمله جلالة من الجشت والنحاس الأسوى ، من عقود وأوان وقلائد (لتتال الإله) ، وكنت المشرف على كل أعماله ، وكان كل الموظفين تحت إدارتي^(٣) .

(١) راجع : Ibid. Vol. III, 1, PP. 73-79. & Pl. XXVIII, 1

(٢) راجع : Sethe, Urkunden IV. PP. 42-43.

(٣) راجع : Sethe, Urkunden IV. P. 53-54.

إقامة معبد بالدير البحرى : وقد أقام هذا الفرعون معبدا صغيرا فى مكان معبد « الدير البحرى » ، ولكن « سموت » مهندس الملكة « حتشبسوت » أزاله من مكانه لإقامة معبد الملكة وقد عثر هناك على لبنات باسم هذا الفرعون ، ووالدته « أحمس نفرتارى »^(١) .

وقد استعمل بناء معبد « حتشبسوت » لبناته فى بناء منحدرات لرفع الأحجار الضخمة ، وهذا الكشف له أهميته إذ يدل على أن هذا المكان كان موقعا مختارا لإقامة المعابد ، وكذلك يدل على أن ملوك هذه الأسرة كانوا لا يعيشون بمعابد أجدادهم حتى ولو كانوا من أسرهم .

وقد أقام « أمنحتب » كذلك بمناسبة الاحتفال بعيد « سد » (العيد الثلاثينى) معبدا صغيرا فى النهاية الشمالية من جبانة « طيبة الغربية »^(٢) . ونجد هنا كلا من الإله « حور » (الصقر) والإله « ست »^(٣) النوبى يقدم له رمز أبدية السنين .

المعبد الجنائزى : وكذلك بنى لنفسه معبدا جنازيا لخدمة روحه (كا) فى الصحراء فى نهاية الجزء الجنوبى من جبانة طيبة الغربية ، وهذا المعبد يؤلف الآن جزءا من الخرائب المعروفة بمعبد مدينة هابو ، ولكنه عند بنائه كان قائما بمفرده ، والظاهر أنه كان يجوار هذا المعبد حديقة تحيط ببحيرة صناعية لا تزال بقاياها موجودة ، وقد عثر على تمثال جميل لهذا الفرعون فى هذا المعبد وهو الآن بالمتحف المصرى ، وقد رسمت على قاعدته صورة والدة الفرعون الملكة « أحمس نفرتارى » .

(١) راجع : Winlock. "Excavations at Dier el Bahri", P. 113 & 208.

(٢) راجع : J. E. A. Vol. III, 147,

(٣) راجع : J. E. A. Vol. IV. P. II. Pl. IV.

(٤) راجع : Weigall, "Guide", P. 243.

وفى « العربية المدفونة » أقام هذا الملك معبدا تكريما لوالده « أحمس » الأول . وكذلك أقام بعض المباني فى « الكاب »^(١) ، وفى « معبد كوم امبو » أقام محرابا من الحجر الأبيض المستخرج من « طرة »^(٢) . وفى « شط الرجال » وهو واد صحراوى بالقرب من جبل « سلسلة » بين الأقصر وأسوان ، نشاهد على الصخور نقشا لمهندس بناء يدعى « بنيتى » يدل على أنه كان يعمل فى عهد هذا الفرعون ، والفراعة الثلاثة الذين خلفوه لقطع الأحجار^(٣) ، وفى « سلسلة » نفسها نشاهد لوحة محفورة فى الصخر عليها صورة هذا الفرعون ، مهداة من موظف يدعى « بينامون » (Peynamon) ، وهذا النشاط فى تلك المحاجر التى يستخرج منها الحجر الرمل يدل على استعماله فى عهد الأسرة الثامنة عشرة لأول مرة فى بناء المعابد التى كان يستعمل فى إقامتها الحجر الجيرى المجلوب من « طرة »^(٤) . فيما مضى .

ويوجد لهذا الفرعون آثار عدة « فى متحف القاهرة » وفى مختلف متاحف أوروبا ، غير أنه كالمعتاد لا يعرف مصدرها ، لأنها وصلت إلى تلك المتاحف عن طريق تجار الآثار أو خلسة وأهمها ما يأتى : (١) رأس جميل وطفراء ، وهما جزء من لوحة لفرد يدعى « بافون آمون » (Pafunamon) كان محفوظا بمتحف الجيزة^(٥) . (٢) جزء من « محراب »^(٦) . (٣) مائدة قربان من الجرانيت الأسود بمتحف برلين (No. 2292) . (٤) إناءان وجدنا بمتحف « برلين » معلم على أحدهما حجمه وهو أحد عشر « هنا » أى ٣١٧ بوصة مكعبة أو ٢٨,٨ بوصة مكعبة لكل

(١) راجع : Ibid. P. 311.

(٢) راجع : A. Z. XXI. P. 78.

(٣) راجع : Petrie, "Season", P. 476.

(٤) راجع : L. D. III, Pl. 200.

(٥) راجع : Virey, Catalogue Giza P. 693.

(٦) راجع : Wiedemann, "Geschichte", P. 321.

« هن » ، والإيناء الثانى فى متحف « اللوفر » ، أما الجمارين فكثيرة جدا فى عهد « أمنحتب الأول » منها عدد عظيم ذو طابع خاص خشن الصنع ، وكذلك توجد بعض لويحات مربعة الشكل ، واسطوانتان . واحدة منها عليها صورة الملك واقفاً ، وفى متحف « اللوفر » جعران يشاهد عليه الملك يضرب عدواً بحربة ، ويتبعه ^(٤) فهد صيد .

لوحة كارس : هذا عن آثار الملك نفسه ، وما قام به من أعمال ، أما عن جدته « أعح حتب » التى بقيت على قيد الحياة مدة طويلة فى أيام حكمه ، فلدينا لوحة تذكارية لمدير أملاك هذه الملكة العظيمة ، الذى يدعى « كارس » واللوحة مؤرخة بالسنة العاشرة من حكم « أمنحتب » الأول حفيدها ، وقد عثر عليها فى جبانة « ذراع أبو النجا » وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى . ولما كانت هذه اللوحة تظهر لنا ما كانت عليه هذه الجدة المسنة من العظمة ، والاعتراف بالجميل للموظف المخلص ، وما كان يجب عليه بدوره أن يتصف به من جميل السجايا أوردناها بنصها ^(٥) . وهالك الترجمة :

السنة العاشرة الشهر الأول من فصل الصيف ، اليوم الأول من حكم جلالة ملك الوجه القبلى ، والوجه البحرى « زسر كارع » ابن الشمس من جسده « أمنحتب الأول » محبوب « أوزير » معطى الحياة ، مرسوم صادر من أم الملك بتأسيس مقبرة وشعائر جنازية لمدير الأملاك « كارس » أمر الأم الملكية للأمر الورائى حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسفير الوحيد ، ومدير بيتى الذهب ، ومدير بيتى الفضة ، والمدير العظيم لأملاك الأم الملكية « أعح حتب » ، والحاجب المسمى « كارس » ، لقد أمرت الأم الملكية أن يقام ضريح لك فى « العربة المدفونة » وأن يدون عليه كل

(١) راجع : Wiedemann, "Geschichte", P. 32,

(٢) راجع : Birch, "A History of Ancient Pottery, Egyptian, Assyrian, Greek, Etruscan and Roman", 12.

(٣) راجع : (Flinders Petrie Collection)

(٤) راجع : Petrie, "History", II. P. 51,

(٥) راجع : Urkunden IV, P. 45-49.

الوظائف ، وكل الإنعمات التى تلقاها ، وأن يبقى تماثلك فى المعبود ضمن أتباع الإله العظيم (أى لأجل أن يشترك فى أعباد الإله) وأن يوقف لها (أى التماثل) قربان من اللحم ، وتظم وتثبت قربانها كتابة : وتقدم لك قربان ملكية كما تحب الزوجة الملكية أن يقدم للأمر الوراثى حامل خاتم الوجه البحرى والحاجب « كارس » .

مدبح كارس : المحبوب الوحيد ، الذى يسكن فى جسم « سحنت » (الملكة) ومن يقتضى خطوات أميرته ، ولذلك فإنه حل فى قلبها قبل الناس ، وهو واحد يسكن فى قلب سيده حقيقة ، وهو الذى يفضى إليه بالأسرار ، والذى يقف على مشاريع سيده ؛ ومن يتجاوز حديثه ما فى داخل القصر ، ومن يجد الكلام (أى يجد حلا للكلام) ، ومن يجمل الصعب سهلا ، ومن تعتمد سيرته على كلامه ، ومن قرب به إليها حقيقة ، ومن يعرف سوانح القلب ، السعيد المنطق فى حضرة سيده ، والمهاب كثيرا فى بيت الأم الملكية ، الرزين فى الملمات الممتاز القول ، ومن يخفى فى نفسه أحوال القصر ، ومن فه تخوم على ما يسمعه ، الأمير الذى يحل المضلات ، مدير البيت العظيم « كارس » المرشد اليقظ لأعمال الأم الملكية ، ومن لا يفضل الليل على النهار الحاجب « كارس » .

نداء لقارئى النقش : يقول : يا أيها الأمراء والكهنة ، والمرطون والتابعون ، ورجال الجيش ، إن ألتكم المحبة ستمد حكم وستحيكم ، وإن وظائفكم سترثها أولادكم بعد عمر طويل ، إذا قلم قربانا يقدمه الفرعون « لآسون » ذى الرشتين الرفيعتين رب الحياة ، واهب الحب ، ورب الدفن ، ومن يمنح الدفن بعد الشيخوخة ، لأجل أن يعطى قربانا من خبز وبقرواوز ، وكل شئ جميل طاهر مما يقدم على مائدة رب الكل ، لمدير الخزنة الملكية ، ومدير البيت العظيم للأم الملكية ، « كارس » لأنه وجل صدق أمام الأرضين ، ومستقيم حقا ، برى من المين ، وعميد العدالة ، وحامى الباقى ، ومنجى من لا خلاص له ، وجاعل المتخاصمين يخرجان من عنده منشرحين بما يخرج من فم ، يزن بالقسطاس المستقيم ، والثانى الذى يحبه (الملك) بالاسم ، ومن يخفى مثل الإله فى ساعته (أى ساعته خدمته) ليستمع إلى الحديث ، وإنه فى قلب سيده حقيقة ، ومن رفعت منزله أميرة الأراضين ، مدير ماله ثدى ، وماله قرن وحافر ، (كتابة من الحيوان بأنواعه) مدير البيت العظيم « كارس » ابن « عقا » والذى وضعت ربة البيت « قشام » .

مغزى هذا النقش : ومما جاء على هذه اللوحة نفهم أن الملكة المسنة لا بد كانت مغرمة بمدير قصرها ، وإن شئت فقل مدير خاصتها ، كما يعبر عن ذلك الآن ، وإنها بأمرها إقامة قبر له فى « جبانة أوزير » المقدسة الواقعة فى البلد المقدس

(العرابة) قدّمت له هدية ثمينة كان بطمح إلى مثلها كل مصرى يريد أن يكون له ضريح نغم بجوار إله الموتى العظيم الذى يسكن فى ذلك البلد المقدس .

والواقع أنه إذا كان « كارس » هذا صادقا فى نصف ما قصه علينا فإنه كان حقيقة جديراً بحسن قبر يمكن للملكة المسنة سيده أن ترفع بنيانه فى العرابة ، فأى عاهل من عواهل عصرنا لا يقدر على طيب خاطر ونفس مطمئنة ما يكافئ به خدمات رجل يحل المضلات ويجعل الصعب سهلاً ، ويضاف إلى ذلك أنه فضلاً عن حل المضلات يجمع إلى نفسه تلك الصفة التى لا يقدر على إحرارها إلا القليل من الناس ، وهى قدرته على أن يطبع على لسانه ، ويختم عليه مما يصل إلى مسامعه ؟ ولكن من الجائز أن أمثال أولئك الموظفين الذين تخرج فى مدرستهم « كارس » كانوا وفقاً على مصر منذ ثلاثة آلاف وأربعمائة سنة مضت ، وأنهم أصبحوا لا يتخرجون فى تلك المدرسة بعد .

ولقد ضربت الملكة « أعح حتب » المثل فى معاملة خدامها المخلصين ، وهى بذلك تقدم المثل الأعلى لعالمنا الحديد قبل مماتها بقليل ، فى حياة حفيدها .

وفاة أمنحتب الأول : وقد توفى « أمنحتب » الأول بعد أن حكم البلاد ما يربى على عشرين عاماً ، وقد خلف لنا « إبنى » مهندس فن العمارة حاد موهبة فى الكلمات التالية فى نقوشه التى تركها لنا عن حكم هذا الفرعون إذ يقول : "ولما أمضى جلالاته حياته فى سعادة وسنين سلام رفع إلى السماء ، وانضم إلى إله الشمس وذهب معه " .

ابتكاره فى الدفن : وقد كشف عن معبد الجنائزى عام ١٨٩٦ بعد الميلاد عند حافة الصحراء الغربية فى « جبانة ذراع أبو النجا ، غير أنه لم يحقق حتى الآن مكان قبره ، رغم ما قدمه المستر « كارتر » من البراهن القوية^(١) ، على أنه هو القبر الذى

كشفه اللورد « كارزفون » عام ١٩١٤ ميلادية على مسافة ٨٠٠ متر من المعبد الجنائزى الذى أقامه هذا الملك ، إذ يعتقد المستر « ويجل » أن قبره هو القبر الذى يحمل رقم ٣٩ فى النهاية الجنوبية من وادى الملوك ، ولذلك فإن حقيقة مكان دفنه لاتزال غامضة للآن ، وعلى أية حال فإنه على الرغم من الزعم القائل بأن خلفه « تحتمس » الأول ، هو الذى يعتبر أول من أنشأ عادات الدفن فى « وادى الملوك » ، فلا بد من الإذعان بأن « أمنحنب الأول » كان أول من وضع تصميم فكرة فصل المعبد الجنائزى عن القبر ، وبذلك كان فى إمكانه أن يحصل على سرية القبر لبعده من الخطر الذى كانت تهدد به القبور ، وقد زار قبر « أمنحنب الأول » لجنة الفحص التى شكلت فى عهد « رمسيس التاسع » لفحص مقابر الملوك فى الجهة الغربية من « طيبة » كما جاء فى ورقة « أبوت » وهاك ما جاء فيها :

” إن الألف الأبدى لك « زسركارع بن شمس » « أمنحنب » وهو الذى يبلغ عمقه مائة وعشرين ذراعا فى قاعه الطويلة ، وكذلك فى مسره الطويل ، وهو الذى يقع فى شمال معبد « أمنحنب صاحب الحديقة » ، وقد وضع عمدة البلد « بيزر » تقريره عنه لك « نخ أم واس » (رمسيس التاسع) لضابط الملكى « نسو آمون » ، ولكتاب الفرعون ، ولدير بيت المتبعة المقدسة للإله « آمون رع » ملك الآلهة (أى الملكة) ، والضابط الملكى « رع نسر كإم با أسن » ، ولحاجب الملك ، ولحكام النظام قايلا (فى هذا التقرير) « إن العصور قد سرفوه » - قد فحص اليوم ، ووجد البناون سلبا “ .

وأول ما تجدر ملاحظته هنا أن هذا القبر كان غربيا فى شكله بالنسبة للمقابر الأخرى التى فحصت ، وبخاصة عمقه الذى كان يبلغ مائة وعشرين ذراعا ، إذ لم توجد مقبرة أخرى حفرت فى واجهة هذه الصخور تحرب من هذا العمق ، وذلك لأن المقابر العميقة كلها قد حفرت فى الواجهة الأخرى من الصخرة فى وادى الملوك . والواقع أن مقبرة هذا الفرعون تعد الأولى بين طائفة المقابر الطويلة العمق التى انتشر نموذجها فى عهد الأسرات من الثامنة عشرة إلى الأسرة العشرين .

عبادة أمنحنب الأول والملكة نفر تارى : ولا غرابة فى أن يكون قبره عظيما بهذا الوصف ، فإنه كان يعد لها يقده المصريين ، ولما كانت أمه

« نفر تارى » قد أصبحت فى نظر الشعب تمثل « إزيس » فإنه كان بدوره يمثل « أوزير » حامى الجبابة ، وقد مثل على غرارهِ فى اتخاذ ألوان الآلهة الجنائزية ، فنجده مثلاً ممثلاً باللون الأسود يتبعه ابنه « سابا إيرى »^(١) ، وفضلاً عن ذلك كانت شكله يحسّر مع الآلهة الأخرى لترتين داخل التوابيت ولحماية موميائِ عباده^(٢) . ولهذا الفرعون تمثال فى « متحف تورين » يمثلهُ جالساً على عرشه فى جلسة ملك يتحدث إلى رعيته أو فى هيئة إله يتقبل خضوع عباده^(٣) ، ورسم التمثال تقرأ فيه مرونة يد النحات فى إبداع تصويره بدرجة مذهشة فى عصر مثل هذا ، فالرأس أعجوبة فى اللطف والرشاقة الطبيعية . والواقع أن الإنسان يشعر بأن النحات كان يحس لذة وسروراً فى نحت تقاسيم هذا الفرعون ، وفى إخراج هذا الحما الذى ارتسمت عليه السماحة وهدوء الحالم فى نومهِ ، والواقع أن عبادة هذا الملك قد بقيت أكثر من سبعة قرون إلى أن نقل تابوته ، ووضع مع توابيت أعضاء أسرته الآخرين فى المكان الذى بقوا فيه مختبئين حتى كشف عنهم اللصوص فى عصرنا هذا . على أن جسمه كان قد تفل قبل ذلك مرات عدة بعد أن سرق قبره طبعاً . فنعلم أن موميته قد دفنت ثانية فى عهد الملك « باسبخانو » الأول ، بعد مضي نحو خمس وستين سنة على ذلك ونقل ثانية فى حكم الملك « بترم » الأول ، أى بعد ثلاثين سنة من دفنته الثانية ، وبعد ذلك بنحو قرن نجد تابوت الملك مودعاً فى القبر الملكة « انحابى » وذلك فى عهد الملك « سى أمون » ، ولكن بعد ذلك لا نعرض إلى أى تاريخ بقى فى هذا المخدع الأخير ، وعلى أية حال فإنه كان لا بد من نقله مرة أخرى كما ذكرنا حيث وجد أخيراً فى الدير البحرى ، ومن ثم إلى

(١) راجع : Rosellini, "Storici", Vol. III. 1, PP. 98 - 106.

(٢) راجع : Pl. XXIX,

(٣) راجع : Wiedemann, "Geschichte", P. 319.

(٤) راجع : Champollion, "Lettres à M. le Duc de Blacas d'Aulps

Relatifs au Musee Royal de Turin" Vol. I, PP. 20, 21

« متحف القاهرة » ثم من هنا إلى ضريح سعد ، ثم إلى بيت مدير مصلحة الآثار في الدور السفلى ، ثم نقل إلى الدور العلوى ، ثم نقل إلى المتحف أخيرا .

وصف تابوته وموميته : وقد صنع تابوته على صورة جسم آدمى وطفى باللون الأبيض ، ووجهه يشبه وجه تمثاله ، وقد رصعت عيناه ، وخطت بالكمال مما أصبح على كل الجسم حيوية مدهشة . وقد لف الجسم بنسيج من الكتان يرتقى اللون ، وقد ثبت في مكانه بشرائط سمراء اللون تقريبا ، ثم غطى بغطاء وجهه من الخشب والنسيج المقوى ، وقد طلى باللون الذى طلى به خارج التابوت ، وكانت المومية ، مزينة بأكاليل زهر من الرأس إلى القدم غير أنها قد ذبلت الآن . وعلى هذه الأكاليل وجد زنبور لابد أنه قد اجتذبه رائحة الأكاليل العطرية في وقت الدفن ، وبقي سجيناً بوضع الغطاء على التابوت وقد استمر الزنبور محفوظاً لم يصبه أى عطب بمواد المخطط ، وقد حفظ جناحاه الشفيفان دون أن يصيبهما أى تعفن مدة هذه القرون الطويلة^(١) .

ولا تزال مومية هذا الفرعون ملفوفة في كفنها لم تفحص بعد كأن قوته الإلهية في الأزمان القديمة قد بقي سرها حتى الآن لحافظت على جسمه فلم ينله أى ضرر ، على الرغم من التقلبات التى مرت عليه طوال هذه القرون ، وكذلك بقي اسمه في الشعب المصرى يتردد على شفاههم حتى يومنا هذا دون أن يفطن إليه أحد اللهم إلا علماء الآثار ، إذ ظل اسمه باقياً في الشهر القبطى برموده (Phamenoth) ومعناه عيد^(١) « أمنحتب » .

والظاهر أن زوجه « اعح حتب » الثانية لم تلعب دوراً هاماً في تاريخ حياته ، لأن أمه « أحسن نفر تارى » قد غطت عليها . حقا إننا نجد اسمها مذكوراً على عدة آثار ، كما نجد لها ممثلة على الآثار عدة مرات مع زوجها « أمنحتب الأول » ولا بد

أنها أخت الملك من أبيه وأمه ، إذ كانت تحمل اللقب « الأميرة الوراثة » الذي أعطيته ابنتها « أحس » ، وإلا لما فضلت على أخيها وزوجها « تحتس » الثاني الذي كان من أم من عامة الشعب ، كما سنرى بعد . وقد عثر على تابوتها في خيئة الدير البحري ، وهو الآن في المتحف المصري . أما الجثة فلم يعثر عليها (Gauthier L. R. Vol. II. P. 208.) وقد توفى « أمنحتب الأول » ولم يعقب منها ذكرا ، مما عقد أمر وراثة العرش بعض الشيء كما سنرى .

عبادة أمنحتب الأول في جبانة دير المدينة : (راجع B. I. F. A. O. Tome. 27 P. 159. ff.) .

كانت عبادة الفرعون أمنحتب الأول تعد أهم عبادة وأطولها مدة بين الفراعنة الذين قدسهم الشعب المصري بعد مماتهم . وليس بعجيب أن الجزء الأعظم من الآثار الخاصة بعبادته مصدرها طيبة . لأن كلا من معبده وقبره قد أقيم في هذه الجهة ، غير أن الأهم من ذلك هو أنه إذا فحصنا هذه الآثار نفسها بالتفصيل نجد أنها كلها تنسب إلى جبانة « دير المدينة » التي كانت تسمى قديما جبانة خدام مأوى الصدق . وقد دلت البحوث الحديثة على أن هذا الاسم يدل على عمال الجبانة الملكية . ومن ذلك نعلم أن خدام « مكان الصدق » هم العمال الذين كانوا يقومون بنحت مقابر الفراعنة في هذه البقعة وهي المعروفة الآن « بأبواب الملوك » . وهؤلاء العمال كانوا بطبيعة الحال من طبقة فقيرة من أهل البلاد ، ولم يكن من المحتمل أنهم هم الذين يقومون بالشعائر الجنائزية لهؤلاء الملوك ، بل كانت في أيدي كهنة المعابد الجنائزية الخاصين بذلك . غير أن العمال كانوا بدورهم موظفين ملكيين ، فليس من المدهش إذن أن يقوموا بعبادة الملوك رؤسائهم بعد موتهم . وقد كانت عبادة أمنحتب الأول على وجه خاص شائعة عندهم ولذلك أصبح هذا الفرعون الوحي الذي يفصل بينهم في خصوصياتهم الصغيرة (راجع J. E. A. Vol. III. P. 176.) .

العمال وأمنحبت الأول : والواقع أن أمنحبت الأول كان أول من نحت قبره في محفور تل طيبة ، فكان أول من أحسن للعمال وأوجد لهم عملا في الجبانة الملكية وهم الذين أطلق عليهم هنّام « مكان الصدق » . ولا يبعد أن يكون هو المؤسس الأول لطائفة العمال الذين كانوا يقومون بنحت المقابر الملكية ، ولا غرابة في ذلك فكل ما لدينا من وثائق عن هذا الموضوع يرجع تاريخه إلى بداية الأسرة الثامنة عشرة . (راجع B. I. F. A. O., P. 161.) ، وقد قام بخصص هذا الموضوع الأستاذ « ثرنى » في مقال رائع (راجع ibid) ويتلخص فيما يلي :

(١) كانت عبادة الملك « أمنحبت الأول » منتشرة عند العمال في جبانة طيبة الملكية ، كما يدل على ذلك آثارهم الجنائزية والمدنية . والسبب في ذلك هو العلاقة الوثيقة التي توجد بين جماعتهم وأمنحبت الأول الذي أسس طائفتهم .

(٢) كان يوجد في « طيبة » القرية أشكال عدة لعبادة « أمنحبت الأول » مقابلة للتماثيل الخاصة به في محاريب مختلفة . وقد عرفت منها اثنين على وجه خاص من آثار عمال الجبانة وهما أمنحبت سيد المدينة (أى مدينة العمال) وأمنحبت محبوب آمون ، ويمكن تمييزها بالساج الذي كان يلبسه كل من صورة الفرعون في هاتين الحالتين .

(٣) كان أحد محاريب الفرعون في قرية العمال . وكان تمثال الفرعون في الأعياد المختلفة يحمل في حفل جبانة « دير المدينة » ، وأحيانا كان يحمل حتى « وادى الملوك » .

(٤) كان تمثال « أمنحبت الأول » يفصل في المحاصمات بين العمال بوساطة الوحي الذي كان ينطق به التمثال في المحراب أو في خلال المواكب .

(٥) كان العمال أنفسهم يقومون بعمل الكهنة لعبادة هذا الفرعون . وقد كان العمال على وجه خاص هم الذين يقومون بحمل تمثال الفرعون في المواكب .

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد « امنحتب الأول »

كارس : من أهم النقوش التى تحدثنا عنها فى حكم هذا الفرعون نقوش لوحة الموظف « كارس » ويرجع تاريخها إلى السنة العاشرة من حكم « امنحتب الأول » وقد تكلمنا عنها فيما سبق .

وكان يحمل الألقاب التالية : - الأمير الوراثى ، والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسмир الوحيد ، والمشرف على بيتى الذهب ، والمشرف على بيتى الفضة ، ومدير البيت ، وحاجب الفرعون ، ومدير البيت العظيم للآم الملكية ، والمدير العظيم لبيت الأم الملكية « اعح حتب » (Urk. IV. PP. 44 - 49)

حورمنى : فى متحف « فلورنس » لوحة لموظف كبير ، يدعى « حورمنى » لم يعثر على قبره بعد وكان يحمل الألقاب التالية : الكاتب وحاكم نخن . وتدل نقوش اللوحة على أنه كان من الأفراد أصحاب المكانة إذ يقول : لقد أمضيت سنين عدة عمدة لبلدة « نخن » وقد جمعت خراجها لرب الأرضين . ولقد مُدحت ولم توجد فرصة قط للموى ، ولقد بلغت الشيخوخة فى « واوات » وأنا محبوب سيدى ، وذهبت نحو الشمال بالجزية للملك كل عام ، وقد خرجت من عنده وأنا برىء ، ولم يوجد عندى زيادة (راجع . Urk. IV. P. 76 - 77) ومن ذلك نعلم أن عمدة « نخن » التى كانت تعدّ الحدّ الفاصل بين مصر وبلاد النوبة ، كان مسئولاً عن جميع خراج البلاد الجنوبية وعن حسن سير الأحوال فيها أمام الفرعون . ولسنا نعلم إذا كان هذا الموظف قد رقى إلى مرتبة حاكم إقليم « واوات » فى بلاد النوبة السفلية أو أن بلاد « واوات » كانت تحت إدارة بلدة « نخن » ، إذ نعرف فيما بعد خلال الأسرة الثامنة عشرة أن إدارة نائب الفرعون فى بلاد النوبة كانت تمتد من نخن حتى كراى (راجع ص) .

رنى بن سبك نخت : وفى متحف تورين تمثال لموظف يدعى « رنى » (راجع Urk IV, P. 74) يحمل الألقاب التالية : - الأمير الوراثى ، والمشرف

على كهنة نخب . وقد دُون على التمثال النقش التالى : قربان يقدمه الملك لنخبت
البيضاء صاحبة « نخب » (الكوم الأحمر) لتمطى كل شئ جميل وطاهر مما
يوضع على مائدتها فى كل عيد للماء للامير والكاتب الماهر عند الإله الطيب ،
الحازم فى كل الأشياء الصغيرة المرحوم « رنى » يقول : « لقد خدمت ملك زمانى وقد
عرفت طفلا ورجلا ، وذكرائى موجودة فى القصر ، وعرفت « حور » (أى الملك) ، وقد بلغت من
العمر أرفه فى مدينتى ، وقد قادنى قلبى لخدمة الملك ولم أكن خسيسا فى فؤاد (الفرعون) ولا مثيل لى واسمى
طيب فى كل البلاد الأمير الورائى ، واشرف على كهنة نخب « رنى » الأمير الذى أنجبه الأمير الورائى
« سبك نخت » المرحوم .

ومن النقش نعرف الاتصال الوثيق الذى كان بين هذا الأمير وبين الفرعون
والظاهر أنه كان فى خدمة والده من قبل لأنه يقول إنه عرف الفرعون طفلا
ورجلا .

رنى بن سبك حناب : وقد أنجبت مدينة الكاب موظفا آخر فى عهد هذا
الفرعون يدعى « رنى » يحمل الألقاب التالية : الأمير الورائى والحاكم والمشرف
على الكهنة والكاتب ، ووالده يدعى : الأمير الورائى « سبك حناب » ، وعلى الرغم
من أن ألقاب هذا الموظف ليس فيها ما يسترعى النظر إلا أن قبره الذى عثر عليه
فى « الكاب » قد زين بمناظر تكشف لنا القناع عن بعض نواحي الحياة الاجتماعية
اليومية فى هذا العصر ، وتشمل مناظر زراعية نجد فيها تجديدا لم يلحظ من قبل ،
فنشاهد عربية بجعلها تنظر « رنى » يركبها . وذلك خلافا لما نشاهد فى مناظر الدولة
القدمة إذ كان صاحب الضيعة يركب فى محفته التى كانت تحمل على أكتاف خدمه
عند ما يريد الإشراف على مزارعه (راجع ، "Excavations at Giza", Vol. V,
Fig. 123) أو كان يركب فى هودج يحمله جمار (راجع ، Wrkh w. w, Ibid. P. 246)
ولكننا نشاهد الآن العربة التى تجرها الجياد تحت تصرف صاحب الضيعة منذ بداية
الأسرة الثامنة عشرة أى فى عهد ثانى ملوكها « أمنحتب الأول » مما يدل على أن
صاحب المقبرة كان من أصحاب الثروة العظيمة إذ كان لا يقتنى الخيل والعربات

إلا أغنياء هذا العهد . ومن المناظر الطريفة في هذه المقبرة منظر الإشراف على عدّة الماشية وبخاصة الخنازير . فيقص علينا النقش الخاص بذلك ما يأتي : « الإشراف على تسليم الماشية بواسطة الأمير الوراثي والحاكم والمشرف على الكهنة والكتاب » رنى « المرحوم : اثنان وعشرون ومائة نور ، ومائة رأس غنم ، وعشرون ومائة من الماعز ، وخمسمائة وألف خنزير » .

وكذلك يشاهد صاحب المقبرة في وليمة ومعه أفراد من أسرته من بينهم حفيد يسمى « سبك حتب » وقد كان هذا الطراز من المناظر شائعاً لتمثيل أفراد الأسرة بأسمائهم ورسومهم بطريقة منطقية مفهومة فنية ، خلافاً لما كان متبعاً في الدولة الوسطى فقد كان يذكر على لوحة المتوفى الجنازية كل أسماء أفراد أسرته لمدة أجيال مضت بطريقة مرتبكة يصعب فهمها ، ومثال ذلك أسرة « تحوتى حتب » حاكم مقاطعة البرشة (راجع Newberry, "El Bersheh", Vol. I pls. XXIII-XXX) وفي مناظر هذه المقبرة نشاهد الرافضين « مورو » والمستلّين والأشجار والحدائق ، ويرى هنا الإله « أنوبيس » واقفاً داخل المحراب في حين أن « أوزيرختي أمتى » يقف خارجه وراء « أنوبيس » (راجع L. D. III. Pl. 11e) . وهناك منظر آخر غريب في بابة نجد فيه كاهنين أولهما هو الكاهن المخطط « وتى » ورئيس الخزانة المقدسة وكلاهما يصب ماء الطهور على رأس المتوفى الجالس على إناء كبير (راجع تفسير هذا المنظر في كتاب حفائر الجيزة) ("Excavations at Giza", Vol. IV. P. 69. ff.) وقد كان الملك في مثل هذا المنظر بدلاً من الكاهنين الإلهيين « حور » و « ست » ثم فيما بعد « حور » و « تحوت » (راجع Jequier, "Les Monuments Funéraires de Pepi I.", Vol. III. P. 39. fig. 27. وهذه المناظر الجنازية قد أصبحت من خواص قبور الأسرة الثامنة عشرة كما سنشاهد ذلك فيما بعد) (راجع Taylor, "The Tomb of Renni", Pl. II-VII.)

إننى : ومن أعظم الشخصيات البارزة في عهد الأسرة الثامنة عشرة « أنخى » الذى عاصر عدّة ملوك مبتدئاً بحكم الفرعون « أمنحتب الأول » حتى « تحتمس

الثالث « وقد تكلمنا عن نقوشه فيما سبق ، وكان يحمل الألقاب العظيمة التالية كما وجدناها في قبره بشيخ عبد القرنه : المشرف على مخازن غلال الإله آمون ، والأمير ، والحكم ، والذي يملأ قلب مليكه ، والكاتب ، ومدير كل الأعمال في « الكرك » ، والمشرف على كل الأختام في « الكرك » ، ومدير كل الأعمال في الجبانة الملكية ، والمشرف على كل الصناعات في بيت آمون ، والقاضي .

ويشمل قبر « أنثى » بعض مناظر ثمينة يمكن تقسيمها ثلاثة أقسام : (١) مناظر خاصة بحياته اليومية . (٢) مناظر جنازية . (٣) مناظر تدل على حوادث معينة في حياة الموظف الحكومية . وهذه الظاهرة أصبحت شائعة في نقوش مقابر الأسرة الثامنة عشرة ، وقد بلغت قمتها في عهد « أخناتون » حيث نجد طراز هذه المناظر قد شغل معظم جدران مزارات القبور كما سنرى بعد .

فى القسم الأول من مناظر مقبرة « أنثى » نرى المتوفى يتسلم الحيوانات الأليفة والطيور مثل الحمير والماعز والخنازير والغنم والكراكي . راجع Porter and Moss, "Bibliography" I, P. 109.

وكذلك نجد مناظر صيد السمك (Wreszinski "Atlas" I.) Pl. 262b.

ومنظر وليمة ، ومنظر صيد فى الصحراء كذلك . Porter & Moss, Ibid P. III. & Wreszinski 262a.

والمنظر الأخير رسم على طراز الدولة الوسطى ويذكرنا بمناظر قبور « ميروبي حسن » (راجع "The Rock Tombs of Meir", Vol. I, Pls. VI, VII, VIII, & "Beni Hasan", Vol. I. Pl. XII.) ؛ ومما يلحظ فى المنظر الأخير صورة لضبع قد رميت بسهم وتحولت يبرزها الخلقى لتهاجم كلب الصيد الذى اقضى عليها . أما المنظر الثانى (الجنازى) فى هذه المقبرة فى شاهد رسم سير الجنازة والمسلمات والأشجار والبركة والراقصين « موو » ، كما يشهد بطبيعة الحال المتوفى جالسا مع زوجه على كرسي وأمامهما مائدة القربان المحملة بكل ما لذ وطاب من أنواع الطعام (راجع Porter & Moss, Ibid. P. 109.) . ويشاهد فى القسم الثالث الحصاد ولا بد أن

ضعفته كانت واسعة النطاق إذ ترى الكتابة يحملون تقاريرهم والمشرفين على الحصاد ذاهبين ورائحين . وقد يجوز أن هذا المنظر يعبر عن حصاد محصول الإله « آمون » الذى كان « أنى » مشرفا على مخازن غلاله (Wreszinski, Ibid I, Pl. 264). ومما هو جدير بالذكر هنا أن المفتن المصرى فى مناظر الحصاد بدأ فى محاولة رسم البقعة المجاورة لمكان الحصاد على جدران المقابر. وفى الدولة القديمة نجد رسم أدغال البردى فى مناظر حياة البطاح (راجع Capart, "Memphis. A l'Ombre des Pyra- mides", fig. 381, 382. فى حين أن مناظر الصحراء قد ميزت برسم تعاريج وأعشاب من نباتات الصحراء مبعثرة هنا وهناك مما يدل على أنها أرض رملية قاحلة (راجع Davies, "Mastaba of Ptahhetep and Akhethetep", Pl. XXII)؛ ثم نشاهد بعد الدولة القديمة أن مناظر الصيد قد خُطت خطوة إلى الأمام وذلك بإضافة إطار لمنظر الصيد للتدليل على وجود جزء خاص من الصحراء مسور بشباك كانت تساق إليه الطرائد (راجع "The Rock Tombs of Meir" Vol. I. Pl. 8. and "Beni Hasan". Vol. I. Pl. 13. أما فى مقبرة «إنى» فلدينا منظر معين كامل نشاهد فيه بيتا ذا طابقين محاطا بجدار عال . وفى الحديقة نرى مخازن غلال مخروطة الشكل ومبانى مقبية يحتل أن تكون مخازن من نوع خاص ، كما يلاحظ أن المبانى فى هذا المنظر مخفية بعض الشيء بجدران سور يدل على ذلك الأشجار التى قد ظهرت فروعها من فوق الجدران بصورة طبيعية . (راجع Wreszinski, "Atlas". Pl. 60a — c. كل ذلك يوحي أن المصرى قد أخذ يصور أماننا الطبيعية كما هى (landscape) .

وسترى مناظر طبيعية فيما بعد أكثر إتقاناً وتجديداً فى مقابر عظماء القوم فى أواخر هذه الأسرة .

بن آتى : من النقوش الهامة التى بقيت لنا مدونة على صخور «شط الرجال» نقوش « بن آتى » الذى عاصر ثلاثة فراعنة مبتدئا بالفرعون « أمنحتب الأول »

والظاهر أنه كان مكلفا قطع الأحجار من هذه الجهة وكان يحمل الألقاب التالية : المشرف على أعمال « أمنحتب الأول » المرحوم « بن آتى » ، والمشرف على أعمال « مبانى الفرعون » تحتمس الأول « بن آتى » ، والمشرف على أعمال الفرعون « تحتمس الثانى » (راجع Urk IV, P. 52.) ، وكذلك نجد أنه عاش فى عهد الملكة « حتشبسوت » و « تحتمس الثالث » غير أننا نجده هنا مشرفا على مبانى معبد آمون . وقد وجد له النقش التالى فى نفس الجهة ملك الوجه القليل والوجه البحرى « منخبر رع » معطى الحياة والآله الطيبة « ماعت كارع » المبعوثة ثانية ، والمشرف على أعمال معبد « آمون » « بن آتى » المرحوم . (راجع Petrie, "Season", P. 14, 357.) ولدينا موظفون آخرون من هذا العهد غير أننا لا نعرف عنهم إلا القليل حتى الآن وهم :

أمنمحات : وقد عثرنا له على لوحة محفوظة الآن فى متحف « جنيفا » ، وقد ذكر عليها ألقابه : كاتب قربان معبد « أمنحتب » ويعتبر الأستاذ « فيدمان » أن هذا اللقب يعادل لقباً آخر يرجع إلى عهد الدولة القديمة وهو كاتب المائدة . (Rec. Trav. Vol. XVIII, P, 124.)

آمو : وفى معبد سراية الخادم بنسبه جزيرة سيناء كشف عن عتب باب لموظف يدعى « آمو » ، ولا بد أن الفرعون كان قد أرسله بوصفه حامل خاتم ملك الوجه البحرى فى بعثة ، والواقع أن صاحب هذه الوظيفة كان يقوم فى معظم الأحيان برحلات إلى هذه الجهات فى عهود مختلفة . أما ألقابه الأخرى فهى : الأمير الورائى ، والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسفير الوحيد ، والدائم الحب فى بيت الملك .

أنف نفر : توجد فى متحف « اللوفر » لوحة لموظف يدعى « أنف نفر » وتذكر لنا لوحته أنه كان « حاكم الواحة » وقد ذكرنا أن الواحات فى عهد الأسرة الثامنة عشرة كانت مقسمة قسمين : الواحات الشمالية والواحات الجنوبية .

غير أن « اتف نفر » لم يخبرنا في لوحته أى قسم كان تحت إدارته ، والظاهر أنه كان عمدة المدينة قبل عمل هذا التقسيم . وقد ذكر لنا على هذه اللوحة أنه كان قريب الفرعون ومحبوبه وقد عاش في عهد « أمنحتب الأول » وقد جاء في آخر لوحته هذه التى لا تحتوى إلا على ألقابه وصيغة القربان الجنازية أن ابنه « حورام أخت » الكاتب هو الذى أقام له هذا الأثر . (Urk. IV. P. 50, 51.)

بازو : وفي المتحف المصرى لوحة أهداها خادم الإله متو « رب » أرمنت « للفرعون » أمنحتب « الأول ويشاهد في الجزء الأعلى منها الفرعون المذكور وأمير ملكي يتعبدان للإله « متو » وفي أسفل اللوحة نشاهد « بازو » نفسه راكعا في هيئة تعبد ، وتدل كل الأحوال على أن هذه اللوحة كانت في معبد « أرمنت » بالوجه القبلى (راجع Lacau, "Steles du Nouvel Empire," P. 10. ff. V.) كان هذا الموظف يشغل وظيفة « رئيس خبازى معبد آمون » ، وقد عثر له على لوحة في خيطة معبد الكرنك التى كشف عنها « لجران » ، ويشاهد عليها الملكة « أحس نفر تارى » والفرعون « أمنحتب الأول » يتعبدان لثالوث « طيبة » وهم « آمون » و « موت » و « خفسو » .

وقد أهدى لهم « نب يوتب » هذه اللوحة (راجع Legrain, "Repertoire", P. 28. No. 43.)

حوى : ذكرنا أن عبادة كل من « أمنحتب الأول » والملكة « أحس نفر تارى » كانت شائعة في عصرهما وظلت بعدهما عدة قرون . وفي عهدهما نجد « حوى » الذى كان يلقب « خادم الإله آمون » قد ترك لنا لوحة يتعبد فيها لهما ، وكذلك نشاهده يتعبد للفرعون « أحس الأول » (راجع Lacau, Ibid P. 7 & Pl. XXIV.)

تحتمس : عثر لهذا الموظف على أداة كتابة من الخشب عليها طغراء « أمنحتب الأول » وقد لقب عليها بالكاتب والمدير الملكى ، وكاتب الحريم مما يدل على أنه كان صاحب مكانة في البيت المالك (راجع Rec. Trav. T. XIV. P.56.)

تحتمس الأول



أسرة تحتمس الأول : خلف « أمنحتب الأول » على عرش الملك « تحتمس الأول » ، وتدل المعلومات التي لدينا حتى الآن على أنه ليس ابنه كما يدعى البعض أحيانا ، إذ أن « تحتمس » أعلن في صراحة في المرسوم الصادر بتوليته الملك أنه وضعت والدته « سنسب » ، ومن ذلك نعلم أن أمه لم تكن زوجة ملك شرعية ، أو بنت ملك شرعية ، ويشاهد في أعلى اللوحة التذكارية التي نقش عليها هذا المرسوم « تحتمس الأول » وخلفه زوجه « أحمس » ، والملكة « نفر تاري » والدة « أمنحتب الأول » التي شاركت في عرش الملك . ومن المحتمل كما يظن البعض أن زوجه « أحمس » هذه كانت إحدى أخوات « أمنحتب الأول » الشرعيات وأن « تحتمس » بزواجه منها أصبح ملكا على البلاد ، غير أن هذا الزعم لا يمكن الجزم به ، والواقع أن الدور الخفي الذي مثل في حادث تولية هذا الملك لا يزال مجهولا لنا كما جرت العادة في مثل هذه الأحوال الخاصة . على أن هناك رأيا آخر يدعى الآخرون به أن « أحمس » زوج الفرعون « تحتمس » هي أحمس « حنت تاعمو » بنت الملك « أحمس » الأول من زوجة ثانوية تدعى « إنحابي » والحقيقة أننا نجد « تحتمس » يتكلم عن « أحمس » هذه بأنها أخته ، مما يدل على أنه هو كذلك كان ابن الملك ، ولكن من زوجة أخرى تدعى « سنسب » كما ذكرنا ، وأخيرا يتكلم « تحتمس » عن نفسه في بعض النقوش بأنه ابن ملك ، وأن والده ابن ملك « وذلك يدل على أن والده وجده كانا ملكين ، ولما لم يكن ابن « أمنحتب الأول » فلا بد إذا أن يكون ابن « أحمس الأول » ، وحفيد « سقنرع »^(١) . ومهما يكن من أمر فإن الموضوع لا يزال يحيطه الشك والإبهام معا

تاريخ تنويجه ملكا على البلاد : ولا بد أنه توج ملكا على البلاد حوالى عام ١٥٣٥ ق . م . أى بعد وفاة « أمنحتب » مباشرة ، وقد استقينا معلوماتنا عن إعلان تنويجه ملكا على البلاد من نسخ مرسوم توليته على عرش البلاد أرسلت إلى حاكم بلاد النوبة « تورى » الذى كان قد عين حديثا لإدارة شئونها ، ولقب بلقب جديد هو ابن الملك للبلاد الجنوبية (كوش) ، وكان يقوم بإدارة هذا الإقليم فى عهد سلفه « أمنحتب » الأول على ما يظهر حاكم الكاب ، والواقع أنه كان والى على بلاد السودان كما سنشرح ذلك فى حينه .

ولا نزاع فى أن هذا المرسوم كما يبدو كان قد وزع على حكام البلاد قاطبة ، وقد وجد منه حتى الآن ثلاث نسخ ، وهالك^(١) نص المرسوم :

« مرسوم ملكى الى ابن الملك حاكم بلاد « كوش » « تورى » . لقد أرسل إليك هذا المرسوم لتكون على علم بأن جلالتى (له الحياة والسعادة والصحة) قد أشرق ملكا على الوجهين القبلى والبحرى جالسا على عرش « حور » الأحياء ، الذى لن يكون له مثل طول الأبدية . وستكون ألقابى كالآتى : حور (١) النور القوى « محبوب آلهة العدالة (٢) سيد العقاب والصل الذى يظهر بالصل العظيم فى قوته ، حور الذهبى — من سنه جميلة ، ومن يجعل القلوب تحيا ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى عاخر « كارع » — ابن الشمس « تحتمس » — يعيش مخلدا أبدا . مر على ذلك بتقديم القرابين لآلهة الفتن (الواقعة) فى نهاية الجنوب لأجل أن يقدم الناس قربانا لحياة وعافية وصحة ملك الوجهين القبلى والبحرى « عاخر كارع » معطى الحياة ، وكذلك مر بحلف اليمين باسم جلالتى الذى ولدته الأم الملكية « سنسب » التى تمتع بصحة مجتدة . وهذه رسالة لتعليك بالأمر ، وبأن البيت المالك فى صحة وعافية (التاريخ) السنة الأولى ، الشهر الثالث من فصل الشتاء فى يوم الظهور (أى ظهور الفرعون وعلى جبينه الصل وهو علامة على التنويج) .

أوصاف تحتمس الأول : ولا غرابة فى أن نجد هذا الفرعون يحمل لقب « النور القوى » فإن هذا اللقب كان ينطبق عليه وعلى ما قام به من أعمال الشجاعة . إذ كان طويل القامة عريض المنكبين ، متين البنية قادرا على تحمل أهوال الحروب

من غير ملل وإعياء ، وقد صوّرتة تماثيله بوجه ممتلئ مستدير ، وأنف طويل ، وذقن مربعة ، وشفّتين تملّان إلى الغلظ ، ومخيا ترتسم عليه ابتسامة ولكنها في الوقت نفسه تمثل قوّة الإرادة ، ولا نزاع في أن هذا الفرعون قد حمل معه عند تولي العرش روح الجيل الناشئ الذي جاء على أعقاب تخليص البلاد من نير الهكسوس فقد نما وترعرع في عهد « أمنحتب الأول » ذلك العهد الذي كان يسوده السلام بوجه عام ، وكان أبناء جيله يفخرون بتلك الانتصارات التي أحرزوها على أقوام الجنوب من غير كبير عناء ، مما جعل روح الطموح تدب في نفوسهم إلى الغزو ومتابعة الفتح ، وبخاصة في آسيا ، تلك البلاد التي فر إليها أولئك القوم الذين



(١٩) موميّة محنّس الأول

سيطروا على بلادهم بيد من حديد أكثر من قرن ونصف . والواقع أنهم لم يفكروا في غزو بلاد أفريقية ثانية ، إذ كان يخيل إليهم أنه ليس فيها مجال واسع يسعر نار مطاعمهم ، لأن كل البلاد السودانية حتى ملتقى النيل الأزرق بالنيل الأبيض كانت ملكا لعاهلهم ، وكان الآلهة المصريون يعبدون في « نباتا » كما كانوا يعبدون في « طيبة » بنفس الحماس والتقى .

حروبه في السودان : ولكن أهالى السودان من ناحيتهم أخذوا يقومون ببعض مناوشات ولذلك عزم « تحتمس » على أن يقوم بنفسه بحملة عليهم لإخضاعهم قبل أن يولى وجهه شطر آسيا مطمح أنظاره ومعقد آماله ، فسار على رأس جيشه حتى وصل إلى « نومبس » الواقعة بعد الشلال الثالث مباشرة ، غير أنه وجد أن السودانيين الذين كانوا لا يزالون يذكرون هزيمتهم على يد « أمنحتب » الأول ، لا يريدون قتالا . وعلى أية حال فإن كل عصيان عند الحدود قد أخذ في الحال ، وخلع على أثر ذلك كل أمير معاد لمصر . وقد وصلنا وصف هذه الحملة من حياة « أحمس » بن « أبانا » وكذلك من حياة سبيه « أحمس بننخت » وكذلك على لوحة نقشت في السنة الثانية من حكم هذا الفرعون على صحفة في جزيرة « نومبس »^(١) . (Tombos)

النص الذى يتحدث عن حروبه في السودان والنهرين : والنص الذى جاء على هذه اللوحة لا يحتوى على حقائق كثيرة في صميم الموضوع بل معظمه تعابير بليغة في وصف الفرعون ، وماله من جاه وسلطان ، وقوة وبطش وسنضع ترجيحنا حرفيا أمام القارئ بمثابة نموذج لتلك النصوص التى يشهد المؤرخ فكره في عبارتها ليستخلص منها حقائق تاريخية سهلة المأخذ ، مختصرة العبارة . وهاك النص :

« السنة الثانية الشهر الثانى من فصل الفيضان ، اليوم الخامس والعشرون في حكم جلالة النور القوى محبوب آله العدل » تحتمس « الأول .

لقد حضر وظهر بوصفه رئيس الأرضين ليحكم ما يحيط به قرص الشمس ، والوجه القبلي والوجه البحرى : وبخاصة نصيب « حور وست » (أى مصر كلها) ، وهو الذى وحد الأرضين وجلس على عرش « جب » ولبس التاجين القويين (يتخفى) . وقد تسلم جلالته بحق إرثه ، واطمأن على عرش « حور » ذى الدرج ، ليمتد حدود « طيبة » على « خفت حرنيس » (من ضواحي « طيبة ») ، وليصبح سكان الرمال ، والبرابرة الذين بمقتهم الإله ، وسكان جزر البحر الأبيض ، وقوم « رتخوقابت » خذاما لها ، وهو الذى جعل سكان الجنوب يقلعون شمالا وسكان الشمال يصعدون جنوبا ، وكل البلاد الأجنبية يأتون محملين بجزيتهم للزة الأولى (فى التاريخ) للاله الطيب « تحتنس » الأول عاش لمخلدا ، وإنه « حور » المظفر ، رب الأرضين وهو الذى يتخدمه واستعمراتهم تابعة له لأنهم يقبلون الأرض بين يديه ، وأصحاب السقاية يخشون أمام جلالته ، ويخضعون أمام الصل الذى على جبينه ، وهو الذى قد طرح أرضا رجال بلاد النوبة ، ولم يفلت من قبضته السود إلا بمشقة (٩) ؛ وقد ضم إليه الحدود التى على كلا الجانبين (النيل) ولم يفلت واحد من أهالى الذين أتوا فلم يبق منهم واحد ، أما بدو النوبة فقد سقطوا على وجوههم من الفرع ، ونزحوا على جنوبهم فى بلادهم ، وانتشرت رائحة جثثهم فى وديانهم ، ولطخت أفواههم بالدماء كأنها صوب المطر ، أما الذين قتلوا لحملوا إلى مكان آخر ، وقد انقض التساح على الهارب الذى كان يريد أن ينجي . أمام « حور » قوى الساعد (وهذا كله) حدث بقوة الفرعون وحده ، ابن آمون ، وفلس الإله صاحب الاسم الخفى (كلمة آمون معناها الخفى) وسلالة ثور التاسوع (أى سلالة آمون) ، والصورة الفاخرة لأعضاء الإله ، والذى يفصل ما تحبه أرواح « عين شمس » (أى الملوك القدامى) . وهو الذى برأه أرباب « حت عات » (معبد عين شمس) ، وهو حصن لكل جيشه ، والجسور على مهاجرة قبائل الأنفوس التسعة مجتمعين كأنه فهد قى بين قطع من البقر المطمئة . قد أعظمهم قوة جلالته ، وهو الذى وصل إلى حدود الأرض من قاعدتها ، والذى اخترق نهايتها بقوة المظفرة ، والذى يبحث عن الحسروب ، وليس من يجسر على مواجهته ، وهو الذى فتح الوديان التى كان يجهلها الأولون ، والتى لم يرها حاملو التاجين ، وحدود بلاده الجنوبية وصلت إلى بداية هذه الأراضى (بلاد النوبة) ، ومن الشمال إلى تلك المياه التى تسير من الشمال إلى الجنوب (يعنى نهر الفرات لأن مياهه تسير عكس مياه النيل الذى يجرى من الجنوب إلى الشمال) ولم يتحدث لملك آخر شئ مماثل لهذا ، وقد وصل اسمه إلى دائرة السماء ، وكذلك وصل إلى الأرضين والناس تعقد الأيمان باسمه فى كل البلدان ، لأن شهرة جلالته عظيمة جدا ، ولم ير الإنسان مثيلا لذلك فى تاريخ الملوك القدامى منذ عهد أتباع « حور » . وهو الذى يعطى من يتبعه نفسه (أى قصص الحياة) ، ومن يسير على نهجه قربانه ، حقا إن جلالته هو « حور » الذى استولى على دولته للملايين السنين ، وهو الذى يتخدمه جزر المحيط ، والأرض جميعها تحت

قدية ، ابن الشمس من جسده ، ومحبيه « نحتس » عاش مخلدا أبديا ، المحبوب من « آمون » رب الآلهة ، والده الذى صور جماله ، ومحبوب تاسوع الكرك ، مطى الحياة ، والثبات والعافية والصحة ، وفرح القلب على عرش « حور » لأنه فائد كل الأحياء مثل رع مخلدا .

ما نستخلصه من هذا النص : وهذه النقوش على ما بها من الإغراق فى أوصاف الفرعون ، وما قام به من ضروب الشجاعة لقمع أولئك السود ، قد جعل بعض المؤرخين يستنجون من استعاراتها أشياء لا وجود لها فى المتن ، ولا أدل على ذلك من استنتاج وجود قلعة بناها الفرعون فى جزيرة « تومبس » مع أن المتن الذى استخلص منه ذلك هو فى الواقع تشبيه للفرعون بأنه حصن كل جيشه ، والذى يحصر على مهاجمة قبائل الأقواس لتسعة مجتمعة ، الفهد الفقى بين قطيع من البقر المأدنة ، على أن ذلك لا يمنع أن الفرعون كان قد أقام حصنا فى هذه الجهة ، والمهم فى هذا النقش هو أن مؤلف هذه الوثيقة كان يعرف من غير شك بلاد النهرين ، (كما يقول برستد) أو ذهب إليها ، وقد نظر بدهشة واستغراب إلى اتجاه سير نهر الفرات الذى كان يخالف سير نهر النيل ، فقد كان ذلك النهر يجرى من الشمال إلى الجنوب نحو مصبه بدلا من أن يجرى شمالا مثل النيل ، ولذلك سماه المصريون « الماء المقلوب الذى يجرى إلى أسفل بدلا من الذهاب إلى أعلى » . والواقع أن هذا وصف دقيق للغاية لمصرى كان يعتبر نهر بلاده هو النموذج الذى كان لابد أن تكون كل أنهار العالم على غرار «هـ» ، والأهم من كل هذا هو السؤال التالى : كيف يمكن « نحتس » الأول أن يدعى وصول حدود امبراطوريته إلى هذا النهر مع أنه لم يمض على اعتلائه عرش الملك إلا سنة واحدة ، وليس لهذا الجواب حل إلا إذا كان سلفه « أمنتب الأول » هو الذى وصل فى فتوحه إلى هذه البلاد النائية ، وإن كانت آثاره لم تحدثنا عن ذلك كما سبقت الإشارة لذلك ،

(١) وقد دحض جاردنر هذا التقسيم وبرهن على أن المصرى كان يفهم المتن على حقيقته لا بقلب المعنى

(راجع Gardiner "Onomastica" Vol. I. P. 160. ff.) .

والظاهر أن الفرعون في غزوته هذه قد مكث حوالى عام يحارب السود، إذ وجدت نقوش في « تبجور » التي تقع على مسافة خمسة وسبعين ميلا فوق الشلال الثانى ^(١) تحتشأ عن عودته إلى مصر .

نقوش أخرى عن حروبه في السودان : « السنة الثانية — الشهر الأول من الفصل الثالث — نهاية حملة الشتاء » . وكذلك وجدت لوحة في جزيرة « أرجو » التي تقع على مسافة أربعين ميلا جنوبى الشلال الثالث كتب عليها اسم هذا الفرعون غير أنها لم تنشر ^(٢) . ومهما يكن من ضعف قوة النوبيين فإن دلائل الأحوال تدل على أن حملة « تحتمس » إلى الشلال الثالث كانت عنيفة ، وقد ازداد عنف هؤلاء القبائل النوبية في السنة التالية في مهاجمة الحدود المصرية باستمرار . وليس لدينا معلومات تنقع الفلة إلا ما جاء في تاريخ حياة « أحمس بن أبانا » وقد جاء ذكر هذه الحملة كذلك في حياة « أحمس بننخبت » حيث يقول : ” لقد تبع الفرعون « عا خبر كارع » وأسرت له في « كوش » أسيرين غير ثلاثة آخرين أسرهم في « كوش » لم تحسب (رسميا) “ ، وقد عسكر الفرعون في طريقه إلى عاصمة ملكه بعد انتهاء هذه الحملة بالقرب من جزيرة « سهل » عند الشلال الأول ، وكانت القناة التي حفرها « سنوسرت » الثالث تكرى من جديد ، وعند ما تم كرمها مرت سفن الفرعون فيها ، وقد دؤن نقش على صخور « سهل » يتحدثنا عن ذلك . وهاك نصه : ” السنة الثالثة الشهر الأول من فصل الصيف اليوم الثانى والعشرين من حكم جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « عا خبر كارع » عطى الحياة . قد أمر جلالة بحفر هذه الرقة ، بعد أن وجدها سدودة بالأحجار ، ولم تكن تمر فيها سببة ، وقد عا فيها بعد ذلك (أى بعد حفرها) بقلب فرح بعد أن قتل أعداءه (نقشه) ابن الملك « تورى » “ ، و « تورى » هذا هو ابن الملك (نائب الملك في السودان

(١) راجع : P. S. B. A., Vol. VII, P. 121.

(٢) راجع : Wilkinson, "Topography of Thebes and General View of Egypt P. 472.

(٣) راجع : Urkunden IV. P. 36.

كما سبقت الإشارة إلى ذلك) . وكذلك نقش على صحفور «سهل» لوحة أخرى أرخت بنفس التاريخ السابق ، وقد جاء فيها : ” لقد سار جلالة في التربة متصرا مظفرا في عودته بعد إخضاع بلاد « كوش » الخامسة (نقشه) تورى “ (راجع Urk IV. P. 89) ، وفي نفس اليوم نجد نقشا آخر يدل على وصوله إلى « الفنتين » دقون على صحفور « أسوان » نفسها جاء فيه بعد ألقاب الفرعون أن ” « تحتمس » المحبوب من الإلهة « ساتيت » سيدة « الفنتين » لقد عاد جلالة من « كوش » بعد أن أخضع أعداءه “ (راجع Urk IV. P. 88) .

حروب تحتمس الأول في آسيا : وبعد أن فرغ تحتمس من حروبه في السودان ، ووطد أركان ملكه هناك أخذ يفكر في المشروع العظيم الذى قام بتنفيذ جزء منه والده وأخوه ، وذلك هو القضاء على الهكسوس في « آسيا » بعد أن قضى عليهم والده في مصر ، ثم أخذ أخوه في مطاردتهم في آسيا على ما يظهر ، يضاف إلى ذلك أنه كان يريد تأسيس إمبراطورية واسعة النطاق كان قد وضع أساسها في عهد الأسرة الثانية عشرة ، وبقى جيل الاتصال بين المصريين والأسويين موصولا ، كما نجد آثاره في عهد الأسرة الثالثة عشرة . والظاهر أن أهل سوريا أو بعبارة أخرى الهكسوس الذين كانوا يقطنون هذه البلاد ، مضافا إليهم من تقهقر منهم أمام « أحس » كانوا قد عقدوا أو اصر المهادنة والإخاء بينهم وبين أهل نهرين على حساب مصر ، ولا بد من أنه قد حدث بعد مناقشات أو غارات اتخذ منها الفرعون ذريعة للقيام بحملة تأديبية إلى تلك الأصقاع . ولقد كان في نفس هذا الفرعون كما قلت أن يفضل عن قلبه الأذى الذى يبق عالقا في قلب الشعب المصرى من أولئك الغزاة الذين استعبدوا بلادهم حقبة طويلة من الدهر . وسنرى فيما بعد أن تلك الخطة هى التى سار على نهجها الفراعنة الذين خلفوه حتى

(١) راجع : Urkunden IV, P. 89 - 90.

(٢) المقصود من بلاد نهرين في خلال الأسرة الثامنة عشرة هو بلاد النخى كما شرح ذلك الأستاذ

جاردنر (راجع "Onomastica", Vol. I. P. 171. ff.) .

قضوا على الهكسوس ، وأسسوا أعظم امبراطورية ظهرت في الشرق القديم بل في العالم كله في ذلك العهد .

ومما يؤسف له أن الآثار التي تحدد لنا تاريخ غزوه لآسيا بالضبط لم يكشف عنها بعد هذا ، فضلا عن أن كل ما وصل إلينا عن هذه الحروب قد جاء عن طريق غير مباشر ، وهو ما يبرده لنا « أحس » بن أبانا ، « وأحس بننختب » في تاريخي حياتهما . وعلى الرغم من أن هذه المعلومات مقتضبة جافة عن هذه الحروب فإنها تحددنا عن أعظم المخاطر الحربية التي حدثت في العالم القديم ، وقد علمنا فيما بعد من غير المصادر المعاصرة ، أن « تحتمس الأول » قد وصل في زحفه على نهر الفرات الى المنحنى العظيم بالقرب من « قرقيش » ، وأنه أقام هناك لوحة تذكارية لانتصاره ، فقد أخبرنا « تحتمس الثالث » أنه وجد اللوحة التي أقامها جده هناك عندما وصل الى هذه النقطة في حملته الثامنة ، وأقام هو بدوره لوحة أخرى على الجانب الأيمن لنهر الفرات ليظهر للآل أنه قد ذهب في فتوحه الى أبعد من جده بقليل .

هذا هو كل ما وصلنا عن حروب تحتمس الأول في تواريخ من جاء بعده ، وهو من مصدر مصري . أما عن المقاومة التي اعترضته أو عن قوة جيشه أو الخسائر التي حاقّت به ، وكذلك الطريقة التي حاول أن يحافظ بها على فتوحه فإننا قد تركنا في ظلام حالك ، وإن شئت فقد بقي كل ذلك صحيفة بيضاء حتى الآن . والواقع أن الأعمال الحربية التي نهض بأعبائها « تحتمس الأول » قد غطت عليها حروب « تحتمس الثالث » الكثيرة . ومع ذلك فإن الحملة إذا كانت تقدر بأهمية نتائجها بالنسبة لما كانت تشمل عليه من قوة في ساحة القتال ، فإنه لا يوجد إلا القليل

(١) تقع مدينة قرقيش (والبابلية بجرعيش) على أعلى نهر الفرات على مسافة نيف ومائة كيلو متر من الشمال الشرقى من مدينة حلب (انظر المصوّر التقريري لشمال سوريا) راجع

من الحملات التي دونها لنا التاريخ القديم تستحق الالتفات أكثر من تلك المخاطرة التي قام بها «تحتمس الأول» في آسيا، وإذا نظرنا إلى عمله هذا باعتباره جزءا من تاريخ الشرق القديم فإنه كان بداية الصراع الديوى للاستعمار بين آسيا وإفريقيا، وبين ثقافة وادى النيل، وثقافة بلاد نهرين، وهو ذلك الصراع الذي كانت عواقبه وبالا على كلتا المدينتين، وانتهى أخيرا بسقوطهما، فهوت أولا مصر أمام الفرس وثانية أمام الإسكندر الأكبر. أما إذا اتخذناها جزءا من تاريخ مصر فإنها كانت النقطة التي تحول فيها الشعب المصرى للمرة الثانية إلى شعب حربى ساد العالم بعد أن كان سيده ومعلمه فى الفنون والصناعات والعلوم قبل ذلك النهوض الحربى.

ومن الغريب أننا لا نعرف شيئا عن الطريقة التي بها قبض تحتمس على زمام الأمور فى تلك الأصقاع العظيمة التي فتحها بحد السيف. ومن البدهى أنه قد اتخذ بعض التدابير للمحافظة على هذه الفتوح، وأن حملته لم تكن مجرد انتقام بل كانت محاولة حقيقية لتأسيس السيادة المصرية على تلك البقعة الشاسعة من آسيا التي تبتدئ من الحدود عند برزخ السويس، وتنتهى عند منحى الفرات العظيم، وهى التي يمكن تصورها القنطرة بين آسيا وإفريقيا. ولا أدل على وجود نظام حكومى فى هذه الجهات تحت سيطرة مصر من أنه لم تحدث حروب تستحق الذكر فى عهد خلفه «تحتمس الثانى» والملكة «حتشبسوت»، كما أنه لم يسمع بثورات طنية فى «سوريا» لتزع النير المصرى عن عائقها. وقد بقيت الحال كذلك إلى أن اعتلى عرش الملك «تحتمس الثالث». وعندئذ ألف فلول أمراء الهكسوس والولايات الأخرى حلفا لنزع النير المصرى، ومن ثم شبت الثورات هناك. ولذلك قال «تحتمس الثالث» فى نقوش تاريخ حروبه التي دونها على جدران معبد الكرنك: تأمل! أنهم قد بدءوا بالعصيان على جلالته من أول «يرزة» (يوده) حتى مستنقعات العالم (أى إلى ما وراء نهر الفرات).

مباني تحتمس الأول

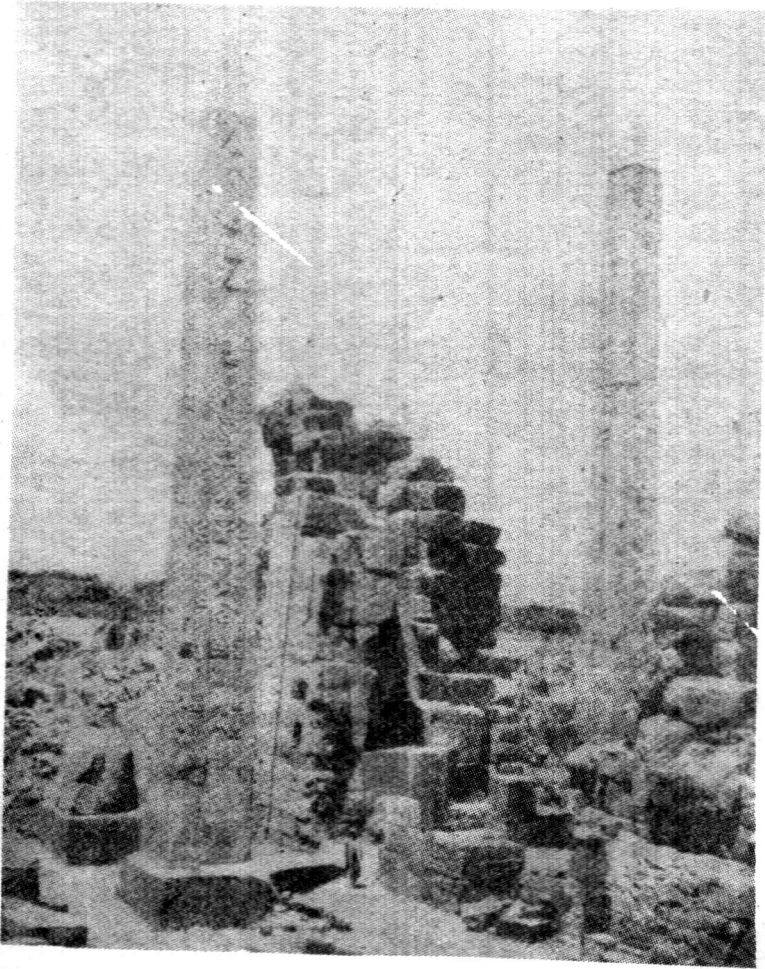
ولا نزاع في أن « تحتمس الأول » بعد أن مّد فتوحه إلى تلك الجهات النائية أخذ يشعر بأن ضغط الهكسوس وجبروتهم قد زال نهائيا ، وأنه كان من حقه وقتئذ أن يفتخر بسيادته على العالم كما جاء على نقش تركه لنا في « العرابية المدفونة » فاستمع إليه : « لقد جعلت حدود مصر واسعة كدائرة الشمس ، وقويت الذين كانوا في خوف ، وطردت عنهم الشر ، وجعلت مصر سيدة كل الأراضي » .

وبدل ما وصلنا حتى الآن من الكشوف الأثرية على أن « تحتمس الأول » لم يقم بأية حروب أخرى ، بل على ما يظهر وجه كل جهوده إلى إقامة المباني العظيمة تخليدا لأولئك الآلهة الذين وهبوه النصر على أعدائه ، وبخاصة إله الدولة « آمون رع » وإله الآخرة « أوزير » .

فكان أول أثر أقامه هو قاعة عمد فسيحة الأرجاء كل عمود منها ذو ستة عشر وجها : وقد جاء ذكرها في نقش د ن خلف (البوابة) الخامسة في معبد « آمون » كما يأتي : يعيش الملك الطيب رب الأرضين ، وسيد القربان ، ملك الوجه القبلي والوجه البحري « تحتمس » ابن الشمس من جسده . لقد أقامها (القاعة) لتكون أثرا لوالده « آمون رع » سيد الأرضين ، أقام له قاعة عمد فائرة تمتلئ بمجالها الأرضين ، ولذلك أعطى الحياة مخلدا (راجع Urkunden IV, P. 92) .

إقامة مسنتين : ولما اقترب أو ان عبيده الثلاثيني أراد أن يحتفل به على ما يظهر على نهج أصبح متجا فيما بعد ، وذلك أنه رغب في إقامة مسنتين عظيمتين في معبد « آمون » أمام (البوابة) التي كان قائما بينها وهي (البوابة) الرابعة الآن . وقد كان بدير أعمال البناء رجل عظيم يدعى « إني » وهو الذي كان يقوم لسلفه « أمنحنب الأول » بأعمال البناء كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، وسندعه يتحدث إلينا عما أنجزه في عهد « تحتمس الأول » بعد أن فرغ من التحدث عن « أمنحنب الأول » فقرأ في بادئ الكلام عن أعماله يقدم بعض مدائح لسيدته فيقول :

الإله الطيب الذى يؤدّب النوبيين ، رب القوة ومبدد الأسيوين ، والذى جعل حدوده تمتد حتى
قرنى الدنيا (تعبير عن نهاية الدنيا من الجهة الجنوبية) ونهايتها فى سماء « حور » والذى يؤتى له نجش
أرز الغابة مثل ما يؤتى له نجش مصر ، والذى بأقى إليه النوبيون يحملون جزيتهم ، مثل ما يحمل له دوم
الفتين ، وسكان الرمال يحملون إليه جزيتهم مثل ما يؤتى إليه بجزية الوجه القبلى والوجه البحرى ، وهى
التي يقدمها جلالتة الى والده « آمون » فى « طيبة » كل عام ، وتوكل إليه هذه الأشياء جميعا



(٢٠) مسئلا تخمس الأول وحتشبوت

لأنه ملاّ ظله منى (وثق بنى) ولذلك رقيت أميرا ، ومدير شونة ، وحقوق القربان كانت تحت إدارتى ، وكل المباني القيمة كانت جميعها تحت رعايتى ، وقد أشرفت على المباني الأثرية العظيمة التى أقامها فى الكرنك فقد أقام قاعة العمدة الفائرة بأعمدة على هيئة سيقان البردى ، وكذلك أفتت أبراج (البوّابين) العظيمتين بالقرب منها مستعملا حجر «عيان» الأبيض الجليل ، وكذلك أقام عمدة الأعلام الفائرة أمام المعبد من خشب الأرز من أحسن خشب المدرج (يعنى جبال سواحل لبنان) ونهايتها من السام ، ورأيت كيف كان يقام موسى بالذهب ، ورأيت كيف كان يقام الباب العظيم المسى «قوى منظر آمون» وكان مصراع بابه العظيم من نحاس وآسيا وصورة الإله التى عليه (أى المصراع) من ذهب ، ورأيت كيف أقيمت السلطان العظيمان أمام مدخل المعبد من الجرانيت الأحمر ، ورأيت كيف بنيت السفينة الفائرة التى طولها مائة وعشرون ذراعا ، وعرضها أربعون ذراعا لينقل عليها هاتان السلطان (من محاجر أسوان الى طيبة) ، وقد أحضرنا صحبتيين لم تمس بسوء وأزلتا فى الكرنك ، ورأيت كيف حفرت البحيرة التى حفرها جلالته على الجانب الغربى للدينة وغرست جوانبها بكل أنواع الأشجار البهيجة ، وأشرفت على كيفية حفر قبر جلالته ، وكنت وحيدا ولم يره إنسان ، ولم يسمع به أحد ، وكنت أنا الذى أبحث عن الصالح لذلك ... فى عمل دائم (يقصد القبر) ، وكان رأسمى يقظا للبحث عن كل مفيد ، ووضعت ملاطا من الطين على جدران مقابره ليرسم عليها ، وهذه الأعمال لم تعمل منذ الأزمان الفائرة قط . وقد أنجزت ما كلفت بعمله هنا كما يجب ... سور لها ؛ أدت للثلف (كل مفيد) ، وكان ذلك ما يرغب فيه قلى ، وميزنى كانت فى العلم ، فلم ألتقى تطلبات منى ، ومدحت بعلبى بعد السنين التى وصلت بها إلى ما أنجزت (من عمل) وقد قدت ... لأنى كنت أقم الأعل لكل أعمال البناء ، وثبت قدمى فى القصر ، وكافأتى جلالته بالعبيد وكان دخل من مخازن بيت الفرعون يوبا ثم ارتاح الفرعون من الحياة وصعد إلى السماء بعد أن أتم سنى عمره فى حياة راضية .

مسلات تحتتمس الأول : استعرض « انثى » فى هذا الجزء من تاريخ حياته كل ما قام به «تحتتمس الأول» من أعمال البناء والتعمير فى معبد «الكرنك» ، ولا تزال مسلة من المستلين اللتين أقامهما منصوبة فى مكانها ، أما التى فى الشمال فقد رآها السائح « بوكوك » قائمة فى زمنه ، وهى الآن ملقاة على الأرض ، ويبلغ ارتفاع المسلة الجنوبية ٦٤ قدما ، وقاعدتها مربعة أقدام مربعة ، ويبلغ وزنها ١٤٣ طنا ، وعمودها الأوسط قد نقش عليه من الجهة الشمالية والجهة الجنوبية ألقاب الفرعون . أما النقوش التى على جانبها الشرقى والغربى فتحدثنا عن إهداء المسلة . وهاك الإهداء :

الجانب الغربي : « حور : الثور القوى محبوب « ماعت » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى
« عا خبر كارع » صورة « آمون » أقامه (الأثر) بناية أثر لوالده « آمون رع » سيد الأرضين ، وقد
أقام له مسلتين عظيمتين فى الجهة الأمامية للعبد وصنعت قتهما الهرمية من السام » .

الجانب الشرقى : « حور : الثور القوى الذى تحبه آلهة العدل ، ملك الوجه القبلى والوجه
البحرى ، صاحب العقاب والصل (نبتى) الذى يضىء بالصل ، العظيم فى قوته ، « عا خبر كارع » =
الذى انتخبه رع - وحور = الجبل السنين ، الذى ينشئ القلوب ، ابن الشمس من جسده « تحتمس
المضى بجالا ، لقد أقامها بناية أثر لوالده « آمون » رب تيجان الأرضين فى « الكرنك » وعلى ذلك فانه
منح الحياة مثل رع مخلدا » .

أما المسلة الثانية فنقوش عليها اسم « تحتمس الثالث » مما يجعل الإنسان
فى حيرة لأقول وهلة ، إذ أنه لم يتول الملك إلا بعد سنين عدة بعد موت
« تحتمس الأول » ، ولذلك أصبح من الصعب أن يفهم الإنسان كيف يمكن
أن تبقى المسلة الثانية بدون نقش هذه المدة الطويلة . ولماذا لم ينتحلها « تحتمس
الثانى » لنفسه مع أنه هو الذى خلف « تحتمس الأول » ؟ ولهذا السبب نجد أن
الأستاذ « زيتة » جعل « تحتمس الثالث » خلف « تحتمس الأول » لمدة قصيرة ،
ثم خلع عن العرش وعاد إليه فيما بعد . ولكن لا يغرب عن الذهن أن « إبنى » عاش
حتى عهد « تحتمس الثالث » ، وعلى الرغم من أنه أحضر المسلتين الى الكرنك فى عهد
« تحتمس الأول » فإن من الجائز إقامة إحدهما وإبقاء الأخرى لمقاة على الأرض
دون نقش كما حدث فى المسلات التى جىء بها فيما بعد الى أن أخذ فى إقامتها لما
تحتاج تلك العملية من عناء كبير فى عهد تحتمس الثالث . ولا يبعد أن « إبنى » كان
مكلفا بهذه العملية ، وأنه قد تكلم عن موضوع إقامتهما معا على الرغم من أن واحدة
منهما أقيمت بعد الأخرى بعد سنين ، ويوجد جزء من مسلة فى جزيرة « إلفنتين »^(١)
وهو البقية الباقية من مسلتين عظيمتين كان من معا إقامتهما حوالى نفس الوقت

في معبد هذه المدينة، إذ يقول النقش الذى بقى : « لقد صنع هذا بمتابة أثر لوالده
« خنوم » (إله الفنتين) فقد قطع له مستلطان من الجرانيت بمناسبة عيد
التلاتينى الأول » .

ومن الجمل التى تلفت النظر فيها جاء على لسان « إثنى » قوله عن قبر الملك !
« وأشرفت على كيفية حفر قبر الملك ، وكنت وحيدا ، ولم يره أحد ولم يسمع إنسان به » .

وهذه الجملة تشعرا بالتكم المائل الذى كان يتخذ عند حفر قبر الملك ، وذلك لأن
العصر المرتبك الذى سبق عصر الأسرة الثامنة عشرة ، والأسرة السابعة عشرة كانت تنهب
فيه قبور بعض الملوك ، ويسرق ما فيها من الذهب ، والمجوهرات . ولا بد من أن
الفرعون « أمنحتب الأول » كانت في ذهنه هذه الفكرة عند ما نحت قبره في الصخر
الى عمق بعيد ، وفصل بينه وبين معبده الجنائزى ليكون بآمن من خطر اللصوص .
وقد قلده « تخمس الأول » في حفر مقبرته بعيدا عن عين اللصوص وانتخب
مكانا لمدفنه في الركن الجنوبي من الوادى العظيم المشهور الآن باسم « وادى مقابر
الملوك » وقد كان في ذلك الوقت واديا قاحلا لم تمسه يد إنسان . وقد نحت لهذا
القبر باب صغير مفلاة في إخفاء مكانه ، هذا الى أنه نحت نحتا خشنا بحيث
لا يفرى العين ، فكان بمتابة بحجر في سفح الصخرة لا يكاد يزيد ارتفاعه عن قامة
رجل متوسط الطول ، بعد ذلك يختار الإنسان عدة درجات تؤدى الى حجرة مربعة
مقطوعة في الصخر ، ومن ثم عدة درجات تتحد من هذه الحجرة مؤدية الى حجرة
الدفن التى يرتكز سقفها على عمود واحد في وسطها ، وقد كانت جدرانها مغطاة
بملاط من الطين الذى ذكره « إثنى » في وصفه ، وكان يوجد فيها تابوت من حجر
الكوارتسيت أى الحجر الرمل ، لتوضع فيه الجثة ، ولم يبق من هذا التابوت
إلا بعض قطع^(١) .

على أن نشاط هذا الفرعون في أعمال التعمير لم تقتصر على معبد الكرك الذى وصفه لنا « إثنى » مهندساه وصفا رائعا ، بل نجد له آثارا عظيمة في طول البلاد وعرضها ، مما يدل على مقدار ما أصاب البلاد من التخريب في عهد الهكسوس ، وبخاصة في المباني الدينية . وقد كانت أول ماوجه إليه عنايته بعد الكرك الإصلاحات التى قام بها فى معبد « العرابة المدفونة » الذى كان يهتم به كل ملك مصرى قريبا . وقد وجد له فضلا لوحة خلد عليها أعماله الطيبة التى عملها فى هذا المعبد المقدس للإله « أوزير » واللوحة موجودة الآن بمتحف القاهرة^(١) .

وماك نص اللوحة :

مستشارو الملك يمتدحون تقريره فى توجيه منابته لمعبد أوزير :

ما أضلم هذا لإدخال السرور على قلوب الشعب ، وما أمتع هذا لوجوه الآلهة عند ما تتم آثار الإله « أوزير » أرى عند ما تقضم الإله « ختى أتنى » (اسم من أسماء أوزير) الإله العظيم الأزل ، الذى رعى مكانه « آتوم » والذى جعله ظلياً أمام ... والذى عمرت الأرض لحبه ، والذى يخدمه ملوك الوجه القبلى والوجه البحرى ، منذ أن عمرت هذه الأرض . إنك ملك ، وإنك مع ولدت ، وإنه أنجبك من سوداء قلبه لتعمل ما عمله على الأرض ، ولتجدد محاريب الآلهة ، ولتخلف معادهم ، وإنك صاحب الذهب ، والفضة ملكك ، و« جب » إله الأرض يفتح لك عما فيه (من كنوز) والإله تن (رب المادون) يهب لك ما يملك ، وكل البلاد الجبلية تخضع لك ، وكل البلاد السهلة تحت تصرفك ، وكل الأجار الثمينة محبوسة على يديك ، ولا يوجد حقا من يقول لك لا . مرتجدا ، وما ترغب فيه نفسك يحدث لا محالة .

الملك يكلف وزير المالية أن يقوم بإيجاز العمل :

وأصدر الملك الأمر الى وزير المالية أن يشرع فى العمل ، وعلى ذلك أرسل صناع المعبد كل صانع ماهر من طاقته ، وأحسن من فيهم من خدمهم العاملين بالطلعات ، والمدرب فما قبله والذى لا يتعدى ما كلفه . وتم صنع الآثار لوالده أوزير ، ونبت تماثله الى الأبد ، وقد كان صنعه متينا وسرياً جدا دون أن يراه أحد أو يلمسه ، ودون أن يعرف صورته أحد ، وكذلك صنع له القارب الذى يحمل على الأعناق المسى « ونس قنور » (حامل جمال الإله) من الفضة والذهب واللازورد ، والنحاس الأسود ، ومن كل الأجار الأخرى الثمينة .

الملك يقدم للمعبود آتت لهينة ويهتم بالقربان التى تقدم بانتظام

وقد أوقفت عليه موائد قربان معها أوان كثيرة ، وصاجات « سخم » وصاجات ششت ، وفلامنيت ، وهبانر ، وأوانى تى ، وقربانى موجودة هناك فلم أمنها ولم أمتنع عن تقديمها .

تجديد قارب الله المقدس الذى يسبح فيه :

وصنعت له القارب « نشت » القنار ، من خشب الأرز الحقيقى من أحسن المذرجات (أى جبال لبنان) ، وكانت مقدّمة ومؤخرة من معدن السام ، لجعل القيسان فى عيد عند ما يقوم برحله فى عيد إقليم « بقر » (وهو الإقليم الذى فيه قبر أوزير المقدس) .

الملك يأمر بإقامة تماثيل الآلهة الأخرى التى تعبد فى هذا المعبد :

وأمر جلاتى بخت تماثيل لتاسوع الأعظم الذين فى العرابة ، وأن يذكر كل باسمه ، وهم « خنوم » رب « حرور » (الشيخ عباده الحالية) الذى يقطن هنا ضيفا ، و « خنوم » رب الشلال ، وهو ضيف العرابة ، والإله « نحت » مرشد الآلهة ، وساكن « حست » والإله « حور » ساكن « لينوبوليس » وحور المتقم لوالده ، والإله « وبوات » رب الوجه القليل ، والإله « وبوات » رب الوجه البحرى ، ويجب أن تصنع تماثيلهم سرا وتكون فاترة ، وأن يكون حامل كل إله من معدن السام ، وأن يكون صنعها آمن من صنعها من قبل ، وأن تكون أنغم مما عمل فى الساء ، ونخيفة أكثر من تصميم العالم السفلى (دوات) ومحترمة أكثر من سكان المحيط الأبدى (نون) .

لهذا فعل الملك كل ذلك

لقد عمل جلاتى كل هذا لأجل والدى « أوزير » لأنى أحبه أكثر من كل الآلهة الأخرى ليقبلى اسمى ، وتقدم آثارى فى بيت والدى « ختى آمنى » رب العرابة مخلدا أبدا .

الملك يأمر كهنة المعبد أن يحيوا ذكراه كما يجب :

اسموا أنتم ياها الآباء المقدسون القائمون على هذا المعبد ، وأنتم ياها الكهنة المظهرون ، وأنتم ياها المرتلون ، وأنتم ياها الكهنة « اميواست عا » وياخمة المعبد أجمعين ، قدموا القربان لهرى ، وقربوا الى مائدة قربانى « وحافظوا على آثار جلاتى ، اذكروا اسمى وتذكروا لقبى ، وقدموا الهدايا لتماثيلى ، وعظمووا صورة جلاتى ، وضعوا اسمى فى فم خدمكم ، وذكراى عند أولادكم ، لأنى كنت ملكا فاترا يستحق ما يفعل له (من القربان) وكنت شجاعا جديرا بأن يذكر اسمه بحسب ما فعلت على هذه الأرض ، وكما تقولون أنتم حقا ، وليس فيما تشهدون كذب ولا مبالغة .

الملك يعلن الأعمال الطيبة التي عملها في معابد مصر والتي عملها في البلاد جميعها :

لقد أقت آثارا للكلمة ، ونفخت محاريبهم للمستقبل ، وجعلت معابدهم ثابتة الأركان وأعدت ما كان قد تهدم ، فعلت أكثر مما عمل في الأزمان السالفة ، وجعلت الكهنة يعرفون واجباتهم ، ولقد أرشدت الجاهل إلى ما لا يعرفه ، وعملت أكثر مما عمله الملوك الذين كانوا قبلي ، وكان الآلهة في غبطة في عهدي ، ومددت حدود أرض مصر إلى ما تحيط به الشمس ، وجعلت من كان في خوف منتصرا ، (أى أن المصرى الذى كان يمشى مكسورا الجناح مهضوما الحق في عهد الهكسوس أصبح الآن يمشى وهو المنتصر القوى) وأبعدت ذلك الفزع عنه ، وجعلت مصر السيدة ، وكل أرض أخرى عبيدا لها ، كما يفعل إنسان مفرد يحب « آمون » وابن إله الشمس من جسده ، والمحبيب إليه « تحتمس » الذى يسلم مثل « رع » والذى يحبه « أوزير » « خنتي أمتي » الإله الأعظم رب العرابة ، وحاكم الأبدية ، الذى منح الحياة والثبات والسعادة والصحة ، وقد ظهر بوصفه ملكا للوجه القبلى والوجه البحرى على عرش « حور » صاحب الأحياء وقلبه فرح مع قرينته مثل « رع » مخلدا .

مغزى هذه اللوحة : وتدل ظواهر الأمور على أن هذه اللوحة قد أقيمت في « العرابة المدفونة » بعد انتهاء الفرعون من حروبه في السودان وآسيا . إذ نجد فيها ما يشير إلى ذلك ، ولا غرابة فقد كان ديدن الملوك من قبله ومن بعده أن يقيموا للآلهة العظام الذين وهبهم النصر في ساحة القتال المباني العظيمة اعترافا منهم لهم بالجحيل على مساعدتهم ، وكذلك ليظهر الفرعون ما فعله لبلاده ، وما يرجو منهم أن يفعلوه له مكافأة واعترافا بالجحيل .

والواقع أن هذه اللوحة مفعمة بالمعلومات العظيمة عن حالة البلاد في ذلك الوقت مما جعلنا نترجمها هنا برمتها . فنرى أولا أن الملك قد جمع مستشاريه وحادثهم فيما يريد القيام به في معبد الإله « أوزير » بالعرابة المدفونة ذلك البلد الذى كان الكعبة التى يحج إليها كل مصرى غنيا كان أو فقيرا ، لزيارة الإله « أوزير » الذى كان أعظم الآلهة في أعين الشعب المصرى وملوكه في عهد الدولة الوسطى ، وفي الدول التى تلت ، بوصفه إله الآخرة ، التى كان يرجو كل مصرى أن ينال فيها مقاما محمودا مثل « أوزير » . ولذلك فإنهم خاطبوا الفرعون

بقولهم : إنه بعمله هذا وهو تجديد ما خربته يد الدهر في معبد هذا الإله يدخل السرور على قلب الشعب المصرى ، وبخاصة ملوك مصر فإنهم منذ الأزل كانوا ولا يزالون خداما لهذا الإله العظيم بوصفهم أولاده مثلما كان حورابنه . فالملك بإقامة هذه الآثار ، وصنع أئامته نال مساعدة كل الآلهة بما لديها من كنوز ومال ونشب ، وعلى ذلك أمر الفرعون باستخدام أمهر الصناع ، لإعداد المعبد بكل ما يلزمه على أن ينفذ له ذلك وزير ماليته ، وقد كان أهم ما صنع له تمثاله وقاربه اللذان يستعملان في الاحتفال بعيده ، كما كان يفعل منذ قديم الأزل في المكان المعروف باسم « بقر » وهو المقتر الذى يزعم القوم أن فيه دفن أوزير بالعرابة المدفونة . على أن الفرعون لم يكتف بصنع تمثال « أوزير » وحده بل أصدر الأمر بعمل تماثيل لتاسوع الآلهة الذين كان « أوزير » على رأسهم ثم يذكروننا الفرعون بعد ذلك السبب الذى من أجله عمل كل هذا للإله « أوزير » فيقول لنا إنه كان يحبه أكثر من كل الآلهة لأجل أن يخلد اسمه في العرابة ، ولأن « أوزير » هو إله الآخرة الذى سيكون مصير تحتمس إليه في العالم السفلى ، ولذلك طلب الفرعون من الكهنة فضلا عن ذلك أن يحجوا اسمه ، ويقدموا له القربان ، وأن يجعلوا أولادهم من بعدهم يحجون ذكر الفرعون حتى تبقى على مدى الدهور ذكراه مثل « أوزير » ثم إنه يذكركم بأنه كان ملكا شجاعا دافع عن بلاده ، وأنه ليس فيما يقوله كذب أو افتراء ، ولذلك يذكركم بما قام به من جليل الأعمال في أرض الكنانة فيقول : « إنه قد أقام المباني الأثرية الدينية للآلهة في طول البلاد وعرضها ، وأنه أصلح ما خربه الهكسوس في زمن محنة البلاد ، فهو بذلك قد عمل أكثر مما عمله أى ملك قبله ، هذا إلى أنه جعل الكهنة يعرفون حدودهم وواجباتهم وعلم الجاهل ما يجب عليه ، ثم ينتقل إلى ما قام به من الفتوح العظيمة المنقطعة المرين : » فيقول لقد وسعت رقعة أرض مصر ، فجعلتها تشمل كل ما يحيط به قرص الشمس ، وبذلك أصبح من كان يمشى خائفا وجلا مزعجا من

المكسوس وطفانهم يمشى مرفوع الرأس لأنه أصبح الفائز المتصر على ذلك العدو الذى طرد من البلاد وجعل مصر سيدة العالم، مهية الجانب فى كل المعمورة ، وبعد أن كانت خاضعة ذليلة أصبحت كل البلاد المتمدنية عبيدا لها ، ذلك هو « تحتمس الأول » أو بعبارة أخرى ابن القمر الذى أضاء مصر وجعل نورها يمتد من الشلال الرابع إلى أعلى دجلة والفرات .

وعلى الرغم مما صرح به « تحتمس » بأنه أقام مباني كثيرة للآلهة فإننا حتى الآن لم نثرله على آثار فى الوجه البحرى ، ومصر الوسطى . أما فى مصر العليا فنجد له غير ما ذكرنا عدة مباني ، ففى « نبت » القريبة من « نقادة » أعاد بناء معبد الإله « ست » ، وقد عثر على قائمتى باب وعتب منه وهى مصنوعة صنعا جميلا^(١) ومن المحتمل أن تصميم بناء معبد الدير البحرى كان قد وضعه مهندسو « تحتمس الأول » وإن كانت كل الرسوم والأشكال قد عملت فى عهد ابنته الملكة « حتشبسوت » وفى دير المدينة وجدت لبنات طبع عليها طفراؤه (L. D. III, Pl. 17. ff.) . أما فى الدير البحرى فقد أقام معبدا من أهم المعابد التى أسست فى عهد أسرته ، وقد حدث فى نقوشه تغييرات عدة مما يدل على الأحفاد العظيمة التى كانت بين أولاده وأحفاده (L. D. III, Pl. 27, 2) . غير أن « ويمول » يقول : إن الذى أقام هذا المعبد هو « أمنحوتب الأول » ، وأن « تحتمس الأول » نسبه لنفسه^(٢) ، وقد دلت أعمال الحفر على صدق ذلك .

ووجد له فى « ابريم » محراب صغير قطع من الصخر ، ويشاهد الملك منقوشا عليه بين الإله « تحوت » والآلهة « ساتيت » معبودة الشلال^(٣) . ويشاهد فى « سمنه » و« قة » عند الشلال الثانى أن هذا الفرعون أخذ فى إعادة بناء بعض الأجزاء المتهدمة

(١) راجع : Petrie, "History", Vol. II, P. 65

(٢) راجع : Weigall, "Guide", P. 244.

(٣) راجع : Champollion, "Letters", (Ed. 1868) P. 114.

فيها ، وذلك لما كان لها من الأهمية لحماية الحدود منذ عهد الأسرة الثانية عشرة ويشاهد في « سمنه » قائمة بالهدايا التي كانت تقدم للاله « آمون » وفي « قة » يلاحظ أن النقوش التي نقشها هذا الفرعون قد اغتصبها « تحتمس الثاني » .

وقد ذكر اسم هذا الفرعون على بعض مقابر طيبة .^(٣) هذا وقد عثر له على بعض قطع من الآثار منها تمثال جالس من حجر الديوريت بالججم الطبى تقريبا في متحف « تورين » ، وكذلك يوجد له قطعتان من تماثيل ملفتان حتى الآن في « الكرك » أمام القاعة الواقعة خلف (البوابة) الخامسة كما يقول « بترى »^(٥) هذا إلى بقايا تمثال ضخم أمام (البوابة) السابعة عند الطرف الغربى ، وقد نصبه « تحتمس الثالث » في السنة الثانية والأربعين من حكمه . أما الجمارين فقد عثر له على كثير منها في صور مختلفة ، ونخص بالذكر منها جمرانا نقش عليه طفراؤه ، واسم « حشيسوت » وقد سميت فيه ابنة « رع »^(٦) . وهذا الجمران يحتمل أنه عمل في عهد اشتراكها في الملك مع والدها قبل وفاته بقليل كما يقول « بترى »^(٨) .

أمرأة الفرعون تحتمس الأول : لم تكن أم « تحتمس الأول » كما ذكرنا من قبل من نسل فرعونى بل كانت على ما يظهر من عامة الشعب ، وقد جاء ذكرها في المنشور الذى أصدره « تحتمس » عن توليته الملك كما سبق ذكره^(٩) . ولم نثر على اسمها ثانية إلا في نقشين : أحدهما في الدير البحرى حيث نجد لها ممثلة

(١) راجع : L. D. III. Pl. 47c.

(٢) راجع : Ibid. Pl. 59a.

(٣) راجع : Champollion, "Notices", P. 501 & 519.

(٤) راجع : Lanzone, Catalogue of Turin, 1374.

(٥) راجع : Petrie, "History", II, P. 69.

(٦) راجع : Melanges d'Arch. Egypt. Maspero. I. P. 46.

(٧) راجع : Louvre Mus.

(٨) راجع : Gauthier, L. R, II. P. 221.

(٩) راجع : A. Z. XXIX, (1891) P. 117.

وقد ذكر اسمها مع صورتها ^(١) . وكذلك على هرم صغير لموتل الملكة المسمى « تتي » وهو محفوظ الآن بمتحف « أشموليان » ^(٢) بأكسفورد .

وكان لتحتمس زوجتان : إحداهما شرعية وهى « أحمس » ، ويحتمل أنها بنت الملك « أحمس الأول » وأخت « أمنحتب الأول » . وقد ولدت له الأميرة « حتشبسوت » وفى هذا خلاف ، والزوجة الثانية هى « موت نفرت » التى أنجبت له « تحتمس الثانى » كما سنرى . وكان لتحتمس الأول أولاد آخرون من زوجات أخرنخص بالذكر منهم « أمنحتب » وكان يشغل وظيفة كاهن ، وقد عثر على قبره فى شيخ عبد القرنة (راجع . Urk IV. P. 105.) .

وقد جاء فى نقوشه ما يأتى : « الكاهن المطهر بكر أولاد الملك « عا خبر كارع » أمنحتب الذى وضعته أمه « تحوتى ستى » وكان أمنحتب هذا له أسرة ، إذ قد تزوج فى حياة والده » وقد بق لنا بعض مناظر من قبره ، منها مناظر صيد الطيور ، والتزهة فى الحقول مع زوجه وأولاده (راجع . Urkunden, IV. P. 107. ff.) .

وكذلك كان له ابن آخر يدعى « وازمس » وقد عين رئيس الوزارة « أمحتب » للقيام على تربيته هو وإخوته ، وقد عثر على قطعة من الحجر منقوشة من معبد هذا الأمير الذى مات على ما يظهر وهو صغير السن (راجع . Ibid, P. 108.) ، وقد جاء عليها ... ابن الملك « وازمس » ولكن ينبغى أن يكون عمدة الحاضرة ورئيس الوزراء « أمحتب » هو المشرف على تربية أولاد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « عا خبر كارع » لأن مكانته عظيمة جدا . وكذلك أشرف على تربية هذا الأمير وأخيه « أمن مس » وهو ابن ثالث حاكم « نخبى » (الكاب الحالية) المسمى « باحرى » (راجع . Ibid. 110.) .

(١) راجع : "The Temple of Dier El Bahri". P. 12 — 14. &

El Bahri", Part. I. Pl. XIII.

(٢) راجع : Newberry, P. S. B. A., Vol. XXVII, (1905) P. 102, No. 60.

وقد مثل الاثنان على جدران قبر هذا الحاكم جالسين على حجره . وقد مثل الأول في قبره على لوحة واقفا وراء والده « تحتمس الأول » . أما الثانى وهو « أمن مس ، فقد عثر له على قطعة من إناء في منطقة أهرام الجيزة كتب عليها ما يأتى : « السنة الرابعة من حكم الملك « تحتمس الأول » ذهب بكر أولاد الملك الذى كان قائدا أعلى لجيش للزعة ليرتج عن نفسه » . هذا كل ما وصلنا من هذا النقش ، وهو يذكرنا بقصة الحلم التى دونها « تحتمس الرابع » على لوحته المشهورة أمام تمثال « بو الهول » والواقع أن الأمراء فى عهد الأسرة الثامنة عشرة كان لزاما عليهم أن يزوروا (بو الهول) ، ويقوموا بالصيد والقنص هناك قبل توليهم الملك ، والظاهر أن أول من ابتدع هذه العادة هو هذا الأمير أو أحد الأمراء الذين جاءوا قبله ، وستفصل القول عن ذلك فى حينه . ومن تاريخ هذه اللوحة نفهم أن « تحتمس الأول » كان قد تولى الملك وهو فى سن الكهولة تقريبا ، أى كان فوق الخامسة والأربعين على الأقل ، ومات وهو فى سن الستين تقريبا ، وقد دفن فى القبر الذى أعده له « إبنى » مدير أعماله ، غير أن جسمه قتل بعد ذلك بوضع ستين إلى قبر ابنته « حتشبسوت » الذى أعدته لها ولوالدها كما ستكلم عن ذلك فيما بعد . وبعد اقضاء قرون عثة على ذلك نقل الكهنة كل الموميات الملكية التى بقيت إلى خبيثة الدير البحرى وقد وجد جسم هذا الفرعون من بين أولئك الملوك وهو الآن بالمتحف المصرى فى تابوته المصنوع من الخشب .

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد « تحتمس الأول »

بحرى : يعد « باحرى » من أعظم رجال عهد « تحتمس الأول » وقد كان أول ظهوره فى مدينة « الكاب » مسقط رأسه ، وألقابه كالاتى : « حاكم نخب » ، وحاكم « دندرة » والمشرف على الأراضى الزراعية فى الجنوب من أول « اسنا » حتى « نخب » (الكاب) ، والكاتب الماهر ، وحاسب الجبوب ، والمشرف على كهنة

« نخب » ، والمقرب لدى سيده ، والمشرف على الكهنة ، والحارس الوحيد على ممتلكات سيده ، والمعروف لنفسه بقلبه ، وكذلك كان يلقب « مربى » ابن الملك « وازمس » .

ومن ذلك نعلم أن هذا العظيم كان من أكبر رجال الدولة إن لم يكن أعظم أمير فيها في هذه الفترة . ولا غرابة في ذلك فإن أمراء « الكاب » كانوا منذ الأزمان القديمة موالين للبيت المال ، ولذلك بقوا يحملون ألقابهم الوراثية . وقبر « باحرى » يعد من أكبر المصادر التي يمكن للباحث الحصول منها على معلومات طريفة ، تكشف لنا النقاب عن نواح عدة من الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية في هذه الفترة التي بدأ يسطع فيها نجم ملوك الأسرة الثامنة عشرة في داخل البلاد وخارجها ، ولذلك آثرنا أن نفصل القول عن محتوياته بعض الشيء لما يشمله من مناظر طريفة ووثائق هامة تكشف النقاب عن كثير من حياة القوم ، ونبتدئ هنا بلوحته الجنازية التي ترك لنا عليها نقشا دينيا يعد من أهم المصادر عن ديانة القوم في هذا العهد ، وبخاصة لأنه يقدم لنا نوعا جديدا من الوثائق التي كان يدونها عظماء القوم من هذه الأسرة في مقابرهم : ونبتدئ اللوحة هكذا :

الصيغة الدينية : « قربان يقر به الملك لآمون رب عروش الأرضين ، وملك الأبدية والملك سيد الريشتين العظيمين المنفرد بين من سبقه والعظيم ، رأسن الأزليين والذي خلق الناس والآلهة والهبب الحى يخرج من المحيط الأزل (نون) ويمنع الناس النور (مثل) « نخب » البيضاء صاحبة « نحن » (الكوم الأحمر) ربة السماء ، وربة الأرضين ، وللاله « أوزير » « ختى أمتى » سيد « الأرض العظيمة » (اسم مقاطعة طيبة) وللاله « حنحور » ربة الصحراء صاحبة القلب القوى بين الآلهة وللاله « بتاح سكر » رب « شبت » وللاله « آنوبيس » رب « روستاو » (جبانة الجيزة) وللتاسوع الأكبر ، وللتاسوع الأصغر ألف من الخبز والجلعة والثيران والأوز ، وألف من القربان والمأكولات وألف من المشروبات والخضر وكل ما ينبت على ظهر الأرض ، وألف من كل شئ جميل طاهر ، تقدم أمام رب الأبدية ، وكذلك يقدم خبز « سنو » مما يخرج أمام الإله ، ولبننا مما يقرب على مائدة القربان ، وماء (١) مكان معبد الإله « سكر » إله الموتى في « منف » ثم أطلق فيها بعد على معابد آلهة أخرى (راجع 150. P. V. "Dic. Geog". Gauthier) .

(١) للشرب مما يخرج من « القتين » وما فاض ... في عيد الشهر، وفي عيد اليوم السادس، وفي عيد « نصف الشهر » وفي عيد « الخروج العظيم » وفي عيد « ظهور نجم الشعرى » وفي عيد « واج » ، وفي عيد « تمحوت » وفي عيد « الولادة الأولى » الذى ولدت فيه « ازيس » ، وفي عيد « ظهور مين » وفي عيد « ظهور الكاهن سم » ، وفي عيد « وجبة العشاء » ، وفي عيد « بداية النهر » ، في السماء في أيامها (الحقيقية) من الشهر ، وفي عيد « كل يوم » .

وتوضع لك الملابس الطاهرة المصنوعة من نسيج « بقت » (نوع فاخر من نسيج الكتان) وهى الخياب المخلوطة من أعضاء الإله (٢) . وتصب لك الزيوت النقية، وتشرب المياه من حافة المائدة، وتشاركهم (أى الآلهة) في القران التى عليها لأنك شريف بين أول المدوحين لأجل أمير « الكاب » الكاتب « باحرى » المرحوم الذى يملأ قلب سيده جدا .

خطاب عن مصير المتوفى في عالم الآخرة : إنك تدخل وتخرج (من القبر)، وقلبك فرح بحظوة رب الآلهة (آمون) وتدفن دفنا جميلا بعد عمر طويل عند ماتحل الشيخوخة، وإنك تتخذ مكاتك في تابوتك، ويضلك القبر الصحراوى في الغرب، وتصير روحا حية تحصل (أى الروح) على الخبز والماء والهواء، وتحول إلى بجمة (٣) (فتكس) أو حمامة أو باشق، أو طائر كما تحب، وتصير في القارب، ولن تطرد، وتسبح في مجرى النهر . وسيحدث أنك تعيش مرة ثانية ، ولا تبعد روحك عن جسمك، وتقره روحك مع المتعين، وتحدث إليك الأرواح السامية، وتجتمع بها، وستأخذ ما يقدم لك على الأرض، وستنول على الماء، وتنسم الهواء، وتخوض فيما يحبه قلبك، وسترد إليك هناك (ثانية) ترى بها وأذاك تسمع بها ما يقال، وفك لتكلم (به) وساقاك لتتشى بها، وتحرك بذراعيك وكضخك ويكون لحك قويا، وعروقك سليمة، وليس فيك شئ خيث، ولبك معك صحيح، وقلبك معك كما كان من قبل، وإنك تصعد إلى السماء وأنت تحترق عالم الآخرة في كل صورة (نحبا)، وينادى بك يوميا إلى مائدة الإله الكاهن الطيب (اوزير) وتسلم الخبز « سنو » الذى يؤق به أمامك، وقربان رب الأرض الفاهرة (اوزير أو أنويس) : لأجل روح عمدة « نجب » وعمدة « دنرة » الذى يحسب الفلال من « دنرة » حتى « الكاب » والمرشد اليقظ والخالى من الحب الكاتب « باحرى » المرحوم .

(١) كان المعتقد على حسب خرافة قديمة أن منابع النيل هى في الشلال عند « إلتين » .

(٢) كانت الملابس التى توضع على تماثيل الإله تبدل من وقت لآخر كما يفعل بالكسوة الشريفة وكسوة الأولياء الآن في مصر الحديثة فكان يستعملها الكهنة والأهلون كما هى الحال الآن .

(٣) كان المصرى بعد الوفاة يستطيع بوساطة تعاو يد سحوية أن يتحول إلى أشكال مختلفة ويهود في صورها إلى الحياة الدنيا ، وهذا الاعتقاد لازال بقايا موحودة في مصر الحديثة كما كان يعتقد أن روحه كانت تتنج بما يقدم له من ماء وطعام وهذا أيضا اعتقاد له نظيره في أيامنا .

إنك تأكل خبز « شنس » بجانب الإله عند « السلم العظيم »^(١) لملك رب التاسوع ، وإنك تعود إلى بيتك إلى مكان إقامتك بين رجال محكمة « أوزير » العليا وتذهب للتنزه بينهم ، وتتصادق مع أتباع « حور » وتطلع وتنزل ، ولن تنكص على عقبيك ، ولن تصد عن باب الآخرة (دوات) ، ويفتح لك بابا الأفق ، ويفتح لك مزلاجا الباب بنفسهما ، وتصل إلى قاعة العدل^(٢) ، ويرحب بك الإله الذى فيها ، وتنزل فى أعماق العالم السفلى ، وتسير فى مدينة النيل (حرا) ، ويخرج قلبك بزراعتك حقولك فى أرضك التى فى حقول الغاب ، وطعامك يتألف مما عملته أنت ، ويرد إليك الحصاد بكثرة ، وترى لك حبال المرسى من سفينة العبور ، وتسمح على حسب ما يحبه قلبك ، وتخرج فى كل صباح ، وتسكن (فى قبرك) ثانية كل مساء ، وتضاء لك الشعلة لئلا إلى أن تشرق الشمس على جسمك ثانية ، ويقال لك مرحبا مرحبا بك فى بيتك هذا للأحياء ، وإنك ترى « رع » فى أفق السماء وتشاهد « آمون » عندما يشرق ، وتكون حسن اليقظة فى كل يوم ، وتمنع عنك كل الشرور فى الأرض ، وتمضى حياتك إلى الأبد سعيدا فى حظوة الإله الذى فيك ، وقلبك معك وهو لا يفشك ، وطعامك يبقى فى مكانه (الصحيح) : لأجل الكاتب « باحرى » المرحوم .

باحرى يتحدث عن سلوكه فى الحياة : يقول كنت شريفا ناهيا لسيدى وحازما لا ينسى وكنت أنهج على طريق واحدة (فقط) بعد امتناعها ، وأعرف مخارج الحياة ، وكنت أخفى الحدود فى الوثائق ، وكذلك الشاطئ^(٥) ، فيما يخص كل الأشياء الحسنة للفرعون ، وكذلك كل أمور بيت الملك (له الحياة والسعادة والصحة) فإنها مثل النيل عندما يصب فى البحر الأبيض المتوسط (أى تسير فى مجراها الطينى) وكان فى ثابته لأنه كان يعمل الخير للفرعون ، وكنت أخاف بحجز الحساب ، ولا أقصم عن الحساب ، ولم آخذ رشوة من المحاصيل ، وكان قلبى هو الذى يقودنى إلى الطريق التى يحبها الفرعون وقد جعل قلبى معروفا ، وجعلنى مبرا فى قاعة العدل [... ..] ودل على أخلاقى حتى أنى أخضعت العظاء ، وجعل [... ..] خطوتى إلى الأمام ، وجعلتنى أخلاق الحسنة أرفع ، وقد نوديت [... ..] بوصفى إنسانا خاليا من الإثم ، وقد وضعت فى كفة الميزان فخرجت منها وفى الحساب خاليا من الدين ،

(١) مكان غير معروف فى الكرنك .

(٢) أى قاعة المحكمة وكان المصرى ينظر لكل شئ من ناحيتين وهما العدالتان .

(٣) الحقول التى كان لزاما على المتوفى أن يقوم بالعمل فيها .

(٤) كان المصرى يعتقد أن الإنسان يسكن فيه الإله وينظم حياته .

(٥) أى ومثل النيل فى طريقه السلة إلى البحر فإنه يحدد الحدود والشاطئ . فتلك كان المتوفى يحدد أملاك الفرعون وشاطئه مع غزارتها .

ورحت وغدوت وطمى يحمل قس الاخلاق (لم يتغير)، ولم أطلق كذبا على أى إنسان آخر لأنى أحرف الإله الذى فى جوف الناس، وإنى أعرفه، وأفرق بين هذا وذاك (الخير والشر)، وأنجز الأمور على حسب الأوامر، ولم أغير رسالة مرسلها، ولم أطلق بألفاظ العامة، ولم أبليغ عن أناس لا يجب التبليغ عنهم، وكنت مثالا للطفية، وإنى إنسان ممدوح خرج من بطن أمه ممدوحا حاكم «نخب» «بارى» المرحوم الذى أنجبه مربى ابن الملك الكاتب «آتف ترى» المرحوم الذى وضعت ربة البيت «كاسى» المرحومة.

باهرى يطلب إلى قارئى نقوش قبره أن يدعو له بقربان :

يقول : «استمعوا اتم يا من فى الوجود، إنى أتحدث إليكم بدون كذب، يا أيها الأحياء والموجودون وأتم يا أيها الرجال العظام الذين على الأرض، وأتم يا أيها الكهنة المطهرون وزملائهم، وكل كاتب فى يده لوحة كتابة، وكل مدرب على كلام الإله (أى على اللغة المصرية)، وكل فرد ممتاز بالنسبة لمروسيه، وصاحب فم عال فى عمله . إنكم ستكونون ممدوحين من «رع» رب الأبدية، ومن «نخبت» اليضاء صاحبة «نخن» ومن كل الآلهة الذين يعملون القرد سعيدا فى وظيفته، (كان لكل وظيفة إلهها الخاص لها، وقلبك يطلب المتوفى أن يدعو له إله على حسب وظيفته)، ويرغب فى أن يرثه أولاده فى وظيفته، إذا قرئتم قربانا يقدمه الفرعون على حسب ما جاء فى الكتب، وكذلك تمويذة خروج الصوت كما كان يقول الأولون وكما كان يجب أن يخرج من فم الإله، وإن كل إنسان يلقى يده (أى مقدما قربانا) سيحصل على الصل بذلك، ويفعل كما يجب على حسب القانون ... فى هذا الأمر الكتابى : ألف لك من الخبز وألف لك من الجبة، ومائة ألف من كل شئ. جميل مما يقرب وما يصب «يا أوزير» حاكم «نخب» وحاكم «إستا» ليشرح قلب المشرف على النظام فى سياحته إلى الجنوب (التفتيش) الكاتب المساهر فى الحساب «باهرى» المرحوم .

ما يطلبه «باهرى» من القراء لا يكلفهم شيئا ، وما يستخى

هو أن يكافئوا عليه فى عالم الآخرة :

إنى أتحدث إليكم، وإنى أجلسكم تعرفون أنها قراءة بدون قصد، فليس فيها ذم ولا حماء. وإنها ليست شجارا مع آخر، ولا استغلال فرد وقع فى حرج مؤقنا، بل إنه حديث لذيق لتسلية لا يشبع القلب من سماعه، فهو نسيم الفم، ولا يؤكل، ليس فيه إجهاد ولا نصب وإنه لخلولكم عند ما تسمعون، وتستجدوننى عندما آتى إليكم، وطالما وجدت فى أرض الأحياء هذه ولم يشك منى إله، ولقد أصبحت روحا تام العدة، وحقا لقد أعددت مكانى فى الجبابة ونعى حاجاتى من كل شئ، ولم أتركها لتعمل لى (أى القربان) حقا حقا إن والده ذلك المتوفى المبجل هو الذى قرب له القربان وإنه لا ينسى من يقدم له الماء، وإنه لحسن أن يستمع إليه.

ولسنا في حاجة الى الإشارة الى ما جاء في نقوش تاريخ حياة هذا الرجل العظيم من معلومات على جانب عظيم من الأهمية من الوجهة الدينية والحلقية في هذا العهد، على الرغم مما تنطوى عليه عباراته من مبالغات يمكن معرفتها بدون كبير عناء ، ومع ذلك فإننا نستخلص من هذه المبالغات نفسها أمورا عدة عن حياة القوم :

المنابر الاجتماعية والخاصة في مقبرة « باحرى » : (انظر اللوحة رقم ٢١)
تحتوى مقبرة « باحرى » على مناظر عدة عن حياته الخاصة وحياته الحكومية ، وكذلك على مناظر جنازية عامة ، وهذه المناظر قد شغقت لحسن الخط بنقوش مفسرة لما مما جعلها ذات مزايا عظيمة ، وبخاصة لأنها تلتقي بعض الضوء على حياة القوم اليومية وأعمالهم بما فيها من فكاهات ومداعبات حلوة قل أن نحصل عليها في وثائق تلك الأزمان السحيقة ، ففي منظر نشاهد « باحرى » يتبعه خدمه حاملين ملابسهم ونعاله وكرسيه والمعدات التي تلمزمه ، وتقول لنا النقوش عن هذا المنظر : إنه فخص أعمال فصل الصيف وأعمال فصل الشتاء ، وكل الأعمال التي أنجزها في الحقول عمدة « نخب » وعمدة « دندرة » وهو الذى يشرف على الحقول في أراضى الجنوب الكاتب وحاسب القلال « باحرى » المرحوم .

ويلحظ في المنظر أن عربية « باحرى » تنتظره ، غير أن أحد جواديهما نفذ صبره ، وأراد أن يرمى لساقيه العنان فوبخه السائس قائلا : قف ولا تتحرك ، ولا تكن عاصيا أيها الجواد الممتاز ، يا أيها (الأمير) الذى يحبه سيده ، ومن يفخر به الحاكم « باحرى » أمام كل إنسان .

ويشاهد أمام « باحرى » منظر الزرع والحراث فيرى محراثان تجرهما ثيران على حسب المعتاد ، غير أننا نشاهد محراثا ثالثا يجره أربعة رجال بالحبال والعمال الذين يحرقون بالمحارث التي تجرها الثيران يقولون : « إنه يوم جميل يشعر فيه الإنسان بالنسيم ، والثيران تحرث ، والسماء تعمل على حسب ما ترغبه قلوبنا . دعنا نعمل لهذا الشريف (Taylor, "The Tomb of Pahari at El-Kab," PI. III - VII) وكذلك نرى حراثا ينادى رفيقا له يسير أمامه قائلا : أسرع أيها

القائد إلى الأمام بالثيران تأمل ! إن الأمير واقف ينظر إلينا « مما يشعر — كما هي الحال الآن — أنهم لا يعملون إلا إذا كان صاحب العمل منتبها إليهم مراقبا إليهم . وفي نفس المنظر نجد رجلا يحطم قطعاً من الطين بفأسه ، وينادى رفيقه الذي يعمل معه قائلاً « يا صديق أسرع في العمل حتى تنتهى في وقت مبكر » ، غير أن ذلك يحفظ زميله فيجيبه قائلاً : « إنى سأعمل أكثر من العمل الذى يجب أن أعمله للشرىف فالزم الصمت » .

أما العمال الذين كانوا يحرقون المحراث فإنهم كانوا مرحين ، إذ أن « باحرى » عندما كان متجها نحو النهر مارا بهم ، حضهم على الإسراع في عملهم فأجابوه : إننا نفعل ذلك ، انظر إلينا لا تخف على حقول الغلال ، إنها حسنة جدا .

وقد أجاب على ذلك الحوَّاث المسن قائلاً : « حقاً إن مقالك مدهش جدا يا بنى ، فإن السنة طيبة خالية من الأمراض ، وكل أعشابها جيدة ، والعجول فيها ممتازة أكثر من أى شىء .

أما القمح الذى قد نضج فكان يحصده عمال بمحشاتهم وخلفهم امرأة وطفل يلتقطان ماترك خلف الحصادين ، في حين تشاهد امرأة ثالثة تحمل سلة وبعض الخبز . ويلحظ أن أحدهم ينادى الحصادين قائلاً « أعطنى حزمة ؟ انظر سنأتى في المساء فلا تعد لشع البارحة ، تحمل عنه اليوم » (أى اترك لنا بعض السنبيل نلتقطه اليوم) . وفي نهاية حقل الحصاد توجد مظلة صف فيها أوان للشرب على قواعد من الخشب ، ويشاهد اثنان منها خارج المظلة يروح عليهما خادم بمسروحة من عسف النخل لتحفظ برودتها . وبعد ذلك يحمل القمح المحصود فى سلال كبيرة معلقة فى قضبان ومحمولة على الأكاف للدرس ، وهنا يرى « باحرى » يقبض بيده على غصن ، ويأمر حاملى السلال بالإسراع خوفاً من الفوضان الذى كان يهدد الحقول قبل حصد الغلال منها . ثم يسمع عامل وهو عائد ليأخذ حملاً جديداً يقول بصوت عال ، « ألم أحمل القضبان طول اليوم كرجل ؟ وهذا ما أحبه » .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن النعمة التي كانت سائدة في هذه المحادثات نعمة صرح تدل على الجدد والإخلاص، وهذا المرح بعينه نجده في الدولة القديمة، وقد عبر عنه في أغنية حاملي المحفة (راجع كتاب الأدب جزء ٢ ص ٢٢٣) .

وبعد ذلك يفرغ العمال السنبلي في مكان الدرس حيث تدوسه الثيران، وهناك يرى صبي يعمل بمكنسته باستمرار ليحفظ السنبلي^(١) في مكانه .

أما العامل الذي يسوق الثيران في دوراتها التي لا تتقطع فكان يغني وهو ماش !
« ادرسي لنفسك ، ادرسي لنفسك يايتها الثيران ، ادرسي لنفسك ، ادرسي لنفسك فإن الثبن لطفك ،
والفلة لأسياذك ، ولا تجعل قلبك محمد فإن الجو بارد » .

ثم يذرى بعد ذلك القمح ويكالم ويوضع في المخازن ، ويشاهد كاتب جالس على كومة عالية من الفلال مسجلا ما يكالم ويخزن وهو « تحوئي نقر » ؛ ويشاهد كذلك هنا حصد الكنان . وذلك أن شجيرات الكنان كانت تنتزع يجذورها ويزال عنها ما علق بها من طين ثم تحزم السيقان وتحمل إلى رجل مسن جالس تحت شجرة حيث يتزع منها البذور بألة كالمشط الضخم ، ويخاطب الولد الذي أحضره الحزم قائلا : « إذا أحضرت لي تسما وإحدى عشرة ألف حزمة فإني أنا الرجل الذي أفصلها كلها »
غير أن الولد يجميه بوقاحة غير محترم سنه المتقدم قائلا : « أسرع لا تكن ثنارا ياأيها العامل القدر » .

وفي منظر آخر يشاهد « باحري » يعمل بيديه فيجلس على كرسي وأمامه أدوات الكتابة يدقون حساب الحيوان الذي كان يساق أمامه ، والنقوش المفسرة لهذا المنظر تقول : « حساب عدد القطعان بواسطة أمير « دندرة » والمشراف على حقول بلاد الجنوب المحبوب لدى سيده ، من أول بيت « حنحور » حتى « الكاب » الكاتب « باحري » . ومن ذلك نعلم أنه كان يدير أملاك الفرعون من « دندره » حتى مدينة « الكاب » ويلاحظ أن الماشية التي كانت تخصي هنا كانت تشمل ثيرانا وبقرات وعجولا وحميرا وماعزا وجداء وخنازير . وقد كانت بعض هذه الماشية نائمة على الأرض لتكوى ،

(١) هذه المناظر تشاهد حتى الآن في قرى الوجه البحرى التي لم تدخلها الآلات الحديثة للحراث والزرع والدرس .

ويشاهد أمام « باحرى » أخوه المسمى كذلك « باحرى » ويلقب بالكاتب . ويرى « باحرى » كذلك فى منظر آخر جالسا فى مقر وظيفته يتقبل الذهب من رؤساء البلاد الجبلية ؛ وقد كان يقدم إليه فى هيئة حلقات ويوزن أمامه ويدون أخوه « باحرى » قيمة كل وزنة . وقد فسر هذا المنظر بما يأتى :

تسلم ذهب رؤساء أهل الجبال ، تسلم الجزية من رؤساء أهل هذه البلدة بيده المدير اليقظ الذى لا يكل ، والذى لا ينسى ما هو مكلف به الأمير « باحرى » المرحوم » (راجع Urk. IV. P. 126) .

ثم نرى « باحرى » يسير إلى شاطئ النهر على قدميه حيث يقرب ثخن السفن المحملة بالفلال المستحقة لمخازن غلال الحكومة ، وتقول النقوش عن ذلك : « ثخن السفن بالقمح والشعير » . ويقول العمال : هل سنمضى طوال اليوم فى حمل القمح والشعير ؟ إن المخازن مفعمة والأكرام تفيض على حافاتها ، والسفن قد شمنت شمتا ثقيلا ، والقمح يفيض منها ومع ذلك فإن السيد يحضن على السرعة ، تأمل ! فهل صدورنا من برز (١) (أى لا تكل) .
و يلحظ أن البحارة الذين فى السفن يميلون إلى جنب ويملثون أوانيهم للشرب .

وكل المناظر السالفة تحدثنا عن حياة « باحرى » الرسمية ، وهناك مناظر أخرى تبحث فى حياته الخاصة ، وتصبغه بوجهه ، فنجد فى منظر يلحظ سير العمل فى ضياعه الخاصة ويتسلم محاصيله ، وكذلك نجد مع تلميذه الصغير الأمير « وازمس » الذى يجلس على حجره معطيا إياه هدايا بمناسبة يوم عيد ، والنقوش تحدثنا : ابتهاج القلب بكل شيء ، والراحة ، وتسلم الهدايا ، والتعب « لتخب كاو » بواسطة مربى الأمير ، « وازمس » الحاكم « باحرى » . (Naville Ibid. Pl. IV.)
والواقع أنه يشاهد أمام « باحرى » والأمير أطفال محضرون ... وقربان ، وكل أنواع الأزهار فى صباح السنة الجديدة (كما تحضر بعض الأطفال فى أيامنا هدايا لبعضهم فى العيد) .

(١) هذه هى الشكوى التى نجدنا من أصحاب رموس المال فانهم يريدون أن يتزوا كل مجهود العامل لكثرة الانتاج ولذلك يقول العامل : هل صدورنا من نحاس أى لا نحس ، ولذلك يريد السيد أن يجعلها تعمل باستمرار .

ولابد أن « باحرى » كان على وئام مع أقاربه وأصحابه ، إذ نشاهد والدى زوجه وأقاربه كلهم مجتمعين على مائدته فى يوم عيد رأس السنة الذى كان يعد من أعظم الأعياد ، ولذلك يلحظ أن منظر الوليمة الذى نشاهد فيه كل الأقارب تحتل مكانة عظيمة فى رسوم مقبرته (Ibid. Pls. VI, VII.) ؛ غير أن هذه الوليمة قد جمعت بين مناظر الدنيا ومناظر الآخرة فىرى « باحرى » هو وزوجه جالسين على أريكة ربط فى أسفلها قرد أليف يأكل من سلة فاكهة ، والظاهر أنه كانت توجد أمام « باحرى » وزوجه مائدة قربان غير أنها محيت فيما بعد على يد مفتصين ، ويشاهد ابنهما « أممس » الذى كان يرتدى جلد فهد واقفا أمامهما يمثل دور الابن المحبوب لوالديه (كاهن) بعد موتها ، ، وذلك بتقديم القربان مما يرمز على أننا أمام وليمة جنازية لا تشاهد إلا فى مثل هذه الأحوال ، وإن كانت تمثل ما يحدث فى عالم الدنيا حقيقة .

وأمام « باحرى » وزوجه مائدة جلس إليها رجل وزوجه ، وعلى المائدة مالد وطاب من طعام وأكاليل وأزهار وزجاجات نبيذ ، وهذان هما « أحسن بن أبانا » المشهور وزوجه « إبوتى » . وعلى مائدة أخرى يشاهد « اتف ترى » وزوجه « كم » وهؤلاء هم أجداد « باحرى » ووالداه ، وخلف أولئك نرى أقارب « باحرى » وأصدقاءه جالسين على بساط يأكلون ويشربون الخمر ويشمون الأزهار .

ومن طريف ما يشاهد فى هذا المنظر أن سيدة تسمى « سات آمون » (بنت آمون) قد رفعت يدها امتناعا عن قبول قدح نبيذ قدم لها ، غير أن الساقية لم تأخذ هذه الإشارة علامة على الرفض وقالت : لحضرتك ، اشربى حتى السكر وافرحى ، واصنى لما تقوله رفيقتك ، لا تضحى من تناول (الخمر) . ولكن ابنة عمها المجاورة لها لم تعبأ بمثل هذه الترهات فتنادى الساقية : قدمى لى ثمانية عشر قدحا تأمل !

إنى أحب أن أشرب حتى أثل ، فإن جوفى جاف كالحشيم . راجع Naville, Ibid P. 25. Pl. VII) ومن الضريب أننا نشاهد الساقيات يلححن على الضيفان

في تناول الخمر فتقول لإحدها: «اشربين لا ترفضن ، إني لن أترككن» ، وتقول أخرى ، « اشربين لا تمكن صفو الوليمة ودعن الكأس يأتى إلى ، تأملن ! فإنه دور الأمير أن يشرب الآن » .

والظاهر من ذلك أن صاحب الوليمة كان لا يعد نفسه سعيدا إلا إذا ثمل كل ضيفانه . على أن هذه الوليمة لم تكن لتقتصر على احتساء بنت العنب بل كانت في نواحيها طائفة من المغنين والموسيقين والراقصات .

ويمكن القول من صور أقارب « باحرى » المثلة على جدران قبره أنه قد دون أسماء ستة أجيال من أسرته ابتداء من جدّ والديه حتى أحفاده .

ولا نزاع في أن أمثال قبر هذا العظيم يعد تحفة لكل مؤرخ يريد أن يبحث في الحياة المصرية من أى ناحية أراد، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن أمثال هذا القبر المحفوظ قليل جدا (أنظر اللوحة رقم ٢١) .

رعى : يوجد قبر هذا العظيم في جبانة « شيخ عبد القرنة » (رقم ١٢٤) ، وقد كان مزينا بمناظر عتة ولكن لم يصلنا منه إلا بعض قطع في حيازة مستر « مند » يشاهد فيها الكهنة يقومون بشعيرة دينية . وقد كان يحمل الألقاب التالية : مدير بيت الإله الطيب « تحتمس الأول » وكذلك لقب « مدير مخازن رب الأرضين » وكلا اللقبين من أهم ألقاب الدولة (راجع ، Gardiner and Weigall, "Catalogue", (No. 124.) .

سائب إحو : كان يحمل الألقاب التالية : عمدة طينة بالقرب من (العرابة المدفونة) والأمير الوراثي والحاكم ، والمشرف على كهنة « طينة » . وقد كانت زوجته كذلك من الشخصيات الهامة : إذ كانت مرضعة للملكة المستقبل « حتشبسوت » ، فكانت تحمل لقب مرضعة الملكة « حتشبسوت » ، وقد جاء ذكرها في مقبرة زوجها (راجع . Urk. IV. P. 517.) . ولا شك في أن المرضعات الملكيات كن ذوات نفوذ

عظيم في البلاط ، ولدينا عدد عظيم منهم ذكروا في نقوش الأسرة الثامنة عشرة ،
 ويلاحظ أنهم كن أمهات لموظفين عظام في الدولة ، ولا غرابة في ذلك فمن المحتمل
 أن بعضهم كن ينتخبن من أسر كريمة ، فضلا عن أنهم كن يخلقن بحكم
 مركزهن جوا من المحبة بينهن وبين الأمراء والأميرات الذين ربوا في حجورهن .
 وسنرى ما كان لذلك من تأثير في وظائف الدولة وسير الأحوال فيها عند الكلام
 على النظام الحربى . وقد أقام « ساتب إحو » قبرا له هو وزوجه في « العرابة
 المدفونة » وجد له فيه تمثال جالس وهو الآن في مجموعة جامعة « بتسلفانيا
 (راجع Maciver and Mace, "El-Amrah and Abydos," Pls. XXXII-XXXIII) .

وقد خرب هذا القبر في عهد الأسرة الخامسة والعشرين ، وعثر فيه على أشياء
 دخيلة ؛ غير أنه وجدت فيه لوحة لموظف يدعى « إن حرمس » يحمل لقب
 « المشرف » على مخازن « طينة » من عهد « تحتمس الثالث » ، ويحتمل أنه أحد
 أعضاء الأسرة المحدثين (Porter and Moss, "Bibliography," V, PP. 67, 68) .
 سات رع : وهى مرضعة أخرى للملكة . « حتشبوت » وكانت تسمى
 كذلك « إن » وتحمل لقب المرضعة التى ربت سيدة الارضين مما يدل على أنها كانت
 تعمل في عهد حكم الملكة وليس لدينا عن هذه السيدة إلا نقوش على لوحة من
 الحجر الجيرى الأبيض محفوظة الآن بمتحف « فينا » ، ولم تذكر عليها أسماء أفراد
 أسرتها (Urk, IV. P. 241) .

نفراعح : كانت هذه السيدة مربية أخرى من مربيات « حتشبوت »
 وكانت تحمل لقب « المربية العظيمة » وكان زوجها « يوبا » يشغل وظيفة الكاتب
 الملكى التى تعد من أكبر وظائف الدولة ، إذ كان شاغلها يعد أسرار الفرعون .
 وقد كان ابنها « بوام رع » وهو أخو « حتشبوت » من الرضاعة من أعظم رجال
 الدولة الذين كانت تعتمد عليهم « حتشبوت » (كما سيأتى بعد) ، وقد رسم

في قبره (بالخوخة رقم ٢٩) المرخصة الملكية وزوجها (Davies, "The Tomb of Puyemra", Pl. 28.) وليس من الغريب أن نجد أكثر من مرخصة واحدة لإرضاع طفل واحد ، إذ علمنا أن الأطفال المصريين كانوا يرضعون إلى أن يبلغوا السن الثالثة من عمرهم (Maxims of the Scribe Ani. Erman," The Literature of the Ancient Egyptians," P. 239.) هذا فضلا عن أن لقب مرخصة كان يحمله الرجال والنساء على السواء ، كما شاهدنا في نقوش « أحسن بنخت » وفي هذه الحالة كان اللقب بطبيعة الحال يعني (مربي) ، ومن المحتمل أن بعض المرضعات من النساء كن يعملن بوصفهن مربيات للأطفال الملكيين بعد فطامهم ، وهذا ما يوحى به لقب « سات رع » .

أحسن (حومى) : عاش في عهد هذا الفرعون وكان يحمل الألقاب التالية « مدير بيت زوج الإله » ومدير مخازن غلال زوج الإله « أحسن نفر تارى » (راجع L. D. Text. III. P. 286.) وقبر هذا العظيم في « جبانة شيخ عبد القرنة » (رقم ٢٢٤) ، وليس فيه من المناظر إلا منظر وليمة عادى مثل فيه بعض أقاربه (راجع Gardiner and Weigall, "Catalogue," No. 224.)

امنحتب بن سنى تحوتى : كان هذا الموظف يحمل لقب « كاهن مطهر » ، كما كان يحمل اللقب الهام « بكر أولاد الفرعون تحتمس الأول » . وهذا مثل آخر لعدم دلالة هذا اللقب على معناه الأصلي ، وذلك لأننا نعلم من قبره في « جبانة شيخ عبد القرنة » أن والده يدعى « سنى تحوتى » . (راجع Urk. IV, PP. 105-106.) ومن بين المناظر الهامة في قبره منظر مثل فيه هو وزوجه يتسلمان هدايا رأس السنة ، ومنظر آخر وهو يقدم قربانا لوالديه ؛ ونعلم من نقوش قبره أن أخاه « نفرحتب » كان يحمل الألقاب التالية : — الأمير الوارثى والحاكم ، ورجل الملك العظيم ، والرجل الممتاز في خزانة ملك الوجه البحرى « والد الإله الرابع للإله « آمون » (لقب كاهن) (راجع Porter and Moss, "Bibliography" Vol. I. P. 184.) وكذلك الكاهن الرابع للإله آمون .

نخت : كان « نخت » أيضا يحمل لقب كاهن مطهر . وقد عثر له على تمثال في معبد « رعمسيس » الثانى فى الكرنك . ومن ألقابه أيضا « مطهر الإله خنسو » ورئيس طائفة الكهنة الأولى وكذلك رئيس الطائفة الثالثة (راجع Legrain, "Repertoire," No. 76.) .

بوى : لم يعثر لهذا الموظف إلا على لوحة محفوظة الآن بمتحف مدينة « درسدن » بألمانيا (راجع A. Z. XIX. P. 66ff.) ويلقب البانى العظيم للفرعون « تحتس الأول » وهذا يذكّرنا بالنشاط العظيم الذى قام به ملوك هذه الأسرة فى هذا المضمار ، وقد كان ابنه يحمل نفس اللقب فى عهد « تحتس الثالث » .

وسر : يعد « وسر » من مناظر قبره الذى حفر فى « جبانة شيخ عبد القرنة » شخصية غريبة ، إذ تدل ملابسه المزركشة وتألقه على نوع من الطراوة والليونة ، إذ نراه مرتديا حلة ذات أهداب بألوان مختلفة ، وممسكا بيده منديلا أحكم لفه فى يده اليمنى ، ونرى فى يده اليسرى طاقة أزهار قد افتن فى تنسيقها ، يشم رائحتها بنوع من الرخاوة (J. E. A., X. Pl. IX, P. 41.) . ويجب ألا نخدع بمثل هذا المنظر الذى يدل على الترف والإغراق فى التأنق الذى يظهر به أولئك الأفراد المنعمون فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة فإن هؤلاء المتأقين وأولادهم هم الذين ساعدوا على بناء مستقبل مصر العظيم الذى جعلها على رأس ممالك العالم ، إذ لم يكن الفساد بمعناه الحقيق قد دب فى نفوسهم ، فعند ما بدأت الامبرطورية تتحط لم يكن اللوم واقعا على أولئك المترفين فى « طيبة » أو على النسوة اللائى كن يعاقرن بنت الحان بل كان يرجع إلى أسباب أخرى .

وكان « وسر » هذا يلعب بالكاتب ومدير بيت الفرعون « تحتس الأول » . وقد تميز رفاهيته ورقته فى اللبس إلى الوظيفة التى كان يشغلها . ومن المناظر الهامة فى قبره منظر صيد ، وقد استعمل فيه العربة ، وهو من المناظر الأولى التى استعملت فيها العربة للصيد فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وهذا دليل آخر على

أنه من طيبة القوم ؛ إذ كانت العربية وفقا على الأغنياء والمياسير في هذه الفترة
• (Davies, "Five Theban Tombs", Pl. XXII. P. 23.)

وسرحات : ولدنيا مدير بيت آخر من عهد هذا الفرعون يدعى «وسرحات»
وقد جاء ذكره على لوحة أخيه في « تورين »
• (Rec. Trav. Vol. IV. P. 125.)

باك : ولدنيا مخروط نقش عليه اسم موظف يدعى « باك » ويحمل لقب
مدير البيت العظيم (Mission Archeologique Française, Vol. VIII. P. 15.)
سبك حنب : أما قصر « تحتمس الأول » فكان له حارس يسمى
« سبك حنب » كما كان يحمل لقب « حارس قاعة الإدارة » (راجع Schiaparelli,
• ("Catalogue" No. 1566.

بن إن رع : كان مراقب الماشية (راجع Mission Archeologique
• (Française, Vol. VIII. P. 64.

عابركا : كما كان « عابركا » مدير المهمات (Ibid. P. 289, 171.)

منخ : وكان للملكة كذلك مدير بيت يدعى «منخ» ؛ وقد أهدى عروبا نحت
في الصخر غرب السلسلة وقد مثل فيه مع زوجه ، وهو ابن « إتي » الذي تكلما
عنه فيما سبق (راجع Weigall, "Guide to the Antiquities of Upper Egypt,"
• (P. 368.

نحوتى بن قارى : كان هذا الموظف يلقب مدير النحاتين وله قبر في «الكوم
الأحمر» (هيرا كنبوليس) (Porter & Moss, "Bibliography", V. P. 197.)
وفيه لوحة سرد فيها تاريخ حياته على الصورة المألوفة من مدائح وصفات عظيمة
(راجع Urk. IV. PP. 130. ff.)

جاء فيها : « مدير النحاتين الذى قد حباه الإله منذ طفولته ، وهو مرشد الفرعون ، والذى يسهر على الأعمال ، ذكى الفؤاد فى عمل كل شئ. ممتاز ، ثابت الجنان بين العظماء ، ومن يذكر اسمه لصفاته (الطيبة) ، وليس فيه ما يعيبه عند سيده ، لا يخرج الإثم من فمه ، صادق الجنان بين الأشراف .

ترجمة حياته : « لقد فعلت ما يحبه الناس ، وما تمدحه الآلهة ، ليجعلوا يبقئ ببقئ إلى الأبد ، ويمكث اسمى فى فم الناس بعد سنين تمر عند ما يرى (القوم) الآثار التى ألفتها فقد بنيت لنفسى بيتا للزهة وهو بيت الجبابة ، وقد عمل الناس فيه على حسب ما يحبون ، ولم يكن هناك إنسان متذمر من العمل ، وكنت أخرج من بيوتى إلى سفيتى ، وإلى حقولى التى كنت أديرها بنفسى ، وكنت أحرث بئرانى الصغيرة السن فى حقولى التى اكتسبتها بنفسى حتى قربان الجبابة ، وإنه إلهى الذى أعطانيها ، ولقد أنجزت ما يحبه قرينى (روسى) وقد أُرشدنى إلى قبريتين ، وكنت فى حظوة رب الأرضين ، وهو الذى جعلنى فى قلب الناس حتى أصبحت ممدوحا عند الإله ، ولقد عملت ذلك لأنى كنت ذا أخلاق ممتازة . ولم ينسب لى عمل سوء عند القوم ، إذ لم أغضب من آخر متاعه . »

هذه لمحة عن حياة « تحوتى بن قارى » كتبها عن نفسه ، على الرغم مما فيها من جمل نجدها مكررة فى حياة غيره من عظماء هذا العصر ؛ إلا أننا نلاحظ فيها بعض جمل تدل على ما كانت تنطوى عليه روح هذا المثال العظيم ، صاحب الشعور المرهف ، إذ يخبرنا أنه قد كسب كل شئ يمتلكه بكده واجتهاده ، وأنه قد بنى قبره دون أن يرهق العمال فى إقامته ، بل كانوا يعملون على حسب ما يحبون ، فلم يكن هناك سبيل لذهمه ، إذ لم يتذمر أحد من العمل ، هذا فضلا عن أنه كان شقيقا على الحيوان فلم ينتخب لحوث أرضه إلا الثيران الصغيرة السن القوية البنية ، وكانت تعمل فى حقوله التى اكتسبها بنفسه حتى قبره ، كل ذلك يظهر لنا روح ما كانت عليه حالة البلاد فى ذلك الوقت . ونجد اسمه كذلك مذكورا فى بردية جنازية محفوظة الآن فى متحف « اللوفر » ، ومنها نعرف أن والده كان يسمى « قارى » وأمه تدعى « تى » (راجع Urk. IV., P. 135.) .

الفرعون تحتمس الثانى



كيف تولى الملك : ذكرنا أن « تحتمس الأول » لم ينجب من زوجه الشرعية « أحس حنت تاوى » وارثا لعرش الملك ، وأن أولاده الكبار الذين كان يرغب فى أن يتولى واحد منهم من بعده الملك قد ماتوا فى حياته ، ولم يبق له من خلفه الذكور إلا ابن واحد من زوجة غير شرعية تدعى « موت نفرت » ، وفى الوقت نفسه كان له ابنة واحدة من أخته وزوجه الشرعية « أحس حنت تاوى » وهى « حتشبسوت » . والظاهر أن « تحتمس » الأول كان يرغب فى أن يجعلها خليفته



(٢٢) مومىة الملك تحتمس الثانى

على عرش الملك ، كما تدعى هى ذلك فى النقوش التى خلفتها لنا مما سيأتى ذكره ، ولكن يظهر أن الأمور سارت على غير رغبته ، وتولى العرش « تحتمس » الثانى ابنه بعد أن تزوج من أخته « حتشبسوت » ، وبذلك أصبح توليه الملك فى نظر الشعب شرعيا لا غبار عليه . وتدل كل الأحوال على أن هذا الزواج كان زواجا رسميا يظهر أمام الشعب المصرى أن على أريكة الملك فرعوننا ، ولكن الواقع كانت « حتشبسوت » هى المسيطرة على البلاد لأنها كانت الوارثة الحقيقية للعرش . هذا فضلا عن أن « تحتمس » الثانى لم يخلق ليكون فرعوننا .

وصف تحتمس الثانى : حقا إنه كان شابا أنيقا طويل القامة ، عريض المنكبين ، غير أنه مع ذلك لم يكن قوى البنية^(١) . ويدل شكل رأسه الكبير على أنه كان أكثر ذكاء من والده المحارب العظيم . وقد كانت ملامحه تتفق مع ملامح أفراد أسرته ، فنشاهد فيها أسنان الفك الأعلى البارزة ، والذقن الفائرة بمض الشىء ، ويلحظ أنه وقت وفاته كان أصلع الرأس ، وأن الشعر الذى كان باقيا على رأسه كان شعرا مستعارا مجمدا تجعيدا مصطنعا ليظهر طبيعيا . وقد دل تجميل أطراف قدميه على أنه كان يعتنى بها اعتناء بالغا . ولا نزاع فى أن كل مظاهره كانت تدل على إغراقه فى الترف والتأنق ، كما تم على ذلك تقاسيمه التى تشعربشئ من الأنوثة ، وإن شئت فقل التخنث . والحقيقة أنه كان على النقيض من أخته وزوجه « حتشبسوت » التى كانت تدعى الرجولة فى معظم مظاهرها ، ولذا كان النفور مستحكما بينهما طوال مدة حكمه .

أول وثيقة تدل على توليه حكم البلاد : وأول وثيقة لدينا تدل على أنه تولى الحكم مباشرة بعد والده « تحتمس » الأول ما تركه لنا « إخنى » فى تاريخ حياته عن هذا الفرعون إذ يقول عند ممات « تحتمس الأول » : (راجع Urkunden IV, P. 58.) .

(١) راجع : Elliot Smith, "The Royal Mummies," P. 28 - 31.

« وقد ارتاح الفرعون من الحياة ، وصعد إلى السماء بعد أن أتم سنيه في سعادة ، ثم ظهر الصقر الذى فى العرش على العرش ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « عاخير رع » (تحتس الثانى) ، وبذلك أصبح ملكا على الأرض السوداء (مصر) وسيطر على الأرض الحمر (الصحراء) واستولى على الأرضين مظفرا . وكنت أثير الفرعون فى كل أما كته ، وما فعله لى كان أعظم مما عمله لى من سبقه ؛ وفى عهده وصلت إلى سن الشيخوخة الموقرة ، وكنت فى حظوة جلالة كل يوم ، فأجلس على مائدة الملك ، وأكل من خبز إفطار الفرعون ، وأشرب من جعته ، وكذلك كنت أتمتع باللحم السمين والخضر وأنواع الفاكهة المختلفة ، والشهد والفطير ، والنخرو وزيت الزيتون ، وكان الكل يسألون عن أحوالى راجين لى الصحة والحياة ، لأن الملك نفسه كان لى يسألنى عن أحوالى وصعد إلى السماء ، وانضم إلى الآلهة » .

فى هذه الفقرة من تاريخ حياة « إبنى » نعلم علم اليقين أن « تحتس الثانى » هو الذى تولى العرش مباشرة بعد وفاة والده « تحتس » الأول ، أما ما يقال من أن « حتشبسوت » أو « تحتس » الثالث هو الذى تولى الحكم بعد « تحتس الأول » ، فنقول لا يرتكز إلا على أسباب ظاهريّة ، قد خلفها التطاحن على عرش الملك فى عهد ^(١) التمامسة .

منزلة « إبنى » عند تحتس الثانى : ومع هذا التحقيق التاريخى الذى تركه لنا « إبنى » فى هذه المسألة المويضة قص علينا كذلك حياته مع هذا الفرعون ومكانته فى القصر الملكى ، ووضع لنا كذلك صورة من ألوان الطعام الذى كان يتفرد به الفرعون والذى كان « لإبنى » شرف مشاركة سيده فى تناوله معه حتى فى الإفطار ، فكان يأكل فطير شمت ، ولا بدّ أنه هو نفس الفطير الذى يأكله عليه القوم وقت الإفطار مع الشهد حتى الآن ، كما كان يأكل اللحم السمين والخضر ، وأنواع الفاكهة والنخور وزيت الزيتون ، كل هذه الألوان تعدّ حتى الآن أحسن المأكولات وأشهاها وأغلاها قيمة ، وسنعود إلى « إبنى » كره أخرى عند ما يتحدثنا عن عهد « تحتس الثالث » .

(١) راجع : Sethe "Das Hatshepsut Problem noch Einmal." :
Untersucht.

محاربة تحتمس الثانى بلاد السودان : وقد كانت فاتحة أعمال هذا الفرعون إخماد العصيان الذى قام به بعض القبائل السودانية على مقربة من الشلال الثالث ، وقد حفظت لنا نقوش هذه الحملة على الصخور الواقعة على الطريق بين أسوان والشلال الأول ، وهالك ما جاء فيها حرفيا .

« السنة الأولى الشهر الأول من فصل الفيضان ، اليوم الثامن ، وذلك عندما ظهر جلالة « حور » الثور المظفر ، الشديد القوى ، صاحب العقاب والصل — صاحب المملكة الإلهية « حور الذهبى — صاحب الصور القوية ، ملك الوجه القليل والوجه البحرى — ما خبرن رع » ابن الشمس — تحتمس الجميل الطلعة على عرش حور الأحياء لأن والده « رع » حاميه ، وأمون رب عروش الأرضين يقهران أعداءه .

وصف قوة الملك : كان جلالته فى قصره ، وكان صاحب شهرة عظيمة ، وخوفه يعم الأرض وهيته فى أقاليم بحر « ايجه » (حاونوت) وكان شطرا الأرضين (أى مملكة حور ومملكة ست) تحت سلطانه ، وأقوام الأقواس التسعة تحت قدميه جميعا ، وإليه تآنى سكان سينا « منتيو » حاملين الجزية ، وبدو بلاد النوبة (انتوبرت) بسلاهم (التى فيها أتاواتهم) وحدوده الجنوبية قد وصلت حتى قرن الأرض ، وحدوده الشمالية حتى آخر العالم ، وأسبأ أصبحت من رعايا جلالته ، فلا يصد رسوله أراضى الفنسخو .

إعلان قيام ثورة فى بلاد النوبة : وجاء من يخبر جلالته أن بلاد « كوش » الخاسنة فى طريقها إلى الثورة ، وقد كانوا رعايا رب الأرضين يفكرون فى إعلان العدوان ، وقد كان الثوار على وشك أن يسرقوا المصريين ، وذهبوا للاستيلاء على قطعان الماشية التى كانت خلف الحصون ، التى أقامها والدكم فى حملته المظفرة ، ملك الوجه القليل ، والوجه البحرى « تحتمس » الأول عاش نخلدا ، ليصد البلاد الأجنبية النائرة ، وهم بدو النوبة أهل « خنت حن نفر » - وهو أمير يقطن شمالى بلاد كوش الخاسنة ، وقد أرسلت الأسرى للساعدة ، ومعهم اثنان من بدو بلاد النوبة من أبناء أمير « كوش » الخاسنة ، وهما اللذان فرا أمام رب الأرضين فى اليوم الذى قام فيه الإله الطيب (الملك تحتمس الأول) بمذبحة ، وكان من جراثمها أن قسمت هذه البلاد خمسة أجزاء ، وكان ابن كل أمير يحكم جزءا ، وعند ما سمع جلالته هذا الخبر هاج كما يهيج الفهد وقال جلالته : إني ما دمت حيا ، وما دام « رع » يحبنى ، وما دام والدى رب الآلهة ، وسيد تيجان الأرضين يرعاني فإني لن أدع واحدا من رجالهم يعيش ، وسأجعل الموت يحل بينهم .

الثورة تنفض وتعود المياه إلى مجاريها :

وأرسل جلالة جيشا عرمرما إلى بلاد النوبة للسرعة الأولى ليثن حربا لإخضاع كل من أعلن الثورة على جلالة ، والذين عصوا سيد الأرضين . وقد وصل جيش جلالة إلى « بلاد كوش » الخاصة ، وقد كانت شهرة جلالة هي القائدة لهم ، والخوف منه جعل طريقهم حرة ، وعلى ذلك هزم جيش جلالة أولئك الأجانب ، دون أن يفقد واحد من رجالهم جيمًا وذلك حسب أمر جلالة ، عدا واحد من أبناء « كوش » الخاصة سبق حيا أسيرا ، ومعه أهله إلى حيث كان جلالة ، ووضعوا تحت فعل الإله الطيب ، ثم ظهر جلالة على العرش المدرج ، عند ما جرى بالأسرى الذين ساقهم جيش جلالة ، ومن ثم أصبحت هذه الأرض تابعة لجلالة كما كانت من قبل . وعندئذ هلك المديون المصريون ، وفرح رجال الجيش ، وابتهلوا بالدعاء لرب الأرضين ، ومجدوا هذا الإله الممتاز بما تستحقه إلهيته . وقد وقع ذلك لما لجلالة من الشهرة ، وذلك لأن والده آمون يحبه أكثر مما أحب أى ملك آخر منذ أن وجدت هذه الأرض — ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « تحتمس الثانى » الذى وهب الحياة والنبات والسعادة مثل رع مخلدا .

أهمية هذه النقوش : وهذه النقوش فى الواقع تكشف لنا عن حقائق عدة : أولا يظهر أن أهل بلاد « كوش » كانوا يعلمون بأنه كان يوجد خلاف على تولية العرش ، وأنهم قد اتهموا هذه الفرصة وأعلنوا العصيان ، وقد ظن الأستاذ « زيته » أن « حتشبسوت » التى خلعهما هذا الملك من العرش ، هى التى أرسلت الجنود الأسرى لمساعدة الثورة على الملك « تحتمس »^(١) الثانى وذلك عند ما يقول المتن ، وأرسل الأسرى للمساعدة . ورأى « زيته » أن هذا يجذب الفكرة القائلة : إن « حتشبسوت » تولت الملك أولا ثم خلعت منه كما سيبنى تفصيل ذلك .

ثانيا : نعلم أن الفرعون والده « تحتمس الأول » كان قد أقام حصنا عند الشلال الثالث ، وأن البلاد على ما يظهر كانت قد قسمت خمسة أقسام تحت إدارة خمسة من أولاد الأمراء ، هرب منهم اثنان وأصبح مكانهما خاليا . ولا يبعد أن هذا التقسيم قد حدث فى عهد « تحتمس » الأول . وتدل شواهد الأحوال

على أن الملك لم يرافق هذه الحملة ، بل يحتمل أن الفرعون قد قابل الحملة في عودتها عند الشلال الأول ، والظاهر أنها قد قطعت المسافة ذهابا وإيابا في مدة خمسة أسابيع ، وبخاصة أن الفيضان قد جعل المرور في الشلال أمرا يسيرا ، ولا يبعد أنه قد جمع حاشيته في « أسوان » ، حيث قابل هناك رجال جيشه يسوقون إليه الأسرى . وما يذكّر بهذه المناسبة أن الملك « مرنرع » أحد ملوك الأسرة السادسة قد عقد مجلسا لحاشيته في صحراء أسوان منذ ألف سنة مضت ، وربما كان ذلك الحادث سنة اتبعها الفراعنة من بعده . وما يلاحظ في نقوش هذه اللوحة أيضا أن الفرعون أعلن في بداية كلامه أنه كان صاحب شهرة عظيمة ، وخوفه منتشر في الأرض ، وهيبته في أقاليم بحر « ايجه » انخ مما يدل على أنه كان يريد أن يسير على نهج والده الذى سلمه إرث ذلك الملك الواسع ، ركنه على ما يظهر كان ضعيف الأخلاق سهل القياد ، مما جعل زوجه « حتشبسوت » تجعله طوع بئانها ، إذ لم يمض طويل زمن حتى جعلته ياتمر بأمرها ، وأصبحت هى صاحبة الحل والعقد في البلاد .

النقوش الأخرى التى تشير إلى حروبه فى السودان وسوريا :

وقد عثر على اسم هذا الفرعون على قطع من الحجر فى جبل بركال عند الشلال الرابع مما يشعر بأن فتوح مصر قد امتدت إلى هذه النقطة ^(١) فى عهده . وكذلك وجد « نافيل » نقوشا مهشمة جدا من عهد هذا الفرعون فى الدير البحرى يظهر أنها تنسب إلى حملة قام بها « تحتمس » الثانى إلى سوريا غير أنها مهشمة جدا ، وغير مرتبط بعضها ببعض ، مما جعلنا نعرض عن إثباتها هنا . وذكر لنا « أحسن بنخبت » حربا أشعل نارها هذا الفرعون على البدو (شاسو) الذين يعيشون على الحدود

(١) راجع : Wilkinson, "Thebes", P. 472.

(٢) راجع : (Naville, "Deir el-Bahari", Vol. III, P. 80).

السورية فيقول : وتبع الملك « عاخذ رع » (تحتس الثاني) وأسرت في أرض « الشاسو » عددا عظيما من الأسرى الأحياء لم أعدهم^(١) .

وفي واحة الفرافرة التي تقع على بعد ٢٠٠ ميل غربى أسبوط يوجد نقش ذكر فيه اسم « تحتمش الثاني » يشعر بأن هذا الفرعون قد أخضع القبائل اللوبية التي تسكن في هذه الواحة ، والواحات الأخرى الواقعة في الصحراء الغربية .

والظاهر مما وصلنا حتى الآن من الآثار أن « تحتمش » الثاني لم يقم بأية حروب أخرى غير التي أشرنا إليها .

مباني تحتمش الثاني

وقد قام بأعمال التعمير والمباني التي تركها والده من غير أن تتم في معبد « الكرك » ، بل يحتمل أنه نحت تماثيل لنفسه وأقامها هناك . ومن المدهش أنه لم ينحت اسمه على المسلة الثانية التي تركها والده خالية من النقش بعد أن أحضرها إلى « الكرك » وقد يعزى ذلك لعدة أسباب : منها أن هذه المسلة ربما لم تنصب عدة سنين ، وذلك لأن المباني الأخرى التي كانت قائمة على قدم وساق في هذا المعبد قد حتمت تأخير نصبها في مكانها مؤقتا ، وبخاصة أن ذلك كان يحتاج إلى مجهود جبار .

ثانيا . إن الجلاء الذي كان بين الملك وبين « حشيشوت » قد يكون حائلا في اتحاليها لنفسه وبخاصة أن الملكة كانت متفانية في حب والدها ، وآثاره كما سنرى بعد .

وثالثا يحتمل أن المسلة كانت تعد في نظر الملوك أثرا يقام بمناسبة العيد الثلاثيني ، وأن « تحتمش الثاني » لم يحتفل لنفسه بأي عيد من هذا النوع لأنه لم يكن قد أتم مدة الثلاثين سنة اللازمة للاحتفال بهذا العيد ، لأنه لم يحكم أكثر من

عشرين سنة ، ولم يعترف به ولى عهد من قبل لللك قبل توليته العرش ، ولذلك فإنه لم يقطع مسلات لنفسه ، ولم يتحل المسلة الثانية التى أحضرها والده من « أسوان » بل نصبها « تحتمس الثالث » ، واتقطها لنفسها فى عيده الثلاثينى . وهذا ما يظن أنه قد حدث ^(١) .

وقد بدأ « تحتمس » الثانى إقامة (البوابة) الثامنة ، وكُتب جزء من نقوش المدخل ، وكذلك نحت لنفسه تماثيلن نصبا أمام هذه البوابة ، هذا بالإضافة الى أن عددا من حجرات هذا المعبد قد تم نقشها فى عهده ^(٢) .

وفى مدينة « هابو » تدل النقوش على أن هذا الفرعون قد أضاف بعض المباني للمعبد الذى أقامه فى الأصل « أحمس » الأول ، واتحله لنفسه فيما بعد « تحتمس » الأول ، وفى معبد الأمير « وازمس » فى طيبة عثر على قطع من تماثيل كتب عليه السنة الثامنة عشرة من حكم تحتمس الثانى (A. S., I. P. 99.) وهذا التاريخ غاية فى الأهمية لأنه يبرهن لنا على أن ما قاله « مانيتون » من أن هذا الملك حكم عشرين عاما يقرب من الحقيقة .

والظاهر أنه أقام بعض المباني فى « اسنا » إذ وجد عمودان هناك نقش عليهما اسمه ، واحد منهما عليه ألقاب ، واسم الابن المحبوب من الالهة « ساتت » ^(٣) . أما الثانى فقد اغتصبه لنفسه « رعسيس » الثانى ، وهو جزء من مسلة ، وقد ذكر عليه الإلهين « تننت » ، و « متو » ^(٤) . ومن المحتمل أن هذين العمودين قد نقلتا من معبد « طود » المقابلة « لاسنا » على الضفة الثانية للنيل . وذلك لأن اسمها ذكر على كل منهما .

(١) راجع : Weigall, "History," II. P. 286.

(٢) راجع : Petrie, "History," II. P. 76.

(٣) راجع : Pierret, "Rec. d'Inscription," P. 3.

(٤) راجع : Ibid. II. P. 43.

آثار في معبد قفة : وقد ترك لنا على معبد قلعة « قفة » نقوشا على بابه قام بتدوينها حاكم السودان (سنى) الملقب بابن الملك . والظاهر أنه وضع اسمه بدلا من اسم والده : وهالك النص :

على المصراع الأيسر : دونها بتطغ الملك عمدة المدينة الجنوبية ، والمشرى على مخازن غلال « آمون » وابن الملك ، ومدير البلاد الجنوبية « سنى » والذي يسيطر على كل بلاد المازوى لأنه كان رجلا ممتازا في قلب جلالة ملك الأرضين له الحياة والسعادة والصحة .

على المصراع الأيمن : التبدل لاله « خنوم » ، وتقيل الأرض أمام ضرب حتى عنان السماء ، وحتى عرض الأرض ، وحتى قرار البحر ، على يداي الملك ، المشرى على البلاد الجنوبية « سنى » يقول : الحمد لك هكذا يقول لك آلهة الأفق ، ويتضرع لك حاكم النجوم ، ويرغب من شأنك تاسوع الفيضان العظيم (الفيضان العظيم هو المحيط في صورة بقرة) كل يوم أبد الآبدين . (راجع Urkunden IV. P. 141. ff.)

وفي « سمنه » نجد اسم « تحتمس » الثاني مع والده في نقش مدون فيه قائمة عطايا للإله « آمون » على الجدار الأمامي للمعبد (راجع L. D, III. Pl. 47c.) . ووجد له لوحة يحتمل أنها من معبد « هليو بوليس » نقش عليها ألقابه (Urkunden IV, P. 144.) . وتوجد عدة آثار أخرى مختلفة ذكر عليها اسمه ، منها لوحة لشخص يدعى « باخن » يقدم قربانا لهذا الملك وهي محفوظة في متحف تورين ، كما نجد اسمه في النقش الذي خلفه « بنعاتى » مدير الأشغال على منحور شط الرجال (راجع Petrie, "Season", P. 476.) . وقد نحت « تحتمس » الثاني تمثالا لوالده « تحتمس » الأول وهو محفوظ الآن بمتحف « تورين » وقد جاء عليه : « الإله الطيب رب الأرضين » « اخبرن رع » محبوب « آمون » معطى الحياة مخلدا ، صنعه (التمثال) بمثابة أثر لوالده « تحتمس » المشرق مثل الشمس المرحوم^(٢) . وكذلك أهدى لوالده تمثالا كشف عنه في معبد الأمير « وازمس » أحد أولاد تحتمس الأول .

(١) راجع : Lanzzone, "Catalogo Generaie dei Musei di Antichità : Regio Musco di Torino", 1458.

(٢) راجع : Urkunden IV, P. 143.

وقد نقش عليه ما يأتى : « الإله الطيب رب الأرضين » « ماخبرن رع » منه بمثابة أثر لوالده الزوجة الملكية ، ووالدة الملك المرحومة « موت نقرت » . هذا وقد أقيم في عهده معبد فى « بوهن » (وادى حلفة) ، وقد ظهر هذا الملك على جدرانته هو و « حتشبسوت » فى مرتبة واحدة من الأهمية ^(١) . وفى عهد هذا الفرعون بدأ يظهر فى أفق الحكومة المصرية « نب آمون » الذى كان يلقب الأمير ، والحاكم اليقظ الذى لا يعرف الملل ، مدير قاعة الفرعون (أى إدارة الموظفين) المرحوم « نب آمون » . وقد كان له مكانة عظيمة فى عهد تحتمس الثالث .

تحسن الأحوال بين تحتمس الثانى وحتشبسوت فى أواخر أيامه : والظاهر أن الجفاء الذى كان بين « حتشبسوت » ، وتحتمس الثانى أخذت تقل حدته وحل محله بعض الود والمهادنة ، وبخاصة فى أواخر أيام هذا الفرعون الذى كان يمتاز بضعف البنية ، وخور الإرادة ، ولا نعلم سببا لهذا الجفاء إلا ادعاء « حتشبسوت » أنها هى الوارثة الشرعية للملك ، وأن أخاها دخيل على العرش . والظاهر أن سبب هذا الود والصفاء الذى ظهرت بوادره بينهما أن « حتشبسوت » لم تكن قد أنجبت بعد ولدا ليكون وارثا لعرش البلاد ، ولم تكن رزقت من « تحتمس » الثانى إلا ابنة واحدة وهى الأميرة « نفرو رع » التى وضعتها فى أول عهد هذا الفرعون ، ولذلك أعيدت أوامر الزوجية بينه وبينها رجاء أن تنجب ولدا يتولى عرش مصر ، ولكن الأقدار جاءت على عكس ما أرادت ووضعت أنثى سميتها « مريت رع حتشبسوت » . ومن الغريب أن الآثار لم تحدثنا عنها قط فى أول الأمر ، وبذلك ضاعت آخر فرصة على « حتشبسوت » العالمة فى إبقاء الحكم فى يد ابن لها .

تحتمس الثالث والعقبه فى تولية الملك :

وكان الملك « تحتمس » الثانى بلا شك قد أنجب أولادا آخرين من زوجات أخريات . ولكن من بين هؤلاء كان له ولد يدعى باسمه وكان بارزا وهو الذى

تسمى فيما بعد « تحتمس الثالث » ، وهو من إحدى زوجات الفرعون الثانويات ولم يكن الدم الملكي يجرى في عروقها ، وكانت تسمى « إزيس » وتدل ظواهر الأحوال ، وما وصل إلينا من النقوش التي ترجع إلى عهد « تحتمس الثالث » أن والده قد نصبه ملكا على البلاد على الرغم من صغر سنه ، على أن يتزوج من أخته « نفرو رع » ، عند ما يبلغ الحلم ، ومن ثم حانت الفرصة « لحشيشوت » أن تضرب ضربتها السياسية المائلة التي كانت نتيجتها أن تولت حكم البلاد بوصفها وصية على « تحتمس » الثالث ، وابتها « نفرو رع » وبعد ذلك نفذت ما كانت تصبو إليه نفسها فأطنت نفسها ملكة شرعية على البلاد .

الموظفون في عهد تحتمس الثانى والحياة الاجتماعية

نب آمون : كان « نب آمون بن « تى رس » من أشهر الموظفين الذين عاشوا في النصف الأول من عهد الأسرة الثامنة عشرة ، إذ قد بدأ حياته الحكومية في عهد « تحتمس الثانى » واستطاع أن يتر بالماصفة التي هبت بين « حشيشوت » و « تحتمس الثالث » وبقى يعمل في خدمة الأخير . وقد كان في أول الأمر يقب الأمير الوراثة والحاكم والمدير اليقظ الذى لا يكل . ومدير ديوان الفرعون . وفك في عهد « تحتمس » الثانى .

أما في عهد « تحتمس » الثالث فكان يحمل الألقاب التالية « الأمير الوراثة والحاكم ومدير بيت الزوجة الملكية » نبتو « المرحومة . وكذلك نجده يقب « المدير اليقظ الذى لا عيب فيه : ومدير السفينة الملكية (وفي رواية أخرى السفن الملكية) ومدير المطابخ ، وأخيرا المحظوظ عند رب الأرضين ، المدوح من الإله الطيب (أى الملك) . وقبره في جبانة « ذراع أبو النجا » ، وقد ترك لنا فيه لوحة ذكر فيها صيغة القربان الذى يطلب أن تقرأ له ، ثم تكلم عن مصيره بعد الموت وتاريخ حياته الحكومية ، وأخيرا قدم رجاء للقارئ في هذه اللوحة ، وصنورد ترجمتها لأهميتها وهى :

« قربان^(١) يقدمه الملك « لآمون رع » الذى خلق كل كائن ، ملك الأبدية والملك حاكم « تاسوع الآلهة » ، وللإله « أوزير خننى أمنى » (أول أهل الغرب) ، وللإله « أنويس » رب « روستاو » ، وللإله الأزمان الأولى الذين برءوا السماء والأرض والأرض العالية (الجبابة) أبواب الطيبات والمساكولات ، والغذاء والقربان لأجل أن تبقى مائدة القربان حافلة بكل شئ طيب وطاهر بما ينزل من السماء وينبت النبل على ظهور الحقول من شراب وتبات »

حديث عن مصير المتوفى بعد الموت : « إنه يتخذ مكانه فى الثابت ، ويدفن على الأرض فى القبر الصحراوى فى الغرب ويمكث صحيحا فيه على الأرض دائما مخلدا ، الأمير الوراثى والحاكم المندوح من القرعون « نب آمون » المرحوم الذى انجبته « تحى رس » المرحوم ، والذى وضعت سيدة البيت « إيو » المرحومة ، ولأجل أن يصبح روحا حيا . ليت الخبز والماء والهواء تصل إليه ، ويتحول إلى صورة بحجة أرحامة إنك تسلم خبزا مما يخرج أمام « أوزير » وقربان رب الأرض العالية لأجل حضرة مديريت الزوجة الملكية « بنتو » وتذهب للزفة معهم ، وتنعم مع أتباع « حور » وتطلع وتنزل ، ولا أحد يعترضك ، ولا أحد يمنعك عند باب العالم السفلى والمزاج تنفرج لك من قمها ، وأنت تصل إلى قاعة العدائين ، والإله الذى فيها يرحب بك ويحملك تنزل فى داخل العالم السفلى وقبلك مبيتج بحرنك أراضيك ، وحقول الغاب (يارو) وحاجياتك توجد عما عملته ، ويأتى إليك المحصول بكثرة ، ويؤذن لك بالخروج نهارا والعودة ليلا إلى قبرك ، وتقاد لك عين « حور » هناك (أى المصباح) إلى أن تضى الشمس على جسمك كما كانت حالتك على الأرض ، وترى « رع » فى أفق السماء ، وتشاهد « آمون » تحترق الأبدية بصحة فى خطوة الإله الذى فىك ، وقد عملت لك عينك لتبصرهما ، وأذاك لتسمع ما يقال ، وفك لتتكلم ولحك حلب (أى لم يتغن فى القبر) وعروقك جيدة ، وأنت تتمتع بكل أعضائك ، ويوضع لك الخبز والماء على الموائد كل عيد ومن يقدم لك قربانا بعد يوم الدفن سيعطى الحقول والماشية ، وينعش بالماء ويمنح العبيد والإماء ، ليسر قلبه عندما يقدم لى الماء ويقول ابنه ويتوارث حفدته هذا القول (لأنه لم يتحول من سيده) : إن روحى تحيا وصير نفسى قدسية ويصبح اسمى مغظا فى فم الناس ، وأطلع مع الشمس فى وقت واحد ، وسأحرق البخور فى المعابد ، وسأتبع إلهى الذى فى بلدنى إلى « زسرو » (الدير البحرى) إلى الأفق الغربى وسيخرج الناس إلى بطاقة زهر هذا الإله عند ما يغيب فى أفقه .^(٣)

(١) راجع : Urk. IV. P. 145. ff.

(٢) كان لكل بلدة إله محلى يتعبد القوم إليه ويحترمون له ولعل المشايخ التى لها أضرحة فى القرى والبلدان المصرية الآن صدى لذلك .

(٣) ومن ذلك نعم أن وضع طاقات الأزهار على القبور كانت عادة مصرية ترجع إلى آلاف السنين ، ونجد الطاقات موضوعة بمثابة قربان منذ عهد الدولة القديمة ، كما نشاهد ذلك فى مقبرة « دواكا » بالهيزة .

ترجمه حياة «نب آمون» : لقد منحني سيدى ملك الوجه القليل والوجه الجبرى «نخمس الثالث» المرحوم خطرات فصنى «مدير إدارة الفرعون» وقد منحني سيدى ملك الوجه القليل «نخمس الثالث» مطلق الحياة حظوة ، إذ رضى أكثر مما كنت من قبل فصنى مدير بيت الزوجة الككية «نجر» المرحومة . وقد منحني سيدى ملك الوجه القليل والجبرى «نخمس الثالث» مطلق الحياة فضلا ، فقد منحني «مدير كل سفن الفرعون» ولم يمل ما يشفىنى ، ولا يوجد اسم شئى ، ولم أقترف ظلة مع زميل ، ولقد وصلت إلى (سن) التجييل لأن كنت ممدوما عند الفرعون .

المحتوى يطلب إلى قارئه للوحة أن يتول صيغة القربان له :

اسموا أتم يامن فى الوجود ، إن ماقتة ليس فيه كذب ، وأتم يأها الأحبا يامن فى الوجود ، وأتم يأها الظلماء ، وبأها الرجال الذين على الأرض ، وأتم يأها الكهنة المظهرين ، وبأها المرتلون ، ورجال مجلس عدالة «الكرك» وكل للكتاب الذين يسكون بالواح كتابتهم ، والماسهرون فى كلام الإله ، إن «رع» رب المخلد سيد حكم ، و«أمون» الذى كان فى الأرضين منذ الأزل سبني أولادكم عندما تقولون : قربانا بقدمه الفرعون من الخبز وأقانا من الجنة ، ومائة ألف من كل شئ . طيب وطارهما يمشى . الإله لروح مدير بيت زوج الفرعون المسى «نب آمون» المرحوم بالقرب من الإله العظيم حاكم الأبدية .

مضمون هذه اللوحة :

ومن كل ما جاء على لوحة «نب آمون» نستطيع أن نكون فكرة واضحة عن عقائد القوم فى هذه الفترة ، وما كان للاله «أمون» من مكانة ، واعتقاد القوم فى إمكان رجوعهم إلى عالم الدنيا بأجسامهم الأصلية ، ولذلك كان المتوفى يعمل كل ما فى قدرته ليحصل كل أجزاء جسمه سليمة معفاة حتى يمكنه أن يخرج من القبر فى خلال النهار ويعود إليه ليلا . وكان كذلك يمتد الظلمة ، ولذلك كانت نضاه له عين «حور» وهى هنا تعبر عن مصباح ، ولكنها فى الواقع تعبر عن كل شئ طيب فى الحياة الآخرة . وكذلك نشاهد فى النص أن المتوفى لا بد أن يحاسب على أعماله فى الحياة الدنيا ، ويقف أمام «أوزير» رب الآخرة ، وهناك تلمح كل أعماله ، ولذلك نحمد المتوفى لم يعترف بأى خطيئة ارتكبها مع زميل له ، وليس له شئ من الآثام ، وأخيرا نحمد بطلب من كل ملأ على قبره أن يقرأ له صيغة القربان التى كان يعتقد أنها تنقلب إلى حقيقتها المادية بعد تلاوتها بالألفاظ . ويلاحظ أنه يفرى المسارة بأن كل من يقرأها سيناله خير

كثير ، وبخاصة لأن الآلهة سيمدحونه ويكفلون له الثراء والغنى ، وأن أبناءه سيرثونه من بعده .

ومن المناظر التي تلفت النظر في قبر هذا الموظف منظر تسلم « نب آمون » وزوجه جزية الوجه البحرى ، من خادمات (راجع Urk. IV. P. 153. ff) ولا بد أن تكون هذه الجزية هى ما كان يجبي من خراج من أرض الملك الخاصة لأن « نب آمون » كان مدير بيته .

خع أم واست : كان « خع أم واست » من أبناء الجندى العظيم « أحس بنتخت » الذين شاهدناهم ممثلين على جدران قبره « بالكاب » حيث كان يحمل لقب « ابن الملك » الأول فى « نخب » ثم ألقابا أخرى مهشمة ، وأخيرا لقب « كاهن الروح » لملك الوجه القبلى والوجه البحرى « امنحتب الأول » . (راجع L. D. III. Pl. 43b) . ومما هو جدير بالملاحظة أن لقب خادم الروح (كا) كان خاصا بالأفراد فى عهد الدولة القديمة ، وكان فى الاستطاعة أن يكون للفرد أكثر من خادم واحد من هذا الصنف ، وفى عهد الدولة الوسطى أصبح لكل فرد خادم واحد على وجه عام . أما الملوك فكان لهم كهنة يطلق على الواحد منهم لفظة « حم تر » (خادم الإله) وكان هذا الكاهن لا يخدم إلا الملك والإله فحسب ، وفى عهد الدولة الحديثة نرى أن خادم الروح (كا) كان يقوم بخدمة الملوك كما كان يقوم بخدمة الأفراد ولعل السبب فى ذلك يعزى إلى الانقلاب الذى حدث فى العهد الإقطاعى ، والمساواة الدينية المطلقة التى نشأت فى هذا العهد .

تحتوى نقر : وكان يلقب « الكاتب حاسب الغلال » ويشاهد فى رسوم مقبرة « باحرى » الكاتبة بالكاب وهو يؤدى واجباته تحت إشراف هذا الرجل العظيم ، وهو الذى نشاهده جالسا على كومة القمح مسجلا المقادير التى كانت تخزن فى المخازن . وفى مقبرة والده « سن رس » عمدة « طيبة » (شيخ عبد القرنه رقم (٣١٧) كان يلقب « الكاتب حاسب الغلال » فى مخازن قربان « آمون » المقدسة ، (راجع Porter and Moss, "Bibliography", Vol. I. P. 171.)

إبو : وهى المرضعة العظيمة التى ربت الإله (تحتمس الثالث)، وقد تزوج «تحتمس الثالث» من ابنتها «سات اع» وكانت أخته من الرضاعة ، ولذلك أصبحت تلقب زوج الملك العظيمة «سات اع» ، وهذا يدل دلالة واضحة على المكانة السامية التى كانت تحتلها مربيات الفراعنة فى هذا العهد (Urk. IV. P. 604.)

حتشبوت وتحتمس الثالث



مقدمة

تعقد الأمور بعد وفاة تحتمس الثانى بسبب وراثة العرش :
لما ارتاح الملك « تحتمس الأول » من الحياة الدنيا وصعد إلى السماء بعد أن أتم سنى حياته بقلب فرح - كما ينص التعبير المصرى على لسان مدير أعماله « إبنى » -



كان الشهب قد خضب لحينه وذهب بشعر رأسه ، ولا بد أنه قد مات محزوناً كبير القلب ، إذ قد وارى التراب ثلاثة من أنجاله الذكور في حياته ، أكبرهم « وازمس » ، وقد توفى في أوّل حكمه ، ثم لحق به أخوه « أمخس » الذى كان قائداً للجيش وولى عهده ، وأخيراً ابنة تدعى « نفروبتى » وهى ابنة زوجه الشرعية المسماة الزوجة الملكية العظيمة « أحسب حنت تامحو » أكبر بنات سلفه « امنحتب » ، الأوّل كما يدعى بعض المؤرخين ، وبنت أحسب الأوّل على أشهر الأقوال كما سنبرهن على ذلك بعد وقد عاشت « أحسب » هذه بعد وفاة زوجها « تحتمس الأوّل » . وكذلك بقى لها بنت على قيد الحياة تدعى « حتشبسوت » ؛ ولكن تحتمس كان له ابن آخر من زوجة تدعى « موت نفرت » ؛ وقد كان الموقف إذاً معقداً كما سبق شرحه ، فقد كان الوارث الحقيقى فى مثل هذه الأحوال أكبر ابن شرعى خلفه الفرعون ، ولكنه كان فى هذه الظروف ابنة لا ابناً وهى « حتشبسوت » ؛ ومهام الملك كان لا بد أن يتولاها رجل . وقد كان الحل الوحيد للخروج من هذا المأزق أن يتزوج « تحتمس » ابن الملكة « موت نفرت » من أخته « حتشبسوت » ، وبذلك يتزوج ملك الوجه القبلى والوجه البحرى . وقد كان هذا الزواج غير موفق . ولما توفى هذا الفرعون أصبح الموقف أشد تعقيداً ، إذ قد تكررت نفس المأساة ولم ترزق « حتشبسوت » من « تحتمس » نثانى إلا بنتين كبيرهما تسمى « نفوروع » والصغرى تدعى « مريت رع حتشبسوت » ، وتوفى بعدها هذا الفرعون دون أن يعقب وارثاً شرعياً ذكراً للعرش ؛ وبذلك وجدت « حتشبسوت » نفسها بعد ذلك أما لوارثة العرش ، ورئيسة البيت المالك التى لا ينازعها منازع ، وكانت لا تزال فى مقتبل العمر وريعان الشباب ، وقد وقع على عاتقها مسألة وراثة الملك فى نفس الصورة التى وجدت فيها البلاد بعد وفاة والدها « تحتمس » الأوّل . والواقع أن الموقف كان حرجاً ولا بد من الخروج منه بصورة ترضيها وترضى الشعب المصرى . وتدل شواهد الأحوال على أن « تحتمس » الثانى كان ميالاً إلى أن يخلفه ابنه « تحتمس » الذى أنجبته من إحدى زوجاته غير الشرعيات المسماة « إزيس » ، وقد كان « تحتمس » هذا لا يزال فى طفولته لم يبلغ الحادية عشرة وقت وفاة والده . والظاهر أن والده كان قد وكل أمره إلى كهنة معبد الإله « آمون » لتربيته تربية

دينية غير أنه لم يكن قد أصبح كاهنا بعد . وقد كان تحتمس هذا هو الذى انتخب ليكون وارثا لعرش الملك مع أخته « نفرورع » . وتحديثنا الآثار أن « تحتمس » الثانى هو الذى اختاره وارثا له كما سيقصه علينا « تحتمس » الثالث نفسه فيما بعد على آثاره ، والظاهر أن هذا الملك الفتى كان متفانيا في حب والده فكان يمقت « حتشبسوت » التى كانت تتجاهل والده مدة حياته ، واتخذت من اعتلال صحته فرصة للسيطرة على شئون البلاد ، وقد كان لها من جهة أخرى حزب يشد أزرها من أشرف البلاد وعظماؤها طوال عهد زوجها « تحتمس » الثانى ، ولم ينفذ عنها هذا الحزب بعد موته بل أخذ يقوى حجتها في تولى ، الملك غير أنه على ما يظهر لم يكن في مقدورها هى وحزبها أن يمنعوا تنويع الملك تحتمس الثالث لأن حكم النساء كان غير مرغوب فيه .

تحتمس الثالث يتولى عرش الملك : وتولى « تحتمس » الثالث عرش الملك غير أن الوصاية بحكم التقاليد والشرع كانت لا بد أن تبقى في يد الملكة « حتشبسوت » ما دام « تحتمس » وزوجه « نفرورع » لم يبلغا الحلم ، ولم يكن في ذلك ما يدعو إلى الغرابة ، وقد حدثنا عن ذلك مهندس البناء « إمنى » في تاريخ حياته إذ يقول في صراحة : " ثم صعد « تحتمس » الثانى إلى السماء واختلط بالآلهة ، ونصب في مكانه ابنه « تحتمس » الثالث " ملكا على الأرضين . وقد صار حاكما (تحتمس الثالث) على عرش من أنجب ، ولكن أخته (أخت تحتمس الثانى) الزوجة الملكية « حتشبسوت » كانت هى التى تدير شئون الأرضين حسب آرائها هى ، وقد كانت مصر تعمل مطاطة الرأس لما وهى صاحبة الأمر ، وهى بذرة الإله الممتازة التى خرجت منه ، وأمراس سفينة الوجه للقبلى ، ومرسى أهل الجنوب ، والأمراس الممتازة لمؤخرة سفينة الوجه البحرى ، وهى سيدة الأمر ، وآراؤها متفوقة وكلتا الأرضين تطمئن عندما تصلحت ، وقد جعلنى عظيما ، وملا بئى فضة وذهب وكل الأشياء الجميلة الأخرى التى في بيت الملك دون أن أقول : إنى في حاجة إلى شيء ^(١) .

وهذا الوصف الرائع يقفنا على جلية الأمر إذ لا بد أن تفسر الأمور على هذه الحالة، ولم يكن لأى إنسان ممن كانوا ينظرون إلى الموقف من جهته القانونية أن يبدى أى اعتراض، وبخاصة إذا علمنا أن التاريخ كان بسنى حكم «تحتمس» الثالث، وقد اتخذ لنفسه الألقاب الملكية الآتية عند اعتلائه عرش الملك وهى التى يقول عنها فى نقوشه فيما بعد: إن الإله «آمون» هو الذى اختارها له (١) فاسمه الحورى = الثور القوى المتوج فى طيبة أو الثور القوى الذى ينعم فى الصدق أو الثور القوى محبوب إله الشمس . (٢) ولقبه سيد العقاب والصل = باق فى الملك مثل إله الشمس فى السماء ، ومع هذا اللقب كان كذلك يلقب ، جاعل الصدق بضىء ، محبوب الأرضين ، عظيم القوة فى كل الممالك (٣) ولقبه حور الذهبى = عظيم القوة ، متفوق فى المظاهر، عظيم الشجاعة ، ضارب شعوب الأقواس التسعة (٤) ولقبه ملك الوجه القبلى والبحرى = مثبت وجود إله الشمس (٥) ولقبه ابن الشمس = «تحتمس» . وكان يضاف إليه أحيانا الواحد الطيب صاحب الوجود، والواحد الطيب صاحب المظاهر ، أمير الصدق ، وأمير طيبة ، وأمير عين شمس الخ .

ألقاب حتشبسوت قبل تولى الملك : أما «حتشبسوت» فقد كانت تلقب الزوجة الإلهية، والزوجة الملكية العظيمة، وقد ظهرت فى النقوش فى بادئ حكمه مرسومة خلفه كما كانت والدتها تظهر خلف «تحتمس الثانى» . ومما هو جدير بالملاحظة هنا حتى فى قبرها الذى أقامته لنفسها حوالى هذا الوقت أنها لم تتعد أطماعها غير ما سمحت به التقاليد من الألقاب ، إذ نجد أنها كانت تلقب على تابوتها ، الأميرة العظيمة التى أحبت لرشاققتها، وسيدة كل الأراضى، والابنة الملكية والأخت الملكية ، والزوجة الملكية العظيمة، وسيدة الأرضين «حتشبسوت» . وقد اعترف بمكاتها بعض كبار رجال الدولة الذين كانوا معاصرين لها ممن خدموا البيت المالك منذ أن أسسه «أحمس» الأول ، ولم يألوا جهدا فى إظهار شعورهم نحوها ،

ونخص بالذكر منهم "أحمس نبختبت" الذى مر ذكره إذ يقول : إن "حتشبسوت" قد أزدقت على الإنعام مرارا . وقد كنت مربيا لكبرى بناتها الأميرة "نفرو رع" وهى لا تزال طفلة تحمل على اليدين . وكذلك كتب "إبنى" بحماس : "إن جلالتها كانت تحبنى ، ولحظت قيمتى فى البلاط ، وملأت بيتى بالفضة والذهب وكل الأشياء الجميلة من البيت الفرعونى" ، وكذلك نشاهد أن "تورى" حاكم السودان نائب الملك ، و "بنياتى" كان لا يزال موكلا إليه قطع الأحجار فى جبل "سلسلة" وقد بقى "تحتمس" الثالث مدة سبع السنين الأولى بعد تويجه على ما يظهره الحاكم للبلاد ، ولم تحاول "حتشبسوت" أن تعلن نفسها ملكة على البلاد ، وكل ما لدينا من الآثار يؤكد لنا ذلك ، غير أنه مما لا شك فيه أن مقابلد الحكم كانت فى يدعا فعلا . فثلا نجد فى "سمنه" فى بلاد النوبة قسما مؤرخا بالسنة الثانية اليوم السابع من الشهر الثانى من الفصل الثالث ؛ وفى هذا النقش ذكرت كل ألقابه . وقد أمر فيه بإقامة معبد وتجديد القربان للآلهة ، وهى التى كان قد أسسها "سنوسرت" الثالث فى عهد الأسرة الثانية عشرة . وقد ذكرنا "تحتمس" أنه وجد فى "سمنه" معبدا مقاما من اللبن ، ولكنه أقام مكانه معبدا بنى بالجمر الجبرى الأبيض ، وأهداه إلى الإله « ددون » إله بلاد النوبة ، وكذلك إلى روح الملك « سنوسرت الثالث » مؤسس هذا المعبد هذا إلى أنه قرر أن العيد المعروف "بهزيمة القبائل" الذى أسسه هذا الفرعون ، لا بد أن يخلد وأن يكون تاريخ الاحتفال به فى اليوم الواحد والعشرين من الشهر الرابع من الفصل الثانى ، ثم يتحدث إلينا "تحتمس" الثالث عن عيد آخر يحتفل به فى الشهر الأول من الفصل الثالث ، ويحتمل أن هذا هو عيد تويج الفرعون . وأخيرا يذكر لنا عيدنا ثالثا يعرف بعيد "غل المتوحشين" وهو العيد الذى أسسه "سنوسرت" الثالث تكريما لزوجيه "مرىجر" وسبأنى تفصيل ذلك فيما بعد .

وفي متحف "تورين" توجد بردية (رقم ١) يذكر فيها كاتب يدعى "وسرمان" أنه خدم التاج ثلاث سنوات ، وقد أرخ الورقة بالسنة الخامسة من حكم تحتمس الثالث ولم يذكر اسم الملكة "حتشبسوت" مما يدل على أنه بعد توليته بخمس سنوات لم تعلن "حتشبسوت" نفسها ملكة شرعية على البلاد رسمياً .

مدير بيت الإله آمون « سنموت » والدور الذى لعبه مع حتشبسوت : والظاهر أن "حتشبسوت" كانت تفكر منذ تولية تحتمس العرش فى تكوين حزب يضم بين أعضائه كل رجالات الدولة المخلصين ، الذين أظهروا مهارة وحذاقاً من أبناء جيلها لتستعين بهم على قضاء مآربها ، ولتضرب ضربتها الحاسمة عند ما تحين الفرصة ، على أنه لم يفتأ أن تجعل رجال الدولة القدامى لا ينفضون من حولها . وقد كان أول من وقع اختيارها عليه من شباب عصرها مدير بيت الإله "أمون" المسمى "سنموت" وقد كان شاباً نشطاً يسترعى عياله النظر ، قادراً طموحاً ، وقد رأى بثاقب نظره أن الفرصة سانحة ليكون لنفسه منذ باكورة هذا العهد الجديد مجداً خالداً ، ولذلك يقول لنا : لقد كنت فى هذه الأرض تحت إدارة « حتشبسوت » منذ اللحظة التى لاقى فيها سلفها حتفه (أى تحتمس الثانى) فلم أضيع أى وقت لاكتساب خطوة الملكة التى كانت تقبض بيديها القادرتين الخلابتين على أقدار البلاد وإدارتها .

ولا نزاع فى أن « حتشبسوت » قد وحدث روحها بروح « سنموت » منذ أن وقع بصرها عليه ، وقد كان مستقبلها مرتبطاً بتمام الارتباط بأمر الوصاية . ومنذ اللحظة التى وطدت فيها أركان الوصاية على العرش بدأ نجم سعد « سنموت » السياسى يظهر فى الأفق ويسطع . وقد كان أول خطوة فى تمكن هذه العلاقة الوثيقة التى أحكت أواصرها بينهما حقبة توفى على عشرة أعوام ، هى أن تجعل « حتشبسوت » خدنها « سنموت » المربى الأول لابنتها الملكة ، وأميرة الأرضين ، والزوجة الإلهية « نفرو رع » وأن يكون بجانب ذلك مدير البيت العظيم لأملأكمها ،

وأملك ابتها « نفروع » ويحتمل كذلك أنه كان قيا على أملاك ابتها الطفلة « مريت رع حنشبوت » والواقع أنها بإسنادها كل هذه الوظائف الى « سموت » قد جعلته شريكا فعليا معها في حكم البلاد .

ولا نعرف عن ماضى هذا المحفوظ الحديد إلا الترد القليل ، وإن شئت قل لا نعلم شيئا ألبتة . وتدل الأحوال على أن والديه لم يكونا من أصحاب المكانة في الحياة الاجتماعية . فقد كان والده يدعى « رعسوس » ووالدته السيدة « حات نوفر » وحسب . وكان له ثلاثة أخوة لم يترجع منهم واحد مكانة رفيعة في الدولة إلا « سن من » ، وتعزى رفعته هذه إلى أخيه « سموت » الذى عينه مساعدا في إدارة شئون الأميرات ، أما أخوه الثانى فكان كاهنا بسيطا لسفينة « أمون » المقدسة ، والثالث وهو « بارى » كان يشغل وظيفة « مشرف على الماشية » . وقد تزوج « سموت » من اثنتين إحداهما تسمى « نقرت حور » . والظاهر أنه لم يرزق أولادا ، ولذلك فإنه فى أواخر أيامه وكل لأخيه « أمنخب » القيام له بأداء الشعائر الجنائزية التى كان يقوم بها ابن المتوفى حسب التقاليد المصرية المرعية . ويلاحظ أن « سموت » لم يهتم بذكر وظائفه الدينية ، إذ لم يكن لها علاقة فى تربيته ؛ وإذا ما ورد ذكرها ذكرت بغير اهتمام وبصفة طابرة . والواقع أنه كان يحمل لقب « كاهن السفينة المقدسة للاله أمون » ورئيس كهنة معبد « متو » وكان من المعابد الصغيرة وقتئذ فى بلدة « أرمنت » ، هذا ولم تكن تفريه الوظائف الحربية فى جيل كانت تسوده السكينة والاستقرار .

وقد كان « سموت » دائما إداريا من الطراز الأول ، ويحتمل أنه بدأ حياته فى إدارة ضياع « أمون » بمعبد الكرنك الشاسعة ، فقد كان مع صعود نجمه وعلو منزلته ورفعة مكانته يعرف دائما بمدير بيت « أمون » . والواقع أن كل شئ فى إدارة ممتلكات معبد هذا الإله كانت بإشرافه ، وكذلك كان المشرف على الغلال والمخازن ، والحقول والحدائق ، والماشية والبيد ومراقب قاعة « أمون » كل

ذلك في قبضته بوصفه مدير البيت العظيم ، هذا وكان يلقب كذلك المشرف على أعمال « أمون » ، وأحيانا كان يلقب "مدير كل أشغال الملك في معبد « أمون »" أيضا. ولما رستخت قدمه وأصبح صاحب حظوة في نفس «حتشبسوت» وتمكن من عطفها أصبحت تحت إدارته كل ثروة البيت المالك . وقد بدأ بالقيام بوظيفة



(٢٤) سنوت يحضن الأميرة الصغيرة نفرو رع

مدير البيت العظيم للكتين «حتشبسوت» وابنتها الصغيرة «فرورع» و انتهى به الأمر بعد فترة من الزمن أن أمسى المراقب والمشرف ، والمشرف على المشرفين لكل أشغال الفرعون ، كما كان كذلك المسيطر على عبيد الفرعون والمالية والأسلحة وقصر التاج الأحمر . يضاف إلى هذه الوظائف العامة الرفيعة وظائف أخرى خاصة كان لا يشغلها إلا المقربون جدا الذين كانت حظوتهم تسمح لهم بأن يشتركوا في الإشراف على إعداد أخص أدوات الزينة الملكية للزيارات الرسمية وغيرها . ومن ثم نجده لا يفخر بأنه حاكم القصر الملكي وحده ، بل كان يتبعه عجبا لأنه ملاحظ الغرف الخاصة والحمام ، وحجرة النوم أيضا . على أن الانسان بعد أن يأتي على نهاية كل ما سردناه هنا عن قصة «سنوت» يرى من الصعب عليه أن ينسب ما بلغه من المراتب إلى المهارة والحدق في تسيير الأمور وحدهما ، وكثيرا ما ينسب الإنسان إلى الأشخاص الذين يمثلون قصة من القصص أدوارا لم يقوموا بها قط في الحياة ، وهذا هو الواقع في الحالة التي نحن بصدددها على وجه خاص ، إذ قد ذهب الكثيرون في العلاقة التي بين «سنوت» و «حتشبسوت» مذاهب شتى . وفي الوقت الذي كان فيه «سنوت» يجمع الوظائف التي تدر طيه الذهب والفضة تباعا في الكرك والقصر كانت «حتشبسوت» وقتئذ المسيطرة الوحيدة التي لا منازع لها في مصر .

سلطان حتشبسوت والعقبات التي اعترضتها في تولى العرش :
والواقع أنها منذ موت والدها كانت سيدة الأرضين ، أولا مع أخيها «تحتمس» الثاني الذي كان لا حول له ولا قوة ، والآن مع ابنتها الطفلة وابن أخيها «تحتمس» الثالث . وما دام شريكها لم يبلغ الحلم فقد كانت الحاكمة المطلقة في البلاد ، ومع ذلك كانت تشعر في قرارة نفسها بأنه لو فحص موضوعها بين العدل بوصفها الوارثة الشرعية لعرش والدها «تحتمس» الأول لكانت هي الحاكمة المطلقة للبلاد شرطا من بادئ الأمر ، مع أن الفرق بين ما في يدها وبين ما تطمح إليه هو

في اللقب وأسلوب الملكية ، وقد منعته التقاليد لحرمة النساء ، ولم تختصبه امرأة منذ حكم الملكة « نفرو سبك » في أواخر عهد الأسرة الثانية عشرة . والواقع أن تولى المرأة حكم البلاد المصرية كان من الأمور النادرة جدا ، فقد ذكر لنا هردوت في كتابه عن مصر (الفصل الثاني الفقرة المائة) أن من بين الملوك الذين حكموا مصر وعددهم ٣٣٠ ملكا ، وهم الذين قرأ له أسماءهم أحد كهنة منفيس من كتاب لم يكن بينهم إلا ملكة واحدة تسمى « نونكريس » وهى التى تولت العرش بعد قتل أخيها . وقد ذكر لنا « مانيتون » أنها آخر ملوك الأسرة السادسة ، وكذلك ذكر لنا « ارستاتونيس » وجاء في ورقة « تورين » أيضا أنها الخلف الثانية للملك « بيبى » الثانية . وقد كانت مدة حكمها عاما واحدا ، ويقع تاريخ حكمها في نهاية عهد هام من التاريخ المصرى إذ بانقضاء مدة حكمها ينتهى عهد مملكة « منف » ، وعلى الرغم من أن هذه الملكة كانت صاحبة شهرة فيما بعد في التقاليد المصرية فإنه لم يصل إلينا شئ قط عن حكمها ، غير أن قائمة الملوك التى في متناولنا تحتوى ثلاث ملكات يحملن لقب ملكات شرعيات لبسن التاج . ففى نهاية الأسرة الثانية عشرة نجد الملكة « نفرو سبك » أو « نفرو سبك شدى » أخت الملك « امنمحات الرابع » قد تولت الحكم بعد وفاته (راجع الجزء الثالث من مصر القديمة ص ٣٥٤) . وقد جاء ذكرها في ورقة « تورين » بوصفها ملكة تحمل لقب ملك مصر . أما الملكان الأخريان اللتان ذكرهما « مانيتون » فيقع حكمهما في الأسرة الثامنة عشرة . والظاهر من المعلومات التى وصلتنا حتى الآن أن « مانيتون » قد خلط في ترتيبهما التاريخى إذ يقول لنا أن أولاهما قد جاءت في أواخر الأسرة الثامنة عشرة وسماها « اكرفيس » (Kerphs) وأنها ابنة الملك « هوروس » والخلف الثانية للملك « أمنحتب » الثالث ، ولا بد إذا أن تكون إحدى بنات « أمنحتب » الرابع غير أن كليهما كانت تحمل لقب الزوجة الملكية . ولكن قائمة الملوك « بسقارة » ، وقائمة « العرابية » لم يذكرنا لنا اسمى هاتين الملكتين ، وكذلك لم يذكر فيهما اسم الملكة

« نفروسيك » ، يضاف إلى ذلك أن « مانيتون » قد ذكر لنا ملكة تولت حكم البلاد في وسط عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وأنها كانت خلف الفرعون « أمنوفيس » الأول الذى حكم البلاد عشرين سنة وسبعة أشهر . وقد حكمت إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر ، ثم جاء بعدها الملك « تحتمس » (أى تحتمس الثالث) .

ولا نزاع فى أن « مانيتون » يقصد هنا على الرغم مما فى قائمته من الخلط والارتباك « الملكة حتشبسوت » = (سيدة النساء الشريفات ^(١)) . ومن ذلك يرى القارئ أن حكم النساء كان نادرا جدا فى مصر ، ولم تعترف به القوائم الرسمية كما ذكرنا . ومع ذلك نجد أن « حتشبسوت » كانت على وشك أن تخطو الخطوة الثانية لتقفز بها إلى عرش الملك رسميا . وكان « سموت » فى هذا الموقف يفضى بصره أو يتجاهل ما تريده « حتشبسوت » ، بل من المرجح جدا أنه كان معرضا فعلا لها ، إذ لا يمكن للمرء أن يتصور نجاحها فى مثل هذه المؤامرة الجريئة ، دون أن يكون مدير خاصتها وبيتها له فيها النصيب الأوفر ، بل كيف كان يمكن حدوث تعدد على حقوق هذين الطفلين الملكيين دون اتفاق المربي الأعظم لللكة « نفوروع » ورضائه التام ، أو كيف كان يمكن إقامة أى مبنى فى معبد « أمون » على يد غاصب بغير اتفاق ورضى من مدير المبانى ، وقد كان « سموت » يشغل كل هذه الوظائف الضخمة . وقد كان مصيره فى النهاية أن يقع عليه انتقام « تحتمس الثالث » ، والواقع أنه فى مثل هذه الأحوال لا يمكن تبرئته من الاشتراك فى هذه السياسة المعوجة التى كانت تسيّر فى تنفيذها سيدته التى رفعت إلى تلك المكانة العلية ؛ غير أن السؤال الهام الذى يتساعده المرء عن سبب اتخاذ « سموت » هذه الخطوة : أكان ذلك لافتتان « سموت » أم كان طموحا منه إلى مرتبة أعلى مما وصله حتى أنه ضرب بكل تقاليد القوم عرض الحائط ؟

أسباب ادعاء حثشبسوت أحقية عرش البلاد :

ومن الخائزان « حثشبسوت » من جهتها قد أفنعت الشعب بأنها بنت الإله « أمون » نفسه من جهة وأن والدها قد نصبها على عرش البلاد من جهة أخرى ، وجعلها وارثته الشرعية ، وقد حاك خيال الكهنة قصة طريفة لذلك قد يكون في ثناياها شيء من الحقيقة ، ومن المحتمل أن « حثشبسوت » قد أذاعتها قبل اغتصابها العرش مباشرة ، لتكون بمثابة دعاية ، وقد نقشتها على جدران معبدها « بالدير البحرى » الذى يعد بناء فريدا فى بابه ، نقشت عليه « حثشبسوت » كل تاريخ حياتها ، وما قامت به من جليل الأعمال فى حياتها كما سنفصل القول فى ذلك بعد .

وسنورد هنا ملخصا لهذه القصة من النقوش التى دوتها « حثشبسوت » فيما بعد على معبد الدير البحرى فى مناظر لا تزال باقية . فى المنظر الأول من هذه المناظر نشاهد فيه مجلسا من الآلهة يرأسه الإله « أمون » وقد قرر فيه الجميع خلق « حثشبسوت » وفى خلال هذه الجلسة يذكر الإله « تحوت » الإله « أمون » بوجود « أحمس » الجميلة زوج الأمير الذى أصبح فيما بعد « تحتمس الأول » . ويقترح عليه أن يتقمص صورته عندما يكون الأمير غائبا ، وبذلك يمكنه أن يدخل حجرة الملكة ، ثم تحدثنا القصة أن الإله « أمون » قد تزيا بزى « تحتمس الأول » ، ووجد الملكة فى غفوة فى قصرها الجميل ، فأيقظها شذى عطور الإله الذى استنشقه على الرغم من أنها كانت فى حضرة جلالته (الملك) (ظنا منها ذلك) ، وعندئذ ذهب إليها فى الحال وضاجعها ، وفرض عليها رغبته فيها ، وجعلها تنظر إليه بوصفه لها (بعد أن تمثل لها بشرا سويا) من أجل ذلك فرحت عندما وقف أمامها وكشف لها عن جماله ، وسرى جبه فى أعضائها التى غمرها شذى العطر . وعندئذ قالت الملكة « أحمس » لجلالة هذا الإله « أمون » الفاعز رب طيبة : ما أعظم فخارك : إن رؤية محياك شئ بهى : لقد ألحقت جلاتى

بجلاك ، وإن روحك قد تمثلت في كل أعضائي ، وبعد ذلك فعل جلالة هذا الإله كل ما يرغب فيه معها ثم قال لها سيكون اسم ابنتي التي وضعتها في جسمك "خنمت آمون" « حشسوت » لأن هذه هي الكلمة التي خرجت من فك أنت وستولى الملك في هذه البلاد قاطبة ، وستكون روحى روحها ، وسيكون فضل فضلها ، وكذلك « تاجى » حتى يمكنها أن تحكم الأرضين ". وبعد ذلك طلب الإله « آمون » مساعدة الإله « خنوم » صانع الفخار الإلهى ليصور الطفل في صورة تجمع كل الجمال ، وعندما أجاها الملكة الخاض اجتمع الآلهة ، ووقف بجانبها القابلات عند الوضع ، ولما وضعت الطفلة قدمتها الإلهة « حنحور » « لآمون » الذى باركها ، وقدمها لكل الآلهة قائلا : " تأملوا أتم ! ابنتى حشسوت كونوا محبين لها ". وبعد ذلك نمت جلالتها بسرعة ، وقد كان النظر إليها يفوق أى شئ. وقد أصبحت عذراء جميلة مزهرة مثل الإلهة « بوتو » في عصرها ^(١) (أى حنحور). ولا يعزب عن الذهن أن « حشسوت » لم تدع هذه الأقصوصة في عهد والدها بل كان ذلك بعد مماتها ، فلا بد أن الملكة « أحس حنت تاوى » قد ماتت وابنتها لا تزال تحمل لقب الزوجة المقدسة والزوجة الملكية العظيمة فلم ترتبها ملكة رسمية .

وكانت « حشسوت » تقصد من نشر هذه القصة التي ذكرناها هنا غرضين : الأول لتثبت أنها كانت ابنة تحتمس الدنيوية ، والثانى أنها ابنة الإله « آمون » من جسمه ، وذلك لأن دمها الملكى لم يكن خالصا بالمعنى الحقيقى من جهة والدها لأن جدتها عن أبيها لم تكن من دم ملكى بل كان يعرف عنها أنها كانت من عامة الشعب ، وبعد مرور عدة أعوام على ذلك أمرت بنقش وثيقة تثبت فيها أن والدها « تحتمس » الأول قد نصبها على ملك مصر في حفل عظيم من عظماء الشعب. إذ تدعى فيها أن « تحتمس » الأول أرسل إليها وهي لا تزال طفلة ، وقال لها :

تعالى لأضم بهاءك بين ذراعى لأجل أن ترى إدارتك في القصر (بعد أن رأتها مع والدها في أنحاء البلاد) فتقوى بأعمالك الشرعية الفاهرة . وتتسلى شرفك الملكي ، وإنك ستصبح ممتازة بسحرك ، وستصبح غنية بقوتك ، وإنك ستسيطرين على الأرضين ، وإنك ستظلين على العصاة ، وإنك ستشرقين في القصر وسيحتل جبينك بالتاج المزدوج ، وستسرين بمارثلك لى ، وإنك ولدت لى ، وأنت يأخت التاج الأبيض ، والتي تحبها « وازيت » (صاحبة التاج الأحمر) . وسيقدم إليك التيجان من يجلس على عروش الأرض (آمون) ، وقد أمر جلاتى أن يحضر أشرف الملك ، والأعيان ، والسيار ، ورجال البلاط ، ورموس كبار المدنيين لأعلن لهم مرسومًا بأن جلاتى قد ضم بين ذراعيه جلالة ابنتى هذه في قصرها مقر الملك ، وقد عقد الملك الجلسة بنفسه في قاعة طاقة « امى ورت » (طاقة من الكهنة) وقد كان هؤلاء القوم ساجدين على بطونهم في البلاط فقال لهم جلالته : إن ابنتى هذه « خنبت آمون » « حشيسوت » لها الحياة أنصبا بوصفها نائبة على ذلك فهي وارثتى في الملك ، وهى التى ستجلس على عرشى المدهش « وهى التى ستأمر وتنهى الرعايا في كل وظائف القصر ، وهى التى ستقودكم فاسمعوها كلامها ، فهى التى تربطكم بأوامرها ، فمن يقدم لها الطاعة فإنه سيعيش ، أما من يقول سوا في حقها فإنه سيموت ، وكل من يسمع اسم جلاتها عندما تعين ببنى عليه أن يأتى وينادى بها ملكة مثل ما كان يفعل عندما يسمع اسمى ، وذلك لأن هذه الإلهة هى ابنة إله ، والآلهة هم الذين يحاربون لها ، وهم الذين يحوطونكم بحمايتهم كل يوم كما أمر والدها سيد الآلهة « آمون » .

الشعب يرهب بالملكة حشيسوت ويعترف بها ملكة :

وعلى ذلك سمح أشرف الملك وأصحاب المقامات ، ورموس المدنيين هذا الأمر الخاص بإعلاء شأن ابنته ملكة الوجه القبل والوجه البحرى « ماعت كارع » لها الحياة مخلدة فقبلوا الأرض تحت قدميها ، ووقعت كلمات الملك في نفوسهم ، ودعوا كل الآلهة للوجه القبل والوجه البحرى « عاخر كارع » (تحتس الأول) عاش مخلدا ، ثم خربوا فرحين راقصين مفتبطين من عتده ، وقد سمعهم كل الناس ، وكل من في حجرات القصر الملكي ، وقد أتوا وهللا وفرحوا بذلك أكثر من كل شئ . وقد كانت كل حجرة تختلف من الأخرى (في إظهار فرحها) وكان الجنود يأتون طاقة بعد أخرى يرقصون ويقفزون وقلوبهم فرحة ، وقد أطلقوا اسم جلاتها ملكة ، ولكن جلاتها كانت لا تزال صغيرة السن ، والإله العظيم قد استمال قلوبهم نحو ابنته « ماعت كارع » عاشت مخلدة ، ولقد كانوا يعرفون أنها حبيبة ابنة إله ، وقد دهشوا من شهرتها العظيمة أكثر من أى شئ آخر ؛ ولذلك كان كل إنسان يحبها من قلبه ، ويدعو لها كل يوم ، وكل من وسيكون نضرا أكثر من كل شئ ؛ وكل إنسان يذكر (بسوء) اسم جلاتها بقرر الإله موته في الحال ، لأن الآلهة هم الذين يحوطونها برعايتهم كل يوم .

وهكذا سمع جلالة والدها هذا ورأى أن كل الشعب قد أعلن اسم ابنته هذه ملكة مع أن جلالته كانت لا تزال طفلة ، ومن أجل ذلك فرح قلب جلالة أكثر من كل شيء آخر . وأمر جلالة بإحضار المرتلين ليعلنوا اسمها العظيم بتسلها شرف ملك الوجه القبلي والوجه البحري ، وأن اسمها يحتم به في كل الأعمال الخاصة بعيد ضم الأرضين والطواف حول الجدار ، ولأجل زينة كل الآلهة الموحدين للأرض لأنه علم أن من الخير الاحتفال بالعيد في يوم رأس السنة بمثابة بداية سنين طيبة ، وأن تحفل لها في ملايين السنين بأعياد ثلاثينية عديدة جدا . وعلى ذلك أطلقوا أسماءها ملكة الوجه القبلي والوجه البحري . هذا ما ادعته « حتشبسوت » لنفسها في دعايتها التي قامت بها لأجل اعتلاء العرش . ويرى القارئ من ذلك أنها كانت على عرش الملك منذ حياة والدها أي أنها كانت شريكة له في حياته . هذا فضلا عن أنها في نقوش أخرى تدعى أن والدها قد درّبها على صناعة الملك قبل أن يعلنها ملكة .

تولى حتشبسوت عرش الملك فعلا : غير أن الواقع لا يتفق مع هذه الأقصوصة الجميلة ، إذ ظلت بعيدة عن تولى عرش البلاد بصفة حقيقية طوال مدة حكم زوجها « تحتمس الثاني » ، وسبعة أعوام من حكم ابن زوجها « تحتمس الثالث » وعندئذ كانت قد أحكت مؤامرتها ، واعتلت عرش البلاد مدة ثلاثة عشر عاما اتزوى في خلالها « تحتمس » الثالث فلم يسمع عنه التاريخ إلا في مناسبات قليلة .

وقد ظل الشك يحوم حول العام الذي أعلنت فيه « حتشبسوت » نفسها ملكة شرعية على البلاد ، وإن شئت فقل العام الذي اغتصب فيه الملك من ابن زوجها وابنتها الشرعيين « إلى أن كشف « لانسج » و « هابس » في شتاء عام سنة ١٩٣٦ عن قبر والدي « شمنوت » ومما وجد في هذا القبر أمكنه أن يحدد التاريخ الذي اغتصبت فيه « حتشبسوت » عرش الملك ، وقد حدده بين منتصف الشهر الأول من فصل الزرع أو منتصف الشهر الثاني منه ، في السنة السابعة من حكمها ، أي حوالى ١٥ يناير أو ١٥ فبراير سنة ١٤٩٤ ق . م . وفي هذا التاريخ أعلنت نفسها ملكة الوجه القبلي ، والوجه البحري ، ومن ثم عرفت بذلك ولا ندرى

لماذا تجرأت « حشبسوت » على اتخاذ هذه الخطوة دون أن تتبعها بما يليها من خطوات كان لابد منها في مثل هذه الأحوال، وأعنى بذلك القضاء على ابن أخيها جملة . ولكنها وقفت عند هذا الحد، وتركت « تحتمس » الثالث ، يعيش في عزلة وفي أمان ولكنه موحش، وقد كان اسمه يذكر أحيانا على الآثار بصفه ثانوية؛ ولكن لا يذكر إلا بعد اسمها الذي كان يحتل المكانة الأولى . والواقع أن « حشبسوت » لم تكن سفاحة ولا محاربة، وما وصل إلينا من المعلومات عنها يدل على أنها كانت بعيدة عن العنف؛ ولم يكن حب سفك الدماء من طباعها، ويمكن أن نستخلص ذلك من شخصيات الذين كانوا ملتفين حولها ، ويسرون في ركبها ، ونخص بالذكر منهم « سموت » و « جوسنب » و « نحسى » و « تورى » وهم كهنة ورجال إدارة لارجال حرب وسفك دماء . وستتناول الكلام عنهم في حينه . على أن الحملة الوحيدة التي قامت بها كانت حملة سلمية أرسلتها إلى بلاد بنت بعد اغتصابها الملك كما سيأتى شرحه .

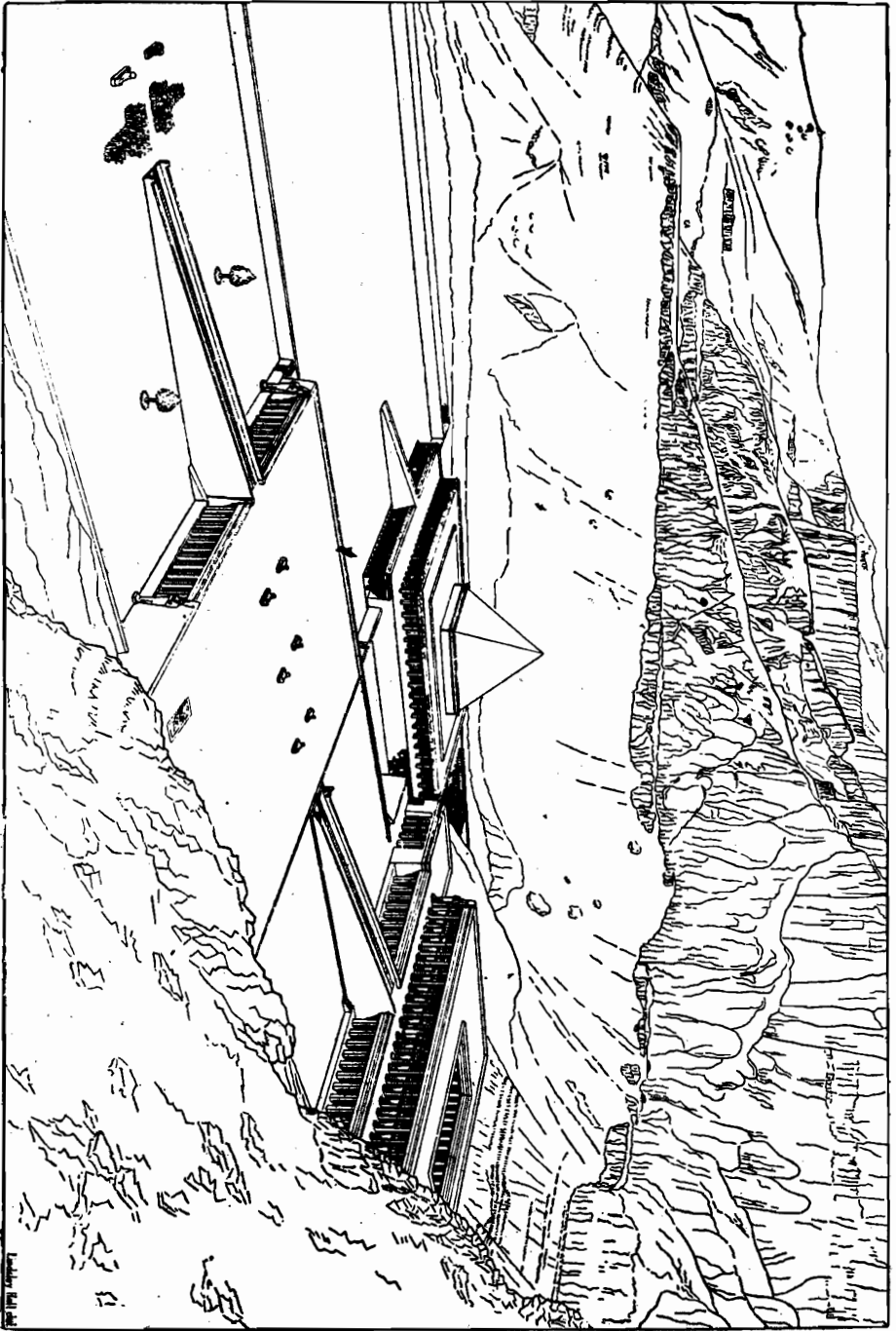
أعمال حشبسوت

إقامة معبدها الجنائزى المعروف باسم الدير البحرى : أما باكورة أعمال « حشبسوت » هى ورجل ثقتها عند بداية هذا العهد الحديد من تاريخ حياتها فتمتاز بالمنهاج الضخم لإقامة معبد كان الغرض منه دعاية سياسية قبل كل شئ؛ فقد كان المعبد الذى وضع « سموت » تصميمه ، وأتم بناءه يعد أكبر دعاية وأخذ عمل على مر الدهور كتب بالمحجرو على الحجر لتبرر اغتصابها للعرش؛ وقد كان غرضها أن تنقل جثمان والدها من قبره الذى جهزه له مدير المباني « إننى » كما أسلفنا ، إلى قبر جديد فى « وادى الملوك » على أن يوضع فيه جثمانها بعد وفاتها مع جثمان والدها الذى خلفته على عرش الملك متجاورين فى تابوتين منفصلين وأن تقام لها الشعائر الجنائزية فى المعبد الذى أخذت فى إقامته فى الوادى ، يضاف إلى ذلك أنها اعترمت تخصيص رواق ينقش على جدرانه مناظر تلك الأقصوصة المدهشة

التي كان الغرض منها إظهار « حتشبوت » بمظهر الملكة التي أنجبها الإله الأعظم من ظهره ، وأن الإله « آمون » ووالدها « تحتمس » الأول اشتركا معا في تتويجها ملكة شرعية على عرش مصر في حياة الأخير . يضاف إلى ذلك أنه لما كان والدها « آمون » سيشاركتها هو ووالدها « تحتمس » الأول في هذا المعبد فقد خصصت أروقة أخرى فيه لينقش عليها مناظر تظهر فيها تعبدها وإخلاصها البنوى للإله . وقد تمثل ذلك التقى والتعبد في صورة الحملة التي أرسلتها إلى بلاد « بنت » في العام التاسع من حكمها ثم في نقل المسلات من أسوان في السنة السادسة عشرة من سنى توليها العرش .

وقد اختارت لإقامة هذا المعبد الجون العظيم الواقع في مخور صحراء لوبية عند الدير البحري حيث أقام « متوحتب » الثاني معبده منذ حوالى ستمائة سنة مضت (راجع مصر القديمة ج ٣ ص ٣٨) ولابد من أن معبد « متوحتب » كان قد تهدم في ذلك الوقت بعض الشيء ، ولكنه على أية حال كان نموذجا يمكن مهندس الملكة أن يهتدى به في إقامة معبدها ، غير أنه قد تدركه الخيبة في تقليده إذا لم يراع الحدود التي تفرضها طبيعة المكان الذي سيقام عليه البناء عند إنشائه من حيث التوق والتأثير . ومنذ أن كشف عن معبد « متوحتب » وتصميم بنائه صار من المعتاد أن ينكر المهندسون على واضح تصميم معبد « حتشبوت » أى ابتكار في إقامة هذا المعبد ، فمثلا يقول الدكتور « هول » : " إن معبد « حتشبوت » كان تقليدا محضاً لمعبد سلفها وإليه يرجع الفضل في تصميمه لا إلى الملكة أو مهندسها « سموت » . " غير أن هذا الحكم مبالغ فيه . حقا قد يكون مهندس « حتشبوت » قد أخذ فكرة المعبد المدرج من بناء المعبد القديم الذى كان يقام معبد الملكة بجواره ، غير أن هذا كل ما أخذه « سموت » من تصميم المعبد القديم . نعم قد يكون « سموت » قد عظمت في عينه فكرة هذا البناء عند ما رآه وأخذ الفكرة عنه ، وهذا بلا شك دليل على حسن ذوقه ، ولكن القول بأنه لم يظهر أى عبقرية في إقامة البناء

(٢٠) مسجد الدير النجوى



العجيب الذى شيده للكمة كن ينكر على شاعر أخذ فكرة عن شاعر آخر، وصاغها فى قالب شعرى خلاب يفوق القالب الذى احتذاها صناعة ولفظا وتنسيقا .
والواقع أن « سموت » بعد أن أخذ فكرة المعبد عن المهندس « ارتسن » سلفه (باني معبد متوحتب الثاني) عمل على تفعيمها وتنسيقها حتى أخرج للناس بناء يمتاز عن سابقه فى كل شيء إلا أعمال البناء نفسها ، فعلى الرغم من أن المعبد الذى أقامه المهندس « ارتسن » على ما يقال يروق بهاؤه الناظرين إليه على حدة فإنه عند ما يقرن بمعبد « حتشسوت » الذى يدل درجه المتابع ، ومنحدراته الطويلة ، وأعمدته الأنيقة على حسن ذوق مهندس يظهر كأنه جذع شجرة بقى مفروسا فى الأرض إلى جانب شجرة نامية الأغصان ، وارفة الظلال ، ومعبد « متوحتب » كما هو يشتمل على منحدر واحد وطبقتين ، ويشغل الجزء الجنوبي من جون للدير البحرى العظيم ، وقد ترك متسع عظيم فى جهة الشمال للمعبد الذى أقامته « حتشسوت » .

سموت وتصميم معبد الدير البحرى : وقد كان التصميم الذى قدمه « سموت » للكمة عظيما على الرغم من أنه أخذ فكرة إقامته فى هذه البقعة عن سلفه ،
.....

يصل إلى طبقاته الثلاث بمنحدرات خفيفة الميل تشمر الناظر بأف المهندس قد أراد أن يجعل مبناه يكاد يكون أفقيا فى هيئته الخارجية ، بما أظهره من المهارة فى جعل تدرجه لا يحس . هذا إلى أن تناسب قاعات العمدة التى تواجه هذه المدرجات تكشف لنا كما يقول الأستاذ « برستد » عن حاسة التناسب والتنسيق المتقن

للك "امنحتب الأول" ووالدته "أحمس" ، وكذلك معبد صغير من عهد الأسرة الحادية عشرة^(١) .

وقد زين الطريق الذى يتدنى من باب المعبد شرقا إلى مسافة نحو ٥٠٠ متر حتى يصل إلى باب آخر وجدت آثاره بتماثيل « بواهول » فى صورة الملكة نفسها على كلا الجانبين ، وقد كان الرواق السفلى كذلك مزينا بمثل هذه التماثيل ، وظاهر أن تحتمس الثالث أزالها من أماكنها ، عند ما تربع على عرش الملك ثانية ؛ وقد عثر على بعض أجزاء منها ، هذا وقد عثر على تماثيل الملكة فى صورة "أوزير" ؛ واحد منها فى النهاية القصوى من الرواق السفلى ، وكذلك كان يوجد واحد منها فى الرواق الأعلى . وفى قاعة العمود وجدت عدة كوى كانت تحتوى تماثيل للملكة فى صورة "أوزير" .

وكان الرواق الأعلى من المعبد مؤلفا من صف من تماثيل "أوزير" تمتد على طول المعبد ، ويمكن للأهلين أن يروها عندما يعبرون إلى الشاطئ الشرقى من عند معبد الكرنك^(٢) . والواقع أن الطريق التى كان لابد أن يمر فيها موكب الإله "آمون" من الفخامة بقدر عظيم ، وذلك عندما يقوم بزيارته من معبد الكرنك إلى معبد الدير البحرى فى وقت "عيد الوادى" المشهور ، فقد كانت تماثيل "بواهول" مصفوفة على جانبي الطريق كل منها رابض على قاعدته التى يبلغ ارتفاعها نحو ثلاثة أمتار ، وعرضها نحو متر ، مزينة بإطارات صور عليها أسرى يرسفون فى الأغلال ، فكانت هذه التماثيل تصور أمام الناظر موكبا متراعى الأطراف مؤلفا من تماثيل أسود نرى فيها قوة الفرعون تسيطر على مدن العالم المغلوبة على أمرها . ولا شك فى أن هذه التماثيل حينما كان يسطع عليها شمس مصر فى سمائها الصافية تمثل صورة رائعة لما كان لمصر من قوة خارقة للعادة فى ذلك العهد ، ولكن لا نكاد

(١) راجع : Winlock, "Excavations at Dier el Bahri", P. 114.

(٢) راجع : Ibid. P. 214.

نتأملها حتى ندرك أن ذلك وهم كاذب ، فإن ذلك البطل الفاتح الذى صور فى هيئة أسد ذى لحية هو فى الواقع امرأة قد جلست على عرشها بمساعدة شزيمة قليلة من رجال البلاط ، ومن المحتمل أنها لم ترجشا غازيا قط ، ومع ذلك نراها مرسومة وهى تطلّ الأعداء بقدميها حتى أولئك الآشوريين الذين يسكنون فى الجهات النائية غير المعروفة . ولا شك فى أن هذا نوع من الزهو لم يكن يحق حتى لتحتمس الثالث أن يفاخر به . وهكذا تضع الحقائق التاريخية أحيانا عند ما تختلط بالفخر وحب الظهور وبخاصة فى التاريخ المصرى المقغم بمثل هذه المناظر الكاذبة . وقد عثر على بقايا أكثر من مائة وعشرين تمثالا من هذه التماثيل التى تمثل الملكة فى صورة "بو الهول" . غير أنه لم يوجد منها واحد سليم كما لم يمكن جمع أجزاء تمثال واحد منها . فقد أمر "تحتمس الثالث" بتخيطيهما جميعا ، وشتت أجزاءها فى جهات مختلفة . وكانت كل هذه التماثيل تؤلف عنصرا من عناصر بناء المعبد ، اللهم إلا تمثالا واحدا من المرمر كان فى مقصورة الملكة ، فكان بعضها لترتين الطريق المقدسة المؤدية للمعبد على كلا الجانبين ، وكان البعض الآخر مقاما فى صور عمد فى الأروقة ، وبخاصة الرواق الأعلى فإن أعمدته كانت تتألف من تماثيل الملكة فى صورة أوزير .

ومن التماثيل الطريفة التى وجدت : بقايا تمثال لمربية الملكة ، وقد مثلت جالسة تحمل صورة مصغرة للملك^(١) وهذه الموضع ندعى "ين" وقد نقش على ظهر التمثال أنه عمل لأجل مربية الملكة "ماعت كارع" (حتشبسوت) ، غير أننا لم نعثر على تمثال مربيتها الأولى "ست رع" التى كانت تعد من أكبر الشخصيات حظوة عندها وهم الذين كان على رأسهم "سنموت" .

الرحلة إلى بلاد بنت

الغرض من الرحلة : بعد أن بدأت الملكة « حتشسوت » في إقامة معبدها الجنائزى الذى أرادت أن تدون على جدرانها كل ما قامت به من جليل الأعمال لوالدها « آمون » ثم لنفسها فكرت في إرسال حملة سلمية إلى « بلاد بنت » لتحضر منها الأشجار ذات الروائح العطرية التى اشتهرت بها تلك البلاد النائية ، وهى التى كانت تعد في نظر المصريين بلاد الآلهة . على أن فكرة الرحلة إلى هذه البلاد كما رأينا من قبل لم تكن بالأمر المستحدث لدى ملوك مصر ، إذ الواقع أنها قد عملت عدة مرات في عهد الدولة القديمة ، والدولة الوسطى ، وقام بها بحارة مصريون (راجع مصر القديمة جزء ٣ ص) ، ولا شك في أن هذه البلاد كانت ذات قيمة عظيمة للمصريين ، وبخاصة لأنها كانت منبع شجر المر (عنى) الذى كان يستعمل بخورا في الاحتفالات والشعائر الدينية هذا فضلا عن أنها كانت تمد المصريين بمنتجات أخرى مثل التبر والأبنوس والعاج والحيوان . يضاف إلى ذلك أن المصريين كانوا يعتقدون أن لهم علاقة قديمة بهذه البلاد ، وأنهم من نفس الجنس الذى تألف منه شعب « بنت » فقد كان رجال شعبها يرسمون بلحنى تقليدية طرفها مقلوب كالتي يلبسها الآلهة المصريون . وكانت البلاد نفسها تسمى في الأدب المصرى الأرض المقدسة أو أرض الإله ، غير أن الرحلات بين البلدين كانت قد انقطعت أسبابها لمدة طويلة من الزمن ، وقد يعزى هذا إلى حالة البلاد التى كانت في اضطراب قبل عهد الهكسوس مباشرة وفي خلال حكمهم . وقد دبر شتون هذه الرحلة الكاهن الأعظم « حبوسنب » ، ومن المحتمل أنه هو الذى وضع فكرتها ، لأنه يقال إنها قد جاءت على لسان وحى « الإله آمون » وهو كاهن أكبر . وقد نقشت خطواتها ذهابا وإيابا على الجدار الذى يقسم الرواق الأعلى من المعبد ، وبداية المنظر على يمين الناظر إذ يرى الإله « آمون »^(١) جالسا .

ونشاهد كذلك الملكة قصص ما قاله الوحي فاستمع إليه : كان جلالة الملك ينزع إلى رب الآلهة (آمون رع) عند درج مائدة قربانه ، وعندئذ سمع أمرا من العرش العظيم ؛ إذ يقول وحى من الإله نفسه إن طرق أرض بنت سخنم ؛ وإن الطرق العامة إلى المضاب التى تخرج أشجار البخور ستحرق ، وإنى سأفود الحملة بحرا وبراً لتحضر الأشياء العجيبة من تلك الأرض المقدسة لهذه الإلهة (حتشبوت) ؛ ولأجل أنا مبدع جمالها .

قيام الحملة : وقد وضع على رأس هذه الحملة ، رئيس الخزانة ويدعى « نخسى » (= العبد) . وكانت الحملة تتألف من خمس سفن كبيرة شراعية يمكن عند الحاجة تسييرها بالمجاديف ، ولما كانت تفاصيل رسم هذه السفن كما نشاهدها على جدران المعبد تشعر بأنها تشبه السفن الشراعية التى كانت تسير فى النيل ، وأنه ليس لدينا ما يوحى بأية عملية قتل ، فلا بد إذا أن يفرض المرء أن هذه الرحلة قد عملت فى النيل ، ومن ثم سارت فى قناة تحترق وادى طليبات إلى البحيرات المرة ، ومن ثم إلى البحر الأحمر أما فى الأزمان القديمة فقد كان المعتاد أن تبدأ الرحلة من فقط على النيل ثم تحترق الصحراء عن طريق وادى الحمامات المشهور بمحاجره إلى « القصير » الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، وهناك كانت تبنى السفن ليركبها رجال الحملة إلى بلاد « بنت » ولكن هذه القناة التى سبقت قناة السويس الحالية ، وهى التى نسمع عنها بعد ذلك بقرون قليلة على وجه التأكيد ، يحتمل أنها كانت موجودة فعلا فى عهد « حتشبوت » . وبعد ذلك تخبرنا النقوش أن الحملة وصلت إلى بلاد « بنت » وعلى الرغم من أن الميناء التى رست عليها الحملة ليست معروفة ، فإن المناظر التى رسمت على معبد الملكة تظهر لنا أن الأشجار فيها كانت متصلة حتى شاطئ الماء مما يدل على أنها كانت بعيدة بعض الشيء عن مصب النهر ، الذى يحتمل أن يكون نهر النيل الذى يقع بين رأس النيل ورأس جردافوى . أما أكواخ السكان التى كانت تبنى تحت ظلال الأشجار فكانت من أشجار البوم ، وعلى شكل خلية النحل ، وكان كل منها مقاما على طوار عال يرتكز على أوتاد دقت فى الأرض ، وكان الإنسان يصل إلى باب الكوخ بسلم ودرج بما كان ذلك لوجود الماء فى هذه

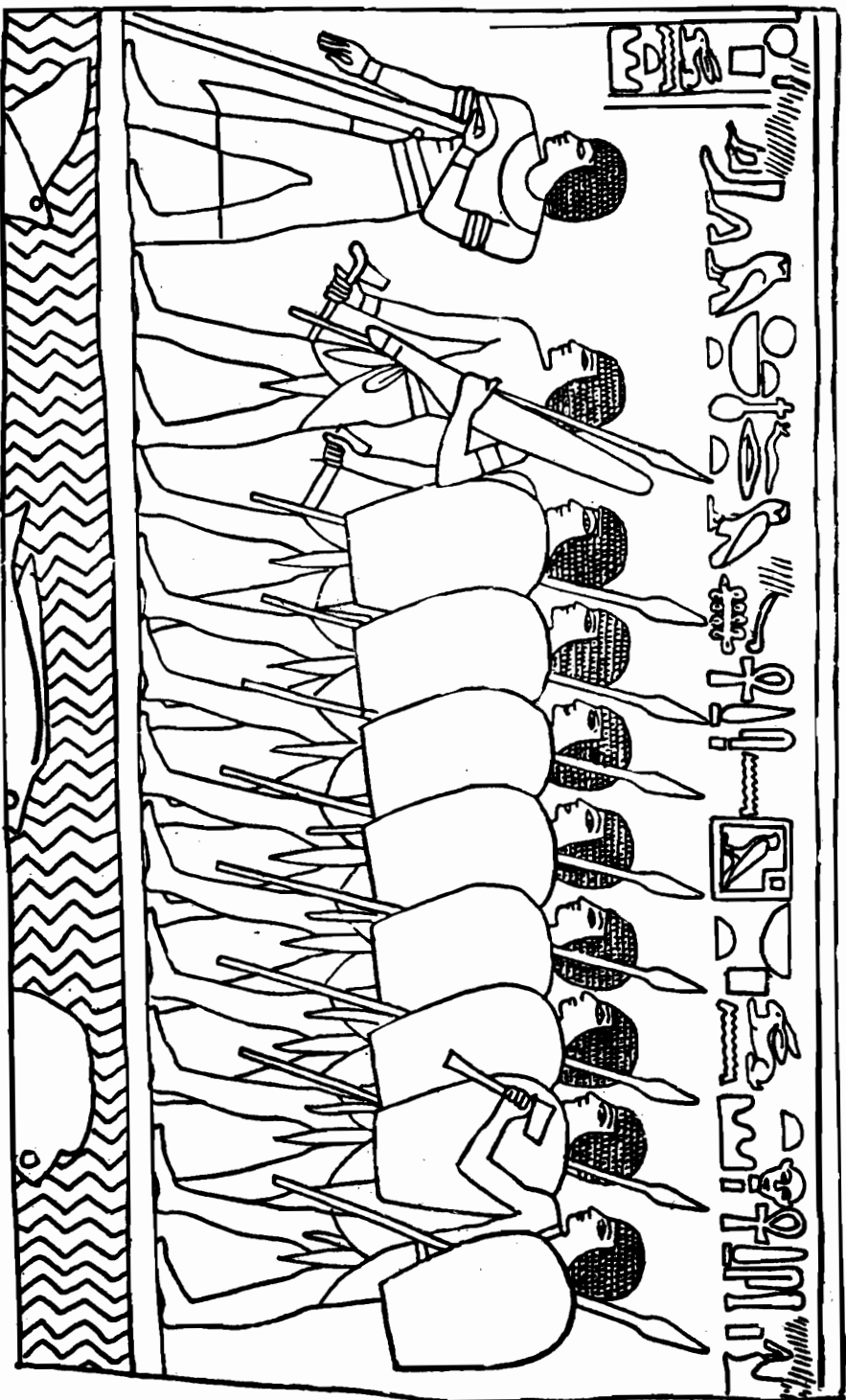
الأماكن) أما السكان فكانوا من صورهم يمثلون ثلاث سلالات مختلفة، اثنتان منها من الجنس الأسود الزنجي ، أما السلالة الثالثة فكانت تنسب إلى الشعب المصرى وهو الجنس السائد ، وذلك لأن المصريين قد لونوا أجسام هذه السلالة باللون الذى انتخبه المصريون لأنفسهم ، وهو اللون الأحمر، وهذه السلالة الأخيرة المنتسبة للجنس المصرى كان أفرادها يلبسون لحية مستعارة صغيرة أسطوانية الشكل، وهى تشبه اللحية المستعارة التى يلبسها الآلهة المصريون ولكن كانت وجوههم حلقة تماما، وكانت شعورهم ترجل على الطريقة المصرية، وكذلك كانوا يلبسون القميص المصرى القصير وحسب . وكانوا يستعملون الحمار لحمل أثقالهم ، وكانت تحرس أكواخهم كلاب بيض مرخية الآذان ، وقد شوهدت كذلك النسائيس والقردة يتسلقون فروع الأشجار ويقفزون من غصن إلى غصن، كما نجد كثيرا من الطيور ممثلة . وقد شوهد فى هذه البلاد الفهود وأفراس البحر، والزرافة وغير ذلك من الحيوانات الإفريقية، ويحتمل أن أكواخ القوم قد أقيمت عالية تقاديا من هذه الحيوانات الضارية التى كانت تأوى إلى الأدغال التى كانوا يسكنونها أو اتقاء لضرر رطوبة المكان الذى أقيمت عليه .

الوصول إلى بلاد بنت : وعندما رست سفن الحملة عند الشاطئ نزل قائدها « نحسى » إلى الشاطئ أعزل، ولكن كان يتبعه حرس من الجنود يحملون الحراب (والبلط) والقوس والنشاب والدروع . وبعد ذلك أنزلت الهدايا من السفن، واستعرضت بصفة مغرية على أخونة منخفضة . فنشاهد عليها معروضا السباط من الخرز والأساور والخناجر، (والبلط) والصناديق المصنوعة من الخشب، وفى الحال حضر رئيس البلاد إلى البقعة التى عرضت فيها هذه الأشياء ، وقد كتب على صورته عظيم « بنت » « برحو » ولما كانت كلمة « برحو » قد تعنى فقط متكلم القبيلة فإنها قد لا تكون الاسم الحقيقى الذى كان يدعى به ، وقد كانت تتبعه زوجته ، وهى امرأة قد بدأ الكبر يبدو على عيائها ، وترتدى ملابس صفراء

ولابد أنها كانت بدينة فوق المعتاد في شبابها ، ثم زالت عنها تلك البدانة المفرطة فارتخى جلدها ، وتدل في تجاعيد بعضها فوق بعض ، وقد اتخذ المثل المصرى من ساقها القصيرتين ، ونحفيديها الضخمتين موضعا لتمثيلها بشيء من المبالغة الفكهة ، وقد كتب فوقها : زوجة « إتى » وهنا كذلك نعرف أن كلمة « إتى » قد تعنى رئيسة ، لذلك لا يحتمل أن هذا هو اسمها العلم ، ويلاحظ خلفها ولدان وابنة ، وقد مثلوا ضخام الأجسام مثل والدتهن ؛ وبعد ذلك يأتى ثلاثة أتباع يقودون حمارا مسرجا ، وقد كتب فوقه المثل المصرى ” الحمار الذى كان يحمل زوجته “ (أى زوج الرئيس) ، وقد كتب فوق المنظر الذى يمثل هذه المقابلة التى كانت تتمثل في رجال الحملة والأهالى ما يأتى : « وصول السفير الفرعونى إلى أرض الإله ومعه الجنود الذين يساعدونه ، ومقابله رؤساء « بنت » ثم يحى رؤساء بنت ليقدموا الطاعة بروس خاشعة ليستقبلوا أولئك الجنود التابعين للفرعون وقد قدموا المدح لرب الآلهة (آمون رع) ... وعند ما كانوا يلتمسون الأمان قالوا : لماذا أتيت هنا إلى هذه الأرض التى لا يعرفها قوم (مصر) ؟ هل زلتم من مسالك السماء أم هل سحتم في ماء ذلك البحر الذى يملكه إله البلاد ؟ أم هل سلكنم سبل إله الشمس ؟ أما فيما يخص ملك مصر أليس لجلالته طريق حتى يمكننا أن نذهب إليه ونعيش بالنفس الذى يمنحه » .

وقد نشأت بين الطرفين علاقات ودية ، وعلى ذلك ضرب القائد المصرى خيامه وفيها أقام ولية لضيفانه ، وهنا تقول النقوش المفصرة : لقد نصبت خيمة السفير الملكى وجنوده في محائل « بنت » ذات الشذى العطر بالقرب من ساحل البحر لأجل أن يستقبلوا رؤساء هذه البلاد ، وقد قدم لهم الخبز والحبعة والخمر واللحم والفاكهة ، وكل شيء يوجد في مصر حسب التعليمات التى أعطاهها البلاط . أما الرؤساء فأحضروا معهم هدية : أختام من الذهب ، وعصى للصيد ، وكومة عظيمة من راتنج (البخور) وهو الذى يقدره المصريون بدرجة عظيمة .

شحن السفن بمنتجات بلاد بنت : أما الحادث الثانى الذى سنضعه هنا فهو شحن السفن بمنتجات البلاد المختلفة مثل العاج والأنبوس والأخشاب الأخرى وجلود الفهد ، والذهب ، والبخور ، والقردة الحية ، والنسائيس ، وبخاصة



(٢٦) الجنود المصريين في بلاد بنت

أشجار البخور التي نقلت بجذورها محفوظة في سلات وقدور من الفخار . والنقوش التي على هذا المنظر كالآتي :

نحن السفن بحملة ثقيلة جدا بالأشياء العجيبة من أرض بنت وهي :

كل الأخشاب الجميلة الغالية من أرض الإله ، أكوام من راتنج (البخور) ، وأشجار البخور المزهرة والعاج ، والعاج النقي ، وبالذهب الأخضر (الناعم) من أرض « امو » وبخشب القرقة ، وخشب خسيت (نوع من الخشب لم يعرف أصله غير أنه ذكي الرائحة) والبلسم ؟ (أموت) والراتنج ، والتوتية والنسانيس والقرقة ، والكلاب ، وجلود الفهود الجنوبية ، ومواطن من سكان هذه البلاد وأولادهم ولم يؤت بمنزل هذا الأى ملك وجد منذ الأزل .

عودة الحملة إلى مصر : وبعد ذلك عادت الحملة ، وعندما رست نجد السفن المحملة وحقائب البخور مرصوفة على ظهر السفن وأشجار البخور في قدورها مزهرة ، والقرقة والنسانيس تتسلق أمراس السفن وغير ذلك .

والنقش الذى يتبع هذا المنظر يقول : السباحة (إلى الوطن) والوصول بسلام : إن السباحة إلى طيبة قد قام بها بقلب فرح جنود رب الأرضين ، ورؤساء هذه الأرض (بنت) وخلفهم ، وقد أحضروا معهم أشياء لم يحضرها من قبل أى ملك ... « ويلي هذا مشاهدة رئيس « إرم » و « إلم » ورئيسى « تيمو » وهما قبيلتان غيا معروفين من بلاد بنت يتبعهما رجالهما ، وكلهم قد ركعوا أمام « حتشسوت » مقدمين لها الهدايا . والآن ترى بصورة أكثر تفصيلا الأنواع العظيمة المختلفة من منتجات هذه البلاد ، والمخلوقات الحية التى أتت بها إلى مصر . فقد كانت تحتوى على نوعين من الشيران ونوعين من الفهود ، واحد منها يظهر أنه كان أليفا لأنه مثل وحول رقبته طوق وله رسن ، وزراف ونسانيس ، وقرقة ، وأشجار بخور نامية ، وأخشاب ثمينة مثل الأبنوس والعاج ، والتوتية للتكحل بها ، وحقائب من البخور ، وذهب وفضة ، وسام ولازورد ، وفيروزج ، وأصداف ، وعصى صيد ، وغيرها ، ثم قدمت الملكة « حتشسوت » كل هذه الأشياء إلى الإله « أمون » . وتنص النقوش هنا على أنها أشرفت على وزن الراتنج والمعادن الكريمة

وكانت جلالها تعمل بيديها ، فوضعت أحسن الطيور على أعضائها ، حتى أن عيرها كان كالأنفاس القدسية ، وانتشر شذاها حتى اختلط بشذى أرض « بنت » ، وكان جسمها مرصعا بالسام يسطع كالنجوم في قبة السماء على مرأى من كل الأرض ؛ ضم الفرح كل الشعب ، ودعوا إلى رب الآلهة ، وامتدحوا صفات « ماعت كارع » الإلهية لما حدث لها من معجزات عظيمة ، إذ لم يحدث مثل ذلك في عهد أى إلهة قبلها منذ الأزل .

وفي مقابل ذلك فرض أن « أمون » أجابها بالخطاب التالى : “ مرحبا ببقى الجميلة محبوبى ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « ماعت كارع » (حنشبوت) التى تقيم آتارى الجميلة ، والتى تظهر عرش تاسوع الآلهة الأعظم ليكون سكاالى بمثابة ذكرى لحبا . وإنك الملكة التى استولت على الأرضين « خنمت أمون حنشبوت » عظيمة القرائين ، وما تقدمين من قرائين الطعام طاهر ، وإنك تسرين قلبى فى كل الأزمان ، وإنى قد منحتك كل الحياة ، والسلام من عندى ، وكل الثبات من لدنى وكل العافية منى ، وكل الصحة من قبلى ، وأعطيتك كل الأقطار ، وكل البلاد ليسر قلبك بها ، لأنى كنت منذ زمن طويل قد عزمت أن أمنحك إياها ، وستراها الأحقاب عشرات الآلاف من السنين المفيدة التى فكرت فى قضائها ، ولقد أعطيتك بلاد « بنت » حتى حدود أقاليم الآلهة التابعة لأرض الإله ، فإنه لم يطلأ أرض نحائل البخور أحد ، والناس لم تعرفها ؛ بل كان يسمع بها شفاهة عن طريق الإشاعة منذ زمن الأجداد . على أن الأشياء العجيبة التى آتى بها هنا فى عهد أبائك ملوك الوجه القبلى والوجه البحرى قد قلت من يد إلى يد أخرى ، وكذلك منذ عهد أجداد ملوك الوجه القبلى والوجه البحرى الذين عاشوا فى قديم الزمان ، وقد سلمت على أن يدفع ثمنها غاليا ، وإنه لم يصل فعلا إلى تلك الخائلى لإلارسك ، ولكنى سأجعل جنودك تطلوها لأنى أفردهم بحرا وبرا ، وجاعلهم يحترقون مضائق مالة لا يمكن اختراقها ، وقد جعلتهم يصلون إلى نحائل البخور وأرض الإله إظيم فاخر ، وهو حقا مكان سرورى ، وقد أوجده لنفسى ليكون تسلى لقلبى وقد جمع الجنود البخور كما يرغبون وحلوا سفنهم كما تشتهى قلوبهم من شجر البخور المزهرة ومن كل منتجات هذه البلاد الطيبة . أما أهل « بنت » الذين لم يعرفهم قوم مصر أولئك الأجانب أصحاب أرض الإله ، فانى استلمتهم بالحب ، ليقدموا لك الحمد ، لأنك إلهة ، ولما لك من الشهرة فى كل الممالك ، وإنى أعرفهم لأنى سيدهم الحكيم ، وإنى « آمون رع » الخلاق ، وابنتى التى تغل الأرباب « الملك ماعت كارع » (حنشبوت) ولقد أنجبها لنفسى . وإنى أنا الواله الذى يثت الخوف بين قبائل الأقواس التسعة عند ما يأتون فى سلام إلى كل الآلهة ، ولقد عاد الجنود ومعهم كل الأشياء العجيبة ، وكل شئ طريف من أرض الإله أرسلت جلاتك فى طلبها ؛ فأكوام راتنج البخور ، وأشجار فضرة تحمل بخورا عذبا ، قد كدست فى قاعة الأعياد لنحمل إلى رب الآلهة : ليت جلاتك تحيطيها تحرقى

(حداق) معبدى حتى أستطيع أن أمتع قلبى بها وإن اسمى أمام الآلهة ، واسمك أمام كل الأحياء مخلد ، وعلى ذلك فإن السماء والأرض قد غمرتا بشذى البخور ، وسيكون عيني العطر فى البيت العظيم .

وأخيرا نجد نقشا ربما كان أهم نقوش الحملة إلى « بنت » لأنه يمدنا بتاريخ عودة الحملة فى السنة التاسعة ، وفيه تحدث الملكة بلاتها عن نجاح الحملة فاستمع إليه : فى السنة التاسعة عقدت جلسة فى قاعة الاستقبال ظهرت فيها الملكة متوجة بتاج « آف » على العرش العظيم المصنوع من السام فى وسط أبهة قصرها . وقد حضر الأشراف وعظما. رجال البلاط ليستمعوا إلى الخطبة . التى كانت ستلقى بمثابة تصريح للأشراف

خطبة الملكة : فقد ظهرت مخلدة أمام وجوهكم على حسب ما رغب فيه والدى . حقا فقد كانت رغبى هذه فى عمل ذلك ، لأعظم من أنجبى ، وأعترف ببجلى والدى الذى يمكننى من جسل قرايته فأنوة وأنوم بما يحزمه آباءى ، وهم الأجداد الحكيمون ، كما فعلت الواحدة العظيمة (لذيس) رب الأبدية (أوزير) ، وإنى أضيف زيادة على ما كان يفعل سابقا ، وإنى سأجعل الخلف يقولون : ما أجعلها تلك التى حدث هذا على يديها ! لأنى سلكت مسلكا حسنا جدا معه ، وكانت أعماق قلبى ممتلئة بفكرة ما يجب له . [وإن يباه فى السماء وعلى هذا العالم] ، ولقد ظن لتفوق عند ما أتكم من أشياء عظيمة أقولها بينكم ، ولقد صدر مرسوم من جلالتى يأمر قوى بإرسال نخائل البخور من « بنت » ، وأن يجتازوا سالكتها ، ويكشفوا أساعها ، ويفتحوا طرقها العامة على حسب أمر والدى آمون وقد انقطعت أشجار من بلاد الإله ، وغمرت فى أرض مصر وقال جلالتى : إنى سأجلك تعرف ما أمرت به ، لأنى أصنيت لوالدى ، وصممت ما رسم به ، وهو أن تؤسس له « بلاد بنت » فى هذا المعبد ، وأن تقرر أشجار « بلاد الإله » بجانب معبده فى حديثه كما أمر . والآن وقد تم ذلك فقد أنشئت له « بلاد بنت » فى هذه الحديقة كما أمرنى فى « طيبة » وهى حديقة واسعة الفتا. لأجله وسينزه فيها (ونهاية هذا النقش مفقود) .

وتدل الكشوف الحديثة على أن الأشجار العظمية التى أتى بها من « بلاد بنت » قد غرست فعلا فى حفر تقرت فى الصخر أمام المعبد ، وملئت بالطين الخصب ، أو وضعت فى جفان على مدرجات المعبد وقد عثر على هذه الحفر الحفارون المحدثون فى الردهة التى أمام المعبد ، وقد وجد أن بعضها كان لا يزال

محفوظة فيه جذوع هذه الأشجار الجافة ، غير أن هذه الأشجار ظهر أنها شجر اللبخ
أو (برسا)^(١) .

ولا نزاع في أن مناظر هذه الحملة تحتوى على تفاصيل كثيرة جدية بالاهتمام
من الوجهة الفنية والعلمية والاجتماعية لمن أراد درس الجهات التى تشير إليها ،
وهى تلك البلاد الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، وتشمل الصومال حتى خليج
عدن ، وما يقابلها من الجهة الأخرى . ومما يلتفت النظر ملاحظ أهل « بنت »
التي أحكم المثلل إبرازها ، وهى تشبه كثيرا المصريين الذين نشاهدهم فى رسوم الدولة
التقدمية وكذلك شكل الخلية ، التى تشبه لحية الآلهة المصريين . ومما يلتفت النظر
بنوع خاص أنواع السمك التى نشاهدها مصورة تحت السفن ، فهى فى الحقيقة
ليست من نسج خيال المقتن ، بل درست ووجد أن كل نوع منها قد وجد له
نظيره فى سمك البحر الأحمر مما يدل على قوة ملاحظة المصرى القديم فى إخراج
صورة طبق الأصل . وهذا السمك إما أن يكون قد أحضر للمقتن المصرى بخاصة ،
وإما أن يكون بعض رجال الفن قد صحبوا الحملة ، وهذا رأى الأخير هو المعقول .
وكذلك نلاحظ طائفة أخرى من التفاصيل فى الملابس الحربية التى كان الجنود
المصريون يرتدونها ، والأعلام التى كانوا يحملونها ، هذا إلى صور فى قوارب مقدسة ،
(وبلط) وأقواس ، وعصى رماية ، وطبول يرق عليها من كلا الجانبين ، كل هذه
الأشياء قد مثلت فى أشكال رائعة . والواقع أن النقوش التى خلدت ذكرى هذه
الحملة العظيمة ، تعد فذة وأنغم صور نشرت لأى رحلة كشفية عرفها العالم ،
وهى جدية بذلك البناء الفخم الذى تزينه . ولكن السير « فلندرز بترى » قد قددها
بأنها جامدة لا روح فيها ينقصها قوة التعبير . ولا نزاع فى أنها تنقصها تلك القوة
والدقة المدهشة التى يصحبها المقتن فى صورته عند ما يكون طليما بأصول التشريح .

(١) راجع : Naville, "Un dernier mot sur la Succession des Thoutmes", A. Z. XXXVII, P. 52.

وهذا ما نشاهده في قوش الدولة القديمة عندما يسمو الفن بالمفتن إلى أعلى مراتبه في ذلك العصر السحيق ، ولكن إذا نظرنا إلى قوش الرحلة باعتبارها أجزاء من تصميم زنخرفة عامة عملت على نطاق واسع ، فإنها تعد ناجحة نجاحا باهرا ، ومن المحتمل أنه لو وضعت فيها تفاصيل أكثر لكنت أقل تأثيرا في النفس في هذه الأحوال .

وصف معبد الدير البحرى : على أن السير «فلندرزبرى» عند ما تحدث عن تأثير المعبد برمته مدح هذا البناء العظيم بكلمات مستظل على وجه عام أكبر دليل على مهارة المصرى في فن البناء والنق السليم فاستمع إليه : « فليقم أى نوع آخر من البناء هناك فإنه لن يكون بجانبه إلا دخيلا هزيبلا ، وذلك لأن خطوط المدرجات والسقف المنبسطة الطويلة ، والظلال العمودية ، التى ترسلها قاعات العمدة تنسجم انسجاما تاما مع طبيعة المكان الذى يحيط بها » .

وقد وصف مستر^(١) « ربرت هتشتر » معبد الدير البحرى على ما هو عليه الآن وصفا دقيقا فقال : « إن معبد الدير البحرى يشبه حسناء رقيقة ، قد تمطرت وتزينت ، يلفها رداء جمع بين الأبيض والأزرق والبرتقالى ، وقد وقفت وقفة العالمة المتدلة بجملها ، ومستندة إلى جبل يجمع بين اللون البرتقالى والقرنفلى والأحمر والأسمر والفاصح مما جعلها فاتنة الجبل المنبسمة » . وقد يكون هذا الوصف مطابقا لبعض الواقع ، فإن « سموت » قد صمم بناءه ، ولكن مما لا نزاع فيه أنه كان يترجم عن الهام امرأة بما أقام من حجر وجص .

مقبرة حتشبسوت وعلاقتها بمعبد الدير البحرى : أما نحت قبر جديد للملكة « حتشبسوت » ووالدها فقد عزي أمره إلى « جوسنب » ، وقد حفر خلف جدار الصخرة العظيمة الواقعة وراء المعبد نفقا طويلا في الجانب الشرقى من « وادى الملوك » حيث كان الباب ، وقد كان غرض الملكة أن تكون حجرة

دفنها تحت محراب معبدها في المعبد ، وهي تقصد من وراء ذلك أن تعقد شعائرها الدينية الخاصة بروحها (كا) في معبدها الذي أقامته لذلك ، على أن تقام هذه الشعائر في محراب المعبد الذي حفرت تحته مباشرة حجرة الدفن ، وبذلك يمكن لروحها أو قريبتها أن تصعد من الصخرة الصماء لتستقبل الشمس المشرقة كل يوم وترحب بها على ردهات المعبد . ويبلغ طول النفق الذي يؤدي إلى حجرة الدفن هذه حوالى سبعمائة قدم وعمقه عموديا يبلغ ثلثمائة قدم ، وهو منحرف نحو اليمين ، وربما يرجع السبب في ذلك إلى عيب في الصخر ، مما جعل العمال يخفرون عن الاتجاه المستقيم . وحجرة الدفن التي وضع فيها تابوت الملكة قد كسيت جدرانها الخشنة بقطع من الحجر الجيري الأبيض ، عليها متون دينية . أما التابوت الذي كان فيه جثمان « حتشبسوت » فصنوع من الحجر الرملي (كوراتيت) .

نقل مومية تحتمس الأول والدها إلى قبرها : وكذلك وضعت الملكة تابوتا آخر لمومية والدها « تحتمس الأول » الذي نقلته من محده الأصلي ودفنته ثانية بجوارها ، وقد حقق هذا الزعم وجود بعض قطع من جهازه الجنائزي ، في مدفنها الأصلي^(١) ؛ إذ عثر على إناء كبير من المرمر باسمها ، غير أنها كانت تلقب هنا بالزوجة المقدسة « حتشبسوت » وهذا لقب كانت تنادى به في عهد زوجها « تحتمس الثاني » في الوقت الذي كان فيه « تحتمس الأول » قد دفن ، وقد تبذرت هذا اللقب وتسمت بأسماء الملك عندما نحت هذا القبر لها . وكذلك وجد إناء منقوش عليه اسم « تحتمس الأول » واسم زوج والده « آمحس نفرتاري » وآخر كتب عليه اسم « تحتمس الأول » واسم ولده « تحتمس الثاني » الذي قدمه له ، وتلك الأواني لا يحتمل أن تكون ضمن أثاث الملكة الجنائزي .

(١) راجع : Davis, "Excavations at Biban el Moluk". The Tomb

of Hatshepsut, P. 106.

وهذه المغالاة في التعمد لوالدها قد جعلها تتخذ تلك الخطوة النادرة وهي قتل
جثمان والدها إلى القبر الذى أعدته لنفسها، وذلك ما أحفظ « تحتمس الثالث »
إذ عدّ ذلك العمل إحدى الإهانات المتكررة التى كانت تنال طيه في خلال تلك الفترة،
لأن ذلك يحمل والده « تحتمس الثانى » أمام القوم مفتصبا، وأن « حنشبوت »
قصدت أن تتجاهل ذكراه بربط حكمها بحكم والدها « تحتمس الأول » دون فاصل،
وجعل إقامة شعائرها وشعائر والدها واحدة . ثم رأت الملكة فضلا عن اقتسام
قبرها مع والدها أن تضيف مقصورة في معبدها الجنائزى بالدير البحرى قد أهلتها
للى روح والدها « تحتمس الأول » وإلى روح والدته « سنسب » التى كانت تعدّ
جنتها . على أنها لم تقيم بعمل شئ، مثل هذا « لتحتمس الثانى » بل كان اسمه
لا يكاد يذكر في كل نقوش المعبد، وإن كان « تحتمس الثالث » بدوره لم يذكر
اسمه إلا نادرا . وقد تنالت « حنشبوت » في إظهار والدها على مباني المعبد
لدرجة أنها رسمت صورته، وذكرته في النقوش التى على الجدران حتى يكون ظاهرا
يراه كل الناس، ويشمرون بأنه مرتبط بها روحيا ^(١) .

أما القبر الأول الذى كانت قد حفرته « حنشبوت » في وجه محبرة جمع
في وادٍ عميق ، فقد هجروا بنى فيه تابوتها الجميل إلى أن كشف عنه « كارتير »
في عام ١٩١٦ ، ولما ازداد خطر لصوص القبور في العهد المتأخر اضطر الكهنة
للى قتل الموميات من توابعها ووضعها مع جماعة الملوك الذين جمعت جثثهم في مقبرة
الملكة « انخابى » التى لم يكن قد تم حفرها في الدير البحرى، وهناك بقيت جثة
الملكة هادئة في مضجعها مدة تربي على ألفين وخمسمائة سنة على مقربة من المعبد
الذى كان يوما موضوع نظارها . وعند ما قفل « إميل برکش » الموميات الملكية
من خيبتها في عام ١٨٨١ بعد الميلاد عرفت مومية « تحتمس الأول » في الحال،
أما جثة « حنشبوت » فلم يعرف لها أثر قط، على أنه من المحتمل جدا أن تكون

(١) راجع : Weigall, "History", II, P. 321.

إحدى الموميات العدة التي لم تعرف شخصيتها بعد في هذه المجموعة الغريبة . والآن لا يمكن لمخلوق أن يقول إن هذه هي جثة « حتشبسوت » بعينها من بين هاتيك الجثث التي لم تحقق ، وربما سرها ذلك أكثر من أن تترك معروضة للتفريجين كما كانت الحال إلى زمن غير بعيد ، عند ما كانت موميات بعض أعظم ملوك التاريخ المصرى معروضة للنظارة تشاهد هي والآثار التي خلفوها على حد سواء .

وقد كان قبرها الضخم لا يزال مفتوحا في عهد « سترابون » عام ٢٤ ق . م ، وكذلك فتح جرثيا في عهد حملة « نابليون » سنة ١٧٩٩ ، وقد قام ببعض العمل فيه « لبيسوس » سنة ١٨٤٤ غير أنه لم يعرف في كلتا الحالتين بأنه قبر « حتشبسوت » وأخيرا كشف عنه « دافيز » سنة ١٩٠٣ ، وأتم العمل الذى بدأه « دافيز » المستر « كارتير » . وقد وجد القبر منهوبا نهبا تاما ، وكان أهم ما وجد فيه التابوتان المصنوعان من حجر « الكوارتسيت » وهما اللذان كانا يضمّان جسمى « تحتمس الأول » و « حتشبسوت » .

على أنه في الوقت الذى كان منجبا فيه « حبوسب » في تحت مقبرة الملكة كما أشرنا إلى ذلك كان « سموت » موجهها عنايته بوجه خاص إلى إتمام المعبد كما ذكرنا هو ذلك صراحة .

وتدل الحفائر التي قام بها « ونك » على أن تصميم المعبد الأصل قد زيد فيه ولم يتم بناؤه إلا في العام السادس عشر من حكم الملكة أى حوالى عام ١٤٨٥ ق م^(١) ، وفي الوقت نفسه كان نشاط « سموت » رئيس الأعمال الملكية كلها قد ظهر في معظم بقاع الوجه القبلى ومصر الوسطى مما ستفصل فيه القول ، وبخاصة المسلات العظيمة التي أقامها تخليدا لذكرى هذه الملكة العظيمة في الكرنك .

حتشبسوت تقيم مسلات : وقد ذكرنا من قبل أنه في عهد « تحتمس الثانى » أحضرت مسلتان لإقامتهما احتفالا بعيد الملكة الثلاثينى وهذا العيد كان

أول خطوة حاولت بها أن تعلن نفسها ملكة على البلاد ، وقد تركت هاتان
المسلتان دون أن ينقش عليهما كلمة واحدة ، ولكنها بعد هذا الحادث بثلاث
عشرة سنة كان في مقدورها أن تنقشهما كما أرادت . حفرت على جهاتهما
الأربع اسمها الحديد وألقابها ، وذكرت أن المستين قد أقامتهما احتفالا ببيدها
الأول الثلاثيني ، وتذكرا لوالدها « تحتمس الأول » والإله « آمون » .
وعلى قاعدة إحدى هاتين المستين نقش متناهما بدئى بمدح نفسها ، ثم ذكرت
فيه أن هذين الأثرين قد قطعما من أحسن أنواع جرانيت الجنوب ، وأن قبتها
كانت من السام الذى يمكن مشاهدته من كلا جانبي النيل ، عند ما تسطع عليهما
أشعة الشمس حين شروقها ، وكذلك تحدثنا كيف أنها لم تنق طعم النوم لئلا
تفكرها في معبد « آمون » هذا ، وذلك لأنها أبصرت أن الكرنك كان موطن
الإله ، والموضع الذى يميل إليه قلبه ، وكيف أنها وهى جالسة ذات يوم في قصرها
قد فكرت أن « آمون » هو الذى برأها ، وأنها قد أقامت هاتين المستين له . فنقول :

أتم بأما الناس ، يا من سرور آثارى هذه في السنين المقبلة ، يجب أن تحدثوا عما فعلت ،
واحدوا أن قولوا : لا نعلم لماذا قد عمل هذا وأن جبال صنع كل من القعب كاته شئ عاوى
قد حدث ، وإنى أحلف بقدر ما يحين إله الشمس ، وقدر ما يحين إلهى « آمون » وقدر ما يملأ
أنفى بالحياة الممتة ، ولبى تاج الوجه القبل الأبيض ، وبظهورى بتاج الوجه البحرى الأحمر ،
وبما ضم إلى الإلهان « حوروست » من نصيبهما في مصر ، وبما أحكم من أرض مصر هذه مثل
(حور) ابن « لذيس » وبما صيرى قويا مثل « أوزير » ابن السماء ، وبمثل ما يضيف إله الشمس
في سفينة المساء ، ويشرق في سفينة النهار ، وقدر ما ينضم إلى « لذيس » و « قئيس » والديه
في السفينة المقدسة ، وقدر ما تبنى السماء ، وبما صنه إله الشمس ليقى ، ويجلدى في الأبدية مثل
النجوم التى لا تنيب ، وبذهابى وغياي وراء جبال الغرب مثل « آتوم » (الشمس الغربية) ، بهذا
أحلف أن هاتين المستين اللتين سلتهما جلالتى من السام ، هما نواله « آمون » حتى يصير اسمى نخدا
باتيا في هذا المجد أبدا الأبدى . وإنى أحلف أن كل واحدة منهما قد صنعت من قطعة واحدة
من الجرانيت الصلب دون شئ أو صلة ، وأن جلالتى هى التى أمرت بعملها ، وقد بدأ ذلك من
السة اثلاثة عشرة اليوم الأول من الشهر الثانى من الفصل الثانى ، وإن العمل فى المهاجر قسما استغرق
سبعة أشهر .

والآن يتساءل الإنسان ما الداعي لهذا اليمين المغلظ الذى عقده لنا حتشبسوت فى ألوان شتى مما تعقد بها الأيمان العظيمة . هل عقدت هذا اليمين لتؤكد لنا أن كلا من المسلمين كانت قطعة واحدة ، وأن قطعهما لم يستغرق من الوقت أكثر من سبعة أشهر معدودات ؟ إن هذا ليس بالأمر المستغرب لأنه قد حسب أنه فى مثل هذا الوقت يمكن إجاز مثل هذا العمل^(١) . ولكن شواهد الأحوال تنبئ بأن الملكة إنما أغلظت أيمانها لتدلل على أنها لم تقتصبها بل أمرت « حتشبسوت » نفسها بصنعها ، وكذلك أرادت « حتشبسوت » أن تفهم العالم بأنها كانت صاحبة الأمر والنهى فى السنة التى أمرت بقطع المسلمين فيها ، ولذلك احتفلت بعيدها الثلاثينى الذى من أجله قطعت المسلمين مبرهنة بهذا العمل على أنها كانت خلف « تحتمس » الأول على العرش ، وقد أثبتنا فيما سبق أن المسلمين لم تقشأ إلا بعد أن أصبحت هى الحاكمة المطلقة على البلاد ، ولكنهما كانا قد أقيا فى عهد « تحتمس الثانى » ، وعلى ذلك يكون قد مضى نحو خمس عشرة سنة بين نصبهما وقشهما أى أنها فى كل ذلك كانت تريد أن تثبت أنهما قد أقيمتا أولا بأمر من « حتشبسوت » فمهما لا بأمر من « تحتمس الثانى » ومن ثم كان حلفها هذا اليمين المغلظ على صدق ما ادعته .

وبعد ذلك تستمر الملكة فى قولها عن المسلمين : اسمعوا أتم بأيا الناس ! لقد أعددت لثانين المسلمين أحسن معدن « السام » وقد كتبه بالحقت (هو ميكال ستة خمس لترات) كأنه خناب (بر) ، وقد حددت جلالتى المقدار بكية لم تر الأجداد من قبل أكثر منها ، فدع أولئك الذين يجهلون الحقيقة يعرفونها مثل الصالحين بها . ولا تحصل من سيعم ذلك يقول إن هذا الذى قلته من وكذب بل دعه يقول : ما أشبه ذلك بها (أى الملكة) إنها صادقة فى نظر والدها « آمون » . وإنه هو الذى جعلنى أحكم على الأرض السوداء والأرض الحمراء مكافأة لى على ذلك ، وليس لى عدو فى أى بلد ، فكل البلاد خاضعة لى ، وإنه وضع حدودى عند أقاصى السماء ، وقد عملت لى دائرة الشمس (قسما) وقد أعطانى من وحدت معه هذا ، لأنه يعلم أنى سأقدمها له (ثانية) . حقا لى ابنه وهو الذى يرض

من شاتي ... وهو الذي أوجد ملكتي، والأرض السوداء، والأرض الحمراء قد أصبحت تحت قدمي وحدودي الجنوبية قد بلغت حتى بلاد « بنت » وحدودي الشرقية قد وصلت الى مستنقعات آسيا، والأسوريون في قبضي، وحدودي الغربية بعيدة جدا حتى جبال « مانو » (جبل خرافي تهب ودااه الشمس) وحدودي الشمالية قد وصلت ... وشعروني من كل رجال البحر^(١).

الملكة قديم مسلتين بمعبد الكرنك : وتدل الآثار على أن الملكة « حشيسوت » قد أقامت مسلتين أخريين في معبد الكرنك ، غير أن موقعهما بالضبط لم يعلم للآن ، ولم يبق منهما إلا قبة واحدة محفوظة الآن « بمتحف القاهرة^(٢) » والظاهر أن « حشيسوت » قد أقامتها احتفالا « بعيد سد » العيد الثلاثيني (الثاني) . هذا مع العلم بأن المدة التي كانت تنقضي بين الاحتفال بهذا العيد والذي يليه لا تتحدد عادة بثلاثين سنة بل كان ذلك العيد يقام حسب هوى القروءن الحاكم وما تقتضيه الأحوال . وليس في مقدورنا الآن أن نحدد المدة التي انقضت بين الاحتفال بعيدها الأول وعيدها الثاني . وقد ترك لنا على نقوش الرواق الأسفل من معبد الدير البحري منظر قمل مسلتين وإلهاتهما . فنشاهد في النقوش سفن الثقل ممثلة فلا ذاهبة نحو الشمال كأنها منحدره في النيل من أسوان حيث قطعت المستان ، ثم نجد بعد ذلك في الجهة الشمالية من الجدار الإهداء في « طيبة » . ويتدنى المتن الخاص بهاتين المسلتين بألقاب الملكة ومدائح فيها ، ثم الأمر بجمع المواد لبناء السفن اللازمة لتغلبهما ، وعلى هذا أمر بإعداد الرجال والجنود للثقل ، وأخيرا قل المسلتين ، وقد هنم جزء كبير من هذه النقوش . فبعد ذكر ألقاب الملكة نجدها توصف بأنها هي هذا الجزء الفخام من والدها « آسون رع » رب السماء ، الذي لم يفصل بعيدا عن والده رب كل الآلهة ، والمضيئة اللعان مثل إله الأفق ، وإلهة الشمس التي تمنع النور مثل

(١) راجع : Breasted, A. R., II. § 304 - 321.

(٢) راجع : Ibid § 304.

الشمس ، والتي تنعش قلوب الأهلين ، ومن شهرتها قد اشتملت الدائرة العظمى (الأرض) ثم إلى ذلك بعض جمل غير متصلة لتهشم المتن نقرأ فيها ما يشير إلى بناء سفن كبيرة جدا لنقل المسلمين من محاجر « أسوان » إلى « معبد الكرك » ثم ما يشير إلى جمع كل الجيش لشحن المسلمين عند « إلفتين » وتجنيد الشباب من كل الأرضين قاطبة . هذا بالإضافة إلى مناظر محفورة نشاهد فيها المسلمين موضوعتين على هذه السفن التي كانت تجر إلى أسفل النهر بسبعة وعشرين قاربا تسير بالمجاديف . وهذه القوارب كانت مرتبة في ثلاثة صفوف كل منها يقوده قارب رئيسي ، في حين أن قوارب أخرى مرافقة للسابقة كان فيها كهنة يرتلون الصلوات ، ويحرقون البخور ، رجاء نجاح المشروع ، والنقوش التي على هذا المنظر تحدث عن « السباحة شمالا مع التيار بقلب فرح » وتشير إلى عيد الملكة الثلاثيني ، ثم نقرأ عن رسو السفن بنجاح عند « طيبة » المظفرة ، في حين أن السماء تبتهج والأرض في عيد « ونشاهد على الشاطئ عند الكرك جنودا يحملون أغصان الأشجار احتفالا بهذه المناسبة ، كما نشاهد فرقة من الرماة يتقدمهم حامل بوق ، كما نشاهد الكهنة والجزارين يمدون الضحايا والجنود والضباط مسرعين ذهابا وإيابا ، وهنا يقول المتن عند ذلك « فرح بحارة سفن الملكة فيصبحون : اصغوا إلى الصباح ! إن في الباء لعيدا ، وإن في الأرض لفرحا ، لأن « آمون » قد زاد في عدد سني ابنه التي أقامت هذه الآثار لتجلس على عرش « حور » الأحياء مثل إله الشمس نخدا . وهناك صيحات من مجازي الجنوب والشمال ، ومن شباب طيبة ، ومن قيان « خنتفر » (التوبة) بحياة وفلاح وصحة ، ملك الوجه البحري والوجه القبلي منخبر (تحتس الثالث) حتى تكون قلوبهم فرحة مثل إله الشمس نخدا . ونلاحظ أنه قد نقش فوق منحياي القربان ما يأتي : قربان لروحك يارب الآلهة لأجل أن تمنح « ماعت كارع » الصخرة في هذا العيد الثلاثيني لملايين السنين .

ومما يلفت النظر هنا أن الجماهير كانت تحيي « تحتمس الثالث » كما كانت تحيي « حتشسوت » ومن ذلك يتضح جليا أن « حتشسوت » على الرغم من قبضها على كل السلطة في يدها وأنها كانت الحاكمة المطلقة اسما وفعلا فإنها كانت

مضطرة الى أن تعترف ولو شكلا بأن «نخمس الثالث» كان شريكا لها في الملك. على أن ذلك ليس بالمثال الوحيد الذي لدينا من هذا النوع عن ذكر «نخمس الثالث» بصفة ثانوية مع «حتشسوت»، إذ لدينا مثل آخر وهو لوحة دقون عليها إصلاح قلعة الجبانة في «طية» نجد فيها أن الملكة قد ذكرت ألقابها وأسمائها، ثم تحدث عن العمل الذي قامت به هي في هذه القلعة بحبة منها لوالدها «آمون»، وكل ما فعلته لخمس الثالث هو أنها سمحت بأن تمثل صورته على أعلى اللوحة، واقفا وراء صورتها في استكانة وقلعة، واسمه لم يذكر قط في إهداء هذه اللوحة، وهكذا كانت «حتشسوت» من رقت لآخر تسمع بنقش اسمه أو صورته على جدران المعبد، ولكن وجوده لم يكذب بحس، إذ كان يرسم خلفها، ولا بد من أن هذه الأعمال كانت تحز في نفسه، وتجعله يتقد غيظا منها، ومن أولئك النفر الذين كانوا عونا لها على إثبات تلك الأفعال التي كانت تتنافى مع التقاليد والحق معا، ولذلك كان أول ما قام به بعد اختفاء تلك العاهلة اللطموحة التنكيل بأولئك الذين ساعدوا على إقصائه عن عرش ملكه الشرعى كما سنرى بعد.

وفضلا عن المسلات التي أقامها «سنحوت» لسيدته يقص علينا ما قام به في معبد «الأقصر» وفي معبد الإله «آمون» حيث وجد له تمثال هناك، وفي «أرمنت» حيث وضع أساس معبد، ويحتمل مقبرة المعبد المقدس للإله «مشو»^(٢).

سنحوت يقسم لنفسه مقبرة في جبانة شيخ عبد القهرة :

على أنه لم ينس نفسه في هذا الوقت بل كان قد أصبح رجلا ميسورا، ولا ادل على ذلك من أنه أقام لنفسه قبراً فخماً يشع براء صاحبه، وكثرة ماله، فقد أقامه في جبانة «شيخ عبد القهرة» التي تقع على تل عال. وفي هذه المقبرة عثر «إثناسي»

(١) راجع : Piehl, "Inscriptions Hieroglyphiques Recueilles en Europe et en Egypte", P. 120.

(٢) راجع : Winlock, "Excavations at Dier el Bahri", P. 149.

على تماثيل له من الجرانيت يمثل فيه وهو ممسك بالطفلة « قرووع » . والتماثيل موجودة الآن بمتحف « برلين » ومن المدهش أنه كشف في نفس المقبرة عن تماثيل مثل الأول ، وهما الآن بالمتحف البريطاني ، وفي هذا القبر كذلك وجد « لبيسوس » لوحة من حجر « الكوارتسيت » تشبه في رسومها وصناعتها اللوحة التي عثر عليها « ونلك » وبالقرب من هذا المكان أيضا رأى « ديفز » قطعا من تابوت من « الكوارتسيت » عليها اسم « سموت » ، وقد ذكر على كل تماثيل « سموت » التي وجدت في قبره أنها هدية ملكية ، وكذلك التماثيل الذي وجد في معبد الإله « موت » وآخر يحتمل أنه وجد في « الكرنك » وهو الآن بمتحف « شيكاغو » وقد أهدته الملكة هذين التماثيل أيضا ، ولكن من الطبعي أن الرجل الذي كان في يده كل الأعمال الملكية كان من السهل عليه أن يحصل لنفسه على بعض ما أنتجته تلك المصانع الملكية .

ولعمر الحق لقد كان كل ما يريد « سموت » أن يظهر به من مظاهر العظمة والأبهة والفخار في أعين الشعب قد دونه على هذه التماثيل ليكون إعلانا ثابتا أمام أهل جيله ، وغلدا له عند الأجيال المتعاقبة ، ويمكننا أن نضع أمام القارى صورة عن تقدير « سموت » لنفسه من مجموعة تماثيله ومن النقوش الأخرى المختلفة كما يأتي يتحلىث عن نفسه ، فيقول :

[لقد كنت أعظم العظماء في كل الأرض ، وكنت أمين أسرار الملك في كل أما كته وناحضا خاصا على يمين الملك ، مأمون الحظ أعليت شرف الاستماع منفيذا ، محبا للصدق ، لا أظهر تحيزا ، وإني إنسان تصنى القضاة إليه ، وصمى هو البلاغة بعينها ، وقد كنت إنسانا يثمد السيد على ما ينطق به ، ومن تنشرح سيدة الأرضين بنصيحته ، ومن قد أفعم قلب الزوجة المقدسة به تماما . وكنت شريفا يصنى إليه لأني كنت أعيذ كلمات الملك للرفاق . وكنت إنسانا تعرف خطواته في القصر ، ونحى الملك المخلص ، أدخل محبوبا وأخرج محظوظا ، أدخل السرور على قلب القروص كل يوم . وكنت نافعا لللك ، مخلصا للإله ، لا غبار على أمام الشعب ، وكنت إنسانا منح الفيضان حتى أستطيع إدارة النيل ، وأسدت إلى شئون الأوسين . وما ينجى من الجنوب والشمال كان تحت تصرفي ، وأعمال كل الممالك تحت إدارتي ، يضاف إلى ذلك أني كنت أطلع على كتب الكهنة ، ولم يوجد شيء منذ الأزل كنت أجهله .

مكانة سموت في التاريخ — ولا نزاع في أن معظم هذه الجمل التافهة إلى حد السخرية ليست إلا صيغا محفوظة لإطراء النفس قد استعملها أفراد كثيرون قبل « سموت » من عظماء القوم منذ أزمان محيقة ، غير أنها في حالة بطلنا هنا لم تكن كلها مبالغا فيها ، وأن « سموت » كان حقيقة شخصية من أعظم العظماء في البلاد قاطبة ، ولا أدل على ذلك مما وجد مدونا على قطعة من الفخار عثر عليها الأستاذ « ونلك » فقد خط عليها كاتب بالممداد الأسود حسابا يشمل خمسة الأشهر الأول من سنة ما من هذا العهد ، فقيد مواد ما خص الفرعون منها ويبلغ عددها أربع عشرة ، وما خص ضياع الملكة خمس عشرة ، وما خص بيت المال تسع عشرة ، وما خص « سموت » تسع عشرة ففي هذا المتن ذكرت السلطات الأربع في البلاد فلم يذكر من بينها بالاسم المجرد إلا « سموت » أى أن هذا الكاتب كان يعتبر « تحتمس » و « حتشبسوت » والمالية بمجزد مؤسسات . أما « سموت » فكان لا يحتاج إلى لقب يفسر لنا مركزه أو من هو .

أما مقدار ما بلفسه « سموت » من الافتتان والجرأة في الرفع من شأن نفسه ما يشاهد من وضع صورة له خلف كل باب من أبواب معبد الدير البحري ، وذلك أن معبد الملكة « حتشبسوت » كان ذا ردهات عظيمة تؤدي إلى مقاصير ممتدة ، ولذلك كان له نحو عشرين خزانة صغيرة أو يزيد لحفظ أدوات العبادة ، وقد كان لكل من هذه المقاصير والخزانات باب خشبي يفتح إلى الداخل ، وعند ما يقام احتفال كان الكهنة يفتحون الأبواب ، ويقومون بأداء الشعيرة ، ثم يخلق الباب ويختم كرة أخرى . فلم يمكن بهذه الكيفية أن يوجد فرد في المقصورة والباب مغلق عليه ، وعلى ذلك لم يكن في استطاعة إنسان أن يرى ما كان مخبئا على الجدار الواقع خلف الباب عند ما يكون مفتوحا ، وقد استفاد « سموت » من هذا الوضع فأمر برسم صورته وهو يتعبد أمام الآلهة ، وقد كلف نحاسا أن يكرر هذه الصور ويضعها في الجدران خلف باب كل مقصورة أو خزانة في المعبد ، وقد نحت كل منها

بما يناسب المقام على أن يحمل الصورة لتجبه يمينا أو شمالا لتكون دائما مواجهة للذبح .
وقد كتب أمام كل صورة صيغة الدعاء الذى يتلى ويتبعه باسم « سمنوت » . والواقع
أن هذا العمل كان يعد جرأة متقطعة القرنين ، إذ أن ذلك من حق الملوك وحدهم ،
فهم الذين كانوا يصورون فى محراب المعبد لمناجاة الآلهة ، ولم يكن لأحد من الشعب
أن يرسم فى مثل هذه الأحوال إلا إذا كان تابعا للفرعون وحسب ، وفى هذه الحالة
كان يرسم بصورة صغيرة جدًا بالنسبة للفرعون ، والواقع أن « سمنوت » كان ضمن
عصابة سياسية مجرمة تترنح نحو الهلاك ، وأعنى بها عصابة الملكة « حتشبسوت » .
ونحن نعلم أن « حتشبسوت » قد اختفت من مسرح الحياة قبل إتمام المعبد ، وأن
كل عصابتها قد انتقم منهم « تحتمس الثالث » ولا بد من أنه فى هذه الفترة
قد أفشى أحد أعداء « سمنوت » سر وضع « سمنوت » صوره هذه فى هذا الوضع
الشاذ ، ولذلك فإنها كما نشاهدها الآن قد هشمت تهشما مريعا لانتهاك حرمة
المعبد لفعلة هذه ، وكذلك لتشيعه السياسى ، ومع ذلك فإن الذين كلفوا بهذا التهشم
قد أخطأهم حسابهم فتركوا بعضها ، وبخاصة فى الخزانات الصغيرة التى كان لا ينفذ
النور إليها ، ويمكن الإنسان أن يرى الآن منقوشا أمام صور « سمنوت » ما يأتى :
« تقديم المديح للإلهة « حتحور » » وأمام صورة أخرى قرأ : « تقديم المديح لآمون
لأجل حياة وسعادة وصحة « حتشبسوت » من مدير البيت « سمنوت » . على أن
« سمنوت » قد ذهب فى غلوائه إلى أكثر من ذلك ، إذ كشف الأستاذ « ونلك »
حديثا عن قبر جديد له كان القصد منه أن يكون على غرار مقبرة « حتشبسوت »
ولذلك حفر نفقه وحجرة دفنه تحت معبد الدير البحرى مباشرة . وفى سقف حجرة الدفن
المزينة بالنقوش التى أعدها « سمنوت » لنفسه هنا أمر بأن ينقش بحروف جميلة
مخضمة ما يأتى : « حور » طويلا ، صاحب الأرواح الطيبة ، محبوب الإلهين ، النضر السنين ،
حور الذهبى صاحب الأكاييل المقدسة ، ملك الوجه القليل والوجه البحرى « ماعت كارع » محبوبة
« آمون » العائش ، وحامل الخاتم ، مدير البيت « آمون » « سمنوت » الذى أنجبه « رع مس »

والذى وضعته « حات نفرت » وهكذا نجد في هذه العبارة اسم « سفوت » قد كتب بدون فاصل أو جملة إيضاحية ، مما يجعلنا نشعر أنه قد ربط اسمه باسم « حتشسوت » . ولا شك في أن أى فرد من شعبة « تحتمس الثالث » كان يعلق على ذلك النص بما يطيب للنعم ، وبما تتطلبه عداوة الأحزاب وحب الانتقام كلما وجد إلى ذلك سبيلا، ولو في أفعه الأشياء وأحقرها . وفي هذا النقش يشعر الإنسان أن « سفوت » كان يمهّد السبيل للاشتراك مع « حتشسوت » في الملك .

مبانيها الدينية خارج طيبة

ومن المحتمل أن « سفوت » في أواخر أيامه قد كلفته الملكة إصلاح المعابد وبخاصة ما بقى مخزبا منها منذ عهد المكسوس ، وكذلك بإقامة بعض المباني خارج طيبة .

معبد الإله « بنجت » : وقد كان من أهم هذه المباني الدينية المعبدان اللذان حفرا في الصخر على مقربة من « بنى حسن » وقد أهدى كل منهما للإله « بنجت » التي تمثل في صورة لبؤة .

المعبد الذى أقامته حتشسوت في المكان المعروف ببطن البقرة :
غير أن أحدهما قد أقامته بالاشتراك مع أخيها في أوائل حكمهما المشترك ، وهو الذى يسمى عند العامة «بطن البقرة» وهو معبد صغير كشف عنه « الدكتور أحمد نفرى » ويقع على مسيرة خمس عشرة دقيقة من معبدها الكبير «سبيوس أرتيميدوس» وقد لخص الدكتور أحمد نفرى ما جاء في نقوش هذا المحراب بما يأتى : يوجد في نفس الوادى الذى أقيم فيه معبد «سبيوس أرتيميدوس» (أى كهف أرتيميدوس) كهف آخر ينسب نحته للملكة « حتشسوت » والفرعون « تحتمس الثالث » ويدعى باسم « حت من » والوادى يسمى « ست » وقد كان مقدّسا للإله « بنجت » ويشاهد على جدران واجهة الصخرة حول الكهف وعلى الجدران « حتشسوت » التي حيت صورها واسمها ، والفرعون « تحتمس الثالث » يقر بان

للإلهة « بنجت » والإله « خنوم » سيد حرور (الشيخ عبادة) وإلى حتحور سيدة نفروس (بلنصورة) وإلى الإله « حور اختي » وقد تركت صورة الأميرة « نفروس » التي نشاهدها تتبع والدتها دون أن يلحقها أذى ، ونجد اسمها في طغراء مسبوقة بلقيين لها ، ثانيهما لم تعرف به من قبل على الآثار التي كشفت لها حتى الآن وهو لقب « يد الإله » وهو في الواقع يشبه لقب الزوجة المقدسة الذي كان يعد من ألقابها ، وفي عهد « سيتي » الأول أعيدت الصور والطغراءات الملكية التي كانت قد محيت من كهف « أرتيميدوس » الكبير ، أما في هذا المعبد الصغير فيظهر أنه لم يبق فيه بأى إصلاح من هذا النوع .

وأما معبد « سبيوس أرتيميدوس » فقد أقامته في أيام حكمها المنفرد . ويطلق عليه المصريون المحدثون « اصطبل عنتر » وقد نقش على واجهة الصخر فوق المدخل ذى العمود من طويل تعدد فيه « حتشسوت » ما فعلته لهذا المعبد ، وما قامت به من الأعمال الصالحات للآلهة ، وكذلك تقص علينا كيف أعادت بناء المعابد التي هشمها أولئك الهكسوس الغزاة . وهاك نص ترجمة المتن حرفيا (راجع J. E. A, Vol. XXXII. (1946) P. 45.)

« الحياة «لحور» = صاحب الصفات القوية ، وصاحب الإلهتين ، ذوالسنتين السعيدة ، حور الذهبي = المقدس المظاهر ، الإلهة الطيبة سيدة الأرضين « ماعت كارع » بنت الشمس حتشسوت ... لقد أقامت هذا (؟) الأثر الخالد لتثيت اسمها مثل السماء ، حتى تستطيع أن تحضر بمهارة توارث سيادتها على إقليم تلك التي على الجبل (يحتمل أن يشير هنا إلى الإلهة « بنجت » ربة هذا المعبد) ، وعلى ما تضيء الشمس طيه فوق الصحراء ، (؟) ولحيه منتشر على ظهر سلسل الجبال (الصحراء الشرقية والصحراء الغربية) ، فهناك تنصب الموافد ، وهناك امتدت المعابد لتكون متعة كل الآلهة ، كل منهم في المعبد الذي يرغب فيه ، وروحه (كا) جالسة على عرشه . ولقد فحمت ... وسربقاعات عديم ، ولقد صنعت الحجر الخفية ، وهي الجزء الداخلي من البيت لتنافض حجرة إزالة أثر القدم (وإزالة أثر القدم شجرة خاصة تقضى بإزالة كل أثر للأنسان بعد الاحتفال بالوجبة المقدسة) ، وكل إله قد صنع جسمه من ذهب « عامو » ، وأعيادهم قد خلدت في أفواه الناس ، ودورة العيد كلها تحدث في وقتها المعتاد ، وذلك بالتمسك بالقواعد التي وضعها بشدة ، والشاعر لا قامتها على حسب ما عمله (إله الشمس) في الزمن الأزلي (؟) قد زيد فيها ،

وكان قلبى القدسى يحث وراء (أهل) المستقبل ، وقلب جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى أخذ فى التفكير فى طاعة من تلق بترك شجرة أشد^(١) (أى شجرة اللب) إلى الأبد أى الإله «أمون» رب ملايين السنين ، ولقد عظمت الصدق الذى يحبه ، لأنى أعرف أنه يعيش عليه وأنه غذائى ، وأنى أتهم لذته ، وأنى والصدق لم واحد ، وقد ربانى لأجل شهرة قوية فى هذه الأرض إلى الوجود «خبرى» الذى برأ كل كائن ، والذى قدر «رع» وجوده عند ما ذرأ الأنظار ، وكانت كلها بمنحة تحت إدارتى ، فالأرض للسوداء والأرض الحمراء كانتا فى جبل منى ، وفوق جبلت البلاد الأجنبية تمنى لى ، لأن الصل الذى على جبينى يهذى لى كل البلاد .

وبلد «رشوات» (شبه جزيرة سيناء) و«ادو» (بلاد مبهولة) لم تعد بمنحة بيد من منى شخصى القناصر ، وبلاد «بنت» تمنى لى على الحفول ، فأشجارها محملة بالمرالديد . والطرق التى كانت خنقة على كلا الجانبين أصبحت الآن مطروقة ، وجيشى الذى كان غير مد قد أصبح يملك ثروة منذ أن أشرقت ملكا .

ومعبدة «القوسبة» الذى كان قد صار إلى الخراب ، قد ألهمت الأرض محرابه العظيم ، وأمسّت الأبطال ترقص على سقفه ، والهبة الثبان أصبحت لا تخيف ، والوضيئون اضربوا بمنابة انحراف ، وأجسادها المقروعة لم يحتفل بها ، وإن قد قدسها وأعدت بامها ، وصنعت صورتها المقدسة من الذهب لحفظ مدينتها فى قارب المركب الأرضى .

أما الإله «بخت» الظلمة التى كانت ترود الوديان فى وسط الشرق والتى الطرق التى غمرتها مياه المطر — إذ لم يكن هناك كاهن لعب الماء — فقد جعلت مبدعها جديرا (؟) لأجل تاسوها ، وأجوابه من خشب السط المظلم بالنحاس لأجل أن يكون فى الوقت المناسب ؛ وكان الكلمة قد عرفوا ميفاتها . (يذكر به ذلك بعض الآلهة من حيث الملكة بمواجههم ورفائهم) . والإله محوت الذى أنجب «رع» قد طلى مائدة قربان من الفضة والذهب وصاندى كان ، وكل أنواع الآلات قد وضعت فى مكانها ... والذى كان يدخل وجها لوجه قائد للتاسوع القدس هو الإله «أمون» كان جاحلا بها ، ولم يكن هناك واحد على علم تام بيبته ، ذلك لأن والده الإله كان مدمنا (؟) ... ناظرا

(١) هذه الجملة تشير إلى خرافة تقول إن إله الشمس أو الإله «نحوت» أو آلهة الكتابة كتب بالنبابة من نفسه اسم الملك على أوراق شجرة إشد الكريمة ، التى كانت فى قصر «المنكس» فى «عين شمس» وبذلك تضمن له ملايين السنين للأجياد الثلاثينية ، ولا نزاع فى أنه كان يعتقد أن هذا قد عمل للإله «رع» نفسه فى بادئ الأمر الذى يمكن أن يقال بأنه اتضح مهرجان هذه الشجرة . ويحتمل أن شجرة «عين شمس» الحالية هى صدى لتكريات هذه الشجرة .

مع (٩) والده . وقد منح حاملو الإله نائب نظرى الفخيم ، ولقد آقت معبده العظيم من جرجيان الأبيض (وبواباته) من مرمر «حتنوب» وأبوابه من نحاس آسيا ، والنقوش التى عليها صيغت من الذهب ، وصارت مقدسة بوجود صاحب الريشتين العاليتين بينها (يقصد الإله مين) ؛ ولقد نغمت هذا الأجد فى عيدين وهما عيد تألف الأرواح وعيد الإله «نحوت» وهما اللذان قررتهما له من جديد ، وقد كانا من قبل فى قم الناس فقط ، وقد ضاعفت له القربان زيادة عما كان مقررا من قبل ، وذلك بأن جعلت قربانا للإلهة الثانية أى للإله «خنوم» فى صورة المختلفة ، وللإلهة «حكمت» والإلهة «رنفت» و «مسخت» التى اتخذت لتشكيل جسمى ، وللإلهة «نحمت عاواى»^(١) والإلهة «نحمت كاو»^(٢) والإلهة (أزيت - أو - ناس - ب - تو -) (من يقول الناس عنها إن السماء والأرض ملكها) والإله «إمى» - وتيو - (الذى بين المحنطين) والبلدان لذلك فى عيد ، مما يدل على أن ذلك كان غير معروف (من قبل) وكذلك الشرفات كانت لا تزال فى حيز التصميم قد هيأتها وجعلتها بهجة ، فى حين تأمل ! كنت أقدم بيوتا لأصحابها ، وكل إله قال فى نفسه عنى : إنه واحد سيخلد ، والإله «آمون» جعله يظهر ملك الأبدية على عرش «حور» .

اسمعوا أنتم يا أيها المواطنون ، ويا عامة الشعب مهما كان عددكم . لقد أنجزت هذه الأشياء بتدبير قلبى ، ولم أغفل بوصفى إنسانا نساء ، بل لقد قويت ما تدعى . ولقد رفقت ما تمنى ، وذلك منذ أن كان الأسويرون فى «أواريس» الشمال ، ومعهم قبائل جائلة بينهم ، هادمين ما كان قائما ، وقد حكموا بدون رع ، وإنه لم يعمل حسب الأمر الإلهى حتى عهد عظمتى ، وإنى ثابت المكانة ، على عروش «رع» ولقد تقى به لعمد مستقبل لأنى ولدت فاتحا والآن لقد أتيت بوصفى وحيدة «حور» أقذف النار على أعدائى ، ولقد نفيت ما تلعه الآلهة ، والأرض قد محت طابع أقدامهم ، وهذه كانت القاعدة التى سار على هديها والد آبائى ، الذى جاء فى أوقاته المحدودة ، وهو الإله «رع» . ولن يحدث قط تخريب ما أمر به «آمون» وإن أمرى سيبقى ثابتا كالجبال ، وسيضو قرص الشمس ، ويرسل الأشعة على ألقاب شخصى الفاعل وسيخلق صقرى فوق العلم الملكى حتى الأبدية .

هذا النص الذى تركته لنا الملكة «حتشبسوت» يكشف لنا بعض الشئ عن الحالة التى كانت عليها المعابد المصرية فى العهد الذى تلا طرد الهكسوس من البلاد ، إذ أنه على الرغم مما قام به أسلافها من ملوك الأسرة الثامنة عشرة من أعمال

(١) إلهة ، وهى رفيقة الإله «نحوت» فى الأشنوين (معنى الاسم) التى تخلص المنهوب .

(٢) اسم للإله أنوبيس (٩) .

التمير والإصلاح ، فإن كثيرا من المعابد كان لا يزال مغربا مخربا تاما ، وقد نهب ما كان بها من أدوات لإقامة الشعائر الدينية ، ولم يبق منها قليل أو كثير ، حتى أن معبد « القوسية » وهى آخر بلدة وصل إليها الهكسوس فى زحفهم على مصر الوسطى قد وجدته « حشيسوت » مغربا ، وأن الأرض قد التهمت معبدها المجيد وأصبح سقفه ملقى على الأرض ترقص عليه الأطفال . ولذلك كان أول هم الملكة « حشيسوت » أن تقيم معبد الإلهة « بنت » العظيمة ، وتأسوعها ، فنهت لها معبدا فى الصخر يقاوم الدهر ويقالبه ترسل الشمس عليه أشعتها . ولقد أجادت أو أجاد « سموت » فى تنسيق حجره الداخلية ونقش عليها صور آلهة تأسوعها بالذهب ، وخلد أعيادهم ، وتضاعفت القرابين عما كانت عليه من قبل ، وبعد أن قامت ببناء هذا المعبد ، وتجديد أعياد الآلهة الذين كانوا فى هذا الإقليم كما ذكر فى هذا المتن ، نجدها تحت العالم فى هذا النقش بأنها أعادت المواصلات بين مصر والبلدان الأخرى التى كانت قد انقطعت أسبابها بينهم ، فتقول لنا : إن شبه جزيرة « سينا » لم تعد بعد خافية عن نظر جلالتي وإن بلاد « بنت » تفيض على البلاد بأشجارها العظمية ، وإن الطرق التى كانت مسدودة فى وجه المصريين شمالا وجنوبا قد فتحت ثم تحدثنا « حشيسوت » فى نهاية المتن عن الأعمال التى قامت بها فى طول البلاد وعرضها وبخاصة فيما خربه الهكسوس كما سبقت الإشارة إليه عند الكلام على طردهم .

والواقع أن هذه الملكة قد أقامت هذه المباني ، ونفذت تلك الإصلاحات دعاية لها كما ذكر فى فاتحة هذا المتن ، إذ يقول :

لقد أقامت هذا الأثر الدائم لنثبت اسمها العظيم بقوة مثل السماء حتى تسطيع أن تنقش بمهارة توارىخ سيادتها على ذلك الإقليم الخ .

والواقع أن « سموت » كان لا يرى وسيلة للدعاية لهذه الملكة الصديقة دون أن يلجأ إليها وينفذها ، إرضاء لها وتقانيا فى حبها ، غير أن « حشيسوت » لنا

رأت سلطان «سمنوت» قد طنى على سلطانها أخذت قلب له ظهر المحن ، ولكن الوثائق الرسمية تعوزنا في هذا الصدد ، غير أنها على ما يظهر أخذت تستل منه السلطة التي كانت في يده كما سيحىء بعد .

الأميرة نفرو رع وسمنوت : والواقع أن نجم سعدة قد أخذ يأفل عند ما فارقت الحياة الأميرة والزوجة المقدسة «نفرو رع» التي كان يقوم على تربيتها ويدير أملاكها ، وباختفائها فقد أعظم ركن من أركان مجده . وقد كانت على قيد الحياة بطبيعة الحال عندما وضع حجر أساس معبد الدير البحرى في السنة السابعة من عهد «حتشبسوت» وكذلك كانت لا تزال حية ترزق في السنة الثالثة عشرة كما نعلم ذلك من نقش في محاجر «سينا» ، وكانت تتمتع بالصحة عندما أقام «سمنوت» قبره الأول ، وأقام فيه تماثيله المحفوظة بمتحف «برلين» ومتحف «لندن» و«شيكاغو» ولم تكن قد فارقت الحياة عندما كان محراب الدير البحرى يزين بالنقوش^(١) ، غير أنها لم تظهر في باقى مناظر المعبد التي بدئ فيها حوالى العام السادس عشر من حكم والدتها ، يضاف الى ذلك أن «سمنوت» لم يدع لنفسه أنه كان القائم على شئونها في نقوش قبره الجديد حوالى نفس التاريخ ، أو على تماثله المحفوظ الآن بمتحف القاهرة .

مریت رع حتشبسوت زوج تحتمس الثالث : وكانت الزوجة الثانية للفرعون «تحتمس الثالث» «مریت رع حتشبسوت» التي لقيت الزوجة الملكية العظيمة ، ووالدة وارث عرش الملك (أمنحتب الثانى) وفضلا عن ذلك فإنه إذا كانت «نفرو رع» قد واراها التراب فاتتت وصاية «سمنوت» والقيام على تربيتها ، فإن عهد حدائة «تحتمس الثالث» وقصر سنه أصبحت كذلك في خبر كان ، إذ قد نما وترعرع حتى صار كهلا ، قصير القامة قوى البنية ، ممتلئا

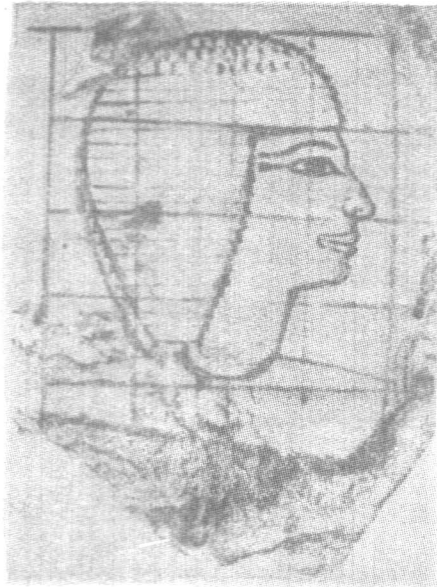
(١) راجع : Gauthier, L. R. II. P. 250.

(٢) راجع : Gauthier, L. R. II. P. 250.

نشاطا نابليونيا متاجما ، كانت جنوته قد أخذت حتى الآن ، غير أن لهيه سيندلج
فيجعل العالم المعروف وقتئذ يحترق بناره . فقد كان الواجب أن يكون منذ زمن
بعيد الحاكم المتفرد لمصر لولا قيام « حشيسوت » في وجهه ، وإنا لانحتاج الى شخص
نحيطنا لتصور ما كان يكتنه من الحقد والبغضاء ، وحب الانتقام من هؤلاء الذين
حرموه حقوقه الشرعية ، أو نرى الخطر الذي كان لابد أن يداهم « سموت » حينما
يتولى « تحتمس الثالث » الملك . وآخر تاريخ لدينا عن حياة « سموت » الحكومية
هو ما وجدناه على قطعة الخزف المؤرخة بحوالى منتصف السنة السادسة عشرة من
حكم « حشيسوت » . وإذا فرضنا أنه قد مضت سنة أو ستان أخريان قبل
الانتهاء من نقوش معبد الدير البحرى وتركيب آخر الأبواب التى خبئت ورامها
صوره فإن فى استطاعتنا أن نقول : إنه عاش حتى السنة الثامنة عشرة ، أى حوالى
١٤٨٣ ق م وإذا كان هو الذى قام بآخر أعمال أقامتها « حشيسوت » فى الكرك
فإنه لابد قد عاش حتى السنة التاسعة عشرة ، ولا نظن أنه عاش بعد ذلك التاريخ
إذ لا يمكن أن يفلت من يد « تحتمس الثالث » الذى كاد صبره ينفد من
رؤية هذا الرجل الذى أضاع عليه الملك نحو خمس عشرة سنة . والأمر الذى
لا نزاع فيه هو أنه قد سقط من طيائه ، وقضى عليه قبل اختفاء سيده من عرش
الملك ، وتلك الحقيقة يمكن استنباطها من القبر الذى أقامه فى هذه السنة إذ نجد
فى قبره الحديد أن صورته قد هشمت فى حين أن صور « حشيسوت » قد بقيت
لم تمس بسوء ، ولذلك أعتقد أن الملكة نفسها هى التى غدرت به أو أهملته عند
ما رأت أنه يسيطر على كل شئ فى البلاد كما يأس من تصرفاتها معه بعد موت
« قوروع » .

سموت يقيم قبرا ثانيا لنفسه : وتدل شواهد الحال على أن قبره الذى حفره
تحت معبد الدير البحرى ليخفيه عن أنظار اللصوص لم يدفن فيه بعد وفاته ، والقبر
يعد من التحف الأثرية النادرة المثال ، إذ يصل إليه الإنسان بدرج طويل يبلغ

طوله ما يربى على تسعة وتسعين مترا وهذا القبر كان يتألف من بعض حجر بعضها فوق بعض ، ومتصلة بدرج منحدر ، فعلى مدخل الحجرة الأولى عتب منقوش عليه الأمير والحاكم ، والفم الوحيد ، الذى يتكلم بسكون (أو بعبارة أخرى من سكوته بلاغة) وعظيم عظمه الملك ، والرفيق المحبوب بعزة مدير بيت « آمون » « سنوت » المرحوم الخادم الصادق فى حبه والذى يفعل ما يلقى موافقة سيد الأرضين . وبعد ذلك ينحدر الإنسان عدة درجات إلى أن يجد لوحين مستديرى النهاية ، قد ثبتتا فى الجدار على كلا جانبي المنحدر ، وعلى إحدهما يوجد رسم تخطيطى بالمداد الأحمر لرأس صاحب المقبرة ، وكتب عليها مدير بيت « آمون » « سنوت » وعلى الرغم من أن هذه الصورة رسم تخطيطى على الطريقة المعتادة التقليدية إلا أن المثال كان فى مقدوره أن يقنع أبناء العصر الحالى بأن « سنوت » كان ذا وجه يلفت النظر بأنفه الأفتى ، ووجهه المغضن الذى ينم عن مزاج عصبي وكانت تجاعيد محياه من الأوصاف التى عرف بها ، كما يدل على ذلك رسم تخطيطى هنزلى له عثر عليه



(٢٧) صورة سنوت (بالمداد الأحمر).

اللورد « كارزفون » و « كارتر » في مقبرة بهذه الجهة . والواقع أنه لم يتم إلا نقش حجرة واحدة في مقبرته ، ومع ذلك فإنه لا يزال باقيا فيها ، مما يدل على أن يد النقاش لم تكد تنهى منها إذ وجد على الجدران ما يدل على توارخ التفتيش في أثناء سير العمل فيها .

وصف محتويات القبر : وجدان هذه الحجرة الأربعة قد نقشت بدقة نقوشا عمودية من الإشارات الميروغليفية تحتوى على فصول انتخبت من كتاب ما يوجد في العالم السفلى ، وكتاب البوابات ، وكتاب الموتى ، وهى الكتب الدينية التى ترشد روح المتوفى في الحياة الآخرة عند ما يسبح مع الشمس في سفيتها مخترقة محيط العالم السفلى ، وتخترق في سياحتها (بوابات) جهنم المخيفة ، أو حقول القربان ، وقبلالة باب هذه الحجرة لوحة رسمت على هيئة الباب الوهمى الذى تخرج منه روح « كا » « سموت » ثم تعود منه ثانية بعد أن تنزه في عالم الدنيا كل يوم . ونجده كذلك مرسوما مع إخوته وزوجه على هذه اللوحة وزاه كذلك جالسا يتحدث إلى والده ووالدته من نافذة في أعلى اللوحة ، وأخيرا زاه كرة تالسة جالسا وحده ، وأمامه غذاؤه في داخل الباب الواقع أعلى اللوحة .

على أن الدرة الثمينة في رسوم هذه الحجرة هو سقفها . إذ نرى فيها مصورا جغرافيا للسماء وهو يعد من أقدم المصورات التى وصلت إلينا وأحسنها ، وقد رسمه مفتن من أمهر المفتنين الذين عاشوا في منتصف عهد الأسرة الثامنة عشرة . ففى وسط النصف الشمالى نشاهد مجموعة النجوم التى لها رأس ثور ، وهى ما يعرف في عهدنا بالذئب الأكبر ، ومجموعة النجوم القطبية . وفى عرض السماء رسمت الأعياد الشهرية الاثنا عشر ، كل منها في هيئته ، بدورتها التى تقطعها في أربع وخصرين ساعة ، وتحت ذلك نجد الأجرام السماوية الواقعة في شمالى السماء تمر في موكب . وقبلالة هذه في جنوبى السماء نشاهد نجم الجوزاء أو الجبار يلتفت بعتاد وجهه بعيدا عن نجم الشعرى اليمانية التى تسمى وراء اقتناصه ، وهى تنزى إليه بطرفها سنة بعد

سنة دون جدوى . وفوقها نشاهد قائمة نجوم (الدكان ^(١)) وقد أدخل بينها اسم « حتشبسوت » بوصفها من الأجرام السماوية .

والواقع أنه مصور جغرافى جميل للسماء أقدم من الذى عثر عليه فى قبر « سیتی » الأول ، ولا نزاع فى أن كل من أراد أن يدرس علم الفلك عند قدماء المصريين لا يستطيع الاستغناء عن هذا المصور الفذ . وقد برهن الأستاذ ونلك على أن هذا القبر حفر حوالى السنة السادسة عشرة من عهد « حتشبسوت » ^(٢) . على أن الأحوال التى قضى فيها على « سنوت » وعلى مجده لا بد أن تركها لخيال القارئ ، لأن الآثار لم تحدثنا عنها حتى الآن بكلمة واحدة ، غير أن الإنسان يمكنه أن يتصور أنه على أثر وصول الأخبار بنهاية مدير البيت العظيم ، صدرت الأوامر بسد قبره الحديد المتناهى فى الفخامة ، وهو الذى أراد أن يباهى به فى الأبهة والسرية قبر سيده وخليته « حتشبسوت » ، ولا يبعد أن تكون هى التى أمرت بذلك ، وقد نفذت هذه المؤامرة على جناح السرعة ، إذ قد نزل العمال إلى حجرة دفنه المزخرفة ، وهشموا وجوه « سنوت » أينما وجدوها فى المناظر التى على الجدران ولم يفتهم الرسم التخطيطى للرأس السالف الذكر ، إذا أصابوه ببعض العطب ، والظاهر أنه لم يكن لديهم وقت للبحث عن اسم « سنوت » فى النقوش ، بل يحتمل أنه لم يكن واحد منهم يعرف القراءة ، أما طغراءات « حتشبسوت » فلم يمسوها بسوء . وأخيرا جمع العمال بسرعة لبنات وأحجارا عند مدخل القبر ، ومن ثم أخذوا يسدونه ، غير أنهم لم يستمروا فى عملهم طويلا حتى النهاية بل تركوا بناء سد الباب ، وأخذوا يهيلون التراب والأوساخ بما يكفى لسده .

مصير سنوت : والظاهر أن « سنوت » كان يعلم علم اليقين أنه إذا مات « حتشبسوت » قبله أو إذا غضبت عليه ، فإنه لن يلقى أى رحمة على يد خلفها

(١) معنى كلمة دكان عشرة أيام وكانت السنة مقسمة عند المصريين الى ٣٦ « دكان » .

(٢) راجع : Winlock, "Excavations at Dier el Bahri", P. 141.

أو على يدها ، وذلك لأنه أخذ احتياطا غريبا يحتمل به على بقاء اسمه إذا أزيل من جدران قبره لأن في ذلك يكون القضاء على شخصيته أو روحه في عالم الأرواح فيمكن الإنسان أن يرى في قبره الذي بقى إلى الآن مخربا كيف أنه أمر بكتابة اسمه في جهات متفرقة على واجهة الصخر، تحت طبقة الملاط التي وضعت على الجدران فإذا أزيلت الرسوم التي على طبقة الجص ظهر اسمه منقوشا هناك مخفيا عن أعين أمدائه ، ولكنه ظاهر للأرواح (راجع Weigall, "Guide", P. 148.) .

على أن هذا المصير المؤلم لم يكن من نصيب « سموت » وحده بل كان النهاية المحتملة لعدد من كبار الرجال البارزين في عهد « حتشبسوت » أو بعبارة أخرى رجال العصبة الذين آزروها وعززوا ملكها وستتحدث عنهم فيما بعد .

مكافأة الملكة حتشبسوت : ولا بد أن « حتشبسوت » قد مضت أيام حكمها تحفها الأبهة ، وتحيط بها العظمة ، وتتقلب في أعطاف النعم ، والمجد المؤمل ، يلتف حول عرشها ويشد أزرها هؤلاء الرجال العظماء ، الذين ذكرناهم فيما بعد ، وذكرنا بعض ما قاموا به من عظام المشروعات الضخمة التي جعلت اسمها في أفواه أبناء الأجيال التي تلت حتى عصرنا الحالي ، وستبقى ذكرها مادام التاريخ يتحدث عن عظماء الرجال والنساء ، ولا بد أن شهرتها بطبيعة الحال كانت قد ذاعت في كل العالم المتمددين في عصرها . ولا أدل على ذلك مما نشاهده على قطعة صغيرة من الرسوم الملونة التي بقيت لنا من قبر « سموت » إذ نرى عليها صور مبعوثين من جزيرة « كريت » النائية يحملون للملكة هدايا . ويظهر أن نشاطها كان منتشرا في كل الجهات .

آثار حتشبسوت في جهات القطر وخارجه : فرى أنها قد أعادت فتح المناجم في « سرابة الخادم » في شبه جزيرة « سينا » إذ قد عثر على بعض قطع الفخار الملون في تلك الجهة باسمها ، ويمكن أن نذكر عرضا هنا أن كاتب أحد النقوش في ذلك المكان قد كان مرتبطا في موضوع اشتراك « حتشبسوت » مع

« تحتمس الثالث » فى الحكم حتى أنه كتب « ماعت كارع - تحتمس » بوصفها اسم فرعون واحد^(١) ، وفى (وادى مقاره) توجد لوحة مؤرخة بالسنة السادسة عشرة من حكمها عليها رسم كل من « حتشبسوت » و « تحتمس الثالث » الأولى ترتدى فوق ملابسها نوعا من السجف . وفى « بوتو » من أعمال الدلتا ، وجد خاتم معبد « آمون » عليه اسمها^(٢) ، وكشف فى « العراية المدفونة » عن بعض أوانى المعبد عليها اسمها^(٢) كذلك وفى مدينة « هابو » يوجد ما يدل على بعض أعمالها فى هذه البقعة .

وفى الكرنك تركت لنا آثارا عدة من أهمها ما عثر عليه حديثا المهندس « شفريه » عند ما كان يشتغل بإصلاح (البوابة) الثالثة ، إذ قد وجد أن « أمنتب الثالث » صاحب هذه (البوابة) قد أخذ معظم أحجار معبد أقامته « حتشبسوت » فى هذه البقعة ، ووضعها فى حشو هذه البوابة ، وقد قطعت أحجاره من الجرانيت الأحمر المحجب ، ونقوشه غاية فى الدقة ، وقد زينت جدرانها الخارجية بأسماء مقاطعات القطر المصرى كل منها فى صورة إله النيل ، وفوق رأسه اسم الإشارة الدال على المقاطعة ، وهذه القائمة تعد من أهم القوائم التى عثر عليها حتى الآن .

وفى مدينة الكاب عثر على نقش لها هناك^(٤) ، وقد عثر « ليسيوس » على بوابة عليها اسمها فى « كوم أمبو » وفى « وادى حلفا » (بوهن) أقامت معبدا عظيما^(٥) . وتوجد لها آثار عدة صغيرة كذلك منها لوحة فى « متحف اللوفر » مقدمة من « حتشبسوت » للسلك « تحتمس الأول » والدها ، وقد مثل عليها جالسا

(١) راجع : Gardiner and Peet, "Sinai". Pl. LX. No. 186.

(٢) راجع : Mariette, "Abydos" No. 1468.

(٣) راجع : L. D. III. Pl. 27.

(٤) راجع : Rosellini, "Mon. Storici. III, I. 130.

(٥) راجع : L. D. III, Pl. 28.

(٦) راجع : Maciver and Woolley, "Buhen", Pl. 10.

يتقبل القربان^(١). كما توجد لوحة أخرى في « متحف الفاتيكان » حيث نشاهد « حشيسوت » تقدم القربان للإله « آمون » ، ويرى « تختمس الثالث » واقفا خلفها^(٢) ، وكذلك عثر على لوحة صغيرة نشاهد فيها الملكة ترضعها البقرة « حنحور » كما نشاهد في الدير البحري^(٣) ، إذ قد أقامت مقصورة خاصة لعبادتها تمد من تحف هذا المعبد ، وترجع عبادة هذه البقرة إلى عهود قديمة ، كما تكلمنا عنه فيما سلف في الجزء الثالث (راجع جزء ٣ ص ٣٩) هذا وقد عثر لها على عدة تماثيل ، بعضها موجود في المتاحف الأوروبية ، وبخاصة من تماثيل « يو الهول » التي عثر عليها من بقايا التماثيل التي نصبت لها على الطريق المؤدى إلى معبد الدير البحري ، رموسها رموس رجال ملتحون ، وقد أصلح الأستاذ « ونك » عددا منها بعضه في متحف « مترو ليتان » وبعضها في المتحف المصري ، وخلافا لذلك نجد رأسين محفوظين من هذه التماثيل في « برلين » ، وكذلك رأس تمثال ، وتمثال من غير رأس لللكة^(٤) ، كما يوجد تمثالان آخران لها في « ليدن »^(٥) ويوجد لللكة تمثال مجاوب في « لاهاي »^(٦) .

سبب تزيي حشيسوت بزى الرجال : ولا يفوتنا بهذه المناسبة أن نذكر هنا أن بعض المؤرخين ينسبون تزيي « حشيسوت » بزى الرجال إلى سبب خاص فيقول الأستاذ « ويمول » في كتابه تاريخ مصر ما يأتى :

من المعلوم أن الملك « أحس » الأول قد تزوج من امرأة تدعى « انخابي » وقد رزق منها بنتا تسمى « أحس حنت نامحو » ومعنى « حنت نامحو » كما يقول

(١) راجع : Lepsius, Auswahl. XI.

(٢) راجع : Champollion, "Notices", II, 700-1.

(٣) راجع : Grant collection. Petrie, "History", II, P. 91.

(٤) راجع : L. D. III, Pl. 25.

(٥) راجع : A. Z, XIII. P. 25.

(٦) راجع : Wiedemann. P. S. B. A. Vol. VII. P. 183.

« ويحل » سيده قوم « التمحو » وهم أهل « لوبيا » ويستتج من ذلك قوله : إنه من الجائز أن « أحس » هذه كانت أميرة من « التمحو » ولكنها لما كانت تلقب « بالابنة الملكية » فيحتمل أن ملوك غرب الدلتا كان لهم ملك خاص في أوائل حكم « أحس » الأول ، إذ اقتبس المؤرخ « يوسف » عن « مانيتون » أن الثورة التي قامت على « الهكسوس » كان قد نظمها ملوك « طيبة » أى ملوك الأسرة السابعة عشرة ، وملوك آخرون من أجزاء مصر ، وأن والدة هذه الملكة « أحس حنت نامحو » كانت بنت ملك من ملوك غربى الدلتا ، وقد ذكر الأستاذ « نيوبرى » فى كتابه عن تاريخ مصر القديمة ص ١١٠ أن الأميرة « أحس حنت نامحو » هى أم الملكة الشهيرة « حتشبسوت » التى ميزت نفسها بالترى بزي الرجال ، ولكن لباس نساء « التمحو » كان لا يمكن تمييزه من لباس الرجال وعلى ذلك يمكن القول بأن « حتشبسوت » كانت فى ذلك تقلد والدتها ، وعلى الرغم مما يعتور ذلك من الشكوك فإنه يقال : إنه كان يوجد ملك يحكم فى غرب الدلتا فى أوائل حكم « أحس » الأول ، وأن الأخير قد تزوج من ابنة له تدعى « انحابى » لأسباب سياسية ومن الواضح على كل حال أن أحس قد تخلص منه كما يدل على ذلك انفراده بالحكم ، وكذلك تدل شواهد الأحوال على أن « انحابى » قد توفيت قبل نهاية حكمه ، إذ يقول الدكتور « البيوت سمث » أن تحنيط جثمانها يرجع إلى طراز التحنيط الذى ينسب إلى أوائل عهد الأسرة الثامنة عشرة وتدل موميئتها على أنها كانت قوية البنية عريضة المنكبين ، صغيرة السن ، عظيمة القدمين ، بدينة ، ويحتمل أنها قد ماتت بعد وضع ابنتها « أحس » مباشرة ^(١) غير أن هذا الاستنباط فى نسب « حتشبسوت » لا يخرج عن الظن والتخمين .

فالواقع أنه كان يوجد ملكان فى بداية الأسرة الثامنة عشرة : إحداهما تسمى أحس سيده نامحو (أى سيده أرض الشمال) والثانية تسمى أحس سيده تمحو (بلاد تمحو أى لوبيا) ومن ثم يلاحظ فى النطق بالاسمين تورية ظاهرة .

وقد كان أول من فطن لوجود هاتين الملكتين الأثرى « دارسى » ثم جاء بعده الأستاذ « نيوبرى » وقال ان اشتقاق هذين الاسمين من أصل واحد أى أن « تاحمو » و« تمحو » موحدين لفظا ومعنى ، وهذا الزعم غير صحيح (راجع Ancient Egypt, 1915 P. 99).

وحقيقة الأمر ما يأتى : عثر على موميّة فى خبيثة الدير البحرى محفوظة فى تابوت عارى عن النقوش ، وقد كتب على صدرها بالخط الهيراطيقى ما يأتى :
البت الملكة والأخت الملكة والزوجة الملكة سيدة « تمحو » . هذا وقد وجد على لفائف كتب عليها متن من كتاب الموتى نسب الى هذه الملكة وهو : الابنة الملكة أحمس المسماة سيدة تمحو المرحومة وهى طفلة البنت الملكة المسماة « تلت حابى » .

ومن جهة أخرى وجد تابوت من الخشب كتب على غطاءه البنت الملكة والأخت الملكة أحمس سيدة « تاحمو » . وقد قال الأثرى دارسى فى تفسير ذلك أنه قد حدث خطأ فى وضع الغطاء على هذه الموميّة ، ومن الجائز أن ذلك حدث فى عصرنا أو فى الأزمان القديمة ، وأن هذا الغطاء هو لصاحبة التابوت الأول ؛ على أن « مسبرو » يعتقد أنهما اسمان مختلفان ، وموضوع بحثنا حتى الآن هو فى أميرة تسمى أحمس سيدة « تاحمو » وقد وجد اسمها على قطعة صغيرة من الآثار فى مجموعة بترى (History. of Egypt. II. P. 43.) هكذا : الأخت الملكة « أحمس سيدة تاحمو » ، وكذلك وجد منقوشا فى مقبرة رجل يدعى « امنحات » الواقعة فى « جبانة شيخ عبد القرنه » رقم ٥٣ من عهد « تحتمس الثالث » وذلك على لوحة رسم على جزئها الأعلى المتوفى وهو يقدم القربان إلى سيدتين جالستين ، الأولى تلقب البنت الملكة « أحمس » سيدة الأرض الشمالية (تاحمو) والثانية أمها وتلقب : زوج الملك « أحمس انحابى » ، يضاف إلى ذلك أنه قد عثر على لقب الأميرة الأولى فيما بعد فى قبرين أحدهما قبر « خع يخت » فى « دير المدينة » (رقم ٢) ويرجع عهده للأسرة التاسعة عشرة أو العشرين . ويلاحظ أن المتوفى قد ظهر يقسم

القرايين إلى صفين من ملوك الأسرة الثامنة عشرة الجالسين أمامه ومن بينهم الزوجة الملكية العظيمة سيدة الشمال (تاحمو) ؛ وكذلك وجد اسمها مرة أخرى بنفس الصورة في مقبرة « انخرخعو » (مقبرة رقم ٢٩٩) التي يرجع عهدها إلى عصر رمسيس الثاني ، فتجد إذا من هذين النقشين أن الاسم موحد ولا شك أن أحمس سيدة بلاد الشمال هي « أحمس » بنت أنحابي . وقد وجدت مومية « أنحابي » في تابوت امرأة تدعى « رعى » كما يستنبط ذلك من النص الهيراطيقي الذي وجد على لفائف المومية وهو : اللابنة الملكية والزوجة الملكية « أنحابي » العائشة . وقد وجد اسم هذه الملكة كما ذكر « مسبرو » على توابيت « رمسيس الأول » و « سبتى الأول » ، و « رمسيس الثاني » . ومن كل ما سبق نعلم الحقائق التالية : أولاً نعلم أنه كانت توجد ملكة تدعى أحمس حنت تمحو (أى سيدة بلاد التمحو) ووالدها تدعى تفت حابي ، وثانياً توجد ملكة أخرى تدعى أحمس حنت تاحمو (سيدة بلاد الشمال) وتسمى والدها « أنحابي » . وعلى ذلك يظهر أنه لا يمكن توحيد اسم الملكتين ولا اسم الأئمين مع وجود تورية في كل من اسمي الابنتين والأئمين .

ولا نزاع في أن أحمس سيدة بلاد الشمال ابنة « أنحابي » هي والدة الملكة « حتشبسوت » وابنة الفرعون « أحمس الأول » (راجع Holscher, "Libyer und Agypter", P. 51 - 52) & Chronique d'Egypte No. 31. Janvier 1941. (P. 39 - 42.) .

وخلاصة القول إذن أنه ليس هناك أية صلة بين الملكة « أحمس حنت تاحمو » وبين بلاد التمحو أى بلاد لوبيا ، وبذلك يكون ما ظنه « وييجل » وغيره لا أساس له من الصحة ، بل يجوز أن « أحمس حنت تمحو » التي يشير إليها « وييجل » هي بنت الملكة « تفت حابي » ، التي أشرنا إليها فيما سلف ، ومن الجائز أنها بنت « أحمس الأول » .

وأما تزويجها بزي الرجال فإنها فعلته لتسمى ملكاً لا ملكة ، إذ أن مصر كان لا يحكمها إلا الرجال ، وقد ضربت لها المثل في ذلك الملكة « نخت كاوس »

في عهد الأسرة الخامسة إذ سميت نفسها على نقوشها ملك الوجه القليل والبحرى .
وقد حافظت « حتشبسوت » على أن تكون مذكرا لا مؤنثا في نقوشها كذلك «
فكان ضمير الفاعل المذكور هو السائد في كل وثائقها ، ولم يعرف لها غير تمثال
واحد في زى النساء .

آثار أخرى للملكة حتشبسوت : هذا وقد عثر على صندوق قش عليه
طفرات الملكة في خيئة الدير البحري ، ولكن لما كان اسم « آمون » قد عثر
منه ، فلا بد أن هذا القبر كان يمكن الوصول إليه في عهد « اخناتون » ، ولم يكن
وقتئذ في قبر الملكة ، وعلى ذلك فقد ظن البعض أن الكلية التي وجدت في هذا
الصندوق كانت للملكة تدعى « ماعت كارع » من عهد الأسرة الواحدة
والعشرين ، على أنه قد تكون من الصدف السعيدة إذا كان هذا الصندوق قد
استعمل ثانية بعد صنعه بعدة قرون ، وتكون التي استعملته ملكة تحمل اسم ملكتنا
« حتشبسوت »^(١) . ولدينا بعض آثارها الخاصة ، منها استراكون من الحجر الجيري
الأبيض ، كتب عليها اسم « سات رع » مربية « حتشبسوت » الأولى ،
فنشاهدها تدعو للمليكتها بقربان ملكي بوصفها إلهة ، وهذه المربية كانت تعرف
باسم « ين » أيضا^(٢) ، وكذلك وجد تمثال لشخص يدعى « انبي » ، بالمتحف
البريطاني يمدح الملكة « حتشبسوت » و « تحتمس الثالث »^(٣) . وقد عثر على بعض
قطع من الآثار في مدفنها ، وأهمها جزء من إناء منقوش عليه اسم الملكة ،
والكلمات التي تلي الاسم تدل على أنها قد توفيت عند ما قش هذا الإناء^(٤) ،
ولذلك يعتقد أن بعض الأشياء وجدت بالقرب من قبرها يحتمل أنها كانت جزءا

(١) راجع : Maspero, "Momies Royales", P. 584.

(٢) راجع : P. S. B. A. IX. P. 183.

(٣) راجع : Lepsius, "Auswahl. Pl. XI.

(٤) راجع : Davis "The Tomb of Hatsheput", P. 109, 5.

من أثارها الجنائز . والواقع أن هذه الآثار تعد ذات أهمية عظيمة^(١) ، ويحدثنا الأستاذ « بترى » عن هذه الأشياء حديثاً ممتعاً ، وعن الملابس التي أدت إلى كشفها نقلاً عن « جرفيل شستر » الذي أهداها للمتحف البريطاني . فيقول لنا : إن مستر « شستر » كان قد أخبره لصوص الآثار أنه توجد مجموعة من الآثار تحسوى على عرش ورقعة (ضامة) ، وأحجار (ضامة) عثة ، وقطعة من خرطوش من الخشب ، وقد وجدت كلها مغطاة في إحدى الحجرات الجانبية لمعبد الفرعون « رعسيس التاسع » تحت حجر غير مثبت يستد المكان ، وقد أرشد أحد تجار آثار الأقصر المستر « شستر » إلى هذه البقعة ، أما عن المكان فلا يمكننا إثباته أكثر من أنه كان في بداية تلك الناحية من الوادي التي تقع بالقرب من الصخرة خلف معبد « حتشبسوت » وهي التي كان فيها قبرها . على أن الآثار التي خبئت بهذه الكيفية تشعر بأن قبرها كان قد سرق في الأزمان القديمة ، وحمل اللصوص معهم كل ما خف حمله من أشياء حتى يمكنهم أن ينقلوها إلى حيث شاءوا على مهل ، بعد أن لفت نظر رجال الحراسة إلى ما حل بقبر الملكة ، ولا بد أن اللصوص قد دفنوا الأشياء التي ليس لها قيمة عظيمة في مقبرة « رعسيس التاسع » التي كانت بدورها قد نُهبت فعلاً وتركت مفتوحة ، وتقع عند فم الوادي ، إلى أن يجدوا الوقت المناسب لنقلها ، ويظهر أن القطع التي تتألف منها المجموعة كانت في الواقع مرتبطة ، بجزء الطغراء المصنوع من الخشب لم يكن من السهل قراءة ما عليه من النقوش إلا لمن عرف إشارات اسم الملكة ، عن ظهر قلب ، كما أن الساجر الذي باعها لم يكن يعرف الاسم ، وعلى ذلك لم يحاول أحد في ذلك الوقت نسبة هذه الأشياء لهذه الملكة ، غير أن قطع (الضامة) المصنوعة من الخشب التي كانت كلها في صور رءوس أسود هي من طراز قطعة (الضامة) الجميلة المصنوعة من حجر اليشب الذي يحمل اسم الملكة على الرأس والطورق^(٢) . وهذه القطعة محفوظة

الآن في المتحف المصرى ، ولا يمكن أن تكون قد استعملت نموذجا للفيلدين الأحداث والآثار . وعلى ذلك نجد أن القطعة الموجودة بالمتحف تؤرخ لنا القطع التى توجد في مجموعتنا هذه وتؤكد أثريتها ؛ وعلى ذلك يمكن القول بأن هذه القطع مرتبطة بقطعة الطغراء التى وجد عليها اسم الملكة ، وكذلك يحتمل كثيرا أن رقعة الضامة هى التى كان عليها هذه القطع ، ومن ثم لدينا دليل على صدق قصة هذه الآثار ، هذا إلى أن أسلوب صناعة العرش المصنوع من خشب نادر مطعم بدقة بالسام (يضاف إلى ذلك أن الصل الذى عليه مصنوع من نفس خشب الطغراء) ، وشكله الدقيق الجميل المنظر يتفق مع ذوق صناعة العهد الأول من الأسرة الثامنة عشرة . ولا يوجد سبب يدعو إلى الشك في هذه القصة على حسب ما أمكننا أن نصصل إليه في ظل نظام يسوده الإخفاء والسرية فرضه قانون مصلحة الآثار المصرية^(١) . « والواقع أن ما يلفت النظر في هذه القصة الطريفة هو إلقاء اللوم على قانون الآثار المصرية ، وعدم إلقاء أية مسئولية على جامعى الآثار من الإفرنج مما يستجع اللصوص على الاستمرار في سرقة الآثار ، وإخفاء مكان وجودها ، وذلك ما يجعل قيمتها الأثرية تنضج ، والمثال السابق الذكر أكبر دليل على ما ذكرناه .

أشكال الجعارين في عهد حتشبسوت : وقد عثر لهذه الملكة على ستة جعارين ولوحات صغيرة ، بعضها يحمل لقبها ، وبعضها يحمل اسم العقاب والصل . غير أن أهم طائفة من جعارين هذه الملكة هى التى نجد عليها اسمها مع اسم ملك ممن سبقوها فنجد من ذلك اسمها مع الملوك . « سنوسرت الثالث » و « سبك حنب » و « امنحتب الأول » والثالث ، وكذلك توجد جعارين تضم اسمها ، واسم تحتمس الثالث^(٢) .

(١) راجع : Petrie, "History", Vol. II, P. 93.

(٢) راجع : Ibid. P. 94.

وقد كانت « حتشبوت » أول من اخترع الجعارين التذكارية على ما نعلم ، فقد وجد لها جعران يحمل العبارة التالية ، « ماعت كارع » ذات الرائحة الذكية في أنف آلهة « طيبة » . وهذه العبارة تشير إلى حملة « بنت » العظيمة التي كان أهم غرض لها إحضار أشجار العطور والروائح العطرية لمعبد الإله « آمون » بل لأجل تأليه الملكة نفسها^(١) ، هذا وقد وجد لها جعران في الواحة البحرية كما أخبرني بذلك الدكتور أحمد نفري مدير آثار الصحارى .

مصير حتشبوت : ولكن مما يؤسف له أننا لا نعلم مصير مومية هذه الملكة كما ذكرنا ، على أن الشيء المحقق أن « حتشبوت » قد دفنت في مقبرتها التي أعدتها لنفسها ولوالدها ، ولكن القريب في ذلك أنها اختفت من مسرح التاريخ بغاية إذ نرى « تحتمس الثالث » يقود جيوشه إلى الحدود الشمالية لإخضاع الثورات التي قامت في أملاك الدولة في اسيا . (راجع ما ذكرناه عند كلامنا على الهكسوس) .

تحتمس الأول وآثار حتشبوت : ويخيل لى أن « تحتمس الثالث » لم يظهر حب الانتقام مباشرة من « حتشبوت » وآثارها في البلاد ، بل لابد أنه كان يساير رأى العام الذى كان على ما يظهر لا يبغض « حتشبوت » وبخاصة إذا كانت هى التي أبعدت « سمنوت » عن إدارة دفة الحكم ، وبذلك كفرت عن أغلاطها معه أمام الشعب المصرى ، ومن المحتمل جدا أن « تحتمس الثالث » لم ير أن مركزه كان بعيدا عن الخطر لدرجة تسمح له بمهاجمة أعمال سلفه بعنف منذ بداية الأمر ، بل ربما اتبع سياسة الانتظار ، ثم الانقضاض . وفى خرائب الكرنك نجد بقايا مقصورة جنازية قد أهديت للملكة « حتشبوت » وقد عثر عليها « الجران^(٢) » . وفى النقوش التي على جدرانها قد مثل الاحتفال

(١) راجع : A. S. XXXIX. P. 113.

(٢) راجع : Legrain and Naville, "Annales du Musee Guimet", XXX.

يحنّازتها ، على أنه من المحتمل أن هذا المبنى قد أقامته « حتشبوت » نفسها ليكون لها بعد وفاتها ، كما نشاهد مثل هذه المناظر في قبور الأشراف ، وربما أقيمت هذه المقصورة في وقت الاحتفال بعيدها الثلاثيني ، لأنه في الواقع عيد يرمز به لإحياء الفرعون ثانية بعد حكم ثلاثين سنة ، وتجديد جسده ليحكم مدة غيرها ، وهذا العيد بلا نزاع عيد أوزيرى الصبغة . وعلى أية حال فإننا نرى في المناظر التي على جدران هذه المقصورة « تحتمس الثالث » يشترك في الاحتفال بدفنها ، فيرى وهو يتقدمها في هيئة « أوزير » عابرا النيل إلى الجبانة الغربية كأنه يسير في جنازتها ومن المحتمل أن هذه المقصورة قد أقيمت بعد موتها مباشرة^(١) ، ولكنا مع ذلك نرى بعد مدة لا يمكن تحديد مقدارها على وجه التأكد أن العمل كان يسير بحمد ونشاط في معبد الدير البحري كركة أخرى بعد ممات « حتشبوت » غير أنه في هذه المرة كان عمل تهديم لا عمل بناء فهشمت تماثيلها وعُي اسمها واسم من اشترك معها في إبعاد « تحتمس » عن أريكة الملك . ولا غرابة في ذلك إذا عرفنا أنه كان من الأمور التي تثير الحقد ، وتورث نار البغضاء أن يضطر شاب طموح في مستقبل العمر أن يعيش عيشة نهمول مستمرة ، وكذلك مما لا شك فيه أن تقاليد البلاط لم يترسخ في أمرها عند ما تثبيتت الملكة بحقوقها بثقة في شيخوختها ، ولم تسمح لهذا الملك الفتي بأية سلطة ، ولا شك في أن « تحتمس » عندما رأى السنين تمر سريعا ، وأنه قد دخل على الثلاثين دون أن يرضى له العنان ، كل ذلك كان لابد مما يجعله نائرا هائجا حتى أصبح يحقد على كل شيء خاص بهذه المرأة المسنة ، غير أن كل شيء كان يأتي طوعا لمن ينتظر ويتأنى .

والواقع أن مصر قد نمت نموًا عظيما في خلال العشرين عاما التي قضتها البلاد في سلام ، وبفضل تجارتها وحسن تدبير مواردها ، واستغلال تربتها ، ولعلنا فإننا عند ما ذهبنا الملكة إلى السماء ، وهي تربي على الحسين ، وكان تحتمس

فى السنة الأولى من العقد الرابع من سنى حياته ، عند ما أخذ مقاليد الأمور فى يده جميعا ، وجد أداة عظيمة فى يديه استطاع بها بعد بضعة أسابيع من توليه العرش منفردا أن يقذف بجيش عرمرم فى ساحة القتال فى سلسلة من الحملات ارتفعت مكانة مصر فى نهايتها ، وامتد سلطانها وعظمتها ، وعلى رأسها أول بطل فاتح فى تاريخ العالم القديم ، يغزو ويفتح بقوة لا تعرف الكلل ، وجيش أصبح مدربا مثابرا مدة تربي على الثمانية والعشرين ربيعا .

عهد حتشبسوت كان عهد رخاء : وعلى ذلك فإن « تحتمس » الثالث مهما يكن رأيه فى سلفه وسياستها السلمية ، ومهما يكن رأينا فى الطرق التى استعمل هو فيها موارد البلاد وخيراتها التى تركتها له ، فإنه مما لا جدال فيه أن العشرين عاما التى جنت فيها عن الحروب ، وعملت على تنمية ثروة البلاد كانت أكبر هدية قدمتها « حتشبسوت » لتحتمس الثالث الذى قلب لها ظهر المجن بعد موتها ، على الرغم من تهيئتها له الفرصة للصعود إلى تلك المكانة السامية التى لم يسبقه إليها عاهل فى الشرق القديم بل فى العالم المتمددين فى عصره . وهكذا طويت صحيفة هذه الملكة بعد أن حكمت إحدى وعشرين سنة . وتسعة أشهر كما ذكر لنا « مانيتون » أى فى السنة الثانية والعشرين من حكم « تحتمس الثالث » الذى أنكر وجودها ملكة على البلاد كما أغفلت مدة حكمها من القوائم الرسمية التى خلفها لنا المؤرخون المصريون ولكن كل ذلك لم يحدد نفعا ، وأتى لهم ذلك ، والفرد العظيم لا يمكن القضاء عليه بطرق العنف والجبروت ، فإذا حاول إخفاء أعماله من ناحية برزت نواحيه الأخرى الخالدة منادية بصوت عال بعظمة لا يمكن محوها بل تكسح بقوة ما أمامها من عوامل الشر ، وتفيض بضوئها على العالم ، وهكذا نجد « حتشبسوت » يزدهر اسمها ويسطع كل يوم وعلى مر الدهور ، بين أولئك العظماء الذين أسسوا مجد مصر ، وهى إذا بذلك من النساء الخالدات التى لم يقو أعداؤها على القضاء على ما قامت به من جليل الأعمال .

الموظفون والحياة فى عهد « حتشبسوت »

سموت : لا نزاع فى أن مهندس البناء « سموت » يمد أهم شخصية فى عهد الملكة « حتشبسوت » وقد تكلمنا عن حياته الحكومية على وجه الإجمال فيما سبق . وقد كان هذا الرجل العظيم يحمل ألقابا عدة متنوعة ، غير أنه يشار إليه فى النقوش فى معظم الأحيان بوصفه « مدير بيت الإله » « آمون » لأن هذه الوظيفة كانت على ما يظهر عمله الأصل . وقد أقام لنفسه قبرين الأول فى « جبانة شيخ عبد القرنة » وقد خرب تخريبا مريعا على يد رجال « تحتمس الثالث » (راجع Gardiner "Catalogue", No. 71. & Weigall) ولا بد أنه كان من أجمل المقابر فى هذه الجبانة إذا حكنا بما تبقى لنا من رسوم سقفه الملون ، إذ قد بقيت لنا قطعة من منظر استقبال الجزية الأجنبية ، نشاهد فيها ثلاثة من أهل « كريت » يحملون أواني منخرفة بأشكال تم عن الطراز المتوانى الذى يضم أشكالا حلزونية ورموس نيران وزهيرات ، ويميز الرجال بنحصرهم التحيل ، وأحزمتهم العريضة ، وحلهم المزركشة إلى حد بعيد ، كما نشاهد فى رسوم قصر « مينوس » فى « كريت » مثل ذلك ؛ (Wreszinski "Atlas" Pl. 235.) وهذا شاهد على مهارة الرسام المصرى وحسن إبرازه للصورة الصادقة التميز ، وقد خلف « سموت » عدة آثار ، وهاك ألقابه كما نجدها على هذه الآثار التالية :

(١) يوجد له نقش على محفور أسوان : دؤن طيه : قطع مستلين للكمة « حتشبسوت » وطيه الألقاب التالية : حامل خاتم الوجه البحرى ، والسمير العظيم الحب ، ومدير البيت العظيم ، والأمير الوراثى ، وصاحب الخطوة العنانية عند زوج الإله ، ومدير البيت العظيم للابنة الملكية « نفور رع » (Urk. IV. PP. 396-7.)

(٢) وله محراب حفرى الصخرى فى السلسلة النربية . ويلاحظ هنا أن « سموت » قد مثل فى حضرة الآلهة ، غير أنه مثل بنفس حجمهم ، وهذا حق

كان يتمتع به الملوك وحدهم . ونجد له غير ما ذكر من الألقاب ما يأتي : المشرف على مخازن غلال « آمون » والمشرف على القصر الخاص ومدير كل وظيفة مقدسة (راجع Ibid, P, 398) .

(٣) أما النقوش التي على جدران قبره في « جبانة شيخ عبد القرنة » فقد هشت كلها تقريبا ، وما بقي من ألقابه غير ما ذكرنا هي : ” مدير أعمال ... والمشرف على أعمال الفرعون ، ومدير بيت « آمون » والمشرف على حقول « آمون » “ .

(٤) وعلى عتب من قبره نجد : المشرف على حقول « آمون » ، ومدير بيت زوج الإله « حتشبسوت » والمشرف على إدارة الحكومة (Ibid. P. 400) .

(٥) وعلى مخروط من الفخار نجد الألقاب التالية : كاهن « آمون » وسرحات (وهو اسم لقارب « آمون » المقدس) ، والمشرف على ماشية « آمون » (راجع Ibid, P. 403) .

(٦) تمثال من الجرانيت الأسود « لسنموت » يشاهد فيه وهو محتضن الأميرة « نفرورع » وهو الآن في « برلين » (No. 2296) وعليه الألقاب التالية غير ما ذكرنا : « النائب ... جب ، العظيم الخطوة عند رب الأرضين ، والذي يمدحه الإله الطيب المشرف على مستأجرى حقول « مون » ، والمشرف على عمال حقول « آمون » ، ورئيس عمال « آمون » ، والمشرف على إدارة الحكومة المزدوجة ، فم كل بوتي (أى من أهالى بوتو) الرئيس العظيم في بيت « نيت » مدير القاعة الواسعة في بيت الأمير (أى عين شمس) (أى قاعة العدل) (راجع Urk. IV. PP. 404 - 406) .

(٧) تمثال من حجر الكوارتسيت (الحجر الرمل الأحمر) وجد في معبد الإله « موت » بالكرك وكهو الآن بالمتحف المصرى (رقم ٥٧٩) ويشمل الألقاب التالية الجديدة غير ما ذكرنا (١) محبوب الملكة (الصقرة) صاحبة الأرواح القوية ، ومن في قلب « حور » الظاهر في « طيبة » ، والمشرف

على البقرات الجميلة ملك « آمون » ، ومدير البيت العظيم لللك ، والسمير الوحيد ومدير بيت النسيج للاله « آمون » . ومن نقوش هذا التمثال نعلم أن « سنموت » كان موكلًا بكل المباني في « طيبة » و « أرمنت » و « الدير البحري » ومعبد « موت » .

ثم يقول لنا : إنه عظيم العظماء في كل الأرض قاطبة ، والذي يسمع له بين الناس ، والرسول الحقيقي ، ومهدى الأرضين بلسانه ، وكاهن « ماعت » (إلهة العدل) ، ومدير القصر ، والسمير ، ومدير أعياد كل الآلهة ، ومدير المديرين ، ومدير أعمال بيت الفرعون ، ومدير الصنائع ، والمشرف على كل كهنة « متو » صاحب « أرمنت » ومرشد الناس ، ورئيس الأرض قاطبة ، ورئيس طائفة الكهنة ، والمشرف على بيوت الإلهة « نيت » وحاجب ملك الوجه البحري لكل السماء « والمرافق للفرعون في كل البلاد الأجنبية ، في الجنوب والشمال والشرق والغرب » .

(٨) نقوش الدير البحري (Urk. IV. P. 416) .

(٩) قطعة من تمثال من الجرانيت الرمادي عثر عليها في « إدفو » (A. S. Vol. IX. P. 106.)

(١٠) ثلاث أوان من الحجر المصقول (Urk. IV. P. 416 - 7) .

(١١) قطعة من الحجر مزخرفة من طيبة وطبها اسم موظف يدعى « توسي » (Tws) ويحمل لقب المشرف على خضر آمون (؟) وقد كتب عليه لقب « سنموت » بوصفه مدير بيت « آمون » (راجع Urk. IV. 417) .

(١٢) تمثال من الجرانيت الرمادي « لسنموت » وهو ممسك بالأميرة « نفرو رع » عثر عليه في خيطة « الكرك » ويحمل لقب الأمير الوراثي ، وحامل خاتم الوجه البحري ، والسمير الوحيد وكاتم السر في بيت « آمون » (معبد آمون) ، ومرشد بلاد الشمال (الوجه البحري) وعماد القوم ، والمشرف على مخازن غلال

« آمون » في المدينة الجنوبية (طيبة) ، والمشرف على عمال حقول « آمون » في ...
والمشرف على عبيد « آمون » ونائب الفرعون في بيت « جب » ، والمشرف على
نيران « آمون » في « الكرنك » ومدير بيت « آمون » .

(١٣) تمثال من الجرانيت الأحمر « لسنموت » والأُميرة « نفرو رع » من
خبيثة الكرنك وهو الآن بالمتحف المصري (رقم 42115 No.) .
(١٤) تمثال آخر من الجرانيت الأسود من نفس المكان له وللاُميرة
« نفرو رع » (No. 42116) وعلى ذلك يمكن تلخيص ألقابه قبل اعتلاء حثشبسوت
الملك وبعده مما ذكرنا من الآثار وغيرها فيما يلي :

ألقاب سنموت قبل اعتلاء حثشبسوت العرش : (١) مدير البيت
العظيم . (٢) مدير البيت العظيم للزوجة الملكية . (٣) مدير بيت رب
الأرضين . (٤) مدير البيت العظيم للزوجة الملكية « حثشبسوت » . (٥) مدير
القصر الخاص . (٦) مدير البيت العظيم للابنة الملكية « نفرو رع » .
(٧) مربى الابنة الملكية « نفرو رع » . (٨) مدير كل المباني الملكية .
(٩) المشرف على بئى الفضة والمشرف على بئى الذهب والمشرف على الأختام .
(١٠) المشرف على مخازن غلال « آمون » . (١١) المشرف على حقول « آمون » .
(١٢) المشرف على أراضي « آمون » . (١٣) المشرف على نيران « آمون » .
(١٤) رئيس عبيد « آمون » . (١٥) المشرف على بيت « آمون » وسرحات
(المركب المقدسة) . (١٦) المشرف على مخازن غلال « آمون » (وسرحات) .
(١٧) ... آمون وسرحات . (١٨) الأمير الوراثى المشرف على كهنة « متو »
في « أرمنت » .

ألقابه بعد اعتلاء حثشبسوت العرش : (١) مدير بيت آمون .
(٢) مدير البيت . (٣) المدير العظيم للبيت (الملكى) . (٤) المدير العظيم
لبيت آمون . (٥) المدير العظيم لبنت الملك . (٦) الوالد المربى الكبير للبنت

الملكية سيدة الأرضين والزوجة المقدسة « نفرورع » . (٧) المشرف على إدارة الأرضين (٩) (٨) مدير كل أعمال الفرعون . (٩) المشرف على أراضى آمون . (١٠) المشرف على حقول آمون . (١١) رئيس فلاحي آمون . (١٢) المشرف على الأرض المترعة للإله آمون . (١٣) المشرف على بقرات آمون . (١٤) المشرف على ثيران آمون . (١٥) المشرف على مخازن غلال آمون في المدينة الجنوبية (طيبة) . (١٦) المشرف على مزارع آمون في « من إست » . (١٧) المشرف على ثيران آمون في معبد الكرنك . (١٨) المشرف على أعمال الإله آمون . (١٩) المشرف على مخازن غلال الإله آمون . (٢٠) كاهن الإله آمون للسفينة « وسرحات » . (٢١) المشرف على كهنة الإله متوفى « أرميت » . (٢٢) المشرف على إدارة آمون .

قطع الاستراكا المخطوطة التي وجدت في مقبرة سنوت وأهميتها التاريخية : كان من أعظم الكشوف الأثرية التي أضافها اللثام عنها الأستاذ « ونلوك » أثناء تنظيف مقبرة « سنوت » مستشار الملكة « حتشبوت » وأكبر شخصية في عهدها كما ذكرنا ، مجموعة قطع الفخار المكتوبة باللغة المصرية القديمة وكلها خاصة بطوائف العمال والرسمين الذين وكل إليهم أمر حفر مقبرته وتزيينها ؛ وقد دل فحص قهوش هذه المجموعة على أنها تكشف لنا عن ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية وهي حياة طائفة العمال الذين عملوا في خدمة رجل من عظماء الدولة وأشهرها في خلال الأسرة الثامنة عشرة .

وتشمل هذه المجموعة نحو خمسين ومائة قطعة من الخزف يرى فيما دون عليها كل من المؤرخ والقارئ العادى على السواء كل البيانات الضرورية لسير العمل في هذه المقبرة ؛ وسنورد هنا مقدمة قصيرة مفيدة تمهيدا عن ظروف هذا الكشف وكذلك تظهر لنا كيف أن أنواع المجاميع التي كشف عنها من هذه « الاستراكا » المختلفة يمكن ربطها بأوجه نشاط الصناعات المكلفين بنحت المقبرة :

فقد كان الكتّاب المكلفون بالعمل يجمعون كل يوم أثناء حفر المقبرة قطع « الاستراكا » المستوية السطح مما تراكم من الحفر ويرسمون عليها تصميم الحجرات الجنائزية التي لم تكن قد حفرت بعد ، وكذلك كانوا يرسمون رسومات تخطيطية « كروكي » تمهيدا للقيام بالعمل في نقوش القبر فينظمون المتون الدينية والجنائزية التي كان لا بد منها لتحلى بها الحجرات ، وكذلك كانوا يقدمون تقارير مختصرة عن حالة العمل كما كانوا يدقون القوائم الخاصة بأسماء العمال ، وأخرى للجرايات أو الأشياء التي تساموها أو وردوها .

ويلفت النظر أن بعض هذه القطع من « الاستراكا » التي وجدت حول المقبرة كان قد استعملها التلاميذ الذين جاءوا ليدرسوا بأشراف الكتبة الذين نصبوا للقيام بالأعمال الكتابية في القبر ، لكتابة تمارينهم التي كانت تنتخب من المتون الأدبية والدينية الشهيرة كما نجد قطعاً نقشها أفراد لمجرد التسلية واللهو وقت ملاحظتهم سير العمل ، فنشاهد من بينها من وقت لآخر رسماً تخطيطياً لحيوان وأشياء أخرى على حسب مزاج الرسام وهوايته . هذه نظرة عامة على ما تحتوى هذه « الاستراكا » . والواقع أن هذه القطع يمكن تصنيفها عدة مجاميع وهى :

(١) الاستراكا التي رسم عليها أشكال ليست من طراز ممتاز كلها ، ويظهر أن رسامها كانوا بدائيين أو هواة وحسب ؛ وتختصر فائدة ما جاء عليها في أنها مسودات ورسم تمهيدى للوحات التي كانت تتألف منها نقوش مقصورة القبر الجنائزية . فثلاً نجد على أحدها رسماً تخطيطياً لرؤوس رجال يمكن الإنسان أن يتعرف فيها ملاح « سموت » ، ومن بينها وجد رسم رأس بالحبر الأسود ويشاهد فيه أنه رسم على حسب قانون النسب المتبع عند المصريين . وكذلك نجد رسوماً تخطيطية أخرى كثيرة لمناظر مركبة مثل منظر الأسرة ومناظر دينية وأكواما مكسدة من القرابين . ولا بد أنها كانت ترسم على الجدران بحجم أكبر ويكفى أن نذكر هنا تصميمين مختصرين وهما يدلان بلا شك على مشروع تنظيم جزء من دهاليز القبر وحجراته فقد وجد إشارات تدل على مقاييس الأبعاد لهذه المباني .

وفى مجموعة ثانية نجد المتون ونشاهد طائفة لا بأس بها تشمل رسوما تحضيرية للتقوش العظيمة التى كان لا بد منها لكآل زينة القبر، ومعظم هذه التقوش قد دُفِنَ بالهيرغليفية التخطيطية وقد كتب فى سطور عمودية أو أفقية على حسب ما تقتضيه طبيعة الرسوم التى معها . ويلاحظ هنا أحيانا أن الرسم الأولى لا يقدم لنا إلا بداية السطور مما يدل على أن هذه القطع لم تكن إلا توجيهات مباشرة لتعيين المزار الجنائزى والغرض منها رغبة الرسام فى أن يحسب حسابه مقدما عن الطريقة التى يجب أن يوزع بها المتن حتى يملأ به سطح الجدار الذى تحت تصرفه .

وبجانب هذه الاستراكا المكتوبة بالخط الهيرغليفى وجدت أخرى خطت بالهيراطيقية وتشمل متونا دينية وجنازية . ونظن أن كثيرا من هذه الاستراكا كانت تحتوى على المسودات الابتدائية للتون التى انتخبها الكتآب لتقشها على جدران المزار، فقد وجد فعلا متن جنازى على الجدران وما يقابله على قطع « استراكا » . ومن بين « الاستراكا » الغريبة المكتوبة بالهيرغليفية واحدة منها (رقم ٥٧) وتحتوى على المتن الذى يفسر عادة فى مناظر أخرى بلوحة الصيد فى المستنقعات أما الاستراكا الخاصة بالأعمال التى نفذت فى القبر فتعد أكثر أهمية أيضا إذ نجد الكتبة الذين كانوا يديرون العمل يوميا يدقنون تقارير مختصرة عن سير العمل وهى التى تعد لتكتب فى يوميات الأعمال بلاشك وعلى الرغم من أن أعمال الحفر لم تنتج لنا إلا عددا صغيرا من هذه الوثائق فقد كانت كافية لإعطائنا فكرة عن تنظيم الأعمال وتوضيح مدة سير العمليات فنجد مثلا على إحدى الاستراكا (رقم ٦٢) أن حفر المقبرة قد بدأ فى السنة السابعة من حكم تحتمس الثالث ، وعلى قطعة أخرى (رقم ٨٠) نعرف من المتن أن العمال كانوا ما زالوا مشغولين فيه فى السنة الحادية عشرة . وهاك ما جاء على الاستراكون الأولى (رقم ٦٢) : « السنة السابعة الشهر الرابع من فصل الشتاء اليوم الثانى ، بداية العمل فى المقبرة فى هذا اليوم : أحد عشر بناء حفروا عمقا كبيرا فى ستة قضب عرضا بجانب ذراع واحد فى الداخل » . وفضلا عن التقارير

اليومية يوجد كذلك قوائم بأسماء المأكولات والمشروبات وتعدادها . والغريب أن جميع الوثائق المختلفة من هذه الاستراكا تقدم لنا معلومات يظهر أنها خاصة بطوائف كثيرة كانت تقوم بأعمال مميزة . فمثلا نجد بعض الاستراكا تشير إلى أن بعض العمال قد انتخبوا من الرجال التابعين لموظفين كبار في وقت معين .

وفي الاستراكون (رقم ٨٣) نجد التكوين التالي: الرئيس الأعلى الملكي (ربما يكون هذا هو «سنوت») واحد وعشرون رجلا، الوزير، سبعة رجال، مدينة نفروس، ثلاثة وعشرون رجلا؛ وكذلك ذكر على الاستراكون (رقم ٨٥) أن الكاهن الأعظم لسفينة «وسرحات» المسمى «سنى من» الذى يمكن أن يكون أخا «سنوت» قد قدم ثلاثة عشر بناء؛ ويظهر أنهم كانوا من المذنبين الذين يقومون بالعمل سخرة .

وعلى حسب ما جاء في مجموعة الاستراكا (رقم ٦٣ — ٧٤) يفهم أن الجزء الأعظم من العمل في هذه المقبرة كان يقوم به طائفة من العمال مؤلفة من خمسة أو ستة أشخاص منهم أربعة بنائين أو قاطعى أحجار . وهم : «تتى» (Tety) و «حابى حرسا أف» (Hapy-her Sa ef) و «سنى نفر» (Seny Nefer) و «بشاو» (Beshaou) ، وقد كففوا نحت المقبرة وصقل الجدران وكذلك الكاتبان «أى أم حتب» (Ii em Hetep) و «أموتون» وكانا يعملان في تلوين الجدران والزينة ، فضلا عن ذلك كان هناك حاملون لحمل المياه وعجانون للخص (المونة) . ويمكن الإنسان أن يذهب الى أن هذه الطائفة من العمال كانت تحت إدارة موظف يقوم بوضع التقارير . على أن المعلومات التى يستقيها من قطع الاستراكا هذه تكون ذا فائدة عظيمة لو وضع عليها توار يخها بصفة كاملة؛ ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن الكاتب كان يكتب التاريخ مبينا الفصل والشهر واليوم مغفلا ذكر السنة . ومن بين هذه القطع التى لها علاقة غير مباشرة بالصنف الأخير الذى ذكرناه قطعة تثير الضحك ويظهر أن كاتبها كان ميالا للتكيت (ورقها ٧٨) وقد

جاء عليها : لقد حضرت إلى هذه المقبرة لأجل أن أقتش على الذين يعملون في نحت الأحجار من جهة ، وفي يدى مشطية من الحجر الصلب لأكتب عليها أسمائهم ، ولكن القطع التى تحت تصرفى عديدة جدا أكثر من ثمار شجر البرما .

ونعود بعد إلى الاستراكا المكتوب عليها بالخط الهيراطيقى فنجد بعضها تحتوى على نقوش دينية (١٣٢ — ١٤١) وكانت كمتن تنقل منه المتون التى تنقش على جدران المقبرة كأنشودة الصل التى على الاستراكا (رقم ١٤٠) وقد ذكر « سفوت » فى عنوانها . أما البعض الآخر فكانت أدبية (١٤٢ — ١٥٢) وتتميز عن السالفة بأنها ليس لها غرض جنازى قط بل كانت مجرد قطع من الشطيات كتب عليها التلاميذ الذين كانوا يتلقون دروسهم على يد الكُتاب المكلفين بتسيير العمل فى المقبرة ، كما كانت العادة المتبعة . وربما يعزى ذلك إلى كثرة قطع الاستراكا عند حفرة مثل هذه المقبرة الضخمة ، إذ كان الكاتب يتهز هذه الفرصة ويدعو تلاميذه لتلقى الدروس فى هذه الجهة . على أن هذه التمارين يمكن معرفتها مما تحتويه من كتابات رديئة وما عليها من محو وإثبات ومما هو جدير بالذكر هنا أن المتون المصرية الكلاسيكية أى متون العهد الإقطاعى الأول كانت هى النماذج التى يسير القوم على هديها فى عهد « تحتمس الثالث » كما كانت نماذج احتذاها كُتاب عهد الرعامسة فى الأوساط العلمية وأهمها قصة سنوهيت (١٤٠) وذم الحرف (١٤٧ — ١٤٨) ، وتعاليم « أمنحباب الأول » (١٤٢ — ١٤٣) وعلى الرغم من أن هذه قليلة فإنه يجب علينا ألا نهملها فهى أصح قلا وأجمل خطأ بكثير من التى عثر عليها فيما بعد فى عهد الرعامسة (راجع W. C. HAYES, "Ostraka and Name Stones from the Tomb of Sen-Mût (No. 71) at Thebes (The Metropolitan Museum Egyptian Expedition (Vol. XV.) New York. 1942.

سن من :

وهو شقيق « سفوت » السالف الذكر ، غير أنه لم يكن واسع الشهرة مثل أخيه ومع ذلك كان يحمل ألقابا عظيمة ، فكان يلقب « الأمير الوراثى » وحامل خاتم ملك

الوجه البحرى، والمشرف المربى العظيم للابنة الملكية (راجع Urk. IV. P. 48) .
أما فى قبره فى « جبانة شيخ عبد القرنة » فكان يحمل الألقاب التالية؛ الكاهن المطهر
لمقبرة « أحمس الأول ، ومربى زوج للملك » « نفروع » ومربى زوج الملك
« حتشبسوت » ومدير بيت بنت الملك (Urk. IV. P. 418) . وقد عثر على تمثال له
فى مقبرته ، وعليه لقب مدير البيت ، ومربى الزوج الإلهية ، ثم الأمير الوراثى والحاكم
وكاهن « آمون » وأخيرا لقب الذى يقترب من شخص الإله (الفرعون) (راجع
• (Davies, P. S. B. A, Vol. XXXV. P. 283. ff. Pl. LII, LIII.

حبو سنب :

يحتمل أن « حبو سنب » هذا كان أكبر شخصية فى عهد « حتشبسوت »
لأنه كان يحمل لقب الوزير ، غير أن « سنوت » قد غطى عليه بما كان له من
حظوة لدى الملكة : فمن قبره « بجبانة شيخ عبد القرنة » نعرف أنه كان يحمل
الألقاب التالية : الأمير الوراثى ، وحامل خاتم الوجه البحرى ، والسمير العظيم
الحب ، والقاضى والكاهن الأول للإله « آمون » والمرتل الثالث للإله « آمون »
والمرتل الثالث للإله « أمون » فى معبد الكرنك ، ومدير كل الأشغال الملكية ،
والمشرف على كل كهنة الوجه القبلى والوجه البحرى (Urk. IV. P. 487-489) .
وقد نحت محرابا للإله فى السلسلة الغربية وقد ذكر عليه ألقابه التى ذكرناها ، وكذلك
الألقاب التالية « القاضى المدوح من إله المحلى ، وفم ملك الوجه القبلى وأذنا ملك
الوجه البحرى والفم الذى يهدئ كل البلاد قاطبه (Ibid. 485) . ولكن ألقابه التى
تعد أهم مما سبق توجد على تمثال له من الجرانيت محفوظ الآن « بمتحف اللوفر
وهى كما يأتى (راجع Urk. IV. P. 471-7) .

رئيس مقاطعات الجنوب العظيم ، والكاهن الأعظم (سم) لمحراب « حت
بنو » (أى محراب المقاطعة السابعة لمصر العليا ، وعمدة المدينة ، والوزير المشرف
على المعابد ... ، والمشرف على كل وظائف بيت « آمون » ، وحاسب أبقار « آمون »

والسمير الوحيد، وفم ملك الوجه القبلى وأذنا ملك الوجه البحرى، والذى فى قلب الإله الطيب والكاهن الأول للإله « آمون » .

أما الدور الذى لعبه « جوسنب » فى حملة بلاد « بنت » فقد تكلمنا عنه . ويحدثنا على تمثاله الذى فى متحف اللوفر عن النشاط الذى قام به هذا الوزير فى عهد الملكة « حتشسوت » ومن قبلها « تحتمس الثانى » (راجع Breasted, A. R. II. § 389) الملك الطيب « عاخر رع » (تحتمس الثانى) ويقول : وقد نصبت لأقوم بالعمل فى مقبرته المنحوتة فى الصخر ، وذلك لسمو تصميماتى ، وقد عيّننى سيدى الملك « تحتمس الثانى » رئيسا فى « الكرنك » فى بيت « آمون » فى كل

والتقوش التى على هذا التمثال مهشمة ، غير أنه يمكننا أن نفهم منها أن هذا الوزير قد كلف إقامة قربان جنازية للإله « آمون رع » على حساب الفرعون ، فكان مكلفا عمل باب عظيم مثنى بالذهب والفضة والنحاس الأسود ، على أن يكتب الاسم العظيم بالسام ؛ وكذلك قام بعمل محارب من الأبانوس مشاة بالذهب وموائد قربان عدة من الذهب والفضة واللازورد والأوانى والقلائد وأقام معبدا من الحجر الجيري الأبيض يسمى « تحتمس الثانى » مقدس الآثار

ومما يجب التنويه عنه هنا أن ذكر « تحتمس الثانى » فى التقوش محض اختلاق ، وذلك لأن النقش كان فى الأصل للملكة « حتشسوت » ولكنه عيى فى عهد « تحتمس الثالث » ووضع مكانه اسم والده كما يشاهد ذلك فى كثير من الآثار ، وقد كان نصيب مقبرة « جوسنب » فى « جبانة شيخ عبد القرنة » هو نفس نصيب مقبرتى « سنموت » . ولا يزال فيها بعض بقايا لمناظر ملونة توضح لنا بعض الصناعات والحرف ، وهى تدل على الفنى الرفيع فى الصناعة ، كما يحدثنا « جوسنب » نفسه فى نقوشه (راجع Porter and Moss, "Bibliography", I. P. 96,) .

ولا نزاع فى أن « جوسنب » كان يعد أقوى شخصية فى حزب « حتشسوت » ، لأنه فضلا عن كونه الوزير الأول والقابض على زمام

المالية ، فإنه كان الكاهن الأكبر للإله « أمون » والمشرف على كهنة الوجهين القبلى والبحرى ، وبذلك نراه جمع فى شخصه كل الوظائف الإدارية ووظائف الكهانة فى جميع البلاد . والواقع أن هذه كانت خطوة لجمع كل طائفة الكهنة تحت سلطان الكاهن الأول للإله « أمون » . وهذا دليل آخر على سيادة الإله « أمون » على كل الآلهة المصرية قاطبة .

حبو :

وكان والد « حبوسنب » يدعى « حبو » وقد أقام له ابنه لوحة جنازية نعلم منها أنه كان يحمل الألقاب التالية : المرتل الثالث للإله « أمون » فى « الكرنك » والقاضى الذى يمدحه رب مدينته . وقد جاء على هذه اللوحة كذلك ذكر اسم أخ « حبوسنب » ويدعى « سا » « أمون » وكان يلقب الخازن الأول المقدس لمالية « أمون » راجع Urk. IV. P. 469-71 .

تحتوى المشرف على خزانة حتشبسوت :

وقد كان « تحوتى » أحد الذين ناصروا الملكة « حتشبسوت » بكل ماله من قوة ، ولذلك فإن قبره قد حاق به من التخريب والتلف ما نال قبور كل من كان حول « حتشبسوت » ؛ غير أن التلف الذى أصاب قبره كان منصبا على اسم الملكة ، وما يتصل به من ألقاب . وقد خلف « تحوتى » هذا « إينى » فى الإشراف على بيتى الفضة ، وبيتى الذهب . وهذه الوظيفة قد أهله للإشراف على القيام بعمل عدة آثار من المعادن الكريمة فهو الذى أنجز عمل غطاءى مستقى « حتشبسوت » العظيمتين ، وكذلك هو الذى أشرف بشخصه على كيل الذهب ووزنه ، والمعادن الثمينة الأخرى التى وردت من حملة الملكة إلى بلاد « بنت » ، وهذا العمل قد خلده فى نقوش الدير البحرى ومناظره (Naville, "Deir el Bahari", Vol. III. P. 79.) .

ومنظر الدير البحرى قد رسم مزدوجا ، فى أحد الرسمين يشاهد « تحوتى » الموظف يسجل الكيل للملكة ، والثانى يشاهد فيه الإله « تحوتى » يقوم بنفس العمل للإله

« أمون » ومن اللوحة التي في قبره نعلم أنه كان يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثي ، وحامل خاتم الوجه البحري ، والكاتب ، والمشرف على الخزانة ، والسفير الوحيد ، والمقرب الممتاز عند سيد رب الأرضين ، والممدوح من الإله الطيب ، مدير المباني ، والمشرف على بيتي الفضة ، والمشرف على بيتي النخب ، والمشرف على ثيران « أمون » وحامل خاتم مالية الملك (راجع Urk. IV. P. 420. ff.) .

ما أنجزه من الأعمال : يقول لقد عملت بوصني رئيسا مصدرا للتعليمات ، وأرشد الصناع في عملهم عند بناء السفينة العظيمة (لأجل مجد) بداية الفيضان (المساء) « عظيمة في حضرة آمون » وكانت موشاة بالذهب من أحسن ما وجد في الصحراء وقد أضاءت الأرض بأشعتها (وكذلك أردت عمل) محراب لأفق الإله وكذلك مرشاه العظيم من السام (وأردت العمل في) « زمر زمر » (امم) معبد الدير البحري) وهو معبد عشرات آلاف السنين (بوابته العظيمة مصنوعة من النحاس الأسود وأشكالها مرصعة بالسام) وكذلك المعبد المسمى « مضيقا على الأفق » مرشاه آمون العظيم الذي هو ألقاه في القرب ، وكل أبوابه من خشب الأرض الحقيقي المغشى بالبرنز ومعبد آمون الذي هو ألقاه الدائم الأبدى ، ودفنته موشاة بالذهب والفضة حتى أن جبالها كانت مثل أفق السماء ، وكذلك أشرف على عمل محراب عظيم من أبنوس بلاد النوبة ، والسلم الذي تحته عال ومتسع من المرمر الحمر من محاجر خنشبوت (عمل) بجوق للإله موشى بالذهب والفضة حتى أنه ينير وجوه الناظرين بلاماته ، وكذلك أشرف على عمل الأبواب العظيمة العالية الواسعة في معبد الكرنك وقد غشيت بالنحاس والبرنز وأشكالها المرصعة كانت من السام . وعمل قلعة فائرة وتماويذ كبيرة (تتعال الآلهة) من السام ، وكل الأبحار العالية وعمل المستنقعات العظيمتين اللتين يبلغ طولها ١٠٨ أذرع (ربما قصد أن طول كل واحدة منها ٤٥ ذراعا) موشاتين بالسام ، وهما اللتان ملأتا الأرضين بهاتهما (وأشرفت على عمل) بوابة فائرة اسمها « ذمر آمون » وصنعت من النحاس من قطعة واحدة وعلى الجهة المقابلة أيضا ، وعلى عمل موائد قربان كثيرة للإله « آمون في الكرنك » مصنوعة من السام الذي لا يمحى ، ومن كل حجر ثمين ، وعلى عمل مرشاه عظيم ومحراب مصنوع من الجرانيت الذي دعامته مثل عمد السماء ومنه أبدى ، والآن قد أهديت كل طرافف البلدان وجزيتها وأحسن ما في تحف أرض بنت للإله « آمون » رب الكرنك ، وكنت أنا الذي عملت قوائمها لأنني كنت ممتازا في نظر الفرعون ، وقد عرف أني إنسان يعمل ما يقول كنوم الأسرار ، وقد نصبتني الملكة مرشدا في القصر عالة بأنى عالم في عمل . وقد أمرني بجلالتي . أن أكل السام من أحسن ما تنجبه الصحراء في وسط قاعة العمد الخاصة بالأعياد وقد كتبه بميكال « حفت »

لأجل الإله «أمون» في البلاد كلها وقد بلغ حسابه ٨٨ ١/٢ «حقت» (أى نحو ١٣٣ بوشل) ... وكل هذه الأشياء حدثت وليس فيها كذب . وكنت بقظا وكان لى ممتازا فى رأى ملىكى حتى أنه أصبح فى استطاعى أن أرتاح (بعد الموت) فى الصحراء العالية الخاصة بالمتممين الذين فى الجبابة ، وحتى تبنى ذكراى على الأرض وحتى يعيش روحى مع (أوزير) رب الأبدية وحتى لا يصددها الحراس الذين يبحسون أبواب العالم السفلى ، وحتى تستطيع أن تخرج عند مناجاة أولئك الذين يضعون القرابين أمام قبرى فى الجبابة ، وحتى يفرز طعامها ، وحتى يكون عندها الماء وحتى تنهل ماء النهر الحى .

والنقوش التى على جدران معبد «الدير البحرى» التى تصور لنا نشاط «تحتوى» بوجود ما يؤكد صحة ما جاء فيها من الوثائق التى تركها لنا على جدران قبره ، إذ يقول (راجع : Breasted, A. R. II. §. 377) تأمل ! إن كل الطرائف ، وكل الجزية من الأراضى كلها وأحسن عجائب بلاد «بنت» قد قدمت «لأمون» وب «الكرك» حياة وسعادة وصحة الملكة «ماعت كارع» (حتشبسوت) [مطاعة الحياة والنبات والصحة] ، وإنه (أى أمون) قد منحها الأرضين لأنه يعلم أنه (أى الملك) كان سيقدمها (الطرائف والجزية) له . والآن كنت أنا الذى حسبته ، وذلك لأنى كنت ممتازا جدا فى قلبه ... وقد بصربانى إنسان أطم ما يقال ، مخفيا كلامى فيا يخلص قصره ، وقد نصبنى مديرا للقصر ، عالما بأنى كنت مدربا فى العمل ، ولقد حافظت (؟) على ببقى القصة ، وكل الأبحار الثمينة فى معبد «الكرك» وهى (الخزاة) التى كانت مفعمة بالجزية حتى سقفها ، ولم يحدث مثل ذلك فى زمن الأجداد وقد أمرنى جلالتى أن أضع ... (ميزانا ؟) من السام من أحسن ما تتجسه الأرض العالية (أى جبال النوبة) فى داخل قاعة الأحياد ، التى تكال فيها (أى الجزية) بالحق ، لأجل «أمون» أمام وجه الأرض جيها .

قائمة بذلك : ثمان وثمانون ونصف حقت من السام (أى ١١ ٢/٣ بوشل) أى ما يساوى : اثنين وتسعين وخمسة وثمانية آلاف دين ونصف ، لأجل حياة وسعادة وصحة الملك «ماعت كارع» (حتشبسوت) مطاعة الحياة مخلدة ، ولقد قبلت رضاها من التى تقدم للإله «أمون رع» وب «الكرك» . وكل هذه الأشياء قد حدثت لى حقا ، وليس فيها مبن ولا كذب قد فعلتها . ولقد كنت بقظا وكان قلبى مخلصا لىدى حتى يمكنى أن آوى إلى الأرض العالية للمتممين الذين فى الجبابة (راجع Urk.IV.P.426) .

أهمية هذه الوثيقة : ولا نزاع فى أنه من الأشياء الهامة تاريخيا أن يحدد الإنسان وثائق ملكية رسمية ووثائق خاصة يؤكد بعضها بعضا . على أن هذه ليست الحالة الوحيدة ، فسرى وثائق من هذا النوع من عهد «نحتمس الثالث» . على

أن ذلك يظهر لنا من جهة أخرى أن جزءا كبيرا من ترجمة حياة عظماء القوم يمكن الاعتماد عليه إلى حد ما ، على الرغم مما يحتويه من أسلوب منمق وألفاظ ضخمة .

امنعوتب المدير العظيم للبيت : ومن كبار الموظفين الذين كانوا يعملون على تحقيق أطماع « حتشبسوت » ومقاصدها « امنعبت » الذى نحت لنفسه قبرا فى « جبانة شيخ عبد القرنة » رقم (٧٣) . وقد ظل هذا القبر لا يعرف اسم صاحبه حتى عهد قريب ، وذلك لأن رجلا ، « تحتمس الثالث » كانوا قد عموا اسمه من كل أجزاء المقبرة على أثروفاة « حتشبسوت » وتولى « تحتمس » العرش . غير أنه عمل مجهود جديد فى رسم المقبرة رقم ٧٣ ، وقد عرف فى النهاية أن صاحبها هو « امنعبت » (راجع : Porter & Moss, "Bibliography". I, P. 100) وألقابه كما يأتى : — الأمير الورائى ، والسمير الذى يقترب من أعضاء الإله (أى المخلص له) ورئيس كل البلاد ، والمقرب العظيم لدى رب الأرضين ومدير كل الأعمال الخاصة بالمستئين العظيمين لبيت « آمون » ومدير البيت العظيم وشجاع الفرعون ، والذى يهدئ بغمه كل الأرض فاطبة ، وعظيم العظماء فى كل الأرض جميعا ، ومدير البيت العظيم للفرعون ، والمشرف على ثيران « آمون » وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد (Urk. IV. P. 456 - 62) .

مناظر قبره الباقية : ولا يزال على جدران قبره عدة مناظر تشير إلى علاقة « امنعبت » بالملكة ، ومناظر أخرى من حياته اليومية ، منها منظر يشاهد فيه مقدما لللكة قلادين ثمينين ، كما يرى خلف « امنعبت » قطع فنية ثمينة منها عمد من الأبنوس ومموهة بالذهب ، ومرصعة باللازورد ، وعريبات عظيمة مصنوعة من خشب السنط المحلوب من بلاد « كوش » مصفحة بالذهب ، وأقواس ، وكفانات من الفضة والذهب (٩) وتمثال لللكة فى صورة « بواهل » من الحجر الأسود ، وتمثال للإله « آمون » من المرمر . وكذلك نشاهد المتوفى أمام مستئين عظيمين ، وقد جاء فى النقوش أنه هو : الأمير الوائى الذى يدير العمل ،

وقد أقام هاتين المستلتي العظيمتين في بيت « آمون » (Urk. IV. P. 461.) . ويرى كذلك منظر يتسلم فيه المتوفى أزهارا ، وفي آخر يصطاد السمك والطيور

دوايح :

تقع مقبرة هذا العظيم في « جبانة شيخ عبد القرنة » (رقم ١٢٥) . والظاهر أنه لم يحق به غضب المخربين وتخطيهم في عهد « تحتمس الثالث » . كما أصاب قبور غيره من موظفي « حتشبسوت » إذ قد بقي لنا بعض مناظر طريفة . وتدل ألقابه على أنه كان من أصحاب الحظوة العظيمة إذ كان يتقلد الوظائف التالية (راجع Urk. IV. P. 451.) الحاجب الأول ، والحاجب الأول لكلتا الأرضين ، ومدير أعمال الفرعون ، والمشرف على كل الصناعات الملكية ، والمشرف على إدارة « آمون والمشرف على مخازن غلال الآلهة الطيبة الخ » ، كما كان يحمل الألقاب الفخرية الآتية : « الأمير الوراثي ، والسمير العظيم الحب ، والسمير الوحيد .

ومن أهم المناظر التي تشاهد في مزار قبره منظر الصناع وهم يقيمون عمود بوابة وكذلك وهم يضعون بابا وهميا وصندوقا كما تدل على ذلك النقوش ، وهذه الأشياء كانت تعمل للإله « آمون » (راجع Wreszinski, "Atlas", Pl. 341.) . (& Pl. 342; Urk. IV. P. 453 - 4.)

نب آمون كاتب الحسابات الملكية في حضرة الفرعون :

لدينا موظفان من عهد « حتشبسوت » بهذا الاسم ، وأهما « نب آمون » كاتب الحسابات الملكية في حضرة الفرعون ، والمشرف على الغلال . وقد اغتصب قبره في عهد الأسرة العشرين ، ومن أهم المناظر التي بقيت لنا فيه منظر تمثالين للفرعون « امنحتب الأول » والملكة « قنتراري » (راجع Prisse, "l'Art Egyptien", I.) . وقبره في « جبانة شيخ عبد القرنة » (رقم ٦٥) (راجع Gardiner & Weigall, "Catalogue", No. 65.) .

نب آمون الثانى كاتب حناب الحبوب :

وقبره فى " الخوخة " على الضفة اليمنى من النيل « بطيبة » ، ولم تنشر مناظره بعد ويلقب صاحبه " بالكاتب حاسب الحبوب فى مخازن القربان المقدسة للإله « آمون » (راجع Ibid No 179) .

آمون المحب ويسمى محو أيضا : وجد ضمن التماثيل التى كشف عنها فى خيئة « الكرنك » تمثال لموظف يدعى « آمون ام حب » وهو الآن بالمتحف المصرى (راجع Legrain, "Statues", No 42112) .

ويحمل الألقاب التالية : خادم الكاهن الأول للإله « آمون » (حبوسنب) ومدير بيت الكاهن الأول : وذلك يدل على عظم مكانة الكاهن الأكبر للإله « آمون » فقد كان له موظفون خاصون به ، كما كان للفرعون .

بوام رع : كانت مقبرة « بوام رع » من أهم المقابر التى كشف عنها فى عهد الأسرة الثامنة عشرة . وقد عمل فى عهد كل من « حتشپسوت » والفرعون « تحتمس الثالث » وأهم وظيفة كان يشغلها فى كلا العهدين هى وظيفة مهندس بناء ، وإن كان لا يحمل هذا اللقب صراحة . وقد أبى عليه الفرعون « تحتمس الثالث » لأنه كان أخاه من الرضاة . فقد كانت « نفراع » والدة « بوام رع » مرضعة للفرعون « تحتمس الثالث » أما والده « بويا » فقد كان يحمل لقب « الكاتب الملكى » وكذلك كان يلقب بالقاضى أما ألقاب « بوام رع » الأخرى فهى : الأمير الوراثى ، والفهم الذى يهدئ كل الأرض قاطبة ، وحامل خاتم الوجه البحرى ، والكاهن الثانى للإله « امون » والمقرب من الفرعون فى كل الأشغال ، والمشرف على الثيران ، والمشرف على حقون « امون » والد الإله ، ومحجوبه ، (راجع Urk. III. P. 521) .

وقد كشف لهذا العظيم عن تمثال فى معبد الإله « امون » « بالكرنك » وقد جاء عليه نقوش عن بعض ما كلفته الإشراف على إنجازة الملكة « حتشپسوت »

وهالك النص حرفيا الأمير الوراق ، والسيد ، ومهدى الأرض جميعها ، والذي يملأ قلب الملك في كل عمل ، والذي ينادى بكل عمل فائر ، حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والكاهن الثانى « لأمون » « بوام رع » يقول : لقد فشت عن محراب عظيم من الأبنوس المغشى بالسام من قبل ملكة الوجه القبلى والوجه البحرى ، « ماعت كارع » (حشيسوت) لأنها « موت » سيدة « أشرو » وأشرفت على إقامة باب مصنوع من الحجر الجبرى الأبيض المستخرج من « عن » بواسطة ملكة الوجه القبلى والوجه البحرى « ماعت كارع » لأنها « موت » سيدة « إاشرو » وقد أنقذت مقبرة « بوام رع » المقامة فى « الخوخة » (بالمسافى رقم ٣٩) من عبث رجال « تحنسن » وذلك لاتصاله به كما ذكرنا . ويشمل هذا القبر عدة مناظر تمثل لنا نواحي من حياته الحكومية ، ونشاطه ، وقد تحدثنا عن بعضها مثل منظر المسلتين ، ومن أهم المناظر منظر « بوام رع » وهو يستقبل وفود رؤساء البلاد الأجنبية ، وهم يحملون الجزية إلى مصر ، وكتبه أمامه يحصى ما يقدمونه ، فنشاهد فوق صورة « بوام رع » تسل جزية محصول مستنقعات آسيا وطريق « حور » (أنف حور) وجزية الأراضى الجنوبية ، والوحدات الشمالية ، مقدمة لملك لمجد « آمون » رب تيجان الأرضين والمشرق على الكرنك على يد الأمير الوراق ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسير الوحيد الحب ... المرتل الأول ... « بوام رع » صادق القول .

والمنظر قسم ثلاثة صفوف بعضها فوق بعض ، فى الصف الأعلى نشاهد الآسيويين يحملون جزيتهم ، وقد نقش فوقهم : جزية نهاية بلاد آسيا ، والصف الثانى يرى فيه أناس من الشرق الأقصى للدلتا على حدود آسيا وقد نقش فوقهم : « تسجيل جزية » وت « حور » ثم نشاهد أحد أولئك الرجال « رئيس البساتين للقربان المقدس لاله آمون » وبجانبه نجد مائتين محملتين بالقرايين (راجع Urk. IV. P. 523) : أما الصف الأسفل فيشاهد فيه رجال من الواحات وقد كتب عنهم : تسجيل جزية إقليم الواحات رؤساء الواحات الجنوبية والشمالية . وفى إحدى المناظر نراه يراقب كيل غنائم الحرب التى كسبها « تحتسن الثالث » : مراقبة كيل الأكوام العظيمة من البخور (صمغ عتى) ، وسن القبل والأبنوس والسام من بلاد « عمو » وكل نباتات حلوة ... والأسرى الأحياء الذين أحضرهم جلالته من انتصاراته .

كما نشاهده يفقش عن الآثار والأشياء الثمينة التي أهدها الفرعون لمعبد « آمون » : الفتيش من الآثار العظيمة الفاتحة التي عملها ملك الوجه القليل والوجه البحرى رب الأرضين « منفر رع » لولده « آمون » في « الكرنك » من الفضة والذهب ، وكل الأحجار الكريمة الغالية بواسطة الأمير الوراثى ، محبوب الإله « برام رع » .

وفي منظر آخر نرى توريد الذهب إلى خزان الإله « آمون » (راجع Wreszinski, "Atlas", Pl. 149.) حيث نشاهد كاتب خزان الإله الأول والثانى يزنان ستة وثلاثين ألفا واثنين وتسعين وستمئة دين (أى مايسلوى ٣٣٣٩ كيلوجراما من الذهب) ويقول الذين أحضروه وهم واقفون في خضوع : « إن الجبال قد ضمت أيديها بالذهب لأجل آثار « آمون » لحماة وصحة وعاقة الفرعون » .

وفي أسفل هذا المنظر منظر آخر يشاهد فيه يكل الذهب أمام كاتب خزانة الإله الأول والثانى وفيه ممثلو الدول التي كانت تخضع أو تصادق مصر وهم يقدمون الذهب الذى كان يكل بمكيال ، وبلغ عدد يكله سبعة وثمانين ونصف مكيال . وهؤلاء يمثلون : سوريا ، وختيا ، وكريت ، ولوبيا . وكذلك نشاهد مناظر صنع العربات والسروج ، والأسلحة ، والتجارة ، وصناعة الحداة ، والمجوهرات والمحاريب ، وصناعة الأواني (راجع Ibid Pl. 151-4.) .

نحسى : لقد ذكرنا فيما سبق أن « نحسى » هذا قد لعب دورا هاما في الحملة التي أرسلتها الملكة « حتشبسوت » إلى بلاد « بنت » وقد كان يحمل لقب حامل خاتم ملك الوجه البحرى أو المشرف على الخاتم ، مما يدل على أن حامل هذا اللقب كان يوكل إليه قيادة الرحلات كما ذكر ذلك في (الجزء الثالث) هذا فضلا عن أنه كان يحمل لقب الشرف ، « الأمير الوراثى » . وفي المنظر الذى يمثل عودة الحملة سالمة نشاهد أن « نحسى » كان أحد ثلاثة العظماء الذين ظهروا أمام « حتشبسوت » وهى على عرشها (راجع Naville, "Deir el Bahari", Vol. III. P. 85-6.) وقد قيل عن « نحسى » : تأمل ! « لقد صدر الأمر من صاحبة الجلالة إلى الحاكم الوراثى ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسفير الوحيد ، والمشرف على خاتم « نحسى » أن يسير بالجيش إلى « بنت » .

وهذا مما يفسر لنا أهمية الدور الذى لعبه فى هذه الحملة ، وفى محراب منحوت من الصخر فى « السلسلة الغربية » قد ذكر لقبه « المشرف على الختم » .
ومما يلحظ أن إسمه قد محى من النقوش التى على معبد « الدير البحرى » مثله فى ذلك كمثل « سموت » وغيره ، ولذلك يجب أن نفهم أنه كان فى خدمة « تحتمس » عند ما كان مشتركاً مع « حتشبسوت » فى الملك (راجع Urk. IV. P. 419) .

تحتمس الثالث - انفراده بالحكم



مقدمة : لقد كان موضوع الخلافة على عرش مصر فى أسرة التحامسة مصدر نقاش عنيف ومجادلات طويلة بين علماء الآثار ، وذلك لصمت الوثائق الأثرية عن الإدلاء بتصريح واضح شاف فى هذه المسألة ، فقد تناول الأستاذ « زيتة » هذا الموضوع مرتين وعارضه فى رأيه علماء آخرون ، وبقيت الآراء والاستنباطات لحل هذا الموضوع متضاربة متناقضة الى أن كتب أخيراً الأستاذ « إيجرتون » بحشه المشهور بعد دراسة عميقة رداً على الأستاذ « زيتة » عن مقاله الذى عنوانه « مسألة حتشبسوت مرة أخرى » تحت عنوان « خلافة التحامسة »^(١) .
وقد أدلى بحجج قوية تجعلنا نعتقد أن الموضوع قد حل على وجه تقريبي الى أن تطالعنا الآثار بما يدحضه أو يؤيده . ولذلك أصبح رأى السائد كما ذكرت من قبل أن « تحتمس الأول » أعقبه على عرش مصر ابنه « تحتمس الثانى » الذى تزوج من أخته من أبيه المسماة « حتشبسوت » وبعد وفاته خلفه ابنه « تحتمس الثالث » الذى رزقه من زوجة ثانوية تدعى « إيزيس » وقد أصبح ملك مصر رسمياً وهو لا يزال طفلاً لم يبلغ الحلم بعد ، وقد نصبت « حتشبسوت » نفسها وصية عليه وعلى ابنتها « نفرو رع » التى كانت كذلك لا تزال قاصرة ، غير

(١) راجع : W. F. Egerton, "The Thutmosid Succession".



(٢٨) لمزيس والدة تحتمس الثالث

أنها لم تلبث أن أعلنت نفسها ملكة شرعية على البلاد كما فصلنا فيما سبق . وقد بقي « تحتمس الثالث » متزويا بعيدا عن الحكم إلى أن ماتت « حتشبسوت » ، ولا نعلم إذا كانت هذه الملكة العظيمة قد ماتت حتف أنفها أو من جراء ثورة قام بها حزب كان يناصر الفرعون الفتى ليقضى على تلك المرأة التي كانت شوكة في جنب والده وشجيا في حلقه . وعلى أية حال فإن « تحتمس الثالث » عند ما اختفت هذه المرأة من مسرح الحياة المصرية ، قبض على مقاليد الأمور وأخذ ينكل بأعدائه وهم أولئك الذين كانوا في ركاب « حتشبسوت » أو عاملين في بلاطها . ثم أخذ بعد ذلك في القضاء على كل آثارها بصورة مروعة يشهد بشناعتها وعنفها ما أحدثه من التدمير والتشيم في الدير البحري وبخاصة في تماثيلها وطرقاتها . هذا فضلا عما ألحقه بسائر آثارها في كل أنحاء البلاد .

ولم يعترف « تحتمس الثالث » بحكم هذه الملكة بل جعل تواريخه التي تدون بها آثاره تبدئ بالسنة الأولى التي نصب فيها فرعوناً لمصر عندما أعلنه الإله « رع » ووالده « تحتمس الثاني » ملكاً شرعياً على عرش مصر (١٥٠٤ — ١٤٥٠ ق م) .

قصة تتويج تحتمس الثالث : وقد نقش « تحتمس الثالث » منظر تتويجه على جدران معبد الكرنك في خفل رائع مثل بوصف تمثيلي تتضاعل أمامه تلك القصص الخيالية التي نقرأها أو نشاهدها على الشاشة البيضاء . وقبل أن نتكلم عن أعمال هذا الملك الفذ سنضع أمام القارئ ترجمة تلك النقوش العجيبة التي برز بها « تحتمس الثالث » ورائته لعرش الملك أمام شعبه الذي كان يقدسه .

وهذه النقوش ما تزال موجودة حتى الآن على الجدار الجنوبي الخارجي من المباني التي أقامها في معبد الإله « آمون » بالكرك قباله سلسلة الجبال الجنوبية التي كانت تقام فيها الشعائر الدينية « لتحتمس الثالث » و « أمنحتب الأول » ويحتمل أنه نقشها في العام الثاني والأربعين من حكمه بعد أن عاد مظفراً

من آخر حملة سار على رأسها إلى بلاد آسيا^(١) . وهالك ترجمة النص على ما فيه من تهشيم .

السنة الثانية والأربعون ، عقد الملك جلسة ... حضر السمار ... أمر ملكي لأصدقائه القرمون ... إنه الإله « أمون » والذي وأنا ابنه حينما كنت لا أزال فرخا في عشه ، ولقد أحبنى حقا من له (وخصنى بالملك) وليس في ذلك مبالغة ولا مئين ، وكنت وقتئذ صيبا ، إذ كنت لا أزال طفلا حدثا في معبده ولم أكن قد أصبحت بعد كاهنا ... في جانب جلاتي ، وكنت في هيئة الكاهن الذي يلقب عمود أمه أى كنت مثل الإله « حور » الطفل في بلدة « نخيس » [وتقع « نخيس » في المكان المعروف الآن « كرم الخيزرة » في شمال الدلتا] وقد كنت واقفا في القاعة ذات العمدة البردية الشكل الواقعة في الجهة الشمالية من المعبد (وهذه القاعة قد بناها « تحتمس الأول » بين البرابطين الرابعة والخامسة) . وعندئذ خرج الإله « أمون » من بهاء^(٢) أقفه مثل إله الشمس وكانت السماء والأرض في عيد لجال طلعه وعندئذ أتى بمعجزة عظيمة فقد كانت أشعته في أعين الشعب كأنه « حور » إله الشمس عندما يشرق في الأفق ، وعندئذ أخذ الشعب يتהלإ إليه بالدعاء راضعين أيديهم ... ثم قرب له جلالاته (يقصد الملك الحاكم وقتئذ) البخور على النار وقدم له قربانا عظيمة من الثيران الكبيرة والصغيرة ومن صيد الصحراء ... ثم طاف حول القاعة ذات العمدة البردية الشكل مارا بكلأ جانبها ولم يكن يدور في خلد الناس الذين شاهدوا عمل الإله هذا أنه يبحث عن جلاتي في كل مكان في القاعة ، ولكنه عرفني عندما كنت واقفا ... وعندئذ انبطحت على بطني ساجدا أمامه فعرفتي ثانية وأنا على الأرض ثم انحنيحت أمامه ... فوقفني أمام جلالاته ثم جعلني أقف في مكان السيد (وهو مكان خاص في المعبد لا يدخله إلا الملك) ... وتعجب مني ... وإن ما أقوله ليس بيتان وكان ذلك ... على مرأى من الناس ، وقد حفظ سرا في قلوب الآلهة الذين يرفعون هذه ... ولم يكن هناك ما يدل عليها ... وفتح لي أبواب السماء وفتح لي بوابات الأفق (السماء والأفق يدلان على مسكن الإله في المعبد وهو قدس الأقداس الذي لا يدخله أحد إلا الملك) وطرت إلى السماء بوصنى مقرا إليها لأطلع على سره الذي في السماء ودعوت لجلالاته ... ورأيت المخلوقات سكان الأفق في طريقهم السرى في السماء . وأجلسني « رع » نفسه وزيت بنيجانه التي كانت على رأسه وصله لتريد الذي كان على جبينه ... ثم حليت بكل فضائله وأعاني كل طلبة الآلهة ثم ... « حور » عندما يقدم بشخصه نحو معبد والده « آمون رع » . وكذلك حليت بشرف الآلهة ... وألبسني تيجاني وقش لي ألقابي وثبت صقري على البوابة (شعار الملك)

(١) راجع : Urkunden IV, P. 155.

(٢) أى في احتفال كان يحمل فيه تمثال الإله « أمون » في سفينة المقدسة على الأعناق .

وصيرنى مظفرا مثل الشور المنتصر وجعلنى أشرق فى طيبة بوصفى « حور الشور المظفر » الذى يضى . فى « طيبة » وجعلنى أتوج بتاج السيدتين (العقاب والصل وهما رمزاً الوجه القبلى والبحرى) وبارك ملكتى بوصفها ملكة « رع » فى السماء وباسمى هذا صاحب السيدتين (أى ملكة مباركة مثل « رع » فى السماء) وقد صورنى مقرا من الذهب ومنحنى قسوته وشدة بأسه وكنت جيا بتيجانى هذه وباسمى هذا « حور الذهبى » (أى القوى صاحب البأس الفخم التيجان) ، وقد جعلنى أشرق بوصفى ملكا على الوجه القبلى والوجه البحرى (منخبر) . وإبنى ابنة الذى نرج كريم الولادة مثل الإله صاحب « حسوت » (أى « تحوت » إله العلم) ، وإنه يضم كل سورى . بوصفى ابن الشمس « تحتمس » مما خبر له الحياة أبد الأبدى وقد جعل كل الأراضى الأجنبية نأقى خاضعة لقوة جلاتى لأن الفزع منى كان فى قلوب قبائل الأقواس التسعة وكل البلاد وضعت تحت موطنى . قدى ، وكذلك جعل النصر فى ساعدى وبذلك أمد حدود مصر .

وقد فضل ذلك والدى « آمون » لأن حى كان عظيما من لدنه ، وكذلك فرج بى كثيرا أعظم من فرحه بأى ملك آثر وجد على الأرض منذ خلقت . وإبنى ابنه محبوب بجلاله وماترغب فيه قمى ينفذ .

ومما سبق نعلم أن « تحتمس الثالث » أراد أن يقابل أقصوصة تولى حتشبسوت عرش الملك بمثلها ويثبت للعالم أن الإله ووالده هما اللذان وضعاه على عرش مصر ولأن ما فعلته « حتشبسوت » كان اغتصابا .

الملك الذى كان يحكم عند تولية تحتمس الثالث عرش الملك :
على أن العقدة التى لم تحل بعد فى هذا المتن هى أننا لم نقف بعد على شخصية الملك الذى كان يحكم البلاد وقتئذ ، هذا فضلا على أننا لم نعرف ماذا وقع من الأحداث بعد هذا المنظر ، لأن النقوش مع الأسف وجدت مهشمة عند اسم الملك الذى حضر هذا الحفل لأن « تحتمس الثالث » لا بد كان قد ذكر اسمه وهو يقص علينا قصته الخارقة للعادة من أجل ذلك سنضطر هنا إلى الاستنباط مما بقى لنا من الآثار ، فلى حسب نقوش « إبنى » نعلم أن « تحتمس الثالث » تولى العرش بعد وفاة « تحتمس الثانى » ، غير أن بعض المؤرخين يعزى تولية « تحتمس الثالث » إلى مؤامرة قام بها كهنة معبد « آمون » وعلى رأسهم الكاهن الأعظم . على أن وقائع

الأحوال وتقاليده ورائته العرش في تلك الفترة لاتشعر بأية مؤامرة ظاهرة إذ قرأ في النقوش سرد حوادث الاحتفال الرسمي الذي انتخب فيه الفرعون الذي كان على عرش الملك في « طيبة » وقتئذ وارثه من بعده ولكن بصورة تمثيلية تدعو إلى العجب مما جعلها من المعجزات . وهذا الفرعون الذي انتخب هو « تحتمس الثالث » . حقا إن تدخل الإله آمون المباشر في انتخاب الفرعون قد يكون فيه ما يشوش فكر القارئ ويحمله يظن أن ذلك كله كان حديث خرافة لأنه خارق للآلوف . ولكن لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الدهشة أو العجب عند المصري القديم بل قد لا يكون فيه غرابة للقارئ الحديث إذا وقف على الدور الهام الذي كان يلعبه الإله أو عبارة أخرى الكهنة في حكم البلاد في تلك الفترة ؛ اليس هو الإله الذي كان يعتبر والد الفرعون وأن هذا الادعاء كان يعلن ويعرف في كل العالم أجمع ولدينا قصة تولية « حتشبسوت » التي دوتها على جدران معبدها بالدير البحري شاهد عدل . ولقد قلدها في ذلك فيما بعد « تحتمس الثالث » في معبد الأقصر ثم « الاسكندر الأكبر » ثم يوليوس قيصر .

وفي كثير من الأحوال عندما كانت تحتم الظروف كان لابد قبل التسويج من عمل انتخاب للملك من بين أعضاء الأسرة المختلفين إذا لم يعقب الفرعون ولما يخلفه على العرش من دم ملكي طاهر . وليس لدينا معلومات أكيدة عن كيفية الاحتفال بهذا الانتخاب إلا من عصور متأخرة .

وصف الاحتفال بتتويج تحتمس : إن نقوش تولية « تحتمس الثالث » تضع أمامنا لأول مرة المناظر التي كانت متبعة بعد التويج في « طيبة » في خلال النصف الأول من عهد الأسرة الثامنة عشرة . ولما كانت النقوش التي سردناها هنا ليست واضحة فقد آثرنا أن نستعرضها هنا بصورة جلية : ذلك أنه كان يجتهد يوم لتتويج الفرعون مقدما ، وعند حلول هذا اليوم كان الكهنة يضعون الفرد الذي سيق عليه اختيار الإله الأعظم « آمون » في قاعة المعبد

العظمى ثم يخرج بعد ذلك الإله من محرابه في موكب لمجولا على الأعناق في سفينته الإلهية ثم يتقبل التضحية المقدسة التي كانت تعد لمثل هذا الاحتفال العظيم ، ثم يحمل بعد ذلك الإله على الأعناق ويطوف في أركان القاعة باحثا عن ابنه الذي سيوليه العرش وعندما يصل إلى المكان الذي يقف فيه هذا المحفوظ يوحى إليه فيقدمه له الملك الجالس على العرش فعلا وفي العادة يكون أباه ، ثم يلى عليه الإله ألقاب التتويج الرسمية التي سيجعلها مدة حكمه . وهذا هو ما حدث بالضبط عند تتويج « تحتمس الثالث » والواقع أن نعمة هذه النقوش كانت لا تشعر بأى شيء مستغرب في نظر المصري بل كان كل شيء فيها يجرى عاديا .

وعلى أية حال لم نفهم منها أن هناك روح ثورة، بل كان كل ما حدث لا يخرج عن حد التقاليد التي كان يتركز عليها نظام الحكم في مصر وأعنى بذلك تدخل الإله المباشر في كل ما يتصل بالحياة السياسية في البلاد، وبخاصة في كل أطوار الفرعون وكان لزاما على سلف « تحتمس الثالث » أن يشترك في توليته على العرش كما فعل « تحتمس الأول » عندما ولى « حتشبسوت » أريكة ملكه إذا صدقنا ما نقشته في أقصوصتها العريضة وكما فعل « رمسيس الثاني » مع ابنه « ستي الأول » كما سيأتى بعد .

سن تحتمس الثالث عند توليه العرش وتربيته الأولى : غير أنه في موضوع تولية « تحتمس الثالث » يعترضنا سؤال جوهري لابد من الإجابة عليه وهو كم كان عمر « تحتمس الثالث » عندما وقع اختيار الإله « أمون » عليه وعندما اقترعه من أحضان الكهنة في المعبد لتوليته عرش الملك ؟ وقد ظن بعض المؤرخين أن « تحتمس الثالث » كان قبل هذا الحادث قد تزوج من أخته « نفرو رع » بنت « حتشبسوت » وأخته من أبيه، بيد أن الوثائق التاريخية لم تحدثنا عن هذا الزواج . والألفاظ التي استعملت في المتون المصرية في وصف « تحتمس الثالث » في هذه الآونة تقطع بأنه كان لا يزال صبيا لم يبلغ الحلم بعد أن كان يطلق عليه

في اللغة المصرية لفظة «أنوب» ومعناها الصبي الذي لا يزال قاصرا، هذا فضلا من أن والده كان قد وضعه بين أيدي رجال الدين في معبد «أمون» لتنشئته وتربيته بين أحضان العلم والدين وليجب إليه الكهنة الذين كان في أيديهم مقدار عظيم من السلطة والفقوة ، هذا فضلا عن أن والده كان يشعر بأنه هو الذي سيخلفه على عرش الملك ، وكان «تحتمس» وقت توليته العرش لم يبلغ سن الرجال بين رجال الدين، بل كما ذكرنا كان يشغل وظيفة «الطفل حور» أو «عمود أمه» . ومن ذلك نعلم أنه كان طفلا حدثا أوحى إليه تمثال الإله «أمون» بأنه هو الذي سيتربع على سدة الملك . وتدل كل الشواهد على أنه لم يكن يتجاوز الحادية عشرة من عمره وكان هذا الاختيار بطبيعة الحال آتيا عن طيب خاطر من الفرعون الذي كان في قبضته مقاليد الأمور في البلاد وقتئذ .

والآن بقي علينا أن نثبت على وجه التأكيد اسم الفرعون الذي كان قد أقيم هذا الحفل في حضرته وقد جاء في نقوش «إثني» أنه عندما صعد «تحتمس الثاني» إلى السماء ولحق بالآلهة تولى مكانه ابنه «تحتمس الثالث» بوصفه ملكا على الأرضين وحكم على عرش، من أنجبته وأخذت أخته «حتشبسوت» (أخت تحتمس الثاني) في يدها إدارة حكومة البلاد ومن ثم نعلم أن «تحتمس الثالث» بدأ حكمه تحت وصاية «حتشبسوت» مدة ثم استأثرت هي بالملك فيما بعد كما شرحنا ذلك من قبل إلى أن ماتت وخلالها الجوع، ففراهم يتسلم مقاليد الأمور في يده، وكان أول عمل قام به أن طار بجيشه العظيم إلى ربوع آسيا .

تحتمس الثالث يعلن الحرب على بقايا الهكسوس في آسيا : وتدل شواهد الأحوال على أن «تحتمس الثالث» لم يتوان طويلا في مصر بعد اعتلاء أريكة العرش . فقد كان الخلفاء القائم في مصر على تولية عرش البلاد والجلاء بين «تحتمس الثالث» و «حتشبسوت» معروفا في الأقطار الآسيوية العاصرة بالجم الغفير من الهكسوس الذين شنت شملهم أسلاف «تحتمس الثالث» وطردوهم

من مصر حملة والذين مازال حب الانتقام والأخذ بالتأرياً كل صدورهم وبخاصة أنهم أصبحوا هم المحكومين ويدينون لمصر بالطاعة . ولذلك لما تولت « جنتشسوت » اتحدوا على ما يظهر هذا الحادث ذريعة لإعلان الثورة ليتحزروا من ربق الاستعباد المصرى وقد أعلنت « سوريا » كلها العصيان على مصر فى تلك الفترة وقامت بثورة محبوكة الأطراف حتى أصبح لزاما على هذا الفرعون الفتى الجسور أن يقابل حلقا قويا مؤلفا من قبائل آسيا والولايات التى وطدت العزم على خلع النير المصرى الذى أنقل عاتقهم به « تحتمس الأول » وسلفاء من قبله منذ خمسين سنة مضت . ولاشك فى أن أكثرهم تحمسا كان أولئك الأقوام الذين طردوا من مصر من غير رجعة ، وكان كل أولئك قد ألفوا حلقا بقيادة ملك « قادش » وهى بلدة على نهر الأرنط (نهر العاصى) على مسيرة مائة ميل تقريبا شمالى دمشق . وقد زحف الفرعون لمقابلة أولئك العصاة يحذوه غرض معين وهو منازلة ملك « قادش » والقضاء عليه فإذا تم له ذلك كان كل شئ عداه سهلا ميسورا نسبيا ، وذلك لأن سوريا لم تكن وقتئذ مملكة واحدة متحدة الكلمة بطبيعتها بل كانت مقسمة ولايات صغيرة يحكم كلا منها أمير أو ملك كما كان لها « بل » أو إله خاص بها . وكانت أقوى هذه الممالك الصغيرة وأغناها مملكة « قادش » وقد أطلع ملكها فى أن يضم مؤقتا الولايات الأخرى تحت قيادته . فإذا كان فى الاستطاعة هزيمته فإن الحلف لا يفتأ أن تتحل عراه وتعود كل دويلة سيرتها الأولى من الاستقلال الذاتى ولذلك يصعب من السهل على « تحتمس » الاستيلاء على ولايات هذا الحلف الواحدة تلو الأخرى ، والظاهر أن « تحتمس » قد صمم على الزحف بسرعة خاطفة إلى « قادش » مباشرة ليضرب ضربه الحاسمة هناك .

موقعة مجدو : تعد موقعة « مجدو » التى قابل فيها « تحتمس الثالث » جيوش الحلف السورى بإمرة حاكم « قادش » أول معركة حربية فى تاريخ العالم القديم قد بقى عنها تفصيلات تذكر ؛ ويرجع الفضل فى ذلك إلى اليوميات

التي خلفها « تحتمس الثالث » على أحد جدران معبد الكركك ؛ فقد جرت العادة على ما يظهر في الجيش المصرى في عهد الامبراطورية أن تدون يوميات عن سير القتال في أثناء الحملات التي كان يقوم بها الفرعون ، وقد كان المكلف بهذه المهمة العظيمة رئيس كآب الجيش ^(١) . وقد كانت تحفظ نسخ من هذه اليوميات في معبد الإله « امون رع » « بطيبة » ولم تصل إلينا منها إلا اليوميات التي أمر « تحتمس الثالث » بأن تنقش مقتطفات منها على جدران معبد الكركك ^(٢) . ومن حسن الصدف أنه قد وصلتنا تفاصيل عن أول انتصار له في بلاد آسيا ، وهو ذلك الفوز العظيم الذي أحرزه في موقعة « مجدو » وما وصلنا من تفصيل هذه الموقعة يعتبر أوسع تفصيل عرفناه عن غزواته في هذه الأصقاع . وبهذه المعلومات أصبح في مقدورنا أن نتبع بوضوح سير الحملة بصورة جلية أكثر مما كان ينتظر في مثل هذا العصر القديم .

طريق جيش تحتمس إلى مجدو : وسنكتفي هنا بتلخيص حركات جيش « تحتمس الثالث » الأولى التي قام بها لتنفيذ خطته التي رسمها لنفسه من بادئ الأمر . فقد سار يبيشه من قلعة « سيله » (وهي القنطرة الحالية) في اليوم الخامس والعشرين من الشهر الرابع من فصل الشتاء في السنة الثانية والعشرين من حكمه . وهذا التاريخ على حسب قول الدكتور « نلسن » يوافق ١٩ أبريل سنة ١٤٧٩ ق . م . غترقا الصحراء التي تقع على الحدود الشرقية والحدود الجنوبية لفلسطين فوصل « غزة » بعد مسيرة عشرة أيام قطع فيها نحو مائة وخمسة وعشرين ميلا ، وكان قد حط رحاله فيها في اليوم الرابع من الشهر الأول من فصل الصيف في السنة الثانية والعشرين من حكمه ، مما يدل على أن الجيش كان يقطع في سيره يوميا نحو اثني عشر ميلا ونصف ميل وهي سرعة حسنة في بقاع معظم طرقها صحراوية

(١) راجع : - telk, "Der Einfluss der Militärführen in der 18 Agyp-
tischen Dynastie", P. 14.

(٢) راجع : - Urkunden IV, P. 662,5.

قاحلة لا زرع فيها ولا ضرع ، وبخاصة إذا عرفنا أن عددا عظيما من جيشه كانوا مشاة . ولم يمكث « تحتمس » في بلدة « غزة » إلا سواد ليلة ، وفي الصباح المبكر سار على رأس جيشه ميمما شطر « يحم » (يحتمل أن تكون بما الحالية) انظر (المصور رقم ٢) وتقع على مسافة ثمانين ميلا من « غزة » . وعلى الرغم من أن النقوش التي في متناولنا قد أغفلت ذكر يوم وصوله إليها نستطيع أن نستنبط أنه ألقى فيها عصا تسياره في اليوم الحادى عشر من نفس الشهر ؛ وذلك إذا فرضنا أنه كان يسير يوميا بنفس السرعة التي كان يزحف بها في ذهابه إلى « غزة » .

الجيش يعسكر في بلدة « يحم » ويعقد فيها تحتمس مجلسا حربيا : والظاهر أن الجيش قد ضرب خيامه فيها بضعة أيام استطاع في خلالها « تحتمس » أن يطلق عيونه ليقفوا على مواقع العدو ومكانه . وفي اليوم السادس عشر من نفس الشهر عقد الفرعون مجلسه الحربى ليتشاور مع ضباطه في أحسن الطرق التي يجب أن يقتحمها الجيش إلى « مجدو » . وستترك المؤرخ المصرى عند هذه النقطة يقص علينا سير الحوادث : (راجع Urk. IV. P. 648ff.)

« الستة الثالثة والعشرون » الشهر الأول من فصل الصيف ، اليوم السادس عشر في بلدة « يحم » لقد أمر جلالة أن يعقد مجلس حربى ليتشاور فيه مع رجال جيشه قائلا : إن ذلكم العدو الخاسى صاحب " قادش " قد جاء بجيشه ونصب خيامه فيها ، وهو مقيم بها في تلك الآونة ، وقد ضم إليه كل أمراء الأقاليم الذين كانوا يدينون بخضوعهم لمصر حتى نهر الفرات ... ومعهم السور يون وقوم « قودة » بجيولهم وجنودهم وعشيرتهم ، وأنه يقول على حسب ما وصل إلى مسامعنا : سأقف هنا لمحاربة جلالة في بلدة « مجدو » لحدوثى ما يدور بحدكم في هذا الخطب فأجابوا جلالة قائلين : كيف يتسنى للره أن يسير في هذا المضيق ؟ وقد وصلتنا الأخبار بأن العدو على تمام الاستعداد هناك في خارج المدينة ، وأن

(١) يلاحظ أن تغيير الستة من الثانية والعشرين إلى الثالثة والعشرين يرجع إلى أن « تحتمس » وصل غزة في يوم عيد تنويجه أى في اليوم الأول على حسب سنى حكمه .

عدهم قد أسى هالكا ، وهل يكون السير مستظلا إلا إذا سار الجواد إثر الجواد والجندي إثر الجندي أيضا ؟ وهل ستكون مقدمة الجيش بهذه الطريقة في ساحة القتال في حين أن المؤخرة تكون لاتزال واقفة هنا في « عروقة » عاجزة عن محاربة العدو ؟ هل أنه يوجد طريقان أحريان ؛ واحدة منهما تؤدي إلى « تاجناخ » والأخرى ، تقع في الجهة الشمالية من بلدة « زقي » مؤدية إلى شمال « مجور » ، وبذلك لا تضطر إلى سلوك هذا المضيق الوعر .

وفي هذه الأثناء جىء بمعلومات عن ذلكم العدو الخاضع ، وبذلك استقر النقاش في موضوع الخطة التي كانوا يتحدثون عنها فيما قبل .

ما قيل في الخيمة الملكية : فأجاب الملك قائلا :

إني ما دمت حيا وما دام الإله « رع » يحني وما دام والدي « آمون » يراني ، وما دام قسي الحياة يمنني بالحياة والقوة ، فلن أسلك إلا هذه الطريق المؤدية إلى « عروقة » وليذهب منكم من يشاء في إحدى هاتين الطريقين الأخريين اللتين تحدثتم عنهما وليتبعن منكم من يريد أن يسلك الطريق التي سيخلفها جلاتي لأن الأعداء الذين يعقهم الإله « رع » سيقولون : هل سلك جلاله طريقا آخر لأنه يخاف بأسنا وبلشنا ؟ وعندئذ أجابوا جلاله قائلين : ليت الإله « آمون » والهدك رب تيجان الأرضين وساكن الكركك يرعى شعبك ويتمهده : تأمل ! إنا ستكون في ركاب جلالك أينما توجهت لأنه من واجب الخادم أن يتبع سيده دائما . وعندئذ أمر جلاله بإصدار منشور لكل الجيش جاء فيه : ان سيدكم المظفر سيكون في طليعكم لاتتعام ذلك المسلك الوعر الضيق . تأملوا : لقد أقسم جلاله بينما قائلا إني لن أسمح لجيش المظفر أن يشق طريقه إلا في هذا المكان ، لأن جلاله عقد العزم على أن يقدم طليعة جيشه بنفسه . وقد وزعت التلويحات على كل جندي بالأمر بالزحف على أن يكون الجواد في إثر الجواد في حين أن جلاله كان يسير في مقدمة جيشه .

الجيش يعسكر في عروفا : وفي السنة الثالثة والعشرين من الشهر الأول من فصل الصيف ، اليوم التاسع عشر استيقظ الفرعون في السرايق الملكي الذي كان قد ضرب له في بلدة « عروقة » ثم سار جلالته موليا وجهه تنظر الشمال في رعاية الإله « آمون » رب تيجان الأرضين لفتح الطريق أمامه وكان الإله « آمون رع » يشد ساعد جلاتي ... وزحف جلاله على رأس جيشه المنظم فرقا (ولم يجده للعدو أثرا) بل كان قد صكر جناحه الأيسر عند بلدة « تاجناخ » في الوقت الذي كان جناحه الأيمن قد ضرب بحياها في المنحى الجنوبي من وادي مجرى « قنا » ؟

وقد نادى جلالة أن سيروا في هذه الطريق فالتقى بالعدو فكسره وولى ذلك العدو الخاسي . الأديار ...
فيأبها الجند مجدوا الملك وتغنوا بشجاعة جلالة لأن ساعده أشد بأسا من أى ملك وأنه هو الذى سيحمى
مؤخرة جيش جلالة في « عرونا » .

وقد كانت مؤخرة جيش جلالة المظفر لا تزال في بلدة « عرونا » في حين أن مقدمته قد برزت
في وادى مجرى « قنا » حتى ملثوا فم هذا الوادى .

وعندئذ قال رجال الجيش لجلالته : حقا إن جلالتك قد ظهر بجيشه المتصمر وملأ جنوده الوادى
فليصغ جلالتك لقولنا هذه المرة فيحمى لنا سيدنا مؤخرة جيشه وقومه الذين معه ، وعند ماتصل بنا المؤخرة
نحارب أولئك الأجانب ، إذ لا نكون في شغل شاغل من جراء مؤخرة جيشنا . وعلى إثر ذلك اتخذ جلالتك
مكانه عند فم الوادى حاميا مؤخرة جيشه المظفر ، وعند ما تم خروج الفرقة الأمامية على هذه الطريقة
كان الظل قد مال (أى عند الظهيرة) .

الجيش يعسكر عند مجدو ويستعد للموقعة : ووصل جلالتك جنوبي
« مجدو » على شاطئ مجرى نهر « قنا » في مدة سبع ساعات بعد ميل الشمس .
وقد ضربت خيام معسكر جلالتك هناك ثم أصدر أمرا لكل رجال الجيش وهاك
نصه : استعدوا أيها الجنود وانتصروا سيوفكم لأن الفرعون سينحس غمار حرب مع ذلك العدو الخاسي .
عند الصباح الباكر لأنه ثم ذهب الفرعون ليسترخ في السراقد الملكى وقد أمدة الضباط بما يحتاجون
ورزعت الجرايات على الجنود واتخذ كل حارس مكانه بعد أن تلقى التنبيهات بأن يكون ثابتا في مكانه شجاعا .

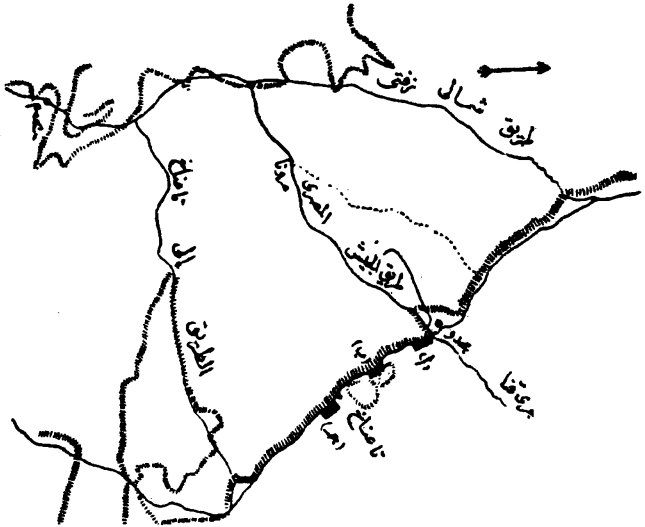
الجيش يهاجم الأعداء ويهزمهم : السنة الثالثة والعشرون ، الشهر
الأول من الفصل الأول . اليوم الحادى والعشرون وهو اليوم الذى أعلن فيه
الضباط عيد الهلال الجديد وفيه ظهر الفرعون في الصباح . وقد أعطي كل رجال
الجيش الأوامر للاستعداد للمعركة (٩) وبعد ذلك انطلق جلالتك في عربته المصوغة
من الذهب التضار مدججا بدرع وزرده مثل الإله « حور » القوى الساعد رب البأس ومثل الإله « متو »
إله طيبة (وهو إله الحرب) وكذلك كان والده آمون يشد ساعده .

وكان جناح جيش جلالتك الأيسر يقف على ربوة جنوبي « قنا » ، أما الجناح الأيمن فكان
معسكرا في الشمال الغربي من « مجدو » ، وكان جلالتك في وسطهما يحيه الإله « آمون » في حومة الوعى .
وكانت قوة بأس الإله « ست » (إله الحرب) تدب في أعضائه ، ففاز جلالتك فوزا ميثا وهو على رأس
جيشه ، وقد رأوا (أى الأعداء) جلالتك والنصر حليفه ، ولذلك ولوا الأديار نحو « مجدو » بوجوه

يفسرها الذعر والملح تاركين خيلهم وعرباتهم المصوغة من الذهب والفضة وتسلقوا أسوار هذه المدينة بملابسهم (أى مستعملين ملابسهم ليسلقوا بها) وذلك لأن أهل المدينة قد غلقوا أبوابها في وجوههم ولكنهم مع ذلك دلوا ملابسهم ليجروهم بها إلى داخل المدينة ؛ ولو أن جنود جلالتي لم يهالكوا على نهب متاح المدلولكان في استطاعتهم الاستيلاء على « مجدو » وقتل عند ما كان طرق « قادش » الخامى. وعدت هذه المدينة يجرّون متسلقين الأسوار ليدخلوا المدينة هربا لأن الخوف من جلالته كان قد سرى في أجسامهم وضعت أسلحتهم لأن صله (الذى على جيته) قد طنى عليهم وهزمهم ، واستول جلالته على خيلهم وعرباتهم المصوغة من الذهب والفضة غنيمة باردة ، أما صفوف جنودهم فكانوا قد طرحوا أرضا مثل السمك في حباتل شبكه وجيش جلالتي المتصركان يحسب مناهم لأن مرادق هذا المدو الخامى. الذى كان محلى بالفضة وقد أخذ كل الجيش بأسباب الفرع مقدما التناء لآمون لما وجهه من نصر لانه في هذا اليوم وكذلك قدّموا الشكر لجلالته مادحين انتصاره . ثم أحضروا الغنيمة التى استولوا عليها حتى الأيدي والأشياء والخيل والعربات المصوغة من الذهب والفضة والكائن الجليل .

وصف حركات الجيش في هذه المعركة : هذه هى رواية الكاتب

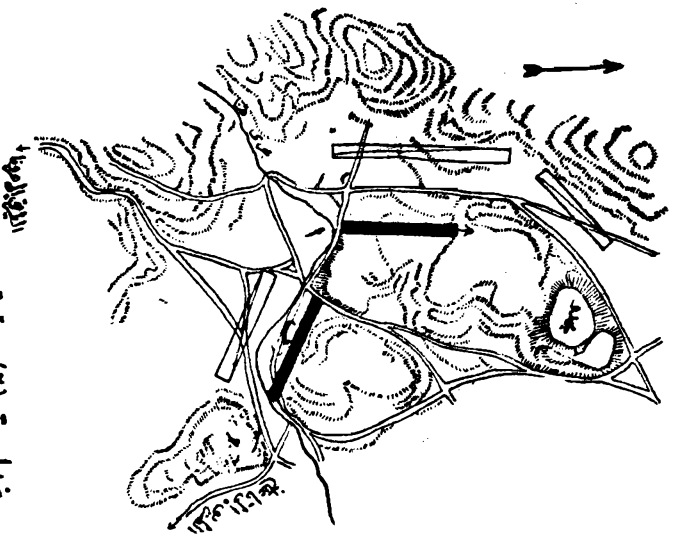
المصرى بنصها وهى أول وصف لمعركة حربية فى العالم ويمكن تلخيص حركات الجيش الذى كان يقوده ذلك القائد المبتكر فيما يأتى : لما عقد « تحتمس الثالث » مجلسه فى « يحم » فى اليوم السادس عشر من الشهر صمم هذا الفرعون على اختراق الطريق من « عرونا » إلى « مجدو » فأمضى اليوم السابع عشر فى الاستعداد للزحف ، وفى اليوم الثامن عشر زحف الجيش نحو « عرونا » حيث قضى فيها ليلة ، وفى اليوم التاسع عشر استؤنف الزحف نحو « مجدو » وكان الفرعون نفسه يلفظ الأيمان أن يسير فى مقدمة طليعة جيشه فى المعبر الضيق فسار على رأس الجيش مخترقا هذه الطريق الوعرة ولم يحدث فى خلال اجتيازها حوادث تستحق الذكر اللهم إلا بعض مناوشات صغيرة . وسرعان ما تحطت مقدمة الجيش التلال حتى حصر « تحتمس الثالث » بعد مشاورة ضباطه عند فم الممر ليكون فى مأمن من هجمات المدو على جناح كتائبه الممتدة فى طول المعبر وهم يسرون متعثرين نحو العراء ، وقد تم خروج الجيش من هذا المعبر عند الساعة السابعة بعد الظهر ، ومن ثم حصر



المطرق المؤدية إلى مجدو

خريطة (١)

- (١) الجناح الشمالي للجيش السوري في الميناء الخامس عشر
- (٢) قلب الجيش السوري على هذا الطريق
- (٣) الجناح الجنوبي للجيش السوري



خريطة (٢) موقعة مجدو

- (١) موقع الجيش السوري (الفرقة)
- (٢) موقع الجيش السوري (الفرقة)
- (٣) موقع الجيش السوري (الفرقة)
- (٤) موقع الجيش السوري (الفرقة)

خريطة موقعة مجدو

الجيش المصرى فى وادى قنا، وفى هذه الأثناء كانت قوة السوريين بلا نزاع قد ضربت خيامها فى نفس الوادى بالقرب من « مجدو » وكانت لهم قوة أخرى قد عسكرت عند « تاعنخ » وكانت مهمتها منع زحف المصريين وإطاعة تقدمهم من كلتا الطريقين . ومن المحتمل أنه كان للسوريين قوة أخرى تؤازرهم قد عسكرت وسط هذين المكانين، غير أن هذه القوة التى كانت عند « قنا » قد أخفقت فى مهاجمة الجيش المصرى الزاحف لجهلهم بموقعهم، وكان السوريون على ما يظهر قد حشدوا كل جيوشهم فى وادى « قنا » لصد الجيش المصرى . غير أن المصريين هنا قد خدعوهم أيضا، ففى الساعة الأولى من اليوم العشرين انتشر الجيش المصرى عبر وادى نهر « قنا » إلى الشمال الغربى من « مجدو » ثم إلى الجنوب الشرقى من تل هناك مهددين بقطع مواصلات العدو ببلدة « مجدو » . ثم هاجمهم المصريون ثانية على غرة وعند ما كشف السوريون حركة الجيش المصرى وقد ضرب عليهم الحصار فى وادى « قنا » حاولوا على ما يظهر أن يقوموا بهجوم مضاد، ولكن الجيش المصرى لم يعطهم الفرصة لتنفيذ خطتهم . ولم يكد المصريون يهاجمونهم حتى هزموا وولوا هارين، ولما رأى سكان بلدة « مجدو » ما حدث لجيوشهم ظفوا أبواب مدينتهم فى الحال وأخذوا يمحرون الفارين على جدران المدينة بحبال صنعت ارتجالا من الملابس التى كان يرتديها أولئك الفارون . وقد هيات عوامل الرعب والفرزع والذعر التى انتشرت بين رجال الجيش السورى فرصة سانحة للجيش المصرى للاستيلاء على المدينة بالهجوم أثناء الاضطراب الذى أحدثه فرار جيش السوريين . غير أن جنود الجيش المصرى لم يكن فى استطاعتهم أن يقاوموا حب السلب الذى دب فى قلوبهم عند ما رأوا أسلاب العدو أمامهم مكسدة وبخاصة معسكر السوريين الذى كان يفيض بالخيرات والنخائر المغرية، ولذلك ضاعت عليهم فرصة الاستيلاء على « مجدو » مما جعل ضرب الحصار عليها أمرا لا مفر منه، وقد امتد زمن حصارها سبعة أشهر استسلمت بعدها المدينة صاغرة،

غير أن ملك « قادش » الذى كان رئيس العصاة وحامل لواء الثورة على « تحتمس » قد فر من المدينة لا لينجو بنفسه بل ليستعد لاستئناف الحرب من جديد على مصر وليكون سببا فى مضايقة الفرعون سنين عدة .

أهمية هذه الواقعة فى تاريخ الحروب : وأهمية مرد حوادث هذه الواقعة لا ينحصر فى وصفها وحسب ، بل كذلك لأننا نقرأ فى وثيقة تاريخية لأول مرة فى تاريخ العالم أن قائدا حربيا لم تقتصر مواهبه على أنه جندى شجاع وقائد قدير ماهر فقط ، بل لأنه كانت لديه الشجاعة كذلك ليخوض غمار مخاطرة قد كان يعرف عواقبها من قبل ليصل إلى غرضه بسرعة خاطفة ، بل قد أظهر فضلا عن ذلك مهارة حربية فى وجه العدو الذى جعله يتأرجح فى يده كاللعبة فى يد الصبي .

ولا يبعد أن كان لهذا الحادث العظيم فى تاريخ الحروب فى الشرق القديم منذ أربعة آلاف وخمسمائة سنة أثره فى تدبير سير الحملة التى قام بها القائد الانجليزى « ألنبي » عام ١٩١٨ على الترك عند ما هزمهم فى نفس المكان ، إذ كان قد ألقي بخياله فى ممتر « عرونا » خلف الأتراك المنهزمين ، وقد يتساءل المرء الآن فى استغراب عما إذا كان الضابط « لورنس » — بما كان له من المعلومات فى التاريخ القديم — قد أوحى إلى « ألنبي » بالفكرة التى جعلته يقوم بهذه الحركة الجريئة الماهرة التى كان قد سبقه إليها « تحتمس الثالث » الذى يلقبه مؤرخو الغرب بحق « نابليون الشرق القديم » .

وصف حصار مجدو : بعد انتصار « تحتمس » على جموع العدو الذى احتوى داخل أسوار مجدو نفسها حشد « تحتمس » جيشه الذى كان منهمكا فى السلب والنهب وحاصر المدينة ، فأقام المتاريس حولها من الأشجار الخضراء ومن كل أشجار فاكهتها ، ثم أخذ الفرعون مكانه فى الجانب الشرق من المدينة بعد أن خصص جنودا ليحموا سرادق جلالة ، ثم أصدر أوامره لجيشه قائلا :

لا تجمعوا واحدا منهم يخرج خلف المتاريس إلا إذا كان آتيا ليسلم باب هذه الحصون (أى يلقى سلاحه) . والظاهر كما ذكرنا أن ملك « قادش » قد تسلم من المدينة قبل أن تسلم إذ لم يثرله على أثر . وقد استمر الحصار سبعة أشهر آتى بعدها الأمراء خاضعين مسلمين متاعهم ومقدمين طاعتهم لاسم جلالة « طالين النفس لأنوفهم » .

وفى مكان آخر تحدثنا القوش أن أولئك الآسيويين الذين كانوا فى « مجلو » الخاسنة قد خرجوا ... قائلين : « هيه لنا الفرصة لنسلم لجلالتك القرامة ... » .

وقد تعطف الفرعون وأمر بأن يوهبوا نفس الحياة ، وذلك لأن المصريين كما يقول الأثرى « ويحول^(١) » كانوا أعظم شعوب العالم القديم رحمة وإنسانية . ولكن كان ضمن شروط الهدنة على ما يظهر أن يرسل كل أمير واريته إلى مصر ليتعلم طرائق الحياة المصرية . وبعد ذلك آتى هؤلاء الأمراء حاملين عطاياهم من الذهب والفضة واللآزورد والفيروزج ، ومعهم كذلك برنقى ونحروماشية كبيرة وصغيرة ومؤن للجيش وبعد ذلك عين الأمراء من جديد ، أى أنه صفع عنهم وأطاحهم إلى ولاياتهم التى كانوا يحكمونها بوصفهم تابعين له . أما ملك قادش الفاز فإن المصريين قد أخذوا أسرته رهينة عندهم إذ يقول فى ذلك « تحتمس » « تأمل : إن جلالتى قد أسر زوجات الخلامى . ملك قادش وأولاده وكذلك زوجات الأمراء القيين كانوا هناك^(٢) » .

ولما عاد « تحتمس » إلى مصر كان يفخر بقوله : « إن الإله « آمون » قد سلط على كل الممالك المتعاقبة فى أرض زامى ، لحاصرها جميعا فى بلدة واحدة ... ولقد حاصرتها فى مدينة واحدة وبنت حولها سوراً جداره كثيف وقد أطلق على هذا الجدار « تحتمس صياد الآسيويين »

(١) راجع : Weigall, "History", Vol. II, P. 351.

(٢) راجع : Urkunden IV, 662 - 663.

وصف حملة تحتمس الأولى كما جاءت على لوحة جبل بركال :
هذا وقد وصف لنا فيما بعد « تحتمس الثالث » بنفسه حملته الأولى على بلاد
« رتو » (سوريا) في نص اللوحة العظيمة التي أقامها في جبل « بركال » على مقربة
من الشلال الرابع في معبد « آمون » في السنة السابعة والأربعين من حكمه .
وربما كان سبب إقامتها هناك ليظهر عظمته وجبروته لأهل هذه الأقاليم النائية
لتكون عظة وعبرة فلا يقومون بثورات أو يحرضون على فتن ، وهاك ما جاء فيها :
والآن أقص عليكم أعمالاً أخرى عظيمة فاسمعوا أيها القوم : لقد منحني الإله كل أراضى « رتو »
الأجنبية في الحملة الأولى عند ما هبوا بشوة لمحاربة جلالتي بملأين الرجال ومئات الألوف من عطاء كل
الأراضى الأجنبية ؛ وقد اصطفوا في عرباتهم وكان عددهم ثلاثمائة وثلاثين أميراً وكان كل على
رأس جيشه .

وكانوا إذ ذاك في وادى « قنا » معسكرين بخيامهم كأنهم في الواقع في غي وكان النصر حليفي عليهم
إذ هاجتهم ففروا في الحال وسقط منهم على الأرض أ كداس من القتل ثم دخلوا « مجدو » فحاصرتها
سبعة أشهر إلى أن اضطروا إلى الخروج منها متضرعين لجلالتي قائلين : اعطنا نفسك يا سيدنا لأن أجنب
« رتو » لن يعودوا قط مرة أخرى للعصيان ، وبعد ذلك أرسل الخيامى (أمير قادش) ومن معه من
الأمراء إلى جلالتي كل قومهم حاملين هدايا كثيرة من الذهب والفضة وكل جيادهم وما يتبعها من
معدات ، هذا إلى عرباتهم الفخمة المصفحة بالذهب والفضة ، وكل دروعهم وقسيهم ونشاشيهم وكل آلات
الحرب . وكانوا قد حضروا بكل هذه الأمتعة من أ ماكن قاصية لمحاربة جلالتي وما هم أولاء قد أحضرها
الآن هدايا لجلالتي . وكانوا في ذلك الوقت واقفين على جدرانهم (وقت الحصار) مقدمين الخضوع
لجلالتي راجين أن يمنحوا نفس الحياة ، وعندئذ جعلهم يحلفون يميناً قائلين : لن نقوم قط بأى عمل عدائى
كرة أخرى على « متخبرج » (تحتمس الثالث) أمة الله في عمره أبدياً وهو سيدنا ما دمتنا أحياء . لأننا
شهدنا عظمته فلمنعنا نفس الحياة كما يجب لأن والده « آمون رع » هو الذى أ كسبه النصر في الواقع
لا قوة الإنسان . وعلى أثر ذلك سمح لهم بالسير إلى بلادهم فعادوا جميعاً متعطين حميراً لأنى كنت استوليت
على خيل عرباتهم وأخذت مواطنهم معى غنيمة لمصر وكذلك استوليت على ماشيتنا .

الغنائم التي استولى عليها الفرعون تكشف عن ثروة هذه البلاد :
والواقع أن قائمة الغنائم التي غنمها « تحتمس الثالث » في هذه الموقعة كما جاء
ذكرها في قهوش الكرنك تكشف لنا عن ثروة هذه البلاد المفتوحة وما كان يتمتع

به أمراء سوريا من نعيم العيش والأبهة . هذا فضلا عن أنها تعطينا فكرة عن مقدار ما كانت عليه تلك الولايات من التقدم في الصناعات والحرف وفنون الحياة مما لم يكن في الحسبان . وسندكر هنا بالتفصيل قائمة هذه الأصلاب التي استولى عليها جيش « تخمس الثالث » من « مجدو » لتضع أمامنا فكرة عامة عن مقدار ثراء القوم واستعداداتهم الحربية التي كان لابد للفرعون أن يقف أمامها وجهها لوجه :

« فاستولى على ثلثة وأربعين أسيرا وثلاثه وثمانين يدا (كان الجندي تقطع يده بعد قتله) وأقنين وواحد وأربعين فرسا ومائة وتسعين مهرا وستة جياد وعربة مشاة بالقعب وقضبانها من القعب من مناع العدر ، وعربة جملة مصفحة بالقعب ملك أمير مجدو وثمانمة وأثنين وتسعين من عربات جيشه المفضول مجموعها تسعائة وأربع وعشرون عربة (لابد أنه قد ذكر ثلاثين عربة في الأماكن المهشة من القش) ودروع جيسل من البرز ملك الأعداء ، ودروع آخر من البرز لأمر « مجدو » وعلى مائتي درع من دروع الجيش الخامس ، وعلى خمسمائة قوس وسبعة قضبان من خشب المرو مصفحة بالقضة وهي من قضبان مرادق العدر . »

أصلاب الحيوان : واستولى جلالته على الحيوانات الآتية من هذه المدينة :
« ثلثة وخمسة وثمانين وألف وتسعائة وتسعة وعشرين من الحيوانات الكبيرة وأقنين من الحيوانات الصغيرة ، وعشرين ألفا وخمسمائة من حيوانات بيضاء صغيرة . »

ثم استولى فيما بعد من أمير قادش على غنائم أخرى : « قائمة بما استولى عليه الفرعون فيما بعد من مناع هذا العدر الذي كان في مدينة « ينسم » وفي « نجس » وفي « حرنكر » . بالقرب من البلدين الآخرين في دنسواليا) : هذا بالإضافة إلى كل السلع التي هي ملك تلك المدن التي خضعت وأحضرت لجلالتي وهي : أربعائة وضيع وأربعون من نسائهم والأمراء الذين كانوا معهن وثمان وثلثون سيدة من سيداتهم وسبعة وثمانون طفلا من أطفال هذا العدر ومن الأمراء الذين كانوا معه ، وخمسة من أشرفهم ، وألف وتسعائة وتسعة وتسعون من الذكور والأنثى

(١) ذكرت بلدة « ينسم » كذلك في متون تل العمارنة . وتقع على مسافة خمسة أميال ونصف ميل في الجنوب الغربي من (تيبيرياس Tiberias) .

(٢) أما « نجس » فهي نوحاشش التي ذكرت كذلك في خطابات تل العمارنة وهي أقدم وبلدة قرية من « حلب » (راجع : Gardiner, "Onomastica" I, P. 169.)

من العيد والإمام، والأطفال هذا غير المحاربين الذين استسلموا بسبب الجوع الذي لاقوه، ومائة وثلاثة رجال فيكون مجموعهم ألفين وخمسة واثنين (والعدد المذكور فضلا هو ألفان وتسعة وعشرون فلا بد أن يكون العدد الناقص وهو أربعمائة وأربعة وسبعون قد جاء ذكره في الأماكن المشهورة من المتن) . هذا خلاف الأطباق من الأجر الغالية والذهب وأوان أخرى وإنما ذى مقبضين من صنع خاور (بلاد الآسيوية) وأوان وأطباق مفرطة وأقداح للشرب مختلفة وظلابات وسكاكين يبلغ وزنها سبعمائة وأربعة وثمانين دينا (أي أن الأدوات السابقة الذكر يبلغ وزنها ١٩١ رطلا من الذهب) . هذا إلى خواتم من الذهب كانت في يد الصناع فضة مصنوعة خواتم عدة تبلغ زنتها نحو سبعمائة وستين دينا (أي ما يقابل ٢٣٥ و ٤٦ رطلا من الذهب) وتمثال من الفضة مصنوع ورأسه من الذهب ، وصا بأوجه بشرية ، وستة كراسي للصدر من العاج والأبنوس وخشب الخروب كلها مغطاة بالذهب ، وستة مساند للأقدام من صناعات العود ، وست موائد من العاج وخشب الخروب ، وصا من خشب الخروب مغطاة بالذهب ومرصعة بالأجر الثمينة في هيئة صولجان من مناع هذا العود أيضا . وكلها مصفحة بالذهب وتمثال لهذا العود من الأبنوس مصفحة بالذهب ، ورأسه مرصع باللازورد ، وأوان من النحاس ، وملابس كثيرة لهذا العود^(١) .

وهذه المدن الثلاثة التي استولى منها الفرعون على الأسلاب الأخيرة تقع بعضها قريبة من بعض في الطرف الشمالي من لبنان ، وقد هاجمها « تحتمس الثالث » عن قصد لفرض معين وذلك لأنه فكر أولا في إيجاد وسيلة لمنع ملك « قادش » من الوصول إليها ، وقد كان لم يقهر بعد . فزحف جنوبا وثانيا لجعل الطريق الشمالي الواقع بين جبال لبنان في قبضة يده لأهميته العظمى لحركاته الحربية ، ولذلك سار يحميه شمالا واستولى على هذه المدن ، ومما يؤيد صحة ذلك أنه بنى هناك قلعة « تحتمس قاهر الأجانب » .

وبعد أن تم لتحتمس النصر على هذه الصورة وجه عانيته لتنظيم الأقاليم التي فتحها فقد أصبحت فلسطين ولبنان خاضعتين لسلطانه وكذلك الجزء الأعظم من بلاد فينيقيا .

سياسة تحتمس في حكم الأقاليم المقهورة : غير أن « تحتمس الثالث » لم يكن قد كسر شوكة ملك « قادش » بعد ، لأن شمالي سوريا كان لا يزال خارجا عن سلطانه إذ كان ملك المتني (النهرين) في ذلك الوقت المسمى « ساو ششتار » قد توغل في هذه الجهة واستولى على مملكة « حلب » التي كانت إلى هذه اللحظة خاضعة لحكم الخيتا^(١) . ولذلك نجد أن « تحتمس الثالث » قد اكتفى في هذه الحملة بما فتحه من أقاليم ونصب أمراء جددا غير الذين ثاروا عليه . وقد اتبع مع هؤلاء الأمراء الجدد طريقة تدل على بعد النظر في الاستعمار السلمي ، إذ قد تركهم مدة طويلة يحكمون كما شاءوا ما داموا يدفعون الجزية السنوية بانتظام . بيد أنه ضمنا لحسن نياتهم والوفاء بمهودهم محبب معه إلى مصر بكر ولد كل منهم وأسكنهم في ناحية خاصة نفخمة في « طيبة » في مكان يدعى « القصر في طيبة » وكان يفتشهم ويربهم تنشئة خاصة تجعلهم يميلون كل الميل بأرواحهم وأجسامهم إلى مصر والتفاني في خدمتها ، وكان كلما خلا مكان أمير أو مات أحد الأمراء في تلك الجهات الأسبوية نصب « تحتمس » ابنه الذي تربى في مصر خلفا له . وهذه هي نفس السياسة التي سار على منوالها الإنجليز في تربية أمراء الهنود في الكليات الإنجليزية التي أسست عن قصد لتنفيذ هذا النظام ونخص بالذكر منها كليتي « ايجير » و « لاهور » .

غير أن سياسة « تحتمس » ومن بعدها سياسة الإنجليز الذين اقتفوا أثره لم تأت بالفرض المطلوب منها لأن كلا منهما قد نسي أن التعليم يفتق الأذهان وأن أول ما يستفيد منه الشخص هو حب الحرية والاستقلال ، وهذا بعينه ما رأيناه بعد وفاة « تحتمس » ومن اتبع هذه السياسة ، فإن أولئك الأبناء الذين طادوا من مصر إلى بلادهم قد شقوا عصا الطاعة على من استعمر وطنهم وهو نفس ما نجده اليوم مع الإنجليز وأولئك الأمراء الهنود الذين يحاربون حتى النهاية لنيل استقلالهم في بلادهم ورفع النير الإنجليزي عنهم .

وبعد أن تم « لتحتمس الثالث » النصر على هذا الوجه عاد إلى مصر بعد ستة أشهر من مغادرته لها ، وهذه مدة قصيرة جدا إذا قيسَت بما أحاطها من المصاعب في تلك الأزمان السحيقة بل تعد سرعته في الواقع أعجوبة ، إذ مما لاشك فيه أنه حتى في عصرنا هذا تعد سرعة غزو بلاد كهذه والعودة منها بعد تنظيمها من الأمور العظيمة ، ولا بد أن المصريين قد شعروا أن « تحتمس الثالث » عند ما عاد إلى مصر محملا بكل تلك الغنائم الهائلة قد انتقم لقومه انتقاما أنلج صدورهم التي كانت تحترق غيظا بسبب ما حاق بهم من الذل والخذلان في أيام سيادة الهكسوس الذين ارتدوا بين أولئك الأمم الذين دحرم « تحتمس » وجعل بلاده الأولى بين دول العالم . ولا نزاع في أن الحملة المألوفة التي كان يستعملها كل فرعون لما قام به من جليل الأعمال كانت جدية بأن تقال بحق عن أعمال « تحتمس الثالث » في غزواته الأولى هذه المنقطعة النظائر في تاريخ الحروب وهي : « إذ لم يحدث مثلها قط في عهد الآلهة الذين سلفوا منذ الأزل » .

تحتمس يقيم لنفسه معبدا جنازيا : وقد كان مثل « تحتمس الثالث » كمثل كل فراعنة مصر نسب كل انتصاراته العظيمة لإرشاد ومساعدة والده العظيم الإله « آمون رع » وغيره من الآلهة الذين يسكنون ربوع طيبة فأراد أن يخلد ذكرى هذه الانتصارات بإقامة بعض المباني الضخمة . غير أنه على ما يظهر قبل أن يبدأ في مثل هذا العمل قد أخذ في بناية معبده الجنازى العظيم على حافة صحراء « طيبة » في الجهة الغربية من النيل ، على مسافة قريبة من معبد « الرمسوم » الحالي وأمام هذا المعبد أى في الجهة الشرقية تقع الحقول ، وفي الجهة الغربية على مسافة ثلاثة أرباع ميل بعيدا عنه تشرف الصحور التي كان معبد الدير البحرى العظيم الذى أقامته « حتشبسوت » ملاصقا لواجهتها . وهذا المعبد الذى بدأ إقامته « تحتمس الثالث » أطلق عليه اسم « منحة الحياة » ، وكان يتألف من ثلاث ردهات ، الأولى يصل إليها الإنسان من (بوابتين) عظيمتين أقيمتا من اللبن

وربما كانتا مكسوتين بالحجارة التي لم يبق منها شيء ، والردهة الثانية بنيت في مستوى أعلى بقليل من الردهة الأولى وكانت مكسوة بالحجر الجيري الأبيض وتوصل إلى الردهة الثالثة بطريق منحدر ، وكانت هذه كذلك مكسوة بالحجر الجيري ، أما جدران المعبد فكانت من الحجر الرملي والحجر الجيري وجدرانه محلاة بنقوش جميلة ملونة بألوان زاهية . والظاهر أن العمل في هذا المعبد لم يتخذ شكلا جديا إلا بعد وفاة الملكة « حتشبسوت » مباشرة أو قبل موتها ببضعة أشهر وذلك لأن المعبد قد تم بناؤه بعد عودة « تحتمس » من حملته الأولى بستة أشهر . على أنه يمكن القول بأنه قد تم بناؤه بعد وفاة الملكة لأننا لم نجد اسمها مذكورا على جدرانه قط . هذا فضلا على أننا لم نقرأ في قائمة الأعمال التي قام بها « ثوتي » ما يشير إلى ذلك . وقد جاء ذكر هذا المعبد على تمثال موظف يدعى « دودي »^(٢) إذ يقول إنه كان رئيس الأعمال في معابد عدة منها هذا المعبد ومعبد الدير البحري ، ولكن لما كان هذا الموظف قد ذكر أن ملكه وقتئذ كان « تحتمس الثالث » ولم يذكر « حتشبسوت » . وكذلك لما كان « تحتمس الثالث » قد قام ببعض أعمال الدير البحري بعد وفاة هذه الملكة صاحبه ، فانه من المحتمل جدًا أن « دودي » هذا قد نقش تمثاله هذا عندما كان « تحتمس الثالث » يحكم البلاد منفردا . ومن المحتمل إذن أن هذا المعبد قد شرع في إقامته بعد وفاة « حتشبسوت » .

إقامة معبد للإله بتاح : وقد شرع هذا الفرعون في إقامة معبد صغير شمالي معبد الإله « آمون » في الكرنك (غير معبده الجنائزى) . وأهداه للإله « بتاح » إله منف وزوجة « الإلهة حتحور » إذ يقول : « لقد وجد جلاتي هذا المعبد مبنيًا باللبن وأعمدته من الخشب .^(٣) غير أننا نعلم أن « حتشبسوت » قد أقامت (بوابتين)

(١) راجع : A. S. VII, P. 121.

(٢) راجع : Legrain, "Statues", Cat. Cairo Museum, No. 42122.

(٣) راجع : A. S. III, 107 - 110.

من الحجر لهذا البناء القديم^(١) وأن الملك « نحتمس الثالث » قد أكل البناء بإقامة محراب صغير من الحجر الرملى بدلا من الذى كان مقاما من اللبن والخشب ثم أضاف له (بؤابة) نالثة .

إقامة لوحة بها انتصارات نحتمس بالقرب من وادى حلفا :
وقد كان من أول أعماله عند ما وصل مظفرا إلى عاصمة ملكه أن أرسل رسولا إلى حاكم « كوش » الملقب « بابن الملك » الذى كان معسكرا بقوة عظيمة فى بلاد النوبة السفلى يخبره بانتصاراته ، ومن المحتمل كذلك أنه أمر بإذاعة ذلك بين الجنود وأهالى السودان وأن ينقش ذلك الحجر على معبد « بوهن » (وادى حلفا) وقد تم ذلك فى الحال وما بقى من هذا النقش يشعر بأنه قد وضع فى قالب يجعل القارئ يحس أن هذا الفرعون كان فى بأس الإله وقوته ، وقد أترخ هذا النقش بالسنة الثالثة والعشرين ، وقد جاء فيه بعد عبارات تصف الفرعون بأوصاف طنانة مبالغ فيها ما يأتى .

لقد قاد الفرعون نفسه جيشه وقد كان ذا بأس على رأس الجيش وكان الفرعون كلهب من النار يسيل سيفه وقد اقتضى على الصدوق أن يكن أحد شمله بذبح التوحشين (السودانيين) ويتطلب على الأسويين ، وقد أحضر معهم أمراءهم أسرى أحياء وعرباتهم المصفحة بالذهب تجرها جنادها وكذلك خضعت له قبائل القويين متذللين تذلل الكلاب رحاء أن يمنحوا نفس الحياة^(٢) .

ولا نزاع فى أن عودة الفرعون مظفرا كانت من الحوادث التى لا يمكن أن تنسى قط فى تاريخ البلاد لأن هذه كانت المرة الأولى التى نشاهد فيها فرعوننا على رأس جيش مصرى اشتبك فى ساحة القتال فى موقعة حاسمة فى أرض أجنبية مع ملك يسيطر على مملكة أسبوية كبيرة يؤازره جيش أسبوى جبار . وقد شنت الفرعون شمله بعد هزيمة نكراء . على أن هذا الحادث كان فى الواقع بعد مسابقة حربية

(١) راجع : Weigall, "Guide", P. 106.

(٢) راجع : Maciver and Woolley, "Buhen", P. 30.

في مضمار كانت مصرفه هي الفائزة فوزا حاسما ، ولا بد من أن هذا النصر قد غير نظرة الأمة المصرية إلى العالم الذي حولها وعلاقتها الخارجية به .

ويحتملنا الفرعون بقوله : « إن جلالتى قد أسس للإله « آمون » عيد نصر ، وقد احتفل به لأول مرة عندما حل جلالتى بأرض « طيبة » من حملته الأولى المظفرة في السنة الثالثة والعشرين بعد أن هزمت السور بين الخلاطين ووسعت حدود مصر » .

تحتمس يقيم الأعياد لانتصاراته : والواقع أن « تحتمس الثالث » أقام ثلاثة أعياد ابتهاجا بانتصاراته في عاصمة ملكه ، وقد أصبحت هذه الأعياد سنة متبعة تقام فيما بعد كل عام . وهذه الأعياد هي : العيد الأول للإله آمون وعيد إحضار الإله ، أما العيد الثالث فلم يعرف اسمه ، وإنما نعرف أنه كان يقام في معبد « منحة الحياة » وهو كما ذكرنا اسم معبد « تحتمس الثالث » الجنائزى . وكل هذه الأعياد كانت تعرف باسم أعياد النصر .^(١)

تحتمس يفرق الهدايا على معبد آمون : وقد كان من نتائج هذا الثراء الذى كان يتدفق على مصر منذ غزواته الأولى هذه أن أصبحت موائد قربان الإله « آمون » مفعمة بالضحايا وتضاعفت ثروة معابد الكرنك وعمها الخبير ، وفضلا عن ذلك تحدثنا الوثائق أن الفرعون أخذ في بناء محاريب جديدة في الكرنك وأن كل الأواني التى أعنت لها كانت من السام والذهب وكل مجوهرات من الأسلاب التى غنمها جلالتة في حملته الأولى المظفرة . ويقول الفرعون : « إن جلالتى قد ساق مع كل زوجات ملك قادش الخاسى . وأولاده وأزواج الأمراء الذين كانوا هناك معهم أولادهم ، ووضع جلالتى هؤلاء النسوة ... » (هنا بكل أسف هشم النقش ولم يذكر أين أسكنهن وذكر فقط اسم اثنتين أو ثلاث منهن) « وقد أهدى كل ما خسروه لمعبد والذى « آمون » بمثابة جزء من الجزية التى فرضت على سوريا . أما مجوهرات زوجات ملك قادش الخاسى . فقد أخذت واستعملها جلالتى لتجميل السفينة المقدسة لمعيد بداية الفيضان » (المعروف الآن بفتح الخليج) . وهذا العيد كان يعقد في الشهر الأول من الفصل الثالث .

العيد السنوى للاله آمون : أما ثانى حادث نقرأ عنه فى النقوش فهو احتفال الفرعون بالعيد السنوى الكبير للاله « آمون » بالأقصر وهو الذى كان يحمل فيه تمثال الإله فى سفينة من الكرنك إلى الأقصر والعودة به ثانية . والنقوش التى عثر عليها فى « الكرنك » عن هذا العيد مؤرخة فى السنة الرابعة والعشرين فى اليوم الرابع عشر من الشهر الثانى من الفصل الأول وفى هذا اليوم يتحدثنا الفرعون قائلا : « إن جلالة هذا الإله الفخم سار فى احتفال يقوم برحلته إلى مقبرته الشمالى (الأقصر) ، وإن جلالتى قد أسس له قربانا عظيمة لهذا اليوم عندما المدخل المؤدى إلى الأقصر ويحتوى خبزا وعجولا وثيرانا وطبورا ويخورا ونخرا وكل هذه تؤلف جزءا من غنائم أول الانتصارات التى منحت لىاباها « آمون » وقد أهديته ... لأجل أن أملا مخازنه — فلاحين ليصنعوا له أنواعا مختلفة من الكنان ، وفلاحين لحث الأرض حتى تجنى محاصيل تملأ مخازن والدى « آمون » ثم استمر يقول إنه أهدى لهذا الإله ثلاث مدن وهى « ينعم » و « نجس » و « حرنكر » وهى التى سلمت له فى سوريا جزءا من ضياعه المقدسة ^(١) .

وتدل الأحوال والنقوش التى لدينا على أن خبر انتصار مصر قد وصل إلى بلاد « آشور » التى كانت وقتئذ قد بدأت تظهر فى الأفق الدولى والظاهر أن ملك هذه البلاد قد رأى بثاقب فكره أنه من الخير لبلاده أن يربط أواصر الصداقة والمهادنة بينه وبين مصر التى ظهرت على الملوك والدول المجاورة له . لذلك أرسل هدايا للفرعون فى السنة الرابعة والعشرين من حكم « تحتمس » وقد حرص الفرعون على أن يدونها فى يوميات تاريخ فتوحه الحربية إذ كانت هذه الهدايا فى الواقع دليلا على قوة سلطانه وشهرته وإن كانت فى الواقع لم تخضع له بلاد « آشور » ؛ وهناك قائمة بهذه الهدايا (راجع : Urkunden IV. P. 668.) .

حزينة أمراء آشور : « قطعة من اللازورد الحقيقى وزن عشرين دينا وتسع قدات ، وكذلك قطعتان أخريان من اللازورد (المجموع ثلاث قطع) وقطع وزنها ثلاثون دينا فيكون مجموعها خمسين دينا وتسع قدات (أى ما يعادل ١٢ رطلا من اللازورد) ، وكذلك لازورد جميل من بابل وأوان من آشور من جهر حرت الملون ... » .

بحزية سوريا : وفي الوقت نفسه وصل إلى الفرعون رسل من سوريا يحملون الجزية والهدايا من بينها « بنت الأمير ومعهما حليها ولازورد من بلاده ومعهما كذلك ثلاثون من العبيد ، هذا إلى خمسة وستين من العبيد والإماء ومائة وثلاثة من الجياد وخمسة عربات مصفحة بالذهب وقضبانها كذلك من النصارى وخمسة عربات مغطاة بالسام وقضبانها من « العجت » فيكون المجموع عشر عربات هذا إلى خمسة وأربعين ثورا وعجلا وسبعائة وتسعة وأربعين ثورا ، وخمسة آلاف وسبعائة وثلاثة رموس من المشاية وأطباق مفرطة من الذهب ... لا يمكن وزنها ، وأطباق مفرطة من الفضة وقطع (زتها) مائة وأربعة دنانير وخمسة قذات ، هذا إلى بوق من الذهب مرصع باللازورد وزود من البرنز مطعم بالذهب ومحل بحجر « نخن » الحقيقى ... وثمانائة وثمانية وعشرين إناء من البخور وألف وسبعائة وثمان وعشرين زجاجة من النبيذ الحلو هذا إلى خشب « عجت » وخشب « عجت » ذى الألوان المختلفة ، وماج وخشب خروب وخشب مرو وخشب « بسجو » وحزم عدة من خشب الحريق وكل طرائف هذه البلاد .

أثر هذه الجزية في الحياة المصرية : ولنا في حاجة هنا إلى لفت نظر القارئ إلى ما كانت عليه هذه البلاد من الثراء والغنى والتفنن في الصناعة والتأنيق في إخراج قطع تعد في عصرنا من قطع الفن الرفيع والنوq السليم كما يلاحظ أن الأمراء السوريين أخذوا يرسلون بناتهم ليكن في القصر في خدمة الفرعون بين وصيفاته وهن مجهزات بحليهن وخدمتهن وحشمتهن ، ويلاحظ من الآن أن كل هذه الخيرات التي كانت تجبي من سوريا ومن كل الفتوحات الأخرى ، كان للإله نصيب وافر منها ، ولم يفت الفرعون ذكر كل ذلك في نقوشه الدينية التي دونها على المعابد التي كان يقيمها للألوه المحليين في طول البلاد وعرضها ، فزاه مثلا يقص علينا ما قدمه للإله « بتاح » في المعبد الذي أقامه له في الكرنك في هذه الفترة إذ يقول على اللوحة التذكارية التي أقامها في هذا المعبد ما يأتي : « قد ملأت سبد « بتاح » بكل شيء طريف من ثيران وأوز وبخود ونحر وقربان ومن كل أنواع الفاكهة عندما عاد جلاتي من سوريا بعد حله الأولى المظفرة التي منحني أياها والذى « آمون » عندما سلطني على كل بلاد

زاهى المتعاقبة وهم محصورون في مدينة واحدة « مجدو » ... لأنى احتلتهم في هذه المدينة وأقت حولم حصارا يتألف من مناريس سميكة » .

وكذلك يحدثنا « أنه أقام لهذا المعبد أبوابا من خشب الأرز الجديد من أحسن أخشاب منحدرات لبنان وصفحتها بنحاس أسوى وجعلته (بتاح) ثريا وجعلته أعظم مما كان عليه من قبل ، فقد صفحت عرشه العظيم بالسام من أحسن ما تنتجه البلاد وكذلك أصبحت كل أواني المعبد من الذهب والفضة وكل جهر ثمين غال ، وقدمت نسيجا من الكتان الجليل والكتان الأبيض والمطور المصنوعة من عناصر قدسية ، وكذلك لتكون إقامة شعائره سارة » .

ثم تحدثنا اللوحة بعد ذلك عن احتفالات ثلاثة كان لا بد لإقامتها من قرايين خاصة ، وأول هذه الاحتفالات هو عيد الإلهة « موت حتحور » التى كانت تعتبر زوج الإله « بتاح » ، وكان يعقد فى آخر يوم من السنة . والعيد الثانى كان يعقد فى اليوم السادس والعشرين من الشهر الأول من الفصل الأول ، والعيد الثالث هو كما ذكرناه من قبل وهو عيد زيارة الإله « آمون » لمعبد الأقصر . وكان الإله « آمون » فى عيده هذا يزور وهو سائر فى موكله معبد الإله « بتاح » الذى كان فى طريقه ، وهكذا كان اهتمام الفرعون بأولئك الآلهة الذين قدروا له النصر فى ساحة القتال .

موت أحمس بننخبت ومآثره : وفى هذه الفترة من حكم « تحتمس الثالث » مات رجل من أعظم رجالات مصر الذين خدموا بلادهم ، وخلدوا ذكراهم بأعمالهم لا يمتدحهم وشرف أرومتهم ، ذلكم هو « أحمس بننخبت » الذى عاصر ستة فراعين من ملوك مصر وخدم خمسة منهم ، وقد ذكرنا ما قام به من عظيم الأعمال فيما سبق ، فقد انخرط فى سلك الجيش فى عهد « أحمس » وهو فى الخامسة عشرة من عمره واشترك معه فى حملته على سوريا فى السنة الحادية والعشرين من حكمه ثم يقص علينا فى نقوش تاريخ حياته أنه خدم فى عهد أخلافه « أمنحبت الأول » « وتحتمس الأول والثانى » وعاش حتى عهد « تحتمس الثالث » وعندئذ يقول لنا إنه بلغ من الكبر عتيا وكنت موضع رعاية جلالتهم ، وكنت محبوبا فى البلاط ثم يستمر قائلا

إن الزوجة المقدسة والزوجة الملكية العظيمة « ماعت كارع » المرحومة كانت قد أهدت على الإنعامات ثانية وكنت قد ربيت أكبر بناتها وهي الابنة الملكية « نقرورع » المرحومة عندما كانت طفلة رضية .

ومما يؤسف له أن سائر نقوش تاريخ حياته قد هُشمت ولم يبق منها شيء .
ومما سبق نعلم أن هذا الجندى العظيم قد عاش بعد موت « حتشسوت » وأن « نقرورع » كانت قد توفيت على ما يظهر منذ زمن بعيد . والمعلومات التي نستنتجها من تاريخ حياته لها أهمية عظيمة فنعلم أولا أنه بعد ممات « حتشسوت » بعامين كان لا يشار لاسمها بوصفها ملكة حكمت البلاد . وعلى الرغم من أن اللقب الذي كانت تحملهُ وهو « ماعت كارع » بوصفها ملكة فعلية فإن « أحس بنخبت » لم يذكرها هنا بلقب الملكة بل « بالزوجة الإلهية » « وأرملة تحتمس الثاني » .
كما نعلم ثانيا أن « تحتمس الثالث » لم يجعل بحو اسمها من الآثار بعد اعتلائه عرش الملك بل انتظر مدة كما ذكرنا . وثالثا : نعلم أن « أحس بنخبت » كان مربى الأميرة « نقرورع » قبل أن يقوم على تنسبتها « سفوت » . اللهم إلا إذا كان لقب مربى الأميرة لقباً فخرياً يمنحه المصريون في البلاط أحيانا . ورابعا : فهم من الحملة التي قام بها « أحس الأول » على بلاد سوريا أنها كانت قد حدثت في أواخر أيامه لا في أوائل حكمه كما هو المفهوم لأنه لو صح ذلك لكان « أحس بنخبت » قد بلغ سنا أرفع من التي وصل إليها إذ كان قد تحطى المائة عندما لاق حتفه على فراش الشيخوخة .

تحتمس يقيم معبدا خاصا للإله آمون في الكرنك : والظاهر أن « تحتمس الثالث » عندما عاد من حملته الأولى المظفرة التي جنى منها الخيرات الكثيرة والمال الوافر أراد أن يقيم للإله آمون معبدا يناهض في عظمته وبهائه ومخاضته معبد الدير البحري الذي أقامته « حتشسوت » للإله آمون ولتغمها .
غير أنه أراد أن يقيم معبدا للإله « آمون » وحده بالقرب من معبده بالكرنك . والظاهر أنه بدأ في إقامته على إثر عودته في الحال كما تحتشأ عن فك اللوحة التي

تركها لنا في معبد الكرنك وهى لوحة عظيمة مصنوعة من حجر الجرانيت . وقد احتفل بعيد وضع أساس هذا المعبد في السنة الرابعة والعشرين اليوم الثلاثين من الشهر الثانى من الفصل الثانى . وقد كان هذا الاحتفال يوافق أول يوم في الشهر القمري (Mariette, "Karnak" P. 12).

وهذه اللوحة مهشمة ولم يبق منها إلا الأسطر الافتتاحية غير أننا نفهم منها أن «تحتمس الثالث» قد أقام قائمتى العمد والمحراب اللتين يتكوّن منهما الجزء الشرقى من امتداد معبد الكرنك ، وقد كان هذا المعبد شاسع المسافة حتى أن «تحتمس الثالث» أمر بإزالة معبد قديم للإله «نون» ووضع في أقصى الشرق ليفسح المكان لمعبده . على أن السبب الجوهرى على ما يظهر لإقامة «تحتمس الثالث» هذا المبنى العظيم شرق معبد الكرنك يرجع إلى أن قائمة العمد التى أقامها «تحتمس الأول» بين (بوابتيه) الرابعة والخامسة تكون المدخل لمعبد الكرنك وكانت وقتئذ أكبر قاعة في المعبد والوحيدة التى كان يمكن عقد احتفالات للإله فيها مثل الاحتفال الذى أقيم عند تولية «تحتمس» العرش على يد الإله «آمون» ووالده . غير أن هذه القاعة كانت قد أصبحت غير صالحة لإقامة الاحتفالات إذ كانت «حتشبسوت» قد نصبت مسلتها فيها ، وبذلك أصبحت بدون سقف وكان فيها طائفة من العمد عددها ستة في الجهة الشمالية ؛ منها أربعة كان قد صنعها «تحتمس الأول» من خشب الأرز وهى التى جددتها «تحتمس الثالث» ودوّن عمله هذا على أحد هذه الأعمدة إذ قال : [لقد أقامها (أى تحتمس الثالث) أثرا لوالده «آمون رع» وذلك بإقامة أربعة عمد من الحجر الرملى أقيمت في قاعة العمد تجديدا التى أقامها الإله الطيب رب القربان (تحتمس الأول) من خشب الأرز، وقد أضاف جلالتي أربعة عمد زيادة على العمودين اللذين في الجانب الشمالى ومجموعها ستة مغطاة بـ... ومؤسسة... والذى أحضر بسبب اسم جلالتي وهى جزيرة كل البلاد التى منحنى إياها والذى الإله «آمون» مصنوعة من الحجر الرملى . وارتفاع كل منها ثلاثون ذراعا على كل جانب (البوابة) السابعة العظيمة... وكانت تسمى الكرنك... من الحجر الرملى نقش بالألوان صور والذى «آمون» وكذلك صور جلالتي وكذلك صور والذى الطيب «تحتمس الأول» .

تأمل ! لقد أفت ما كان متداعيا فيها بالجر الرمل لكي يصبح هذا المعبد مؤسسا ... مثل الهيا. مرتكة على عمدها الأربعة بوصفها آثارا متنازة مفيدة لوالد الأبدية من الجرانيت والعاج والجر الرمل ... والقضة « لجبل الوجه » (لقب يطلق على الإله بنجاح) وإن أسم بقدر ما يحكى الإله « رع » وبقدر ما يحكى الإله « آمون » بأن أفتنا من جديد في الجهة الجنوبية بالإضافة إلى ما كان قد أخافه والهي .

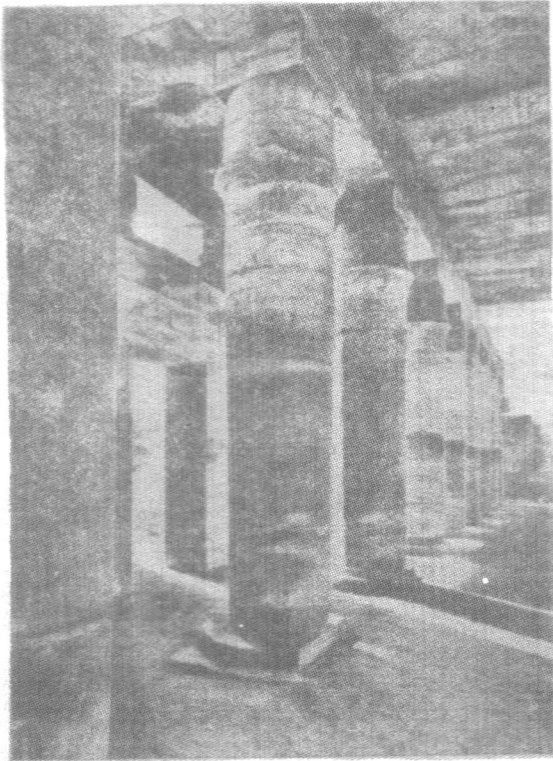
وعلى ذلك نجد أن الجزء الشمالى من القاعة وهو المكان الذى كان قد وقف فيه « تحتمس الثالث » عندما توج ملكا على البلاد قد أصلحه هو ولكن الجزء الجنوبي كان لا يزال بدون عمد وسقف ، وكانت قاعدة مسلة « حنشبوت » التى أقيمت فيه قد شظت مكان ثمانية أعمدة أى ما يقرب من ثلث قاعة العمدة كلها ، وعلى ذلك أصبحت القاعة غير صالحة لإقامة المحافل فيها لوجود المسلة فى وسطها مما عاق فى الوقت نفسه وضع سقف لها ، ولهذا أقام « تحتمس الثالث » بناء حول كل من المستلين ليكسو نقوش « حنشبوت » التى كان يكره ذكرها هذا إلى أنه توقف عن عمل أى إصلاح فى القاعة التى توج فيها .

قاعة الأعياد : ولما كانت مثل هذه الحجر لا غنى عنها لإقامة المحافل العظيمة فإنه بنى فى الجهة الشرقية من المعبد قاعة الأعياد التى نحن بصددنا ، وقد كلف مهندس مبانى « منخبرع سنب » الإشراف على هذا المبنى ، وكان هذا المهندس يحمل كذلك لقب الكاهن الأول للإله « آمون » وقد ذكر لنا فى نقوش مقبرته علاقته بهذا المعبد الجديد^(١) . أما النقش الذى على اللوحة التى دوت عن بناء هذا المعبد فهو :

الوحى : « ... لقد أمر الملك قسه بتدبنا على حسب ما ذكر الخرس لتخذه آثاره أمام الذين على الأرض - لقد رغب جلاتى فى إقامة هذا الأثر لوالهى « آمون رع » فى الكرك وهو إقامة مسكن يحمل الألقاب « خافت حرنس » وهو المكان المختار لوالهى منذ الأزل (أحد ربوع طيبة) « آمون رع » رب طيبة ، ولقد أفت له على هذه الكتبة من الجبر الصلب راضا اسمه وسظلا له بدرجة عظيمة منذ ... ماء محراب « نون » عندما يصل فى مواعيده . »

إزالة المباني القديمة : « لقد أقنته له على حسب رغبته وأرضيته بما فعلته له لأننى أقنت أولاً محراباً فى الجهة الشرقية من هذا المعبد . تأمل ! لقد وجد جلالتى الجدار المحيط من اللبن ، وقد أزلت الجدار المبني من اللبن لأجل أن أمد بناء هذا المعبد فنظفته وأزلت الأجزاء المتخربة منه وأزلت السور الذى كان بجانبه وهو الذى امتد حتى المعبد وقد أقنت هذا المكان حيث كان السور لأقيم عليه هذا الأثر ... الكرنك ، فأقنته من جديد وفقدت ما كان قد أمر به ، ولم استحل لنفسى آثار غيرة وإن جلالتى ينطق صدقاً ليعلمه كل واحد لأننى أمقت الكذب والمين . حقاً إنى أعلم أنه مسرور بذلك » .

محافل التأسيس : « وقد أمر جلالتى أن يعد الحفل لوضع الحجر الأساسى عند حلول يوم العيد بالقمر الجديد ، وأن يعد حبل المقياس على هذا الأثر فى السنة الرابعة والعشرين الشهر الثانى من الفصل الثانى اليوم الأخير من الشهر وهو يوم العيد العاشر للإله « آمون » فى وقد جلس الإله



قاعة الأعياد بالكرنك

على عرشه العظيم وبعد ذلك سرت وراء والدي « آمون » وقد بدأ الإله في ذهابه للاحتفال بعيد هذا الجليل وقد تعجب هذا الإله وقد اتخذ هذا الإله مكانه لمجد حبل القياس لوضع الأساس ، وقد وضع جلالة أمامه هذا الأثر الذي حدده بجلالته ، وقد سر جلالة هذا الإله بهذا الأثر ثم تقدم جلالة هذا الإله واحتفل بهذا العيد الجليل لسيدته .

ويلحظ هنا أن الجزء الأخير من هذا النقش مهمم ولا يمكن فهم شيء منه على وجه التأكيد .

هندسة المعبد : وهذا المعبد العظيم الذي سردنا ذكره مما بقي من اللوحة التي نقشت عنه لا يزال قائما حتى الآن ويحتوى على قاعة رئيسية فسيحة الأرجاء يرتكز سقفها على صفيين من العمود يشتمل كل منهما على عشرة عمود ذات تيجان غربية تمثل في الواقع عشرة محاور ارتكازية لسرادق ، ولذلك يجد المتأمل في القاعة أنها تمثل خيمة عظيمة ، وتحقيقا لهذه الفكرة أقيم دهليز منخفض السقف حول جوانب القاعة مماثل للهدب المرفوعة على جوانب الخيمة ومن المحتمل جدا أن هذا الطراز الفذ من المباني كان يقصد به « تحتس الثالث » أن يبرز به في صراحة صفات الفرعون الحربية . وأن يبرز اعتقاده بأن الإله « آمون » إله حرب من جهة أخرى وأنه إنما يأوى الى معسكر في سرادق مثل هذا لا إلى بيت أو محراب على غرار الآلهة الآخرين . وفي جوانب هذه القاعة وخلفها أقيمت حجرات عدة كما أقيمت أمام المعبد في الجهة الغربية ردهة مكشوفة تفصل بين هذا المعبد ومعبد الإله آمون الأصلي^(١) . وهذا المعبد يعرف بقاعة الأعياد ويعد بحق من أجمل المباني في طيبة ويبلغ طول القاعة العظمى التي وصفناها نحو ١٤٠ قدما وخلفها يقع المحراب أو قدس الأقداس .

حجرة الأجداد : أما الحجرة التي حولها فيبلغ عددها نحو خمسين حجرة ومن بينها الحجرة التي تعرف « بحجرة الأجداد » وتقع في الجهة الجنوبية وهي التي

أمر « تحتمس الثالث » بأن تنقش فيها نخبة من أسماء أجداده ملوك مصر وأن يزداد في قربانهم وأن تصنع لهم تماثيل وهذه الأسماء الملكية من المصادر التي يعتمد عليها في تاريخ ملوك مصر كما سبقت الإشارة إلى ذلك . وقد ائترع « بريس دافن » أحجار هذه الحجرة برمتها ونقلها إلى باريس حيث بنيت من جديد بمتحف اللوفر بالقسم المصرى . ومن غريب الصدف أن بعض التماثيل التي أمر بنحتها الفرعون لهذه الحجرة عثر عليها في خبيثة الكرنك مع غيرها من التماثيل التي كانت منصوبة في هذا المعبد .

الحملة الثانية : لم نتحدثنا الآثار عن أى عمل حربى قام به هذا الفرعون في حملته الثانية إلى بلاد رتنو لأن النقوش هنا مع الأسف مهشمة حتى عند الجزية التي كان يحملها له أمراء الممالك المختلفة . وهاك مابقى لنا من النص :

« الستة الرابعة والعشرون : قائمة بالجزية التي أحضرت إلى عظمة جلالته من بلاد رتنو .

١ — جزية بلاد آشور : قطعة عظيمة واحدة من اللازورد الحقيقى ...

٢ — جزية بلاد رتنو : ... جلود الحيوان « نحر » لتجليد عربية صنعت من أحسن الأخشاب ومائة واثنان وتسعون عربية ... وثلاثمائة وثلاث وأربعون قطعة من خشب « نجب » وخسون قطعة من خشب الخروب ومائة وتسعون قطعة من خشب « مرو » ومائتان وست قطع من خشب « نبي » وخشب « كانك » وأخشاب زيتون

ومن ذلك نرجح أن هذه الحملة قد قام بها « تحتمس الثالث » لتفقد أحوال البلاد التي فتحها من قبل وما كان عليه الأمراء من الولاء له ولإحضار مقدار عظيم من الخشب التي كانت البلاد المصرية تفتقر إليه والظاهر أن ملك آشور لم يفته اظهار ولائه فبعث لجلالته بهدايا كثيرة أخرى .

الأشجار والحيوانات التي جلبها الفرعون من بلاد سوريا : وفي السنة الخامسة والعشرين (المتن هنا مهشم) والظاهر أن الفرعون قد حارب بعض الولايات هناك وأنه أشعل النار في بعض مدن واستولى على أسلاب من العدو ،

وفي هذه الحملة أحضر الفرعون مجموعة من الأزهار انتخبها لتفرض في مصر وقد غرست في « طيبة » وأزهرت لإزهارا يانعا . وشاهد أنه لما تم بناء المعبد فيها بعد قشت أنواع هذه الأشجار على جدران إحدى حجراته ويمكننا أن نشاهد ما تبقى منها إلى يومنا هذا ونستطيع أن نعرف الأزهار العدة التي كانت تزين حديقة معبد « آمون » . وتحديثا النقوش في السنة الخامسة والعشرين أن هذه الأزهار هي التي أحضرها جلالته في هذه السنة والظاهر أنه كان قد أحضر مع مجموعة الأزهار هذه عدة طيور وحيوانات استؤنست في طيبة كما يظهر من المجموعة التي على جدران إحدى حجرات هذا المعبد . ويطلق على مجموعة الأزهار هذه جنينة النباتات . وعلى الرغم من أن الجزء الأعلى من الجدران التي رسمت عليها هذه الأزهار والنباتات قد زال من عالم الوجود فإن ما تبقى منها يعطينا فكرة عما كانت تشتمل عليه تلك الحديقة .

ونجد عليها كل النباتات التي وجدها جلالته في أرض « رتنو » (بلاد سوريا) إذ يقول المتن : « إن كل النباتات التي كانت تنمو كل الأزهار التي في أرض الإله التي كشفها جلالته هناك قد أحضرها عند ما ذهب ليضع كل الممالك على حسب أوامر والده آمون . وهو الذي أقامهم تحت موطن . نطيه » .

وقد بقي على الجدران حتى الآن رسم ١٧٥ نباتا أو أجزاء من نباتات وقد درسها العالم الألماني « شفينفورت » فوصل إلى النتائج الآتية : ظهر أن رسم بعض النباتات كان رسما علميا صحيحا متقنا وأن بعضها كان رسما تقريبا قد اعتمد فيه على ذكريات مبهمه مما رآه المفتن . كما أن بعضها كان خياليا محضا . والواقع أن المفتن الذي رسمها كان يقوم برسم نباتات غريبة عنه . ولما لم يكن لديه وثائق يرجع إليها فإنه كان يعتمد على الخيال .

وقد عرف « شفينفورت » بعض النباتات من بين هذه التي وجدت على الجدران منها الرمان الذي كانت زراعته قد أدخلت في مصر في تلك الفترة

مباشرة وكذلك عرف *Arum italicum* ، و *Dracunculus Vulgaris* و *Calenchoe* والايروس (زنبق) ، غير أننا لسنا متحققين من وجود نبات *Dipsacus* ؛ و *Chrysanthemum* ونبات *Convolvulus* . ومع أننا وجدنا بعض النباتات قد رسمت بدقة فإنه مع ذلك لم يمكن معرفتها وقد أمر « تحتس الثالث » بأن ترسم كل هذه النباتات ليضعها أمام والده آمون في معبده العظيم حتى يذكر اسمه إلى الأبد (راجع : Capart, "Thebes" p 176 - 7 ; Breasted, A. R. II, § 193.

ولم يأت ذكر السنة الخامسة والعشرين في النقوش الأخرى إلا على لوحة صغيرة نقشت في الصخر في « سراية الخادم » في شبه جزيرة سيناء^(١) ذكر لنا فيها رئيس المالية المسمى « رى » أنه جاء على رأس حملة في هذه السنة إلى تلك الجهة للحصول على الفيروز .

ولم يصلنا شيء عن حملته الرابعة ويحتمل أن نقوشها قد فقدت وربما كانت لتثبت سلطانه في الممتلكات التي فتحها ولذلك لا نعلم شيئاً عن حروبه في السنة السادسة والعشرين .

وفي السنة السابعة والعشرين لم نعرف له أثراً يذكر اللهم إلا لوحة نقشت على صخور « سراية الخادم » ، وكذلك في السنة الثامنة والعشرين لم يصلنا عنها شيء مباشرة ولكن لدينا نقوش قبر هامة ذكر فيها هذا التاريخ وهي لمدير بيت الوزير « وسر » المسمى « أمنمحات » وكان قد جمع ثروة طائلة وأقام لنفسه مقبرة نفخمة في طيبة . وفي نقوش مقبرة « أمنمحات » هذا معلومات هامة تلتقى بعض الضوء على حياة القوم وبخاصة الطبقة العليا منهم مما جعلنا نقتطف منها ما يأتي ، يقول أمنمحات عن نفسه :

(١) راجع : L. D. III, Pl. 29a .

(٢) راجع : Gardiner, "The Tomb of Amenemhet", P. 71 ff .

حالة البلاد الاجتماعية والدينية من نقوش أممحات : لقد كنت خادما خدم سيده ورجلا قديرا عمل ما قال وقد وضع رئيس الوزراء كل ضياعه تحت إدارتي وكل خاتم له تحت تصرفي ، وكان رئيس الوزراء يفعل كل ما يرضى القرون يوما وجعل الحق يذهب لسيده الذي يحبه جلالة في كل الأوقات وقد فعل كل ما يحبه الإله في تأدية الأوامر وتنفيذ الأنظمة ... وذلك بعمل الحق الذي يحبونه مراعي الفقير كما يراعى الغنى وحاميا الأرملة التي لا أغارب لها ومسيرا عن روح المسن والشيخ ومنصبا الأولاد في الوظائف التي كان يشغلها آباؤهم وجاعلا كل إنسان سعيدا . والآن ماغ رئيس الوزراء بمجمرات عدة من الذهب والفضة واللازورد والفيروزج وكل أنواع الأحجار الكريمة وصاغ أواني من ذهب وفضة ونحاس وبرنز وصنع أناثا من العاج والأنوس ونشب الأثل (السنط) وكنت أنا الذي أشرفت على هذا . وكذلك نحت عدة تماثيل للقصر نفسه لتوضع في محاريب الآلهة وكنت أنا الذي أشرف على هذا العمل أيضا وغرس لنفسه حديقة غناء كثيرة جدا في غرب المدينة الجنوبية (طية) فيها كل أنواع الأشجار الجميلة ومزينة بكل أنواع أشجار الفاكهة وقد قت أنا بهذا العمل . وكذلك أقام لنفسه قصرا كريما جدرانها من اللبن وأبوابه من الحجر . وقد كلفت بهذا العمل أيضا .

ولا نزاع في أن هذا المتن يلقي بعض الضوء على علاقة الملك بوزيره وعلاقة الوزير بمدير بيته وحاسب غلاله كما يكشف لنا عن الثراء الذي كان يتدفق على البلاد في ذلك الوقت ، وما كان يتمتع به الأغنياء وأصحاب الجاه في هذه الحياة الدنيا من قصور فاخرة تبنى باللبن وحدائق غناء تزرع فيها أشجار الفاكهة مما لذي وطاب ولقد كان هذا الثراء والنعيم هو نفس ما يتطلبه المتوفى في الآخرة . ولذلك نجد المصري يتضرع للالهة أن يوهب روحه أو قرينه مثل ذلك فاستمع إلى أهل « أممحات » وهم يتوسلون إليه .

يا « أممحات » ليت ذكراك تسبق في يلك وتماثلك في محاريبك وروحك حي ، وجسمك محفوظ في قبرك بالجبانة ويبقى اسمك في فم أطفالك إلى الأبد ، يا أممحات ! إن الصخرة تمتد إليك ذراعها وأرض الغرب تبتج بصلاحك وتحنى لإجلالك بعد تلك السنين من عمرك الطويل المحترم وتفسح لك مكانا بين أتباعها الذين يعيشون فيها إلى الأبد يا أممحات ! ليكن تدخل وتخرج من الجبل الغربي كما تريد وتسير داخل (بوابات) العالم السفلى لتعبد إله الشمس عند ما يطلع من الجبال وتحنى له عندما يغرب في الأفق ، ليكن تسلم القران وتسمع بالأكلات على مائدة « أوزير » رب الأبدية ! وليكن تنزه كما ترغب على شاطئ بحيرة حد يفتك ! وليت قلبك ينعم بأزهار حد يفتك وليكن تروح عن نفسك تحت ظلال أشجارك ! وليت

ظمأك يطفأ من ماء البئر التي حفرتها أبد الآبدين ! ولينك تحترق جبال الجبانة وتخرج لترى ينك في أرض الأحياء ، وتسمع صوت الفناء والموسيقا التي على الأرض وتكون روحا حارسا لأولادك إلى الأبد ! .

ويرى القارئ من هذا النص أن المصري كان متعلقا بعالم الدنيا ولا يرغب إلا في العودة إليه ليتمتع بنعيمه ولذائذه بعد الموت حتى أنه كان يتمنى أن يحترق جبال الجبانة ويخرج إلى عالم الحياة الدنيا ويتمتع بالفناء والموسيقا في قاعة بيته التي طالما قلب في أعطاف النعيم فيها .

تحتمس الثالث يستولى على موانئ ساحل فينيقية لتكون قاعدة لجيوشه : وتدل ظواهر الأحوال وما يستتج من النقوش على أن «تحتمس الثالث» بعد أن وطد أركان السلام في الربوع التي فتحها أخيرا رأى أنه لا يمكنه أن يسير في طريق الغزو شمالا بين جبال لبنان ليقضى على مملكة قادش دون أن يستولى على مدن فينيقية الساحلية التي قد تصبح خطرا يهدده دائما من خلفه . وكذلك رأى أنه من السير عليه أن يهاجم بلاد النهرين ، (مملكة المتني) دون أن يستولى على مملكة «قادش» الواقعة على نهر العاصي وكانت لا تزال خارجة عن سلطانه ، ولذلك بنى «تحتمس الثالث» أسطولا عظيما وجهزه بكل ما يلزم من عتاد ليتمكن بمساعدته من النزول في شمال ساحل فينيقية وبخطته هذه يمكنه أن يتخذ الساحل قاعدة حربية لمهاجمة قادش وما حولها من البلاد المعادية حتى إذا ما استولى عليها استطاع أن يسير بجيشه من الساحل موغلا في الداخل نحو بلاد المتني وكل إقليم بلاد النهرين . ولا نزاع في أن هذه الخطة المبتكرة تدل على نبوغ في الخطط الحربية لم يصل أحد إليه ولم يسبقه بها ، يضاف إلى ذلك أنه نفذها بنشاط ومتابعة تعرف الملل وعزم لا يعرف الكلل . وقد قال أحد المؤرخين المحدثين لو كانت هذه الخطط بعينها استخدمت في الحرب العالمية الأولى في الحملة على الأتراك لانهت الحملة في العام الأول .

الحملة الخامسة : قام «تحتمس الثالث» بجيشه زاحفا نحو «سوريا» في حملته الخامسة ليطفىء نار ثورة محلية في مكان لم يعرف اسمه وربما كان

« وارت » على ساحل فينيقية ، فإنه يقص علينا دون مقدمات أنه استولى على المدينة ، ولا بد أنها كانت ذات شهرة عظيمة و ثراء جم ، إذ استولى منها على مغانم كثيرة ، وقد كان فيها معبد للإله آمون بناه أحد أبائه ، وبعد أن استولى على تلك المدينة المجهولة أفلح بأسطوله وسار شمالا محاذيا للشاطئ حتى وصل الى مدينة « أرواد » العظيمة فحاصرها (انظر مصور رتنو العليا) ، ولم يمض طويل زمن حتى سلمت وبسقوطها استولى المصريون على مقدار عظيم من ثروة فينيقية ، واتفق أن الاستيلاء عليها كان في فصل الخريف ، وقد كانت الحدائق والثمار محملة بالفاكهة والخمر يجرى كالغيث ، وحجوبها تتحد على جوانب الرمال أكثر من رمال الشاطئ ، وقد غنم رجال الجيش مغانم عظيمة بالسلب والنهب حتى أن « تحتمس » لم يكن في مقدوره في مثل هذه الأحوال أن يحفظ النظام بين رجال جيشه . والواقع أن رجال جيشه في الأيام الأولى كانوا ثملين ومعتريين بالزبوت الزكية الرائحة كأنهم يحتفلون بعيد في مصر .

وعلى إثر هذه الهزيمة جاء أمراء الساحل حاملين جزيتهم مقدمين خضوعهم ، وبذلك ضمن « تحتمس » لنفسه منفذا بل منافذ على سواحل البحر في الشمال ليربط بينه وبين مصر من جهة وبينه وبين جيوشه الموزعة في الداخل من جهة أخرى . ومن ذلك الوقت أصبحت مدن هذا الساحل قاعدة لأعماله الحربية في داخل هذه البلاد تنفيذا لخطة التي كان قد وضعها لمهاجمة ملك « قادش » . وقبل أن تنتقل إلى حروبه مع ملك قادش نورد النص المصري القديم عن هذه الحملة ليوقف القارئ على مقدار الأسلاب التي استولى عليها الفرعون في خلالها :

السنة التاسعة والعشرون : تأمل ! كان جلالة في أرض « زامى » لينضج البلاد الأجنبية الطائفة عليه في حله انفاصة . تأمل ! إن جلالة استولى على « وارت » وهل هذا الجيش بجلاله كما قدم ثناءه للإله آمون لما وهبه من نصر لابنه ، وقد كان ذلك سارا لقلب جلالة أكثر من أى شئ . وعلى إثر ذلك اتجه جلالة نحو مخازن القربان ليقدم القرب للالهين « آمون » و « حور اخن » من ثيران وبعول وطيور لأجل فلاح وعافية « منخبرع » (تحتمس الثالث) العائش نخدا .

الغنائم التي استولى عليها من هذه المدينة : قائمة الأسلاب التي استولى عليها رجاله من العدو صاحب مدينة « توب » : أمير المدينة ، ثلاثة قسمة وعشرون محارباً ، ومائة دين من القضة ومائة دين من الذهب ، هذا إلى لازورد وفيرودج ، وأوان من البرنز والجشت .

الاستيلاء على سفينتين من العدو في أثناء هودة الفرعون إلى وطنه : تأمل ! إنه استولى على سفينتين مجهزتين بمحارتهما ومحملتين بكل شيء ، من عيد وإماء وبحاس وقصدير واستفادج (صفرة) ، وكل ما طاب .

وبعد ذلك سار جلاله إلى مصر إلى والده « آمون رع » قلب فرح .

نهب أرواد :

تأمل ! إن جلاله نهب مدينة « أرواد » بما فيها من حبوب كما قطع كل أشجارها الجيلة .

خيرات بلاد زاهي :

تأمل ! لقد وجد كل متجات بلاد زاهي فكانت حداثتها محملة بالقماكة وقد بين نبيذها في ماسرها يسيل كالسائل كما كانت حبوبها مكسدة في أبرانها أكثر من رمال الشاطئ وقد غمر رجال الجيش بأنصبتهم .

قائمة الجزية التي جلبها جلالته من هذه الحملة :

أحضر واحداً وخمسين من العبد والإماء واثنتين وثلاثين جواداً وعشرة أطباق من القضة وكذلك أحضر أربعاً وسبعين ذئباً من الشهد وستة آلاف وأربعمائة وثمانية وعشرين إماء من الخمر ونحاساً وقصديراً ولازورداً ، وفضباراً أخضر ، ونحو ستائة وثمانين عشرين من الماشية الكبيرة وثلاثة آلاف وستائة وستة وثلاثين رأساً من الماشية الصغيرة ، ورضافاً مختلفة أنواعها ، وقماقها ، وحبوباً مطحونة ... وكل فاكهة جبيلة من هذه البلاد . تأمل ! إن جنود جلاله كانوا ثملين ومطربين بالزبوت كل يوم كأنهم في عيد في مصر .

أنظر الغنائم في المصريين .

والواقع أن هذه المغنم (إذا كانت الأرقام التي تدل عليها صحيحة) تشير ببداية لإدخال الترف والنعيم على قوم مصر بصورة مزعجة مما لم يسمع به من قبل في تاريخ البلاد ، ولذلك لا ندهش إذا كنا نرى أن هذا اليسار والثروة الطائلة كان الخطوة الأولى في انحلال الأخلاق وفساد العناصر الطيبة في البلاد مما أدى بعد زمن غير طويل إلى الانحطاط الخلق والعسكري معا . وسنرى أن الدم المصري

أخذ يلتمح بالدم الأجنبي ويمتج به من جراء ما كان يرد على البلاد من أجنبيات فالتأت لا ينقطع معين .

الحملة السادسة فى السنة الثلاثين :

وفى السنة الثلاثين قام الفرعون بملتبته السادسة وكان غرضه على ما يظهر الاستيلاء على بلدة « قادش » (تل بنى مند) ، فأقلع من مصر ونزل بجيشه عند « سميرا » شمالى « أرواد » وتقدم نحو « قادش » الواقعة على الجانب الأيمن لنهر العاصى فى أقصى شمال الوادى العالى الواقع بين جبل لبنان وكانت المدينة وقتئذ محصنة من جميع الجهات ؛ بنهر العاصى وفرع منه ثم بقناة حفرت لتوصل بينهما ، هذا إلى وجود تحصينات أخرى خلف هذه التحصينات الطبيعية لتحوى المدينة ، ولذلك كان الاستيلاء عليها يعد من الأعمال الحربية العسيرة المثال .

حصار قادش والاستيلاء عليها :

وقد حاصرها « تحتمس » مدة طويلة انتهزت فى خلالها بعض المدف الساحلية هذه الفرصة وشق أهلها عصا الطاعة على الفرعون ؛ من بينها مدينة « أرواد » التى قامت بشرة للتخلص من الجزية التى كانت تدفعها للفرعون سنويا ، ولكن على أثر سقوط « قادش » طار « تحتمس » على جناح السرعة إلى « سميرا » وأنزل جيشه فى الأسطول الذى كان فى انتظاره وأقلع به إلى مدينة « أرواد » وأوقع بأهلها عقابا صارما ، وقد كان هذا العصيان من جانب « أرواد » دوسا عمليا « لتحتمس الثالث » ألا يسير فى خطته لغزو بلاد « النهرين » قبل أن تدين لسلطانها كل بلاد الساحل . ولذلك نجده قد أمضى صيف السنة الواحدة والثلاثين من حكمه وهى الحملة السابعة فى القضاء على أى ثورة وكبح جماح أى عصيان فى هذه الجهات .

وهالك النص المصرى الذى دونه عن الحملة السادسة فى السنة الثلاثين :

السنة الثلاثون : تأمل : كان جلالة فى بلاد « رتو » فى حله المظفرة السادسة .

الاستيلاء على قادش : وصل جلالة إلى مدينة « قادش » فاستولى عليها واجتث أشجار نخالتها وحصد غلاتها ثم سار إلى إقليم « شريت » ومن ثم وصل إلى بلدة « سميرا » ثم وصل إلى بلدة « أرواد » وفعل فيها بالمثل .

بحرية رتنو : قائمة بالجزية التي أحضرتها قوة جلالة من أمراء رتنو في هذه السنة . تأمل ! ان أولاد الأمراء وإخوتهم سيقوا إلى المعازل المصرية . تأمل ! ان كل من مات من بين هؤلاء الأمراء كان جلالة ينصب ابنه مكانه .

قائمة بأولاد الأمراء الذين أحضروا هذا العام : ستة وثلاثون رجلا . ومائة وواحد وثمانون من العبيد والأماء ، ومن الخليل مائة وثمانية وثمانون ، وأربعون عربية مصفحة بالذهب والفضة المطلية بالالوان . ونعلم من هذا النص فضلا عن الغنائم التي استولى عليها الفرعون أنه كان يستولى على أبناء الأمراء وينشئهم في مصر تنشئة مصرية ثم يضعهم مكان آبائهم بعد موتهم كما سبق شرح ذلك .

الحملة السابعة والغرض منها : وقد كان الغرض الأول من هذه الحملة هو إخضاع بلدة عاصية تدعى « انراو » (ألوزا) وتقع على الساحل بالقرب من « سميرا » وقد كانت في حلف مع بلدة « تونب » ، وقد كان في مقدور الفرعون وقتئذ أن يحشد قوة كبيرة في أسطوله ويسير بها مباشرة لإخضاع هذه البلدة ، وقد تم له ما أراد إذ زحف بجيشه وأخضعها في سرعة خاطفة ، وهالك النص المصري عن هذه الحملة :

السنة الواحدة والثلاثون : مجموع الأسلاب التي استولى عليها جلالة في مدينة « انراو » (ألوزا) الواقعة على ساحل « نهر الكلب » (اليوتيس) أربعائة واثان وتسعون أسيرا أحياء ... ابن العدو صاحب « تونب » ... ورئيس ... الذين كان فيها والمجموع أربعائة وأربعة وتسعون رجلا ، وستة وعشرون جوادا ، وثلاث عشرة عربية وكل معداتها من آلات الحرب ، وقد استولى جلالة على هذه المدينة في مدة قصيرة وكل متاعها كان غنيمة له .

الجزية من بلاد رتنو : جزية أمراء « رتنو » الذين أتوا ليقبلوا الأرض من أجل قوة جلالة في هذه السنة ... عبيدا وأماء ... ذهبا واثنين وسبعين طبقا من الفضة من صنع هذه البلاد ، وسبعائة وواحدا وستين دبنا وقدرتين من الفضة وتسع عشرة عربية مصفحة بالذهب ومعدات من كل

الآلات الحربية ومائة وأربعة نيران وبحول ومائة واثنين وسبعين بقرة فيكون المجموع مائتين وستة وستين ، وكذلك أربع آلاف وستمئة واثنين وعشرين من الماشية الصغيرة ، وأربعين قلوبا من نحاس البلاد ، وقصدرا ، وإحدى وأربعين سوارا من الذهب المحلى بالصور وكذلك كل محصولها ، وكل الأغشاب ذات الرائحة الطرية في هذه البلاد .

تموين الثغور : تأمل ! ان كل نفروصل إليه جلاتى كان قد مد بالخبز الجليل وبالرفضان المتنوعة ، وبازيت وبالبحور والنيذ والشهد وكل الفاكة الجميلة من هذه البلاد ... وكانت كثيرة يحفظها الصد ، وأكثر ما عرفها جيش جلاتى من قبل ، وهذا ليس بكذب فقد دونت في المذكرات اليومية في القصر (أى الفرعون له الحياة والفلاح والصحة) ، وقائمتها لم تدون في هذه النقوش بعدا عن كثرة الكلام ولأنجل أن نورد مناسبتها في هذا المكان (وكذلك فيما يخص محصول بلاد رتنو) فإنه لم يدون هنا لنفس السبب السالف المذكور بل دون في إداوة بيت المال .

وكذلك لم يعلن محصول بلاد « رتنو » ويحتوى على كثير من البر النقي وعلى قح في سنا به وشعير وبحور وزيت أخضر ، ونيذ وفاكة وكل شئ. حلو من البلاد وستسلم للترافة مثل محصول بلاد كوش .

جزية بلاد أسبوية أخرى ^(١) : جزية أمير ... بلاد ... في هذا العام ... وثلاثة وثلاثون قدحا للشراب وكذلك جلود وكل حجر ثمين من هذه البلاد وكذلك أحجار أخرى عدة مرصعة بكل الأحجار الثمينة التى في هذه البلاد .

وفى هذه السنة وصلت بعثة من بلاد بنت إلى مصر يحمل رجالها إلى الفرعون جزية هذه البلاد من الطيور والفاكة ^(٢) .

وكذلك وصل إلى الفرعون من بلاد « كوش » وبلاد « واوات » الجزية السنوية التى كانت تؤديها هذه البلاد لجلالة الفرعون وهى تلك المحاصيل التى اشتهرت بها هذه الأحقاع وهاك النص .

جزية بلاد كوش الخاسثة فى هذا العام : ... دبنا من الذهب وعيدا وإماء من الزنوج س + ٦ وأسرى من الذكران من السود بصفة تابعين ويبلغ عددهم عشرا . هذا إلى مائة وثلاثة عشر من البقر والبعول ، ومائتين وثلاثين من الثيران مجموعها ثلثمائة وثلاثة وأربعون . هذا إلى سفن محملة بالعاج والأبنوس وجلود الفهود ، ومن كل المحصولات الجميلة من هذه البلاد ، يضاف إلى ذلك حصاا الإقليم

(١) راجع : Urkunden, IV, P. 694.

(٢) راجع : Urkunden, IV, P. 695.

جزية بلاد واوات : جزية واوات... دينا من الذهب، وعبيدا وإماء من سود واوات وواحدة وثلاثين بقرة، وواحد وستين ثورا فيكون المجموع اثنين وتسعين؛ هذا عدا سفن محملة بكل ماله وطاب من هذا الإقليم، وكذلك حصاد واوات.»

ويلحظ في محصول هذه الجهات السودانية أنها كلها كانت مواد أولية وحيوانات هذا على عكس ما نشاهده من المنتجات الفنية العظيمة التي كانت ترد من بلاد آسيا مما يضع أمامنا الفرق بين البلدين المحتلين من حيث التقدم والحضارة

الحملة الثامنة وتعد أعظم غزواته : ظل تحتمس الثالث في مصر عامين بعد حملته السابعة ثم قام بحملته الثامنة في السنة الثانية والثلاثين، وتعد أعظم غزوة قام بها في كل حروبه بعد الغزوة الأولى. إذ تم « لتحتمس الثالث » في نهايتها كل ما كانت تصبو إليه نفسه وتتطلع إليه آماله، وهو الوصول إلى نهر الفرات وإخضاع كل البلاد المجاورة له. وقد دون لنا انتصاراته في هذه الحملة في النقوش التي على جدران معبد الكرنك وكذلك في لوحة جبل « بركال »، وستفصل القول أولا في هذه الحملة ثم نورد المتنين الذين وصلا إلينا، وكذلك تشير إلى ما جاء عن حملته هذه في حياة « أمنحباب » الذي كان يرافقه في كل حملاته في بلاد آسيا.

مر في السنة الثالثة والثلاثين من سنى حكمه شرع « تحتمس الثالث » في القيام بحملته الثامنة وهي التي وصل فيها إلى قمة مجده الحربي، إذ في غضونهما عبر نهر الفرات غازيا بلاد النهرين (المتني)، وقد كانت أول حركة قام بها هي غزو أقاليم «قطنة» (وهي بلدة المشرفة الحالية على مسيرة ثمانية عشر كيلو مترا شمال شرق حمص)^(١). وتدل الأحوال على أنه كانت قد قامت اضطرابات في بلدة « نجب » الواقعة جنوبي فلسطين ولذلك أرسل الفرعون قوة من جنوده لإخضاعها وإخمادها بسرعة، وقد كان « أمنحباب » ضمن فرقة الحرس المختارة الذين يطلق عليهم

الشعجان ، وكان هو بالذات ضمن حرس الفرعون الذين ذهبوا في حملة « نجب » هذه وقد استولى فيها على ثلاثة أسرى . ولدينا من الأسباب ما يؤكد لنا أن الفرعون « تحتمس الثالث » لم يشترك في حملة « نجب » هذه بالذات لأن نقوش التواريخ التي على جدران معبد الكرنك لم تأت بذكره ، بل ذكرت أنه هو الذي بدأ الحملة في « قطنه » بسوريا ويظهر أن « أمنحباب » قد سافر شمالا لينضم إلى سيده في سوريا في الوقت المناسب ليشارك معه في الواقعة التي دارت رحاها بالقرب من حلب مستصحبا معه الأسرى الثلاثة الذين استولى عليهم في « نجب » ليقدمهم إلى الفرعون .

وقد زحف الجيش المصرى نحو الشمال واشتبك مع العدو في موقعة عند مرتفع « وعن » الواقعة غربى « حلب » حيث يذكرونا « أمنحباب » أنه استولى على ثلاثة عشر أسيرا وعلى سبعين حمارا ، وعلى عدد من الأسلحة المصنوعة من البرنز^(٢) .

كيفية الاستيلاء على قرقيش : أما الحادث الذى تلا هذه الموقعة فهو نشوب موقعة في « قرقيش » ، وقد كان الاستيلاء على هذه المدينة معناه فتح الباب لأحسن طريق ممكن لعبور نهر الفرات ، وقد تم للفرعون عبور هذا النهر بقوارب بناها على مقربة من « ببلوص » (جبيل) بأخشاب من غابات لبنان ثم نقلت بطريق البر إلى « قرقيش » على عربات تجرها ثيران . والمقروض في هذه الحالة أن هذه القوارب كانت قد حملت أجزاء منفصلة على هذه العربات ثم ركب بعضها مع بعض في « قرقيش » ، وذلك لأنه يكاد يكون من ضروب المستحيل نقل القوارب برمتها غير مفككة الأجزاء مسافة طويلة مثل هذه برا في ثمرات وعرة كانت تستخدم طرقا وقتئذ . وهذا أول استعمال لعربات النقل المصرية التي تسير على عجلات إذ كانت قبل ذلك تنقل الأشياء على زحافات مثل الأحجار

(١) راجع : Ibid I. P. 155.

(٢) راجع : Urkunden VI, P. 891.

وغيرها . وهذا النوع من العربات مميز عن عربة الركوب التي كان يجرها الحياء ، وهى العربة ذات العجلتين ، وهذا التجديد فى وسائل النقل مثال آخر يضاف إلى الأمثلة الكثيرة التى تدل على عبقرية « تحتمس » فى الفنون الحربية . والواقع أن هذه العربات كانت جديدة على المصريين لدرجة أنهم أطلقوا عليها اسما جديدا « ورت » ومعناها « العظيمة » . يضاف إلى ذلك أن موضوع نقل الجنود الغزاة فى قوارب يعبرون بها النهر يعد المثال الأول فى تاريخ العالم .

أما الحرب التى حدثت بين الفريقين بعد اقتحام المصريين نهر الفرات فلا نعرف منها إلا الشيء القليل اللهم إلا أن الحرب انتهت كالعادة بانتصار المصريين ولدينا فقرة مهشمة فى تاريخ تحتمس تقدم لنا بعض التفاصيل : وقد اتفقنا أنرم بمسافة نحو « إتر » (مقياس طول غير محدد يتراوح بين كيلو مترين وعشرة كيلو مترات ونصف) فى النهر ولم يفلت واحد منهم خلفهم بل فروا مثل قطعان الصيد لأن الخيل كانت تعدو (؟) ... » [. ومن ذلك يظهر أن الجيش المصرى بعد أن عبر نهر الفرات سار مع مجراه متحدرا مع التيار مسافة قصيرة ليستبك مع العدو الذى أبى الوقوف لمنازلة الجيش المصرى .

غنائم هذه الموقعة : وما يلفت النظر أن المصريين لم يقع لديهم فى الأسر إلا ثمانون أسيرا ، أما باقى الأسرى الذين سلموا أنفسهم فهم ثلاثة أمراء مع أولادهم ونسائهم وعبيدهم ويبلغ عددهم جميعا ستمائة وستة وثلاثين نسمة . وقد ولى ملك المتى الأدبار إلى بلاد أخرى وهى بلاد بعيدة ، وقد وصفت بلاده بأنها بلاد نهريْن التى تركها سيدها خوفا فى حين أن « تحتمس » استولى على مهل على الأراضى الواقعة شرق نهر الفرات مباشرة قبل أن يعود لنصب لوحته التذكارية على الشاطئ الأيمن من النهر يجوار لوحة « تحتمس الأول » ؛ والظاهر أن « تحتمس الثالث » لم يوجل فى داخل أراضى المتى إلى مسافة بعيدة ولم يصل إلى عاصمتها « واش شوجانى » ولو كان وصلها لما فاتته قط أن يدون مثل هذا العمل العظيم على نقوش لوحته التذكارية . ومن الجائز أن الأرض الأخرى التى

هرب إليها ملك المتنى ليست إقليما بعيدا عن دولته ، وذلك أنه كما يشير الأستاذ « جاردنر »^(١) كانت ارض « المتنى » عبارة عن اتحاد من البلدان وأنه يحتمل أن نهرين لم تكن إلا أقليما من هذه الدولة .

علاقة المتنى بمصر : وعلى الرغم من أن « تحتمس الثالث » أعلن بإقامة لوحته على جزء من بلاد المتنى أن هذه البلاد كانت تعد تحت الحماية المصرية ومن رعاياها فإنها في الواقع بقيت محافظة على سيادتها القومية ولم تمس ماديا بأى سوء وبقيت تعتبر إحدى الدول العظمى في ذلك الوقت . وبعد مضى حكم فرعونين من فراعنة مصر على هذا الحادث نجد أن « تحتمس الرابع » قد تزوج من بنت ملك المتنى الذى كان على عرش هذه البلاد في عهده . والواقع أنه لم يكن في مقدور مصر أن تسيطر على الإقليم الذى على الضفة الأخرى من نهر الفرات . ولا شك في أن « تحتمس الثالث » نفسه كان يعلم ذلك في قرارة نفسه .

نتائج الحملة : ومن نتائج هذه الحملة المظفرة أن ملك الخيتا (ختى العظيم) أرسل للمرة الأولى سفيرا إلى الفرعون يحمل هدايا غالية^(٢) ، لأنه قد رأى من الخير أن يطلب ود دولة فاتحة كانت قاب قوسين أو أدنى من حدود بلاده . ولا يبعد أن بلاد « بابل » قد حذت حذوه . أما بلاد اشور فقد طلبت ود مصر منذ السنة الرابعة والعشرين من حكم هذا الفرعون^(٣) . ويحتمل أنها عادت إلى طلب مهادتها ثانية الآن^(٤) .

العودة إلى مصر : ولما فرغ « تحتمس الثالث » من الوصول إلى مطامعه العظيمة وهى غزو « نهرين » أخذ في العودة إلى وطنه ، غير أن رحلته

(١) راجع : Gardiner, Ibid. I. P. 178.

(٢) راجع : Urkunden IV, P. 701.

(٣) راجع : Urkunden, IV. P. 701.

(٤) راجع : Ibid, 701.

إلى أرض الوطن لم تكن خالية من الحوادث فقد حاول بعض أمراء سوريا عرقلة طريقه في عودته ويقص علينا « أمنحباب » أنه حدث معارك في « سنجار »^(١) ، ويحتمل أن هذه هي قلعة « سنجار » على نهر العاصي بعد بلدة « حماه »^(٢) بالقرب من « قادش »^(٣) ، وفي أرض « تخسى » التي لم تبعد كثيرا عن « قادش » يقص علينا « امنموسى » أن ثلاثين مدينة قد نهبت . والظاهر أن « تحتمس » بعد أن هدأت الأحوال في « تخسى » سار شمالا ثانية إذ كان على ما يظهر يشك في إخلاص الولايات الصغيرة التي تركها خلفه . غير أنه ليست لدينا وثائق تثبت وقوع حروب في هذه الجهات .

تحتمس الثالث يخرج لصيد الفيلة : ولما فرغ الفرعون من أعماله الحربية أراد أن يرفه عن نفسه ببعض الرياضة بالصيد والقنص مقتفيا في ذلك أثر جده فضرب سراقده عند بلدة « نى » (يحتمل أنها « قلعة الموضيق » الواقعة على مسافة ٤٠ ك . م . شمالى غربى حماة) لصيد الفيلة^(٤) . ولقد أظهر « أمنحباب » شجاعة في هذا الطراد عندما قطع خرطوم الفيل الذى التفت نحو سيده ليقته ، وبعد هذا الصيد استأنف « تحتمس » سيره نحو الوطن دون وقوع أى حادث آخر اللهم إلا إذا كان الهجوم الثانى على « قادش » قد حدث في هذه الفترة ، ولكن لأسباب ذكرناها من قبل يظهر أن هذا الاحتمال ليس له مبرر^(٥) .

عبقريه تحتمس الثالث في تنظيم هذه الحملة وأثرها في توطيد ملكه : وهكذا أتم هذا القائد أعظم فتوحه خطرا وأبعدها أثرا وأعظمها شأنا ، فلم تكن

(١) راجع : Ibid, IV. P. 891.

(٢) راجع : Gardiner, Ibid, I, 158.

(٣) راجع : Urkunden, IV, P. 892.

(٤) راجع : Gardiner Ibid. I, 150 & 157.

(٥) راجع : Urk. IV, P. 698, Gebel Barkal, 17. Armant, 7.

(٦) راجع : Urk. IV, P. 894.

حملاته المقبلة موجهة إلا لتدمير أحوال الامبراطورية التي كسبها بمجد السيف ولتوطيد الأمن فيها ، ولقد أظهر « تحتمس » ثانيا في هذه الحملة عبقريته الحربية التي كانت لا تنحصر في الوصول بنجاح باهر إلى هدفه البعيد المرمى فحسب بل ظهرت بصورة بارزة في بنائه السفن على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ثم نقلها بطريق البر حتى مكان الموقعة على عربات قتل . وهذا في الواقع يعد عملا جبارا وبخاصة عندما يعلم الإنسان أن جيشه كان يبلغ عدة آلاف من المحاربين . غير الخليل والعربات التي كان لا بد من نقلها بعد تجميعها عبر الفرات ، مضافا إلى ذلك جيش مشاته .

القائد تحتمس الثالث والقائد مونتجمري : وعند ما قرن الأشياء الصغيرة بالأشياء العظيمة ، نرى أن هذا العمل المبتكر الذي قام به « تحتمس الثالث » بمجد السلاح والذكاء وبما لديه من وسائل ساذجة يذكرنا بما قام به القائد « مونتجمري » عندما عبر نهر الرين على سفن عبور جيء بها برا من الساحل بسرعة خاطفة ، ونجد أن الأول قد ابتكر هذا الحل منذ ثلاثة آلاف وأربعمائة سنة تقريبا وعمل به الثاني في عصر الابتكار والمخترعات الفذة ، ومع ذلك فلا بد من الاعتراف بأن الفضل للتقدم .

والآن نورد المتون الخاصة بهذه الحملة من المصادر المصرية :

الحملة الثامنة عام ثلاثة وثلاثين من حكم « تحتمس الثالث » : السنة الثالثة والثلاثون . تأمل ! كان جلاله في بلاد رتنو ، ثم وصل إلى إقليم « فدنا » في حلة الثامنة المظفرة . عبور نهر الفرات والتغلب على الأراضى الواقعة على تلك الضفة : سار جلاله إلى بلاد « نهرين » في مقدمة جيشه شرق هذا النهر وأقام لوحة أخرى بجوار اللوحة التي نصبها والده « ماحبر كارع » (تحتمس الأول) ملك الوجه القبلي والوجه البحري تأمل ! إن جلاله سار شمالا متغلبا على البلاد وغربا أقاليم « نهرين » التابعة للعدو الخامس .

الحروب المظفرة على نهر الفرات : وبعد ذلك انحدر شمالا مقتنيا أثرهم مسافة « إر » فلم يلتفت واحد منهم خلفه ولكنهم أرنخوا لسيفانهم النان كأنهم قطع بقر الوحش . تأمل ! إن خيلهم هربت .

غنائم هذه المدينة : قائمة الأسلاب التى ضمنها كل الجيش : ثلاثة أمراء وسائرهم وعددهم ثلاثون كما أخذ ثمانين أسيرا ومن العبد والإماء ستمائة وستة ومئمة أولادهم أما الذين سلوا خاضعين ومئمة زوجاتهم وأولادهم

تحطيم مؤسساتهم : وحده غلام

عودة الفرعون إلى بلدة « نى » حيث اصطاد فيلة : ثم وصل جلاله إلى مدينة « نى » فى سيرة جنوبا ، وعند ما عاد جلاله نصب لوحة تذكارية فى حدود نهرين فذلك حدود مصر ... جزيرة بلاد « رتنو » : قائمة الجزية التى أحضرها أمراء رتنو : خمسمائة وثلاثة عشر من العبد والإماء ، ومائتان وستون جوادا ، ونحمة وأربعون دينا وتسع قذات من الذهب (أى نحو أحد عشر رطلا) ، وأطباق من الذهب من صنع بلاد « زاهى » ... وهريات مصفحة بالذهب وكل مداتها الحربية ، وكذلك ثمانية وعشرون تورا وبجلا صغيرا وبجولا كبيرة وخمسمائة وأربعة وستون غلا ونحمة آلاف وثمناثة وثلاثة وعشرون من الماشية الصغيرة ، وثمانائة وثمانية وعشرون إنا من البخور وزيت أخضر ، ... وألف من كل شئ . طريق من هذه البلاد ، هذا إلى مقادير عظيمة من كل أنواع القماكة .

(٨) إمداد الموانى — جزيرة لبنان — حصاد بلاد زاهى : تأمل ! كانت هذه الموانى تمد بكل شئ مما يجرى لها على حسب ما فرض سنوبا على أمراء لبنان سنويا .

(٩) جزيرة بلد أسوى آخر (اسمه مهشم) : جزيرة أمير ... وأربعة طيور من هذا البلد . تأمل ! إنما فى مد كل يوم (؟) .

(١٠) جزيرة بلاد سنجار (بابل) : جزيرة أمير بلاد « سنجار » س + د دينات من اللازورد الحقيق وأربعة وعشرون دينا من اللازورد الصناعى ، ولازورد بابل ...

(١١) جزيرة بلاد آشور (؟) : جزيرة أمير آشور ، رأس كبش من اللازورد الحقيق ، ولازورد زنته خمس عشرة فدة ، وكذلك أوان ...

(١٢) جزيرة بلاد « خيتا » العظيمة : جزيرة بلاد « خيتا » هذا العام ثمانى حلقات من الفضة زنتها أربعائة وواحد دينا (أى ٧٤ و ٩٧ رطلا) ، هذا إلى قطنين كبيرتين من جبر أبيض ثمين وخشب « تاجر » .

(١٣) العودة إلى مصر : عاد جلاله إلى مصر فى سلام بعد مجيئه من بلاد نهرين بعد أن وسع حدود مصر .

(١٤) أسلاب غزوة إلى بلاد بنت : أحضرت إلى جلالتيه هذا العام طرائف .
ألف وسماة ونمس وثمانون « حقت » من البخور المحفف (عنتى) (نبات عطرى) ... دبتا من
ذهب بلاد حامو (وهى بلاد مشهورة بالذهب على ساحل البحر الأحمر)
(١٥) جزية بلاد كوش : جزية بلاد كوش الخامسة هذا العام وهى ١٥٥ دبتا وقدتان من
الذهب ومائة وأربعة وثلاثون من الإماء ، ومائة وأربعة عشر ثورا وعجلا ، وثلاثة ونحسة وعشرون
مخل بقر مجموعها أربعمائة وتسعة عشر من الماشية ، هذا عدا سفن محملة بالعاج والأبنوس وجلود القهود
وكل شئ طريف من هذه البلاد .

(١٦) جزية بلاد واوات : جزية بلاد « واوات » هذا العام ... دبتا من الذهب ،
وثمانية من العبد والإماء ، وأثنا عشر عبدا مجموعها عشرون نسمة ، هذا إلى أربعة وأربعين ثورا وعجلا ،
وستين خلا من الأبقار مجموعها مائة وأربعة رموس من الماشية . يضاف إلى هذه سفن محملة بكل طريف
من هذه البلاد ومن حصاد هذا الإقليم أيضا ^(١) .

أما المصدر الثانى الذى جاء فيه ذكر هذه الحملة فهو ما دقون على « لوحة
بركال » وقد وصف « تحتشمس الثالث » هذه الحملة بما يأتى :

والآن سار جلالتى إلى شمال حدود بلاد آسيا وقد أمرت ببناء سفن قتل من خشب الأرز فى « جليل »
عما تنبته تلالها وهى أرض الإله الواقعة على مقربة من « صيدا » ، ثم حملت على عربات ذات عجل وجرت
بالثيران ، وقد أرسلت قبل جلالتى لتستعمل فى صبور ذلك النهر العظيم الذى يجرى فى هذه الأرض الأجنبية
وهى « نهرين » .

التعليق على هذه المتن : فمن هذه المتن نعلم خلافا لما ذكرناه أن الفرعون
قد أرسل حملة فى هذه الفترة إلى بلاد « بنت » عادت محملة بخيرات هذه البلاد
المعروفة وهى البخور والذهب . هذا فضلا عن أنه عند ما عاد إلى مصر ، كانت
بلاد « كوش » ، وبلاد « واوات » قد أرسلت جزيتها السنوية المعتادة مما يدل
على أنها كانت على ولائها للفرعون . وما يلحظ هنا أن « تحتشمس الثالث » قد عدّ
المدايا التى قدمها له كل من ملك « بابل » وملك « خيتا » بمثابة جزية كالجزية
التي كانت تدفعها البلاد الخاضعة لحكمه . وإن عدّ ذلك مخالفا للواقع .

أما قصة صيد الفيلة عند «نى» فقد جاء ذكرها في ترجمة الجندى «أمنحباب» كما جاءت كذلك في لوحة «بركال» وقد قصها علينا الفرعون نفسه: وذلك أنه عندما كان الفرعون يستجم في بلدة «نى» قام بنزهة للصيد والقنص وبخاصة صيد الفيلة في هذه الجهة مما يدل على أن هذا الحيوان كان لا يزال يوجد على شاطئ نهر الفرات في القرن الخامس عشر قبل الميلاد . ويقص علينا «أمنحباب» حادثة مثيرة خطيرة وقمت للفرعون وهي أن قطيعا من الفيلة شوهد واقفا على شاطئ النهر وقد كان الصائد في استطاعته أن يكون على مقربة منه دون أن يرى إذا اختبأ خلف الصخور، غير أن أكبر هذه الفيلة لمح الفرعون وهاجمه على حين غفلة، وعلى ذلك يقول «أمنحباب» بينما كنت واقفا في الماء بين صخرتين ضربت يد الفيل (خرطوم) وهو حى أمام جلالتى، وقد كافانى جلالتى على ذلك بالذهب، وخلع على ثلاث حلل، والظاهر أن هذه الهدية كانت بدلا من الملابس التى كانت لا بد قد مزقت خلال هجومه على الفيل .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن بطلنا «أمنحباب» هذا كان على ما يظهر مغرما بسرد القصص العريضة النسيج، إذ قص علينا كذلك مغامرة أخرى حدثت له مع ضبع هاجمته في الصحراء في وقت كانت عصاه كل ما يحمله من سلاح، وعندما دون هذه القصة على جدران قبره أو عز إلى المفتن أن يمثل الضبع في حجم جواد ضخيم ذى عينين متقدتين مكشرا عن أنياب حادة كأنه يريد أن يلتهم من أمامه التهاما . قصة صيد الفيلة كما جاءت على لوحة بركال : أما تحتس الثالث فقد ذكر لنا قصة صيد الفيلة على لوحة «بركال» .

«والآن أقص مغامرة أخرى هيا لى الإله رع» فيها النصر، فقد أظهر على يدى فيها عملا عظيما من أعمال الشجاعة عند مورد ماء في بلدة «نى» فقد هيا لى أن التقي بقطيع من الفيلة، وحارب جلالتى سريا عدده مائة وعشرون فيلا لم يسبقنى إليه ملك منذ عهد الآلهة من الذين توجوا قبلى بالتاج الأبيض، والظاهر

أن الفرعون قد نسي أن يسر « أمنحباب » بطل هذه القصة فيذكر لنا غايطرته ونجدته القيمة للملك اللهم إلا إذا كانت قصته من نفس نسج قصة الضيع .

الحملة التاسعة في السنة الرابعة والثلاثين والغرض منها : وفي السنة الرابعة والثلاثين قام تحمس الثالث بحملته التاسعة المظفرة إلى بلاد زامى ، والظاهر أنه بعد عودته من إقليم الفرات لم يكن الأمن قد استتب فيه تملأ هذا إلى أن « لبثان » قد شقت عصا الطاعة على الفرعون في تلك الآونة ولهذا اضطر إلى القيام بحملته هذه للاستيلاء على ثلاث مدن منها وقد غنم مغانم كثيرة . وفي نفس العام نشاهد الفرعون قد وسع سلطانه في الجنوب ، إذ أسر أولاد أمير « ارم » المجاورة لبلاد كوش وأخذهم رهينة عنده لعصيان والدم .

المتن المصرى : مقدمة . نهر إقليم نجس السنة الرابعة والثلاثون . تأمل ! قد مار جلاله إلى أرض « زامى » في حلة التاسعة المظفرة وقد استول جلاله على بلدة « نجس » وأحال بلاد أخرى كانت في إقليمها وقد أخضعهم جلاله جميعا .

٢ — قائمة بالبلاد التي قهرت هذا العام : بلدان ، وثلاثة بلدان خضعا في إقليم « نجس » فيكون المجموع ثلاث أماكن (٤)

٣ — أسلاب الحرب : الأسرى الذين أحضرهم جلاله من هذه البلاد... أما الرجال الذين صافهم أسرى ضددهم نسعون وهم الذين سلخوا وسهم نساؤهم وأولادهم ... ثم أربوبت جوادا ، وخمس عشرة مرة منقشة بالفضة والذهب ، وأواني ذهب وحلقات من الذهب وذهبا نحسون دبنا وضع قدات ، وآنية من النحاس من هذه البلاد . هذا إلى حلقات من النحاس زتها مائة وثلاثة ونحسون دبنا ، ونحاس غفل وقصدير وحشت وأسلحة من كل أنواع الخشب المنحط ، وقشاة وستة وعشرون قورا وأربوبن ماشية صغيرة بيضا . وما يرى على أربعين ماشية صغيرة أخرى وسجين حمارا ، وخشب كثير من خشب « تاجو » وكراشى مدة من الخشب الأسود وخشب الخروب ، هذا إلى عهد سراقق منقحة بالبحشت ومرصعة بالأحجار الثمينة : وكذلك كل نوع جميل من خشب هذه البلاد .

٤ — جزيرة بلاد رتنو : جزيرة أمراء رتنو هذا العام (ثلاثون + س) من الجهاد ، ومرجات حصة بالذهب والنحاس وطرقة مددها نسعون : هذا إلى سبائة واثنين من العهد الإمبراطورية ونحسون

دبنا وست قذات ، من الذهب ، وأواني فضة مختلفة من صنع البلاد زنتها ... دبنا وست قذات ، وذهب وفضة ولازورد وجر « منو » الثمين وأران من كل نوع ، وثمازين غالبا من نحاس بلادده (أى منخرج من هذه البلاد) وأحد عشر غالبا من القصدير ومائة دين من الألوان وبخور جاف وأخضر وجلد ... وثلاثة عشر من الثيران والمجول ونحسائة وثلاثين لعل بقر وأربعة وثمانين حمارا وأسلعة كثيرة مرصعة بالجلت ؟ وأواني كثيرة من النحاس وسقائة وثلاث وتسمين آنية بخور وذيت حلو أخضر والفضين وثمانين آنية ، وسقائة وثمان زجاجات خمر ، وعربات من خشب « تاجو » وكل نوع ثمين من خشب هذه البلاد .

(٥) تموين الثغور : « تأمل لقد كانت كل موانئ جلالة مومة بكل شئ طريف مما أخذه جلالة من بلاد زامى ويشمل ذلك سفنا من « كفتيو » وسفنا من « جيل » وسفن « سكتو » المصنوعة من خشب الأرز ، محملة قضبان وساريات هذا بل أشجار عظيمة لنجارة جلالة .

(٦) جزيرة بلاد قبرص : جزيرة أمير قبرص في هذه السنة : مائة وثمانية قوالب من النحاس النقي وسبيكة من النحاس زنتها ألفان وأربعمائة ، وكذلك خمسة قوارب قصدير ، وألف ومائتا قطعة من القصدير وعشرة ومائة دين من اللازورد وسن فيل واحد ، وقطعتان من خشب « تاجو » .

(٧) جزيرة بلاد كوش : جزيرة بلاد كوش الخامسة وهي (٣٠٠ + س) دبنا من الذهب وسنون من العيد والقبان السود ، وأولاد أمير « ارم » ... فيكون المصنوع أربعمائة وستين نسخة ، هذا إلى ثيران وبجول فيبلغ عددها مائة ونحسة وبخول بقر عددها مائة وسبعون فيكون المصنوع الكلى مائتين ونحسة وسبعين هذا عددا سفن محملة بالعاج والأبنوس وكل منتجات هذه البلاد ، وكذلك غلة « كوش » .

(٨) جزيرة واوات : خراج بلاد واوات هو ألفان ونحسائة . وأربعة ونحسون دبنا من الذهب وعشرة من العيد والإمام وثيران ... ثيرانا وبجولا ... ولخولا ... مجموعها ، ... هذا فضلا عن سفن محملة بكل طريف من هذه البلاد ، وغلة واوات أيضا .

تعليق على هذا المتن : مما سبق يتضح أنه فضلا عن الجزيرة التي كانت تأتي إلى مصر من جهات آسيا المختلفة قد أخذت قبرص كذلك ترسل جزيرتها وربما كانت ضمن البلاد الخاضعة لمصر وقتئذ . هذا ونشاهد أن « تحتمس الثالث » قد فرض على أمراء لبنان وغيرهم أن يمدوا الموانئ القينيقية بالمؤن اللازمة لمحلاتهم كما فرض عليهم بناء السفن نفسها وبذلك أصبح في مقدوره أن يتزل في أى ميناء ويسير بيمينه في داخل البلاد ويقبض على كل ثورة في حينها . ولا نكون مباشرين إذا قلنا إن قوة « تحتمس » الحربية ونظامها كانت الأولى من نوعها في العالم

المعروف وقتئذ ولا أدل على ذلك من أن ملك قبرص بماله من سفن كان يخشى بأس هذا الفرعون وأصبح خاضعا لإرادته هذا إلى أن الأسطول المصرى جعل جزر الشمال تخشى بأس الفرعون وأصبح سلطانه ممتدا على شرق البحر الأبيض المتوسط حتى بحر إيجه مما جعل قائده « تحوتى » يعد الجزر التى فى وسط البحر (بحرايجه) من الممتلكات التى تحت سلطانه إذ كان يلقب حاكم الأفطار الشمالية .

الحملة العاشرة . والظاهر أن أمراء بلاد « نهرين » الذين غاب عنهم « تحتمس الثالث » مدة عامين بعد حملته القاسية أخذوا يتألبون عليه وكونوا حلفا قويا على رأسه أميرفته « تحتمس الثالث » بقوله ذلك العدو الخائى صاحب نهرين » ؛ ومن المحتمل أنه يقصد به ملك « المتنى » أو أحد الأمراء الذين كان ضلعمهم مع الهكسوس والذين كانوا لا يزالون يأوون إلى هذه الجهات ؛ ولكن « تحتمس الثالث » كان دائما على أهبة الاستعداد لمنازلة عدوه فى أية لحظة كانت ، ويرجع الفضل فى ذلك لاستعداد أسطوله بكل المؤن والذخائر لنقل جيشه وسيره فى محاذاته أينما حل ، ولذلك لما دعا داعى الحرب سار « تحتمس » فى الحال يجهشه إلى سهول بلاد نهرين فى السنة الخامسة والثلاثين على رأس حملته العاشرة المظفرة ، فقابل العدو فى مكان يدعى « إرينا » ويحتمل أنه فى أسفل بلاد نهر العاصى . وانتصر عليهم جلالته وسقط الأعداء الواحد فوق الآخر أمام جلالته وبذلك انفصم عمرا اتحاد بلاد نهرين وشتت شملهم جملة ، واستولى على كل ما كان لهم من عدة وعتاد حتى أصبحوا عاجزين عن أى مقاومة أخرى بل ظلوا خاضعين تمام الخضوع لهذا الفرعون الجبار مدة طويلة .

نص المتن المصرى : (١) الحملة العاشرة سنة خمس وثلاثين من حكم تحتمس الثالث^(١)

السنة الخامسة والثلاثون تأمل : كان جلالته فى « زامى » فى حملة العاشرة المظفرة ، .

(٢) الانتصار على أمراء « نهرين » وحليفهم أرينا :

ولما وصل جلاله إلى بلدة « أرينا » تأمل : إن هذا العدو الخاسئ صاحب نهرينا قد جمع خيله ورجله ... من أطراف الأرض وكانوا أكثر عددا من رجال الشاطئ ، وكانوا على استعداد لمحاربة جلاله ومن ثم زحف جلاله لمنازلهم ، وقام جيش جلاله بهجمة لجلد العدو واستولى عليه وانتصر جلاله على هؤلاء الأجناب بقوة والده « آمون الذى منحه التجاعة والنصر » ... نهرينا ودولوا الأديار مجدلين على الأرض بعضهم فوق بعض أمام جلاله .

(٣) الأسلاب الحربية التى استولى عليها الفرعون :

فأتمه الأسلاب التى استولى عليها الملك نفسه من هؤلاء الأجناب أمراء « نهرين » ... دروع من الجلد المطعم بالجمشت وقبة من النحاس المطعم بالجمشت .

(٤) الأسلاب التى استولى عليها الجيش : « قائمة بأسلاب جيش جلاله من هؤلاء الأجناب الخاسئين : عشرة أسرى ، ومائة وثمانون جوادا ، وستون عربة ... خمسة عشر زردا مرصعة بمحجر الجمشت ... ونحس قبعات من النحاس المرصع بالجمشت ، ونحس أفواس من صنع بلاد خاور » .

(٥) جزيرة بلاد رتنو : « جزيرة أمراء رسوفى هذا العام وهى : مائتان وستة وعشرون جوادا وعربة واحدة مصفحة بالذهب ، وعشر عربات + من مصفحة بالذهب والفضة ، وأوان من الذهب ، ... وأربعة وثمانون إبريقا من البخور ، وتسعمائة وتسعة وثمانون إبريقا من الزيت الحلو ، وثلاثة آلاف وتسعمائة وتسع وتسعون زجاجة من الخمر .

(٦) تموين الثغور ونحراج بلاد لبنان — حصاد بلاد زاهى : « تأمل ! كانت كل الثغور ممتلئة بكل شئ طريف حسب جزيها التى كانت تدفع سنويا . هذا إلى جزيرة « لبنان » وحصاد « زاهى » من حبوب ونجود وزيت أخضر ونيلي ... » .

(٧) جزيرة بلاد أسبوية أخرى : (المتن هنا مهمم ولكن يحتمل أنه قياسا على ما سبق يشير إلى قبرص وبلاد الخيما) : « ... آنية من الذهب ... شئ ناجو وكل الخضرا الجميلة من هذه البلاد .

(٨) جزيرة كوش وبلاد واوات : « ... وسفن محملة بكل شئ طريف المتن هنا مهمم ولم يبق منه إلا الجملة السابقة) .

ومما يلحظ في أسلاب هذه الحملة والجزية التي يدفعها الأهليون أن الزيت والخمر وحصاد البلاد أخذ يتدفق على مصر بكثرة ، كما أن الذهب كان يأتي إلى مصر في هيئة حلقات ولا بد أنه كان يستعمل في الصناعة ، كما نلاحظ أن الزرد والدروع والأقواس كانت تأتي إلى مصر جزية أو أسلاب حرب ، وأهم من ذلك كله أن « تحتمس الثالث » لم ينس قط في أى حملة من حملاته التي ذكرناها أن يجعل الموانئ دائماً على استعداد تام وذلك بفرض ضريبة خاصة لتموينها وإعدادها. إذ كانت في الواقع قوام المحافظة على جيشه أثناء إيقاله في الجبهات النائية داخل آسيا ، وكذلك نلاحظ أن البلاد التي كانت ترسل ما فرض عليها من جزية كان لا ينقص عددها بل ظل آخذاً في الازدياد .

الحملة الحادية عشرة والثانية عشرة : (٣٦ ، ٣٧ من سنى حكم هذا الفرعون) لم تمدنا الآثار المكتشفة حتى الآن عن الحملة الحادية عشرة بأية معلومات قط^(١) . أما الحملة الثانية عشرة فلم يبق لنا منها إلا بعض أجزاء تحدثنا عن الجزية التي كانت تدفع لمصر سنوياً ، وقد ضاع الجزء الأول وبخاصة اسم الحملة والسنة التي سارت فيها وكذلك جزية « رتو » وتموين الموانئ الساحلية وخراج « لبنان » وحصاد بلاد « زاهي » ، ثم يذكر لنا متن مهمهم جزية بلاد لم تسم باسمها ولم يبق فيها إلا بعض كلمات وهي : معدن شاكر من الفتين ، وكل وحيوانات صغيرة ، وخشب للاحراق .

جزية بلاد كوش الخامسة : « سبعون دينا من الذهب وقدرت وس + ١٠ عبيد وإماء سود ، س + ٢ من الثيران وبجول وبقرات مجموعها هذا عدا السفن المحملة بالأنوس والعاج وكل الأشياء الطريفة من هذه الأرض . يضاف إلى ذلك حصاد هذه الأرض من البر » .

جزية واوات : « ... دينا من الذهب ، وأربعة وثلاثون من العبيد والإماء وأربعة وتسعون من الثيران الكبيرة والبجول والبقول ، هذا عدا السفن المحملة بكل طريف وحصاد « واوات » أيضا » .

الحملة الثالثة عشرة — السنة الثامنة والثلاثون : والظاهر أن تحتس الثالث سار بجيشه إلى بلدة « يونجس » من أعمال سوريا ، إذ على ما يظهر قد قامت ثورة بجوارها ، وهذه البلدة هي إحدى المدن الثلاث الواقعة جنوبى « لبنان » والتي أعطى كهنة « أمون » خراجها وقد أخذت نار الفتنة بسهولة واستولى جيش الفرعون على خمسين أسيرا وكذلك استولى على أسلاب كثيرة كما سنرى فى المتن .

المتن المصرى : « السنة الثامنة والثلاثون . تأمل : سار جلالة إلى بلاد « زاهى » فى حملته الثالثة عشرة المظفرة ، قد أخضع جلالة بلدة هذا إلى البلاد التى فى إقليم نجس » أسلاب الجيش من هذا الإقليم : « قائمة الغنائم التى أحضرها جيش جلاتى من « نجس » : نحسون أسيرا وخيلا وعربات مصفحة بالذهب والفضة ومجهزة بأسلحتها . هذا إلى الذين استسلموا فى إقليم « نجس » مع زوجاتهم وأولادهم . »

جزية بلاد رتنو : « قائمة الجزية التى أحضرت بقوة جلاتى فى هذه السنة : « ٣٢٨ جوادا ، ونحمانا واثنا عشرون عبدا وبقية ، وتسع عربات مصفحة بالذهب والفضة و ٦١ عربية ملقنة فيكون المجموع ٧٠ عربية : هذا إلى قلائد من اللازورد الحقيقى وأوانى « إمكا » ذات مقبضين ، وثلاثة أطباق مفرطحة ودهوس ماعز ، ورأس أسد ، كلها من صناعة « زاهى » وألقان وثمانمائة وواحد وعشرون دبنا وثلاث قذات من ... (؟) ، ومائتان وست وسبعون قطعة من النحاس ، وستة وعشرون قابلا من القصدير ، وستائة وست ونحسون قابلا من « الكندر » ، وألف وسبعائة واثنا ونحسون آتية من الزيت الحلو ، والزيت الأخضر ، وزيت « سفت » ، ومائة ونحس ونحسون زجاجة نبيذ ، واثنا عشر ثورا وألف ومائتان من الماشية الصغيرة وستة وأربعون حمارا ووزاعة (؟) ، ونحس أسنان فيلة وموائد من الصاج وخشب الخروب ، وأحجار « منو » البيضاء زتها ثمانية وستون دبنا ، وإحدى وأربعون درع حرب ، وحراب من الشبه ، ودروع وأقواس ، وكل الأسلحة الحربية وخشب حلوم هذه البلاد . وكل الأشياء الطريفة من هذه البلاد . »

تموين الثغور — بحرية لبنان = حصاد بلاد زاهى : « وقد مونت الثغور بكل شئ طريف على حسب ما ضرب لها سنويا فى خلال سياحة السفن منها شمالا وجنوبا ، وكذلك أتاوة « لبنان » حصاد بلاد « زاهى » ، من غلال وزيت أخضر ، وكندر ، ونبيذ ، وشهد . »

جزية قبرص : « الجزية التي يحملها أمير قبرص ... قالب نحاس من بلاده ... وجواد واحد » .
جزية إقليم « إرخ » (الالاخ) : « جزية أمير « إرخ » خمسة عيّد وجارية ، وطلعتان
من نحاس بلاد وخمسة وستون شجرة خروب ، هذا إلى كل أنواع الخضر الحلوة من بلاده » .
غنائم حملة بلاد بنت : « الطرائف التي أحضرتها قوة جلاتي من بلاد « بنت »
ماثان وأربعون « حقت » من البخور الخفيف » .

جزية بلاد كوش الخاسئة : « ١٠٠ من دينا وست قذات من الذهب ، وست وثلاثون
عبدا وأمة من الزوج ، ومائتان وإحدى عشرة من البقر والمجول ، ومائة وخمسة وثمانون غل بقر ، مجموعها
ثلاثة وستة من الأبقار والمجول ، هذا إلى سفن محملة بالمعاج والأبنوس . وكل المحاصيل الجبلية من هذه
البلاد ، وكذلك حصاد هذه البلاد » .

جزية بلاد واوات : « الفان وثمانمائة وثلاثة وأربعون دينا من الذهب ، وست عشرة أمة
وعبدا من الزوج ، وسبعة وسبعون رأسا من الثيران والمجول ، هذا إلى سفن محملة بكل الحاصلات الجبلية
لهذه البلاد » .

ومما هو جدير بالذكر في هذه الحملة جزية بلاد جديدة لم تذكر من قبل وهي
« إرخ » (الالاخ) وهي إقليم في بلاد آشور ؛ غير أن أميرها على ما يظهر كان
فقير الحال كما تدل ضالة الهدية التي قدمها إلى الفرعون ، وكذلك نشاهد أن
الفرعون لم ينفل عن علاقته مع البلاد المجاورة له ، فأرسل حملة إلى « بلاد بنت »
عادت إلى مصر محملة سفنها بطرائفها المعتادة وهي البخور (عنى) .

على أن أهم شيء يلتفت النظر هو ما نشاهده من زيادة الضرائب التي كانت
تجبي للواني التي اتخذها قاصمة حربية للمحافظة على أملاكه الآسيوية ، فكانت هذه
التخوم محط لتموين السفن الداخلة إليها والخارجة منها . ولذلك كان ما يجبي لها
يؤخذ من بلاد « لبنان » وبلاد « زاهي » مما تنتجه من حبوب وزيت وكندر وشهد .
وكذلك يلاحظ أن ما يجبي من بلاد النوبة وبلاد « كوش » وبلاد « واوات »
من الذهب والمناشبية أصبح مقداره عظيما جدا كما تدل على ذلك الأرقام التي

(١) أر اربخ (= الالاخ) في شمال سوريا كما يظن « جاردنر » (راجع Ono-Gardiner

• (mastica", Vol. II. P: 273.

جاءت في القوائم ، ويحتمل أن هذا الذهب كان يستخرج من « وادى علاقى » الشهير بنبه الغزير .

الحملة الرابعة عشرة في السنة التاسعة والثلاثين والغرض منها : يظهر أن أول غرض للفرعون من هذه الحملة كان تأديب البدو الذين يقطنون الشمال الشرقى من الأقاليم الواقعة على الحدود المصرية ، وذلك لأنهم كانوا دائما في حاجة إلى تذكيرهم بوجود يد قوية تكبح جماحهم ، ونجد من غربهم حينما يثور ناثرم ، وتطيش أطماعهم ، غير أن « تحتس » بعظمته قد مر على حادث إخضاعهم من الكرام فلم يدون لنا كاتب يومياته أى تفصيل . فبعد أن ذكر لنا عرضا أن جلالة كان في بلاد « رتنو » ، بعد أن ذهب لإخضاع البدو الخاسين (شاسو) أخذ يعدد لنا ما تدفق على البلاد المصرية من خراج البلاد التى كانت تدين بطاعته ، كما سنوردها هنا .

المتن المصرى : « السنة التاسعة والثلاثون : لقد كان جلالة في بلاد رتنو في حملته الرابعة عشرة المظفرة بعد أن ذهب لإخضاع البدو الخاسين .

جزية بلاد رتنو : قائمة جزية أمراء « رتنو » في هذا العام : مائة وسبعة وتسعون من العيد والإماء ، ومائتان وتسعة وتسعون من الجياد ، وطبقان من الذهب ، وحلقات منه أيضا زتها اثنا عشر دبنا وقصدتا ... وثلاثون دبنا من اللازورد الحقيقى ، وطبق من الفضة وكذلك من حلقات من الفضة وإبريق ذو مقبضين ، وإناء برأس ثور ، وثلثانة ونحس وعشرون آنية من الفضة وكذلك حلقات من الفضة زتها ألف وأربعمائة ونحس وتسعون دبنا وقصدتا واحدا (يبادل ٣ ٤٣٤ ٣٣ وطلا) هذا إلى عربة مفضاة بالذهب والفضة ... صنع من حجر أبيض ثمين وحجر متو الأبيض وكل الأحجار الغالية المختلفة من هذه البلاد وكندر وزيت حلو ، وزيت أخضر ، وزيت « سفت » وشهد . هذا إلى ثلثانة وأربعة وستين إناء ، وألف وأربعمائة وأربعة من قدور « منو » مملوءة بالنبيذ ، وأربعة وثمانين فلا ، وألف ومائة وثلاثة وثمانين من المشاية الصغيرة ... وجمشت ... وكل أنواع الفاكهة الحسنة من هذه البلاد ، هذا عدا كل المحاصيل الجميلة التى تتجها هذه البلاد » .

تموين الثغور — جزية بلاد لبنان — محصول بلاد « زاهى » : كانت كل الثغور مونة بكل طريق كما كان مفروضا لها من الجزية لأجل السفن المنحدرة شمالا والصاعدة إلى الجنوب ، وكذلك جزية بلاد « لبنان » ومحصول بلاد « زاهى » ، من برنق ، وكندر ، وزيت أخضر ، ونبيذ » .

جزية بلاد أسيوية أخرى : (المتن مهتم) .

جزية قبرص : « جزية أمير قبرص (إسى) : سستا فيلين ، وأربعون قالبا من النحاس وقالبا من ... ، القصدير... » .

جزية بلاد أجنبية أخرى : جزية أمير (المتن مهتم) .

جزية بلاد كوش : « جزية بلاد كوش الخاصة في هذا العام : ١٤٤ دينا وثلاث قذات من الذهب ، ومائة وواحد من العيد والإماء ، الزنوج ، وأبقار وعجول ، وغول بقر... المجموع... ؛ هذا عدا سفن محملة بكل شئ . طزيف من هذه البلاد ، وحصول بلاد « كوش » الخاصة أيضا » .

جزية بلاد واوات : « جزية بلاد « واوات » هذا العام... دينا من الذهب و... من العيد والإماء... وثيران وعجول عددها خمسة وثلاثون ، وأربعة ونحسون فخلا ، مجموعهما الكلى تسعة وثمانون من المشاة . هذا عدا سفن محملة بكل طريف من هذه البلاد ومحاصيلها أيضا » .

ومما يلفت النظر في قوائم هذه الجزية التي دونت في هذا العام أنه لم يذكر بينها بلاد « نهرين » وبلاد أشور وغيرها من البلاد التي تقع على مقربة من نهر الفرات ربما تكونان قد ذكرتا في المتنين المهتمين .

الحملة الخامسة عشرة — السنة الأربعون : الظاهر أن «تحتس الثالث» لم يقم بحروب في هذه الحملة ، وكل ما ذكره لنا المؤرخ المصرى هو الجزية التي جبيت من الأراضى التي كانت تحت سلطان الفرعون ، إذا كان ما ذكره الأستاذ « زيته » حقا . والواقع أنه لم يبق من بداية النقش ما نستنبطه ^(١) .

ويخيل لنا أن الفرعون لم يقم بأى غزو في السنتين الأربعين والحادية والأربعين بل كانت تأتى الجزية إليه دون قيامه بأية حروب ، مما يدل طبعا على استتباب الأمن ، وقد أورد لنا الأستاذ « زيته » تحت حوادث السنة الأربعين ما يأتى :
« [السنة الأربعون] تأمل ! ذهب جلاله إلى بلاد ... في حملته المظفرة » .

قائمة جزية أمير « أشور » وأمراء « رتنو » في هذا العام : (راجع خراج السنة الرابعة والعشرين) (Urk. IV. P. 726.)

وهاك قائمة الجزية التي أرسلت إلى مصر من البلاد الخاضعة في السنة

الحادية والأربعين .

قائمة جزية بلاد رتنو : « قائمة جزية أمراء رتنو التي أحضرت بقوة جلالته في السنة الحادية والأربعين... : أربعون قلوباً من القصدير، وجشت لتزيين الدروع، وسيوف «أخو» (بلطه) وحراب مرصعة بالجمشت، ... من هذه البلاد وثمانى عشرة سناً من أسنان الفيلة، و ٢٤١ شجرة خروب، و ١٨٤ ثورا، و... ماشية صغيرة... » .

تموين الثغور—محصول «زاهى» : تأمل ! كانت الثغور ممونة بكل شئ. طريف كالمعتاد في كل سنة، هذا إلى محصول «زاهى» كذلك من بر وكندر .

الجزية من بلاد «خيتا» العظيمة : «جزية أمير «الخيتا» هذا العام... ذهب... فضة... » .
جزية بلاد كوش الخاسئة هذا العام : « ١٩٥ دينا وقد تان من الذهب، ومن العيد والإماء الزوج ثمان، هذا إلى ثلاثة عشر عبداً زنجياً جى. بهم ليكونوا خدماً، مجموعهم واحد وعشرون نسمة، و... ثيران وعجول و... غول بقر مجموعها ... هذا إلى سفن محملة بالعاج والأبنوس وكل شئ. طريف من هذه البلاد، وكذلك محصول بلاد «كوش» الخاسئة .

جزية بلاد «واوات» : « ثلاثة آلاف ومائة وأربعة وأربعون وثلاث قذات من الذهب وخمسة وثلاثون ثورا وعجلاً، وتسعة وسبعون غل بقر، مجموعها مائة وأربعة عشر، هذا إلى سفن محملة بسن الفيل وخشب الأبنوس وكل شئ. طريف، وكذلك حصاد بلاد «واوات» :

وأهم ما يسترعى النظر في هذه الجزية مقدار الذهب الذى كان ينال على مصر من هذه الأصقاع وبخاصة من بلاد «واوات»، هذا إلى استمرار إرسال العبيد والإماء من بلاد «كوش»، وكذلك العاج والأبنوس. والواقع أنها لا تزال المواد الرئيسة في التجارة بين مصر والسودان اللهم إلا الرقيق وقد بطل الاتجار فيه منذ زمن قريب.

الحملة السادسة عشرة والأخيرة عام ٢٤٤ والغرض منها : تدل كل الأحوال على أن ملك «قادش» كان لا يزال مصراً على عناده وتمسكه بقوميته واستقلاله، فلم يعترف يوماً ما بالسيادة المصرية على بلاده، ولذلك كان دائماً يقصين الفرص ليشير الأمراء المجاورين له، ويحرضهم على العصيان، والقيام بذا واحدة بثورة للخلاص من عبء النير المصرى، وقد أفلح فعلاً في اجتذاب ملك «المتنى» وإقليم

« تونب » إلى جانبه ، فأعلنوا العصيان على مصر . ولما علم « تحتبس » بهذا الحلف ، سار بأسطوله إلى شواطئ فينيقيا ، ونزل في ميناء « سميرا » وهاجم ميناء « عروقات » فاستولى عليها عنوة ، ومن ثم زحف مباشرة على « تونب » (بعلبك ؟) على مقربة من قادش ونهر العاصي ، ونذركنا أن أميرا من أمراء هذه البلدة كان قد دافع عن بلدة « وارث » في خلال الحملة الخامسة التي قام بها هذا الفرعون . على أن النقوش لم تقدم لنا أية تفاصيل عن الاستيلاء على « تونب » ، وعلى أية حال فإنه بعد سقوطها بدأ الفرعون حصار قادش ، وتفاصيل حصار هذه البلدة قد يكون مجهولا لنا لولا ما قصه علينا « أمنحباب » والظاهر أن الفرعون لم يهاجم المدينة إلا بعد فصل جنى الحصاد ، ولم يحشد كبير عتاء في الاستيلاء عليها ، وذلك أن العدو كما يقص علينا « أمنحباب » تفاديا لمحاصرة المدينة اشتبك في موقعة مع الفرعون خارجها ، وفي هذه الموقعة لحا ملك « قادش » إلى حيلة ساذجة ظنا منه أنه ربما استطاع بها تشتيت شمل الجيش المصري والتغلب عليه ، ذلك أنه أطلق العنان لفرس أمام جياد عربية الفرعون ظنا منه أنها تهيج الجياد وتجعلها غير صالحة للقتال ، وبذلك ينشر الذعر والارتباك في صفوف الجيش المصري ، ولكن « أمنحباب » لما رأى ذلك فطن للحيلة التي دبرها العدو وقفز من عربته في الحال والسيف في يده وانطلق خلف الفرس وشق بطنها وقطع ذيلها وحمله للفرعون . فلما رأى الأعداء أن حيلتهم قد انفضح أمرها لاذوا بالفرار إلى داخل المدينة واحتموا وراء جدرانها ، وقد أمر الفرعون بعمل قنب في سورها وهنا نجد أن « أمنحباب » يظهر شجاعته ثانية ويفخر بأنه هو الذي اخترق جدران هذه المدينة الحصينة وقد سلمت بعد أن أسر أمراء « نهرين » الذين اشتركوا مع ملك « قادش » في هذه الحروب ولذلك لم ير الفرعون ضرورة للسير شمالا ، ولا غرابة إذا قررنا هنا أن سقوط « قادش » قد سحق آخر قوة للهكسوس الذين أحاقوا بالبلاد المصرية أكبر مصيبة . وبذلك اختفت آثارهم جملة ، وكانت لا تزال عاقلة بالأذهان في البلاد المصرية . وقد برهنت الكشف الحديثة على أن ما رواه كتاب

اليونان في هذا الصدد صحيح "وهو أن «تحتس الثالث» هو الفرعون الذى قضى على قوة الهكسوس الذين التجثوا إلى آسيا بعد أن طردهم أسلافه من مصر وقضوا عليهم قضاء مبرها". كما تحدثنا عن ذلك من قبل .

المتن المصرى : « السنة الثانية والأربعون . تأمل ! كان جلالة في بلاد «زاهى» في حملته السادسة عشرة المظفرة لقمع الثورة التى كانت في أراضى «الفتخو» . تأمل ! كان جلالة على طريق الساحل لإخضاع بلدة «عرت» وكذلك البلاد الواقعة في إقليمها ... ثم زحف حتى ... (اسم بلد مهم) فأخضع هذه المدينة وإقليمها » .

التغلب على تونب (بعلبك ؟) : « ثم زحف إلى تونب ، وقهر المدينة وحصد غلاتها ، واجنت أشجارها » .

الغنائم من هذه المدينة : ... تأمل ! الأسرى الذين أسلمتهم (هذه المدينة) إلى جلالة وما أحضره الجيش إليه » .

العودة إلى قادش والتغلب على ثلاث مدن في إقليمها : تأمل ! لقد عاد في سلام ووصل إلى إقليم «قادش» واستولى على ثلاث مدن فيه .
قائمة الغنائم التى استولى عليها منها :

ممتلكات أمراء «نهرين» التى استولى عليها الفرعون من ثلاثة المدن : تأمل !
لقد استولى جلالة على أهالى «نهرين» الخاضعين ومن ساعدهم ، وعلى خيلهم ، وستائة وواحد وتسعين أسيرا ، وتسع وعشرين يدا ، وستة وأربعين جوادا ... » .

جزية بلاد رتنو : «قائمة جزية أمراء بلاد رتنو هذا العام : ٢٩٥ عبدا وبقته ، وثمانية وستون جوادا ، وثلاثة أطباق من الذهب ، وأطباق من الفضة وأوان من النحاس اللامع ، هذا إلى حلقات من الفضة ، ... و ٤٧ قالبا من القصدير ١١٠٠ دبنا من القصدير ، وألوان ، وخشب جوز ، وكل الأحجار الجميلة من هذه البلاد ، ودروع من النحاس مرصعة بالجمشت ، وآلات حرب ... وكل فاكهة حلوة من هذه البلاد » .

تكوين الثغور ومحصول زاهى : وكانت كل الثغور ممتدة بكل شىء طريق ، كما هو المتبع في حساب كل سنة ، وكذلك محصول هذه البلاد أيضا » .

جزية بلاد أسبوية أخرى : (يَحْتَمِل أنها قبرص أو الخيما) : « الجزية التى أحضرها أمير ... في هذه السنة ... فضة ... وكذلك أطباق ورموس ثيران زنتها ٣٤١ دبنا وقذتان ، وثلاثة وثلاثون قذتا من اللازورد الحقيق وعصا جميلة من خشب «ناجو» ... قالب نحاس منها (من مناجم هذه الجهة) ... » .

جزية أمير « تنى » : « الجزية التى أحضرها أمير « تنى » : آنية من الفضة من صنع « كفتو » (كريت ؟) ، وكذلك أوان من حديد ، وأربع أيد من الفضة زنتها ستة وخمسون دينا وثلاث قدات .

جزية بلاد « كوش » : « جزية بلاد كوش الخاصة فى هذه السنة : ... دينا من الذهب و... عبيدا وإماء من الزوج وثيرانا وعجولا ، و... غول بقر مجموعها ... هذا إلى سفن محملة بكل شئ طريف من هذه البلاد ، وكذلك حصاد بلاد كوش الخاصة » .

جزية « واوات » : « جزية واوات فى هذه السنة ٢٣٧٤ دينا من الذهب وقدت واحد ، وصيد وإماء من الزوج ... وثيران وعجول ... وغول بقر مجموعها ... هذا إلى سفن محملة بالصاج والأبنوس ، وكل شئ طريف من هذه البلاد ، وكذلك حصاد بلاد « واوات » .

وأهم ما يرى فى جزية هذه السنة، جزية أمير « تيناي » ، وقد ورد فيها لأقول مرة ذكر الحديد، وكذلك الفضة من صنع « كفتيو » ، وقد اختلف المؤرخون فى موضع هذا الإقليم المسمى « كفتيو » وقد كتب أخيرا « وين رايت » مقالا عنه وقال إنه يقع فى آسيا الصغرى على ساحل البحر الأبيض المتوسط (J. E. A. Vol. XVII, P. 26.) غير أن هذا رأى واه من أساسه كما سند ذلك بعد .

وبعد أن انتهى « تحتمس الثالث » أو كاتبه بعبارة أخرى من تدوين حملاته على جدران معبد الكرنك ختمها بالعبارة التالية : تأمل ! لقد أمر جلاليته بتدوين الانتصارات التى أحرزها منذ عام ٢٣ من حكمه حتى العام الثانى والأربعين منه، وهو نفس العام الذى دؤنت فيه هذه النقوش على هذا المحراب لأجل أن يمنع الحياة مخلدا .

حرب تحتمس الثالث ونتائجها : هذه هى الحروب التى أمر « تحتمس الثالث » بتدوينها على جدران معبد الكرنك وهى الحروب الخاصة بفتوحه فى آسيا وحدها كما يرى القارئ ولا نعلم أنه توجه إلى آسيا ثانية بعد هذا العام . هذا ولا نعرف له حروبا أخرى قام بها إلا حملة واحدة إلى بلاد السودان فى آخر أيام حياته كما سيأتى .

والظاهر أن الحملات التي قام بها «تحتمس الثالث» على بلاد آسيا مرة بعد أخرى والقضاء على كل مقاومة وعصيان، قد أعطت أمراء «سوريا» وبلاد «نهرين» درساً عملياً في نهاية الأمر بأنه لا طائل من العصيان وبث الثورة على هذا الفرعون الجبار، إذ قد علموا أنه مهما كانت سرعتهم في جمع شملهم وتحالفهم على «تحتمس» فإنه كان أسرع منهم، وأن أية مساعدة كانوا ينالونها من أولئك الأقوام الذين حقدوا على مصر، وأضرموا لها العداء لا تجدى، فإن تحتمس كان أعظم منهم خطراً وأشدّ بأساً، وأن أبعد هذه الولايات من مقر حكمه كانت كأقربها إليه ويمكنه أن ينقض عليها في سرعة خاطفة بما اتخذته من استعداد، وما أوتيته من يقظة وانقباه، فقد جعل البحر خادماً خاضعاً له يركبه وينقض على عدوه من خلفه في حين أنه كان يرقب هجومه من الأمام، وكذلك علم هؤلاء الأقوام أن «تحتمس الثالث» ذلك الجندي السريع الحركة القوى البطش لم يكن وحشاً كاسراً محباً لسفك الدماء في ساحة الوغى، بل كان إنساناً رحيماً رقيق الطبع لم يرق في عينه — حتى في أشدّ المواقف — ذبح ألد أعدائه إذا كان في استطاعته الخروج من هذا المأزق بأية وسيلة .

وقد كان من نتائج كل ذلك أن أمضى «تحتمس» المدة الباقية من حياته دون أن يرى أى ثورة في الأقاليم الآسيوية التي فتحها، ولم يكن أخلافه من بعده في حاجة إلى إشعال حروب مستمرة في تلك البقاع كالتى خاض غمارها «تحتمس الثالث»، بل كانت حروبهم لا تتعدى حملة أو حملتين إذا مادعا الأمر لتذكير أولئك الأقوام بقوة مصر الحربية وعظمتها . وقد بقي هذا الولاء، واستمر هذا الرعب من قوة مصر مدة طويلة إذ قد عرف الولاة من حروبهم مع «تحتمس» أن مصر عدوة يخشى بأسها، وأن «تحتمس» في الوقت نفسه كان صديقاً يعتمد عليه حتى أن أولئك الأقوام المغلوبين في آسيا قد زعموا أنهم سيجدون هذه الصفات في أخلافه مما جعلهم يطلبون يد المساعدة فيما بعد عند ما تخرجت الأحوال

في بلادهم وانقضت الممالك المجاورة الفتية القوية على ولاياتهم فكانوا يذكرون أيام سيادة «تحتمس» وقوة سلطانه ووفائه، وبعد انقضاء أربعة أجيال على وفاته لم يكن في مقدور أخلافه أن يحموا الأمراء التابعين لهم في بلاد نهريْن من عسف الخيتا ولذلك ذكر أولئك النساء أيام بطل مصر الأكبر «تحتمس الثالث» وما كان عليه من قوة وسلطان فكتبوا إلى ملك مصر إذ ذاك قائلين : من ذا الذي كان يحسر على نهب «توب» دون أن يفتك به «منخبريا» (لقب تحتمس الثالث باللغة الآشورية) .

ولا نزاع في أن الرجل الذي استطاع أن يترك في نفوس القوم الذين فتح بلادهم منذ أربعة أجيال مثل هذا الأثر بقوته وبأمانته الساهرة في المحافظة على وعده لم يحياهم لا بد أن يكون أعظم بكثير من رجل حرب وحسب كما يصفه أحيانا بعض من لم يدرس حياته درسا دقيقا ، بل الواقع أن «تحتمس الثالث» كانت فيه كل صفات الرجولة الكاملة .

منشآت تحتمس الثالث الدينية

لم يغفل «تحتمس الثالث» أيام قيامه بالحروب الطاحنة التي شنها على أمراء آسيا عن إقامة المباني الضخمة لآلهته الذين منحوه النصر على أعدائه ، بل على العكس كان يعتبر إقامة المباني لهم من أعظم الواجبات وأقدسها ، وقد ذكرنا جانبا منها ، وبخاصة ما أقامه في معبد الكرنك للاله أمون والإله «بتاح» . وقد كان أكبر عون له على إقامة المباني الدينية ما كانت تفيض به البلاد مما كان يتدفق عليها من الذهب والفضة والمواد الأولية الأخرى ، وبخاصة الأخشاب النادرة التي كانت تجلب إليها من آسيا وبلاد «الكوش» هذا فضلا عما كان يطلب إليها من أولان من صنع تلك الجهات .

مسلات تحتمس الثالث : وقد كانت إقامة المسلات الضخمة في عصر هذه الأسرة أهم ما يلفت النظر . حقا إنها لم تكن بدعة محدثة بل كانت قد أقيمت

في عهد ملوك الأسرة الثانية عشرة وحتى في عهد الدولة القديمة . غير أن نحت المسلات الضخمة كان قد بطل استعماله ، وربما كان سبب ذلك ما صارت إليه حالة البلاد من فقر وما انتابها من اضطرابات داخلية ، وظلت الحال كذلك حتى جاءت الأسرة الثامنة عشرة فأحيا ملوكها تلك العادة ، فقطع « تحتمس الأول » مسلتين ضخمتين أقيمتا في « معبد الكرنك » ، ثم جاءت بعده الملكة « حتشبسوت » وأقامت أربع مسلات كما فصلنا القول في ذلك آنفا . غير أن « تحتمس الثالث » قد ضرب الرقيم القياسي في هذا المضمار فأقام ما لا يقل عن سبع مسلات .

العيد الثلاثيني الأول : وقد كان المعتاد أن تقام هذه المسلات احتفالا بعيد « سد » وهو العيد الثلاثيني أى في العام الثلاثين من إعلان ولى العهد ملكا على البلاد وقد احتفل « تحتمس الثالث » بعيد الثلاثيني ثلاث مرات ؛ ولا بد أن أول هذه الأعياد كان في السنة الثلاثين من تنصيبه ملكا وذلك لأن إعلانه وارثا على العرش قد وقع في نفس السنة التي تولى فيها عرش البلاد .

ونعلم من نقوش مهندس البناء « بولام رع » الذى كان يعيش في عهد « حتشبسوت » أنه قد كلف بقطع مسلتين من محاجر « أسوان » لعيد « تحتمس » الثلاثيني الأول ، وقد ترك لنا « بولام رع » نقوشا في مقبرته ومنظرا نشاهده فيه وهو ينسلم تقارير من ستة من المشرفين على الأعمال ، ويرى خلفهم مسلتان ، وقد كتب فوق صورته ما يأتى « غص الآثار الفضة العظيمة التي أقامها ملك الوجه القبلى والوجه البحرى » منخبر رع « لوالده « آمون » فى الكرنك من الذهب والفضة وكل حجر مقيم غال بواسطة الأمير الوراثى والحاكم والد الإله « بولام رع »^(١) .

أما النقوش التي على المسلتين فهي : « إن « تحتمس الثالث » قد أقامها أثرا لوالده « آمون » لينحه الحياة مخلدا . » ويحتمل أن المسلتين اللتين يتحدث عنهما « بولام رع » هما اللتان كانتا منصوبتين أمام (البوابة) السابعة في الجهة الجنوبية من الكرنك ،

ومن القطعة الباقية من المسلة الشرقية أمكن « انجلباخ » مهندس البناء أن يستخلص أن طولها يتراوح بين ٩٥ — ١٠٥ أقدام أى أن المسلتين كانتا أطول من مسلقى « حشبسوت » اللتين كان يبلغ طول الواحدة منهما ٩٧,٥ قدما ويحتمل أنهما كانتا تماثلان مسلة « اللاران » القائمة الآن فى روما ويبلغ ارتفاعها ١٠٥,٥ أقدام وتعد أطول مسلة موجودة الآن ، وقد كشف حديثا عن بقايا المسلة الغربية كما كشف عن أساسها . وفى عيد « تحتس الثالث » الثلاثينى الثانى ، كلف مهندسا ثانيا أن يقطع مسلتين لإقامتهما احتفالاً بهذا العيد ، ويحتمل أن « منبرع سنب » السالف الذكرو هو الذى قام بهذه المهمة ، ويوجد بجانب محراب معبد الكرنك منظر يشاهده « تحتس الثالث » يقدم سلات للاله آمون وعدة هدايا ومن بينها مسلتان يحتمل أنهما هما اللتان كلف « منبرع سنب » قطعهما وإعدادهما . ونجد على واحدة منهما النقش التالى : « لقد أقامه آثرا لوالده « آمون » رب طيبة ، فنصب له مسلتين عظيمتين شامختين من الجرانيت قتما من السام عند (بوابة) المعبد المزدوجة . ويشير « منبرع سنب » إلى عمله فى إقامة هاتين المسلتين بما يأتى « كنت أفتش عند ما كان جلالة يقيم سلات وأعلاما عدة لوالده « آمون » ، وقد أدخلت السرور على جلالة عند ما كنت أقيم آثاره » .

مسلة القسطنطينية : ومن المحتمل أن واحدة من هاتين المسلتين أو جزءا من واحدة منهما هو القائم الآن فى القسطنطينية ، وهى التى نقلها الامبراطور « ثيودورس » . والواقع أن الموجود فى القسطنطينية الآن هو الجزء الأعلى من مسلة كانت فى الأصل أطول بكثير من أية مسلة موجودة الآن . غير أنه لا يمكن الجزم بأنها إحدى هاتين المسلتين اللتين كلف لإقامتهما « منبرع سنب » أولا ، والنقوش التى على هذه المسلة من الأهمية بمكان ، اذ يمكننا أن نحدد بها على وجه عام تاريخ إقامتها فاستمع إليها :

« رب النصر وغال كل البلاد ، والذى جعل حدوده تصل إلى قرون الأرض ومياه نهرين بقوة وظفر على رأس جيشه » .

ولما كان « تحتمس » قد عبر نهر الفرات بعد عيده الثلاثيني الأول ، فلا بد أن هاتين المسلتين قد أقيمتا بعد هذا التاريخ أى بعد الحملة الثامنة ، ومن ثم نعلم أن المسلتين قد أقيمتا في عيده الثلاثيني الثانى ، والنقوش التى على مسلة «القسطنطينية» هى :

على الواجهة الجنوبية : « ... تحتمس الثالث قد أقامها أثر لوالده « آمون رع » رب طيبة ، أقام له مسلة عظيمة من الجرانيت الأحمر وقتها من السام ليه الحياة مثل « رع » مغلدا .

الواجهة الشمالية : « ... تحتمس الثالث الذى رياه « آمون » بمثابة طفل بين ذراعى الإلهة « نيت » الأم المقدسة ليكون ملكا ، وهو الذى استولى على كل الأراضى طول الزمن : رب الأعياد .
الواجهة الشرقية : « ... تحتمس رب الظفر غال كل الأراضى ، والذى جعل حدوده تمتد إلى كل قرون الأرض ، والمستنقعات إلى نهري ... » .

الواجهة الغربية : « ... تحتمس الثالث » الذى عبر المنحنى العظيم لنهرين بالقوة والظفر على رأس جيشه موقعا مذبحه عظيمة بينهم .

هذا ونجد « تحتمس الثالث » قد أقام في آخر أيامه على ما يظهر مسلة واحدة أمام (البوابة) الثامنة في الجهة الجنوبية من معبد « الكرنك » . وهذه المسلة يبلغ ارتفاعها ١٠.٥ أقدام ، وقد أتى بها من أسوان بعد حفر نقوشها وإعدادها ، وقد كان « تحتمس الثالث » يفخر بهذه المسلة على وجه خاص لأنها تعد المثال الوحيد لإقامة مسلة منفردة ، لا اثنتين كما كانت العادة المتبعة وهما هو ذا يقول :

الواجهة الجنوبية : « لقد أقامها بمثابة أثر لوالده « آمون رع » رب طيبة ، فنصب له مسلة في الردهة الأمامية للعبد قبالة « الكرنك » بمثابة المثال الأول لإقامة مسلة فرد في طيبة لأجل أن يمنع الحياة^(١) .
الواجهة الشمالية : « ... تحتمس الثالث بن آمون من جسده والذى حملته له الإلهة « موت » في « أشرو » (وهو اسم معبد الإله « موت » بالكرنك) ، وأعضاؤه مثل أعضاء الذى صورها ابن الشمس « تحتمس » جميل الخلق ، محبوب « آمون رع » رب طيبة ، معطى الحياة مثل رع .

الواجهة الشرقية : « ... تحتمس الثالث الفنى بآثاره فى بيت آمون الذى جعل آثاره أعظم من آثار أجداده الذين كانوا قبله ، وهى تفوق كل ما سبق ، ولا تشبه فى أى نحو ما عمل فى بيت والده آمون لأجل أن يعطى ابن رع تحتمس حاكم هليوبوليس الحياة بوساطته » .

الواجهة الغربية : « ... تحتمس الثالث الذى يمدح « آمون » عندما يشرق فى « الكرنك » وإياه يرسل آمون ليسترخ فى البيت المسمى « حامل التيجان » ، فى حين أن قلب آمون يكون فرحا لآثار ابنه المحبوب المسماة « البقاء فى الملكية » فاجلته يبق ويكررك الاحتفال بلأين هذه الأعياد الثلاثينية . ابن الشمس « تحتمس » جيل الخلق معطى الحياة » .

تحتمس الرابع يقيم مسألة جده فى مكانها : غير أن تحتمس الثالث قد عاجلته المنية قبل أن يرى هذه المسألة مقامة أمامه اذ قضى وهى لم تنصب بعد ، وقد بقيت مهملة بعد موته نحو خمس وثلاثين سنة . لأن ابنه « أمنحتب الثانى » على ما يظهر لم يكن ميالا لإتمام الآثار التى لم تكن قد تمت إقامتها فى عهد والده ، ولكن « تحتمس الرابع » كان يتصف بأخلاق تمتاز عن أخلاق سلفه إذ كان يميل كل الميل لإتمام وإصلاح الأعمال العظيمة التى عملت فى الماضى ، ولا أدل على ذلك مما فصله لتمثال « بو الهول » من إزالة الرمال عنه ، ونصب لوحة تذكارية أمامه دون عليها ما قام به من جليل الأعمال لهذا الإله العظيم الذى كافاه بتنصيبه على عرش الملك كما سئى بعد . ومن أجل ذلك اهتم بنصب مسألة جده فى مكانها الأصل ، ودون عليها نقوشا طويلة تدل على ورعه واحترامه لجده العظيم وهى :^(١)

الواجهة الشمالية من الجبين : « ... تحتمس الرابع الذى يقبض بقوة مثل رب « طيبة » عظيم البأس مثل « متو » والذى جعله والده « آمون » مظفرا على كل البلاد ، والذى نأتى إليه البلاد المهجولة وخوفه فى قلوبهم — ابن الشمس « تحتمس الرابع » الذى يضئ فى التيجان محبوب « آمون » ، نوراه ، معطى الحياة » .

الواجهة الشمالية من اليسار : « ملك الوجه القليل والوجه البحرى ، محبوب الآلهة ومن يمدح عظمته تاسوع الآلهة ، ومن يرسل رع ليسترخ في سفينة الشمس المسائية ، والذي يمدح «آتون» في سفينة النهار ، رب الأرضين « منخرووع » (تحتس الرابع) الذى يجمل طيبة دائما ، والذي يقيم آثارا في الكرنك ، وتاسوع آلهة بيت آمون مرتاحون لما فعله ابن آتون من جسده ووارثه على العرش « تحتس الرابع » الذى يضى بالتيجان محبوب « امون رع » .

الواجهة الجنوبية من اليسار : « ... تحتس الرابع الذى أنجبه « رع » ومحبوب آمون لقد كان جلالته هو الذى جعل المسلة الفردية المتناهية في العظم ، وهى التى كان قد أحضرها ملك الوجه القليل والوجه البحرى « منخرووع » (تحتس الثالث) ، وبعد أن وجد جلالته أن هذه المسلة بقيت ملقاة على جانبها نحسا وثلاثين سنة في يد الصناع في الجهة الجنوبية من معبد الكرنك أمر والدى بأن أنصبها له . أنا ابنه والمخلص له » .

الواجهة الجنوبية من اليمين : « ابن الشمس تحتس الرابع ، المضى في التيجان ، لقد أقامها في الكرنك ، وصنع قبا من السام حتى أن جمالها أصبح يشع على طيبة ، وقد نحتت باسم والده الإله الطيب « منخرووع » (تحتس الثالث) ، وقد فعل ذلك ملك الوجه القليل والوجه البحرى ، رب الأرضين « منخرووع » (تحتس الرابع) ، محبوب «رع» في بيت «امون» ليعطى الحياة بواسطته ، ابن الشمس « تحتس الرابع » الذى يضى في التيجان » .

الواجهة الغربية من اليمين : « ... تحتس الرابع الذى انتخب آمون أمام الشعب ، والذي انجبه له الآلهة « موت » التى يحبا أكثر من أى ملك . وعندما يرى جماله يبرلأنه وضعه تماما في قلبه وهو الذى وضع الجنوبيين والشماليين تحت تصرفه ، وجعلهم يقدمون الخضوع لاسمه ، وقد أقامها بمثابة أثره لوالده «امون رع» ناصبا له مسلة عظيمة عند (البوابة) العليا للكرنك (أى مدخل الكرنك في الجهة الجنوبية وهو الذى تودى إليه البوابات الأربع الجنوبية) قبالة طيبة لأجل أن يعطى الحياة على يديه ابن « رع » ومحبوبه « تحتس الرابع » الذى يضى في التيجان » .

الواجهة الغربية من اليسار : « ... منخرووع (تحتس الرابع) الابن الأكبر ، النافع لمن أنجبه والذي يفعل ما يررب الآلهة منذ أن عرف سمو تصميمه ، وأنه هو الذى أرشده إلى الطرق الجميلة ، والذي غل له قبائل الأقواس التسعة تحت قدميه . تأمل ! إن جلالته كان يقظا في تسجيل أثر والده ، فقد كان الملك نفسه هو الذى يوجه العمل لأنه كان ذكى الفؤاد مثل « الذى جنونى جداره » (يقصد الاله « بتاح » إله الحرف والصناعات والجمال) ، وقد أقامها في الوقت المحدد ، وقد مرقب من صوره ، ابن الشمس « تحتس الرابع » الذى يضى في التيجان » .

الواجهة الشرقية من اليمين : « الإله الطيب الشديد القوى ، ملك يستولى بانتصاراته ويث -
ذعره بين الأسيرين وزئيره بين البدو والنوبيين ، وهو الذى رباه والده آمون ليقوم بمهام الملك ثانية
في حين أن أمراء البلاد كلها يقدمون الخضوع لاسم جلالته وهو الذى يتكلم بفمه ، وينفذ يديه ، وكل
ما أمر به قد تم ، ملك الوجه القبلى « منخبورع » (تحتمس الرابع) « صاحب الاسم الخالد فى الكرنك
معطى الحياة » .

الواجهة الشرقية من اليسار : « ... منخبورع الذى ضاعف الآثافى الكرنك من ذهب
ولازورد وفيروزج ، وكل حجر ثمين فاخر . والسفينة العظيمة لعبد ابتداء النهر المسماة « وسرحات آمون »
قد صنعت من خشب الأرز الجسد الذى قطعه جلالته من بلاد رتنو وغشاها كلها بالذهب وكل زخرفتها
صنعت للرة الأولى لأجل أن تستقبل جمال والده « آمون » عند سياحته فى عيد « ابتداء النهر » . ليت
ابن « رع » تحتمس الرابع الذى يضىء فى تيجانه يعطى الحياة على يديه .

تاريخ هذه المسلة : وهذه المسلة تعد مثالا نفعا لما أخرجته يد المفتنين
والمهندسين المصريين المهرة ، ويبلغ وزنها حوالى ٤٥٥ طنا ، ولها تاريخ مخجل ففى
عام ٣٣٠ بعد الميلاد نقلها « قسطنطين » الأكبر عاھل الدولة الرومانية إلى الإسكندرية
رغبة منه فى إرسالها إلى بيزنطة لتجميل عاصمة ملكه الجديدة ، ولكن بعد ٣٧ عاما
من هذا التاريخ . نقلها ابنه « قسطنطينوس » إلى « روما » وأقامها فى ميدان « ماكسياس »
وفى عام ١٥٨٧ بعد الميلاد كشف عنها ملقاة ومكسرة ثلاث قطع فأصلحت ونصبت
فى المكان الذى هى فيه الآن وهو ميدان « اللاتيران » عام ١٥٨٨ على يد « دومنيكو
فونتانا » بأمر من البابا « سككس الخامس » الذى كان يعتقد فى قرارة نفسه أن أمره
برفع الصليب على قمتها مشوها إياها برهان على انتصار المسيحية على الوثنية ، ومن
المضحك أن نفس هذا التشويه قد نال تسع المسلات الأخرى المنتشرة فى أنحاء
روما ، ويبلغ ارتفاع كل واحد منها حوالى تسع وعشرين قدما . وربما لا نكون
مبالغين فى مطلبنا إذا انتظرنا من أولى الأمر فى « روما » إذا كانوا يريدون المحافظة
على تلك الآثار الرفيعة التى تدل على عظمة القومية المصرية والتى اختلست من
أرضهم أن يعيدوها إلى سيرتها الأولى التى كانت عليها بقدر المستطاع ، ولعمرك الحق

إن تعاليم المسيح السامية لاحتجاج إلى مثل هذه الرفعة الوضيعة لأن البعوضة قد تنسم أعلى قمم الجبال وأشهقها وهي مع ذلك بعوضة .

تحتمس الثالث يقيم مسلتين في معبد عين شمس وتنقلان إلى الأسكندرية : وقد أقام هذا الفرعون احتفالاً بنفس العيد الثالث الثلاثيني الذي أقام من أجله المسلة السابقة الذكر مسلتين آخرين بمعبد الشمس « بهليو بوليس » ويربى طول الواحدة منهما على سبعين قدماً وقد نقلهما من مكانهما الأصلي مهندس لإغريق يدعى « بنتيوس » إلى الأسكندرية حوالى العام الثانى عشرق . م . م ، وفى خلال القرن الرابع عشر من الميلاد سقطت إحداهما من فوق قاعدتها وقد نجت بأعجوبة من التهشم الذى أصاب زميلتها فى « اللاتران » .

إحداهما نقلت إلى « لندن » : وقد أهداها محمد على باشا إلى الأمة الانجليزية عام ١٨٣١ بعد أن كانت قد أهديت لها مرات عدة من قبل وقد بقيت بعد إهدائها ملقاة على الأرض حتى عام ١٨٧٧ وهو العام الذى نقلت فيه إلى إنجلترا على يد « جون ويمان ديكسون » بالنيابة عن السير « أرزمس ولسن » وقد أقيمت على شاطئ نهر التاميز . ومن العجب العجائب أو من الجهل المخجل الفاضح أن يسميها القوم هناك « مسلة كليوباترا » .

الأخرى تنقل إلى نيويورك : وقد أرادت الولايات المتحدة أن تجارى إنجلترا فى ذلك فنقلت المسلة الثانية إلى « نيويورك » وسماها الأمريكيون « مسلة كليوباترة » أيضاً وهى الآن قائمة فى « سنترال بارك » .

والنقوش التى على مسلة « لندن » ليست على أهمية أعظمى ، وأهم ما فيها نقش الإهداء :

« تحتمس الثالث » قد أقامها تذكاراً لوالده « حوراختى » الذى أقام له مسلتين فى عيد « سد » الثالث (العيد الثلاثينى) لأنه أحب والده كثيراً ، ليت ابن الشمس تحتمس يعطى الحياة على يدك أما نقوش مسلة « نيويورك » فطموسة ، ولا تقرأ وبخاصة نقش الإهداء ، والنقوش الأخرى هى :

الجانب الشرقى : حور الثور القوى الذى يضىء فى طيبة محبوب الإلهين الباقى فى الملك مثل « رع » فى السماء والذى أحبه « آتوم » رب عين شمس من جسده والذى سواه « تحوت » وهما اللذان صورا فى البيت العظيم فى جمال أعضائه ، عالمين أنه سيد يرثون الملك ، باق إلى الأبد ، ملك الوجه القليل والوجه البحرى « منخبر رع » (تحتمس الثالث) محبوب آمون الإله العظيم ، التاسع المقدس معطى الحياة والنبات والسرور مثل « رع » مخلدا .

الجانب الشمالى : حور الذى أخذ التاج الأبيض المنقط بضرب حكام الممالك التى تقرب منه كما قرر والده « رع » له النصر على كل الأرض ، وقوة السيف بساعده لأجل أن يمد حدود مصر « ابن الشمس تحتمس » .

تطبيق المؤرخين المحدثين على نقل المسلات من أماكنها الأصلية :

وهكذا يرى القارئ أن بعض ما أقامه أعظم فرعون فى مصر من الآثار قد نصبت كالأعلام فى العالم المتمدين تطل على ربوع « القسطنطينية » « فروما » « فلندن » ثم « نيويورك » فى حين أن بلاد الآلهة التى أهديت إليهم هذه الأعلام الشاغرة لا تملك مسلة واحدة من بينها . حقا إن مصر موطن المسلات الأصلية لا تملك إلا خمسة أمثلة من أعظم منشآتها المعمارية ، من بينها مسلة حقيقة قطعت من الحجر الخشن أقامها « سقوى الثانى » فى حين أن أعظم هذه المسلات شهرة وأكثرها جمالا منصوبة الآن فى ممالك متحضرة لا يعتنى أهلها بها عناية تليق بها لدرجة أنهم لا يسمونها بأسماء الملوك العظام الذين أقاموها ، والواقع أنه مما يسجل بالعار على المدنية الحديثة أن نشاهد هذه الآثار الفخمة التى نُقِحت عن مجد أثيل غابر قد أخذت تفقد من روائها وجمالها ، إلى درجة أن نقوشها قد أخذت كذلك تتلاشى ويضيع رونقها .

ويقول « أنجلباخ » مهندس البناء الإنجليزى ماذا عساه يكون شعور « تحتمس الثالث » عندما أمر بقطع هذه المسلات لاله « رع » لو أدرك أن واحدة منها ستقل إلى أرض لم يكن يحلم بوجودها فى العالم ، وأن الثانية ستقع فى يد قوم كانوا وقتئذ شعبا يهيم على وجهه فى الأحرار . ومع ذلك فإن هذه المسلات بعد أن قلبت

عليها غير الزمن وخيف عليها الفرق وأخطار القنابل لا تزال باقية منتصبة في مكانها بعد أن مضى على صنعها حقبة من الزمن تربى على ٣٤٠٠ عام ؟ .

وكذلك يعلق على ذلك المؤرخ « ويجل » بقوله الصائب : وإذا كان غرور جبل مضى من الإنجليز قد استحل لنفسه إقامة مسئلة في بلادهم ، قطعت من أنفجر حجر الجرانيت الأحمر لا يمكن أن تحفظ قيمتها وما تنطوى عليه من معان إلا إذا كانت قد بقيت في التربة التي نشأت فيها ، كما أن جمالها كان في حفظ لونها الرشيقة الأصل ، فإن أقل ما كان يمكن أن يقوم به أهالي «لندن» في أيامنا هذه من الاحترام والتقدير لهذا الجندى القديم الذي لا بد أنه يستخدم غيظا وحنقا (يعنى تحتمس الثالث) هو أن يحافظوا على نظافة أثره الذي أقامه لبيده الثلاثيني المقدس ، فيميطوا عنه ما لحق به من أذى وألا يسموه بالاسم المفعج الخاطيء « مسئلة كليونباترا » .

تحتمس الثالث والسودان

حملته إلى بلاد السودان في السنة الخمسين : يدل ما وصل إلينا من النقوش على أن آخر حملة حربية سار على رأسها « تحتمس الثالث » كانت إلى بلاد السودان في السنة الخمسين من حكمه ؛ أى قبل الاحتفال بعيده الثلاثيني الثالث . والظاهر أنه مكث في هذه الحملة مدة أكثر من المعتاد في تلك الجهات مما يدل على أن الأمر على ما يظهر لم يكن هينا ، فقد بقى « تحتمس الثالث » قرابة ثمانية أشهر في السودان ، ومالدينا من الوثائق يدل على اهتمام هذا الفرعون منذ بداية حكمه بشئونه وعلاقته به ، وبخاصة من الوجهة الدينية وقد أشرنا فيما سبق إلى أعماله الدينية في هذه الجهات ولكن لما كانت علاقة مصر بالسودان لها خطورها في كل الأزمان ، فإننا سنتناول هنا أعماله منذ حكمه الأول المنفرد حتى وفاته .

إصلاح معبد سمنه : وقد كان أول عمل صالح قام به هذا الفرعون بعد توليته العرش على أثر وفاة والده هو إصلاح محراب الفرعون « سنوسرت الثالث »

الذى كان قائما في معبد « سمنة » الواقعة عند الشلال الثانى . والواقع أننا لم نعث على شئ من بقايا المعبد الذى أقامه « سنوسرت الثالث » هناك قط اللهم إلا إذ كانت لوحة « سمنة » الثامنة جزءا منه ، وقد ثبتها « تحتمس الثالث » فى جدار المعبد الجديدي الذى أقامه . هذا إلى أنه دون على الجدران الجديدة القوائم القديمة التى كان قد نقشها « سنوسرت الثالث » بأسماء الأعياد والقرايين .

تأليه سنوسرت الثالث : يضاف إلى ذلك أن هذا المعبد قد خصص للالهين « خنوم » و « يدون » ولكن يلاحظ أن « تحتمس الثالث » قد أضاف إليهما إلهة ثالثة وهو « سنوسرت الثالث » إذ كان مؤلها بوصفه بطل مصر الذى فتح بلاد النوبة وثبت حدودها عند الشلال الثانى ؛ وأقام هناك لوحته الشهيرة وهنا يلحظ من جانب « تحتمس الثالث » لفنة سامية تشعر باحترام أكبر فاتح للأسرة الثامنة عشرة ، لأكبر فاتح فى الأسرة الثانية عشرة وتلك اللفنة لم نشاهدها بكل أسف فى الأسرة التاسعة عشرة التى كان دين ملوكها تخريب معابد من سبقهم حتى آبائهم اللهم إلا « سبتى الأول » فكان مصلحا لا غريبا وقد أتم « تحتمس الثالث » هذا المعبد فى السنة الثانية من حكمه ، وتدل النقوش دلالة صريحة على أن « حنشبوت » لم تشارك معه فى الملك وقتئذ ؛ إذ نشاهد فى النقوش التى رسمها على جدران هذا المعبد لتجديد قربانه « سنوسرت الثالث » على عرشه ، وأمامه يقف « تحتمس الثالث » وهاك النص : « السنة الثانية — الثمر الثانى — الفصل الثالث — اليوم السابع فى عهد جلالة الملك « تحتمس الثالث » معلى الحياة .

مرسوم التجديد : ما نطق به جلالة الفرعون له الحياة والفلاح والعافية — لحامل الخاتم الملكى والسير الوحيد وابن الملك وحاكم البلاد الجنوبية [تورى ؟] . اجعل القرايين المقدسة تنقش وهى التى أوقفها ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب القربان « خع كادوع » (سنوسرت الثالث) ...

في معبد والده الإله « ديدون » المهيمن على بلاد النوبة ، والولد المتقم ، لأجل أن يقوم بأعمال منازة لوالده الذى أنجبته ، وقربان الصيد حتى يذكر اسمه في بيت والده « خنوم » الغال لأنسوام الأقواس التسعة ، وقاهر الشاسو (البدو) حينما كان الفرعون « خع كاورع » (سنوسرت الثالث) بين الأحياء وحينما كان حيا ... الإله وقد جعل القرايين المقدسة تقدم للالهة ، وكذلك قدم قربان جنازى للوق من جلالتة ، وأنشئت قرايين جديدة أيضا ... في بيت والده « ديدون » ، وليذكر اسمه في بيت والده « خنوم » غال قبائل الأقواس التسعة ، وقاهر الشاسو (البدو) .

قائمة سنوسرت الثالث : « يقدم برا من الجنوب وشوفانا لم (الآلهة) وماء « واوات » ... لوالده « ديدون » المهيمن على بلاد النوبة وقربانا لعبد رأس الفصول ، خمسة عشر حقنا من برا الجنوب لأجل والده « آمون » المهيمن على بلاد النوبة ، وكذلك خمس وأربعون وستائة حقت وعشرون حقنا من الشوفان ... لوالده « خنوم » غال قبائل الأقواس التسعة ، وقربان عيد أول الفصول : خمسون حقنا من برا الجنوب ، وخمس وعشرون وأربعمائة من برا الجنوب ومن الشوفان عشرون حقنا كل سنة لوالده « خنوم » غال الأقواس التسعة ، وثور من القطيع لصيد السنة الجديدة لأجل والده « ددون » ، وثور ... وثور من القطيع للعبد المسى « طرد المتوحشين » وهو الذى يقع في الشهر الرابع من الفصل الثانى في اليوم الواحد والعشرين ، قربان عيد « أول الفصول » : خمسون حقنا من برا الجنوب ، واثنان ومائتا حقت من برا الجنوب أيضا ، وخمسة عشر حقنا من الشوفان ؛ وفي كل سنة لعبد « طرد المتوحشين » يقدم تكان ملكى ، ٨ ... لأجل العبد الذى يقع في أول الفصل الثالث (الشهر التاسع) : ثور من القطيع لوالده « خنوم » غال قبائل الأقواس التسعة وقاهر « الشاسو » : ٦٢ حقنا من برا الجنوب كل سنة لزوج الملك ... حقنا من برا الجنوب كل سنة لزوج الملك العظيمة « مرمجر » في عيد « طرد المتوحشين » : ١٣٥ حقنا من برا الجنوب و ١٠ حقنا من الشوفان ؛ أما للفرعون « خع كاورع » (سنوسرت الثالث) فيقدم ... وقد فرض جلالتة هذه الأشياء على حكام قلاع الفتيين الجنوب ، وجعلها مستحقة كل عام على الدوام دون انقطاع .

الإهداء للإله « ددون » و « سنوسرت الثالث » : وكذلك يشاهد في داخل المعبد على الجدار الغربى قارب مقدس يحتوى على محراب فيه تمثال « سنوسرت الثالث » ويرى خلفه « سنوسرت الثالث » والإله « ددون » ، والإله يضم الملك ، وهنا يخاطب الإله « ديدون » الملك « تحتس الثالث » قائلا : ” يا بنى المحبوب « منخبروع » ما أجمل هذا الأثر الحسن الذى أفته لابنى المحبوب ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خع كاورع » (سنوسرت الثالث) ، لقد خلدت اسمه إلى الأبد لتبقى أنت مخلدا “ .

وعلى الجدار المقابل يشاهد منظر مماثل للسابق يقول فيه الإله « ددون » :
« لقد جددت ولادته مرة ثانية في الذكريات ، ولقد قدمت له موائد قربان كثيرة من الفضة والذهب
والبرنز والنحاس والأبنوس . ومكافأتك على ذلك هي الحياة الراضية مثل « رع » مجددا .

أما نقش الإهداء الكامل فيوجد على الجدار الخارجى من جهة الغرب وهو :
الإله الطيب « منبرع » (تحتمس الثالث) قد أقامه بمثابة أثره لوالده « ديدون » المهيم على بلاد
النوبة ولللك « خع كاوع » (سنوسرت الثالث) فأقت لها معبدا من حجر بلاد النوبة الأبيض ولو أن
جلالى قد وجده من لبنات مهدمة ، كما يفعل ابن على حسب رغبة والده الذى أهدها القطرين ، والذى
أحضره إلى « حور » رب هذه البلاد . ولقد قررت في قلبي القدسى أن أقيم هذا الأثر لأجعله قويا على
حسب ما أعطى ... لأجل أن أخلد بنيه أبدا لأنه أعظم من أى إله ، وقد منحى كل الحياة والنبات
والانتراح مثل « رع » مجددا^(١) .

ومما سبق نرى أن « تحتمس الثالث » لم يقيم بأى عمل عدائى في بلاد النوبة
أو في السودان في المدة الأولى من حكمه ، وقد ظلت الحال كذلك حتى السنة
الخمس من عهد هذا الفرعون كما أسلفنا ، غير أننا لانعرف إذا كان قد قام بغزو هناك
أم لا ، إذ أن ما وصل إلينا عن هذه الحملة مبهم ، حيث نقرأ عند ما كان الفرعون
مارا في القناة التى عند الشلال الأول قد اضطر لتطهيرها من الأحجار التى سبقتها
كما جاء ذكر ذلك في نقوشه التى تدل على أنه أمر بحفرها في تلك الفترة كما سنذكر
هنا ، وخلافا لذلك نجد الفرعون قد خلد ذكرى انتصاراته على بلاد النوبة بما
وجدناه منقوشا على واجهة كل من برجى بوابة من بوابات الكرك ، فنجد قائمة
باسماء سبع عشرة مدينة وإقليما مما استولى عليها في هذه الجهات^(٢) ، وكذلك نجد على
إحدى القوائم منظرا مهشما الآن تهشيا شديدا يمثل الملك يضحي بأعدائه النوبيين
أمام الإله « آمون » ، وقد فسر هذا المنظر بالمتن التالى : إحضار الأسرى الأحياء إلى
مصر ، وقد سبقت كل قطعاتهم معهم إلى مصر ، ولقد ملأ مخزن والده رب الآلهة بـ ... من الرؤساء
الذين ظفريهم ، ولم يفعل الملوك مثل هذا من قبل في هذه الأرض ، وسيتبقى اسمه أبدا الأبدى .

(١) راجع : Urkunden IV, 193 - 198.

(٢) راجع : Daressy, "Rec. Trav.", XI, P. 154.

هذا وتوجد قائمة أخرى أكثر عددا من السالفة نقشها الفرعون من صورتين على كل من برجي البوابة السادسة لمعبد الكرنك، وهذه القائمة تحتوى على سبع عشرة ومائة بلد وإقليم فتحها الفرعون. وقد رسم فوق إحدى هاتين القائمتين منظر يشاهد فيه الإله « ديدون » إله بلاد النوبة يقود الملك « تحتمس الثالث » ويقدم له هذه البلاد، وفوق القائمتين نجد المتن التالى :

« قائمة بأسماء البلاد الجنوبية : بلاد النوبيين الذين هزمهم جلالة فى مذبحه عظيمة لا يحصى عدد قتلها وقد ساق كل رعايا النوبيين أسرى أحياء إلى طيبة ليسر قلب والده « آمون رع » رب طيبة تأمل ! فإن كل الأراضى أصبحت رعايا جلالة كما أمر والده « آمون » .

وكذلك نجد أن « تحتمس الثالث » دُون قائمة أخرى على البوابة السابعة تحتوى عددا عظيما جدا من أسماء البلاد والأقاليم دُون منها الأستاذ « زيته » نحو ١٤٤ اسما^(١). ويقول الأستاذ « برستد » إن هذه القائمة ربما كان يربى عددها على أربع مائة اسم^(٢). ومما يؤسف له جد الأسف أن معظم هذه الأسماء مجهول موقعه لنا حتى الآن مما عقد موضوع جغرافية بلاد السودان، ولذلك لا نستطيع أن نحدد على وجه التأكيد إلى أى حد وصل « تحتمس الثالث » فى فتوحه فى الأقاليم السودانية، ومن المؤكد أنه قد وصل فى زحفه حتى « نباتا » عند الشلال الرابع على أقل تقدير؛ إذ قد عثر الأستاذ « ريزنر » على لوحة له عند جبل « بركال » (أى الجبل المقدس) غير أنه لم يتحدث فيها عن حروبه فى السودان^(٣). وفضلا عما ذكرنا يوجد نقش قصير فى مقبرة « انخى » يشير إلى أسرى وأسلاف من بلاد النوبة، وقد قال عنه « برستد » أنه من عهد « تحتمس الثالث » غير أن الأستاذ « زيته » يقول إنه من عهد « تحتمس الأول » وقد نشأ تضارب الرايين من اختلاف كيفية قراءة طغراء الملك، والمرجح أنه من عهد « تحتمس الأول »^(٤).

(١) راجع : Urkunden IV, P. 801 - 806.

(٢) راجع : Breasted, A. R. II. § 259.

(٣) راجع : A. Z. LXIX. (1933) P. 24.

(٤) راجع : Breasted, A. R. II., § 259; Urkunden IV, P. 70.

نقوش القناة : وعند ما قام « تحتمس الثالث » بحملته إلى بلاد النوبة في شتاء السنة الخمسين من حكمه كان في سن الشيخوخة ، والظاهر أنه لم يعد من حملته حتى فصل اعتدال الجوف في مصر ، أى في أبريل . والمفهوم أنه عند ما بدأ الرحلة كان في فصل فيضان النيل وهو الفصل الذى كانت تذهب فيه الحملات عادة إلى بلاد السودان ، ويرجع السبب في ذلك إلى أنه كان من اليسير على السفن أن تسير عبر الشلال في هذه الفترة ولكن عند العودة كانت المياه منخفضة ولذلك كان من المستحيل على السفن المرور في هذه الجنادل الصخرية الوعرة ، وقد فطن ملوك مصر منذ الدولة القديمة لهذه الظاهرة ، فاتخذوا لأنفسهم الحيلة ، وشقوا قناة لعبور سفنهم في العودة متفادين بذلك الشلالات ، وقد تبعهم في ذلك ملوك الأسرة الثانية عشرة ، إذ قد حفر « سنوسرت الثالث » قناة هناك ، ولكنها سدت ، وقد كراها « تحتمس الأول » واستعملها ثانية في حروبه ، وقد وجد « تحتمس الثالث » أنها سدت بالأحجار كره أخرى فأمر بكريها لتعود منها سفن حملته ، وقد ترك لنا وثيقة تحدثنا عن عمله هذا نقشت على صخرة في هذه الجهة بعينها وهذا نصها . « في السنة الخمسين الشهر الأول من الفصل الثالث ، اليوم الثانى والعشرون من حكم جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبروع » (تحتمس الثالث) مطلق الحياة أمر جلالة بحفر هذه القناة بعد أن وجدها مسدودة بالأحجار لدرجة أنه لا يمكن لسفينة أن تسبح فيها ، وقد انحدر في النيل عليها وقلبه منشرج لأنه ذبح أعداءه . واسم هذه القناة هو « فتح هذا الطريق في جمال منخبروع العائش مخلدا » . وعلى صيادى « الفتين كرى هذه القناة سنويا » .

ومن ذلك نعلم أن « تحتمس الثالث » لا بد قد سار في حملته هذه لتأديب العصاة في السودان إذ يقول إنه عاد بعد ذبح أعدائه . يضاف إلى ذلك الغنائم التى تركها على أبواب معبد الكرنك ، غير أنه يحتمل أن تكون قوائم تقليدية كان الفراعنة يتوارثونها كما جرت العادة ولكنا ننتك كثيرا فى أن يأتى « تحتمس الثالث » مثل هذا العمل . وقد كان « نعى » حاكم السودان فى عهده هو الذى قام له بإصلاحات عدة أجريت فى معبد « سمنة » كما يشير إلى ذلك نقش مهمم .

الآثار التي خلفها تحتمس الثالث

حدود امبراطورية تحتمس الثالث : دان العالم المتمدين لسطوة «تحتمس الثالث» وعز سلطانه حتى صار قبل وفاته يسيطر على امبراطورية تمتد من أعلى نهر دجلة والفرات شمالا حتى مدينة نباتا عند الشلال الرابع جنوبا ، ولم يخف على فطنة « تحتمس » أن يحدد لأخلافه من بعده حدود امبراطوريته كما فعل « سنوسرت الثالث » عند ما وضع لوحة الحدود الشهيرة عند « سمنة » . إذ أنه لما عبر نهر الفرات أقام لوحة تذكارية في الجهة الغربية من هذا النهر لتكون بمثابة آخر نقطة وصلت إليها فتوحه في الشمال ، غير أنه لم يكشف عنها حتى الآن مع الأسف ، ولا نعلم ماذا دون عليها على وجه التحقيق ، أما في الجنوب فقد حدد فتوحه كذلك بلوحة من الجرانيت أقامها عند جبل « بركال » على مقربة من مدينة « نباتا » وهذه النقطة هي على ما يظهر آخر ما وصل إليه الفتح المصري في كل عصور التاريخ القديم ، وقد حدثنا فيها هذا الفرعون عن قوة سلطانه ، وما أحرزه من انتصارات على الآسيويين دون أن يشير إشارة صريحة إلى انتصاراته على بلاد « كوش » ، ولا عجب إذن إذا كان « تحتمس الثالث » قد تفاضى قصدا عن ذكر انتصاراته على السودانيين تفاديا من جرح شعورهم أو التنديد بهم في عقر دارهم . فهل يا ترى قد تغافل « تحتمس الثالث » في اللوحة التي أقامها عند نهر الفرات عن ذكر انتصاراته على الآسيويين (٩) وإذا كانت الأشياء تقاس بأشباهها فقد يكون ذلك ليس ببعيد على رجل ضرب الرقم القياسي على ما يظهر في ميدان الحرب والسياسة معا . وبين هذين الأثرين ؛ أى لوحة الفرات ولوحة جبل « بركال » تقع امبراطورية « تحتمس الثالث » التي دانت له بحمد السيف ومضاء العزيمة وحسن السياسة ، وسنرى فيما يلي أن آثاره قد عمت كل جهات هذه الامبراطورية بدرجة لم يسبق لها مثيل في عهد أى فرعون قبله ؛ وسنتحدث عن هذه الآثار بشيء من اختصار بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا مبتدئين من بلاد « نهرين » شمالا حتى « نباتا » جنوبا .

آثاره في آسيا : أقام تحتس لوحة تذكارية عند أقصى حدود فتوحه الشمالية على نهر الفرات بالقرب من مدينة « نى »^(١) التي تقع على مسافة أربعين ميلا في الشمال الشرقى من « حماة » ، غير أننا لا نعرف ما جاء فيها حتى الآن . أما آثاره الأخرى في آسيا فنعرف منها اللوحات التي تركها لنا في شبه جزيرة سينا^(٢) ، إذ قد عثر له على لوحة في « سراية الخادم » مؤرخة بالسنة الخامسة والعشرين ، وقد رسم في أعلاها منظر يشاهد فيه الفرعون مقدما قربانا للإلهة « حتحور » ويلمح أن أحد كبار موظفيه المسمى « تاي » يقبض بيده على مروحة خلف الفرعون ويحمل الألقاب التالية : « الأمير الورائى والحاكم وحامل الخاتم والسفير الوحيد والمشرّف على المالية — تاي » ثم يأتى بعد ذلك مديح للفرعون ونص الفرض الحملة من وهو استخراج المعادن من هذه الجهات^(٣) .

وكذلك وجد له لوحة في هذه الجهة مؤرخة بالسنة السابعة والعشرين يرى عليها الملك ثانية يقدم قربانا للإلهة « حتحور » ربة هذه الجهة^(٤) ، وكذلك وجد جزء من باب باسم هذا الفرعون بجوار هذه اللوحة . وفي « وادى مغارة » عثر له على نقوش من عهده أيضا مؤرخة بالسنة السادسة عشرة ، وفي سراية الخادم^(٥) . وكذلك وجدت قطع من أوانى الفخار المطفى عليها اسم « تحتس الثالث » أيضا^(٦) .

(١) تحتل أنها « قلعة الموضيق » الحالية الواقعة على مسافة أربعين ميلا في الشمال الغربى من « حماة » .
(٢) قد وجد لهذا الفرعون في « سراية الخادم » آثار مؤرخة بالسنين الآتية الخامسة ، والثالثة عشرة والخامسة عشرة ، والسابعة والعشرين . (راجع ، Gardiner and Peet, "Sinai", P. 180, 196, 198, وكذلك ذكر اسمه في نفس المصدر من ١٨٨ — ٢٠٤ ، وله بيان في هذه الجهة (راجع ، Petrie, "Researches in Sinai", P. 79.)

(٣) راجع : Urkunden IV, P. 886 - 889.

(٤) راجع : Petrie, "History", II, P. 126.

(٥) راجع : Murray, "Handbook for Travellers in Egypt" (Ed. : London 1880) P. 3.

(٦) راجع : Birch, "Pottery" P. 56.

نتقل بعد ذلك إلى التحدث عن آثار « تحتمس » في الدلتا ، ففي بلدة كوم الحصن الحالية التي تقوم على أبقاض بلدة « آمو » القديمة التي تقع في المقاطعة الثالثة من مقاطعات الوجه البحري يظهر أنه قد أقام فيها معبدا ، وقد بقيت بعض آثاره على الرغم من تهديم المعبد تهديما شاملا ، فقد عثر له على أنية من أثار المعبد اشتراها « بترى » من القاهرة وقد نقش عليها : « محبوب » « حتحور » « سيدة آمو » وهذا الإناء موحد مع أسلوب الأواني التي عثر عليها في أساس معبد « قفط » الذي بناه هذا الفرعون (Petrie Collection) .

وفي « عين شمس » قام هذا الفرعون بأعمال عظيمة فقد عثر « ليسوس » على لوحة مستدير أعلاها رسم عليها منظر يشاهد فيه « تحتمس الثالث » يقدم قربانا للإله « حوراختي » ، وأسفل هذا المنظر دقن النقش التالي .

« السنة السابعة والأربعون من عهد جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري « منخبرع » ابن الشمس « تحتمس الثالث » ، عاش نخدا . أمر جلالة بإحاطة هذا المعبد بمجدار سميك من الحجر لأجل والده « حوراختي » الخالد وذلك عندما نظف عين شمس (بيت رع) ... »^(١)

ويوجد في متحف القاهرة عمود باب نقش عليه إهداء من « تحتمس الثالث » وهاك نصه : « لقد صنه تذكارا لوالده « آمون » رب عين شمس ، فأقام له (بوابة) من حجر « يينوت » تسمى « طاهرة قربان منخبرع » محبوب آلهة عين شمس^(٢) . وفي « منف » أقام معبدا للإله « بتاح » على حسب ما جاء في نقش في « سقارة »^(٣) ، وكذلك وجد له في « منف » لوحة من البرنز (راجع A. S. III. P. 141) ، وفي بلدة « غراب » الواقعة عند مدخل الفيوم أقام هذا الفرعون معبدا ومدينة حوله عند نهاية سد الفيوم^(٤) .

(١) راجع : L. D. III. Pl. 29b.

(٢) راجع : Breasted, A. R. Vol. II. § 643; Sharpe, "Egyptian Inscriptions", Vol. II. P. 34.

(٣) راجع : Petrie, "History" II, P. 403.

(٤) راجع : Petrie, "Illahun, Kahun and Gurob", Pl. XXX.

وشرعى « باب عتب » عليه اسمه موجود الآن فى مدينه « أدليد »^(١) ، وكذلك عثر على أحجار أخرى ، نقش عليها اسم « تحتمس الثالث » والمحو الذى على هذه الآثار يدل على أن المعبد قد ظل قائما حتى عهد « أخناتون » أى أن اسم آمون كان يحى كلما وجد على حجر من هذه الأحجار ، والظاهر أن المعبد قد خرب وأزيل من مكانه وبُنيت على أنقاضه المنازل . ولا شك فى أن هذه المدينة قد خربت فى عهد الغزو الأجنبي الذى حدث فى عهد « مرنبتاح » ولم تعد تسكن بعد .

وفى « البرشه » نقشت على الصخر لوحة مؤرخة بالسنة الثالثة والثلاثين من حكم « تحتمس الثالث » وقد دَوّن عليها دعاء بملايين أعياد ثلاثينية^(٢) . وفى « أخميم » نقش منظر على حجرة قطعت فى الصخر يشاهد فيه « تحتمس الثالث » يتعبد للإله « آمون مين » . وكذلك وجد له نقش فى موقع المعبد القائم هناك^(٣) . وفى العرابة المدفونة عثر على تمثال ضخم جدا للإله « أوزير » نقش على ظهره اسم هذا الفرعون^(٤) .

كما وجد له آثار معبد هناك أيضا (راجع Petrie, "Abydos", II. Pl. LVII). وبوابة عليها اسمه وقربان ومواد أساس (راجع Ibid. I, Pls. LXI, LXIV, Ibid. II. Pl. XXXIII. & ibid II, Pl. XXXIV; ibid. I. Pl. LXI. راجع : ("Ancient Egypt", 1915, P. 24; "Rec. Trav." XXXIV, P. 52) وفى سمهود وجدت له جمارين (راجع A. S. XII. P. 82) .

وفى « دندرة » وجدت له نقوش فى إحدى الحجرات السرية تنص على إصلاح الآثار على يد الفرعون رب الأرضين « منخبرع » وسيد التيجان « تحتمس الثالث »

(١) راجع : Ibid. Pl. XXIV.

(٢) راجع : Petrie, "Kahun". P. 32. Pl. 22.

(٣) راجع : L. D. III, Pl. 26f.

(٤) راجع : Ibid. Pl. 29d.

(٥) راجع : Murray, Ibid. P. 431.

(٦) راجع : Mariette, "Abydos".

على حسب ما وجد في الكتابات القديمة التي ترجع إلى عهد « خوفو »^(١) . ولا تزال توجد قطعة حجر من آثار « تحتمس الثالث » في معبد « دندرة » الحديث . وكذلك أهدى هذا الفرعون صاحات من الفيروزج طولها ١٦ أصبعا تشاهد صورتها في مباني المعبد الذي يرجع إلى عهد البطالمة^(٢) .

وفي وادي الحمامات وجد نقش عليه اسم الفرعون مما يدل على أنه كان يرسل الحملات لقطع الأحجار من هناك^(٣) .

معبد قفط : أما في « قفط »^(٤) ، فإنه بنى معبدها كله من جديد ، وهذا المعبد كما هو معروف خاص بعبادة الإله « مين » إله هذه البلدة وإله الصحراء . وعلى الرغم من أن هذا المعبد أعيد بناؤه بعد « تحتمس » مرات عدة فإن آثار هذا الفرعون قد بقيت إلى الآن إذ عثر في أساسه على نماذج آلات ومجاديف وأوان من المرمر وكية عظيمة من الفخار منقوش على أهمها اسم « تحتمس الثالث » محبوب « مين » صاحب « قفط » وقد قطعت أحجار هذا المعبد من الحجر الرملي المستخرج من محاجر « سلسلة » بدلا من الحجر الجيري الأبيض الذي كان يستعمل في بناء المعابد قبل هذا العهد . أما أعمدته فقد نحتت من الجرانيت الأحمر ، ومثل عليها الملك يقدم القربان للإله « مين » ، ومن المحتمل أنها استعملت ثانية في معابد محدثة إذ قد بقيت في متناول القوم حتى العهد المسيحي فنقلت خرائب المعبد واستعملت لإقامة الكنيسة القبطية الموجودة في هذه الجهة ، ولم يبق منها إلا هذه الأعمدة .

(١) راجع : Dumichen, "Baugeschichte des Denderatempels und Beschreibung der einzelnen Theile des Bau Werks nach den an seinen Mauern befindlichen Inschriften", I.,

(٢) راجع : Dumichen, Ibid, Pl. III. d

(٣) راجع : Ibid. Pl. 11, c

(٤) راجع : Murray. "Guide", P, 326.

(٥) راجع : Petrie, "Koptos", Pl. XIII - XVI.

وفى «طوخ» وجد له مبان^(١) وفى خرائب بلدة «نبت» (بلاص) المقابلة لبلدة «قسط» على الضفة الثانية للنيل وجدت قوالب من اللبن باسم هذا الفرعون وباسم ابنه «أمنتب الثاني» مما يدل على أنهما هما اللذان أقاماهما ، هذا الى أنه وجد حديثا بعض قطع من الأساس وكذلك قائمة باب من الحجر الرمل نقش عليها اسم «تحتمس الثالث»^(٢) .

أما فى الكرنك فقد أقام «تحتمس الثالث» مباني نفخة أشرنا الى معظمها فيما سلف .

معبد مدينة «هابو» : وفى مدينة «هابو» أتم هذا الفرعون المعبد الذى كان قد بدئ فى بنائه منذ عهد جدّه ، وهو الذى بنى معظمه والده وزخرفه هو و«حتشبسوت» . وهذا المعبد لم يكن فى ذلك الوقت إلا مبنى صغيرا ، وفى نهاية الأسرة «الثامنة عشرة» أصلح من شأنه الفرعون «حور محب» ثم «سيتى الأول» و«رعمسيس الثانى عشر» ثم أخيرا الفرعون «پنوزم» (الأسرة الواحدة والعشرون) ، وذلك على حسب ما ذكره كل منهم على الجدار الأمامى للمعبد ، وبعد ذلك جاء «طهراقا» (فى الأسرة الخامسة والعشرين) وأضاف للمعبد ردهة أمامية و(بوابة) مخترقا بذلك حدود معبد «رعمسيس الثالث» . وفى عهد الأسرة الثلاثين أضيفت ردهة أخرى أمام السابقة ثم جاء «بطليموس العاشر» وأضاف بوابة أمام هذه الردهة الأخيرة ، وأخيرا أضاف الامبراطور «أنطونيوس» ردهة أمام كل ذلك^(٣) .
أما فى معبد الدير البحرى فإن «تحتمس الثالث» أتم بناءه بعد موت «حتشبسوت» إذ يلاحظ فى هذا المعبد باب بأكله قد نقش باسمه^(٤) مما يدل على أن المعبد لم يكن قد تمّ فى عهدها .

(١) راجع : "Rec. Trav". XVI. P. 44.

(٢) راجع : Petrie, "History", II, P. 128.

(٣) راجع : L. D. III, Pls. 7, 27 - 8, 37 - 38.

(٤) راجع : Dumichen, "Historische Inschriften altägyptischer Denkmaler", II, Pl. XXIV.

وفي معبد « الأسرة الحادية عشرة » الملاصق لمعبد « حتشيسوت » أقام « تحتمس الثالث » مقصورة صغيرة للبقرة المقدسة التي كانت تعد صورة من صور الإلهة « حتحور » الموكلة بحماية هذه الأماكن الصحراوية ، وقد وضع في هذه المقصورة



(٣١) مقصورة البقرة حتحور

تمثال بقرة ، وقد مثل الفرعون نفسه يرضع اللبن المقدس من ثديها ، والمقصورة والتمثال موجودان الآن بالمتحف المصرى .^(١)

وفى بلدة « طود » الواقعة جنوبى « طيبة » عثر على قطع من الحجر منحوتة نقش عليها اسم هذا الفرعون^(٢) ، جاء فيها : ” يعيش حور... ملك الوجه القبلى والبحرى « منجرع » المختار من « رع » عمله بمثابة أثره لوالدته « نختب » ربة « فعخ » وقد أقامه لها معبداً .

معبد تحتمس الثالث فى أرمنت : أقام تحتمس الثالث فى بلدة أرمنت معبداً ضخماً للإله « متو » يعدّ من أكبر الآثار التى خلفها لنا هذا الفرعون بين مبانيه كلها وقد عثر على بعض بقايا هذا المعبد من النصف الأول من القرن التاسع عشر وبخاصة ما وجده « لبسبويس » من قطع منقوشة نحت عليها اسم هذا الفرعون (راجع L. D. IV. Text. P. I.) . وكذلك نقل « الكونت سنت فربول » أثناء سياحته فى شتاء ١٨٤١ — ١٨٤٣ ميلادية عدّة قطع من معبد « أرمنت » معظمها يرجع إلى عهد هذا الفرعون وهى الآن محفوظة بمتحف « جرينوبل »^(٣) .

الكشف عن المعبد : وقد كشف حديثاً عن هذا المعبد كشفاً علمياً فى السنين الأخيرة ، وتدل قطع الأساس والنقوش العدة ورسم بوابته على جدران مقبرة الكاهن « خنسو » فى جبانة « شيخ عبد القرنة » رقم ٣١ وما عليها من نقوش على أن هذا المعبد كان من معابد الدرجة الأولى التى أقامها هذا الفرعون ، ولا غرابة فى ذلك فإن الإله « متو » كان يعدّ إله الحرب الأعظم بين الآلهة المصرية فى كل عصور التاريخ . وثالوث « أرمنت » كان يتألف من الإله « متو »

(١) راجع : Maspero, "Guide", (1910) P. 125.

(٢) راجع : Wiedemann, "Geschichte", P. 362.

(٣) راجع : Tresson, "Catalogue Descriptif des Antiquities Egyptiennes de la Salle Saint Ferriol". (Grenoble, 1933.)

(٤) راجع : Mond & Meyer, "Temple of Armant" P. 25 - 27. & Pl. IX.

والإلهة « إيونيت » ثم الإلهة « تنيت » أى من ذكر وأنثيين ، على غرار « ثالوث أسوان » .

ولم يبق لنا قائما من جدران هذا المعبد إلا بعض جدران البوابة السفلية . وقد عثر على قطع عدة من الأحجار عليها اسم « تحتمس الثالث » أعيد بناؤها في المعبد البطليموسى . وعلى الرغم مما أصاب المعبد من التخريب والتدمير فإنه قد بقي لنا على جزء البوابة المحفوظ منظر من الأهمية بمكان عظيم . وهذا المنظر يمثل موكبا على الواجهة الداخلية من الجناح الشرقى للبوابة في الجهة الشمالية ... وهو يفسر لنا بالصور والنقوش نتيجة حملة مظفرة قام بها هذا الفرعون في بلاد النوبة ، ويحتمل أنها نزهة للصيد والقنص قد عاد الفرعون منها بغنائم ؛ ومما يلفت النظر أن الرسوم قد نقشت برشاقة ودقة بالغة ، كما أنها رسمت بكل عناية مما جعلها تحاكي الطبيعة . وقد اختلف علماء الآثار في العهد الذى تنسب إليه ، غير أن كل شواهد الأحوال تدل على أنها من عصر « تحتمس الثالث » .

الموكب : وهذا الموكب يسترعى النظر في تفاصيله . ففي بدايته نشاهد حيوانا ضخما تدل كل ملامحه على أنه بلا شك نحرئت (وحيد القرن) غير أن تمثيل سيقانه لا يطابق الواقع . وتدل النقوش التفسيرية الخاصة بهذا الحيوان على أن صيده كان حدثا جللا في تاريخ الصيد والقنص عند المصريين القدماء ، ففضلا عن رسم هذا الحيوان على جدران المعبد وكيفية صيده نلاحظ أن « تحتمس » الثالث قد أمر بنقش مقاييس أجزاء جسمه عرفنا منها أن طول قرنيه كان نحو ذراع وشبر ، وارتفاع ساقه الأمامية خمسة أذرع ونصف ، ومحيطه ثلاثة أذرع وخمسة أشبار ، ومحيط قدمه الأمامى ذراعان وشبر ، ومحيط بطنه ثلاثة عشر ذراعا وشبران وطول ساقه الخلفية أى المحيط بالقرب من العجز خمسة أذرع وثلاثة أشبار . ويلاحظ أن بعض هذه المقاييس لا ينطبق على الواقع الآن بل فيه مبالغة ، ولم يبق لنا من صور الرجال الذين كانوا يقبضون على هذا الحيوان إلا بعض أجزاء ، غير أن رسمهم

يدل على أنهم كانوا أقوياء . وبعد ذلك نشاهد في الموكب حامل الجزية ، وتشمل ريش نعام وبيض نعام وثيراء ، وركائز من المعادن ، وفطائر ورقدة . هذا ونشاهد أسماء بعض البلاد التي استولى عليها الفرعون ، وغير ذلك من المناظر المألوفة .

وقد كتب في نهاية الموكب النقش التالى : « النعمة التي استولى عليها الفرعون في صحراء أراضى بلاد « الكوش » الخاسين في خلال حملته الأولى المظفرة عند ما كان وحيدا معتمدا على ساعده للقوى ، ولم يكن معه شخص آخر . (^(١) وإذا كان الإنسان يقص كل حادث قام به هذا الفرعون على حدة فإن ذلك يفوق المليون ومئات الألوف بل ويفوق رمال شاطئ البحر عددا » .

والواقع أن هذا النقش لا يدل دلالة واضحة على شيء معين ، اللهم إلا أن الفرعون قام بحملة مظفرة في بلاد النوبة لم يحدد لنا تاريخها .

وقد عثر على بقايا تماثلى « بو الهول » بالقرب من بوابة المعبد السالفة الذكر ، نقش على صدر كل منهما اسم الفرعون « تحتمس الثالث » ومن المحتمل جدا أنهما ضمن تماثيل « بو الهول » التي كانت قد نصبت على كلا جانبي الطريق المؤدى الى بوابة المعبد كما نشاهد ذلك في معبد الدير البحرى الذى أقامته « حتشبسوت » .

على أن أهم أثر عثر عليه في هذا المعبد هو اللوحة العظيمة المنحوتة في الجرانيت الأحمر باسم هذا الفرعون ، والظاهر أنها قد سقطت من مكانها الأصلي ، وهو واجهة (البوابة) ، ومما يؤسف له أنها قد وجدت مهشمة ، وقد يكون ذلك عمدا . وكان ارتفاعها الأصلي حوالى ٢٢٢ سنتيمترا وعرضها حوالى ١٢٤ سنتيمترا . أما ارتفاع النقوش الباقية فهو نحو ٨٠ سنتيمترا .

وينشاهد في أعلى اللوحة منظر يحتوى على قرص الشمس الممجد نقش تحته مباشرة : « حور مجدت الإله الأعظم ، لينة يعطى الحياة » ، وأسفل هذا النقش منظران يفصلهما نقوش هي : « ^(٢) لى أعطيك ملايين السنين وأجعل الممالك كلها

(١) ومعنى ذلك أن أعماله يخطئها المد .

(٢) وتدل قائمة الخراج على أن « أرمنت » و « إلفتين » كانتا تضافان خراجا أكثر من أى إقليم فى الوجه القبطى .

تخضع تحت نعليك، إني أعطيك كل الحياة والسعادة والصحة، وكل القوة والنصر،
ويشاهد في المنظر الذى على اليسار الفرعون : ابن الشمس محبوب « تحتمس »
رب الصدق وهو لابس لباس الرأس « نمس » وقيصا مجمدا ، يقف أمام الإله
« متسو » الممثل برأس صقر وجسم إنسان ، وخلف الفرعون نشاهد الإلهة
« إيونيت » إحدى إلهات الثلاث الأرميتى ، وتلبس على رأسها قرص الشمس ،
وقرنين وممسكة بيدها اليسرى الفرعون ، وتحميه بيدها اليمنى ، وخلفها نقش ما يأتى :
إني أعطيك كل الحياة والسعادة والصحة والفلاح ، وملك الأرضين تحت سلطتك
باقيا مخلدا .

أما المنظر الذى على اليمين فمشابه للسالف ، إذ نشاهد الملك ثانية أمام الإله
« متسو » رب « طيبة » بنفس الملابس غير أن لقبه فى هذه المرة مدون فوقه وهو :
« الإله الطيب رب المحافل « منخبر رع » معطى الحياة مخلدا . » وخلفه نشاهد الإلهة
« تننيت » رافعة يدها ولايسة تاج العقاب ، والنقوش التى تتبعها هى نفس النقوش
التي وجدت مع الإلهة « إيونيت » وهالك ترجمة اللوحة : ^(١) يعيش « حور » (الملك)
الثور القوى المضى فى « طيبة » ملك الجنوب والشمال ، صاحب الإلهتين — المتمكن فى الملك مثل
« رع » فى السماء : حور وست صاحب التيجان المقدسة ، شديد البأس . ملك الوجه القبلى والوجه
البحرى — رب الأرضين ، وسيد الاحتفالات « منخبر رع » — ابن الشمس من جسده ، « تحتمس »
أمير الصدق ، محبوب الإله « متسو » رب « طيبة » والقاطن فى « أرميت » العائش مخلدا . ^(٢)
السنة الثمانية والعشرون ، الشهر الثانى من فصل الشتاء ، اليوم العاشر . ^(٣) موجز الأعمال العظيمة ،
والانتصارات التى أحرزها هذا الإله الطيب ، وهى كل سائحة موالية من البداية منذ أول وجود جيل من

(١) راجع : Mond & Meyer, Ibid Pl. CIII.

(٢) هذه هى نفس الأقاب الملكية التى يحملها « تحتمس الثالث » كما وجدناها على لوحة بركال .

(٣) لا يمكن الباحث أن يعرف من هذا المتن الحادث الذى يشير إليه هذا التاريخ ، إذ الواقع أنه
يرجع إلى مدة شهرين قبل أى تاريخ مدون لهذه الفرعون أى قبل سفره من « ثارو » (القنطرة الحالية)
على رأس حملته الأولى فى عام ٢٢ الشهر الرابع من فصل الشتاء اليوم الخامس والعشرين ، ومن المحتمل
إذن أن هذا التاريخ هو بداية حكمه منفردا بعد موت « حتشبسوت » .

الناس . على أن ما فعله له سيد الآلهة ورب «أرمنت» هو تعظيم انتصاراته حتى يمكن التحدث عن فتوحه ملايين السنين في المستقبل ، هنا إذا أغضينا النظر عن ذكر أعمال الشجاعة العظيمة التي كان يقوم بها جلالة يوميا (= في كلا الفصلين نهارا وليلا) وذلك لأن الإنسان لو ذكر كل حادثة بالاسم لأخطاه عددا كثرة .

فقد فوق سهامه إلى لوحة من النحاس بعد أن تكسرت أهدافه الخشبية ، وصارت كأنها يراعات هشة ، وقد وضع جلالة نموذجاً منها في معبد « آمون » وهو هدف سمكة ثلاث أصابع رشق فيه سهمان من سهامه ، فقد جعل السهم ينفذ في الهدف مقدار ثلاثة أشبار من الجانب الآخر . وإني أتكلم على حسب ما قام به فعلا دون مين أو كذب وقد حدث ذلك أمام كل الجيش ، وليس في ذلك كلمة مبالغ فيها .

وإذا اتفق أنه خرج للصيد في أية صحراء فإن عدد غنائم مطاردته يكون أعظم من غنائم كل الجيش ، فقد أردى بسهامه سبعة أسود عندما خرج للصيد في ملح البصر ، وكذلك استولى على قطع من اللحم الوحشية في ساعة ، حتى أنه عندما حان وقت تناول الإفطار كانت ذبونها قد جهزت ليلبسها ونجس خلفه . وقد قضى على مائة وعشرين فيلا في جبال إقليم بلدة « نى » عند ما كان عائداً من بلاد « نهرين » وقد عبر نهر القنات وضرب البلاد التي على شاطئيه ؛ إذ بددتها النيران إلى الأبد ، وأقام لوحة انتصاره على شاطئه الشرقى ، وكذلك أردى خريتاً قتيلاً عندما كان يقوم بزهة طراد في إقليم صحراء بلاد النوبة ، عندما ذهب إلى إقليم « ميو » باحثاً عن ثار عليه في هذه الأرض ، وأقام لوحته هناك كما فعل على شاطئ النهر (أى نهر القنات) ولم يتوان جلالة في الذهاب نحو بلاد « زاهى » (سوريا) ليقضى على السائرين الذين كانوا هناك ، وليوزع العطايا على من بقوا على الولاء له . ويشاهد أسماءهم كل ملكة على حسب وقتها (؟ ؟) . وقد كان جلالة يهود على أثر كل حادثة بعد فلاح هجماته بالقوة والظفر . وقد جعل مصر على الحالة التي كانت عليها عندما كان « رع » ملكاً عليها (أى أن العدالة كانت تسودها) .

[تاريخ (؟) السنة الثانية والعشرون الشهر الرابع من الشتاء اليوم (؟)] . الخروج من « منف » لقهر أقاليم « رتو » الخامسة في أول موقعة مظفرة ... فعل ... [مجدو] وقد شق جلالة الطرق ، واتهم كل مبرمجيشه (أى أمام جيشه) من المرات التي كانت تضيق كلها جاذ في السير ، وكان هو على رأس جيشه كله ، في حين أن المسالك كلها كانت مصطفة متحفزة للواقعة عند غم الوادى ... وقد دب الخوارج في رجال العدو ، وولوا الأدبار إلى مدينتهم ومعهم رئيسهم الذى كان في ... وهم ... يرجون ... ومتاعهم على ظهورهم ، وقد عاد جلالة فرحاً ، وأصبحت كل هذه البلاد الأجنبية من رعاياه ... وقد حضر الأسويرون جميعاً يحملون الجزية ... السنة التاسعة والعشرون الشهر الرابع من فصل الشتاء ... » .

اللوحة تلخص أعمال تحتمس الثالث : والظاهر من مضمون هذه اللوحة أن « تحتمس الثالث » بعد أن أتم حروبه أراد أن يضع ملخصا لها في معبد الإله « متو » إله الحرب ، كما أنه أراد أن يضع أمام الشعب المصرى ما قام به من ضروب الشجاعة فى الصيد والقنص مما لم يسبقه إليه أحد ، وكذلك فى فن الرماية وإصابة الهدف مما لم يحاره فيه أحد من قبله حتى تولى ابنه « أمنحتب » الثانى فضرب الرقم القياسى فى ذلك المضمار كما سيجىء بعد . ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن هذه اللوحة لم تؤرخ بسنة محددة ، ولكن تدل ظواهر الأمور على أنها دوت بعد حملته المظفرة التى قام بها إلى بلاد النوبة فى السنة الواحدة والخمسين . ويدل على ذلك إشارته إلى لوحة « بركال » التى أقامها فى السنة السابعة والأربعين إذ يقول : وأقام لوحته هناك كما فعل على شاطئ النهر ؟ » والمرجح أنه يشير هنا إلى « نهر الفرات » .

وقد أشار « تحتمس الثالث » فى لوحته هذه إلى حسن سياسته فى معاملة الولايات التى فتحها فى « سوريا » إذ نخبرنا أنه كان يذهب فى حملاته إلى هذه البلاد ليقهر العصاة ويوزع الهدايا على من كان مواليا له من الأمراء هناك .

وفى « صفون » (اسنا) فى نقش من عهد الامبراطور « كلودىوس » نجد ذكر اسم لوحة عظيمة لهذا الفرعون ^(١) . وفى معبد الإله « سبك » بمدينة « الكاب » عثر على واجهة معبد نقش عليها اسم « تحتمس الثالث » ^(٢) . يضاف إلى ذلك أنه يوجد فى هذه الجهة معبد صغير محاط بطائفة من العمد مثل معبد « الفتين » ^(٣) الذى تهدم .

(١) راجع : L. D., IV, Pl. 8a.

(٢) راجع : Champollion, "Notices" P. 266.

(٣) راجع : Wilkinson, "Topography of Thebes" P. 430.

ويوجد في معبد أدفو نص من عهد البطالمة يتحدثنا أن تحتمس الثالث أقام معبدا للإلهة « حثحور » في هذه البلدة ^(١) .

آثاره في كوم أمبو والفتين : وكان يوجد في « كوم أمبو » (بؤابة) عظمة أمام حرم المعبد الكبير أقامتها الملكة « حثشبسوت » ، ولكن « تحتمس الثالث » هو الذى حفر قهوشها ، ويلاحظ أن البطالمة كانوا قد أصلحوا عتبة هذه البؤابة ^(٢) . غير أن هذه المباني قد طغى عليها النيل . ويوجد في هذا المكان كذلك عتب باب نقش عليه اسم « تحتمس الثالث » وكان لا يزال موجودا إلى عهد قريب ^(٣) .

وفي الفتين أقام « تحتمس » معبدا على الجزيرة للإله « خنوم » وكان هذا المعبد لا يزال قائما حتى عام ١٨٢٢ حيث أمر بهدمه لبناء قصر لمحمد على الكبير في هذه الجهة ، ولا تزال بعض قطع من أحجاره مبنية في جدار « المرسى » غير أننا لانعلم من أى معبد أتى بها ، إذ كان يوجد في الجزيرة معبد آخر، والظاهر أنها من معبد أقامه « تحتمس » وأصلحه البطالمة ، وقد عثر كذلك على قطعة حجر عليها اسم هذا الفرعون عند محطة أسوان ، وقد ذكر أن مسألة من معبد « الفتين » موجودة في بيت « سيون » (راجع Birch, "History", P. 102) وعليها اسم هذا الفرعون ، ووجدت في هذه الجهة لوحة يشاهد عليها « تحتمس الثالث » يتعبد إلى ثالوث أسوان ، وهم الإله « خنوم » والإلهة « عنقت » والإلهة « سات » Lepsius, "Letters" I. pp. 101 & 218. ومن المحتمل أن هذا الفرعون قد أقام معبدا على جزيرة « بجة » إذ وجد له تمثال هناك (راجع Wilkinson, "Topography of Thebes" P. 470.

(١) راجع : A. Z. IX, P. 97.

(٢) راجع : L. D. III. Pl. 281.

(٣) راجع : A. Z., XXXI, P. 78.

(٤) راجع : Budge, "A History of Egypt", Vol. IV. P. 135; Urk. IV.

آثاره في بلاد النوبة : أما في بلاد النوبة فقد بنى « تحتمس الثالث » مباني أثرية كثيرة جدا تشهد بنشاطه العظيم المنقطع القرين في هذه الأقاليم ، إذ نجد له في كل موقع أثرى يد خالدة هناك لإقامة المعابد للالهة المحلية . ففى « كلابشة »^(١) عثر له على تمثال من الجرانيت في المعبد المقام هناك ، وكذلك وجدت قطعة من الحجر عليها اسمه .

وفى « كوبان »^(٢) يوجد نقش عليه اسمه . وفى معبد « دكة »^(٣) جاء ذكر « تحتمس الثالث » وفى معبد « كورنى »^(٤) عثر على حجر باسم « تحتمس الثالث » كما وجد اسمه فى قطع أساس المعبد الذى كان قد أعيد بناؤه فيما بعد . أما فى معبد « أمادة » فقد وجدت بوابة فيه نقش على أحد جانبيها اسم « تحتمس الثالث » . وعلى الجانب الآخر نقش اسم « أمنحتب الثانى » ابنه ، فى حين أن إسميهما وجدنا سويا على العتب ، وهذا النقش يدل على اشتراكهما فى الحكم سويا^(٥) . وكذلك نجد فى نفس المعبد لوحة عظيمة نقشت فى السنة الثالثة من عهد « أمنحتب الثانى » ، وقد جاء فيها أن هذا البناء كان قد أقيم فى نهاية حكم « تحتمس الثالث » وأن اشتراك هذين الملكين فى الحكم لم يدم طويلا . يضاف إلى ذلك أنه يوجد فى نفس المعبد منظر نشاهد فيه الإلهة « إزيس سلكت » تضم إليها « تحتمس الثالث »^(٦) . وقد جاء فى إهداء هذا المعبد ما يأتى : « الإله الطيب رب الأرضين ملك الوجه القبلى والوجه البحرى منغبروع بن الشمس محبوبه تحتمس حاكم العدل ، وهو الذى أنشأ بمثابة أثر لوالده « حور اختي »

(١) راجع : Baedeker, "Egypt", P. 307.

(٢) راجع : Murray, "Guide" P. 538.

(٣) راجع : Stuart, "Nile Gleanings" P. 136.

(٤) راجع : Lepsius, "Letters" P. 124.

(٥) راجع : L. D. III, Pl. 65b.c.

(٦) راجع : L. D. III, Pl. 45.

(٧) راجع : L. D. III. Pl. 45d.

الإله العظيم رب السماء ، فأقام له معبداً ، من الحجر الصلب ، ابتناءً أن يطيله الحياة الأبدية .
راجع Urk IV P. 822 .

وفي « إلزبة »^(١) توجد مناظر صوّر فيها « تحتمس الثالث » يتعبد للإله « رع » وللاله « ديدون » ولللك « سنوسرت الثالث » . وكذلك نشاهد كلا من الإلهة « وازيت » والإلهة « موت » تضم الفرعون ، كما نشاهده يقدم القربان للإلهة « حتحور » ، والإله « حور » ، صاحب « بوهن » وما عزم (عنية) ، والإله « تاخنس » . وكذلك عثرله في هذا المكان على لوحة مؤرخة بالسنة الحادية والخمسين — الشهر الثاني من فصل الصيف — اليوم الرابع عشر من حكم جلالة الثور القوي « تحتمس » ويأتى بعد ذلك أوصاف الملك وما قام به من ذبح الأعداء والتغلب عليهم بقوة الإله حور صاحب « ماعم » (عنية) ، وأن جلالاته قد وصل إلى قرن الأرض ليهزم الأسويين . وهذا يدل على أن أعمال هذا الفرعون كانت مضطربة حتى آخر أيام حكمه^(٢) .

وفي « ابريم » توجد مقصورتان في الصخر؛ واحدة منهما عليها اسم « تحتمس الثالث » وفي داخلها نشاهد صور الملك يتعبد للإله « حور » صاحب « ماعم » أما الأخرى فنشاهد على جدرانها نفس الفرعون يتعبد للإله « حور » صاحب « ماعم » والإلهة « سات »^(٣) . وهاتان المقصورتان قد حفرهما « نحي » حاكم السودان الملقب « بابن الملك » وأهداهما لهذا الفرعون .

وفي « وادى حلفا » أقام « تحتمس الثالث » معبداً من اللبن للإله « حور » صاحب « بوهن » وقد نقش « تحتمس » على عمود فيه لوحة مؤرخة بالسنة الثالثة والعشرين من حكمه ، وهذه اللوحة تشبه في كثير من عباراتها اللوحة التي

(١) راجع : Ibid, 46.

(٢) راجع : Urk. IV. P. 810-13.

(٣) راجع : Champollion, "Notices" P. 79.

نقشت في «إلزية» الواقعة بالقرب من «إبريم» ، والظاهر أن كاتب الأخيرة قد نقل كل الجمل المألوفة والاصطلاحات المتبعة في مثل هذه النقوش من لوحة وادى حلفاء^(١) . ولا غرابة في أن يكون «نحى» حاكم السودان هو الذى نقش للملك هاتين اللوحتين فهو الذى كان مشرفا على أعمال التعمير في قلعتى «سمنه وقمة» وإعادة معبديهما^(٢) ، وتحديد آثار «سنوسرت الثالث» كما ذكرنا من قبل ، وقد أقام نحى هذا معبدا في جزيرة «ساي» الواقعة على خط عرض ٢٠/٤٢ شمالا ولا تزال بقاياه موجودة هناك حتى الآن^(٣) .

وفي «دوشة» نشاهد منظرا رسم فيه «تحتمس الثالث» و «سنوسرت الثالث» معا ، وكذلك «تحتمس الثالث» يقدم قربانا إلى «حور تاحنس»^(٤) . ويعتبر «تحتمس الثالث» المؤسس لمعبد «صولب» العظيم ، وهنا كانت تقوم المؤسسة العظيمة «منوخع ام ماعت» الواقعة عند الشلال الثالث . وهذا المعبد قد زاد فيه كثيرا الفرعون «أمنحتب الثالث»^(٥) . وأخيرا نجد اللوحة العظيمة التى عثر عليها «ريزنر» بالقرب من جبل «بركل» عند الشلال الرابع .

ومما سبق نرى نشاط هذا الفرعون المنقطع النظير في كل أنحاء الامبراطورية وما ذكرناه ربما كان القليل مما تخفيه تربة مصر في جوفها من آثار هذا الملك ، إذ تطالعنا الكشوف كل يوم بالعجب العجيب من آثاره التى ترفع من شأنه وتعالى من مكانته في ميدان الحروب والسياسة والمعمار . ولا أدل على ذلك مما كشف له حديثا في معبد «أرمنت» وبخاصة اللوحة العظيمة التى تحدثنا عن نواح كثيرة من «نواحى» حياته كما أسلفنا ذلك .

(١) راجع : Urk. IV. P. 806 - 10.

(٢) راجع : L. D. III, Pls. 47 - 56, 57 - 59a, 64b.

(٣) راجع : Ibid, Pl. 59b - c.

(٤) راجع : Ibid, Pl. 59. d, e.

(٥) راجع : Budge, "A History of Egypt", IV. P. 59.

لوحة جبل بركل^(١) : ولما كانت هذه اللوحة من الأهمية بمكان آثرنا أن نأتى هنا على تاريخها وترجمتها حرفيا : عثر الأستاذ « ريزنر » على لوحة للفرعون « تحتمس الثالث » مصنوعة من الجرانيت الأحمر في الردهة الأولى من ردهات معبد الإله « آمون » العظيم في جبل « بركل » ، وقد عثر عليها في داخل هذا المعبد أمام العمود الثانى من الصف الثانى من الجهة الشرقية في الجزء الشمالى من هذه الردهة . ولا بد أنها كانت بطبيعة الحال متركزة على هذا العمود في خلال عهد الاحتلال المروى الأخير لهذا المعبد ، وتدل محتويات هذه اللوحة على أنها كانت في الأصل قد أقيمت في « بركل » في غير هذا المعبد (B. 500.) ويفهم من كل المعلومات التى لدينا حتى الآن أنه لا يوجد في هذا المعبد جزء يرجع عهده إلى ما قبل الجزء الأخير من الأسرة الثامنة عشرة . يضاف إلى ذلك أنه ليس لدينا إلا معبد واحد يمكن نسبته إلى عهد « تحتمس الثالث » وهو (B. 300. first) ، وقد نظف الفرعون « طهرقا » نرائبه وبني على أساسه معبدا آخر (B. 300. Second) ، فإذا كانت هذه اللوحة قد أقيمت في هذا المعبد كما يعتقد الأستاذ « ريزنر » فلا بد أن « طهرقا » قد نصبها في معبده الجديد أو نقلها إلى الردهة الأولى في المعبد (B. 300. Second) حيث توجد الآن لوحتان وتمثال للفرعون « يعنخى » على أن هذا مجزء زعم ولكن يجوز أن « طهرقا » قد أسند هذه اللوحة على العمود الذى وجدت بجواره ، وبقيت في مكانها طوال القرون التى تلت وهاك ترجمتها :

التاريخ : « السنة السابعة والأربعون الشهر الثالث من فصل الفيضان اليوم العاشر من حكم جلالة « حور » (بأن بعد ذلك ألقاب « تحتمس الثالث ») .

الإهداء : لقد عمل (هذا) بمثابة أثر لوالده « آمون رع » وب « الكرنك » في قلعة « ذبح الأجناب » (سماخستيو) وأقام له مأوى للأبدية لأنه (أى آمون رع) جعل انتصارات جلالاته أعظم من انتصارات أى ملك كان ، وقد استوليت على قوم الجنوب بأمر حضرة ، وعلى الشمالين بإرشادته . وهو الذى جعل ابن رع « تحتمس الثالث » حاكم « طيبة » يعطى الحياة مثل « رع » مخلدا .

قوة تحتمس الثالث : الإله الطيب الذى يسيطر بسيفه ، والذى يضرب الجنوبيين ، ويحجز رموس الشماليين ، والذى يشتم رموس القوم الأشرار ، ومن يوقع مذبحه بين « آسيا » ويقهر عصاة بدو بلاد النوبة ، ويصل إلى نهاية الأراضى التى هاجمته ، وإنه يهيج عند ما يقترب منه أى إنسان فى ميدان القتال ، وقد وقفت أمامه كل البلاد الأجنبية تحكة واحدة مستعدين للزوال ، ولم يكن هناك مناص للفرار قط ، وذلك لأنهم كانوا يعتمدون على جموع عظيمة من المحاربين ، وعدد من الناس والجياد يخطئه الحصر . ولقد جاءوا بقلوب قوية ، ولم يستول على لهم أى وجل ، ولكن شديدة القوى قد قلب عليهم فهو قوى الساعد الذى يطأ أعداءه . وإنه ملك يحارب منفردا دون وجود جموع لحمايته ، وإنه أحسن من ملايين الجنود ، لا يوجد من يضارعه إذ هو محارب متفوق فى ساحة الوغى ، لا يثبت أحد أمامه ، والذى يهزم دفعة واحدة كل الأراضى الأجنبية وهو على رأس جيشه ينقض انقضاض التساح ، وكالشهاب المتقض بين قوسى السماء عند ما يحترق القبة الزرقاء ، وهو الذى ينزل المعصنة ... قاذفا عليه نفسه الملتبة كأنه نار ، وهو الذى يجعلهم لا حول لهم متخبطين فى الدماء ، وصله يهزمهم ، وإلهة الهيب تغلب على أعدائه . وهو الذى هزم جيش « المني » فى ساعة ، واختفوا كلهم كأنهم لم يوجدوا قط بفضل لمية الميد (؟) ، وذلك على غرار ما آتاه الإله الطيب العظيم القوة فى القتال يساعده ، وهو الذى يوقع المذبحه بين كل الناس ، وهو قائد نفسه ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبرع » المماز ، ملاذ قومه المهاجم كل أرض ، والمبارز فيها وجهها لوجه منجى (مصر) فى ساحة القتال ، الحامى الذى لا يخشى الحساد ، الثور القوى القلب من حدوده الجنوبية عند الأرض أى عند آخر أقصى هذه الأرض ، ومن حدوده الشمالية عند تخوم « آسيا » الشمالية أى عند عمد السماء . وإنهم يأتون إليه محنيي الرموس راجين منه نفس الحياة .

حملة نهريين : تخريب البلاد الواقعة غربى نهر الفرات .

إنه ملك فى شدة بأس « متو » (إله الحرب) يستولى ولكن لا يستولى منه على شئ . يطأ بالقدم كل البلاد الأجنبية الخارجة دون أن ينجيم أحد فى بلاد « نهريين » التى فسر منها سيدها فرقا . ولقد تربت مدنه وقبائله وأشعلت النار فيهم وجعلها جلالتي كأن لم تكن بالأمس ، وحملت كل أهلهم غنائم ، وقدتهم أسرى أحياء ، وقطعناهم يخطئها المد وكذلك مواشيهم . واستوليت منهم على المذن (؟) وحصدت غلثهم ، واجتثت كل أشجارها كهتهم ، وأقاليمهم كانت ... وقد خربها جلالتي حتى أصبحت مزرعة ... الأشجار فيها .

بناء سفن لعبور الفرات : والآن سار جلالتي نحو الحدود الشمالية من « آسيا » وقد أمرت ببناء عدد كبير من سفن النقل من خشب الأرز على تلال أرض الإله بالقرب من « سيدة جيل »

(يلوص) وقد حملت على عربات (ذات عجل) تجرها ثيران ، وقد سافرت قبل جلاتى لأجل أن أصبر بها ذلك النهر العظيم الذى يجرى بين هذه البلاد الأجنبية و « نهرين » .

عبر الفرات وغزو نهرين : « وإنه ملك معظم (قوة) ساعديه فى الواقعة ، وعابر «الفرات» مقضيا إثر مهاجمه على رأس جيشه ، وباحثا عن ذلك العدو النمس فى أرض المتنى الأجنبية (الجبال) تأمل ! لقد هرب أمام جلالته خوفا إلى أرض أخرى وهى مكان بعيد ، وعلى ذلك أقام جلاتى لوحة على جبال « نهرين » وقد نحتت فى الصخرة على الضفة الغربية من نهر الفرات .

انتصار تام بأمر الإله رع : لم يبق لى عدو فى الأراضى الجنوبية ، وأقوام الشمال يأتون منحنيين لقوتى وإنه الإله « رع » الذى أمر بذلك . ولقد بكت كل ما تحيط به عيه (رع) وقد منحى الأرض طولاً وعرضاً . وضعت لى فى حزمة واحدة قبائل الأقواس التسع والجزر التى فى وسط المحيط ، وجزر اليونان ، وهى الأراضى النائرة عدوة مصر ، ولقد عدت جنوباً نحو مصر بعد أن أعملت السيف فى « نهرين » الذين كان ذعرهم عظيماً فى فم البدو ، فغلقت أبوابهم بسبب ذلك فلم يقدروها لخوفهم من الثور (الملك) . فهو ملك بطل حصن حصين لجيشه ، وجدار من حديد أو من برزلمصر (!) . يهاجم كل الأرض بسيفه دون أن يحجمه أحد ملايين الناس ، يصيب الهدف كل مرة يرى فيها : وسهامه لا تخطئ الهدف ، وإنه لبطل متقطع القرين ، والإله « متو » الشجاع فى ساحة القتال .

صيد الفيلة : والآن أتجت لى فرصة للنصر أمر بها لى الإله « رع » إذ هيا لى عملاً عظيماً من أعمال الشجاعة عند مورد فيلة بلدة « نى » فقد جعلنى أتصادم مع قطع من الفيلة ، فغارب جلاتى سرباً منها يتألف من ١٢٠ فيلاً ، على أن هذا العمل لم يحدث مثله قط على يد ملك منذ زمن الإله من أولئك الملوك السابقين الذين تسلبوا التاج الأبيض . وإنى أقص هذه الأشياء دون نخار ومن غير كذب . وقد أنجزتها على حسب ما أمر لى به والذى « آمون رع » رب الكرك الذى يرشد جلاتى إلى الطريق السوى بخطه المتفرقة . فهو الذى وحد لى الأرض السوداء والأرض الحمراء ، وكل ما تحيط به الأرض أصبح فى قبضتى .

الحملة الأولى على بلاد رتنو : والآن أقص عليكم أعمالاً (أخرى) فاستمعوا أتم يا أيها الناس . لقد أمر لى (بمنى) كل أراضى « رتنو » فى الحملة الأولى عندما أتوا لمحاربة جلاتى بملايين الرجال ومئات آلاف الناس من رؤساء كل البلاد الأجنبية ، ووقفوا على عرباتهم وكان عددهم ٢٣٠ أميراً كل أمر منهم على رأس جيشه .

موقعة مجملو : والآن كانوا فى وادى « قنا » ، والواقع أنهم كانوا قد ضربوا معسكرهم فى مصيدة (!) ولذلك أحرزت فوزاً عظيماً بينهم ، إذ هاجمهم جلاتى فهربوا فى الحال وتساقطوا أكواماً من القتلى .

حصار مجدو : وبعد ذلك دخلوا مجدو نفسها لحاصرها جلاتى سبعة أشهر دون أن يبرحوها إلى أن خرجوا متضرعين لجلاتى قاطلين : استنحتا نفسك ياسيدنا لأن أهل « رتنو » لن يهودوا إلى ثورة ثانية .

استسلام مجدو : وبعد ذلك أرسل عظيم قادش المنهزم كما بعث الرؤساء الذين كانوا بصحبته إلى جلالته كل قومهم محملين بالهدايا الكثيرة من الذهب والفضة ، وكذلك جيادهم وما يتبعها وعرباتهم العظيمة المصوفة من الذهب والفضة ، وكذلك الملونة منها ، هذا إلى دروع مواقعهم الحربية وقسهم ونسائهم وأسلحتهم الحربية وهى التى كانوا قد أتوا بها من بعيد لمحاربة جلاتى ، فقد جلبوها الآن هدايا لجلاتى ، وقد كانوا وقتئذ واقفين على جدرانهم مقدمين الثناء (الخضوع) لجلاتى طالبين أن يمنحوا نفس الحياة .

سفر الرؤساء : وبعد ذلك سمح لهم جلاتى أن يتخذوا سبيلهم إلى مدنها . وقد رحلوا كلهم مطمئنين ظهور حريهم ، لأنى كنت قد استوليت على خيل عرباتهم ، وأخذت أهل مدنها غنيمة كما ستوليت على ماشيتهم .

الإله آمون رع أخضع كل العالم للملك : وإياه والذى (اسون رع رب الكرنك) الذى منحنا إذ أنه إله ممتاز مظفر صاحب المشاريع التى لا تخيب ، وهو الذى بعث جلاتى لأستولى على كل أراضى أقوام الأجانب جميعا . ولقد هزمتهم على حسب ما أمر به بالسبل التى اعتاد العمل بها ، ولقد جعلنى أضرب كل الأقوام الأجنبية دون أن يجسر أحد على مهاجمتى ، وصولحانى هو الذى تغلب على البدو ، وعصاى هى التى ضربت قبائل الأقواس التسع . وجلاتى أخضع كل البلاد ، وأرض « رتنو » أصبحت تحت نعلى ، وأهالى بلاد النوبة صاروا عبيد جلاتى .

جزية البلاد الأجنبية : ولأنهم يخدموننى جميعهم ، مقدمين جزية من ملايين المحاصيل العدة من آخر العالم ويشمل ذلك ذهب بلاد « وارات » الجبل بمقدار يخطئه العد .

ما يدفع زيادة من السفن والخشب من بلاد كوش : وبينى هناك للبلاط (أى للملك) له الحياة والسعادة والعافية والصحة) كل سنة ثمانى سفن (تيو) وسفن نقل ، هذا فضلا عن البحارة مضافا إلى ذلك الجزية التى يأتى بها النوبيون من العاج والأبنوس ، وكذلك يحضر لى خشب بناء السفن من « كوش » ويشمل ألواحا من خشب الدوم ، وخشب « تيت » (أو أشياء من الخشب) (؟) لا حصر لها من هناك من خشب السنط من أرض الجنوب . وكان جيشى يقطعها من « كوش » وكانت توجد هناك بوفرة (!) ، وكذلك عدد عظيم من سفن النقل من خشب « ماما » وقد أحضرها جلاتى مظفرا .

خشب الأرز من زاهى : وقد قطع لى من « زاهى » خشب أرز حقيقى من « لبنان » وأحضر إلى البلاط (أى لكك له الحياة والسعادة والصحة) ، وقد كان يؤتى لى بخشب بناء لمصر أحضر جنوبا

خشب الأرز من بلاد نأجاو : وقد منت قطع من خشب الأرز الحقيقى من « نأجاو » من أحسن ما تنتجه أرض الإله كأنها المرمر السليم لأجل أن تصل إلى البلاط دون أن تمضى الفصول هناك كل سنة (أى فى قطعها وإعدادها) .

خشب وانزانا : ثم يعود جيشى وما فى حامية « وانزانا » ... الذى من أرز انتصارات جلاتى بخط والذى « آمون رع » الذى أمر لى بالسيطرة على كل الأقوام الأجنبية . ولم أترك أية واحدة منها (أى من خشب الأرز) للأسيويين لأنه الخشب الذى يحبه « آمون » . وأنه هو الذى صد صلحاهم ... وأشارهم ليسوا فى آمان (؟) .

خطاب الفرعون لقوم الجبل المقدس : ويقول جلاتى : استموا إلى ياهل الجنوب الذين فى الجبل المقدس الذى كان يسمى : « هروس الأرضين » بين القوم (أى المصريين) (؟) وهى لم تكن معروفة بعد ، لأجل أن تعرفوا قوة « آمون رع » المدهشة أمام وجه كل الأرضين .

أعجوبة النجم : .. وكان الحراس ؟ على وشك المحيى لمقابلى لىلا يقوموا بتغيير الحرس وكان يوجد حارسان جالسين وجها لوجه ، وقد طلعت نجمة من جنوبيهما . ولم يكن قد حدث مثل ذلك : ثم اختفت فى الجهة الثانية قبالهما مباشرة (أى فى الجهة الشمالية) ولم يبق إنسان واقفا هناك (أو جينا) .

هزيمة عدو : (يحتمل أن ماجاء فى التكسير تكلة للسطر السالف) ... وقد سقط أكوام من القتل والآن ... على ظهورهم والنار فى وجوههم . ولم يجد واحد منهم يده ، ولم يمكنه أن ينظر خلقه ولم يجدوا خيلهم التى كانت قد شتتت فى

العودة إلى مصر : ... لأجل أن أجعل كل الأراضى الأجنبية ترى عظمة جلاتى . ولقد حضرت جنوبا بقلب فرح لأنى انتصرت لسيدى (آمون رع رب الكرنك) ... وهو الذى قدر لى هذه الانتصارات ، والذى جعل الخوف منى فى ... فى زمنى وكذلك مكن الخوف منى فى كل الأقوام الأجنبية وقد هربوا منى بعيدا ، وكل ما يضى عليه الإله « شو » أصبح مكيلا تحت قدمى .

خطاب الفرعون لرجال الحاشية : وقال جلاتى نفسه ... لأنى عظيم التجربة بسبب القوة والنصر اللذين أعطانيهما والذى الفاتح « آمون رع رب الكرنك » وهو الذى جعلنى سيد أقسام الأرض

الخمسة ، وحا كما على كل ما تحيط به الشمس . وإنى قوى ... وقد جعل الخوف منى حتى ... الشمالىون والذعر من جلاتى حتى ... الجنوبىون حتى أنه لا توجد طريق ضدى ، وقد ختم لى كل الأرض وليس هناك حدود لما استوليت عليه بالنصر ، ونغازى أصبح فى بلاد « رتو » وغرقى فى ... وهم يحضرون لى محاصيلها إلى المكان الذى فيه جلاتى فى كل فصل . والأرض الجبلية تحضر لى ماها من كل شىء طريف فهى تشرأماى ما أخفته عن الملوك الأول ... كل حجر فاخرغال وكل النباتات العطرية الحلوة التى تنمو ببلاد « بنت » وكل شىء طريف من أرض الجنوب وكل ما يأتى عن طريق التجارة تحت تصرف جلاتى ... فانه ملكه وإنى سأملا بيه وسأجعله يعود لحايشه ... فى ساحة القتال . وفضلا عن ذلك سأقدم قربانا من الأشياء المدهشة من كل الأراضى ... التى يهاجها سيفه القوى . وقد قدر لى (سيفه) النصر على كل الأقوام الأجنبية .

جواب رجال البلاط : فأجاب أولئك السمار (رجال البلاط) ... « آمون رع » سيد الكرنك الإله العظيم الأزلى خالق الجمال ، إنه أعطاك كل الأرض . أحضرها قربانا له لعلك أنك خربت منه وفضلا عن ذلك فإنه هو الواحد الذى يرشد جلاتك إلى الطريق

وصف قوة تحتمس الثالث ودخله : ... وقد جعلت الخوف منى فى قوم « آسيا الشالية » ولذلك لم يبق رسولى . وقطع جيشى عمد الأعلام من مرتفعات الأرز ... لأجل آثار آبائى ، وكل آلهة الوجه البحرى ، وأمام جلاتى سفن نحتت من الأرز ... معى ساحل أرض لبنان بمثابة ؟ حصن ... ؟ ... أوفى الحصن ... وكل رؤساء لبنان كانوا يشحنون السفن الملكية لأجل أن يؤتى بها نحو الجنوب ، ويحضر كل الأشياء العجيبة ... إلى البلاط (أى الملك له الحياة والسعادة والصحة) وأمرأه ال ... رؤساء « رتو » الذين كانوا يبحرون عمد هذه الأعلام يشران إلى الساحل ويحضرون حاملين جزيتهم أمام جلالته إلى البلاط فى ... حاملين كل المحاصيل الجميلة التى أتى بها من الجنوب بمثابة جزية سنوية مثل كل رعايا جلالته .

ما يقوله الناس : أما ما يقوله الناس (المصرىون) فبما بينهم مدحا لى فهو ... الأقوام الأجانب قدروا فخارك ، والوزير قد انتشر (سمع صداه) فى آخر العالم وحضرتك الفاخرة يرتعد أمامها قلوب ال ... قوم .

اللغة يقولها القوم : ... وكل التوبيخ الذين سبحدون تصميانتك ، سبعاقيهم والدك . وعندئذ كان جلالته ؟ ...

أما عن آثاره الصغيرة كالتماثيل واللوحات والجعارين وغيرها من التحف الصغيرة الحجم فهى لا تمتد ولا تحصى . وسنورد هنا بعضها مما يوجد فى متاحف العالم غير ما له من الآثار العدة التى يعجب بها المتحف المصرى . وأهمها .

التماثيل : يوجد لهذا الفرعون تماثيل عدة ، غير أن الكبير المجمع منها على وجه عام قليل . ففى الكرنك عثر له على قاعدة تمثال مخضج جالس من الحجر الجيري الأبيض الصلب ، فى النهاية الغربية من واجهة البوابة الثامنة^(١) ، وفى المتحف البريطانى يوجد له رأس تمثال مخضج من الجرانيت الأحمر ولا يعرف أين جسمه حتى الآن^(٢) . وفى متحف القاهرة له تمثال أكبر من المجمع الطبيعى بقليل من الحجر الجرانيتى الأحمر عثر عليه فى «الكرنك» . وقد كان موضعه فى المجرة التى تقع على محور عرّاب مبانى «تحتس التالت» فى النهاية الشرقية للعبد ، وكذلك كشف له فى الكرنك عن تمثال جالس من الجرانيت مهشم قطعاً وركبت أجزأؤه بعضها مع بعض^(٤) ، والواقع أنه كان يوجد له عشرات التماثيل فى معبد الكرنك ، كما ذكر ذلك «مریت»^(٥) .

وفى متحف «تورين» يوجد تمثال جميل من حجر الديوريت الأسود والأبيض^(٦) ، ويوجد له تمثال آخر جالس من الجرانيت الرمادى القائم بدون رأس عثر عليه فى بلاد النوبة ، ويحتمل أنه عثر عليه فى «الفتين» وذلك لأنه وجد عليه أسماء آلهة هذه البلدة ، وهو الآن بمتحف «فلورنس» بإيطاليا^(٧) .

أما فى المتحف المصرى فيوجد له التمثال العظيم المصنوع من الشيست الأفضش اللون ويعد من القطع الفنية النادرة المثل وبخاصة الرأس الذى يمثل صورة صادقة (A Brief Description of the Principal Monuments (1946) P. 31. راجع)

(١) راجع : Mariette "Karnak", Pl. 38d.

(٢) راجع : Petrie, "History", II, P. 137.

(٣) راجع : Mariette, "Karnak" P. 34.

(٤) راجع : Virey, Guide Mus. Giza P. 214.

(٥) راجع : Mariette, "Karnak". P. 36.

(٦) راجع : Lanzone. "Cat. Turin" P. 1376.

(٧) راجع : Schiaparelli. "Catalogue", P. 1503.

كما يوجد له تمثال آخر هناك منحوت من المرمر الأبيض يمثل له راكعا وفي يديه إناءان يحتويان خمرًا أو ماء وقد عثر عليه في دير المدينة (راجع Ibid. P. 32).
هذا إلى تماثيل له في صورة « بواهول » نحتا من الجرانيت الأحمر القاتم عثر عليهما في قاعة الأعياد بالكرك . وعلى الرغم من أنهما يمثلان توأمين فإنه توجد بعض اختلافات في صنعهما (راجع Ibid. P. 134).

وفي العرابية^(١) المدفونة توجد بقايا جذع تمثال وعرشه نقش عليه اسم « تحتمس الثالث » ؛ وفي الأسكندرية يوجد لهذا الفرعون تمثال نقش عليه « تحتمس الثالث » محبوب « أنيت » سيدة « دندرة »^(٢) ، وله كذلك جزء من تمثال خلف معبد الكرك ، وقطعتان من تماثيل وجدتا أمام البوابة الأولى لقاعة العمد في الأقصر، كما وجد له تمثال نصفي من الجرانيت الأحمر في الكرك^(٣) . وفي مرسيليا وجد له تمثال من البرنز غير أنه لم يذكر في الدليل الذي كتبه « مسبرو » لهذا المتحف^(٤) وقد جاء ذكر تماثيل له في نقوش « تحتمس الرابع »^(٥) ؛ وفي حجرة خلف قاعة العمد في معبد « تحتمس الثالث » بالكرك وجد تماثلان من الجرانيت الأحمر في صورة « بواهول » ومعهما مائدتا قربان^(٦) ، هذا وفي المتحف البريطاني لوحة رسمت عليها صورة هذا الفرعون ، وقد قسمت هذه اللوحة إلى مربعات يقصدها تفسير نسب رسم أجزاء التمثال (راجع Arundale & Bonomi, "Gallery". P. 33).

(١) راجع : Mariette, "Abydos" 348-9.

(٢) راجع : Brugsch, "Recueil" IX, 3. P. 18.

(٣) راجع : Wiedemann, "Geschichte", P. 358.

(٤) راجع : Virey, Cat. Guizeh. P. 192.

(٥) راجع : Petrie, "History", II, P. 137.

(٦) راجع : Mariette, "Karnak", 33.

(٧) راجع : Virey. Cat. Guizeh, 221-2. & Mariette, "Karnak", Pl. 32, b. PP. 34, 55.

أما لوحات « تخمس الثالث » فيرأى في متحف القاهرة من اللوحات العظيمة مثل لوحة النصر ولوحة « أرمنت » فتوجد له لوحة في « تورين » مثل عليها يتمدد للإله « مين »^(١) وله لوحة أخرى في محراب الأمير « وازمس » ، يظهر فيها « تخمس الثالث » يتجعد بلحمه « تخمس الأول » وللأمير « وازمس » وكذلك وجدت له قطعة حجر يعتقد أنها مقعد للقارب المقدس الذي يوضع عليه بعد الطواف محمولا على أكتاف الكهنة في أرجاء المعبد في الكرنك نظير لهذه القطعة . (راجع Arundale & Bonomi, "Gallery", P. 34. & Wiedemann, "Geschichte", P. 366.)

وفي متحف الفاتيكان مائدة قربان جميلة جدا عليها اسم هذا الفرعون ، (راجع Massi, "Description", P. 34.)

وفي سالونيك توجد مائدة قربان أخرى عليها اسمه (راجع A. Z. VI. P. 79.) ويعرف لهذا الفرعون عتة أوان من المرمر^(٢) ، وأهمها التي ذكر عليها اسمها ، ففي « تورين » إناء يسع تسعة « هنا » غير أنه وجد مملووا بالقار^(٣) ؟ وآخر في متحف القاهرة يسع واحدا وعشرين « هنا » ؛ ولما كان حجمه يعادل ٥٨١ بوصة مكعبة فن ذلك نستنتج أن الهن يعادل ٢٧٧ بوصة مكعبة في هذه الحالة .

ووجد لهذا الفرعون إمامان من الزجاج نقش على كل منهما لقب هذا الملك وهو « منخبر رع » وهما أقدم قطعتين من الزجاج عرف تاريخهما ، وقد ظهر فيهما بسهولة في عمل الزجاج ومعرفة مادته^(٤) ، ويوجد له لوحتان صغيرتان في متحف مرصليا^(٥) نقش على كل منهما اسمه .

(١) راجع : Lanzone. Cat. Turin. 1460,

(٢) راجع : Petrie. "History", II. P. 90.

(٣) راجع : Revue Critique LXII, 6. & Maspero, "l'Archeologie Egyptienne P. 280.

(٤) راجع : Wiedemann, "Geschichte", P. 368.

هذا وقد وجدت له ريشة مما يزين به لباس الرأس للإله « آمون » عليها اسم الفرعون « تحتمس الثالث » كما وجد له طبق على شكل سمكة مصنوع من الفخار الأخضر المطفى ، هذا إلى عبارة كتابة باسم « تحتمس الثالث » محبوب آمون وبتأح^(١) . ولم يعثر على بردى من عهد « تحتمس الثالث » إلا القليل ؛ منها ورقة في تورين رقم ١ ، وتقص علينا كيف أن كاتباً يدعى « وسرامون » قد خدم الملكية مدة خمسين عاماً ، ولما كانت هذه الورقة مؤرخة في السنة الخامسة من عهد ذلك الفرعون ، فلا بد أنه بدأ خدمته في منتصف حكم « تحتمس الأول » .

الجعارين : أما الخواتم التى تنسب إلى « تحتمس الثالث » فقد صنعت من كل المواد إلا الفخار المطفى الذى لم يظهر استعماله إلا فى عهد « تحتمس الرابع » أما الجعارين التى صنعت فى عهد هذا الفرعون فهى أكثر من أى جعارين صنعت فى عهد أى ملك آخر ، ولدينا عدد عظيم من الجعارين تحمل طغراء « تحتمس الثالث » وكل واحد منها يشير إشارة صريحة إلى حادث معين أو مرحلة معينة خاصة من مراحل حياة هذا الفرعون . وهذه الجعارين تشبه فى حجمها جعارين الملكة « حتشبسوت » التذكارية مثال ذلك : جعران من الذهب نعلم منه أن « تحتمس الثالث » ولد فى طيبة ، وكذلك جعران رسم عليه « تحتمس الثالث » وهو غض الإهاب . يفوق سهمه للرماية^(٢) ؛ وإذا كان هذا الرسم لا يدل على حادث معين فإنه يذكرنا على أية حال بالجعارين التاريخية التى نقشها « أمنحتب الثالث » عن الصيد والقتل .

كما وجد له جعران كتب عليه « تحتمس الثالث » مثبت على ظهر أعدائه وهنا نجد أن كلمة أعداء مخصصة بصورة حصان . وهذا المخصص من الأهمية

(١) راجع : Petrie, "History", II. P. 140.

(٢) راجع : A. S. Vol. XXXIX. P. 11.

(٣) راجع : Petrie, "Scarabs & Cylinders", Pl. XXVI.

يمكن لأننا نعرف أن الحصان كان قد أحضر إلى مصر في بداية الأسرة الثامنة عشرة (راجع Petrie. "Scarabs" XXVI).

وكذلك نقش على ظهر جمران صورة فتاة سورية جالسة القرفصاء وعلى وجه الجمران نقش : "تحتمس الثالث يخرب قادش" وعلى جمران آخر نقش : "الإله الطيب تحتمس يهزم قادش" ولا نزاع في أن نقوش الجمارين الثلاثة الأخيرة تشير إلى حروب تحتمس .

ومما هو جدير بالملاحظة أننا نشاهد على جمران آخر رسم الفرعون وهو ساجد يتعبد أمام مسلة وعليه نقشت العبارة التالية : "تحتمس الثالث الذى أقيمت من أجله المسلتان في معبد آمون" وعلى آخر نقش : "تحتمس يقدم آثارا في معبد آمون أو تحتمس الثالث يخلد بالآثار" .

وفي متحف "الوفر" يوجد له جمران (Louvre, 3408) نقش عليه : "تحتمس الثالث في السماء مثل القمر والنيل في خدمته وأنه يفتح صيده لأجل أن يمنح مصر الحياة" .

وأخيرا نجد له بعض الجمارين التاريخية ترفع من شأنه مثال ذلك : نقش على جمران : "تحتمس سيد الحكام" (راجع : A. S. Vol. XXXIX. P. 113ff.) .
فن نقوش هذه الجمارين نعرف شيئا عن نواحي حياة « تحتمس الثالث » ونشاطه في كل الميادين الحربية والاجتماعية والدينية وميادين العبادة وغيرها .

وقد بقي اسم « منخبر رع » ينقش على التعاويذ والجمارين في المهود التي تلت حكمه بدرجة تفوق حد الوصف حتى أن نسبة وجود اسمه على الجمارين كانت بنسبة جمرانين لكل ثلاثة جمارين موجودة في العالم . ولا نزاع في أن شهرته التي استمرت على هذه الصورة تتعاقبها الأجيال تظهر كيف أن نخامة عصره وسمو مكانته ، قد تركا أثرهما العميق في نفوس المصريين الذين كانوا يعتبرون عصره

أزهى عصر في تاريخهم ولا يدهشنا إذاً أنا نجد بعض الملوك الذين أتوا بعده بقرون عدة كانوا يتشبهون به حتى أنهم لقبوا أنفسهم بلقبه « منخبر رع » ولا أدل على ذلك من أن أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين سمي نفسه « منخبر رع » وكذلك نجد « بعنخى » الأثيوبي أعظم ملوك الأسرة الخامسة والعشرين لقب بلقب هذا الفاتح العظيم تبركا وتيمنا .

ولقد بلغ من تعلق الشعب المصرى بذكري « تحتمس الثالث » وحب الافتخار به درجة حدث بأفراد عامة الشعب أن ينسموا بلقبه « منخبر رع » فكانت هذه أول بدعة في تاريخ مصر ، إذ لا نعرف قط بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا أن لقب فرعون من السابقين أو اللاحقين قد استعمله أفراد الشعب اسماً علماً ينادى به كسائر الأسماء ، ولا غرابة فقد كان لفظ « منخبريا » سيفاً يضرب به المثل في الأقطار الآسيوية لقوة السلطان والعظمة والوفاء ، بل أكثر من ذلك نجد أنه كان يتعبد له في هذه الجهات ، فقد طلب أمير « تونب » تمثال « تحتمس الثالث » وبنى له معبداً في بلده ، وأقام له الشعائر . كما وجدت لوحة لأحد كبار رجال الدولة المسمى « ابن إثى » وهو أسوى الجنس من عهد الملك « مرنبتاح » يشاهد فيها هذا الموظف وهو يتعبد للفرعونين « تحتمس الثالث و مرنبتاح » نفسه (A. S. XL. P. 45ff.)^(١)

أسرة تحتمس الثالث

لا نزاع في أن الجزء الأول من تاريخ حياة تحتمس الثالث الزوجية لا يزال غامضاً إذ نعلم أنه تولى العرش ولم يكن قد بلغ الحلم بعد ، والمفروض أنه قد تزوج من أخته « نفرو رع » كبرى أخواته و بنت « حتشبسوت » ، وقد كانت الوارثة الشرعية للملك ، غير أن هذا الزواج لم يتم ، وإن كان بعض المؤرخين يعتقد أنه بنى بها بعد

(١) وكذلك نشاهد بعض أفراد الشعب يتعبدون لهذا الفرعون في صورة أوزير في خلال الأسرة

الثانية والعشرين (راجع (J. E. A. Vol. V. P. 177. Pl. XXXI.

مضى سنين عدة ، ولكالم نجد لما حتى الآن لقب الزوجة الملكية على الآثار كما هو المتبع ، وكل ما نعرفه أنها كانت تكتب « الزوجة المقدسة » أو « زوجة الإله » وهو لقب غفري كانت تجمله الوارثة الشرعية للعرش ، ولذلك كانت تجمله هي والبتها في آن واحد . وعلى أية حال لا نعرف على وجه التأكيد التاريخ الذى توفيت فيه هذه الأميرة ، وللمرجح أنها ماتت في حياة « سنفوت » أى قبل موت والبتها « حتشبوت » . وقد كان موتها من الأسباب التى عجبت بسقوط « سنفوت » نفسه ، والظاهر أنه بعد وفاتها تزوج « تحتمس الثالث » من أميرة تدعى « أح ست » وربما كانت أخته لأبيه ، إذ كان اسمها يوضع في طغراء ملكية . والظاهر أنه بعد وفاة « نفورع » التى كان يجب أن تعتبر الزوجة الشرعية ، حلت محلها « أح ست » ، إذ نجد في معبد الإله « بتاح » لوحة محي منها اسم « نفورع » ووضع مكانه اسم « أح ست » ، ^(١) هذه . وكذلك عثر المؤرخ « ويكل » على قطعة من لوحة نقش عليها اسم هذه الملكة ، واسم « تحتمس الثالث » زوجها في معبد الجنازى مما يظهر أنها كانت ملكة على البلاد معه مدة قصيرة بعد انفرادها بالحكم . وقد وجدت لها (بلطة) منذورة بالعبادة المدفونة . ^(٢) وكذلك وجد لها تمثال أهداه لها « تحتمس الثالث » بعد وفاتها في « طود » جنوبى « طيبة » ، ^(٣) والظاهر أنها كانت قد توفيت عند ما بنى « تحتمس الثالث » مقصورة البقرة المقدسة في معبد الأسرة الحادية عشرة بالدير البحرى إذ لم يأت ذكرها على النقوش هناك . ^(٤) والظاهر أن « مريت رع حتشبوت » بنت الملكة « حتشبوت » وأخت « تحتمس الثالث »

(١) راجع : Legrain, "Repertoire", No. 119.

(٢) راجع : (A. S. VII P 118).

(٣) راجع : Mariette, "Abydos" II. P. 40.

(٤) راجع : Legrain, Ibid. No. 188.

(٥) راجع : Naville, "11th. Dyn. Temple", P. 63.

من أبيه كانت قد بلغت وقتئذ سن الزواج فبنى بها ^(١) ، ونشاهد « امنحبت
الثانى » ومعه والدته « مريت رع ، حتشبوت » فى مناظر قبره ^(٢) . وكذلك نشاهده
معها على جعران ^(٣) ، ويوجد تمثال « بواهل » فى صورة ملكة يمثلها وقد كتب اسم
زوجها على صدرها عثر عليه فى معبد « ازيس » بروما ، وهذا التمثال موجود
الآن فى مجموعة « باروكو » ، ويوجد منه نسخ فى تورين وبرلين ^(٤) . يضاف إلى
ذلك أننا نشاهد هذه الملكة واقفة خلف زوجها « تحتمس الثالث » فى معبد مدينة
« هابو » ^(٥) .

وعلى الرغم من أن « مريت رع حتشبوت » كانت تلقب « الزوجة الملكية
العظيمة » أى الزوجة الشرعية ، فإن « تحتمس الثالث » كانت له زوجات أخريات
ثانويات ، ونعرف من بينهن اثنتين ، أولاهما تدعى « مريت امون » وكانت تلقب
« الابنة الملكية » و « الزوجة الملكية » وهذا يعنى أنها كانت بنت « تحتمس الثانى »
من زوجة ثانوية ، أى أنها كانت أخت « تحتمس الثالث » وزوجه فى آن واحد .
أما زوجه الأخرى فتدعى « نبتو » وهى التى كان يدير أملاكها « نب امون » ،
ولدينا بطاقة من الخشب ضمن البطاقات التى سبق ذكرها مؤرخة بالسنة السابعة
والعشرين ذكر عليها اسمها بوصفها الأميرة « نبتو » بنت ابن الملك المسمى
« سيتوم » .

ويحتمل أن الأمير « سيتوم » هذا كان ابن عم الفرعون « تحتمس الأول » ،
وعلى ذلك تكون « نبتو » هذه بنت عم « تحتمس الثالث » . والظاهر من تاريخ

(١) راجع : L. D. III, Pl. 62, 64.

(٢) راجع : Mariette, "Abydos" II. P. 40.

(٣) راجع : A. Z., XX. P. 118.

(٤) راجع : A. Z. XXI, P. 118.

(٥) راجع : L. D. III, Pl. 38b. & Champollion, "Notices", P. 195, 3.

البطاقة أنها لم تكن قد تزوجت هذا الفرعون بعد^(١) ، وقد جاء ذكر اسمها في قبر
« تحتمس الثالث » وقد كانت وقتئذ على قيد الحياة .

أما أولاد هذا الفرعون ، فلم يذكر في قبره إلا اسم الأميرة « فرتارى »
المرحومة ، ولما لم يكن اسمها قد أحيط بطغراء فيظهر إذن أنها لم تكن من دم ملكي
خالص بل يحتمل أنها كانت إحدى بنات زوجاته الثانويات ، هذا وقد ذكرت
أسماء ثلاث أميرات على ثلاث بطاقات من البطاقات الخشبية السالفة الذكر
بوصفهن بنات « تحتمس الثالث » .

وسياتى الكلام عن « منحتب الثانى » الذى أنجبه من زوجه « مريت رع
حشهبوت » فى حينه .

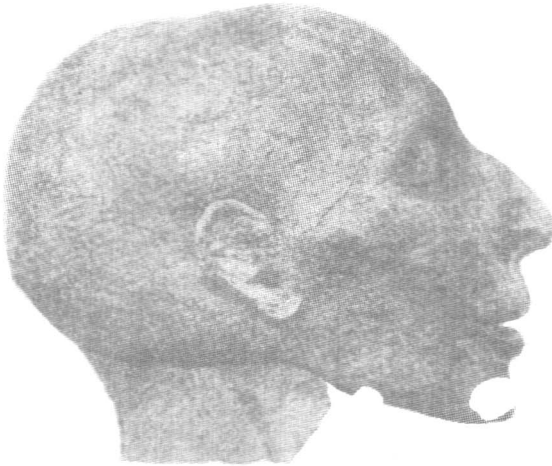
وفاة تحتمس الثالث

صعد « تحتمس » العظيم إلى السماء بعد أن جلس على عرش الملك أربعة وخمسين
حوالا كاملا ، وقد أكد لنا ذلك قائده الأمين « امنمحاب » فى تاريخ حياته الذى ذكره
لنا على جدران قبره إذ يقول : « لقد أتم الفرعون حياته الحافلة بالسنين بشجاعة
وسلطان ونصر من السنة الأولى الى السنة الرابعة والخمسين فى اليوم الثلاثين من
الشهر الثالث من الفصل الثانى ، وهو حكم الملك « منخبر رع » ، ثم صعد إلى
السماء واتحد مع الشمس ، واندجت الأعضاء المقتنعة مع بارئها ، وعندما انطلق
الصباح وأشرقت الشمس وأضامت السماء ، ترجع على عرش والده الفرعون
« ماخبر رع » أمنحتب الثانى ولقب بالألقاب الملكية^(١) .

وقد دفن تحتمس العظيم فى مقبرة أعطاها لنفسه فى « وادى الملوك » ، وقد
كشفت عن هذه المقبرة فى ربيع سنة ١٨٩٨ ، وتقع على مسافة قصيرة من مقبرة

« رمسيس الثالث » وجدرانها محلاة بصور آلهة ونقوش من بينها قائمة طويلة بأسماء الآلهة كما نقش عليها نسخة تامة من كتاب « ما يوجد في عالم الآخرة » .

ويشاهد على عمود من عمد الحجرة الثانية « تختمس الثالث » تتبعه والدته « لازيس » وأزواجه وابنته « مريت آمون » . وعند ما كشف عن قبره وجد التابوت خاوياً ، وذلك لأن موميته قد نقلت من قبره إلى خبيثته « الدير البحرى » ، والظاهر أنها كانت قد عث بها اللصوص في مخدعها الأخير بعد أن هشموا التابوت الخشبي الذى كان يحتويها ونهبوا ما عليها من حلى . وقد حدث من جراء ذلك أن أصيبت المومية بأضرار جسيمة وتدل شواهد الأحوال على أن الذين وضعوها ثانية فى مخبأ « الدير البحرى » قد أصلحوا الكفن وهو مصنوع من الكتان الجميل وقد نقش عليه تعاويذ من « كتاب الموتى » كما وجد معه كذلك بعض الأثاث الجنائزى أهمه أوزة من الخشب وفهود كذلك من الخشب وتمائيل صغيرة وخواتم من الخرف المطلى وتعاويذ عدة ورممو المومية قبل دفنها ، فوضعوا الأجزاء التى كانت قد تفككت من الجسم فى مكانها ، ولأجل أن تصبح المومية



مماسكة الأجزاء ، وتأخذ شكلها الأصلي وضعت بين أربع قطع من الخشب كل منها بشكل مجداف ولونت باللون الأبيض ، ثلاث منها في داخل الكفن ، وواحدة خارجه تحت الأشرطة التي ربط بها الكفن . ولحسن الحظ لم يصب وجهه بسوء إذ كان قد غطي بملاط من القار وقت التحنيط ، وقد بقى سليما لم تعبه يد اللصوص .

ولا يدل مظهر وجه « تحتمس الثالث » على نموذج المثل الأعلى لقائم عظيم مثله ، ومع أن تماثيله لا تظهره في صورة رجل جميل الطلعة إلا أنها مع ذلك تدل على أنه كان رجلا مهذبا ذا تقاسيم تنطق عن ذكاء . وإذا قرناها بصورته الأصلية وجدنا أن المثل الذي نحتها كان كريما معه إلى حد بعيد . إذ نجد في الواقع مجا « تحتمس الثالث » لا ينم عن أى جمال ، إذ كان منخفض الجبين إلى درجة تفوق المتاد ذا عينين غائرتين في عجزيهما وفك ضخم ، وشفتين غليظتين ، وخد بارز العظم جدا ، فكل ملامحه إذن تذكرنا بملاح والده « تحتمس الثانى » ؛ غير أن هيئته كانت تدل على مقدار عظيم من النشاط ، وفي الحق أن « تحتمس الثالث » كان فلاحا من السلالات المصرية القديمة الأصلية ، قصير القامة ، ممتلئ الجسم ، سقويا في صورته ولامعه ، غير أنه مع ذلك لم تنقصه قوة المزيمه ، وشدة البأس .

اخلاقي تحتمس الثالث ومكانته في العالم القديم

تحتمس الثالث رجل حرب بطبعه : لقد كانت أبرز صفة لحظناها في استعراضنا لتاريخ حياة « تحتمس الثالث » منذ نموه أظفاره هي حبه للكفاح والشغف بالفز والميل إلى ركوب متن المخاطرات بصورة لا تعرف الكلل . ولا ضاربة في ذلك فإنه قد نشأ في عصر كله حروب وغزوات وأجداده ملوك الأسرة الثامنة عشرة قد قضوا معظم حياتهم في ساحات القتال شمالا وجنوبا يغزون آسيا مرة ويهدثون الثورات في السودان مرة أخرى .

هذا إلى أن البلاد من أقصاها إلى أقصاها كانت لا حديث لها غير الغزاة الذين استعبدوهم مدة قرن ونصف من الزمان ، وأن بقايا هؤلاء الغزاة كانوا لا يزالون يقطنون آسيا ، وأن الخوف منهم كان لا يزال عالقا بأذهان المستنين منهم على الرغم من امتداد فتوح الفراعنة العظام حتى نهر الفرات .

في هذا الجو الذي كان يملؤه رنين السيوف وأهوال الحرب نشأ « تحتمس الثالث » ، وقد أراد والده أن ينشئه تنشئة دينية فوضعه في معبد « آمون » بالكرك، غير أنه على ما يظهر كان الكهنة أنفسهم متشبعين بروح إلههم الذي كان يعد إله



(٣٣) تمثال تحتمس الثالث بالمتحف المصرى

الحرب وناصر القراعنة في ساحة القتال ، فبثوا في نفسه ذلك الروح الحربي الذي ساد البلاد في هذا العهد ولقنوه دروسا في البطولة والشجاعة ، وضربوا له الأمثال بأجداده ملوك الأسرة الثامنة عشرة ومن قبلهم ملوك الأسرة الثانية عشرة وبخاصة « سنوسرت الثالث » الذي كان يعتبر في نظر الشعب المصري ونظر ملوك الأسرة الثانية عشرة بطل الفتوح المصرية ، وموقف روح الوطنية والبطولة في نفوس ملوكها . ولذلك نجد أن « تحتمس الثالث » عندما اعتلى العرش ولم يكن قد بلغ الحلم بعد كان أول عمل قام به هو إعادة مباني « سنوسرت الثالث » في « سمنة وقبة » التي أقام عندهما هذا البطل العظيم لوحته المشهورة محذرا أخلافه من الملوك وبني وطنه ألا يترخوا في المحافظة على الحدود المصرية التي مدها حتى هذه النقطة بجد السيف .

فأعاد هذا الملك الصبي بناء هذه المباني الدينية وفضلا عن ذلك رفع « سنوسرت الثالث » إلى مرتبة الآلهة بوصفه إله حرب . فهل جاء ذلك عفوا من فرعون صغير كان لا يزال في الثانية عشرة من عمره أم هل فعل ذلك عن قصد ونتيجة تعاليم لقنها في طفولته ، وبخاصة إذا علمنا أن الوصية على العرش وقتئذ كانت امرأة لا تريد الحرب بل قضت طوال مدة حكمها بعيدة عن الحروب وأهوالها .

وفي الحق أن حياة « تحتمس الثالث » تحدثنا صراحة أنه قد قام بهذا العمل عن قصد وعن مبادئ قد تشبع بروحها . ولقد حاولت الوصية على العرش « حتشسوت » والملكة « ماعت كارع » فيما بعد أن تحمدا أنفاس الروح الحربي الذي يتأجج في نفس « تحتمس الثالث » طوال ثلاثين حولا حتى إذا ما وجدنا متغذا بعد موت هذه الملكة انطلق من عقاله ومرق كالسهم ، فلم نلبث أن وجدنا تحتمس على رأس جيش عظيم على حدود مصر يزحف إلى سهول « مجدو » . والعجب العجيب في ذلك أنك ترى الخطط الحربية المنظمة المحبوك التي تعززها البسالة والإقدام والذكاء الخارق مما لم يسمع به في تاريخ حروب العالم قبل ذلك .

ومن يطلع على هذا النظام وتلك الخطط البارعة التي وضعها ذلك القائد البارع لا يشك في أن «تحتمس الثالث» كان يفكر طوال مدة إقصائه عن الحكم فيها ويدرسها من كل نواحيها حتى يفاجئ العالم بها دفعة واحدة . ولا نزاع في أن معركة «مجدو» أولى انتصاراته ، وما جاء فيها من خطط سديدة وحركات فنية كانت أول درس ألقى على قواد العالم القديم بل والحديث في فنون الحروب وقيادتها .

أليس هو «تحتمس الثالث» الذي كان أول من قسم الجيش الى جناحين وقلب ، وأنه هو الذي بجسارته وحبه للغامرة في سبيل نيل مأربه قد اتخذ أقصر الطرق مع ما فيها من مخاطرة لمهاجمة العدو . وأنه هو الذي أراد أن يضرب المثل الأعلى لمجلسه الحربى الذى عقده - ولا نعلم مجلسا حربيا أعلى عقد قبل ذلك في العالم - فعول على أن يكون أول مضح بحياته إذا مادعا داعى الوطنية والشرف ؟ أليس هو «تحتمس» الذى كان يضرب له السراشق فى أرض الأعداء يدبر فيه خططه التى كان ينفذها عند ما ينبجج الصباح ؟

أليس هو «تحتمس» الذى لم ينس مناظر الحروب وما أوتيه من نصر بمساعدة إلهه «آمون» - إله الحرب - فعاد إلى مصر وهى مرتسمة فى غيبته . ولم يرد أن تذهب عنه أوتيناساها فأقام للإله «آمون» معبدا هو صورة مطابقة لخيمته التى كان يشغلها فى أثناء حروبه ليدخل فى روع شعبه أن «آمون» هو الذى آزره ونصره وكتب له الفوز فى هذه الحروب فهو إله كفاح وجهاد ، لا يسكن فى محراب بل فى سراشق حرب على استعداد دائم للأخذ بناصر ابنه «تحتمس» فى ساحة الوغى إذا ما جل الخطب وعظم المكروه مع أولئك الأقوام الثائرين .

ثم نرى «تحتمس» يكشف لنا عن صفحة أخرى من مجده الحربى ومهارته وشدة ذكائه فى إحكام خطتها . فنشاهده يسير بأسطوله ويفتح الموانى التى على شاطئ فينيقيا ليتخذها قاعدة حربية لتكوين جيوشه التى كانت تغزو قلب «آسيا»

حتى لا يطمئن من الخلف، وحتى يمكنه أن يضرب ضربته وهو مطمئن، ويكون أسطوله الرابطة بينه وبين مصر من جهة وبينه وبين جيوشه التي كانت تسير في أرض معادية من جهة أخرى . وقد أمّدت هذه الموانئ بالمواد الأولية والصناع، وكل ما يلزم لجيشه من عتاد ومؤن . بل لتأمين ذلك جعل لهذه الثغور جزية تدفع لها سنويا ونعراجا يجبي لها من محاصيل البلاد المجاورة، هذا الى استخدام أساطيل البلاد الموالية له على الساحل في قضاء شئونه وبخاصة سفن « جييسل » . وبلاد الكفيتو .

كل ذلك سهل عليه إخضاع الولايات التي كانت تشق عصا الطاعة على مصر، كما كانت تسهل عليه فتح البلاد الثابتة في داخل بلاد آسيا . ولا أدل على الخدمات التي قدمتها له هذه الثغور من تلك التي سهلت عليه إعادة فتح بلاد « نهرين » وامتد حدوده الى أبعد مما وصل إليه أجداده . وهنا تظهر عبقرية « تحتمس » مرة أخرى في ابتكار الخطط وإعداد العدة لنيل ما ربه مما جعله على رأس الفاتحين من حيث العبقرية والذكاء، فقد فكر في بناء سفن حربية لتقل جيشه عبر نهر الفرات حتى يسهل عليه إتمام الفتح . ولكنه خشي من صنعها في أراضي العدو الذي ربما أفسد عليه خطته ، ولذلك بنى سفنه قطعاً متفرقة في « ببلوص » التي كان لأهلها شهرة في صناعة السفن ثم ابتكر لها عربات من نوع خاص تجرّها ثيران حتى شاطئ الفرات ، حيث ركبت أجزاؤها، وبذلك نفذت خطته التي كانت نسيج وحدها . وهانحن أولاء نسمع في تاريخ الحروب الحديثة أن القواد العظام يأخذون دروساً عن قائد مصر كما يقول مؤرخو الفرنج، فيقول الدكتور « ولسن » إن اللورد اللبي سار على هدى خطط « تحتمس الثالث » في إحراز النصر على الأتراك في احتراق ممر « عرونا » الذي سلكه فاتح مصر العظيم . ويحدثنا المؤرخ « فولكنر » أن القائد الأكبر « موتجمري » قد قل السفن الصغيرة من شاطئ البحر محمولة حتى نهر الراين ليحبر بها هذا النهر ويباغت بها العدو، ثم هو ينتصر عليه كما انتصر « تحتمس الثالث » عندما قل أسطوله إلى نهر الفرات وانتصر على أمير « نهرين » .

وكان روحه الحربى حتى فى أوقات فراغه لا يخذ ولا يهد أنشاطه ، إذ نراه بعد منازلة الأبطال فى ساحة الوغى يخرج إلى الوديان لمنازلة أخطر الحيوان وأشدّه بطشا بالإنسان .

وتلك شئنة نعرفها فى أبطال هذه الأسرة فقد كان ملوكها مغرمين بالصيد والقنص كما سنرى بعد ، والظاهر أنهم كانوا يتعلمونها بالوراثة ، فقد ذكر لنا « تحتمس الثالث » ما أحرزه من ضروب الشجاعة الفذة فى الصيد والقنص . إذ ذكر لنا أنه قضى على قطيع من الفيلة عند بلدة « نى » عند نهر الفرات ، بل يذكر أكثر من هذا مما يمتاز به على فراعنة مصر عندما شرح لنا على جدران معبد « أرمنت » كيف اصطاد وحيد القرن ، وكأنه كان يشعر باستحالة ذلك ، فدوّن لنا أوصاف هذا الحيوان ومقاييسه ، وهو يعدّ أخطر أنواع الوحوش وأشدّها افتراسا ، وقد ترك لنا لوحة فى معبد الإله « متو » إله الحرب ، وعدّد لنا ضروب شجاعته فى الصيد والرماية ، وما أحرزه من انتصارات .

على أن « تحتمس الثالث » كانت له نواح أخرى غير الحرب والصيد والقنص ، فقد وجدناه عندما عاد من إحدى حملاته يقوم برحلة تفتيشية فى كل أنحاء مصر يسأل بكل دقة وعناية الموظفين المحليين وكان غرضه فى ذلك الضرب على يد المرتشين فى الإدارة المحلية فى أثناء جمع الضرائب ، وقد كان كذلك من أغراضه فى مثل هذه الرحلات ملاحظة سير العمل فى بناء المعابد العظيمة التى كان قد أمر بإقامتها أو إصلاحها وتزيينها فى أكثر من ثلاثين مكانا على ما نعلم وغيرها مما عفت عليه الأيام . أليس هو « تحتمس الثالث » الذى قد أحيا معالم الدلتا التى بقيت مهملة منذ عهد المكسوس البغيض ومن ربوعها حتى « نباتا » عند الشلال الرابع كانت مبانيه تسير على خط واحد على المدن والبلدان كأنها عقد من اللآلىء قد نظمت جواهره على طول شاطئ النهر . ثم أليس هو الذى كان عند عودته بعد عمله المضنى إلى طيبة تُرى أعماله هناك عظيمة وسلطانه محسا فى كل ناحية من

نواحى الإدارة . فقد كانت ثروة الإله « آمون » المتزايدة تحتاج إلى عناية وحسن تديره الشخصى فكان يملئ على الكهنة التعليمات الدقيقة لإدارة معابد الحكومة وثروتها النامية ، وقد كان ساعده الأيمن فى تنفيذ كل ذلك وزيره وأخوه من الرضاة « رخمى رع » كما سنفصل القول فى ذلك (Cambridge Ancient History Vol. II. P. 81.) وفى أوقات فراغه وجدناه مفتتا يرسم الأوانى الأنيقة من ابتكاره ، ويضع التصميم ، ثم يسلمه ليد مهرة الصناع لتنفيذه ، وكذلك نراه فى مظهر آخر يجمع أجمل الأزهار وأندرهما من بلاد « سوريا » ، وكذلك الأشجار التى لا تنبت فى بلاده ، ويأمر بنقلها إلى مصر وغرسها فى حدائق غناء فى معبد الإله « آمون » . وكذلك يختار من الحيوان والطيور أجملها وأندرهما ويحملها إلى حظيرة الإله ، ويتمهد نموها وتكاثرها . كل ذلك يدل على روح تحب الفن والطبيعة ومباهجها .

على أن ما بلغت النظر فى أخلاق هذا الجندى الباسل الذى كان لا ينفك عاما واحدا عن منازل الأعداء ، والضرب على يد المنشقين عليه أنه كان رجلا قد امتاز بشفقه وإنسانيته بل ورحمته للغلويين . فقد رأيناه يتجاوز عن سيئات أمراء الحلف الذين قاتلوا عليه بعد أن وقعوا فى قبضته فى موقعة « مجدو » ، فلم يسلبهم عرشهم ، أو يحرمهم متاعهم ، وحتى عدوه اللدود « أمير قادش » وكذلك « أمير تونب » نراهما قد مثلا فى قبر « مدير أعماله منخبورع سنب » وقد أتيا إلى الفرعون أحرارا لم توضع فى أيديهم السلاسل ولا فى رقابهم الأغلال مما يدل على أنهما كانا بدورهما قد صفع عنهما . وكذلك نلاحظ أن رهائن العدو قد لاقوا معاملة حسنة ، وأعيدوا فى نهاية الأمر إلى أوطانهم ؛ ولم نسمع مرة أن « تحتس الثالث » قد مثل بأجسام قتلى العدو الذى هزم بصلبهم فى مقدمة سفينه كما فعل جده « تحتس الأول » وابنه « أمنحتب الثانى » .

ونشاهد ضمن مناظر قبر وزيره « رخمى رع » أسرى حروب أسيويين يعملون فى صنع قوالب اللبن كما تحدثنا عن ذلك النقوش : لأجل بناء مخزن للإله « آمون »

وكذلك تحدثنا النقوش أنهم كانوا يؤمنون بالخبز والجمعة وكل نوع طيب من الطعام، وأن قلوبهم كانت تحب ملكهم الرحيم .

على أن ذلك وإن كان لا يعطينا صورة صادقة عن الواقع، فإنه مع ذلك يمثل لنا صورة نموذجية مما يجب أن يعامل به الأسرى الذين كتب عليهم الوقوع في أيدي عدوهم .

ولاشك في أننا نرى في كرم معاملاته لأعدائه الأسويين حكمة وحسن سياسة بعيدة المرمى ، وفي الحق إن حسن سياسته قد ظهرت في فرص عدة في خلال فترة اشتراكه مع الملكة « حتشبسوت » عند ما كانت هي وعصابتها يضيقون عليه الخناق ويسدون في وجهه كل منفذ بصورة مريعة ، وإلا لرأيناه لولا صبره واحتماله يقضى على حياته بيده . والواقع أن ما أوتيته من قوة إرادة وضبط نفس لأكبر شاهد على اجتيازه محنة تلك السنوات التي قضاها في منفاه الذهبي طوال مدة حكم « حتشبسوت » .

وتجلى قوة إرادته وحسن تديره كذلك أو إن شئت فقل حسن تديره من كان حوله في اعتلاء عرش الملك في أول أمره ، على الرغم من أن أمه لم تكن إلا زوجة ثانوية « لتحتبس الثاني » والده . وأنه في صباه لم يكن إلا كاهنا بسيطاً في معبد « آمون » .

ولقد كان لسياسته ومضاء عزمته ونظمه الموفقة الأثر الأكبر الذي كتب للإمبراطورية التي وطد أركانها البقاء عدة أجيال ، إذ كان أكبر ما تصبو إليه نفسه وأهم ما جاهد لتحقيقه أن يوطد أواصر الود والمصافاة بينه وبين أجزاء إمبراطوريته فكان يربي أمراء الولايات التابعة له مع أمراء البيت المالكي ، ويلقنهم حب مصر، ويطلعهم على عظمة بلاده في عقرداره، كما أنه كان يأخذ بناصر كل أمير غلب على أمره مما جعل اسمه مضرب الأمثال في القوة والشجاعة والنجدة ، حتى أن أمراء بعض الولايات كانوا يطلبون تمثال هذا الفرعون إلى بلادهم ويقيّمون له المعابد،

ويتضرعون إليه في المراء والضراء وحين البأس . وكان أولئك الأمراء المواليون يفدون إلى مصر مقدمين له فروض الطباخة والخضوع كما يشاهد ذلك في مقبرة وزيره العظيم « رمحي رع » الذي كان يكرر لهم عباراته المشهورة عن سيده « تحتمس » : ” إن جلالتة يعرف كل شيء يحدث ، ولا يوجد شيء لا يعرفه ، وإنه مثل الإله « تحوت » (إله العلم والحكمة) في كل شيء ، وإنه لم يقم بأى عمل إلا نفذه “ .

ومع كل تلك الصفات وهذه الأخلاق العظيمة كان « تحتمس الثالث » رجلا صادقا متدينا ، إذ يقول عن نفسه : ” إني لم أنطق بكلمة مبالغ فيها ابتغاء الفخر بما عملته ، فأقول إني فعلت شيئا دون أن يفعله جلالتي ، ولم آت بعمل فيه مظنة ، وقد فعلت ذلك لوالدي الإله آمون ، لأنه يعرف ما في السماء ويعلم ما في الأرض ؛ ويرى كل العالم في طرفه عين “ .

هذا هو « تحتمس الثالث » كما نستخلصه من الآثار الصامتة ، بعد استقراء وخص وقد نكون قد شططنا في إعطائه حقه ، أو أغفلنا بعض مناقبه ، ولكن تفاديا لذلك سترك الشاعر المصري يصف لنا أعماله ومكانته في العالم الذي كان يعيش فيه بتدوين تلك القصيدة الخالدة التي تتغنى بانتصارات « تحتمس الثالث » وما أتاحه من أعمال خارقة للحد المألوف . ولا بد أن « تحتمس الثالث » قد أمر بإقامة اللوحة التي كتبت عليها تلك القصيدة في معبد الكرنك بعد انتهائه من حروبه في آسيا وبعد أن أغدق على الإله « آمون » الخيرات ، وأوقف عليه البلاد والضيايع ، ولذلك نجد أن الشاعر المصري قد جعل هذه القصيدة التي كانت فيما بعد نموذجا لعظماء الفراعنة أمثال « سبتى الأول » و « رمسيس الثاني » الذين تقلوها ونسبوها لأنفسهم ، تتكلم على لسان الإله « آمون » الذي حباه « تحتمس الثالث » بكل هذه الخيرات مقابل تلك الانتصارات التي منحه إياها في ساحة الوغى . فاستمع للإله « آمون » يخاطب ابنه « تحتمس الثالث » الذي كان في اسمه محرر كعبا موسى يهزم جيوش الأعداء في كل المواقع .

يقول « آمون رع » رب الكرنك : أنت تأتي إلى وتشرح حيناً تشاهد جمالي . يا بني . يا حامي ، يا « منخبر رع » الباقي المخلد . إني أطلع منيرا حبا فيك .

إن قلبي ينشرح بجيئك الميمون إلى معبدي ، ويدأي تمنعان أعضاءك الحماية والحياة .
ما أرق الشفقة التي تظهرها نحو جسسي ، ولهذا سأبتك في مأوى ، وأقدم لك أعجوبة .
إني أمنحك القوة والنصر على كل البلاد الجبلية ، وإني أتمكن مجدك والخوف منك في كل البلاد السهلة
كذلك ، والرعب منك يمتد إلى عمد السماء الأربعة . إني أجعل احترامك عظيما في كل الأجسام ، وأجعل
نداء جلاتك الحربي يتردد بين « أم الأقواس التسع » .

وعظما . جميع البلاد الأجنبية جميعهم في قبضتك ، وإني بنفسى أمد يدي وأصلطادهم لك .
وأربط الأسرى من « الترجلوديت » بعشرات الألوف ، والألوف ، وأهل الشمال بئات الألوف .
إني أجعل أعداءك يسقطون تحت نعليك فتعلا ... النازين ، كما أني أمنحك الأرض طولاً وعرضا ،
فأهالي المغرب ، وأهالي المشرق تحت سلطتك .

إنك تحترق كل البلاد الأجنبية بقلب منشرح ، وأينا حلت جلاتك طيس هناك من مهاجم . وإني
هرشدك ولذلك تصل إليهم . وإنك تعبر المنحنى الأعظم لبلاد « نهرين » بالنصر والقوة اللذين منحتهما
إياك . وعند ما يسمعون نداء إعلان الحرب يلجئون إلى الأبحار . لقد حرمت أنوفهم نفس الحياة .
وأرسلت رعب جلاتك ساريا في قلوبهم .

والصل الذي على جيئتك يحرقهم ويستولى على الأشقياء منهم غنيمة باردة ، ويحرق الذين في ... بلهيبه ،
ويقطع برهوس الأسويين ، ولا يفلت منه أحد بل يسقطون ، ويتكل بهم بسبب قوته .

إني أجعل انتصاراتك تنتشر في الخارج في كل البلاد . ذلك الذي يضى على جيني خاضع لك .
ولا أحد يثور عليك في كل ما تحيط به السماء . بل يأتون بالهدايا على ظهورهم ، ويقدمون الطاعة لجلالتك
كما أمر .

لقد عملت على كبت من يقوم بغارات ومن يقترب منك ، فقلوبهم محترق ، وأعضاؤهم ترتعد .
لقد حضرت لأجعلك تتمكن من أن تدوس بالقدم عظام فينيقيا .

ولأجعلك تثبت شملهم تحت قدميك في ممالكهم .

وأجعلهم يشاهدون جلاتك كرب الشعاع .

عندما تضيء في وجوههم بوصفك صوري .

لقد حضرت :

لأملكك من أن تظا أولئك الذين في آسيا .

وتقرب رؤساء عامو (آسيا) .

اجعلهم يشاهدون جلالتك مدججا بدرعك حينما تقبض على آلات الحرب في عريتك
لقد حضرت :

لأتمكن من أن أجعلك تظا بالقدم الأرض الشرقية .

وتظا من في الأقاليم أرض الإله . ولأجعلهم يشاهدون جلالتك مثل النجم « شد » الذي يشر
لهيبه كالنار حينما ترسل سبلها .

لقد حضرت :

لأجعلك تتمكن من أن تظا الأرض الغربية .

« فكفتيو » و « آمى » تحت سلطانك .

ولأجعلهم يشاهدون جلالتك مثل الثور الصغير .

ثابت القلب ، حاد القرن ، لا تمكن مهاجمته .

لقد حضرت :

لأمكنك من أن تظا هؤلاء الذين في مستنقعاتهم ؟ !

في حين أن أرض « متن » ترصد خوفا منك .

ولأجعلهم يشاهدون جلالتك كالتساح .

رب الرعب في الماء لا يمكن الاقتراب منه .

لقد حضرت :

لأمكنك من أن تظا هؤلاء الذين في الجزائر .

والذين في وسط المحيط وهم الذين تحت لوائك ولأجعلهم يشاهدون جلالتك متخفا .

قد ظهر متصرا على ظهر فريسة .

لقد حضرت :

لأمكنك من أن تظا « اللوبيين » .

« والأويخر » بقوة سلطانك .

ولأجعلهم ينظرون إلى جلالتك كالأسد المقدس ،

حينما تجعلهم أكواما من الجثث في وديانهم .

لقد حضرت :

لأمكنك من أن تظا أقصى حدود الأراضي ، في حين أن ما يحيط به الأقباوس يكون في قبضتك .

ولأجلهم ينظرون إلى جلالتك كرب الحاح .

الذى يقبض على الذى يرى كما يشئى .

لقد حضرت :

لأملك من أن تطأ هؤلاء الدين فى الميلاد الغربية .

وتربط سكان البدو أسمى .

لأجلهم ينظرون إلى جلالتك كابن آوى الوجه القلى ، (وهو أشد ما يكون انزاسا) وهو رب

السرعة سافا مخترقا الأرضين .

لأملك من أن تطأ « ابر » النوبة ، ويكون فى فضك حتى بلاد « شات » .

ولأجلهم ينظرون اليك كأخويك التوأمين .

الذين ضمت أيديهما لك فى النصر .

ولذلك وضمت أختيك خلفك حاية لك على حين أن ذراعى جلالتي كانتا مرفوعتين لتقبضا على كل شر

إنى أمذك بالحماية يا بنى المحبوب « حور » .

يا أيها الثور القوي الذى يسطع فى « طيبة » .

والذى أنجبه من أعضائى الإلهية .

« تحتمس » المخلد أبدا الذى عمل لى كل ما تنوق إليه قمى « كا » .

لقد أقت لى مسكا ، وهو عمل سبق الى الأبد .

وجعلته أطول وأمرض مما كان عليه من قبل ،

والباب العظيم ... الذى يجمل جماله « بيت آمون » (؟) فى عين .

إن آثارك أعظم من آثار كل ملك سلف .

إنى أعطيك الأمر لتقيمها ، وإنى أشرح بها .

وإنى لأبجلك على عرش « حور » مدة آلاف آلاف السنين حتى زعمى الأحياء الى الأبد .

ولا شك فى أن القارئ قد وجد فى هذه القصيدة مبالغات خارجة عن حد

المألوف كما هى العادة فى المدائح التى نقرؤها فى أشعار المدائح فى الشرق عامة . وهى

تعتبر من الشعر الرسمى الذى ينقصه التنوع فى التعبير والخيال السامى ، ولذلك فهى

لا تمتد فى نظرنا من الأدب الراقى ، غير أنها كانت فى نظر المصرى من الشعر النموذجى

والإلى نسبها بعض الملوك لأنفسهم كما ذكرنا . (راجع كتاب الأدب المصرى

القديم جزء ٢ ص ١٨٦) .

الموظفون وحياتهم الاجتماعية في عهد تحتمس الثالث

الوزير « وسر آمون » أو « وسر » : يعدّ الوزير « وسر » من أوائل عظماء الدولة الذين نصبهم « تحتمس الثالث » على إثر انقراضه بالحكم ، وذلك قبل بداية السنة الواحدة والعشرين ، وهو العام الذى اختفت فيه « حتشبسوت » . وهو بلا نزاع من رجالات العصر الذين تركوا أثرا خالدا في نظم الحكم ، ولاغربة إذا كان هو واضع بعض المبادئ القويمة التي سار على نهجها ابن أخيه « رمعي رع » الذى يعدّ أبرز شخصية في نظر المؤرخ الحديث بما تركه من آثار خالدة في نقوش قبره كما سنرى بعد . والواقع أن ما بقى لنا من آثار « وسر » يتحدثنا عن عظمته ، وما كان للوزير من مقام عظيم ومكانة منفردة في نفوس الشعب ، ومن آثاره نعرف أولا أنه كان يحمل الألقاب التالية (راجع Urk. IV. P. 1030 - 1306) .

(١) الأمير الوراثي ، (٢) فم « نحن » (٣) كاهن « ماعت » (العدالة) (٤) رئيس العدالة (٥) مدير أسرار بيت الفرعون (٦) المشرف على بيتي الذهب وبيتى الفضة (أى رئيس الخزانة) (٧) المشرف على مخازن غلال « آمون » (٨) وخازن كل الأشياء الثمينة في « الكرنك » (٩) وعمدة المدينة والوزير (١٠) والمشرف على القصور الستة (١١) والمشرف على قاعات العدل الست العظيمة (١٢) حامل خاتم ملك الوجه البحرى (١٣) السмир الوحيد ، الأمير أمام العامة (أهل الوجه البحرى) ، كاتب كل الأحجار الثمينة الغالية ، والمطهر ، ومساعد كاهن الإله « مين » والقاضى ، والمشرف على الكتاب .

وتدل الآثار الباقية على أن الوزير كان له قبران في « جبانة شيخ عبد القرنة » وهما رقم ٦١ ، ورقم ١٣١ ، والقبر الأول رقم ٦١ لم يتم نحته ، ويعرف بقبر « وسر » فقط ، أما القبر الثانى فكان قد نحت في صخر على ارتفاع حوالى خمسين قدما فوق الأول . وكان يسمى فيه المتوفى « آمون وسر » ، ولكن لدينا نقوش

في مقبرة « أمنمحات » مدير بيته ، تدل على أنه هو نفس « وسر » . صاحب المقبرة الأولى . وهذا القبر الأخير كان آية في الزخرف والإتقان ، يدل على ذلك ما أبقت يد التخريب والعبث التي أودت بمعظمه ففضلا عن متن تنصيب الوزير ، ومتن واجباته اللذين كانا منقوشين على جدرانها فإنه لا يزال لدينا بعض مناظره الجميلة باقية منها الوفود الذين جاءوا من الشمال حاملين الجزية ، والنقوش المفسرة له تقول : « تسلم الغنائم التي أحضرتها قوة جلالته من الممالك الشمالية الواقعة عند حدود « آسيا » ومن « الجزر » التي تقع في وسط البحر بواسطة الحاكم الوريث ، والمتكلم الذي يأتي بالسلام لكل أرض ، والمشرق على محاكم العدل « وسر آمون » . ويرى في هذا المنظر ممثلون من الجزر التي تقع في قلب الأخضر العظيم (البحر الأبيض المتوسط) وهي « كريت » ويحتمل الجزر الأخرى التي كانت تحت سيطرتها ، والجزية أو الهدايا التي كان يحضرها أولئك تضيف معلومات جديدة الى معلوماتنا السابقة ، وكذلك نشاهد في صف آخر « أهل حدود آسيا » وفي الصف الأخير نشاهد أهالي « رتنو » وكل هذه الأجناس نراها ممثلة في حضرة « رخ مي رع » ، مما يدل على أن المفتن لم يرسمها من خياله بل كان أمامه ممثلون حقيقيون أخذ عنهم صوره (راجع 5 - 1924 M. M. A. 7 - 46 Part II. March P.) .

الوزير « وسر » يحل محل والده عامثو : على أن أهم منظر في المقبرة هو منظر الاحتفال بتنصيب الوزير ، ويجب أن نقتر هنا أن قبور الوزراء على وجه عام ، وقبر « وسر » على وجه خاص كانت تزين معظم جدرانها بمناظر تبرز أعمال الوزير ووظائفه ، وما كان يجب عليه في اتباع المثل العليا للحق والعدالة التي كانت أهم تقليد يسير على نهجه كل وزير ، هذا الى مناظر تصور لنا قوة مصر وسيادتها مثل مناظر الأجانب وهم وافدون الى مصر يحملون ما فرض عليهم من جزية يضعونها تحت أقدام الفرعون وهم صاغرون . ومن أهم المناظر التي خلفها لنا « وسر » على جدران مقبرته هذه تلك الصورة الرائعة التي تمثل الوزير المسن « عامثو » والده ، وهو ينوء تحت عبء السنين ، ويثني تحت ثقل الشيخوخة

فتقوّست قناته ، وارتخت أعضاؤه ، مما جعله يطلب الى الفرعون أن يمنّ عليه بتعيين شاب من شباب مصر يساعده على القيام بواجباته على الوجه الذى يقتضيه الإخلاص فى العمل والمحافظة على كيان الدولة ، ولقد أجاد المفتى فى إبراز صورة صادقة تمّ عن رجل قد انحنى ظهره وقزبت السنون بينه وبين الأرض (راجع : Davies, "M. M. A.", Part II, (December, 1926), pp. 3ff.) .

وصف تنصيبه وزيرا : وقد أجيب الوزير المسنّ الى ملتمسه . والمنظر الذى تحدث عنه هو فى الواقع يمثل الاحتفال بتنصيب الوزير « وسر » فنشاهد « تحتمس الثالث » جالسا تحت عرش منقّى الحواشى وقد وقف أمامه رئيس التشريفات ، واثنان من سمار الفرعون و « وسر » نفسه ، وقد كان حتى هذه اللحظة لا يحمل إلا لقب « كاتب خزانة » الإله فى معبد « آمون » . وقد قرر المجلس الاستشارى تعيينه وزيرا للدولة . ويشاهد على الجدار نقش طويل يقص علينا الإجراءات التى كانت تتبع فى مثل هذا الاحتفال ، ولكن لسوء الحظ قد هشم هذا المتن الفذ أحد أهالى قرية « شيخ عبد القرنة » الذى اتخذ مقبرة الوزير مسكنا له ، ومع ذلك فإن ما أفلت من يده نستطيع به أن نكوّن فكرة لا بأس بها عن سير الاحتفال وخطواته ، فنشاهد السمار يخاطبون الملك راجين إياه أن يلحظ أن قوى الوزير المسن (عامشو) قد انحطت ، وأن جسمه قد ذبل ، إذ قد قوّس الدهر قناته ، وأن واجباته العادية قد أثقلت كاهله ، حتى أن المدينة قد أصبحت ضالة معلنة " أنه من الخير لبلادك أن تتم بتعيين وكيل (عصا الشيخوخة) ، وعلى ذلك طلب إليهم الفرعون أن يمحّثوا عن رجل له شخصية بارزة ، وكان رجال البلاط بطبيعة الحال قد وقع اختيارهم فيما بينهم من قبل

(١) هذا الرجاء للتقاعد عن العمل من جانب الوزير يعدّ من التقاليد القديمة جدا ويرجع على ما نعلم الى ما قبل عهد « بساح حنب » الوزير الذى عاش فى عهد الأسرة الخامسة وكان وزير الفرعون « أسى » ، (راجع كتاب الأدب المصرى القديم جزء أول ص ١٧٦) .

على من يخلف « عامثو » هذا، غير أن واجب الأدب كان يحتم عليهم أن يلقوا أمام الفرعون خطابا كله ملق ، وأنه هو الذى وضع القوانين مدة (ملايين) السنين “ قبل أن يصلوا الى الغرض الأصيل ، وفى النهاية يقولون : تأمل ! إن ابنه الذى يسمى « وسر » وهو كاتب الخزنة للاله فى معبد « آمون » [كما كان] فى عهد والده « تحتس الثانى » وإنه من الخير أن يرقى الى وظيفة « نائب وزير » وبعد ذلك يحاطب الفرعون « عامثو » فى رفق وحنان قائلا : “إن كل الفكرة تتوقف عليك“ ، ويقول له بشفقة : “إن من نال ثقة المجلس لسعيد ، وإنك لم تصبح بعد عديم الفائدة ، فإن أخلاقك ليست معوجة ، ولم توجه إليك تهمة من البلاط ، وإنك تعمل بصدق نحو الفرعون ، حقا إن ابنك « وسر » ماهر ، لين الجانب ، دقيق ، راض عن تعاليمك ، فدع كفايته تحبط بك ، وإنى أرجو أن يعمل معك بمثابة وكيل فيكون كالذى ينفذ إرادة من هم فوقه “ ويتهى الخطاب الملكى بالإطراء على الوالد وابنه ، (راجع Davies, M. M. A., P. 50, (25-1924)) أما بقية المنظر فيمثل لنا المهرجان الذى أقيم للوزير الجديد عند ذهابه إلى المعبد ليثبت تعيينه أمام الإله « آمون » . ومن هنا نجد بداية تأثير تمثال العبادة الذى كان يقام فى المعبد للإله « آمون » ، وهو ذلك التأثير الذى بولغ فيه لدرجة عظيمة منذ نهاية الأسرة العشرين حتى أن الفرعون قد أصبح لا يستطيع أن يفصل فى أمر من أمور الدولة دون موافقة ورضاء الكهنة الذين كانوا يسيطرون على آثار هذا الإله .

وقد كان يرأس الاحتفال المشار إليه جنود تصحبهم طائفة من جنود الموسيقى وبعد ذلك يأتى أربعة رجال يحملون غصون أشجار دليلا على الفرح ، وخلف هؤلاء مباشرة يأتى « وسر » لابسا حلة الوزير التقليدية ، وحاملا عصاه الطويلة على كتفه ليظهر بذلك أنه ليس فى حاجة إلى التوكؤ عليها كما يعمل الرجل المسن ، ويشاهد على رأسه أيضا مخروط معطر لينشر فى شعره رائحة ذكية ومما يلفت النظر أن المقتن قد أفلح فى إبراز صورته على تقيض صورة والده فيظهر « وسر » مستقيم العود ينم عن بنية قوية تدل على الشباب الفص فى حين نرى والده « عامثو » هزيل الجسم منحنى العود فى المنظر الأخير، (راجع Davies, “M. M. A.”, P. 9, Fig. 5. (6-1925)) ثم يظهر بعد « وسر » الفرعون « تحتس الثالث »

محمولا في محفة على أعناق ثمانية من رجال البلاط . ويشاهد أمامه رجلان يحرقان
البخور ويرشان الماء كما نرى ذلك عند نقل تمثال ، أو أمام مومسة في طريقها
إلى الجبانة ، وكذلك يرى حامل مروحة يلتفت خلفه ليروح على الفرعون ، كما يوجد
حامل مروحة آخر يمشي بجانب الفرعون ومروحته الصغيرة يحملها على كتفه دون
أن يستعملها ، والظاهر أن هذا هو الموظف الذي يدعى في النقوش حامل المروحة
على يمين الفرعون ، بوصفه لقب شرف وحسب . وكذلك يحمل آخر مروحة خلف
الفرعون في صورة علامة الحياة ثم يأتي بعد ذلك تابعا أحدهما يحمل نعال الفرعون
والآخر يحمل جمجمة قوسه وكنايته ، وحقيقية ، وعلى جدران هذه المقبرة وثيقة أخرى
نقش فيها التعاليم التي قدمها الوزير « عامثو » لابنه « وسر » الذي عين مساعدا له
ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن أكثرها قد هشم ، ولكن مما تبقى منها نعلم أنها
تحتوى عدّة نصائح ذوات مغزى خلق عظيم منها : دعه يحكم دون أن يفضل رجلا يعرفه على
رجل لا يعرفه ، تأمل ! إنك جدار يصد الظلم ، دعه يشجع الاقرب منه في المسألة وذلك لأن الشاكي
يجب أن يفرغ مافي قلبه ، تمالك الحق ، فإن ذلك سيزيد في ثروتك .

أهمية نقوش مقابر الوزراء في التاريخ : والواقع أن بمقابر الوزراء كما
ذكرنا من قبل نتحفتنا بصور على جانب عظيم من الأهمية في نواحي الحياة العامة ، كما
أننا نصل إلى معرفة بعض الشيء عن الحياة في مصر القديمة من قبور العظماء التي
بقيت لنا حتى الآن بألوانها وبهائها ، غير أن هذه المقابر لا تفسح لنا المجال في هذا
الصدد إلا في حدود نطاق ضيق ، ومثلها في ذلك كمثل إنسان ينظر إلى صورة
كبيرة في حجرة مظلمة تضاء فقط بنور خافت ، فحيث يقع شعاع النور نرى كل
شيء جميلا واضحاً مميّزا أما في الدائرة الخارجة عن هذا الشعاع فلا نشاهد إلا أشباحا
مبهمة تتضاءل صورها حتى تختفي في ظلام حالك ، وهذا هو نفس ما ينطبق على
مناظر المقابر ، فنرى الشريف وهو جالس إلى وليمة يخدمه العبيد والإماء ، ولكن
لا نعلم شيئا البتة عن حالة هؤلاء العبيد الاجتماعية حتى نرى الرجال مع نساءهم

فى انسجام ملؤه الحب ، ولىس لدينا أية فكرة عن عادات الزواج أو قوانينه بصورة واضحة . ومن جهة أخرى نرى أن الاحتفالات الجنائزية تكرر أمامنا بدرجة تجبها النفس وتسأمها العين ، ولا غرابة فى ذلك فإنها الأساس الذى بنى من أجله القبر ، وعلى أية حال فإننا على الرغم من أننا مدينون لمناظر قبور « طيبة » بكل ما نعرفه عن الحياة الخاصة ، والنظام المدينى فى مصر فإن المؤرخ يتألم من صموتها أو إشارتها إشارات عابرة إلى نواح خاصة من الحياة القومية ، مثل حالة المرأة وأعمالها والدور الذى كان يلعبه المعبد ، والمحاكم ، والأسواق ، والخدمة ، والملاهى فى حياة أبناء الشعب ومقدار الحزينة التى كان يتمتع بها الفلاح والصانع والتاجر ، ومقدار التأثير الذى أحدثه دخول العبيد الأجانب فى السكان ، ووضع القوانين وغير ذلك . كل هذه المرافق لا نعرف عنها شيئا إلا استنباطا واستقراء لما لدينا من نصوص ومناظر . وكان المصرى عند ما يعود إلى الأرض فى صورة ملاك كما يزعم كان يرغب فى رؤية بيته ومعبد مدينته ، ويسمع حوار أبقاره ، ويرى نمو نباتاته ، فلم يكن يهتم كثيرا بموضوع جمع الضرائب ، وما يترتب عليها أو الحروب الناشئة ، أو السياسة وشئوننا ، وذلك لأنه لم يكن له عليها سلطان بل يعلم أن كل هذه الأشياء كانت أعداء ألداء له مثل الطاعون والجوع ، وحتى الموظف لم يكن يهتم إلا بشئون إدارته من حيث أنها كانت مورد رزقه وإسعاده فى الحياة ؛ وإذا قسنا الملوك بما لهم من آثار فإنهم لم يكونوا أحسن حالا ؛ إذ كان كل ما يشغل أفكارهم فى الحياة الدنيا هو الفخار والاحتفالات الدينية ، ثم التأليه بعد الموت . وقد كان الكاهن الأكبر فى الواقع ملكا دون أن يكون له أمل أن يؤله بعد الموت مثل الفرعون ؛ وعلى الرغم من أنه لم يكن يشغل نفسه أكثر من أى فرد غيره بالأمور الدينية ، فإنه كان من كبار المقتصدين ، مثله فى ذلك كمثل الأب الدينى الحالى ، إذ قد ترك لنا صورا حية مفيدة جدا عن الضياع العظيمة ، والمصانع التى كانت فى حيازته .

الإخلاص في خدمة مصر كان الهدف الأول للوزير :

أما الوزير المصرى فكان يضع كل مصر وأرزاقها في قبضة يده ، وإذا حكنا بنا لدينا من الأمثلة الباقية ظهر أمامنا أنه كان يتحري بين جنبه لخير مصر كل ما كانت تطمح إليه الأخلاق الإنسانية من مشاريع مثالية ، وأغنى بذلك تكوين حكومة وطنية سعيدة ، فقد كان هو الفرد الوحيد الذى سما بنفسه عن الآخرة والطوائف ، وأظهر لنا إحساسا يوحى بأن الأمة يجب أن تتركز على الأخلاق والقانون والخدمات المتبادلة ولذلك كان يتصور عودته في صورة ملاك الى عالم الأرض ليتسلم ثانية عبء التفكير لمساعدة قومه بكل مايسعدهم ، ويصلح حالتهم ، كما كان يفعل في حياته الدنيا . ولما لتقف على سر ذلك من وصف « رخ مى رع » ابن أخيه الذى تولى بعده الوزارة مباشرة عند ما يقول : ” تأمل ! إن منصب الوزير ليس بالحلو أبدا ، إنه مر كما يدل على ذلك اسمه ، (كلمة وزير معناها الرجل أو من يقوم بدور الرجل) ولأنه لجدار من نحاس يحافظ على ذهب بيت سيده ، وليس يوجد رجل آخر يرغب في أن يعمل هذا لغيره ، وإن الريح والماء يبلغان كل شئ بعمله ، وإن الذى يجب عليه أن ينفذ العدالة في وجه كل إنسان هو الوزير . فليتك أيها الوزير تتبع القانون الذى سلم إليك . تأمل ! إن هذا هو طريق السعادة “ .

هذا هو قبر الوزير « وسر آمون » الذى قد بدأ كما قلنا وزارته بالاشتراك مع والده « حامنو » وتدل المعلومات التى جمعت عنه أنه مكث في الوزارة نحو عشرة أعوام ، وترك خلفه ستة ذكور وسبع إناث ، وقد توفى وهو يأمل أن يروح ويندو في الجبانة بمثابة إنسان عمل بولاء وإخلاص مع بيت إله الشمس ، ويتسلم طعاما منه في كل الأبدية . وقد خلفه على كرسى الوزارة على حسب رأى بعض المؤرخين « رخ مى رع » أعظم الوزراء المصريين كما سنرى بعد .

أممحات بن تحتمس مدير بيت الوزير «وسر» : ذكرنا فيما سبق أن الوزير كان أعظم رجل في الدولة ، وأن نقوده في إدارة البلاد لايدانى ، وتدل كل ما لدينا من نقوش على صدق ذلك ، وبخاصة إذا علمنا أن مدير بيته الخاص « أممحات بن تحتمس » كان يعد من أغنياء القوم ، وهو الذى كان يعد ساعده الأمين على ما يظهر ، وكانت وظيفته الرسمية تتحصر بوجه عام فى الإشراف على أملاك سيده ودخله وحساب العبيد والحقول والغلال والمعادن الثمينة ، وقد كان كذلك مكلفا بالإشراف على بعض الحياة الخاصة بالوزير والفرعون كما سلف ذكر ذلك ؛ وقد ترك لنا فى قبره « بجبانة شيخ عبد القرنة » لوحة مؤرخة بالسنة الثامنة والعشرين من حكم « تحتمس الثالث » .

وألقابه كما وجدناها على مقبرته كالآتى : "الكاتب ، وكاتب الوزير ، والكاتب حاسب الحبوب ، ومدير بيت الوزير ، ومدير بيت الوزير للدينة الجنوبية (طيبة) ، والذى يراقب كل أملاكه ، ومدير البيت الذى يحسب كل ما يوجد ، ومدير البيت الذى يحصى الناس ، ومدير البيت محصى الحبوب ، ومدير البيت الذى يحصى الغلال الإله « آمون » ، ومدير البيت الذى يحصى الحقول المترعة ، والكاتب محصى الغلال فى مخازن قربان « آمون » المقدسة ، والكاتب الذى يحسب حبوب « آمون » ، ورئيس عبيد « آمون » ، ورئيس العبيد ، والمشرف على الأراضى المحروثة ، والمشرف على احتفالات بيت « آمون » « أممحات » .

وليس لدينا أى دليل فى مقبرة « أممحات » يرشدنا الى الترتيب الذى نال به « أممحات » هذه الألقاب ، ولا نزاع فى أن أول لقب لقب به هو وظيفة « كاتب » واللقبان الأخيران من ألقابه كان يحملهما والده وجده . واللقب الأخير هو فى الواقع لقب قديم جدا وترجم حرفيا « مسن الردهة » ومعناه رئيس التشرىقات ، وقد وضع لنا معناه تماما من نقش فى مقبرة « رخ مى رع » . وذلك أنه عند ما قدم هذا الوزير الى البلاط كان الموظف الذى استقبله هو « مسن الردهة » وقد قدمه

الى الحضرة الملكية (راجع Newberry, "The Life of Rekhmara", Pl. VII. P. 6. وقد كان هناك كذلك رؤساء تشريفات متصلون بالمعبد .

ومناظر هذا القبر على الرغم من أنها ليست من الطراز الممتاز من حيث الفن والدقة إلا أنها تحتوي على صور شائعة وهامة من الوجهة الدينية ، مما ورث عن الدولة الوسطى مثل منظر الحج إلى « العرابة المدفونة » ، التي كانت تعد كعبة الصالحين (راجع ج ٣ ص ٥٠٥) ، وكذلك الشعائر المختلفة الخاصة باحتفال فتح القم . على أن أهم منظر يشاهد في القبر هو منظر الوليمة التي أعدها أمنمحات احتفاء بالمهندس والمفتنين الذين شيّدوا له مقبرته . والنقوش الخاصة بهذا المنظر تحدّثنا قائلة : "شكرا لصناع ، وإقامة الوليمة لهم بالقربان المقدسة ، ومكافئهم بكل أنواع الأشياء الطيبة ... فوضعت الأكاييل على رؤوسهم ، وقد صفها مدير البيت ، محمى رجال « آمون ... أمنمحات » المرحوم " الخ .

ومن بين المدعّوين إلى هذه الوليمة نشاهد : « مدير المباني في هذا القبر » للكتاب « أمنمحات » وراسم التصميم « أحسن » والنحات الذى نحت التماثيل ، ومما يؤسف له أن اسم هذا الرجل قد محى ، ولا بدّ أنه كان القائم بنحت تماثيل المتوفى ، ويشتمل على نقش يحدّثنا عن تاريخ حياته ذكرناه فيما سبق . (راجع Davies and Gardiner, "The Tomb of Amenemhet", Pl. XII, XVII. (P. 36, 37. etc.

أمنمحات كاتب الملك : وقبره في جبانة «شيخ عبد القرنة» وكان من المقربين لدى الفرعون «تحتس الثالث» فقد كان يصحب الفرعون في رحلاته (Gardiner & Weigall, "Catalogue", No. 123.) وكان يحمل الألقاب التالية : « كاتب الملك ، والممدوح من الإله الطيب ، والذى يتبع خطوات الملك في صحراء الجنوب وفى الشمال ، والكتاب العظيم فى بيت الفرعون له الحياة والعافية والصحة ، والمقرب جدا لسيده ، والمشرف على مخازن الخبز ، والكتاب الملكى الذى يحمى الخبز ،

والكاتب الذى يحسب خبز الوجه القليل والوجه البحرى ، والكاتب « . والقبر يحتوى على منظر صيد يشاهد فيه « أمنمحات » فى عربته يطارد غزالا فى الصحراء ، (راجع Urk. IV. Pls. 25-26) وهذا المنظر من الأمثلة القليلة التى نجد فيها العظماء يخرجون للصيد والقنص فى الصحراء فى عرباتهم مثل الملوك فى أوائل الأسرة الثانية عشرة ، إذ كانت العربات موقوفة على أثرياء القوم الذين كان فى استطاعتهم اقتناؤها والإنفاق عليها . وهذا دليل على أن « أمنمحات » كان من أثرياء القوم كما تدل وظائفه .

أمنسو مدير بيت الفرعون فى طيبة : كان « أمنسو » من الموظفين القلائل الذين عمروا طويلا فى خدمة الحكومة فى عهد أربعة ملوك على التوالى . فقد بدأ حياته الحكومية فى عهد « تحتمس الثالث » وأقبل على ما يظهر فى عهد « أمنمحتب الثالث » وكان يحمل الألقاب التالية (راجع Urk. IV. P. 1024-5) الأمير الوراثى ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، والذى يتبع خطوات الملك فى صحراء الجنوب وفى الشمال (يقصد فى النوبة وآسيا) ، ومدير البيت فى المدينة الجنوبية ، ومدير البيت ، وحامل العلم .

وقبر « أمنمحات » يقع فى « جبانة شيخ عبد القرنة » (Gardiner & Weigall, "Catalogue", No. 89.) وتدل كل الظواهر على أنه كان فى الأصل غاية فى دقة الصنع ، ويحتوى على عدة مناظر هامة ، غير أن الزمن والأحقاد لعبتا دورهما فى تخريبه ، إذ نشاهد أن كل صورة لصاحبه أو أقاربه قد محيت عن قصد ثم أشعلت فيه النيران أخيرا . والظاهر أن تخريب هذه المقبرة قد حدث بعد الانتهاء منها مباشرة ، لأننا نعلم أن « أمنسو » كان لا يزال فى الخدمة فى عهد « أمنمحتب الثالث » ؛ وتدل كل الأمور على أن القبر كان قد خرب قبل عهد « إخناتون » تماما ، وذلك لأن عماله الذين وكل إليهم محو اسم « آمون » لم يدخلوا هذا القبر قط ، لأن اسم « آمون » قد وجد محفوظا فيه ، والظاهر أن « أمنسو » كان ينظر

بعظمة ونغار إلى عهد «تحتمس الثالث» الذى بدأ خدمته فى عهده ، كما كان ينظر إليه كل من عاشره حتى فى البلاد الأجنبية ، حقا كان يمثل «أمنحتب الثالث» مكان الشرف فى قبره لأنه كان الملك الحاكم وقت نحته ، ولكن «أمنسو» قد ظهر فى منظر فيه وهو يتعبد «لتحتمس الثالث» ، كما أنه قد أعطى عناية فائقة إلى تمثيل صورة هذا الفرعون فيه ، فى حين أن المناظر الأخرى كانت عادية فى تمثيلها ، هذا إلى أنه يشاهد فى منظر صور فيه «أمنسو» يقدم قربانا محروقة للاله «آمون رع» وللاله «حور اختي» وكتب صلوات لها وللاله «حتحور» ليهبوا جميعا النصر العظيم لروح «منخبرع» (تحتمس الثالث) (راجع Davies, J. E. A. Vol. XXVI, P. 132. ويلحظ هنا أن هذه الصلاة قد غطيت بلون . فهل معنى ذلك أن «أمنحتب الثالث» حقق على صاحب المقبرة لتأليه «تحتمس الثالث» ولعنايته بتكريمه ، فى حين أنه كان يعد نفسه لها ، ولذلك أمر بطمس معالم هذا القبر وصاحبه ؟

ومما يلحظ فى مناظر هذا القبر مطبخ ضخم يظن الإنسان أنه مطبخ ملك لامطبخ عظيم من عظماء القوم ، فقد كانت تجهز فيه الأصماغ العطرية والبخور والزيت العطرية فوق تجهيز الطعام ، كما نجد أن بعض هذه المواد كانت تشكل فى صور خيالية مثل الثيران والأوز المتوف والمسلات (Ibid. Pl. XXII.) وقد وجدت مثل هذه الصور من هذه المواد منذ عهد الدولة (راجع مصر القديمة ج ٣ ص ٣٩٢) ويقول «ديفز» إن هذه الأشكال المصنوعة من البخور ربما كانت تحمل محل القربات المحروقة الحقيقية .

تبادل التجارة بين مصر «وبنت» : وفى هذا القبر نجد كذلك منظرا لاستقبال جزية البلاد الأجنبية ، ونلاحظ فيه أن بعض الأسويين قد أحضروا عربات (راجع Ibid. Pl. XXIII, XXIV.) ومن بين المناظر التى تسترعى النظر صورة تمثل التجارة التى كانت تبادل بين مصر وبلاد «بنت» ، وليس لدينا أية إشارة

إلى المكان الذى تقابل فيه المصريون لتبادل سلمهم مع أهل « بنت » ، غير أنه فى منظر فى القبر رقم ١٤٠ فى « ذراع أبو النجا » نفهم من وجود سفن ملاحاة أهل « بنت » فى البحر الأحمر أنه كانت توجد ميناء على ساحل هذا البحر لهذا الغرض (راجع Davies, M. M. A, (Nov. 1935. Section II. P. 46.) ويحتمل أن تكون « القصير » الحالية (كما يقول ديفز) وهى الواقعة فى نهاية طريق « فقط » الصحراوية ، ويشاهد فى هذا المنظر بقايا صورة « امخسو » بعربته وخيلها ، وأمامه أهل « بنت » يحضرون سلمهم التى كانت تحتوى على صموغ عطرية بعضها موضوع فى حقائب وأكياس من الجلد ، وبعضها مكثوم أكواما عظيمة على صوان ، أو مضغوط فى هيئة مخاريط ، وكذلك أحضروا معهم جلود قرودة وحيوانات حيين ، واحد منهما مربوط فى حبل ، والثانى حمل على ذراع رجل (راجع J. E. A. XXVI. Pl. XXV.) ، وهنا نرى الكتاب المصريين منهمكين يدقون سلع المبادلة ، ولم يظهر لنا من الصور نوع السلع التى كان يتسلمها أهل « بنت » مقابل بضائعهم ، وقد انتهت العملية برجوع المصريين إلى بلادهم ، وكذلك عاد « امخسو » فى عربته بعد انتهاء المأمورية ، وقد كان أتباعه يسرون خلفه على الأقدام ، وكان بعضهم يسوق حميرا محملة بالماء اللازم لرجال الحملة ، وكان آخرون يحملون بعض قطع من الخشب يجوز أنها من الأبنوس الذى استحذوا عليه من أهالى « بنت » على أن عدم حمل هؤلاء القوم أية أسلحة فتاكة عدا عصى قصيرة لدليل على أن الطريق إلى الساحل كانت مؤمنة بالشرطة أو أن هذه البقعة من الصحراء لم يكن يسكنها قبائل من الذين اعتادوا السلب والنهب .

أمنس رئيس الرماة : يوجد قبر هذا الجندى فى « جبانة شيخ عبد القرنة » أيضا (رقم ٤٢) وقد حل به من التخريب ما حل بقبر سمية السالف الذكر تماما . وألقابه هى : الأمير الورائى المقرب من الإله الطيب ، والمشرف على الأراضى الأجنبية الشمالية ، ورئيس الرماة (المشاة) ومحبوب رب الأرضين ورئيس الاصطبل

Davies, "The (راجع) . (Ibid. Pl. XXXIX.) وعينا الفرعون في بلاد « رتنو » .
(Tombs of Menkheperresonb, Amenmose and Another", PP. 27 ff.

الفرعون يرسله لتفقد أحوال ولايات آسيا : والظاهر أن هذا الموظف كان مشرفا على بلاد « آسيا » من قبل الفرعون ليتفقد أحوال الأمراء ، ويكون على اتصال بالفرعون حول ما يجرى في مختلف الولايات ، ولذلك نجد في قبره منظرا هاما نقش فوقه ، وصول رئيس الرماة في « نجو » خلال حملة قام بها إلى تلك الجهات مع الفرعون ، (وهو إقليم في بلاد لبنان) كما نلاحظ ذلك من وجود رئيس بلاد لبنان . والمنظر من الوجهة الفنية يدل على أن المقتن المصري قد بدأ يصور المناظر الطبيعية على حقيقتها بعض الشيء ، إذ نشاهد في هذا المنظر بعينه قلعة سورية بمجدرانها وشرفاتها وأبراجها ، وقد أقيمت في وسط غابة كثيفة من شجر الصنوبر ، غير أن الأشجار لم ترسم بصور طبيعية بل في صورة حلية (Ibid. Pl. XXXVI.) ويشاهد الرئيس اللبناني ينحني على الأرض أمام « أمنس » وخلفه آخر يخدم آنية عظيمة ، وآخر يحمل طبقا فيه أحجار كريمة (Ibid P. 40.) وخلفه تأتي هدايا أخرى منها ثوران ، وهذه المطايا ليست عظيمة القيمة ، ولكن قد اختيرت لتمثل محاصيل البلاد المختلفة ، وأسفل ذلك نشاهد جنودا مصريين يشنون مشية مسرعة ، وكانوا مسلحين (بالبلط) والحراب ، كما كانوا يحملون دروعا ثم يأتي خلفهم الكتبة ، ولا بد أن هؤلاء الجنود من رجال الحامية الذين كانوا قد استولوا على هذا الحصن .

ولا نزاع في أن هذا القبر يرجع تاريخه إلى عهد « تحتمس الثالث » إذ شر على طفرائه فيه ، ولكن يظهر من طفرأ آخر أنه عاش كذلك في عهد الفرعون « أمنحتب الثاني » وبذلك يكون « أمنس » قد خدم في عهد الفرعونين

منخبر رع سنّب الكاهن الأكبر للإله آمون : تدل المعلومات التي لدينا على أن والد « منخبر رع سنّب » لم يكن صاحب مكانة ممتازة بين رجال عصره ؛ إذ لا نعريف له أى لقب بل قد ذكر باسم « أمنمحات » وحسب ، أما والدته فكانت مرضعة الفرعون ، ويحتمل جدًا أنه الملك « تحتمس الثالث » وتسمى « تايونت » وكانت في الواقع بنت امرأة تدعى « نبتا » وهى أخت الفرعون من الرضاعة ، ومن ذلك نعلم أن والدتها كانت كذلك مرضعة ملكية .

ألقابه : وكان « منخبر رع سنّب » يحمل الألقاب والوظائف التالية :
الأمير الوراثي ، والذي ينال رضا قلب الملك بإتقان آثاره ، ومدير أصحاب الحرف ،
والمشرف على أعمال « آمون » في « وشتون آمون » (اسم مكان) ، والكاهن الأكبر للإله « آمون » والسمير العظيم الحب ، والمشرف على بيتى الذهب ، والمشرف على بيتى الفضة ، ورئيس أسرار الإلهتين « وازيت » و « نخت » ووالد الإله ،
والمشرف على مخازن الغلال للإله « آمون » والمشرف على الفزاليين في الوجهين القبلى والبحرى ، والممدوح من الإله الطيب ، والمشرف على الوظائف ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والمشرف على كهنة الوجهين القبلى والبحرى (الوزير الدينى) ؛ وكل هذه الألقاب نقشت في قبره رقم ٦٨ أما في قبره رقم ١١٢ ، فقد وجدنا فضلا عما ذكر الألقاب والنعوت الآتية : الفم الذى يهدئ كل الأرض قاطبة ، والرئيس الأعلى في بيت الملك ، وكذلك وجدنا على تمثال له في المتحف البريطانى الآن لقبين آخرين زيادة على ما سبق ، وهما الكاهن الثانى للإله « آمون » والكاهن « سم » . (Hall, J. E. A. Vol. XIV. P. 1, Pl. III) والواقع أن « منخبر رع سنّب » قد أقام لنفسه قبرين وكلاهما في « جبانة شيخ عبد القرنة » (رقم ٨٦ ، ١١٢) . والأخير هو القبر الهام والظاهر أنه القبر الذى وورى فيه (راجع Cavies. "The Tomb of Menkheperasonb etc." PP. 18ff.)

ومما يحدركه في هذا القبر أنه لا يحتوى في معظمه إلا على مناظر تقليدية خاصة بالروح (كا) وما يهيئ لها متاعها . أما القبر الثانى وهو رقم ٨٦ فيحتوى على مناظر لها علاقة بنشاط « منخبر رع سنب » فى نواحى الحياة الحكومية والاجتماعية والسياسية ، ولذلك فإنه لا يشمل إلا مناظر قليلة جنازية ، وهذا من الأمور التى تسترعى النظر فى قبر رجل يشرف على الأمور الدينية فى كلا القطرين ، فضلا عن أنه كان بمثابة القائد الروحى فى أكبر معبد لأكبر إله وهو « آمون » ملك الآلهة وسيد « الكرنك » .

الوظائف العليا والكهنة : ويجب ألا يصزب عن ذهننا أن الوظائف العليا التى كان يشغلها الكهنة كانت خاصة بالعمل على رفع نفوذ وزيادة ثروة الإله « آمون » وقوته فى عالم الدنيا ، ولذلك فقد كان من أول واجباتهم للوصول إلى مثل هذه المكانة الرفيعة أن يكونوا رجال إدارة ومهندسى عمارة إلى حد بعيد . والواقع أن الفرعون كان فى معظم الأحيان يرجع إلى مشورتهم فى مثل هذه الأمور ، (Ibid. P. 2.) ولهذا نجد أن مثل هذه المناظر التى كانت تصور لنا أعمالهم فى الحياة الدنيا ونشاطهم للرفع من شأن الإله والفرعون معا ، هى التى نشاهدها تزين جدران قبورهم ، وتحتل المكانة الأولى فيها . على أن هؤلاء الكهنة كانوا دائما يحملون نصب أعينهم أن يرجعوا كل أعمالهم وأفعالهم للإله الذى يخدمونه فى شخص الفرعون حتى يبقى سلطانهم عظيما ومكانتهم محترمة ، فمن المناظر التى تسترعى النظر على جدران مقبرة الكاهن الأقل « منخبر رع سنب » منظر إحضار الهدايا أو الجزية للفرعون من البلاد الأجنبية الثانية ممثلة فى رئيس بلاد « كفتيو » وأمير بلاد « الحيتا » وأمير « توب » وأمير « قادش » فنشاهد فى هذا المنظر الفرعون بعد أن قبل طاقة أزهار الإله « آمون » من يد الكاهن الأكبر يستقبل وفود هؤلاء القبلاد يقسمهم له . وقد نقش أمامهم المنن التالى : تقديم المذبح للرب الأرضين ، والمنحصر فيهم طلب من رؤساء كل البلاد وتعبدهم انتصارات جلالة ، وجزيتهم على ظهورهم وهى كل محصول

من أرض الإله : فضة ، ولازورد ، وفيروزج ، وكل حجر فخر ثمين ، مؤملين أن يمنحوا نفس الحياة
(Ibid P. 5.) •

ولكن مما يلحظ هنا أن كل هذه البلاد لم تكن خاضعة للحكم المصرى فى هذه
الآونة، والواقع أن الفرعون وكاهنه الأكبر كانا يريدان أن يظهرهما مقدار امتداد
نفوذ مصر وسلطانها فى هذا العهد، ولذلك نجد متقوسا فوق الأسويين الذين كان
يسيطر عليهم فعلا المتن التالى : « ما أعظم سلطانك ! ... وإن الأراضى ترتعد منها حتى
« حايونوت » (أهالى الشمال وجزر البحر الأبيض) وإن الخوف منك يحيط بالدائرة العظمى ، والفزع
فى كل الأراضى وإنك قد خربت أرض «المتى» وقد محوت مدنها ، وروؤاؤهم آروا إلى الكهوف » .

ومما يلفت النظر أنواع الجزية التى قد أحضروها فقد كان معظمها يشمل
أوانى وآلات مصنوعة مما تنتجه هذه البلاد ، وكذلك الخيل التى كانت تحتاج إليها
مصر فى هذه الآونة بسبب الحروب التى كانت تشنها

منخبررع سنب يتسلم جزية بلاد النوبة : وفى منظر آخر نشاهد
« منخبررع سنب » يتسلم ذهب صحراء « فقط » وذهب بلاد النوبة الخساسة
جزية سنوية . والمنظر يمثل لنا الذهب فى صور مختلفة بعضه حلقات ، وبعضه تبر ،
وجزء منه سبائك وضعت كلها فى حقائب مختومة استعرضت على حصير ، وبجانب
هذا كاتب يدقن الوزن . وهنا نشاهد رئيس المازوى (شرطة الحدود والصحراء)
ورئيس متاجم الذهب يقبلان الأرض بين يديه ، وخلفهما رؤساء الصيادين وقد
أحضروا معهم فى حملتهم هذه نعاما وريش نعام ، وبيض نعام ، ووعولا وأرانب
مما اقتنصوه فى الصحراء فى أثناء اجتيازهم لها .

منخبررع سنب يفتش مصانع آمون : وفى هذا القبر منظر آخر نشاهد
فيه « منخبررع سنب » يفتش مصانع معابد « آمون » ويشرف على العمال الذين
كانوا يقومون ببعض الأعمال التى قد طلبها الفرعون شخصيا ، ومما يلحظ هنا أن
نظام العمل فى هذه المصانع كان ممتازا ، إذ نشاهد عمال المعبد يتسامون المواد

الفصل ويوزعونها كل على حسب حاجته في حين أنه كان يوجد كتبة يدقون ما كانت تسلمه كل جماعة من العمال . وزرى في هذه المصانع صناعة العربات ، وصناعة القسي والسهام ، كما يشاهد الحدادون يصبون بابا من نحاس وآخرون يصنعون أواني دقيقة وقاعدة مصباح من الذهب .

منظر الحصاد وتوزيعه : ولدينا في قبر هذا العظيم منظر للحصاد غاية في الأهمية لما يحتوى من تفاصيل وإيضاحات تفسر لنا واجبات « منخبرع سنب » بوصفه المشرف على مخازن غلال « آمون » فنشاهد القمح وقد طاب للحصاد ، ولكن قبل أن يحصد المحصول كانت تحتد الحقول ليقتدر عليها نصيب « آمون » . وبعد ذلك كانت تسمح الأرض المزروعة بوساطة خيط القياس ثم يعين ما عليها . وقد كان يوجد أحد رجال الشرطة وقت إجراء هذه العملية ليحفظ النظام ، ولذلك كان يرى أصحاب الحقول يسرون في خضوع ومسكنة خلف هؤلاء المساحين ، وقد كان للإله « آمون » بطبيعة الحال نصيب الأسد في هذه الحقول ، وبعد ذلك كان الفلاحون في حل من حصص محصولهم وما أشبه البارحة باليوم ، إذ لا يزال الفلاح يعاني من رعوس الأموال الظالمين معاملة أقسى وأظلم ، إذ نفهم من المناظر القديمة أنه كان يترك للفلاح شيء على أية حال ، أما في أيامنا فقد لا يترك له شيء بل تطلب منه غرامة يدفعها بماشيته بل وبيته الذي يسكن فيه (راجع : Ibid XVII-XVIII) إذا خاب المحصول بسبب آفة طبيعية !

والظاهر أن « منخبرع سنب » لم يعصب خلفا ؛ إذ لم يذكر لنا اسم أى فرد من أبنائه ، وربما يعزى ذلك إلى أنه لم يتزوج . فلم يذكر لنا اسم زوجة له على مناظر جدران قبره ؛ بل كانت والدته هى التى ترسم معه . حقا نشاهد امرأة أخرى صوّرت تحت كرسية بحجم صغير كحجم قرده الأليف ؛ غير أنه لم يذكر اسمها قط ؛ وكذلك من الأمور التى تلفت النظر فى نقوشه أنه لم يذكر لنا لقبه بوصفه كاهنا ثانيا للإله « آمون » قبل أن يكون كاهنا أول . وهذا اللقب « الكاهن الثانى »

لم نجده إلا على تمثاله الذى عثر عليه فى معبد « الكرنك » كما ذكرنا ، ويحتمل أن الذى قد خلفه فى هذه الوظيفة هو « بو أم رع » كما يحتمل أنه هو نفسه قد خلف « حبو سنب » الذى كان يشغل وظيفة « كاهن أول » فى عهد « حتشبسوت » . أما الذى جاء بعده فهو الكاهن الأول « مرى » (راجع : Ibid P. 16) .

أمنحباب المسمى معحو : لقد مرّ بنا ذكر « أمنحباب » فى مناسبات عدة فى حروب « تحتمس الثالث » وسيأتى ذكره كذلك عند الكلام على « أمنحبت الثانى » .

غير أننا سنورد تاريخ حياته بنوع من التفصيل ، وبخاصة فى ملازمته « تحتمس الثالث » فى حروبه الكثيرة ، لأنها من التراجم القليلة التى تحدّثنا عن حروب هذا الفرعون ، وقبل أن نورد هنا سنضع أمام القارئ النعوت والوظائف التى منحه إياها الفرعونان « تحتمس الثالث » وابنه « أمنحبت الثانى » : — الأمير الوراثى ، حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير العظيم الحب والمقرب جدًا من رب الأرضين ، والمدحوق من الإله الطيب ، والذى يتبع سيده فى صيد الطيور ، والذى على رأس سماره وعلى رأس أتباعه ، والضابط ونائب الجيش ، والسمير الوحيد ، وفم ملك الوجه القبلى ، وأذن ملك الوجه البحرى والذى فى قلب « حور » (الملك) فى بيته ، والذى يتبع الملك فى حملاته على الماء والأرض فى كل البلاد الأجنبية ، وفى كل مكان يسير فيه جلالته ، رفيق الرضاة ، وأول حارس يتبع خطوات رب الأرضين ، وحارس خطواته على الماء وعلى الأرض فى كل البلاد الأجنبية ، وعينا الملك « حور » وتابع الملك ، والمظيم فى وظيفته ، والنيل المفضل على كل عظماء الملك ، رئيس الرماة ، والنائب ، وغير ذلك من النعوت والألقاب ، غير أن أعظم لقب ناله فى أنحرىات حياته هو لقب « نائب جيش الفرعون » .

وترجمة حياة « أمنمحاب » قد تركها لنا منقوشة على جدران قبره في « جبانة شيخ عبد القرنه » (رقم ٨٥) وهو يحتوى على مناظر عدّة تلقى بعض الضوء على حياته أيضا وسنذكرها بعد .

وهالك ترجمته لنفسه كما جاءت على جدران قبره :

ترجمته لنفسه : الضابط « أمنمحاب » المرحوم قال : لقد كنت صادقا جدا للفرعون له الحياة والعافية والصحة ، وصاحب عقل راجح لدى ملك الوجه القليل ، وحير ، وذو قلب مفيد لدى ملك الوجه البحرى ، عند ما كنت أتبع سيدى فى رحلاته إلى البلاد الأجنبية الشمالية والجنوبية ، وقد كان يرغب فى أن أتبع خطواته عند ما يكون فى ساحة القتال فى انتصاراته ، وكانت شجاعته مما يحسن القلب ، ولقد حاربت يدا ليد فى أرض « نجب » ^(١) وعدت بثلاثة رجال أسرى أحياء ، وعند ما اقترب جلاسه من « نهرين » أحضرت ثلاثة رجال من هناك ، ووضعهم أمام جلاتك أسرى أحياء ، ولقد عدت للقتال يدا ليد فى هذه الحملة فى بلاد مرتفع « وعن » الواقعة غربى « حلب » (انظر مصور سور يا الشمالية رقم ٣٤) وقد أحضرت ثلاثة عشر أسيرا حيا وصغيرا حمارا ، وثلاث عشرة حربة من البرز ، والجنشت المتوجة بالذهب ، ... أيضا ثم عدت للقتال ثانية فى تلك الحملة الخاصة ببلاد « قرقيش » وقد أحضرت ... أسرى أحياء ، وعبرت مياه « نهرين » وهم فى يدى إلى ... ووضعهم أمام سيدى ، وقد كافأتى مكافأة عظيمة . قائمة بذلك : ... « ولقد رأيت انتصارات ملك الوجه القليل والوجه البحرى ، مطى الحياة فى بلاد « سنجار » (انظر مصور ٣٤) عند ما وقعت مذبحه عظيمة بينهم وقد حاربت يدا ليد أمام جلالة الملك ، وقد أحضرت يدا من هناك ، وكافأتى بذهب الشرف . قائمة بذلك : ... حلفتان من الفضة ، وقد رأيت ثانية شجاعته عند ما كنت مع أتباعه ، فقد استول على مدينة « فادش » ولم أكن غائبا عن المكان الذى كان فيه ، وقد أحضرت اثنين من الأشراف (مريتا) أسرى أحياء ، وقد وضعتهما أمام ملك الوجه القليل رب الأرضين « تحنسن الثالث » عاش بخلا ، وقد منحنى ذهابا بسبب شجاعته أمام كل الناس . قائمة بذلك : سبع وفلاذتان من أحسن الذهب ، وكذلك ذبابتان ، وأربعة أساور معصم ، ولقد شاهدت سيدى فى ... فى كل صورة فى بلاد أنرى ، وفى نهايات الأرض ... وبعد ذلك رقيت لأكون ... فى سير الجيش جميعا . ولقد شاهدت ثانية انتصاراته فى بلاد « تحنسى » الخاصة ، فى بلدة « مريو » ... وقد حاربت يدا ليد أمام جلالة ملك الوجه القليل ، وقد أحضرت ثلاثة من الأسير بين أسرى أحياء ، وقد منحنى على ذلك سيدى ذهب الثناء .

(١) نجب : إقليم فى جنوبى جبال يوده (راجع Gardiner, "Ancient Egyptian

(Onomastica", PP. 154. ff.

قائمة بذلك : فلادنان من الذهب وذبانان ، وأسد ، (من الذهب أيضا) وأمة وعبد ، وكذلك شاهدت ثانية عملا ممتازا قام به رب الأرضين في « نى » (قلمة المضيق انظر مصور Kal'at ٣٤ el Mūdīk) فقد اصطاد عشرين ومائة قبل لأجل أسنانها وقد نازلت أكبر القبيلة من بينها لأنه هجم على جلالته ، وقد قطعت يده (أى خرطوميه) وهو حى أمام جلالته ، وذلك عند ما كنت واقفا فى الماء الذى كان بين محفرتين . وقد كافأتى سيدى على ذلك بالذهب ، وأعطانى ثلاث حلال (حصة أذرع كل منها) وقد أطلق أمير « قادش » فرسا واحدة تجرى على أرجلها ، وقد دخلت فى وسط الجيش ، وقد تبعها على قدمى وأنا أحمل سيفى ، فبقرت بطنها وقطعت ذيلها ووضعت أمام الملك ، من أجل ذلك حمد الله . ولقد منحنى السرور الذى ملا به نفسى ، وكسا أعضائى .

وقد أرسل جلالته كل شجاع فى جيشه لنقب الجدار لأوّل مرة ، وهو الذى أقامته « قادش » ، وكنت أنا الذى نقبته لأوّل مرة ، وبذلك كنت أوّل كل الشجعان ، ولم يفعل ذلك آخر قبلى ، ولقد برزت وأحضرت اثنين من « المرينا » (أى الأشراف) أسرى أحياء ، وقد كافأتى سيدى ثانية على ذلك بكل شئ . جميل يسر القلب ، وقد قت بهذا الاستيلاء وأنا لا أزال ضابطا فى السفينة « ومرحات » ، وكنت أنا الذى أدير أمرا من سفينة « آمون المماعة ومرحات » ، وكنت على رأس نوافها عند سياحة « آمون » فى عيد « آمون » الجليل المسمى « إيت » (الأقصر) عند ما تكون كل الأرضين فى ابتهاج ، فأمل ! لقد أتم الملك عمره فى سنين عدّة طيبة ، وكان شجاعا قويا ومتصرا من أوّل سنة حتى العام الرابع والخمسين الشهر الثالث من فصل الزرع آخر يوم فى الشهر من عهد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبوع » المرحوم ، وعندئذ رفع إلى السماء وانضم إلى « آتون » وامتزجت أعضاؤه مع خالقه . وعند ما أضاء الصباح وطلعت الشمس وأشرقت السماء . مكن ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ابن الشمس « أمنتب » على عرش والده وتسلم ألقابه الملكية ، وامتزجت كلها وضم ... وقطع ديموس أمراء الأرض الحمراء ، وتوج بوصفه « حور بن لازيس » واستولى على ... وكل الأرض تخفى لقسوته ، وجزيتهم على ظهورهم لأجل أن يمنهم نفس الحياة .

وقد لحظ جلالته أنى أجدف تجديفا مدهشا معه فى سفينة المساء : « أمنتب يتوج بالعدل » ، وكنت أجدف بكتنا يدى فى العيد الجليل (الأقصر) مثل جمال الأفق حتى وصل إلى الشاطئ . وقد أمرت أن أصد داخل القصر ، وأمرت أن أقف أمام ابن « آمون » وإمة « أمنتب » العظيم البطش ، وقد انحنيّت فى الحال أمام جلالته . وقال لى : إنى أعرف أخلاقك منذ أن كنت فى المهد ، وعند ما كنت تتبع والدى ، وإنى أمتحك وظيفة نائب الجيش كما قلت فأشرف على نخبة جنود الفرعون . وقد فقد نائب الجيش « معمو » كل ما قاله سيده .

ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن بعض المؤرخين يدعون أن « أمنحباب » قد خلط في ترتيب وقائع تاريخ حياته ، مقدّما بعضها ومؤخرا البعض الآخر ، ولكن البحث الذى قام به « جاردنر » يثبت الى حدّ ما أن بعض هذه الحوادث الحربية لم يكن فيها خلط قط (راجع J. E. A. Vol. 32. P. 40.) .

وقبر « أمنحباب » يحتوى على عدّة مناظر هامة منها : منظر لإحضار الجزية الأجنبية على يد ممثلين من الولايات الآسيوية ، ومتن تاريخ حياة « أمنحباب » الذى أوردناه هنا قد نقش فوق صورة هذا الضابط الشجاع فى منظر يمثله وهو واقف أمام « تحتمس الثالث » يقدم له جزيرة شمالى « سوريا » وقد كتب المتن التالى تفسيراً له : « يقدم رؤساء كل البلاد الأجنبية المديح لرب الأرضين ، والنساء « لتحتمس الثالث » وبناتهم على ظهورهم وتشمل [فضة وذهبا ولازوردا] وقطع فيروزج (؟) وقصديرا وزيتا (؟) ونخرا وماشبة ، وبخورا ، وإلهم يرجون لأجل وأمانا من جلالتهم أملا فى أن يعطوا نفس الحياة فى أنوفهم ، وكل رؤساء « رتنو » العليا ، وكل رؤساء « رتنو » السفلى ، وأرض « الكفتيو » وأرض « مننوس » (؟) وكل أرض أجنبية مجتمعون يقولون : ما أعظم شهرتك يا أيها الملك المظفر والملك المحبوب من « رع » ! لقد بعثت خوفك فى كل البلاد الأجنبية ، والرهبة منك فى كل البلاد الأجنبية (؟) تأملنا فنحن تحت نعليك »

الفرق بين المستعمرات المصرية والبلاد الموالية : على أن أهم ما يلفت النظر فى هذا المتن هو اسم بلاد « مننوس » . (مننوس Menus) ، وقد جاء ذكر « كفتيو » و « مننوس » و « رتنو » فى مكان آخر . (راجع Davies, "The Tomb of Kenamon", Pl. XII.) . غير أن ذلك لا يعنى أن « كفتيو » و « مننوس » ، كانتا ضمن أملاك مصر . وحقيقة الأمر أن المصريين كانوا فى هذه الفترة من تاريخهم ينظرون إلى كل البلاد نظرة القوى للضعيف ، وأنه لا مثيل لهم ، فالبلاد التى كانت تحت سلطانهم مباشرة ، وهى التى أخضعوها بحذ السيف كانت تلقب بالخاصة ، أما البلاد الأخرى التى كانوا لا يصلون إلى إخضاعها بحذ السيف فإنهم كانوا لا يتكلمون عنها أويذكرونها بشيء من العداء

أو الاحتقار ، ومع ذلك نجد أن « الكفتيو » و « متنوس » قد ذكرتا بين الأقباط الخاضعة ، وبخاصة « متنوس » التي كانت بعيدة عن مصر ، ويقول « ديفز » إنها ربما كانت مدينة (مالوس Mallus) القريبة جدا من ساحل « كليكا » (آسيا الصغرى) ، ولنا نعد ذلك نوعا من السيطرة الاسمية والزهو الفرعونى .

ومن المناظر القريبة التي نصادفها في مقبرة هذا القائد العظيم منظر الضبع التي قابلها ، وقد تكلمنا عنه فيما سبق ، غير أن « ديفز » يفسره بأنه منظر الفيل الذي قطع طومه ، وأن الرسم هنا غير دقيق لأنه قد رسم من الخيلة إذ لم يكن هذا الحيوان مألوفاً عند المصريين .

منظر صرف المؤن للجيش : ومن المناظر الهامة في هذه المقبرة كذلك المنظر الذي مثل فيه « أمنحباب » واقفا أمام باب القصر الملكى بوصفه قائدا وهو يراقب الكتاب يسجلون ما يصرف للجيش من الجحرايات (راجع Wreszinski "Atlas", Pl. 94.) . وقد كتب النقش التالى على المنظر : وصول الجنود إلى القصر لينسلوا مئوتهم من خبز ولحم بسر ، وتبيذ وظهر وكل خضر جميل وكل شئ جميل يفرح القلب أمام الإله الطيب بواسطة ... نائب الجيش ، ورفيق الرضاة « أمنحباب » . وهذا يدلنا إن صح ما ذكر على أن الجيش كان يقدم له أحسن الأطعمة وأنفرها بالنسبة لعصره وغير عصره .

زوج أمنحباب تلعب دورا في حياته الحكومية والظاهر أن زوج « أمنحباب » قد لعبت دورا هاما في تاريخ حياته ، إذ كانت « باث » زوجه مربية الفرعون « أمنحتب الثانى » ولذلك نراه قد رقاها إلى رتبة « نائب الجيش » ، وكانت تحمل الألقاب التالية : مغنية « آمون » والمرضعة العظيمة لسيد الأرضين التي تضم « حور » (أى الملك) إلى نديها . والوصيفة الملكية ، وشاهد على جدران المقبرة منظرا « لأمنحباب » وزوجه يفتشان المعذات التي أهداها إياها

الفرعون؛ وكذلك التمثال الذى وضعه لهما فى المعبد (راجع Urk IV P 914)؛ وهذا يدل على عطف الملك على مرضعته وزوجها نائب جيشه، وكذلك نشاهد «أمنحباب» تصحبه زوجته وهما يحملان أزهارا وقرايين أخرى للفرعون «أمنحباب الثانى» عند ما كان يقدم احترامه للاله «أوزير». كما نشاهد ابن «أمنحباب» يقدم لوالده طاقة أزهار.

أمنحباب يخرج للصيد وزيارة حديقته: وكذلك نرى خادما يقدم لصاحب المقبرة وزوجه ماء للشرب. هذا ونرى «أمنحباب» يخرج لصيد السمك وصيد الطيور للتسلية، ثم نراه يزور حديقته وقد زينت بالأزهار والأشجار. ويقول المتن:

الخروج إلى المدينة، ورؤية «أمون» والتمتع بالضوء الذى يمنحه قرصها (أى الشمس) وتسلية القلب فى بطاح الغرب، والغدو والرواح فى بحيرتها، وترويح القلب تحت ظلال جيزتها، وزرعها بأزهارها وشرب الماء اللذيذ من بركتها، وشم السوسن، وقطف الأزهار بوساطة الأمير الوراى، المقرب من رب الأرضين، والمدح من الإله الطيب «نائب الجيش» «أمنحباب». وهكذا كان ينعم المقربون من الفرعون بملذ الحياة الدنيا، كما كانت تتوفر لهم أسباب الرفاهية للتمتع بألوان النعيم المقيم فى آخرتهم، وقد خلدوه على جدران مقابرهم. أما الشعب فكان نصيب أفراده على ما يظهر واحدا فى كلنا الحالتين إذا صدقنا ما يقومون به من أعمال شاقة، وما يحتلون من وظائف وضعية فى ظل هؤلاء المحظوظين على الرغم مما قاموا به من حروب طاحنة لمساواتهم بأولئك العظماء والملوك فى عالم الآخرة.

أنتف الحاجب: لقد ذكرنا فيما سبق ما كان يقوم به من عمل جليل للفرعون «تحتمس الثالث» فى أثناء تنقلاته فى حروبه فى بلاد «آسيا» من الوجهة الحربية كما ذكرنا على لوحته المحفوظة «باللوفر» الآن. ولقد بقيت معلوماتنا قاصرة على ما جاء عليها إلى أن كشف عن قبره فى جبانة ذراع أبو النجا رقم ١٥٥ (راجع Porter & Moss, "Bibliography", I. P. 145) ومن نقوش هذا القبر

ومما جاء على لوحته نعرف أنه كان يحمل الألقاب والنعوت التالية: الأمير الوراثي، والسمير العظيم الحب، عمدة « طينة » ورئيس كل الواحات ، والحاجب العظيم للفرعون ، حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، وكاتب الحسابات الممتاز ، والحاجب الأول لقاعة المحكمة ، ومدير البيت العظيم ، والمشرف على مخازن الغلال ، ومدير كل أعمال بيت الملك .

ترجمة حياة أنتف لنفسه تتم عن روح العصر الخلقية : وقد ترك لنا « أنتف » هذا على لوحته الشهيرة فضلا عن الأعمال التي كان يقوم بها لراحة الفرعون وصفا رائعا يدل على ما كان له من مكانة ممتازة مما يقرب إلينا صور أمثال هذا الرجل العظيم ، وما كان يجب أن يتصفوا به من الصفات العالية من الوجهة الخلقية بالنسبة لعلاقتهم بالشعب ، كما كشف لنا النقاب عما كان ينتظره من خلفه لإحياء ذكره ومدّ روحه بالقربان . والواقع أن ما كان ينقشه أمثال هؤلاء الرجال الممتازين على الرغم مما فيه من مبالغات وخيال خصب ، يمكن المؤرخ من أن يستخلص منه حقائق عظيمة عن حياة القوم من نواح عدة ، ولنا نيل كل الميل مع هؤلاء المؤرخين الذين يقولون إن كل هذه الوثائق التي تتحدث عن جميل أخلاق أصحابها وفضائلهم ليست إلا تقليدا أجوف نقله الخلف عن السلف ، إذ أن مجرد تكريرها يؤكد لنا أن القوم كانوا يعلمون أنها هي التي يجب أن يتخذها الرجل المستقيم نبراسا ومثلا يسير على هديه ليصل إلى حسن الأحداث في عالم الدنيا والخلود والنعيم المقيم في عالم الآخرة . ومن أجل ذلك سنورد هنا الجزء الأعظم مما جاء على لوحته هذه فاستمع إليه وهو يقول مخاطبا الأحياء : أنتم يا من تمشون على وجه الأرض ، ويا أيها المواطنون ، وكل كاهن مطهر ، وكل كاتب وكل كاهن مرتل سيدخل هذا القبر في الجبابة ، إذا كنتم تحبون الحياة الدنيا ولا تفكرون في الموت ، وأن يحكم آلهة مدنكم (الآلهة المحلية) ، ألا تنوقوا رهبة أرض أخرى ، وأن تدفنوا في مقابرهم ، وتخلعوا وظائفكم لأولادكم وجب على كل فرد منكم يقرأ هذه الكلمات على هذه اللوحة أو يسمعها أن يقول : قريبا يا يقدّمه الملك « لآتون » رب تيجان الأرضين لمطى ألفا من الخبز ، وألفا من البعجة ، وألفا من البقر ، وألفا من الأوز ، وألفا

من آنية المرمر ، وألحاف من قطع النسيج [وألحاف من الشمل وألحاف من الزيت] من أجل روح الأمير الورداني وحامل خاتم ملك الوجه البحري والسيف الوحيد ، والمقرب من القرويين ، بوصفه مدير جيشه ، والذي عين موظفي الجيش ، ويقترع جنوده ، والذي يصد السار والذي يغود الأشراف ، والذي يحصل خصماء القرويين يصلون إلى أمانتهم ، قائد القواد ، ومرشد ملائكة الرجال ، والرئيس صاحب الوظائف الرفيعة ، صاحب المكنة المتخذة ، والمنافذ في الحضرة ، والذي يرفع كلمات المواطنين (القرويين) ، والذي يضع التقارير عن شئون الأرضين والذي ينفذ عن الشئون في المكان السري ، ومن يدخل محلا بالأشياء الطيبة ، ويخرج بالحد ، ومن ينصب كل إنسان في مكان والده ، ومن يبر القلوب ، ومن يقي على أهل الثناء ، ومن يقف عند كلامه العظيمة ، ومن يضع الأنظمة في القصر ، ومن يجعل كل فرد يعرف واجباته ، ومن يضع الحدود في القصر (للإدارة) ، ومن يخلق الرتبة في المكان العظيم ، ومن يسكت الأصوات ، ويوجد المكانات العالية ، ومن يحفظ القصور في مكان الصمت ، ومن يعدل ميزان الإله الطيب ، ومن يرشد القوم لما يفعلونه ، ومن يقول فليعمل ، وعلى ذلك ينفذ (ما أراد) كاتخرج من قسم الإله ، ومن يضع الأوامر للقوم على حسب أعمالهم السلك ، ومن يحدد حساب كل بلد أجنبية ، ومن ينفذ جزية أمرائهم ، والعظيم في شئون حساب الأعداد ، ليحفظ ... عمل ، ومن يعرف ما في قلب الملك له الحياة والصلاح والصحة ، واللسان الذي يتكلم لمن في القصر ، وعينا الملك ، ولرب القصر وتعليم كل الأرض ، ومن يضل العاصي ، ومن يهدي السائر ... من العاصي ، قوي الساعد مع العصور ، ومن يستعمل العنف مع من يستعملون العنف ، قوي القلب مع أقرباء القلوب ، ومن يخضع بساعده من كان عالي الظهور (أي قويا) ومن ينهى ساحة قاضي القلب ، ومن يحصل المذهب يعمل على حسب قواعد القانون على الرغم من أن قلبه غير راض ، والعظيم الفزع بين الهجرين ، ورب الخوف بين ثائري القلوب ، ومن يمل القرن ، ويصد الشرس ، وإنه أمان القصر ، ومؤسس قوانينه ، ومن يهدي الدهاء لبيدهم ، الحاجب الأول لقاعة المحاكمة ، حاكم « طيه » ورئيس كل بلاد الواحات والكاتب المناز الذي يحصل الكتابة « أنف » المتصر .

صفاته : العاقل الوحيد ، المزود بالحرمة ، والسليم حقا ، ومن يميز بين الجاهل والعالم ، ومن يجد الصانع ، ومن يول ظهرو الجاهل ، والفق القلب ، وإتمام العقل جدا ، ومن يضع قلبه ليعنى ، ودجل ... والمبدأ من النشر ، والمفيد لآسياده والمترن الب دون معنى فيه ، والمدرّب على كل السبل ، والحاوي البقي ، ومن تسمع قسراته ، والقلب مع الصبي (أي البارد الحامي) ، ومن يتدخل لأجل ما يفعل على حسب تصميماته ، ومن لا ينسى العدل ، ومن يفهم القلب ، ومن يعرف ما في النفس دون أن يخرج شي من الشفتين ، ومن يتكلم على حسب ضميره ، ولا يوجد إنسان لم يكن قد عرفه ، ومن يول

وجهه لمن يتكلم الصدق ، وظهره لمن يتكلم الكذب ، ومن يعمل السوء ... رجل ، ومن لا يكون مهذبا مع الثرائز ، إذ يمارسه بعمل الحق ، ومن يقنع بعمل ما يرضى ، ومن لا يرفع من لا يعرف على من يعرف ، ومن يسير وراء الحق . ومن يلتفت لسباع الشكايات ، ومن يحكم بين الرجلين فيصلح بينهما دون أن يكون محاييا للكاذب ، وإنه خلو من المحاباة ، ومعط صاحب الحق حقه ، ومعاقب المجرم على جرمه ، خادم الفقير ، ووالد الأيتام ، ومرشد من لا أب له ، وأم الخائف ، وسجين المتخطرس ، وحامى المريض ، والمتقم لمن حرم أملاكه ممن هو أقوى منه ، وزوج الأرملة ، وحامى اليتيم ، وموضع راحة الباكى ، والممدوح لعله ، والمحترم ببناء الله عليه ، وذلك لرفقته ، ومن يتنى له كل القوم الصحة والعافية ، الحاجب العظيم لقاعة المحاكمة » (الخلقابه) .

أنتف يؤكده صحة كلامه ويقدم تقريراً عن حياته : فيقول :

هذه هي صفاتي التي أحملها ، وليس فيها مین ، وهذه هي محاسنى حقاً وليس فيها مبالغة ، وليس في هذه الكلمات تمثيل مبالغ فيه عن نفسى بالكذب ، ولكن يكون هذا صحيحاً لو كنت أظاھر به وحسب ؛ وهذه كانت وظائفى في بيت الفرعون له الحياة والعافية والصحة ، وهذا هو ما كنت به في قاعة المحاكمة وقلبي هو الذى حدا بى أن أفضله ، بإرشاده لى ، وقد كان هو مرشدى المتنازفلم أنخط مقاله ، وكنت أخشى أن أعتدى إرشاده ، وقد أظلمت بسببه كثيراً ، وقد كنت ممنازا بما جعلنى أقوم به ، وكنت ماهر أبديه ، ... وإنه وحى من الإله الذى في جوف كل إنسان ، وإنه ناصح قد أرشد لى الطريق الطيبة للفلاح ، تأمل ! هكذا كنت “

مكانة أنتف : ومن هذا النقش الذى جمع كل أعمال هذا الرجل العظيم ، وما كانت تتطلبه وظيفة الحاجب الأول للفرعون فلحظ أولاً نقل أعباء هذه الوظيفة ، إذا كان حقاً كل مانسبه إلیها من مهام . يضاف إلى ذلك ما وصف به نفسه من صفات وأخلاق تضعه في المرتبة الأولى بين الموظفين الذين قرأ عنهم الأفاضل الخيالية ، إذ في الواقع نجد أنه قد صور لنا الرجل العظيم لا الموظف العظيم ولا غرابة إذن إذا كان « تحتمس الثالث » كان قد انتخبه ليكون في ركابه وحملاته ، ووكل إليه أشق مهمة ، وهى الإشراف على شخصه والمحافظة عليه في البلاد النائية عن الوطن .

هذا وقد ترك لنا « أنتف » في قبره عدّة مناظر معظمها مهشم ، وأهمها منظر الأجانب يحملون الهدايا (راجع Meyer, "Bericht uber eine Expedition nach Aegypten zur Erforschung der Darstellungen der Fremdvölker", P. 728-9). وكذلك نساء أجانب (Ibid. 623) ، وكذلك منظر أتان تلد ، ومناظر لصيد الطيور والصيد في المستنقعات (راجع Porter and Moss, "Biblio-graphy", I, P. 145.

أمونزح حاجب الفرعون : كان « أمونزح » حاجبا آخر للفرعون « تحتمس الثالث » ويرجع تاريخ قبره الى أواخر عهد هذا الفرعون ، وقد ظهرت صورته في رسوم مقبرة « وسرحات » في « جبانة شيخ عبد القرنة » رقم (٥٦) ، ويظن الأثرى « ديفز » أنه كان والد « وسرحات » ، وأنه قد لاقى نفس المصير الذى لاقاه الوزير « رخ مى رع » معاصره ، ومن المحتمل كذلك غيره ممن قدّر عليهم سوء طالعهم أن يعيشوا في عهد « أمنحتب الثانى » ، إذ نشاهد أن قبره قد اغتصبه « مرى » الكاهن الأكبر للاله « آمون » ونسبه لنفسه ، كما بنى قبرا آخر رقم ٩٥ (راجع J. E. A. Vol. XXII. P. 96). وقد خلد « وسرحات » ذكرى « أمونزح » بذكره مرتين في نقوش قبره ، ولكن بصورة مبهمه .

ألقاب أمونزح : أما ألقاب « أمونزح » فهى كالآتى : الأمير الورائى وحامل خاتم الوجه البحرى ، والسمير الوحيد والقاضى ، وحاكم المقاطعات ، والمقرب الممتاز الى رب الأرضين ، وكاتب الملك ، ومدير كل أعمال الفرعون ، والقاضى رئيس « سششت » (دندره) ، وحاجب الفرعون الأول ، والمشرف على قاعة المحاكمة ، وتابع الفرعون فى كل بلد أجنبي ، والسمير العظيم الحب ، والمشرف على قاعة المحاكمة فى الوجه القبلى والوجه البحرى ، وحاجب الملك ووالد الإله ومحبوبه ، وعينا ملك الوجه القبلى وأذنا ملك الوجه البحرى والمشرف على مخازن ظلال الوجهين القبلى والبحرى (راجع Urk. IV. P. 942-62). وبوجه عام نجد فى نقوش قبره

كل الصفات التي كان يتصف بها « أنتف » مما يدل على أن حاجب الفرعون والمشرف على قاعة العدل كان يميز بنعوت خاصة .

الأهمية التاريخية لمناظر قبره : وقبر هذا العظيم قد لحق به التخریب والمحو بصورة مريعة كما ذكرنا وعلى الرغم من ذلك يمكننا أن نستخلص منه أنه كان يحتوى على بعض مناظر جميلة ، كما يوجد فيه لوحة تذكارية تحدثنا عن مطالبه الجنائزية وما ينتظره من زائر قبره من تلاوة الأدعية العادية التي نجدها شائعة في هذا العصر بل وفي كل عصر من عصور التاريخ ، ثم يتحدث إلينا عن ترجمته لنفسه فيقول إنه قد خدم الفرعون ، وقبض على زمام إدارة وظيفته منذ السنة الخامسة عشرة ، ثم يذكر لنا أنه كان يدير أعمال البناء والتعمير في عهد الفرعون فكان يفتش على [مبنى] أقامه الملك لوالده « آمون » ، وكذلك على إقامة مسلات عظيمة أقامها الملك « لآمون » وكذلك على إقامة بوابة عظيمة لها برجان من الجرانيت (؟) وغير ذلك مما لا يمكن ذكره على وجه التحقيق لتهم الحجر (راجع Urk, IV. P. 940) . كما عثر له على لوحة أخرى في قبره دون عليها أنشودتين للاله « رع » يقول في نهاية الأخيرة منهما : إنه كان يتبع سيده في كل خطوة ، وأنه لم يرتكب أى ذنب في كل أعماله ، وأنه كان مخلص القلب لسيده ، وأنه سليم القلب ، سليم الفم ، سليم اليد . (راجع Ibid. P. 944) .

مناظر جزية سوريا وبلاد السودان : وأهم ما يسترعى النظر في قبره منظر إحضار الجزية من الشمال (أى من سوريا) ثم منظر إحضار الجزية من الجنوب أى من بلاد « كوش » ويرجع الفضل في شرح هذين المنظرين إلى ديفز (راجع J. E. A. Vol. XXVII P. 96) .

وقد كتب على المنظر الأول ما يأتى : ظهور الفرعون الرسمى على العرش العظيم في قصر « هليوبوليس » بالوجه القبلى ، وقد كان قلبه ساميا جدا بالقوة والنصر ، وعندئذ أحضر الناس الجزية لسلطان جلالة من بلاد « رتنو » الخامسة « لأجل والده « آمون رع » الذى خلقه وكتون رهبته ووضع

تاج الصل (محت) على رأسه مخلدا ، والتاسوع الالهى يصحبونه ، والأراضى الجنوبية تحمل قربانها ،
والأرض الشمالية محملة الى أقصى حد قد أحضروا له بوساطة ... «أمونزح» (راجع Urk IV P 951)
وهذا المتن قد وضع فوق صورة «أمونزح» ويتبعه أهل «سوريا» يحملون
الهدايا ، وقد ظهوروا بصورهم العادية ، وفسر مجيئهم بالنقش التالى : وصول رؤساء
«رتو» فى سلام ... بخضوع وطاعة . ويلحظ أن واحدا كان يحمل آنية مزينة بمنقود
رمان وشفدعة ، وقد كتب عليها «آنية من الذهب ، وآخر يحمل آنية أخرى
زرقاء اللون ، وثالثا يحجر عربية ، ورابعا يحضر قوسا وكثانة وسيفا ، وخامسا
يقود جوادا . كما يشاهد واحد منهم يحمل آنية من اللازورد . وكذلك يشاهد
فى نفس المنظر رئيس «رتو» وأتباعه يقدمون للفرعون آنية جميلة ، وقد
ركعوا أمام جلالته ، ويقول عنهم المتن : أمير النهرين ينطح على الأرض عند ما كان يقدم
التناء لجلالته ، وذلك بسبب عظمة قوته فى كل بلاد الشمال . وقد أحضر هذا الأمير وجماسته
قوالب لازورد وخنجرا وبخورا ، وآنية من الفضة ونسيجا من الكتان وغير ذلك
من الهدايا الفاخرة . غير أن أهم شئ يلفت النظر فى هذا المنظر إهداء دب قد
رسم بدقة على جدران المقبرة . ولا غرابة فى أن ترى حاجب الفرعون يرسم هذا
المنظر على جدران قبره لأنه كان من الضباط الذين لا يفارقون الفرعون فى حملاته
(راجع J. E. A. Vol. XXVII P. 96) ، أما المنظر الثانى الذى يظهر لنا فيه إحضار
النوبيين الجزية فقد كتب عليه العبارة التالية : «تقديم المدح لرب الأرضين ، وتقبل
الأرض أمام الاله الطيب . المهيى من قبل رئيس «إتر» (مكان غير معروف موقعه) وجزيتهم
على ظهورهم ، والاهداء لجلالته» . أما الهدايا التى أحضرت فيحتمل أنها سلات مملوءة
بالبحور . كما يشاهد قرد ، وقائد هؤلاء القوم يقدم بكتنا يديه ذيل زرافة ، وآخر
يقدم قطعة من خشب الأبانوس ، وثالث يقدم سن فيل وجلد فهد ، كما يشاهد
ضمن الهدايا زرافة ، وكذلك زرافة وقرد يسلقى رقبتها ، وهذا المنظر الأخير
نشاهده فى مقبرة «رخ مى رع» كما سنرى بعد والواقع أن بعض هذه المناظر
كان تقليديا . وكذلك نرى ضمن الجزية سلات ملأى بحلقات الذهب وبيض

النعام. وما يلفت النظر هنا منظر تقديم هؤلاء القوم أولادهم بمثابة جزية للفرعون وقد كتب على هذا المنظر كله النقش التالى : إحصار طراف متجات بلاد « كوش » الخامسة من عاج وأبانوس ، وكل أنواع الأجار الثمينة [بوساطة رؤساء كل البلاد ؟] ، وهم يقولون ما أعظم سلطانك ياها الملك المظفر محبوب « آمون رع » الذى وضعك على عرش « أتوم » . إنه قدم كل الأراضى وكل الممالك إلى المكان الذى أنت فيه ، وإنهم يدخلون إلى جلالتك بجزية رأس السنة ويقولون منخبر » . (راجع J. E. A. Vol. XXVIII. P. 53) . ولا نزاع فى أن الذى رسم هذا المنظر كان فى ذهنه منظر جزية سنوية تقدم للفرعون .

مين نخت : كان « مين نخت » من أكبر رجال الدولة فى عهد « تحتمس الثالث » وهو والد « منخبر » كاتب الفرعون نفسه . وقد كان « مين نخت » يحمل ألقابا عالية بعضها ألقاب شرف ، وبعضها وظائف حكومية وهى كما يأتى : الأمير الوراثى ، والمقرب العظيم لدى رب الأرضين ، والمدحوخ من الإله الطيب ، ومدير المديرين فى المدن والمقاطعات ، والكاتب الملكى الحقيقى ، ومحبوبه ، والمشرف على مخازن الغلال فى القطرين ، والمشرف على كهف التبيذ ، والمشرف على الجزء الشمالى من مخازن غلال « آمون » ، ورئيس عبيد « آمون » ، والمشرف على مخازن ما كولات « آمون » ، ومدير بيت « آمون » ، والمشرف على جيار رب الأرضين ، والمشرف على المطبخ العظيم ، وحامل خاتم « آمون » ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسмир الوحيد ، والقاضى ، وعينا الفرعون فى مدن الجنوب ، وأذنا الملك فى مقاطعات أرض الشمال (الدلتا) ، والمشرف على مخازن الغلال الذى يحسب غلة الوجه القبلى والوجه البحرى ، والمشرف على المخازن العظيمة للملك فى الوجه القبلى والوجه البحرى ، والمشرف على مخازن الغلال لأرض الفيضان فى الأرضين (راجع Urk. IV. P. 1177 - 1190) .

والظاهر أن « مين نخت » بعد ما عتد ألقابه شعر بأنه قد بالغ فيها فقال فى نهايتها « إنه لم يقل كذبا ولم يفعل ضرا » .

مناظر قبره : ومما يؤسف له أنه لم يترك لنا في قبره مناظر تحدثنا عن نشاطه في مختلف وظائفه هذه ، وقد نحت في جبانة شيخ عبد القرنة (رقم ٨٧) ، ويحتوى على وليمة عادية ورسم الشعائر الجنائزية والاحتفال بها وحديقة غناء وضع فيها كل مالد وطاب من المأكولات (راجع Wresznski, "Atlas" Pl. 278) ، وقد نحت لنفسه محرايين في السلسلة الغربية كما جاء ذكره في نقوش ابنه وخلفه « منخر » ، إذ قد ذكره بلقب القاضى ، وكاتب الملك ، ومدير مخازن الغلال في القطرين المرحوم « مين نحت » .

« سن نفر »

قبر هذا العظيم في «جبانة شيخ عبد القرنة» (رقم ٩٩) . وقد كان من عظماء رجال عهد «تحتمس الثالث» ، وكان يحمل الألقاب التالية : — الحاكم الورائى ، والذي يضم الأرضين لرب القصر ، والمشرف على كهنة الإلهين «سبك» و«أنوبيس» ، والمشرف على أرض «آمون» الزراعية ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، والمشرف على بلاد الذهب التابعة للإله «آمون» ، والمشرف على ماله قرن ، وحامل الخاتم ، (المشرف على الخاتم) ، والمشرف على الآلاف من كل شئ (القربان) ، ومدير عيد «أتوم» ، والمشرف على كل كهنة الآلهة جميعا ، وفم ملك الوجه القبلى ، وأذا ملك الوجه البحرى ، وحاجب الملك ، والمشرف على ماله قرن وماله حافر ، والمشرف على ماله ريش ، وعلى المعادن ، ورئيس كل الأحجار الثمينة ، والمشرف على كهنة الإله «أتوم» ومدير عيد كل آلهة «هليوبوليس» ، والرئيس الأعظم لسمار القصر الملكى ، والمشرف على الأراضى المترعة للإله «آمون» (راجع Urk. IV. P. 529-542)

رحلة « سن نفر » إلى بلاد لبنان :

والظاهر أن أهم عمل قام به هذا الموظف العظيم هو رحلته إلى بلاد «لبنان» لإحضار خشب الأرز من جبالها لتصنع عمدا لنصب الأعلام في معبد الإله «آمون» في «الكرك» ، وقد رسم منظر هذه الرحلة على جدران مزار قبره إذ

نقرأ فيها نص الأمر الملكي للذهاب إلى بلاد « لبنان » ؛ ثم نراه يعود منها ومعه جنوده وأناس لا يمكن تمييزهم الآن ، وقد أحضرهم بمثابة غنائم ، وكذلك معه عمد الأعلام ، وكانت تجز على زحافات ، ثم يقدم للفرعون تقريره عن هذه الرحلة الميمونة . (راجع Urk. IV. P. 531 - 536) . ومما يلحظ هنا أن « سن نفر » كان يحمل لقب حامل خاتم ملك الوجه البحرى ، وقد كانت العادة أن يرسل الفرعون من يحمل هذا اللقب في بعوثة إلى الخارج ، وذلك منذ الدولة الوسطى ، وقد ترك لنا « سن نفر » غير ترجمته عن نفسه بعض مناظر طريفة على جدران قبره غير ما ذكرنا ، منها منظر يتسلم فيه أشياء طريفة غالية لخزانة الفرعون كالذهب والأحجار الثمينة ، (راجع Urk, IV. P. 536) كما نشاهد منظر تسلمه الثيران التى غنمها الفرعون فى حروبه ، وكذلك نراه يفتش على الأثاث الجنازى الذى أهدها له الفرعون ، والتمائيل المصنوعة من الأحجار الغالية التى قدمها لمعبد « آمون » ، وأخيرا نشاهد « سن نفر » وهو يتقبل هدية رأس السنة من ذويه وبخاصة زوجه وأولاده وصناعه . وله تمثال فى المتحف المصرى نقش عليه الصيغة الدينية ، ومناقبه وألقابه ، كما وجد له نقش على مدخل معبد « سرابة الخادم » ويرى فيه « تحتمس الثالث » ممثلا أمام « حتحور » ربة أرض الفيروزج . وفى هذا النقش كان فرد آخر اسمه « كتنا » يحمل لقب « مدير البيت العظيم لللك » (راجع Urk. IV. P. 548) .

« آمون مس » كاتب بيت المال : كان كاتب بيت المال للإله « آمون » وقبره فى « جبانة شيخ عبد القرنه » رقم ٢٢٨ (راجع Gardiner and Weigall, "Catalogue", No. 228.) ؛ والظاهر أنه كان فى خدمة « أمنحتب الثانى » أيضا .

أمنحباب مدير بيت الفرعون : كان « أمنحباب » هذا مدير بيت الفرعون « تحتمس الثالث » . والمشرف على ماشية الملكة « نفر تارى » العائشة . و « نفر تارى » هذه يحتمل أنها بنت « تحتمس الثالث » ، وهذا الموظف

معروف لدينا من تمثال عثر عليه في خبيثة الكرنك وهو الآن بالمتحف المصرى
(Legrain, "Statues", No. 2412.)

« آمون ارى نفر » المشرف على المخازن : كان يحمل لقب المشرف على
المخازن، وله قبر مزين في « الخوخة » « بطيبة الغربية » (رقم ١٩٩)، غير أنه قد هشم
ولا يمكن دخوله الآن (راجع Porter & Moss, "Bibliography", I, P. 153.)

« أمنمحات » وكيل آمون : وكان يلقب « وكيل آمون » وله قبر جميل
في « جبانة شيخ عبد القنة » ، ويحتوى على عدة مناظر طريفة أهمها منظر
وليمة (راجع Porter & Moss, Ibid, P. 85.) يشاهد فيها الرجال جالسين على
كراسى ، أما النساء فيجلسن على حصير . ويلاحظ هنا خادم ممسك برأس ضيف
لعبت به بنت الحان فيفرغ ما في جوفه ، ويشاهد كذلك نساء يعزفن على آلات
الطرب ، كما يشاهد أخريات يرقصن بالصاجات ويلقت النظر راقصة تقوم بالعباب
بهلوانية مذهشة كالتي نراها في هذه الأيام . ومن المناظر الطريفة منظر تذرية القمح
بالأيدي حيث نجد رجلين يذريان التبن الذى يحتوى على الحبوب ، فتفصل الحبوب
عن التبن ، ويشاهد رجل يكس القمح الذى يتناثر على الأرض فيجمعه الى بعضه .
هذا ونرى في منظر آخر طحن الغلة بطريقتين إحداهما بوضع الحب في هاون
عال وهرسه بمدقة في يد امرأة تعمل وهى واقفة . أما الطريقة الثانية فتشمل
على حجر طاحون عال تطحن عليه حيزبونة واقفة وقد تدلى ثدياها ، وتلبس قبة
لها طرفان وذلك على خلاف الطريقة العادية .

« أمنمحات » حاكم بيت تحتمس الأول : وقد عثر له على لوحة في
« هليوبوليس » . وقد ظهر في أعلاها « تحتمس الثالث » يقدم نمرال للإله
« آمون رع » مما يدل على أن هذا الموظف كان عاشا في عهد هذا الفرعون
(راجع L. D. III. Pl. 29c.)

« انتف » كاتب المجندين : كان يلقب كاتب المجندين في عهد « تحتس الثالث » وقبره في « شيخ عبد القرنة رقم ١٦٤ » (Gardiner and Weigall, "Catalogue", No. 164.)

« برى » الكاتب : كان هذا الموظف يحمل لقب كاتب فقط ، وقد كشف عن قبره في « الرقة » وعثر فيه على بعض حلى جميلة من الذهب تحتوي على خواتم للشمر (?) وقلادة من الذهب تنتهى ببحارين ، ويتدل منها لوحة صغيرة من الذهب كتب على أحد جانبيها لقب « تحتس الثالث » وعلى الجانب الآخر اسم « برى » ولقبه ، كما وجد سمطان من حبات الكرنين وثلاثة جعارين ، واحد منها من اللازورد ، وكذلك عثر على مكحلة من حجر ستيايت في صورة قرد يقبض على إفاه ، ومرآة من النحاس ، وطبق من المرمر (Engelbach, "Riqqeh and Memphis", P. 15, Pls. I, 6 - 12; XI, 3.)

أهمية محتويات قبره : ولا نزاع في أن محتويات هذا القبر تضع أمامنا صورة ناطقة عن الثراء والفنى والبذخ الذى كانت تنعم فيه البلاد في هذا العصر ، وبخاصة إذا علمنا أن هذه الأشياء قد وجدت في مقبرة موظف صغير يحمل لقب كاتب وحسب .

« باثا » المشرف على المشاية : كان « باثا » هذا المشرف على المشاية (Legrain, "Repertoire", No. 162, & A. S. VII. P. 134.) وقد وجد اسمه ولقبه على جزء من تمثال قدمه له ابنه « عنخف نيسو » الذى كان يحمل لقب « مطهر الإله آمون » . وقد عثر على بقايا هذا التمثال في خرائب معبد « تحتس الثالث » الجنازى .

« بتاحمس » الوزير : كان « بتاحمس » هذا يحمل لقب الوزير كما كان يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى وكبير القضاة ، والمشرف على محاكم العدل الست العظيمة ، وفم « نحن » ، وكبير كهنة الإلهة « ماعت » ووالد الإله ، ومحبوب الإله (A. S. Vol VII P 130) .

وقد عثر له على لوحة في معبد « تحتمس الثالث » الجنائزى المسمى « المعطى الحياة » وقد كتب عليه اسم هذا الفرعون . ولما كان الوزراء الطيبون الذين فى عهده معروفين لنا ، فإنه من المحتمل جدا أن « بتاحمس » هذا كان وزير الوجه البحرى . وقد عثر له على جعارين تحمل لقب « والد الإله » والوزير .

« بتاحمس » حامل الخاتم : ولدنا موظف كبير آخر بهذا الاسم كان ينادى بالألقاب التالية : الأمير الوراثى ، وحامل خاتم الوجه البحرى ، والكاهن « سم » (أى الكاهن الأعظم فى « منف ») . والمدير العظيم للصناع (أى الكاهن الأكبر لمعبد الإله « بتاح » فى « منف » . وهذه الألقاب وجدت منقوشة على محراب فى « العرابة » (Roeder, "Naos", Catalogue General No. 700038.)

« منى » : عثر لهذا الموظف على نقش فى الصخور القائمة على الطريق بين أسوان و« فيلة » ، ويشاهد عليها « منى » وهو يتعبد أمام طغراء « تحتمس الثالث » وألقابه هى : الأمير الوراثى والعظيم فى بيت الفرعون ، والمشرف على كهنة الإله « أنخور » (راجع De Morgan, "Cat. Monuments", P. 28 ; Porter & Moss, "Bibliography", V. P. 246.)

« معى » المشرف على الكهنة : وجد لهذا الموظف الكبير تمثال فى « انعيم » وهو الآن بمتحف « برلين » ويحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى ، وسمير الفرعون ، والمشرف على الكهنة (راجع Schafer, "Agyptische Inschriften zu Museen Berlin", II. P. 25, 26.)

« متوإيوى » ساقى الفرعون : كان هذا الموظف يحمل لقب « ساقى الفرعون » وطفل الرضاعة (راجع Porter and Moss, "Bibliography" I, P. 149.) وقبره فى « الخوخة » يحمل رقم ١٧٢ ؛ وقد صور فيه وهو يصطاد حيوان الصحراء منها النعام والثعالب ، وكذلك نشأه وهو يصطاد مع أسرته السمك

والطيور، وقد رسم كذلك في هذا القبر منظر لجنى العنب وعمل النبيذ، غير أنه لم يتم، وفي هذا المنظر نشاهد مائدة قربان قد كدست عليها القرابين للإلهة « رنوت » إلهة الحصاد التي مثلت في صورة ثعبان (راجع Wreszinski, "Atlas", Pl. 353 - 5).

« نفرحبو » طحان آمون : كان هذا الرجل يعمل طحانا للإله « آمون » وطحان شعير وقح . وليس لهذا الموظف إلا لوحة شتر عليها في « شيخ عبد القرنة » وهي الآن بالمتحف المصرى (راجع Lacau, "Steles du Nouvel Empire", No. 34035 Pl. XXIII. والجزء الأعلى منها قد مثل عليه « تحتمس الثالث » على عرشه أمام « أوزير » و « أنوبيس » والإلهة « أمنت » إلهة الغرب . وفي الجزء الأسفل نشاهد صاحب اللوحة يتعبد هو وزوجه وبناته لهذه الإلهة طبعاً .

« نفربرت » ساقى الفرعون : كان « نفربرت » يلقب ساقى الفرعون بيدى طاهرتين، وتابع الفرعون في كل أرض أجنبية، وهذا اللقب الأخير يفسر لنا أن هذا الموظف كان من المقرين جداً للفرعون، وبخاصة أنه كان ساقيه الخاص على ما يظهر (راجع Legrain, "Statues", No. 42121).

« نفر - رنبت » المسمى كذلك « قفى » : ؟ هذا الموظف له قبر في « ذراع أبو النجا » وكان يلقب صائفاً وحفار تماثيل .

« نب وعى » مديريت الإله أوزير : نعرف من لوحة هذا الرجل التي عثر عليها في « العرابة » أنه كان يلقب مديريت الإله « أوزير » ، والكاهن الأكبر للإله « أوزير » . ولاحظ أن الجزء الأعظم من هذه اللوحة قد خصص لمنظر مزدوج مثل فيه الفرعون « تحتمس الثالث » ينصب العمود المقدس للإلهة « حتحور » الذى يعلوه رأسها لابسة تاجها (Lacau, Ibid, No. 34017, Pl. XI.)

« نخت » مدير الغلال : وجد تمثال « لنخت » هذا في « خبيثة الكرنك »
ويحمل الألقاب التالية : الممتاز عند ملك الوجه القبلي ، والصادق عند ملك الوجه
البحري ، سيد السلام ، وويكل « جب » ، ومدير الغلال (Legrain, ibld,
• P. 74. No. 42124.)

« حبي » : كان « حبي » أحد كهنة معبد الفرعون « تحتمس الثالث » الجنازي
يحمل لقب « مطهر آمون » في المعبد المسمى « المعطى الحياة » (راجع A.S., I.P. 106.)
« خارو » حامل العلم : وجدت له لوحة محفوظة الآن « بمتحف اللوفر »
ويلقب عليها بحامل العلم في السفينة « تحتمس مبيد الأعداء » (راجع Lieblen, "Dict.
• (Noms", P. 196. No. 591.)

« ساموت » : كان يشغل وظيفة المشرف على أعمال الإله « آمون رع »
في « الكرنك » وقبره في « ذراع أبو النجا » (راجع Gardiner and Weigall,
• ("Catalogue", No. 142.)

« سني مس » « مرني الأمير » و « زمس » : كان « سني مس » هذا صربيا للأمير
« وازمس » بن الفرعون « تحتمس الأول » وقد عثر له على لوحة في خرائب مزار
هذا الأمير في « طيبة » الغربية ، يشاهد على الجزء الأعلى منها الفرعون « تحتمس
الثالث » يحرق البخور أمام تمثال « تحتمس الأول » وخلفه تمثال صغير للأمير
« وازمس » يحمل في يده زهرة البشنين . وفي الجزء الأسفل قرأ وصية « سني مس »
المؤرخة بالسنة الحادية والعشرين من عهد « تحتمس الثالث » لزوجته وأولاده الستة
لأجل قربانه ، وقد ختمت هذه الوصية في قاعة الوزير « وسر » في نفس اليوم
الذي كتبت فيه . وهو اليوم الخامس والعشرون من فصل الزرع ، الشهر الثالث
في العام الواحد والعشرين من حكم « تحتمس الثالث » (راجع Urk. IV. P. 1066ff.)

« كام حر إبسن » : كان يحمل الألقاب التالية : حامل خاتم الوجه البحري ،
والكاهن الثالث للإله « آمون » ، وقبره في « شيخ عبد القرنة » رقم ٩٨ ، ويشاهد

فيه مناظر يظهر فيها بنات المتوفى وزوجه يقدمن طاقات من الزهر له ، والقبر لا يمكن دخوله الآن (راجع Porter and Moss, L. D. (Text) III, P. 278; "Bibliography", I. P. 128.) .

« دديا » المشرف على كآب مباني آمون : عثر لهذا الموظف العظيم على تمثال في « خبيثة الكرنك » وقد نقش عليه الألقاب التالية : المشرف على كآب مباني « آمون » ، والمشرف على كآب « آمون » و « موت » و « خنسو » في « الكرنك » وفي « طيبة » (راجع Legrain, ibid, No. 42122.) .

« ددي » رئيس الشرطة : كان « ددي » رئيس شرطة المازوى^(١) في عهد « تحتمس الثالث » ، وبقى يشغل هذه الوظيفة في عهد ابنه « أمنحتب الثاني » . وقد عثر على قبره في « جبانة شيخ عبد القرنة » في « الخوخة » ، وكان يحمل النعوت والألقاب التالية : المحبوب من رب الأرضين ، والمشرف على الصحراء الواقعة في غربى « طيبة » ، رئيس فرقة الفرعون ، له الحياة والسعادة والصحة ، وحامل العلم لفرقة الفرعون ، ورسول الفرعون في كل البلاد الأجنبية ، والذي يملأ قلب سيد الأرضين ، وبطل جيشه ، والمهدى الأرض قاطبة ، والضابط البحري للسفينة « آمون مري » .

وفي قبره منظر (مهشم الآن) يرى فيه الفرعونان « تحتمس الثالث » و « أمنحتب الثاني » جالسين في محراب . وكذلك فيه مناظر أخرى يظهر فيها جنود يحملون أعلاما ، هذا إلى أنه يرى هو وأسرته يصطادون الطيور والسماك ، كما يشاهد فيه منظر حفل فتح الفم المشهور (راجع Porter & Moss. "Bibliography", I. P. 153; Champollion. "Notices" P. 528; Urkunden. IV, P. 995ff.) .

(١) أصبح لقب شرطة المازوى يطلق في عهد الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها على شرطة الصحراء والحدود ، وكانوا وقتئذ يجندون من المصريين أنفسهم .

«تحتمس» ساقى الملك : وقبره فى الخوخة (راجع Gardiner and Weigall,

• ("Catalogue", No. 205.

« تائى » المشرف على الخزانة : عثر لهذا الموظف الكبير على لوحة فى « سرابة الخادم » وقد ظهر عليها يحرق البخور خلف « تحتمس الثالث » الذى كان يقدم الماء البارد للإلهة « حتحور » ربة الفيروزج ، ويحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثى ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسفير الوحيد ، والمشرف على الخزانة (راجع Gardiner & Peet, "Sinai", Pl. LXIV, No. 196.

الوزير « رخ مى » رع »

قبره يمثل مدينة الأسرة الثامنة عشرة : تدل شواهد الأحوال كلها على أن الوزير « رخ مى رع » الذى عاصر الفرعون « تحتمس الثالث » وتقلد فى عهده شئون وزارة الصعيد حتى وفاة ذلك العاهل ، ثم استمر فى وظيفته مدة قصيرة فى عهد « امنحتب الثانى » على أنه كان أعظم الوزراء الذين تربعوا على عرش هذا المنصب طوال عهد الأسرة الثامنة عشرة . ولا أدل على ذلك مما تركه لنا من نقوش على جدران قبره الذى يعد أنخم مقابر هذا العهد وأخضعها حجما ، إذ لا نزاع فى أنه يعد بجلا سياسيا وأديبا ودينا وصناعيا واجتماعيا لهذا العهد الحافل بجسام الحوادث الخارجية والداخلية ، وأنه ليكنفى أن نقول هنا إن ما جاء على هذا القبر يضع أمامنا صورة ناطقة لا تحتاج إلى شرح أو بيان عن مدينة مصر فى أزهى عصورها من كل ناحية يريد بحشها المؤرخ . وهذه الصورة تتماز بما تمثله أمامنا معنى وحسا . فلا تترك للمؤرخ أن يحيد عن جادة الحق ، إذ تمثل له كل صورة يفضيها وتمده بالنقوش التى توضحها ، من أجل ذلك آثرنا أن نضع أمام القارئ ملخصا مفصلا بعض الشيء عما جاء فى نقوش هذا القبر معبرا عن حياة « رخ مى رع » وحضارة العصر الذى عاش فيه .

ألقاب « رخ مى رع »

ألقابه الفخرية التقليدية : الأمير الورائى ، والحاكم الهللى ، وحامل خاتم الوجه البحرى ، والسمير العظيم الحب ، والسمير الذى يستطيع الاقتراب من شخص الفرعون ، وأنبىل السمار ورئيس السمار والمشرف على أعلى الوظائف ، والوجه (ساب) والقاضى الأعظم والنائب عن بلدة « نخن » (فم نخن) ، والمشرف على الملابس الرسمية ، وخادم « حور » ، وتابع ملك الوجه البحرى .

ألقابه الإدارية : عمدة المدينة (طيبة) ، والوزير ، ووزير المدينة الجنوبية ووزير مقر الملك ، وحاكم المقاطعات ، والمشرف على بنى الذهب وبنى الفضة ، ومن توحد وتضم بيوت الذهب وبيوت الفضة معا تحت خاتمه ، والمشرف على السجلات ورئيس محاكم العدل الست العظيمة ، والمراقب الأمين ، والمراقب الأمين فى الإدارة الملكية ، (وماهية هذه الوظيفة ترى حيث يشاهد « رخ مى رع » يختم الأشياء الطريفة) (راجع Pl. LI) ، ومدير أعمال « آمون » كلها فى « الكرنك » .

ألقابه فى إدارة أملاك آمون : مدير أعمال « آمون » كلها فى « الكرنك » ، والمشرف على الأعمال ، والمشرف العام على صناعات « آمون » ، والمشرف على الصناعات ، والمشرف على مصانع « آمون » ، ومدير بيت « آمون » ، والكاتب الأول لقربان معبد « آمون » .

ألقابه الدينية : والد الإله ومحبيه ، وكاهن « ماعت » (وهذا اللقب رمزى لأن الإله « ماعت » ولم يكن لها معبد بل كان لقباً معنوياً فقط لإلهة

(٢) قنطة الإله هنا تشير إلى الملك الحاكم . وهذا القتب كان يحمى الملك لمن كان صاحب منزلة عنده

من حيث السن أو الاحترام (راجع 53 - 47 P. Vol. I. "Onomastica", Gardiner)

(العدالة) ، وأَعْظَمُ الرائيين في البيت العظيم ، والكاهن « سم » (وهو لقب للكاهن الأعظم لمدينة « منف » والكاهن « سم » في بيت اللهب) ، وواضع خطة العمل للكهنة ، ومرشد الكهنة المطهرين للقيام بواجباتهم ، ومدير مائدة قربان... وواضع القوانين لمعابد الوجه القبلي والوجه البحري .

نعوت « رحي رع » : موضع نفقة « حور » سيد خضر ، من يؤتمن ويحتث إليه سرا ، وثقة الملك ؛ وثقة الفرعون في البلاد كلها ، والثقة العظمى عند الملك ، ومن رفع الصلح لمن في القصر يوميا ، والممدوح من الملك ، والممدوح من القصر ، ومن يضمن ما يمدحه أصدقاء القصر ، والممدوح في كل ساعة ، وعينا الملك ، وقلب الملك (له الحياة والفلاح والصحة) ، وأذا الملك ، ومن يرضى رب الأرضين بمشاريعه ، ومن يقضى بالعدل في القصر ، وصاحب المكانة الممتازة في الحجرة الخاصة ، وأخو ملك الوجه القبلي من الرضاة ، ومن يكفل له سيد مصر معاشه ، ومن جملة ملك الوجه القبلي عظيما ، ومن شرفه ملك الوجه البحري ، ومن رفع مقامه ملك الأرضين ، والمتقدم في منزله ، والمائل لللك ، وضارب من يضرب ، والثور المستقم ، والضارب المتكلم عنه بسوء (أى عن الملك) والأول في الأرضين ، ورئيس الأرضين قاطبة ، عظيم العظمة ، وأعظم من في الأرض ، والمنصب على رأس القوم ، والأول في نظر الشعب ، والمراقب على الشئون الاجتماعية ، والإدارى البقظ ، ومن رأسه غاية في البقظة ، ومن يملأ المخازن ، ومن يملأ مخازن الضلال ، والحامى الذى يحلب الرضا للأرض قاطبة ، ومن يضع السنن لكل القضاة ، والمتصرف في شئون العدالة لرب الأرضين يوميا ، والقاضى المحايد ، والقاضى بالعدل بين الفقير والغنى ، ومن لا يبكى منه متظلم ، ومن يحمل

(١) هذا القلب كان بطاه كاهن « هليوبوليس » الأعظم وكذلك وجد في أرمنت وطيبة وفي تل العمارنة (أى أنه كان بعد أعظم رجال تلك) ، غير أن الأستاذ « بنكر » قد فسّر هذا القلب : « الذى يرى الواحد انطيم » (أى أنه الشمس انتهى كان يسمى أنوم أورع) ، ولكن هذا التفسير قد عارضه الأستاذ « جاردنر » (Gardiner , "Onomastica", Vol. I. P. 36ff. & Vol. II. P. 267ff.)

المتخصصين ينصرفان راضيين ، ومن يحمل الشاكين ينصرفون مطمئنين ، والحازم في الفصل في الأحكام ، والمعلم الفعلى للحرف ، ومرشد أصحاب الصناعات ، ومن يرشد الصانع في خطواته (؟) ، ومن يحمل كل إنسان يعرف واجبه ، ومن يحمل كل إنسان يعرف عمله المعتاد ، ومن يضع القواعد للشرفين ، والمدرّب في أمور طوائف يتخذها (في عمله) ، ومن يضع القواعد للمقبلين ، ومن يضع الوظائف للعمل ، ومن يعمل للهدف ، ومن ينبي للأجيال المقبلة ، ومن يضع الوظائف في ترتيبها الصحيح ، ومن يطلب في كل لحظة لقيمه ، والحاكم الذى ينشر له القلب ، ومن يهب المحتاج ، والممتاز لنفعه لمن أحسن إليه ، وصانع الجيل لمن يصنعه له ، ومن يدخل المحراب (أى مثل الملك) ، ومن لا يخفى عنه الإله شيئا ، والعالم بكل شيء في السماء والأرض وفي كل مكان خفى في العالم السفلى ، ومن لا يكل ، والمتملئ كفاية ، والماهر في عقد كل أنواع العصائب ، والمتره عن كل ضعف روحى ، والمحبوب كثيرا ، ورب اللطف ، والساحر برقته ، والسامى في شهرته ، والعالى في مكانته ، والعظيم الاحترام ، والكبير المتزلة ، والثابت الخطوة ، والمتمكن في الحب ، والممدوح من الإله « نبرى » (رب الجوب) والممدوح من « إنوت » (ربة الحصاد) والممدوح من « سمخات حور » (حامية البقرات) ، والممدوح من « أنويس » ، والممدوح من « آمون » ، وحبيب إله البطاح ، وحليف إله صيد السمك ، ومن هو رابع من يفصل بين التوأمين (أى الإله « تحوت » إله العلم والحساب والزمن والقضاء) .

وهذه الوظائف والنموت التى كان يشغلها أو يتحمّل بها « رخ مى رع » ، إذا صح أنه كان يتولى القيام بأعبائها ويتصف بها حقيقة ، تدل على أنه كان يمتاز بنشاط يفوق نشاط البشر ، وبعذالة وذكاء وحسن تدبير قلما نجد مثلها في تاريخ العالم ، اللهم إلا الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله من بين عباده ، والواقع أن المصرى في كل عصور تاريخه كان يميل إلى الإغراق في الشناء على نفسه والتمدح بمميزاته ،

ولكن مع ذلك كله كان « رخ مى رع » رجلا فذا في ذكائه وحسن تصرفه للأمور ، وإلا لما اختاره أعظم الفراعنة وزيرا له جل مدة حكمه . والظاهر أنه قد ورث هذه المقدرة عن أسرته الذين تربع عدد عظيم منهم على كرسى الوزارة ، ولذلك ستكلم أولا عن تاريخ أسرته وما لها من ماض عريق في المجد ، كما صورها لنا « رخ مى رع » نفسه على جدران قبره .

مقبرة « رخ مى رع » وزخرفها : يدل ما وقفنا عليه من معلومات على أن « نفر - ابن » والد « رخ مى رع » كان في أول أمره على ما يظهر كاهنا متواضعا من بين كهنة الإله « آمون » العديدين ، وذلك على الرغم من أنه كان ابن الوزير « عامتو » (أحمس) . وهو الذى خلفه على كرسى الوزارة ابنه « آمون وسر » الذى يسمى أحيانا « وسر » فقط . والظاهر أن « نفر - ابن » كان يشغل وظيفة كاهن عند ما انتفتحت عيناه الصغير « رخ مى رع » على عالم الوجود . وقد شامت الصدف والأقدار معا أنه عتد ما وقع بصره على مولوده الجديد ، وهو في مهده ، أن يناديه باسم « رخ مى رع » (= أى العارف كالإله « رع ») . ويشاء الحظ بإرادة الله أن يحقق المستقبل هذه التسمية في شخص هذا الطفل إلى حد ما . إذ أن « رخ مى رع » عند ما وصل في منهاج حياته السياسية إلى قمة مجده ، وهو في خدمة مليكه « تحتمس الثالث » نحت لنفسه مقبرة فاخرة في جبانة « شيخ عبد القرنة » ، وقد كان من بين النعوت التى وصف نفسه بها في نقوش هذه المقبرة النعت التالى : « إنه محيط بكل شئ في السماء والأرض ، وفي كهوف العالم السفلى » ، وبذلك تحققت نبوءة والده عند ما سماه « رخ مى رع » أو العارف كالإله « رع » . وتدل النقوش على أنه كان وقت نحته لهذا القبر يقوم بمهام وزارة الصعيد ، وقد قام بأعباء هذه الوظيفة في النصف الأخير من عهد « تحتمس الثالث » وظل يدير شئون الملك حتى باكورة عهد « أمنحتب الثانى » أى من حوالى عام ١٤٧٠ حتى ١٤٤٥ ق م تقريبا ، ومن الغريب أن آثار هذا الرجل الفذ لم تذكر في وثائق

خارج قبره ، اللهم إلا ما جاء على بعض قطع الاستراكا (الخزف) التي وجدت بالدير البحرى تحدثنا عن العمل الذى قام به خاصا بنقل أحجار معبد « زسر أخت » وكذلك ما جاء على ورقة حساب محفوظة الآن فى متحف « اللوفر » (راجع Brugsch, 1099 & 1106. "Thesaurus" P.) ، وقد كان وقتئذ متربعا على كرسى الوزارة ، ومن أجل ذلك أصبح من الضرورى لتقدير هذا الرجل تقديرا صحيحا أن نفحص النقوش والمناظر التى جاءت على جدران قبره فحفا علميا دقيقا ، وبخاصة الوظائف السامية التى كان يشغلها فى عهد « تحتمس الثالث » الذى يعد أزهر العصور فى تاريخ مصر بل فى تاريخ الشرق القديم أجمع .

وهذا القبر العظيم الذى حفظ لنا على جدران من النقوش أثر أعظم الوزراء لمصريين يحمل الآن رقم ١٠٠ فى جبانة « شيخ عبد القرنة » « بطيبة الغربية » . ولا نزاع فى أن عظم حجمه واتساع رفقته وجمال صنعه ودقة فنه تبعث فى النفوس حتى الآن مع ما أصابه من تهديم وتخريب الهيبة والروعة . والواقع أن نقوش المقبرة وما فيها من جمال فنى وما جاء عليها من المتون ، تحدثنا عما اتصف به هذا الوزير من رجولة ، وما كان يحسه فى أعماق نفسه من مبادئ سامية ويقظته لكل صغيرة وكبيرة يحتمها عليه الواجب والوظيفة مما جعله نسيج وحده بين الوزراء المصريين السابقين واللاحقين . ومع ذلك فإن محاسن هذا القبر وما كانت تنطوى عليه نفس صاحبه من فضائل ومزايا فذة لم تتج القبر ولا صاحبه مما أصابهما من أضرار جسام . فقد عا الخلف اسم الوزير وصوره ، وصور معظم أولاده من كل أرجاء القبر . وهذا العمل العبدائى وما انطوت عليه نفوس مرتكبيه من حقد وبغضاء كان بإيعاز من الفرعون « أمنحتب الثانى » كما تدل على ذلك شواهد الأحوال وملابسات الحوادث . ولا نزاع فى أن ما أصاب المقبرة من تشويه وما حاق بصور صاحبها من إهانة ومحو يعد دليلا على مقدار ما وصل إليه « رخ مى رع » ^(١) من بسطة

(١) كل مراجعنا فى حياة « رخ مى رع » الكتاب الذى وضعه حديثا الأثرى « ديفز » عن حياة هذا الوزير (The Tomb of Rekh-mi-Re. at Thebes) . وبخاصة اللوحات التى نشر إليها هنا فى شرحنا للتأخر التى فى هذا القبر .

في الجاه وطول باع في السياسة والشهرة وحصافة الرأي . وتدل الأحوال كلها على أنه قد وشى بهذا الوزير عند مليكه الحديد « أمنحتب الثاني » فأمر بارتكاب تلك الفعلة الشنعاء . وتلك سحجية نعرفها في عتاة الملوك الذين لم تمكنهم تجاربهم ولا تقلبات الدهر وغير الأيام من وزن الأمور بميزانها الصحيح ، فيركبون رؤوسهم لأية نيمجة غير عابئين بما ينبغي لهم الغيب لما اقترفوه من آثام مع من أخلص لهم . ومن ثم فإنه يصبح من الجلى أمامنا أن المؤرخين الذين دونوا تاريخ مصر كان يحذوهم روح التسامح عندما وضعوا تاريخ أمثال هؤلاء الملوك ، وأن الأسر الملكية المصرية القديمة التي كانت تسقط من عليائها بين عشية وضحاها على أيدي مثل هؤلاء كانت تستحق ما حاق بها من سوء منقلب جزاء وفاقا على ما اقترفوه من عنف وظلم وعسف .

موقع قبر ”رخ مى رع“ وهندسته : نحت الوزير « رخ مى رع » قبره في منحدر الطريق الجبلى لتل « شيخ عبد القونة » . وقد كان يرمى من نحته في هذه البقعة إلى الاستفادة من خلوها من المقابر ، ولذلك زاد في رقعته بدرجة عظيمة جدا فاقت حدّ المعتاد في مثل هذه القبور التي كان ينحتها عظماء القوم في هذه الجبابة ومن الغريب أن واجهته على الرغم من كبرها واتساعها وارتفاعها لم تكن من الضخامة بمكانة تلفت النظر . وقاعته المحورية تمتد في داخل صخور التل إلى مسافة تربي على مائة قدم . وخارجة هذه القاعة ضيقة بالنسبة لما هو مألوف ، وتمتاز بسقف يرتفع عن رقعته بمقدار كلما امتدت في جوف الجبل إذ يبلغ ارتفاعه أكثر من ثمانية أمتار عند نهايتها التي تتألف من كوة تبلغ أبعادها ستة أقدام طولاً في مثلها عمقا .

أما مساحة هذه المقبرة فرجة إذ يبلغ عرضها نحو تسعة عشر متراً . ورقعتها مسطحة منبسطة .

مناظر المقبرة : وتحتوي هذه المقبرة على حجرتين . إحداها تمتد إلى أعماق التل كما ذكرنا ، والثانية نحتت محاذية لواجهة المقبرة في الصخر من الشمال والجنوب وجدران

هاتين المجرتين قد زينتا بمناظر ومتون هائلة ، ويبلغ مسطح جدرانها حوالى أكثر من مائة وأربعين مترا مربعا . وقد غطى هذا السطح العظيم كما قلنا بمناظر بعضها مألوف معروف لنا، وبعضها فريد فى بابهِ شيق مبتكر فى موضوعاته . ولا يكاد يخلو منها فى صورة مصغرة إلا مقبرة الوزير « وسر » (أو « آمون وسر ») الذى تحدثنا عنه آنفا . وقد نظمت هذه المناظر على طريقة طريفة فى هذه الجدران . فالجدران النهائية للحجرة الخارجية قد خصصت للموضوعات الشخصية . فنشاهد على الجزء الجنوبي منها مثلا أسماء الوظائف التى كان يقوم الوزير بأعبائها، كما نقرأ على الجزء الشمالى كذلك مشاهد من أعمال الوزير، هذا بالإضافة إلى أخرى توضح إشرافه على ضياع « آمون » ومناظر تمثله فى الصيد والقنص فى الصحراء . أما النصف الخارجى من جدران الممر المحورى الطويل للحجرة الكبرى فقد حل بالمناظر الدنيوية، فنشاهد على الجدران الجنوبية مناظر تمثل « رخى رع » وهو يدبر أملاك معبد « آمون »، وعلى الجدران الشمالية نشاهد مناظر تحدثنا عن مفارح الوزير الرسمية، ويقبها مباشرة منظر يمثل الحفل باعلاء « أمنحتب الثانى » عرش الملك . وفى هذا يظهر للؤرخ المحقق جليا تقلبات الحياة ومفاجأتها المنطوية على الغدر، وما فى الصدور من علة وضغينة ، إذ نرى على حين غفلة مناظر هذا القبر تآتى إلى نهاية مباغضة توحى إلينا بأن هذا الوزير العظيم الذى طالما قاد سفينة البلاد إلى بر النجاة والفلاح قد انقضت حياته الحكومية بنهاية مفاجئة قاتمة .

أما الموضوعات الدينية والحنازية فكانت تحتل الأجزاء المرتفعة من رقعة جدران هذه الحجرة عند نهايتها . وتشمل طائفة عظيمة من المناظر التبتلية الخاصة بشعائر النخس، وما ينبعها من طقوس لإحياء المومية أو التمثال الذى يحل محلها (شعيرة فتح الفم) .

وهنا يسرعى الناظر هنا أن اسم « رخى رع » قد أزيل جملة من قهوش مقبرته، اللهم إلا ما كان بعيدا عن متناول الذين كلفوا بهذا العمل المشين . أما الحلة التى

قام بها شيعية « أتون » فكانت شاملة كاملة في ناحيتها ، وقد كان عملهم منحصرًا في محو اسم « آمون » واسم الآلهة الآخرين ، ثم اسم معبد « الكرنك » ومحو رسم جلد الفهد الذى كان يرتديه الكاهن « سم » وهو الذى كان يقوم بالدور الأعظم في تمثيل شعيرة « فتح القم » . يضاف إلى ذلك ما حاق بالمقبرة من تخريب على أيدي الذين اتخذوها مسكنًا دنيوياً لهم ولما شيتهم في عصرنا الحاضر حتى زمن قريب جدا .

تاريخ أسرة « رخ مى رع » : (راجع Plates. IX, X.) . دون الوزير « رخ مى رع » كما فعل كبار الموظفين في هذا العهد سلسلة نسبه على نهاية الجزء الشمالى من الحجر الكبرى بصورة طريفة إذ مثل أفراد أسرته جميعاً منذ جيلين مضياً ؛ وبذلك يستطيع المؤرخ أن يتخذ هذه الصورة دليلاً على تسلسل وظيفة الوزير في عظماء أفرادها النابيين . والواقع أننا نجد أفراد الأسرة قد صوروا جميعاً في حفل أسرى . فنشاهد الوزير « امون وسر » عم « رخ مى رع » نفسه قد اتخذ مكانة عليا تضرع المكانة التى كان يحتلها والد الوزير « رخ مى رع » نفسه . وتدل شواهد الأحوال على أن الابن الثانى للوزير « وسر » المسمى « سامنخت » كان هو الخلف المنتظر على كرسى الوزارة ، وبخاصة إذا حكمنا عليه من الألقاب التى كان يحملها . غير أنه لسبب ما نرى أن الذى تقلد الوزارة هو ابن عمه « رخ مى رع » .

ونشاهد على الجدار منظرين مثل فيهما « رخ مى رع » وزوجه جالسين إلى مائدة قربان كان يباركها أحد أبنائه الذى كان يقوم بدور الكاهن لوالده ، وقد ارتدى جلد الفهد الدال على ذلك . غير أن هذين المنظرين قد محيا . وتدل النقوش المفسرة لها على أن الابن الذى قام بهذا الدور فى الصورة العليا كان يسمى « منخبر رع سنب » أما الذى فى الصورة السفلى فكان يدعى « أمنحتب » ، وكان الأول يشغل وظيفة كاتب جزية معبد الإله « آمون » والثانى يتقلد وظيفة كاتب خزانة الإله « آمون » .

أما أفراد الأسرة الذين مثلوا في هذه الصورة فينقسمون أربع مجاميع وهى :

- (١) أسرة « أحمس » (الذى كان يسمى « عامثو » أيضا)، وهو الذى كان متربعا على كرسى الوزارة فى باكورة حكم «تحتمس الثالث» . (٢) أسرة ابنه الوزير وسر (وكان يسمى آمون وسر أيضا) . (٣) أسرة ابن آخر يدعى «نفر-وبن» . (٤) ثم أسرة « رخ مى رع » وهو ابن « نفر — وبن » .

وتدل البحوث الحديثة التى استقيت من ثلاث وثائق جديدة على أن « نفر-وبن » قد تربع على كرسى الوزارة وبذلك يفسر لنا السبب فى تولى « رخ مى رع » رئاسة الوزارة، وهو أنه خلف والده فى هذا المنصب (راجع Capart, "Bulletin des Musées Royaux," 1938, & Blackman J. E. A. IV. (1917) PP. 41. & Dunham J. E. A. XV. (1929) P. 164.)

فى هذه الوثائق الثلاث لانجد اللقب المتواضع الذى أعطاه « رخ مى رع » لوالده «نفر — وبن» ونقرأ مكانه الألقاب التالية التى تدل على أنه كان وزيرا :
العمدة والوزير وغير ذلك من الألقاب التى كان يحملها ابنه « رخ مى رع » .
وإنه لمن البعيد جدا ألا يكون « نفر — وبن » هذا ابن « أحمس عامثو » ووالد « رخ مى رع » . وتدل شواهد الأحوال على أن لقب الوزير الذى كان يحمله « نفر — وبن » قد حذف بداهة من مقبرة « رخ مى رع » ، وذلك لأن تنصيبه فى هذه الوظيفة كان على يد « حتشبوت » . وقد ناهض « تحتمس الثالث » اغتصابها السلطة الملكية، ولذلك كان يمتد كل من تربع على كرسى الوزارة فى عهدها كأن لم يكن . وقد حدث ذلك فعلا مع الكاهن الأكبر « حبو سنب » ، فإنه قد حرم عليه أن يذكر فى نقوش قبره أنه كان وزيرا فى عهد « حتشبوت » ، ولم يكشف لنا حقيقة عن توليه هذه الوظيفة إلا تماثيل واحد . ومن المحتمل أن « نفر — وبن » قد عرف أن تماثيل معبده كان سيحافظ عليها كهنته الذين تعاهد معهم على تأدية القرбан لها . وأظن أن «عامثو» كان وزيرا فى عهد «حتشبوت»

ولكنها عزلته ، وربما كان ذلك لمعارضته لها في ادعاءاتها العريضة المتطرفة ونصبت بدلا منه ابنه « نفر — ابن » وقد أعاده « تحتس الثالث » وهو في شيخوخته إلى وظيفته في الوزارة، ثم تولاه « آمون وسر » وهو ابن أخ آخر بمشابة مساعد وخلف . وبدهى أن وراثة الوزارة في هذه الأسرة كانت منيعة الجانب متسلسلة فيهم .

أولاد ” رخ مى رع “ : ومما يؤسف له أن أسماء أولاد « رخ مى رع » قد محيت، غير أنه قد بقي لنا من أسماء السيدات ما يمكننا من أن نحقق شخصياتهن بأنهن بنات « رخ مى رع » . ويدل ما لدينا على أن أسماء بناته على ما يظهر كانت كما يأتى : « تاخعت » و « موت نفرت » و « حنت تاوى » ؛ غير أنه ليس من المستطاع أن نستخلص مما بقي لدينا من النقوش أسماء أولاده المذكور على وجه التأكيد غير الاثنين اللذين ذكرناهما فيما سبق ويقومان بدور الكاهن لوالديهما إلا ما يأتى : « مرى » المشرف على مصانع آمون و « سنوسرت » الكاتب ثم « قن آمون » .

أفراد آخرون من الأسرة : ويشاهد في هذه الصورة فرد يدعى « بقى » ويلقب : تابع الفرعون في كل الأراضي الأجنبية بموافقة الإله الطيب ، والمشرف على بقرات « آمون » ، وزوجه « آت » وقد جلسا إلى جانب من الوليمة ، ويحتمل جدا أنهما والدا السيدة « بت » أم الوزير « رخ مى رع » .

حياة « رخ مى رع » كما دونها عن نفسه

وقد ترك لنا هذا الوزير العظيم على الجدار الجنوبي الخلفى من القاع نص تاريخ حياته وهو يحتوى كما جرت العادة والعرف في هذا العهد وما قبله على عناصر قليلة في صميم حياة الموظف الحقيقية ، بل هى في الواقع عقود مدح كان يضيفها الموظف أو الشريف على نفسه في ألفاظ وجمل منمقة وهاك ما نقشه « رخ مى رع » عن نفسه (راجع Pls. XI, XII) .

ألقابه : الأمير الوراثي ، ومدير مديري البيت (البيت الملكي) ، ورئيس الأسرار ، والذي يدخل المحراب الخاص بالفرعون ، ومن لا يحجب عنه الإله شيئا ، ومن يحيط بكل شيء في السماء وفي الأرض ، وفي أى مكان خفى في العالم السفلى ، والكاهن سم في بيت الهيب^(١) (أى رئيس كهنة منف) ، والكاهن « ووما » (الرائى الأعظم) في البيت العظيم ... ، والمرقب لحلل الأحفال كلها ، وقاضى المحاكم العليا الست ، ومدير كل ديوان للفرعون ، وقد كان الفذ في نشاطه لمنفعة من نضبه ، والمصلح في فصل المخاضات ، وهو أخو ملك الوجه القليل من الرضاة ، وتابع ملك الوجه البحرى وخادم حور ... (وحور) في بيته ، ومن تحت خاتمه اتحد ببنى الذهب وبنى الفضة ، ومدير بيت « آمون » وعمدة المدينة والوزير « رخى رع » . يقول : « لقد كنت شريفا بمثابة صنو الفرعون ، وبمناة رابع من فصل بين التوأمين (أى على قدم المساواة مع تحوت والتوأمين وهما « حور » و « ست ») . وصاحب المكافة المقربة في الهجرة الخاصة ، والمدوح في كل ساعة ... وصاحب المقام الأثول في نظر الشعب » .

توقيته للوزارة : « لقد كانت المرة الأولى التى طلبت فيها (أمام الفرعون) في حين كان كل إخوتى بين الألف في الخارج (أى بين الجسوع المحتشدة خارج القصر الملكى) ونرجت ... لا بسا حلة هيد (؟) » ، وقد ابتهج أهل بى ، وعند ما وصلت الى مدخل باب القصر انحنى أمامى رجال الحاشية ثم مررت ورجال الحاشية يفسحون أمامى الطريق ولم تعد بعد تقوى كما كانت عليه من قبل ، إذ تغيرت حالى التى كنت عليها بالأمس ، وذلك منذ أن ظهرت في حلل الوزارة ووقيت الى مرتبة كاهن الإلهة « ماعت » (إلهة العدالة والحق والصدق) ... ومن ثم وقرمديحى والإشادة بذكرى بين الصغير والكبير على السواء . وقد كان كل إنسان ينظر الى بى كما ينظر الى بريق الجدوان المرصعة بالفيروزج (أى وهو لابس حلة التشرفة) .

مجلس مع الفرعون : « وعند ما انبثق فجر يوم ثان وحل الند دعيت ثانية الى حضرة الإله الطيب الملك « منخبرع » — ليه يعيش مخلدا — وهو حور الثور المظفر والمشرف بفخار في طية » . حقا إن جلالة علمى بما يجرى فلا يوجد شيء ما يجهله فهو « تحوت » حقا ، إذ لا يوجد موضوع ما قد أخطأ معرفته [وكل أمر ...] فإنه يعرفه كما تعرفه سيدة الكتابة العظيمة جلالة سشات (إلهة الكتابة) ، فهو الذى يخرج التصميم الى حيز التنفيذ فهو إذن كالإله الذى يأمر وينفذ (في الحال) » .

(١) بيت الهيب والبيت العظيم (بر . نسر ، وبر . ور) هما اسمان للعبدن القديمين جدا للعاصمتين القديمتين « بوتو » والكاب . أما الكاهن سم فهو لقب للكاهن الأعظم لمنف . وأما لقب « ووما » فيطلق على الكاهن الأعظم لمدينة عين شمس كما ذكرنا . وهذه الألقاب الثلاثة قد منحها « رخى رع » لأنه كاتب متصلا بالفرعون كما يتصل الكاهن الأكبر بالإله سواء أكان ذلك مع الوجه القبلى أم مع الوجه البحرى .

« رخ مى رع » يتحدث عن أنجازها للأعمال وطهاره يده :

إنى أتحدث بفسى ، وأجهر به وعلى ذلك سيسمع الحكما والآخرون لما أقول :

وقد مجدت « ماعت » (العدالة) حتى عان السماء وبطلت جبالها يرمخ في عرض الأرض حتى تستطيع أن تأتى وتأتوى إلى أنوف الناس مثل النسيم عندما يخلص القلب والجسد من الحقد . وقد قضيت بين الفقير والغنى بالقسطاس المستقيم ، وخلصت الضعيف من القوى ، ووقفت في وجه غضب الأحق ، وتحقت الجشع في ساعته ؛ وقعت حتى المحتاج في وقته ، وكفكت البكاء ... وحيث الأرملة التى لا زوج لها ، ونصبت الابن الوارث مكان والده ، وأعنت الرجل المسن ما نحا إياه عصاى ، وجعلت المرأة المجوز تقول : ما أطيعه من عمل !! ، وكركت الظلم ولم أرتكبه ، جعلت أهل المين يظنون منكسى الرموس . وكنت مبرءا أمام الله . ولم يقل أحد عني ممن كانوا على علم ، ماذا فعل ؟ ولقد قضيت في الأمور الخطيرة ... وجعلت الخزيين يخرججان من عندى متصالحين ولم أشوه العدالة من أجل رشوة . ولم أكن أصم لغوارخ اليد ، لا بل كنت فضلا عن ذلك لا أقبل رشوة أى إنسان . ليت قلوبكم تمر حتى تعلموا أتم أيها الناصحون الذين يفصلون في الخطابات ، أتم بأيها الحكام العظام في الأزمان الغابرة ... مرحبا أيها الرفاق ، واصفوا أتم جميعا تأملوا إنى معكم وإنه ليس بيمين . ولقد قال لى الملك كن بقطا لأنك معادل الإله (أى الفرعون) ... أغدق الثناء على جلالته حتى يهيب لراحتك النجاح ، ويمجّل الأرضين تملان له بإقامة العدالة . ولماذا يحنى على أن أعمل فى حين أنى راض وقد أتممت ما أمر به ، وقد قت بإنجازها على أثر سماه وقد أصلحت كل حالة ... وكنت موضوع كل المحادثات مثل فرد يمين .

أعماله التأديبية : « سواء أكنت واقفا أم قاعدا فقد كانت عصاى على كفى ضاربا بها المهاجم . ؟ ... وقد جعلت قسى صيدا ما هرا بصير الخطا ... فلم أتمتر على قطعة حجر ... وقضيت على عصابات المؤمرات القليلة وصددت المحتدى ... (وأبدت) المجرمين على الماء واليابسة وكذلك من أجرم فى حق سيده بقدمه أو أرقه جعلته ينكص على عقبه ... ولم أكشف من وجهى لمخوف الإثم ، وألقيت الرعب فى قلوب الجمهور ، وعلت الصبي الغريب واجبه ، وضيق على المساجين (؟) ، وجعلت للثائر يعرف سقطه البائسة . وقد كان أمر الفرعون فى يدي لأتخذ أغراضه . ولم يقل أحد عني ماذا فعل ؟ (ربما يقصد بذلك أن أفضاله كانت منسوبة له شخصيا ولكنها كانت معروفة بأنها أفعال الفرعون) .

ذكاه « رخ مى رع » وحكمته : ولقد كنت معلما بين أولئك الذين عرفوا الحرف (أى أن علم « رخ مى رع » كان مفيدا حتى لأولئك الذين على علم) ... ولم يوجد مثل فى خلق السادة أو العامة . وكذلك لم يوجد تصميم كنت أجهل كيفية تنفيذه ، قد كنت متضلعا ومتفوقا فى (معرفة) الأشكال المتقنة

والخثرة أو المعية العتيقة ، وكنت فلنا في العلوم كلها متأنيا في النصيحة مستعدا للإعفاء ، وكنت ماهرا في أحوال الماضي ، وكانت حالة أس تجعلنى أعرف الغد .

بصيرة « رخ مى رع » : ولقد قضيت للشاكي ، ولم أمل إلى جانب واحد (في المحاكمة) ، ولم أعر الرشوة أى التفات ، ولم أكن عبوسا في وجه من أتى متظلم ، ولم أصده بل احتمله في ساعة غضبه ، وخلصت الرجل الخائف من الشرس .

الاعتراف بأن الله بصير بالعباد : اسمعوا أنتم يا من في الوجود ان الله يعلم ما في الأنفس وكل ما فيها من أعضاء منشورة أمامه . تأملوا أنتم إن عيونه تبصر طبائع الناس في أعبادهم . وكل قلب ينضم إليه من تلقاء نفسه .

استعانت به زملائه الموظفين : « ليت قلوبكم تفلح أنتم يا من في الوجود ، وبأيها الأفراد الذين هم على قيد الحياة ، وبأكل كُتَب ماهر في كتابته ، وبأمن سيقراً في النصوص ويرجم بقلبه ومن يكون ذرب اللسان صافي البصيرة نافذا في أعماق الكلمات ، ومن يكون قد هذبه معلم بما يجب أن يعمل فيكون ذا أناة ومبر شجاعا في السؤال - وإنه لرجل حكيم أيا كان من سيسمع ما تحدث به الأجداد الذين خبروا » .

الوزير « رخ مى رع » يطلب تدخل زملائه في تقديم قربان له : « إن آلهة مدنكم سيئون عليكم » وكذلك ملك عصره في زمانكم ، وإنكم ستصلون وظائقكم لأبنائكم بعد حياة مديدة بدون أسف ، وستصلون إلى مقابرهم في الجبابة : ومن سيمش على الأرض سيترك في جنازتهم ، وستجر بقرات « حسات » (توايتكم) ، وستورى طرفكم بلبانها ، وستنضمون إلى جبرات دفنكم التي في الأبدية بمدينة الحق ، وهي الأرض الصامنة ، ولن يسقط اسمكم من فم لقم ، وصورك ستسعد هنالك بقدر ما تقولون قربانا يقدمه الملك و « آموت رع » و « آتوم » و « شو » و « تفت » و « جب » و « نوت » و « أوزير » و « حور » و « نختي لم لارتى » و « ست » و « لازيس » و « قنيس » و « نحتوت » . ويكل « رع » ، وبقدر ما تطلبون قربانا لا تحصى وكل أشياء طيبة لاعدلها لتصعد إلى السماء وتتخذ في العالم السفلى وسط النجوم السيار . وليتهم (أى هؤلاء الآلهة) يقدمون قربانا من الطعام يوضع على أوراق صاحب القلب المنعب « أوزير » لأجل روح الأمير وحاكم المدينة « رخ مى رع » المرحوم .

تنصيب « رخ مى رع » وزير للمسيد

الملك يستقبل "رخ مى رع": يشاهد على النصف الجنوبي من الحدار الغربي من القاعة صورة الفرعون « نحتمس الثالث » وهو جالس على عرشه . وقد قش معه الخطاب الطويل الذى وجهه لوزير « - رخ مى رع » عندما نصبه وزيرا وقد استعرض فى هذا الخطاب السلطة التى خلمها عليه ، وكذلك توكيله لاستقبال سفراء الدول الذين يحملون الهدايا إليه . ومن المحتمل أن هذا الحادث قد وقع عند الحفل بعيد « سد » فى السنة الثالثة والثلاثين من حكم هذا الفرعون . وقد قلنا فى الجزء الثالث من هذا الكتاب إن هذا الخطاب الذى كان يوجهه الفرعون إلى وزيره يرجع عهده إلى الأسرة الثانية عشرة ، وقد أدلينا بالبراهين التى استندنا إليها فى هذا الزعم (راجع ج ٣ ص ٤٥٩) .

وفى المنظر الذى أمامنا فى هذه المقبرة نشاهد مكان صورة « رخ مى رع » التى محيت بيد أعدائه فيما بعد ، وكان واقفا أمام الفرعون . والظاهر أن وقفته فى هذا المنظر كانت تشبه وقفة عمه « عامنو » . وعلى أية حال فقد بقى لنا متن يخص لنا الموقف والمنظر معا (راجع (Pl. XIV)) وهو : التماثيل الرشيدة التى فرضت على الوزير « رخ مى رع » واجتماع المجلس فى حضرة الفرعون له التثناء ، وطلب الوزير المنصب حديثا ليمثل أمام الفرعون .

مهام الوزير التى وضعها الملك : " قال له جلالتيه . اظلم إلى قاعة الوزير وكن حنظا لقيام بكل الإجراءات فيها . تأمل إن ذلك يبنى توطيد حالة البلاد قاطبة . تأمل إن منصب الوزير ليس حواظا بل إنه مر مذاق كالصبر . تأمل إنه البرز الذى يحيط بنضارت سبده . تأمل ! إن القصد منه ألا يجعل نفسه ولا لموظفى إدارته اعتبارا ما ولا يأخذ من الشعب عيدا . تأمل ! إن كل ما يصله الإنسان فى بيت سبه هو أن يتحدث بما يرضى »

حب الشعب له : « تأمل ، إذا حضرك شاك من الوجه القليل أو الوجه البحرى ، أى من البلاد قاطبة ، سندا العاكة لأجل سماع قضيه فواجبك أن ترى كل إجراء لازم لتلك

قد اتخذ على حسب القانون ، وأن يكون كل تصرف يتفق مع العرف الجارى ... تأمل ! عندما يكلف حاكم ببيع قضايا ، عليك أن تجعلها عليه وبذلك تجعل الماء والهواء يتقلان كل ما عساه أن يفعل . تأمل ! فانه بذلك لن يبق سلوكه خافيا . وعلى ذلك إذا أتى أى أمر (غير مرض) يلام عليه فيجب ألا ينصب ثانية بأمر من رئيسه ، بل يجب أن يعلم الناس فعلته التى فعلها بواسطة القاضى الذى حاكمه . وعلى القاضى أن يشترك مع رئيسه فى التلقى بالحكم بالصيغة التالية : إنها ليسة قضية لأصدر حكمي فيها ، وإنى أرسل الخصم ليتحاكم أمام الوزير أو أمام أى موظف كبير ، وبذلك لن يخفى على الناس ما فعله » .

تمسكه بالقانون : تأمل ! إن التمسك بالمبادئ الأولى القانونية ، فيه أمان للحاكم فى تنفيذ التعليمات الجارية ، وعلى ذلك فإن المدعى الذى يحاكم يستطيع أن يقول : « ليس هناك عقبة لنيل حقى » تأمل ! تأمل ! إنها تعاليم ثابتة مثل قوانين « منف » ومثل النطق الملكى ، ومثل صرامة الوزير ، ومثل إصدار المرسومات ؟ ...

تحذير مقتبس من التاريخ : « تجنب ما نسب للوزير « خبثى » فإنه قد ظلم فى حكمه رجالا من عترته لمصلحة آخرين ، وذلك خوف الاعتراض عليه ورميه بالخبث وهو بفعله هذه قد حابى الظالم . ولذلك لما قدم أحد الناس احتجاجا على دعوى قد دبرها على أحد أقارب الوزير سارت الدعوى فى مجراها ونجح فى كسبها بسبب إجحاف الوزير ، وهذا كان مبالغة منه (أى الوزير) فى تنفيذ العدالة ... فالحجابه بقبضة عند الله ، وهذا تعلم يجب أن تسبر على سنه » .

إرشادات فى المعاملات : « يجب أن تراعى ، من تعرفه كما تراعى من لا تعرفه ، وكذلك الفرد الذى يتجى . إليك كالفرد البعيد عنك ... فإذا سار حاكم على حسب هذه الطريقة فإنه سيصيب النجاح فى هذه الإدارة . ولا تخطط مدعىا قبل أن تسمع شكايته ، وإذا كان هناك خصم يريد أن يشكو إليك فلا ... فالذى يقوله بكلمة ، وإذا رفضت شكايته فليك أن يجعله يسمع السبب الذى من أجله رفضت شكايته تأمل ! فإنه يقال إن المدعى يفضل سماع أقواله عن أن يفصل فى القضية التى حضر من أجلها » .

سلوك الوزير الشخصى : لا تفضين على رجال ظلما بل اغضب على من يستحق الغضب عليه ، ابث الرهبة فى قفلك حتى يخشاك الناس ، لأن ذلكم الموظف الذى تخشاه الناس هو الموظف الحقيقى . تأمل ! إن شهرة الموظف تنحصر فى أن يفعل ما هو حق . تأمل ! إن الرجل إذا بئس الخوف منه مرات عدة أكثر مما يجب فقد يذهب ذلك إلى اتهام الناس له بدم الاستقامة . ولن يقولوا عنه : « إنه رجل ! » . تأمل ! إنه لكذب أن تقول : إن الموظف الذى يحرف الكلم عن مواضعه سيقطع

على حسب ما أحاب من شهرة . تأمل ! إنك تنصل إلى حيث يكون القيام بوظيفتك ، وعملك ما هو حق سيان عندك . تأمل ! إن المثل الأمل هو أن تكون المعاملة الحقة هي الدعامة في نجاح الوزير . تأمل ! إن عمله ينحصر في القيام بأداء الإشراف الدقيق لأنه كاتب « ماعت » (إله العدل) وهكذا يقال عنه .

الوزير يعمل على حسب نظام : والآن إن القاعة التي تسمع فيها القضايا تحنوى بحجرة فسحة الأرجاء ، وفيها وثائق عن كل الأحكام القضائية ، والرجل القدي سيقضى بالحق على رموس الأشهاد كلهم هو الوزير . تأمل ! إن الرجل حيناً يكون قائماً بمهام وظيفته يجب عليه أن يعمل على حسب التعليمات التي أعطيا ، والرجل الذي يعمل طبقاً لما أمر به لاجر عليه ، فلا تبغى هواك في أمور قد عرفت مبادئها القوية . تأمل ! إنه لمن سوء طالع الرجل المتهور أن يفضل الرجل الرزين على الرجل المتهور ، فطيك إذن أن تعمل على حسب القوانين التي أعطيتها . تأمل ! إن من واجبك بوصفك شريكاً في العمل أن توجه اهتمامك للأرض الزراعية ، وذلك بوضع نظام محكم ، فإذا اعترضتك صعاب عندما تقوم بتحقيق فطيك أن تكلف المشرفين على الأراضي والمشرفين على « شتو » وموظفي الأقاليم بدرس المسألة . وإذا كان الشخص الذي سيفحص المسألة موظفاً كبيراً فطيك أن تسأله ما الذي فطه في الموضوع الذي أسند إليك ؟

وبعد ذلك الخطاب الرائع نشاهد الوزير خارجاً في موكب رسمي بعد هذه الجلسة من بين يدي الفرعون حاملاً عصاً طويلة ، ويتقدمه حرس الشرف الذي كان يشمل ستة رجال وقد كتب على هذا المنظر ما يأتي : مغادرة عمدة المدينة والوزير « رخ مى رع » البلاط — له الثناء — حيث قد نال تقدير سيد القصر ، كما وكل إليه أمر سياسة مصر ، وإدارة شئونها ، وذلك على غرار ما عمل والده عمدة المدينة والوزير « عامثو » يضاف إلى ذلك أن المتن الذي نقش فوق صورة ستة العظماء يفسر لنا أنهم كانوا يفسحون الطريق لرئيسهم الوزير عند مغادرته قاعة العرش ، كما نفهم منه أيضاً أن ذلك هو نهاية منظر تنصيب الوزير فاستمع إلى ما جاء فيه (Pl. XVI - 1 - 16.) سمار الفرعون — له الحياة والسعادة والصحة — يخرجون أمام الوزير ، والمديح يندفق منهم ، ويفنون آبتهاجا بالكلمات التالية : « يا أيها الحاكم صاحب الآثار الجميلة ، يا « منخبر رع » يا من يثبت كل وظيفة ويمد

المعابد بالقوانين والمبادئ الرشيدة من كل نوع وهو آمن على عرشه، يامن ينصب الأشراف في أماكن أبائهم، ليتة يكرر الاحتفال بعيد «سد»، ولينه يكون قائد القوم عائشا مغلدا . وقد كان كل واحد من هؤلاء السمار يحمل غصنا أخضر يانعا إشارة إلى الفرح والسرور .

رخ مى رع يستقبل جزية البلاد الأجنبية : وتدل النقوش على أن الوزير قد عقد جلسة لاستقبال ممثلى البلاد الأجنبية، ويحتمل أنها كانت رمزا لتقلده كرسى رئاسة الوزارة إذ نشاهد « رخ مى رع » تتقدمه طائفة من الكتبة والخدم . ويفسر لنا جزء من المتن التابع لهذا المنظر أن الوزير كان يتسلم جزية البلاد الجنوبية (راجع Pl. XVI, 1 - 8) الخاضعة لمصر، هذا بالإضافة إلى جزية بلاد « بنت » ، وبلاد « رتنو » (آسيا) وكذلك هدايا بلاد الكفتو (كريت) هذا غير أسرى البلاد المختلفة الذين استولى عليهم الوزير لفخامة جلالة ملك مصر « منخبر رع » العائش مغلدا .

ونعلم من قائمة الإنعامات والوظائف أن الفرعون قد نصبه على رأس أتباعه وصيا على الأرض قاطبة لأنه أدى للليك خدمات جليلة على أن هؤلاء الوفود الأجانب قد لمسوا المنزلة السامية التى يتمتع بها « رخ مى رع » عند سيده .

ولا نزاع فى أن هذا المنظر الذى يقدم فيه أولئك الأقوام الأجانب خضوعهم لمصر واعترافهم بسيادتها يعد من المناظر الهامة جدًا . وعلى الرغم من أن هذا المنظر قد جمع بين أقوام الشمال والجنوب (أى آسيا وبلاد السودان) فى صورة واحدة فإن ما حواه من أشكال ومعلومات جعلته يحتل مكانة هامة جدًا وبخاصة إذا علمنا أن أمثال هذه المشاهد كانت غريبة نسبيا عن أعين المصريين فى إبان الفتوح الأولى وبخاصة قبل أن يختلط المصريون بهؤلاء الأقوام اختلاطا تاما كما حدث فى الأزمان التى تلت العهد الذى نحن بصددده الآن .

العلاقات الخارجية : ونرى أمامنا في هذا المنظر من هؤلاء الأقوام اثنين يمثلان أهالى بلاد «بنت» ثم يأتى بعدهما طراز من الناس يمثل ثقافة شمالي البحر الأبيض المتوسط أى بلاد كريت ، وهذان الإقليمان بعيدان عن متناول الجيوش المصرية ، ومع ذلك فإنهما كانا مدينين لمصر بما كان بينهما وبينها من تجارة رابحة رابحة ، هذا فضلا عن أشياء أخرى كثيرة غير ذلك . ومن ثم نعلم أن سكان هذين البلدين كانوا يعدون طبقة يختلف عن البلاد التي فتحها مصر بمجد السيف ، وهما بلاد السودان والأقطار الآسيوية ، وكان يجلب منهما الأسرى ومن ذلك نعلم أن بلاد « بنت » و بلاد « كريت » كان يربطهما بمصر رابطة التجارة على وجه خاص . أما بلاد السودان والأقطار الآسيوية فكانت بلادا تابعة لمصر ، وخضعت لها بمجد السيف ، وكان لزاما على أهلها أن يقدموا الجزية طوعا أو كرها .

بلاد بنت : لقد ذكرت في الجزء الثاني من هذا المؤلف (راجع ص ٢٥٨) كل ما نعرفه عن بلاد « بنت » وهو شيء ضئيل ، إذ الواقع أن ما وصل إلينا عن ثقافتها يكاد يكون في حكم العدم . وذلك على الرغم من أن مصر كانت متصلة بها منذ عهد الأسرة الخامسة ، ولا بد أنها بلاد قد حمتها الطبيعة ؛ إذ لا نجد ما يدل على ميل الأهالى للحروب . يضاف إلى ذلك أن البلدين كانا يشعران بقرابة بعيدة تصل بينهما مما جعل بلاد « بنت » مهيأة للتأثر بالنفوذ المصرى ولولا ما كان بين البلدين من بعد الشقة ووعورة المسالك لأصبحت الروابط بينهما عظيمة جدا . وليس لدينا معلومات صريحة تحدثنا عن أن أهل « بنت » كانت لهم طرق تجارية بحرية ، وإن كان ذلك من المحتمل إذ نعلم من نقوش قبر رقم ١٤٣ في طيبة الغربية أن بلاد « بنت » كانت لها سفن تجارة غربية الشكل ومن المحتمل أن هذه السفن الخشنة الصنع كانت ميزتها تتحصر في أنها تستطيع السير في الشواطئ المرجانية . (Davies. M. M. A. XXX. (1935) Nov. II. P. 40 - 49.)

هدايا بلاد بنت : ومن المعلوم أن أهم محصولات بلاد « بنت » الخاصة التي أغرت المصريين بالرحلات الخطرة إلى هذه الجهات الصنع الذكي

الرائحة (عتو) وهو ما يمكن أن نطلق عليه اسم بلسم دون أن نتعرض لاسم النبات الذى كان يستخرج منه وقد كان أمل الملكة « حتشبسوت » أن تنقل هذا النبات الذى كان يستخرج منه هذا الصمغ إلى طيبة وقد نقل فعلا منه عدة شجرات . والظاهر أن مشروع توطينه في مصر لم يفلح تماما غير أنه مع ذلك لم يهمل كلية إذ نجد نباتا من هذه الفصيلة في قبر « رخ مى رع » (راجع Paintrgs Pl. I) وقد كان يجلب هذا الصمغ إلى مصر في سلات ويكدس في أكوام أمام الكتبة أو كان يقدم في هيئة هرم أو مسلة تعظيما لمصر . وذلك لأن حييائه الحمراء القائمة تشبه إلى درجة كبيرة الجرانيت الأحمر . وكذلك من محصولات هذه البلاد الذهب فنشاهد سلتين من هذا المعدن في هيئة حلقات وفي سلة أخرى خواتم مطبوعة . ويوجد كذلك سلة مملوءة بمادة حمراء كتب عليها (حجر أسود) اسمه « كم كا » ، وأخرى تحتوى على مادة بيضاء من المرجان (؟) . هذا إلى ثلاث سلات تحتوى وسطاها على مادة حمراء تدعى (خنت) أما الأخرى فيضمان على ما يظهر بنحورا .

أما المنتجات الأخرى فهي الأبنوس والعاج وجلد الفهد ، وزجاجة من الجلد وريش نعام وبيض نعام وذيول زراف وقلائد وسيف من الخشب وهو السلاح القومى . هذا إلى حيوانات حية منها القردة والنسانيس والوعل وفهد (شيته) (راجع Pl. XVII) أما الرجال الذين مثلوا في هذه الصورة من أهل « بنت » فينقسمون قسمين الأقلية منهم لهم لحى طويلة حقيقية وشعور مرسلّة بطولها الطبيعى وقد لفت بأشرطة بيضاء ، وهذا الجنس هو نفس الجنس الذى نشاهده في رسوم حملة بلاد « بنت » التى رسمت على جدران معبد المدير البحرى . أما القسم الثانى فيمثل الجنس الزنجى تقريبا وهو ذو شعر قصير مجعد ويحتمل أن القسمين كانا من الجنس الحامى الذى اختلط بالسامين كما نشاهد الآن في بلاد الحبشة . وكلا الجنسين يلبس القميص القصير الذى يستر الوسط وهو لباس يرتديه أقوام

كثيرون وذلك يرجع إلى بساطته على وجه عام . والمتن الذى نقش فوق هذا المنظر
جميعه هو :

وصول رؤساء « بنت » فى سلام مطلقين رموسهم إلى مكان جلالة ملك الوجه القليل والوجه البحرى
« منخبرع » لته — يعيش مخلدا — محصرين جزيرته وهى هدايا موضة حصة من بلادهم وهى بلاد
لم تطأها قدم أحد آخر — وذلك بسبب عظيم قوته فى كل بلادهم ، لأن كل أرض خاضعة لجلاله . وقد
كان « رخ مى رع » الأمير الورائى هو الذى تسلم الجزية المنخفضة الأنواع التى أحضرت لجلاله من كل
الأقطار بسبب انتصاراته ، وكل قطر كان خاضعا لجلاله « وأمثال هذا المتن يحمل القارئ
يفهم أن بلادا « كبت » لم يفتحها الفرعون بحد السيف ضمن المستعمرات التى
أخضعها الفرعون مثل بلاد « سوريا » وأقاليم السودان والواقع أنها ليست من
هذا النوع .

الكفتيو : أما النقوش التى دونت فوق رسوم « الكفتيو » فهى : « وصول
رؤساء « الكفتيو » فى سلام ، وكذلك رؤساء الجزر التى فى البحر الأخضر العظيم مطلقين رموسهم نظمة جلالة
ملك الوجهين القليل والبحرى منخبرع — على الحياة مخلدا — وهو الذى بانتصاراته فى كل الأراضى —
حاملين جزيرتهم على ظهورهم أملا منهم فى أن يمنحوا نفس الحياة لولائهم لجلاله ، وليسبح لهم بالاحياء
بقوته . وقد كان الوزير « رخ مى رع » ثقة الفرعون وحاكم المدينة وهو الذى تسلم جزية كل الأراضى
التي أحضرت لما لجلاله من قوة » .

هدايا الكفتيو : أما أنواع المحاصيل التى أهدتها هذه الأصقاع فتشاهد
مكدسة أمام كنية وتشمل ما يأتى : — (١) ركائز من فضة (٢) سلة مملوءة
باللازورد (٣) حلقات فضة (٤) ركائز فضة (٥) إناء من الذهب له مقبض
متحرك (٦) إناء من اللازورد مثبت فيه أشرطة ومقابض منخبة (٧) إناء من
الذهب له مقبضان فى صورة فهدين (٨) طبق من الذهب (٩) قدح مزخرف
من الذهب (١٠) إناء « حى » أزرق اللون (١١) إناء من الفضة ذو مقبضين
(١٢) رأس لبؤة من الذهب (١٣) طبق من الذهب (١٤) آنية دقيقة الصنع

من الفضة مرصعة بالذهب (١٥) كأس للشرب من الذهب له فوهة على هيئة رأس وعل (١٦) أربع ركائز من الفضة (١٧) رأس كلب من الذهب الأصفر الباهت (٩) (١٨) رأس طائرله عرف من الذهب (١٩) رأس أسد من الذهب (٢٠) إناء من الذهب له مقبضان (٢١) رأس نور من الذهب (٢٢) ثلاث ركائز من النحاس (٢٣) آنية من الفضة ذات قنوات لها رأس وعل من الذهب بمثابة غطاء ، ومقبضان من الذهب مثبتان بأشرطة من الذهب (٢٤) إناء كبير من الفضة له مقبضان ، أما الهدايا التي نشاهدها محمولة على أيدي رجال ففيها (Plates XVIII XX & "Paintings," III - V) (٢٥) طاس مزخرف لونه أصفر (٢٦) خنجر في قراب لونه أزرق (٢٧) طاس مزخرف من الفضة له شريط ورأس وعل وزهرات من الذهب (٢٨) كأس مدببة من الذهب وجزؤها الأسفل مزركش (٢٩) كئل من الأحجار الثمينة (٩) (٣٠) خنجر في قراب أزرق (٣١) إناء ذو فوهة لونه أبيض (٣٢) طاس من الذهب مزخرف (٣٣) خنجر في قراب أحمر اللون (٣٤) ركيزة من النحاس (٣٥) كأس مزركش أسفله مدبب من الذهب (٣٦) إناء ذو مقبضين من الفضة (٣٧) سيف لونه أصفر (٣٨) طاس مزركش من الذهب بزهور زرقاء ونقط (٣٩) إناء من الذهب (٩) (٤٠) ركيزة من النحاس (٤١) إناء من الفضة ذو فوهة (٤٢) إناء من الذهب ذو مقبضين (٤٣) قلادة من الخرز الأزرق (٤٤) إناء من الفضة ذو مقبضين (٤٥) زجاجة مصنوعة من الجلود لونها أحمر قائم (٤٦) طاس من الذهب مزخرف (٤٧) قلادة خرز (٤٨) طاس ذهب مزخرف (٤٩) كأس من الذهب مزركش (٥٠) ركيزة نحاس (٥١) إناء من ذهب (٥٢) طاس من الذهب مزخرف (٥٣) سمط من الخرز الموشى بالذهب وملون بالأحمر والأزرق على التوالي (٥٤) إناء من الذهب ذو مقبضين (٥٥) زجاجة مصنوعة من الجلد الأحمر القائم (٥٦) سن فيل (٥٧) إناء من الذهب ذو فوهة .

تحقيق موقع بلاد « كفتيو » : كانت العبارة « بلاد كفتيو » والجزر التي في داخل البحر الأخضر العظيم « موضع حدس وتخمين كثير للوصول إلى معرفة ما إذا كانت بلاد « كفتيو » والجزر التي في داخل البحر الأخضر العظيم (أى البحر الأبيض المتوسط) تدل على جهتين منفصلتين أو أن الثانية هى عين الأولى، وأن كلمة كفتيو قد ذكرت فى الأول لأهميتها أو أنها اسم أطلق على كل جزر البحر الأبيض جميعا . والواقع أن العبارة لا تدل على هذا ولا ذاك صراحة، وذلك أن المنظر الذى رسم أمامنا يدل كل صف فيه على نوع من الناس له جنسيته المميزة له وثقافته الخاصة به، فترى على الرغم مما يوجد من اختلافات طفيفة مثلا أن كلا من كلمة « كفتيو » و « إينتو سى » — و « رتنو » ، تدل على صنف خاص من الأقوام الذين نبحث فيهم الآن . وقد أتوا حاملين الجزية والهدايا للفرعون . على أنه مع ذلك قد يتفق أحيانا أن يضاف لاسم هذا الصنف من الناس اسم بعض السكان المجاورين بمثابة شرح وتفصيل . ففى الحالة التى نحن بصددتها الآن قد أضيفت عبارة سكان « جزر الأخضر العظيم » للدلالة على أنهم من جنس أهل « الكفتيو » لأنهم من سلالة واحدة ولهم ثقافة مشتركة . ومثل ذلك كمثل سكان « ختى حن نهر » فإنهم لا يختلفون اختلافا ظاهرا على ما نعلم عن السكان الذين يدعون « إينتو سى » وهم الذين يقطنون على الشاطئ الأيمن للنيل جنوبى الشلال الأول (راجع Gauthier, Dic. Geog. IV. P. 182.) وكمثل سكان « رتنو » (سوريا) فإن لهم فروعا وصلات ثقافية تمتد شمالا من بلاد « رتنو » الأصلية .

والواقع أن كلا من هؤلاء الأقوام الثلاثة له ثقافته الخاصة به، وعلى ذلك فإن الكاتب المصرى عند ما ذكر « الكفتيو » والجزر التى في داخل البحر الأخضر العظيم كان يريد بلدا واحدا . كما يقال الآن مصر وملحقاتها . على أنه يوجد الآن رأى يميل إلى ربط الثقافة المنوية (أى ثقافة كريت) « بقبرص » والجزر الميلانية وبلاد الأغر يق نفسها الواقعة على جانبي بحر « إيجه » . ويرتكز هذا الرأى

على براهين قوية ، وعلى ذلك يمكن القول هنا أن « كفتيو » لم تعرف هنا بوصفها جزيرة « كريت » بل أعطيت الأولوية لتدل على ثقافة جزائرية عامة . وقد حاول الأثرى « وينريت » (J. E. A. Vol. XVII. P. 26f.) أن يثبت عبثاً أن كلمة « كفتيو » تدل على البلاد الواقعة غربى جبال « آمانوس » فى آسيا الصغرى وأنها كانت تدعى عند المصريين الجزر التى فى داخل البحر الأخضر العظيم . ويمتاز جنس « الكفتيو » فى رسوم مقبرة « رخ مى رع » بمميزات خاصة - (Plates XVIII - XX. & "Paintings" III - V) أهمها أن لون بشرتهم يميل إلى السواد وشعورهم طويلة ذات تجاعيد مقوسة على قمة الرأس ، وكذلك يلاحظ أن كلا منهم يحتذى نعلا له لفافة للساق مزركشة (gaiters) ويرتدى قميصا مزركشا منسقا قصيرا . ونجد فى حالتين أن الرجل منهم كان يرتدى لباسا مصنوعا من جلد حيوان من فصيلة القط شعره غزير ، أو كان يرتدى جلدتين مربوطتين إلى بعضهما وقربا لمعضو التذكير ملونا فى كل الحالات . وقد دل الفحص على أن هذا هو الزى المتوانى (راجع Davies, Rekh-mi-Re. P. 23 - 25) .

النوبيون : أما المتن الخاص بوفود بلاد النوبة فهو كما يأتى : — «وصول رؤساء البلاد الجنوبية فى سلام وهم أهل « إتنوسى » و « ختنى حن نفر » مطاطين رموسهم ومقبلين الأرض وحاملين جزيتهم ... لملك الوجهين القبلى والبحرى « منخبر رع » ، لئنه يمنح الحياة مخلصا — آملىن أن يمنحوا نفس الحياة . وقد كان « رخ مى رع » الحاكم الوراى وحامل خاتم الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، وعمدة المدينة والوزير ، هو الذى تسلم جزية البلاد المختلفة التى أحضرت لفخامة جلالاته لما له من قوة وسلطان ونفوذ فى كل الأراضى » .

والواقع أن ما نشاهده من ثقافة فى بلاد النوبة يتضاعل عندما نقرنه بالثقافة « النوبية » التى لعبت دورها فى الحضارة الغربية ، هذا فضلا عن أن ما نشاهده فى رسوم مقبرة « رخ مى رع » لا يتحدثنا عن ثقافة خاصة ببلاد النوبة فى العهد الفرعونى ، وذلك لأن مصر كانت قد غدت النوبة بثقافتها ، غير أن نفوذها كان قد تضاعل جدا من هذه الناحية فى عهد الهكسوس ، ولذلك كانت حضارة البلاد الأصلية

قد راجت في تلك الفترة . على أن ما نشاهده في مقبرة « حوى » من رسوم يدل على الثقافة المصرية في هذه البلاد وانتعاشها من جديد بسرعة ملحشة . (راجع Steindorff, "Aniba", I. P. 10ff. & 23.) ولا بد من عمل حفائر لمعرفة ثقافة القوم الأصلية لأن ما نشاهده هنا ينحصر في أن أهل النوبة كانوا يمدون مصر بما لا تنتجه وحسب .

أهالى النوبة : (راجع Plates II, XVIII - XX. & "Paintings", VI, VII.)
الواقع أن الباحثين من رجال الآثار لا يعرفون إلا التمر اليسير عن الحدود الفاصلة بين القبائل التي كانت تتألف منها بلاد النوبة قديما ، كما كانوا لا يعرفون الكثير عن مدى امتدادها جنوبا . وإذا فحصنا الصورة التي مثل فيها أهل الجنوب نجد أن الشخصين الأولين يختلفان عن الباقيين من حيث الشعر والملبس . غير أن الهدايا التي يحملونها تجعلنا نعتقد أنهما من الأغلبية السائدة في هذه الأصقاع . ويدل الشيطان المتدليان من شعرهما على أن هذا الشعر ربما كان مستعارا، ويفهم من هيتهما أنهما الرئيسان اللذان كانا على رعوس الوفود .

هدايا بلاد النوبة : (Plates II, XVIII - XX. & "Paintings", VI - VIII.)
أما الهدايا التي تشاهد مكدة أكواما في الصورة فتشمل المحاصيل العادية التي تنتجها بلاد النوبة ، وتتألف من ريش نعام وبيض نعام وقطع من الأبانوس وقضبان وحلقات من الذهب وثلاث سلات مملوءة من السام وقرد أخضر اللون جالس على كرسية الخاص وست جرات من عطور « ستي » ونخسة جلود فهود وست أسنان فيلة، وسلّة من حجر « حماجت » الأحمر وآثر من حجر « شسمت » الأخضر . ومعظم هذه المواد التي سردناها نشاهدها ثانية محمولة على أيدي رجال الوفود . هذا بالإضافة إلى ذيول زرافات وجلود، واحد منها لحيوان ملون بالأحمر والأبيض ومخالبه مقطوعة ، وآثر يشبه الثعلب وهو الذى يستعمل رأسه عادة في أطراف الحلة الملكية، وفي أطراف القضيبيب السحري (راجع

2. row XXXVII. Pl.) أما الحيوانات التي جاء بها هذا الوفد حية فتشمل فهذا ونسناسا وزرافة ، وكذلك طائفة من كلاب الصيد أبدع المفتن في إنجراجها، هذا الى أبقار من نتاج البلاد نفسها رسمت برءوس نحيلة وقرون كذلك ركبت في هيئة غريبة خارجة عن حد المألوف .

أهل الرتنو : والمثن الذي نقش على وفود « رتنو » هو ما يأتي (Fig. 5) :

وصول رؤساء « رتنو » في سلام ومهم كل بلاد آسيا الشمالية مطاطين رؤسهم وجزيتهم على ظهورهم أملا منهم في أن يمنحوا نفس الحياة بسبب ولائهم لجلالته لأنهم رأوا انتصاراته العظيمة جدا . حقا ان بطشه قد فهرقوا بهم . والآن يتسلم منهم جزية البلاد كلها السيد محبوب الآلهة وموضع ثقته العظيمة في كل الأرضين ، وعمدة المدينة الوزير « رخ مي رع »

وصف أهل رتنو : (راجع Plates II, XXI-XXIII, "Paintings", X-XII.)

يلاحظ أن رؤساء بلاد « رتنو » قد ميزوا بأشرطة وضعت أفقية على صدورهم كما هو موضح في صورة الشخصين الأول والثالث، ويشاهد أن كل أفراد البعثة من جنس واحد بيض الوجوه ويلبسون كلهم زيا واحدا، غير أنهم قد رجلوا شعورهم بطرق مختلفة . وما يسترعى النظر في هذا المنظر أن معظمهم محلقون رموسهم أو أنها مقصوفة قصا قصيرا جدا . على أنه يوجد بينهم ثلاثة قد أرخوا شعورهم على أكافهم وربطوها بأشرطة .

الهدايا التي أحضرها : (راجع Plates II, XXI-XXIII, "Paintings")

(IX - XII) . وما يلتفت النظر هنا أن الهدايا التي أحضرها وفود « رتنو » لا تدل على مدنية عظيمة جدا وثراء ضخم ، إذ لا نجد إلا ثلاثة من رؤساء هذه البلاد قد أحضروا معهم أواني من المعدن الثمين ، كما لا يوجد إلا ثلاث أوان ذات أحجام عظيمة في الكومة المعروضة في الصورة . غير أننا نشاهد مع ذلك إبريقين في الصف الثاني يظهر أنهما من الزجاج يشعرون صنعهما بأنهما قطعتان فنتان . (IX. "Paintings") وبالاختصار دلت البحوث الحديثة على أن الأطباق المصنوعة

من الذهب والفضة وهى التى كما نظن أنها من انتاج بلاد «رتنو» كان يحملها أفراد من أهالى « كريت » . ومن ذلك نستطيع أن نستخلص بحق أن كل المنتجات الراقية والقطع الفنية النادرة التى كانت ترد الى مصر من الشمال فى هذه الآونة لم تكن تصنع فى سوريا بل كانت تتداولها أيدي تجار سوريين، ومن المحتمل جدا أن سقوط « كريت » وانتعاش سوريا السريع بعد خلاصها من أيدي الهكسوس قد عكس الوضع وجعلها هى صاحبة الإنتاج الفنى العظيم بعد مضى عشرات السنين القليلة التى أعقبت هذا الخلاص . على أننا من جهة أخرى لا نعرف أصل صناعة الأطباق ذات الحافة المزينة على وجه التحقيق، إذ من المحتمل أن الفكرة كانت فى أصلها مصرية، ولكن ما تحتويه من أشكال خيالية عدة راقية تجعلنا نظن أن هذا الطراز من الأواني هو من إنتاج « كريت » مما كان يصدر الى مصر، أما سائر الكومة فتحوى على طبقين صغيرين من الفضة وسلّة من حلقات الذهب ، وسلّة من حلقات فضة وألواح من خشب « مرو » وحزم من يراع « قن » وسلات من أحسن خشب الأرز (صمغ) ... وحجر « مسن » وفيروزج ولازورد ، وطبقين من القصدير لهما مقابض ، وقرص من اللون الأبيض (?) وأيكاس « زنب » وكلى من خشب « قى شبس » (?) وأربع ركائز من النحاس، وثلاثة أباريق ... وثلاثة أباريق من زيت الزيتون وستة أباريق من البخور وأربعة أباريق من مرهم لبنان. هذه هى الهدايا التى كانت مكدة أمام الوزير، أما التى كان يحملها الوفود على أيديهم فهى : ثلاث ركائز من النحاس وأربع أواني نبيذ، وثلاث أوان من الفخار، وحقان من العاج للمطور، وستا فيلين، وعربة وجوادان لحزها (Pl. II, & "Paint- ings" Pl. XI.) وأربع قسي وكثانة وخنجر وحزمتان من عصي «عونت» ؛ وأخيرا نشاهد دبا وفيفا ؛ وقد أبرز الرسام صورة الفيل بإتقان لا بأس به .

الأسرى : وقد كان ضمن الجزية السنوية بعض الأسرى، والظاهر أنهم كانوا رهائن لضمان حسن سير القبائل فى البلاد المقهورة . والنص التالى قد كتب فوقهم

هكذا : احضار أولاد أمراء الأقاليم الجنوبية وأولاد أمراء الأقاليم الشمالية وهم الذين سيقوا غنية لجلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحرى « منخروع » — ليه يعطى الحياة — من كل الأراضى الأجنبية لأجل أن يملأ بهم المصانع وليكونوا عبيدا فى ضياع معبد والده آمون رب تيجان الأرضين ، لأن كل الأقاليم قد منحت إياه (الملك) وأخذ بناصيتها جميعا فى يده ، ورؤساؤها قد سجدوا تحت نعليه . وكان الأمير الوراى ثقة الفرعون فى قصره وعمدة المدينة الوزير « رخ مى رع » هو الذى تسلم الغنيمة من الأراضى المختلفة وهى التى جىء بها من انتصارات جلالة .

ومن هذا المتن نعلم أن البلاد التى فتحت بمجد السيف وهى بلاد النوبة والأقطار السورية يمكن معرفة مركزها بالنسبة للبلاد الأخرى فى نظر الفرعون فإنها كانت فى الواقع مجبرة على توريد العبيد والإماء والأطفال جزية تدفع سنويا ، أو كلما اقتضت الأمور وتدل الأحوال على أن هؤلاء الأسرى كانوا ينتخبون من عليه القوم فى البلاد المقهورة بمثابة رهائن أو عقاب لإرغام أنوف الأسر الحاكمة فى تلك الأقطار النائية وجعلهم يدينون بالطاعة للفرعون .

ويلاحظ أن الأطفال الصغار كانوا يجلبون مثل السلع الأخرى التى كانت تقدم جزية من أيدى الرؤساء المقهورين ، ومما يسترعى النظر بوجه خاص أن الأطفال كانوا لا يزالون فى عناية نساء يقمن على تربيتهم وهذا ما نشاهده ممثلا فى مقابر أخرى من هذا النوع .

الأسرى النوبيون : والأسرى فى رسوم مقبرة « رخ مى رع » ينقسمون مجموعتين يقود كلا منهم جنود مسلحون بقضب وعصى رماية . فالمجموعة الأولى تحتوى نوبيين والثانية تؤلف من سوريين . ويتألف الأسرى النوبيون من طائفة قوامها سبعة أفراد تتبعهم سبع نسوة يلبسن حلا كاملة ذوات حافات حمراء قانية نتدلى من أطرافها أصداف . والظاهر أن هؤلاء النسوة قد رتبن على حسب خصبهن لأن الأولى كان معها أربعة أطفال الاثنان الصغيران من بينهم قد حملا فى سلة على الظهر والثانية كان معها ثلاثة أطفال (٣) ، والثالثة والرابعة كان مع كلتيهما اثنان . هذا إلى ثلاث نسوة أخر شرعن أطول من شعور السابقات

والظاهر أنهم كن عذارى . ثم يأتى بعد ذلك خمس نسوة يتميزن بما يلبسن من فلدات ضخمة وأردية لا تستر إلا عورتين . والظاهر أن واحدة منهن كانت تحمل طفلا . ويدل شعرهن الطويل على أنهم نوبيات لا زنجيات .

الأسرى السوريون : يبلغ عدد الأسرى السوريين أربعة عشرة وقد قسموا طائفتين ، ويلاحظ أن كل واحد منهم كان يقبض بيده على عباءة طويلة ذات أهداب وقد لف بها . وفى القسم الأول من هؤلاء نجد أنهم قد لبسوا العباءة على جلباب له كان طويلان ؛ أما أفراد القسم الثانى فكانوا يرتدون العباءة على قبص صغير . وكانت النسوة يرتدين جلباب بيضاء طويلة لها هذابات ملونة . والظاهر أن هذه الجلابيب كانت مجهزة من قبل . ويلاحظ أن الجزء الأعلى من جلباب السيدات كان يشبه (الحرملة) الحالية . وترى إحداهن حاملة طفلا فى سلة مربوطة بنسج على كتفها (وهذا يختلف عن الطريقة النوبية) يلف حول جبهتها ؛ وما يسترعى النظر هنا أن الأمهات كانت لمن الأفضلية ولكن يشاهد هنا أن لا مجال للغيرة أو التنافس لأن كل امرأة كان معها طفلان ، وبعضهن كان لمن شعر قصير فى حين أن البعض الآخر كانت شعورهن طويلة مرسلّة على ظهورهن .

أعمال الوزير

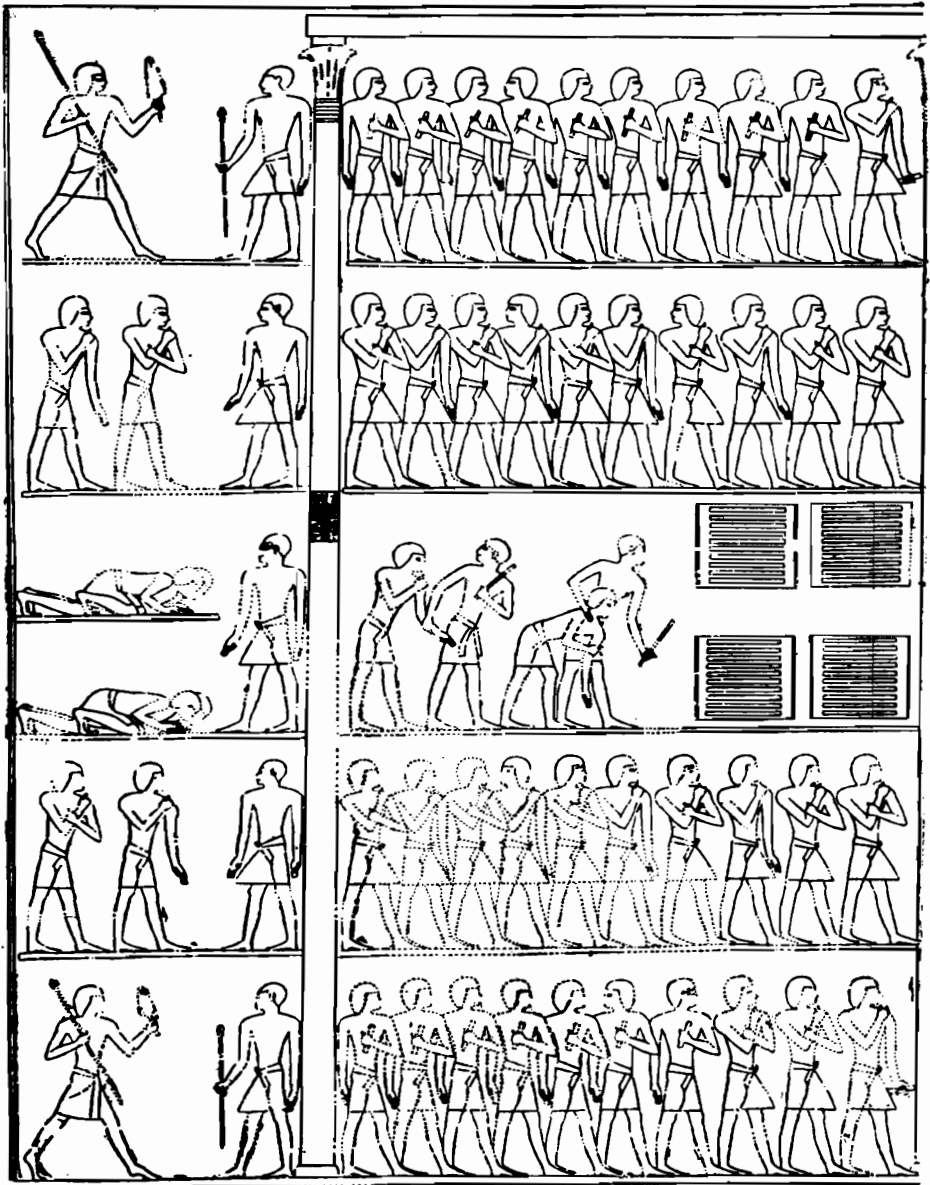
إدارة الوزير : (راجع Plates. XXIV — XXV) لقد ترك لنا الوزير «دخ مى رع» صورة رائعة تمثل أمامنا مهام الوزير الرسمية ، فنشاهد الوزير وقد عقد جلسة محكمته التى كانت تعد أكبر محكمة فى القطر . وكذلك نشاهد القواعد الخاصة بواجباته مدوّنة وأخيرا نشاهد صورة لجمع الضرائب من الإقليمين العظيمين اللذين كانا يتألف منهما الوجه القبلى .

والواقع أن القاعة (صورة ٣٦) التى كان يجلس فيها الوزير للقيام بمهام وظيفته كانت على هيئة سرادق يرتكز على ستة عمد فى صورة شجر النخيل المزينة سيقانها

بطغراء الفرعون، وكذلك نقش عليها عبارة «محبوب ماعت» (إلهة العدل) واسم الوزير «رخ مى رع». ونفهم من المتن الخاص بعنوان هذا المنظر أن «رخ مى رع» قد عقد جلسة ليستمع إلى القضايا في قاعة الوزير وتتناسب الألقاب والتعوت التي خلعت على «رخ مى رع» هنا مع هذا المقام وهي : «الذى يوزع العدالة دون محاباة، ومن يعمل على طمأنينة المتخاصمين، ومن يقضى بين الفقير والغنى على السواء، ومن لا يبكى شاك بسببه» (راجع Pl. XXIV, Col. 3-6).

القواعد الخاصة برسميات المحكمة : وقد كانت الرسميات المتبعة عند عقد الجلسة أن يجلس الوزير على كرسى له ظهر يستند عليه وأن يفرش حصير على رقعة القاعة وأن يعلق حول عنقه قلادة الوظيفة (ولابد أنه يقصد هنا القلادة التي كان يعلق فيها صورة آلهة عدل ويلبسها الوزير حول رقبتة عند الفصل في القضايا فكان عند النطق بالحكم بهذه الصورة ويشير بها نحو من في جانبه الحق) (A. S. Vol. XL. P. 185ff.) وكذلك كان يضع وراء ظهره جلداً وآخر تحت قدميه. (راجع Pl. XXVI. Col. I.) وكانت قد وضعت القواعد لتحديد أماكن الموظفين الذين كانوا يشتركون في محكمة الوزير فكان يجلس معه رؤساء عشرة الجنوب في الممر بين اللذين على اليسار وعلى اليمين. أما المستشار الأول فكان يجلس على يمينه ويجلس الحاسب الذى يقدم المتخاصمين على يساره، وبالقرب منه كان يجلس الكاتب الذين يحتاج إليهم (راجع Pl. XXVI. Col. 2.) ولكن نشاهد عشرة رجال على كل من جانبي الطريق الأوسط وعدداً آخر يماثلهم من الكتبة وبذلك بلغ مجموع كل من كان في حضرة الوزير عند الفصل في قضايا الناس أربعين موظفاً.

عصى الحكام : ومما يلفت النظر أربعة الحصر المفروشة أمام الوزير مباشرة وعلى كل منها عشر عصي، وتمثل في مجموعها الأربعين «شم» المبسوطة أمامه بهذا الاسم. وقد كان المفهوم حتى الآن أنها تمثل أربعين إضمامة من الجسد نقش عليها مواد القانون الذى يقضى على هداى الوزير في قضايا



(٣٦) منظر قاعة الوزير بتصرف شؤون الدولة

الشعب ، غير أن شكلها كما يقول الأثرى « ديفز » لا يدل على ذلك ، إذ كان المتظر أن تكون أكثف سمكا وأقصر مما نشاهده ، كما كان يجب أن تكون محزومة بخطط مثل إصمات البردى العادية . هذا فضلا عن أنه لم يشر إليها في النقوش قط . وقد يكون من الصواب أن تشير الأربعون عصا إلى الأربعين موظفا الذين كانوا في حضرة الوزير ، أو أنها تمثل الأربعين مقاطعة التقليدية التي تتألف منها البلاد وتدفع الجزية للفرعون . غير أن الاعتراض الوحيد على هذا الرأي الأخير أن « رخ مى رع » لم يكن يدير شئون البلاد كلها بل كانت إدارته قاصرة على الوجه القبلى ، فإذا تجاوزنا عن هذا الاعتراض فإن هذه العصي تكون عصي سلطة وضمت في أيدي موظفى الأقاليم بمشابهة تفويض لتنفيذ القانون . وقد شوهدت مستعملة للعقاب فى يد الحجاب .

صغار موظفى المحكمة : وما يشاهد فى طرقات قاعة المحكمة وخارجها حجاب يتحدّثون إلى أفراد يريدون استئناف قضايهم أو يتناقشون مع أفراد لم يدفعوا ما عليهم من ضرائب ؛ وما يستلفت النظر أن الفريق الأول كانوا يعاملون من الحجاب معاملة حسنة أما الفريق الآخر فكانوا يساقون بعنف إلى حيث يمثلون أمام الوزير . أما فى خارج القاعة فيشاهد منظر غير مألوف . إذ نجد رسولين قد وصلا على جناح السرعة يحمل أحدهما غصن زيتون وسهما وقد استقبل كلا منهما رجل آخر يحمل سهما وحسب . فالرجلان الأولان هما شرطيان يقومان بعمل رجل بريد أما الثالث فيحتمل أنه حاجب المحكمة . والظاهر أن غصون الأشجار كانت تستعمل رمزا للسلام منذ القدم . أما المقمعة أو السهم الطويل فيمكن أن نعده رمزا للسرعة ؛ غير أنه فى يد الموظف يدل على القوة اللهم إلا إذا كان يحمله فقط على أنه موصل الرسالة للوزير .

وقد خلف لنا الوزير « رخ مى رع » متنا طويلا عدد فيه مهام الوزير ؛ وقد نظمت سطروره على جدران قاعة الوزير بطريقة تشعر بأنه من وحى مكان العدالة

إذ قد وضعت الجمل الافتتاحية الخاصة بمجلسة الوزير قريبة جدا من الصورة .
وقد عثر على نسخ ثلاث من هذا المتن الهام في قبور ثلاثة وزراء غير « رخ مى رع »
وهى (مقبرة أمنمحات رقم ٣٩ ، ومقبرة « باسر » رقم ١٠٦ ، ومقبرة آمون وسر
رقم ١٣١) ؛ وأحد هذه المتون قبل عهد « رخ مى رع » والاثنان الآخران بعده .
ولما كانت هذه التعليقات على جانب عظيم من الأهمية فى القضاء والإدارة
فى تاريخ العالم فإننا سنوردها هنا كاملة ليرى رجال الحكم الحاضر أن السلف منذ
آلاف السنين قد وضعوا قواعد وأنظمة لم يخلقها كبر القرون ولم يستطع الفكر الحديث
أن يأتى بأحسن منها (راجع Pl. XXI - XXVIII, CXIX - CXII) .

واجبات الوزير

النظام الموضوع لمجلسة الوزير : ” يخصص الإجراء المحكم الذى كان يسير الوزير على نهجه
عند ما يعقد جلسة فى قاعة الوزارة فى أن يلزم الجلوس على كرسى دى ظهر وأن يفرش على رقعة القاعة
حصير من القصب ، وأن يكون لابسا قلادة الوظيفة (أى القلادة التى كان يطلقها القاضى حول عنقه
وفىها تمثال العدالة « ماعت » ويكون بجانبه عصا وأربعون قضيا من الجلد توضع أمامه أيضا . ثم
يجلس أمامه رؤساء عشرة الوجه القبلى على جانبيه ، ورئيس التشریفات على يمينه والمراقب على المدخول
(الحاجب) على يساره ثم كتبة الوزير على مقربة منه “ .

ترتيبات حفظ النظام : ” وإذا حدث أن احتدم النقاش بين متقاضين متكافئين فالواجب
أن تسمع أقوال كل منهما على الترتيب كل فى دوره ، وإذا حدث أن أحدا من فى المقدمة قال : لن يسمع
أحد بالقرب منى قبل فىل الحاجب أن يقبض عليه “ .

المحافظة على المؤسسات : ” يجب أن يقدم للوزير تقرير عن إغلاق المخازن فى الوقت
المحدد وعن فتحها فى مواعيدها المقررة . وكذلك يجب أن توضع له تقارير عن حالة المعامل الجنوبية
والشمالية وعن خروج كل من يغادر البيت الملكى (ديوان إدارة البلاد) كما تقدم له تقارير عن كل دخل
يرد للحكومة ، وكذا يوضع له تقرير عن جميع من وفد أو خرج من أرض الحكومة بأنهم دخلوا أو خرجوا .
وأنهم يدخلون وسيخرجون بمعرفة حاجبه وعلى المشرفين على ضباط التحصيل ومأمورى الضرائب
والمشرفين على ملاك الأراضي أن يقدموا تقريرا عن أعمالهم له “ .

المناهج الذى يسير عليه الوزير يومياً : ” وكان لزاماً على الوزير أن يمثل أمام الفرعون ليحييه يومياً — له الحياة والسعادة والصحة — وأن يقدم له تقريراً عن حالة البلاد يومياً في قصره ، وكذلك كان عليه أن يدخل « البيت العظيم » على أثر اتخاذ رئيس الخزانة الأعلى مقعده عند العمود الشمالى . وقد كان على رئيس الخزانة الأعلى عند ما يتحرك ركاب الوزير ويظهر عند مدخل (البوابتين) العظيمتين أن يأتى لينضم إليه ثم يقدم تقريراً للوزير يقول فيه : إن كل أعمالك في أمان وسليمة وكل موظف قائم بعمله قد قدم إلى تقريراً جاء فيه : إن كل شئونك آمنة سليمة وإن مقر الحكومة آمن سليم . وقد كان على الوزير بدوره أن يبلغ رئيس الخزانة الأعلى : إن كل أشغالك آمنة وسليمة وكل إدارة من إدارات المقر الملكى (الحكومة) آمنة سليمة . وقد وضع لى تقرير : إن كل المخازن قد أغلقت في الوقت المحدد وفتحت أبوابها في الوقت المحدد وذلك بمعرفة كل موظف قائم بالعمل . وبعد أن يبلغ كل من رئيس الخزانة الأعلى والوزير تقريره لزميله كان على الوزير أن يرسل رسلاً لفتح أبواب الحكومة الملكية ويسمح بالدخول لكل من يريد الدخول وكذلك بالخروج لكل من يريد الخروج ، وقد كان على الحاجب أن يقوم بهذا العمل كتابة “ .

تحديد سلطان صغار الموظفين : ” ولا يجوز لموظف أن يتحمل لنفسه سلطة الفصل في قضايا قاعة الوزير . وإذا اتهم أحد الموظفين التابعين لقاعة الوزير فعله (أى الوزير) أن يجيبه به أمام المحكمة وعلى الوزير أن يعاقبه على قدر جرمته ، ويجب ألا يكون في يد أى موظف السلطة لضرب أى فرد في قاعة الوزير كما يجب أن يقدم له تقرير عن أى قضية خاصة بقاتته حتى يتصرف فيها هو بنفسه “ .

عمل حاجب الوزير : ” وإذا أرسل الوزير أى حاجباً في مأمورية إلى أى موظف سواء كان من الذين يشغلون أعلى الوظائف أم أحطها فعليه ألا يظهر له الصداقة ، كما لا يجوز للموظف نفسه أن يدعو الحاجب إلى مجلسه بل على الحاجب أن يبلغ رسالة الوزير وهو واقف في حضرة الموظف وأن يبلغه الرسالة شخصياً ثم يخرج إلى قاعة الانتظار (؟) . وقد كان حاجب الوزير هو الذى يحضر حكام المقاطعات ورؤساء المراكز إلى قاعة المحكمة ، وكذلك كان على حاجبه أن يضع القواعد الأساسية (؟) ... وإذا حدث أن أرسل حاجب في مأمورية وقدم شكاية قائلاً فيها : وعند ما أرسلت رسالة إلى فلان الموظف فإنه طلبنى وأثقل جدى بشئ ذى قيمة (بمثابة رشوة) ثم رفعت دعوى على الموظف من الحاجب فلا بد من معاقبة الموظف على قيمة ما تخاصمنا من أجله بمعرفة الوزير في قاعته على أن يوقع عليه أية عقوبة عدا بترعضه من أعضائه^(١) “ .

(١) وهذا يدل على أن بتر العضو كان من العقوبات التى توقع على بعض المذنبين كما سترى بعد في القوانين التى وضعها « حورحوب » .

ما يتخذ من إجراءات في قضية غامضة : “أما عن الإجراءات العامة التي كان يتبناها الوزير عند سماع قضية في قاعته عن أى موظف لم يكن كفتا في أداء عمله فليط (أى الوزير) أن يسمع حججه في هذا الموضوع ، فإذا لم يكن في مقدوره أن يجموعه خطيئته عند سماع ظروف القضية فليط إذن أن يقبدها في سجل المجرمين المحفوظ في السجن الرئيسى ، ويتخذ مثل هذا الإجراء إذا لم يكن في مقدوره أن يرى حاجبه من التهمة فإذا وقع منها مثل ذلك كره أخرى فلا بد من تقديم تقرير عن ذلك كما يبلغ عنها أنهما مقيدان في سجل المجرمين وعن السبب الذى من أجله قيدا في هذا السجل بالنسبة لجرمهما” .

الاحتياطات الخاصة بالوثائق القانونية : “وإذا أرسل الوزير في طلب وثائق خاصة بالحكمة وكانت هذه الوثائق غير سرية فيجب أن تحمل إليه ومعها وثائق المسجل الخاصة بها وتكون مخومة بأختام الحكام والكتاب الذين في خدمتهم (أى الحكام) وهم المختصون بهذه الوثائق . وعلى الوزير بعد فحصها ولخصها أن يعيدها إلى إدارتها ثانية مخومة بختم الوزير نفسه . أما إذا كانت الوثائق المطلوبة سرية فيجب على المسجلين المختصين ألا يسمحوا له بنقلها (من مكانها) ، ومع ذلك إذا أرسل الوزير حاجبا لمصلحة المدعى فينبى على المسجل أن يسمح بحملها إلى الوزير” .

أنظمة خاصة بالحقوق المتعلقة بالأرض والمعادن : وإذا تظلم شخص من غير أوحيف وقع عليه سبب نزاع على الأرض فعلى الوزير أن يقوم بنفسه للقضاء فى أمره فضلا عن سماع قضيته على يد المشرف على الأراضى ومجلس المراكز . على أن يسمح له بمهلة مقدارها شهران بخصوص أرضه إذا كان موقعها فى الوجه البحرى أما إذا كانت أراضيه قرية من المدينة الجنوبية (طية) أو مقر الملك فلا يسمح له إلا بتأجيل قدره ثلاثة أيام كما نص على ذلك القانون . وعلى الوزير أن يستمع لقضية أى متظلم على حسب هذا القانون الذى فى يده ، وعليه أن يعقد مجلس المقاطعة وهو الذى يفضهم بعد تقديم تقريرهم عن حالة مقاطعتهم ؛ ويجب أن يؤتى إليه بكل وصية لأنه هو الذى يجب أن يوقع عليها بخاتمته ؛ وهو الذى يقدم المنح الصغيرة من الأراضى (شور) . أما إذا قرأ أى متظلم قائلا : « إن حدودنا قد زحزحت » فيجب أن تؤخذ العناية بأن يكون ذلك التعدى على حسب إمضاء موظف ، وإذا كان ذلك قد حدث فعلا فعلى الوزير أن يوزع مساحات الأراضى الصغيرة (شور) من المجلس الذى كان قد زحزح الحدود .

يضاف إلى ذلك أن أى حجير أو كز وجد على الأرض فإن أى تدخل بدمعرة محتوياته وبعد تقديم الشاكي قضيته كتابة يصبح محظورا عليه أن يقدم تظلا لحاكم ما ، وإذا جاء لحاكم المقاطعة أى تظلم بعد أن رفع قضيته وقبدها كتابة فيجب أن يحال إلى الوزير .

المراسلات والتعيينات العالية : ” والوزير هو الذى يرسل كل حاجب للحكومة كما يرسل الى المقاطعات ورؤساء المراكز . وهو الذى يرسل يريد جميع الأمور بالخاصة بالحكومة . وهو الذى يعين أى موظف من موظفى الإدارة مثل المشرف على الوجه القبلى أو الوجه البحرى ، وجبهة الجنوب أو الإقليم العظيم (مديرية العراية) وعليهم أن ينفوه كل ما يحدث فى منطقة نفوذهم فى بداية كل فصل مدته أربعة أشهر ، وعليهم أن يحضروا له الكتاب الرسمى التابعين لهم وكذلك عليهم أن يقدوا مع مجلسهم “ .

المؤن اللازمة لتنقلات البلاط : ومن واجب الوزير الإشراف على حشد الجنود والسير فى ركاب الفرعون عندما يتحرك فى النهر شمالا أو يصعد جنوبا ، وأن يعين فى المناصب الخالية سواء أكان ذلك فى المدينة الجنوبية أم فى مقر الملك (أى الحكومة) وذلك تنفيذًا لقرار صدر من الحكومة الملكية . ولا بد أن يحضر أمامه طائفة مودى الأغذية للحاكم (الملك) حتى يمدوا قاعته والمجلس العسكرى بالطعام ، ولأجل أن تسلم إليهم أنظمة الجيش (الخاصة بالطعام) . ويجب كذلك أن يعقد جلسة من أصحاب الرتب العالية ومهمهم أصحاب الوظائف الصغيرة فى قاعة الوزير حتى يتبادل كل منهم التحيات مع زميله ^(١) .

إدارة الحكومة الملكية : ومن واجبات الوزير أن يرسل عمالا لقطع شجر الجوز على حسب أوامر الحكومة وأن يعث مستشارى المقاطعة لحفر ترع للرى فى البلاد قاطبة ، وأن يرسل العمدة ورؤساء المراكز للزراعة الصيفية ، وكذلك عليه أن يعين المشرفين على عمال الضرائب فى قاعة الحكومة الملكية ، وينصب من سيسمع قضية العمدة ورؤساء المراكز ، ومن سيقوم بجولة تفتيشية باسم الوزير على الوجه القبلى والوجه البحرى . وكان من الضرورى أن يقدم له تقرير عن كل القضايا القانونية .

السلب والمخاصمات العامة والخاصة : ويجب أن يقدم للوزير تقرير عن حالة المعتقل الجنوبى وعن أى فرد يحاول القيام بغارة ... ومن واجب الوزير أن يقوم باتخاذ الإجراءات ضد أى ناهب من أى مقاطعة ، وأن يكون هو محاكمه . وكذلك من واجبه إرسال الجنود والكتبة المحليين لوضع الترتيبات للفرعون . وكذلك يجب أن تكون سجلات المقاطعة فى قاعته ليتمكن أن يدلى بحكم فى أى مسألة خاصة بالأرض المزروعة . ومن واجبه كذلك أن يقرر تخوم أية مقاطعة أو أى بطاح إضافية أو أملاك معبد أو امتلاك عقار جديد وهو الذى يؤدى كل (شدد) (؟) ويسمع لكل شكوى وهو الذى يسمع لقضية رجل ذهب للقضاء مع جاره . وعليه أن يعين كل شخص يجب أن يعين فى المحكمة ، ولا بد أن يحضر أمامه كل رسالة من الحكومة الملكية . وهو الذى يسمع القضايا الناجمة عن أى إذاعة حكومية (لم تتبع) .

(١) هذه الفقرة من القانون تدل على أسمى تعبير عن الروح الديمقراطية فى كل عصور التاريخ .

المالية والتكوين : ومن واجبات الوزير أن يفضل في أية قضية خاصة بأى عجز فى إتاحة المبد وأن يفرض أية ضريبة عينية على أى إنسان يجب عليه دفعها له (؟) وإنه هو الذى يعمل ... فى المدينة الجنوبية أو فى الحكومة الملكية ، وعليه أن يوقع عليها بخاتمه ، كما يجب عليه أن يفضل فى كل القضايا القانونية . وهو الذى يقرر إجراء التحقيقات الخاصة بالضرائب على محال الصنعة (؟) كما يجب على المجلس العظيم أن يضع له تقريراً عن تقديراته بالضرائب ، وأن يساعده فى ذلك جباة الضرائب . وعليه أن يستمع إلى قضية العمال (؟) ... ودخل المحكمة وكل منحة منحها ، ومن واجبه كذلك الفصل فى القضايا الخاصة بها . وأنه هو الذى يفتح بيت الذهب بصحبه رئيس الخزانة الأمل ، كما أنه من واجباته لخص بيلوس (؟) ... والمدير العظيم للبيت والمجلس الأعظم ، وعليه أن يقوم بإحصاءات لكل الثيران التى يجب أن يعمل لها إحصاء ، وأن يفحص محصول المياه (؟) فى أول يوم من فترة مقدارها عشرة أيام والثبوتة

النظام العام ورفاهية الشعب : أما قضايا المحكمة سواء أكانت متعلقة بحاكم المقاطعة ورؤسا المراكز أم بأى أشخاص عامين فإن كل دخلهم الذى يقدم له لا بد أن يبلغ إليه بكل مشرف على الأرض الزراعية وبكل موظف « شتو » وعليهم أن يلفوه عن أى اضطراب يحدث ليلا أو نهارا (؟) ... وعليهم أن يلفوه الحاجيات الشهرية مع الدخل ... وإليه يقدم تقرير عن ظهور نجم الشعرى وعن تأخر القيضان ، كما يقدم له تقرير عن الأمطار (؟) ... لشرف على الأرض الزراعية وللموظف (شتو) أو إلى ... الحكومة الملكية .

وإن الوزير هو الذى يجهز السفن كما يجهزها أى فرد خاص بذلك ، وهو الذى يرسل أى رسول من رجال الحكومة الملكية لأجل أن ... عندما يكون الفرعون فى رحلة ... ويجب أن يقدم له تقرير من كل مجلس ... وأنه هو مقدمة الأسطول ومؤخرته (؟) ؛ وأنه هو الذى يحتم كل المراسيم الخاصة به ... وحاجب الوزير مثله مثل كلب حارس الكلاب عندما يرسل فى بعوث حكومية . ويجب أن يقدم له تقرير بما يجب أن يبلغ عنه ... ورئيس المحكمة هو الذى يبلغ عنه وعن كل ما يفضله وعن سماع القضايا فى قاعة الوزير

وإحال القارئ يشعر تماما بعد قراءة هذه الوثيقة القذة بما كان ملقى على حائق الوزير من مهام جسام ينوء بحملها رجال عديدون ، غير أنها فى بعض الأحيان كانت مهام اسمية . وعلى ذلك لا ندهش عند ما يحذره الفرعون بقوله : « إن الوزارة ليست أمرا هينا بل هى مرة كالصبر » . هذا ولا نريد أن نعلق على ما فى هذه الوثيقة من

مبادئ سامية وقوانين عادلة ودروس واعظة في الأخلاق الكريمة وقواعد صارمة يجرى على مقتضاها الموظف الكبير والصغير لا فرق بينهما هذا إلى ما جاء فيها من العدالة المطلقة التي كانت أكبر عامل في تسيير أمور الدولة والوصول بها إلى بر النجاة، وكل ذلك كان ملقى على عاتق الوزير الأكبر الذي كان يمثل الحكومة الرشيدة .

جمع الضرائب : (راجع Pl. XXIX - XXXV, XLI) لا نزاع في أن العثور على مثل هذه الوثيقة الفذة في بابها في مقبرة خاصة يبعث في النفس الدهشة المزوجة بالسرور والغبطة . غير أن سرورنا وفرحتنا يزدادان عند ما نعلم أنها قد شفعت بصورة معززة بإحصاءات وفيرة تضع أمامنا استعراضا خطير الشأن عن كيفية سير الإدارة المالية في البلاد، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن هذا العرض لا يشمل كل البلاد المصرية من أقصاها إلى أقصاها إذ يقتصر البحث فيه على مالية الوجه القبلي، ويحد شمالا « بيجة » قرب أسوان حتى مدينة أسيوط الواقعة في وسط مصر ويشمل ذلك الإقليم الذي كان يطلق عليه « رأس مصر العليا » . وكان قد قسم هذا الأقليم قسمين وهما الأراضى الواقعة جنوبى طيبة وقد جرئت إلى أربعين وحدة والأراضى التى فى شمالها كذلك جرئت إلى أربعين وحدة أخرى . وقد مثل هذه الوحدات ثمانون موظفا يشاهد كل واحد منهم يقدم دفعة مما هو مفروض على إقليمه من الحيوانات والمحاصيل الزراعية ، يضاف إلى ذلك ما يقدمه كل منهم من حلقات ذهب أو أسماط من حبات الذهب والفضة أيضا . ويلاحظ فى الصورة التى تمثل هذا المنظر أنه قد نقش فوق كل موظف عنوانه فيذكر لنا أحيانا لقبه واسم المركز الذى أتى منه وكذلك كمية من الذهب أو الفضة حسبت بالدين أو نصف الدين . وفضلا عن ذلك وجدنا فى تسع حالات أن ضرائب الوحدة كانت تشمل قلادة من الذهب أو الفضة ، وفى حالة واحدة وجدنا أن الجزية كانت تدفع نسيجا . وقد كان هذا المقدار المكتوب يحذف أحيانا ، وفى تلك الحالة

لا تجد الدفع قد رسم في صورة ركائز بل كان يورد بدلا منه مقدار عظيم من المواد الففل .

النقوش الموضحة : ومتن المقدمة للأجزاء الجنوبية هو : (راجع

Pl. XXIX. row 1.) الوزير « رخى رع » فحص مراجعة حسابات قاعة وزير المدينة الجنوبية (طيه) وهذه المراجعة لما جاء به العمدة ورؤساء المراكز والمستشارون الرقيون ومأمورو ضرائب المقاطعات وكتابهم وتجب السجلات الذين في إقليم « رأس مصر العليا » وهو الذى يتدى عند « القتين » وقلة « بجة » . وقد قذت هذه المراجعة على حسب الكتابات القديمة . وكذلك نجد مثل هذا الإيضاح لإقليم الشمال (راجع : Pl. XLI.) وقد جاء فيه الوزير « رخى رع » فحص حسابات قاعة وزير المدينة الجنوبية (مراجعا) حسابات) العمدة ورؤساء المراكز والمستشارين الرقيين ومأمورى المقاطعات وكتابهم وكتاب سجلات الأراضى وهو الإقليم الذى يتدى عند « ققط » وينهى عند « أسبوت » .

ومن ذلك نعلم أن الصعيد كان له وزير خاص يقوم بشئونه وأن الأراضى التى كانت تحت سلطانه تشمل الإقليم الذى ما بين « أسوان » حتى مدينة « أسبوت » وهذا الإقليم بدوره كان ينقسم قسمين : إداريين الأول من « أسوان » حتى « ققط » . والثانى من « ققط » حتى « أسبوت » . وكذلك كان كل من هذين الإقليمين بدوره ينقسم أربعين وحدة لكل حاكم خاص . وعلى هذا التقسيم كانت تجبى الضرائب بوساطة موظفين خصوا بهذا العمل .

طرق دفع الضرائب فى ذلك العهد : لا يزال موضوع قيمة النقد فى مصر القديمة من الموضوعات العويصة (راجع مصر ج ٢ ص ٢٣٧) على الرغم مما وصلنا من معلومات متفرقة عنه . وما نعرفه على وجه التأكيد أن الدفع فى الأزمان القديمة كان بوساطة حلقات من المعدن لها قيمة معينة . (ومن المحتمل أن كل اثنتى عشرة حلقة صغيرة أو ست حلقات كبيرة كانت تعادل « دينا ») ، ولكنا نعلم فيما بعد أن الدفع كان يقدر بوزن الدين سواء أكان من الذهب أم الفضة أم النحاس . ويقدر وزن الدين الذى كان يحتوى عشرة « كدات » مصرية

بنحو واحد وتسعين جراما . ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الذهب كان في الأزمان القديمة أقل قيمة من الفضة ولكن مقدار إنتاج الفضة أخذ يزداد في البلاد منذ الفتح السوري لدرجة أنه في عهد « رخ مى رع » كانت قيمة الفضة تعادل بالنسبة للذهب $\frac{2}{4}$ أو $\frac{1}{4}$ ، وقد كان النحاس يستعمل كثيرا في المعاملات الصغيرة إذ كانت قيمته تقدر بنحو ١٥٠ أو ٢٠٠٪ من قيمة الذهب . وقد يكون من باب التقريب لفهم قيمة الذهب أن نعلم أن ثمن ثور واحد كان يقدر بما يقرب من دبن واحد من الذهب . والطريقة التي كانت متبعة لدفع أى حساب مقدر بالدينات من الذهب والفضة أن يدفع الفرد ما لديه من هذين المعدنين نقدا ثم يدفع الباقي سلعا . وبذلك نفهم الصورة التي تمثل أمامنا موظفا يحمل حلقات من الذهب والفضة (وكان الدفع بالذهب هو السائد) ، وكذلك يقدم في الوقت نفسه الأشياء الأخرى التي كان سيدفعها سلعا . ويجب في هذه الحالة أن يكون المبلغ المدفون مضافا إليه المواد الغفل يساوى الضرائب المفروضة .

توزيع الضرائب : وما هو جدير بالملاحظة هنا أن الضرائب لم تكن تدفعها المراكز بهذه الكيفية بل كان يكلف جبايتها موظفون يحتمل أن كل بلد يخصه منهم عدد عظيم ، ويحتمل أن ذلك يرجع إلى أن كل موظف كان له نوع معين من الضرائب أو كان موكلا بمساحة معينة في الريف يجمع ضرائبها ، وهؤلاء الموظفون هم العمدة ورؤساء المراكز (حقاقت) . أما في المدن التي فيها حاميات فكان يكلف جباية حراجها قائد الحامية . ومن ذلك نعلم أنه كان يقوم بجمع الضرائب في «الفتين» قائد حاميتها وأمور ضرائبها وكاتبه والمستشار الريفى وكاتبه أى أن خمسة موظفين كانوا مسئولين عن جمع ضرائب المراكز أو المدينة التي كانوا مسئولين عن حراجها .

الضرائب المحصلة : (راجع : (Pl. XXIX, 2, XXX, fig. 7.)) ويلاحظ في نفس قبر « رخ مى رع » أن ترتيب منظر الضرائب المحصلة قد رسم على غرار

مناظر الجزية الأجنبية التي سبق الكلام عنها ، وذلك أن محصل الضرائب والكتبة والتابعين لهم كانوا يقفون على عيني الوزير ويشاهد كومة من الطرائف النفيسة مكدسة بينهم وبين دافعي الضرائب . وفي الصف الرابع من هذا المنظر نشاهد الموازين التي كان يحتاج إليها لمعرفة مقدار المعدن المقدم جزية . ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الضرائب التي نشاهدها في الصورة لم تكن بلجهة معينة بل في الواقع كانت نماذج من كل الضرائب التي كانت تقدم عينا . ومن الجائز أنها كانت تشمل هدايا . وهي أشياء مختلفة لا نجدها ممثلة في جهات أخرى ، ويظهر أنها قد أتت بها من أقاصي الجنوب ، إذ نشاهد أفرادا منها ممثلين واقفين بجانب الكومة التي في الصورة . وهكذا نجد في الصف الأول (Pl. XXIX, 2.) قرودة ، وجلودا في سلة وخزمتين من سهام الخ . وفي الصف الخامس (Pl. XXXI. row. 3.) نشاهد بالقرب من موظفين من إدفو حقائب وحصيرا من اليراع وأخرى من الكلاء وجبالا وعشرة أحجار « وجم » (؟)

أنواع المواد التي كانت تحصى : ومن قائمة المواد التي كانت تقدم جزية (راجع : P. 104 - 106) نعلم أن سلع المبادلة لم تكن كثيرة الأنواع إذ كان يبلغ عددها اثنين وعشرين نوعا . ولكن مما يسترعى النظر إهمال ذكر أشياء يجب أن نذكرها هنا . فمثلا يظهر أن الشعير لم يذكر وكذلك لم يأت ذكر الخنازير أو الماعز في هذه القوائم ، ولم يذكر من أنواع الطيور هنا إلا الحمام إذ كان يعد ضروريا للزرعة . والظاهر أن الماعز كان رخيصا فكل خمس منها تعتبر وحدة في المعاملة . ومما يؤسف له أن هذا المنظر قد شوهت معالمه بالفجوات التي أحدثت فيه . هذا بالإضافة إلى صعوبة فهم ما تبقى منه . وفضلا عن كل ذلك فإن هذا الأقليم من الصعيد وهو الذي ينحصر بين « طيبة » و « أسوان » كان فقيرا نسبيا في محصولاته . ولا أدل على ذلك من أن الموظف في الشمال كان لا يدفع إلا ما يزيد متوسطه بقليل عن نصف ما يدفعه من المعدن زميله في الجنوب

فقد كان يجلب غللا وماعزا أكثر، ولكن ما كان يجلبه من النسيج أقل . وكان الشهد والبردى من محاصيل الشمال الهامة . ولذلك نلاحظ أن « أرمنت » لم تكن تورد في ضرائبها إلا جرة واحدة من الشهد، وكانت الفضة من المعادن التي يوردها أهل الشمال بمثابة جزية وذلك طبعى لأنها كانت تورد للبلاد المصرية من هذه الجهة في حين أن الذهب كان يتدفق عليها من بلاد النوبة بوجه خاص . أما ما كانت تدفعه « طيبة » ضريبة فليس لدينا أية معلومات عنه . ولا بد أن ضرائبها كانت ضخمة جدا ويحتمل أنه قد خصص لها قائمة خاصة .

وقد ترك لنا « رخ مى رع » على جدران قبره قوائم توضح لنا الضرائب التي كان يدفعها أهالى الصعيد في عهده ، وذكر لنا اسم الجهة وما تدفعه بالنقد (دبن) ، وما تدفعه من المواد الغفل والحيوان والنسيج وغير ذلك . ويبلغ عدد هذه الجهات ثمانين جهة، أربعون منها فى الإقليم الواقع بين « أسوان » و « طيبة » ، وأربعون مابين طيبة حتى « أسيوط » (راجع P. 104-106 "The Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes").

(« رخ مى رع » وعلاقته بمصانع آمون وضياعه)

لقد كان من أهم الوظائف التي يشغلها « رخ مى رع » « توليه شئون معبد آمون » الإدارية وبخاصة مصانعه وضياعه . وقد ترك لنا رسوما على جدران قبره توضح لنا ذلك بجملاء (Plates. XXXVI-XXXVIII) فنشاهده فى منظر واقفا يفحص الجرايات التي كانت قد أعدت لرجال معبد « آمون » وكذلك نراه يفحص الأثاث الذى صنع لهذا المعبد . وفى نفس المنظر نشاهده يفحص الأبقار والعمل فى الحقول ؛ ولسنا متأكدين إذا كانت هذه الحقول أملاك المعبد أو أملاك « رخ مى رع » نفسه ، وقد دقن لنا « رخ مى رع » المتون التي تحدثنا عما قام به فى هذا الميدان (راجع Pl. XXXVI) وهاك النص : ” « رخ مى رع » يفحص مواد الطعام اليومية التي تورد للمعبد وكذلك يفحص إقامة آثار جميلة قد قام بإدارتها الإله الطيب سيد مصر « منخيزع » — ليه يعيش خلدا — لأجل معبد آمون ومعابد أخرى تحت إدارته ” . على أننا لو دققنا النظر

في بعض أجزاء هذا المنظر وبخاصة مايتعلق منه بالأشياء المصنوعة في مصانع المعبد لعرفنا أنها لم تكن تصنع لتستعمل في المعبد وحده بل نجد أن الكثير منها كان لا يمكن إلا أن يكون أئانا جنازيا للدفن الملكي والأخرى كانت لتموين الجيش وإعداده .

تمائيل القبر الملكي : (Pl, XXXVI, XXXVII.) فن هذه الآثار الجنازية الملكية أربعة تماثيل قد وجد مثلها في المقابر الملكية فعلا مصنوعة من الخشب ومغطاة بطبقة من القار كما نشاهد في مقبرة « توت عنخ آمون » ، هذا الى تماثيل أخرى ترى في هذه اللوحة رسمت بأوضاع مختلفة أهمها تماثالا « بوهول » فقد لونا باللون الذي يمثل الجرانيت الأحمر ، وكل هذه التماثيل تصور لنا « تحتمس الثالث » وهو على عرش الملك وحده أو معه زوجه « مريت رع حتشبسوت » بنت الملكة « حتشبسوت » .

منتجات أخرى للصناع : (Pl. XXXVII.) وقد أنتج صناع معبد آمون نفائس عتة أخرى منها : (١) ثلاث فلادات من الخرز عليها أقفالها في صورة زهرة البشنين ، وهذا الخرز كان مختلفا ألوانه بين الأحمر والأزرق كما كان بعضه جبويا من الذهب . (٢) أربع كئانات . (٣) تسع سكاكين من النحاس أو الظران . (٤) حزام من الخرز الأحمر والأزرق . (٥) قلادة من الخرز الأزرق . (٦) أربعة خواتم شعر مشطورة من الذهب . (٧) ثلاث أوان من الذهب ومثلها من الفضة . (٨) إناء طويل من الذهب . (٩) ست عشرة (بلطة) أسلحتها من البرنز الأصفر . (١٠) ملاقيط (للتار) . (١١) تسع دروع . (١٢) ثلاث حزم من الحواب . (١٣) حزام من الخرز الأحمر والأزرق . (١٤) فلادتان من حبات من الخرز الأحمر والذهب على التوالي . (١٥) سبع أوان خمس منها فضة واثنان من الذهب . (١٦) أربع مباخر صفراء اللون . (١٧) خمسة أطباق صفراء . (١٨) سوط أصفر فيه عقدة بيضاء . (١٩) عشر خوذات صفراء . (٢٠) أعنة وملاقيط . (٢١) مرهم أصفر

في طبق من الفضة . (٢٢) مرهم أبيض في جرة بيضاء . (٢٣) عصوان على هيئة ثعبان (لونهما أصفر) . (٢٤) سرير من الأبنوس بأشرطة من ذهب . (٢٥) سلام مذهبة للسرير . (٢٦) ثلاثة مضارب سحرية ينتهى طرف كل منها برأس فهد وفي الطرف الآخر رأس فلك (ضرب من الثعالب) . (٢٧) أربع أوان وطبق للرهى صنعت من الزجاج والبرشيا والمرمر أو تقليدا لها . (٢٨) أربع جرات من نفس النوع السابق . (٢٩) ثلاث جرات مرهم من الخنزف الأزرق والأخضر والمرمر .

مخازن المعبد : وقد كان للمعبد مخازن خاصة لإطعام موظفيها (راجع Pls. XXXVIII, XLI) والمتن الذى فوق هذا المنظر يحدثننا عن المكان الذى كانت ترسل إليه هذه الأطعمة وهاك نصه : « المشرف على مصانع آمون ومدير موائد القربان فى الكرنك والعمدة والوزير « رخ مى رع » يحضر قربان الإله لمعبد آمون ... وهى التى تقدم له يوميا ، وهى ما أراد هذا الإله الفخم ... لأجل أن ترضى قرينه (كا) بطعامه ، ولأجل أن يستمتع بما يرغب فيه ويكافئ الملك الذى قدمها له ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبر رع » — العائش أبديا — . وفى هذا المنظر يشاهد نماذج من الفطائر والمشروبات كانت تقدم لأبن « رخ مى رع » المسمى « منخبر رع سنب » كاتب خراج معبد « آمون » . كما يشاهد فى جزء آخر من نفس المنظر صفان من حاملى القربان يحملون أطباقا عليها أرغفة مفرطحة وفى مقدمتهم رجل يحرق البخور . وقد كان الموظف المسئول مباشرة عن ذلك هو « مرى » أحد أبناء « رخ مى رع » ؛ وقد كان يلقب (المشرف على مصانع « آمون ») ، ويشاهد أيضا رجل يحمل عبئا يظهر أنه كان يحتوى عينات الشحم والدقيق والحب لتكون ضمنا على أنها هى المواد التى صنعت منها الفطائر والرخفان .

الخجلازون وصانعو الجعة : (راجع Pl. XXXVIII. row. 2) وفى هذا المنظر نرى تحضير العجين كما نشاهد الخبز قائما على قدم وساق ، فنشاهد عمالا

يملأون قوالب مخروطية الشكل ثم توضع في الفرن ، والناظر المدقق لما يجري في هذه الصورة يجد كل الخطوات التي تتبع في استحضار الخبز والفطائر بأشكال مزخرفة ودقة متناهية مما يدل على التفنن حتى في صناعة بسيطة كصناعة الخبز ، وبخاصة إذا علمنا أن اسم كل نوع منها كان يكتب فوقه باللون الأزرق أو الأحمر .

وكذلك نشاهد في نفس هذا المنظر عملية تحضير الحلة .

حقول « آمون » : ونشاهد « رخ مى رع » في منظر يفحص الأراضى المحروثة (راجع Plates XXXIX, XLI) وعنوان هذا المنظر المفسر له هو : " « رخ مى رع » الذى يتق طيه « نبرى » (إله الحبوب) والمندوح من الإله «رنوت» (إله الحصاد) ، والمندوح من الإله « سمحات حور » (حامية الأبقار) والأمير الودائى ومن يملأ المخازن ، ومن يحصل مخازن الفلال غنية ، ومن يعطى من هو فى حاجة ، ومن لا يملك منه شاك ، وموزع المدالة بين الفقير والغنى ، ومن يعمل المتخاصمين بإعدائه وهما راضيان والصدرة والوزير ، ورئيس محاكم العدل الست الذى وضعت السيدة « بت » وأنجبه الكاهن المطهر للإله « آمون » « تقروين » بن الصدرة والوزير «عاشو» . يتمتع نظره برؤية الأبقار ويسقى فى أعمال الحقول ويفحص أعمال الصيف والشتاء " . ومما يؤسف له جد الأسف أن هذا المنظر مهمش ، غير أن عنوانه وما يتبقى منه يدل على فحص الثيران ، وعلى أن نتاجها كان عظيما فى هذا العام . وكذلك يدل بعض بقايا هذا المنظر على عملية كبل الحبوب وعلى درس القمح وغير ذلك مما يلزم لإعداد القمح بعد حصاده .

حصد القمح والكتان : (راجع Plates XXXIX. row. 1,2) يشاهد فى منظر حصد القمح والكتان رجال يقدمون طيوراً صيدت من القمح قبل ضمه ، ثم يقدمون حزماً من القمح وخبزا أبيض بمثابة باكورة الحصاد . وخلف هؤلاء نجد حصادين يحضرون السنبل المقطوع من سيقانه فى سلات مكدة أمام الوزير . أما سيقان القمح فقد تركت واقفة لأجل أن تجتمعت بجذورها فيما بعد وتم الكلمات التى كان يفوه بها العمال أمام الوزير عن أدب جم ، غير أن معظمها قد محى ولم يبق منها

إلا ما يأتي : لأجل زوجك المطهرة لأجل روحك ؟ يا أيها العمدة وكذلك تقرأ : يا أيها العمدة الذى يحبه « نهمى » ؟

وكذلك نشاهد عمالاً يحضرون ماعزاً (؟) وثوراً وغزالة . أما باقى العمال فكانوا منهمكين فى حصد حقول الشعير والقمح والكتان بمناجلهم أو فى اجتثاث سيقان القمح والكتان . ومما يلاحظ أنهم كانوا يعملون جماعات تتألف كل منها من خمسة رجال ولم يبق من المتن المفسر لهذا المنظر إلا الكلمات التالية : الحصد بواسطة عمال أوقافه الجنائزية فى حقول لأجله فى الأراضى الزراعية الخاصة بالمدينة الجنوبية ويقول العمال : إن الحقل فى حالة جيدة جدا .

حراث الأرض : (Pl. XXXIX row 3.) يشاهد فى هذا المنظر خمسة أزواج من البقرات تحراث الأرض وقد فسر المنظر بالمتن التالى : تقبل المحصول الطيب وكل يا أيها العمدة والوزير « رخ مى رع » الشعير ؟ ... ثم يقول حراث : « بداية سعيدة ويوم سعيد وسنة سعيدة خالية من كل شر ... » ويقول حراث ثان ناديا زميلا له : « تقدم يامن تسد الطريق حتى نستطيع أن نكون أحرارا فى الرواح والفسد وينادى ثالثهم بصوت مرتفع : « دعنا نسير إنا نكد للسيد » .

استعمال الأراضى البور واستغلالها : (Pl. XL, 1,2 & XLII - XLVII, I.) كان من أعز المتع وأحبها إلى نفس المصرى الترويح عن نفسه بالخروج فى أوقات فراغه للصيد والقنص ، وقبلما نجد شريفا من عظماء القوم منذ الدولة القديمة إلا صور لنا ما كان يقوم به فى هذا الميدان المحبب إلى نفسه فيصوره لنا على جدران قبره أملا منه فى أن يتمتع به فى حياته الآخرة . كما كان يتمتع به فى الحياة الدنيا . وقد ترك لنا « رخ مى رع » بدوره مناظر تحدثنا عما أصابه فى هذا المضمار من براعة وما هيى له فيه من نجاح ؛ غير أنه مما يؤسف له جد الأسف زوال الجزء الأكبر الخاص بهذه الناحية من المشاهد التى رسمت على جدران قبره ، ومع ذلك فإن مابقى يقدم لنا صورة ممتعة تحتوى على شئ كثير من التجديد وحسن الإنجراح ودقة الفن .

صيد السمك والطيور : (راجع Plates XLI, 1,2; XLII) يشاهد مما تبقى من هذا المنظر جزء من غيضة بردى؛ ولا بد أن « رخ مى رع » كان يريد أن يضرب بخطافه السمك وهو في قاربه كما توحى بذلك (الصورة)، وفي جهة أخرى من نفس المنظر نفهم أنه كان يقوم بصيد الطيور، وفي جهة ثالثة نشاهده يحاول صيد حيوانات، وما بقي لنا من هذا المنظر المهشم لا يوحى بشيء جديد بل كان منظرا تقليديا غير أنه مع ذلك يحتوى على تفاصيل عدة تجذب النظر اجتذبا لما فيه من حركات صادقة تتفق مع ما نشاهده في الطبيعة وربما تهم هواة الصيد في أيامنا . فغابة البردى التى تظهر جامدة لا حراك في سيقانها أثناء الجلو الحار صالحة لأن تكون مأوى أمينا لحم غدير من الحيوانات، وبذلك فإن الصياد الماهر الذى كان يتسلل في مثل هذه الأجمة عندما كان يقترب خلف ستار ثلاثة الطيور التى أمسك بها في يده مرفرفة بأجنحتها يتسنى له أن يصطاد الطيور التى كانت تترك مكانها عند هذه اللحظة . وإذا اتفق أنها طارت فعلا من أماكنها بالقدرة الإلهية فإن عصا الصيد كانت تصيب هدفها الدقيق . والمتن الذى يصف لنا هذا المنظر هو :
(Plate XLI) « رخ مى رع » محبوب إلهة البطاح وحليف سيدة الصيد مخترقا البرك ومنسلافا مستنقعات البط ومسلما نفسه بصيد السمك في الأحواض . وعن صيد الحيوان يقول :^(١) « رخ مى رع » (ألقابه) حليف إلهة البطاح يتمتع بمنظر الصيد الجميل ، مشترك في نشاط « إلهة البطاح » . وفي نقش ثالث نقرأ : « رخ مى رع » يحترق وديان الصحراء وسكان التلال ويحمد الرياضة في صيد حيوان الصحراء .

وصف منظر الصيد والقنص : (راجع Pl. XLIII) يشاهد بين منظري صيد الطيور وصيد حيوان الصحراء تابعون في ركاب الوزير « رخ مى رع » يحملون طيوراً ومعهم كلبة صيد وفضل من القسي والسهام . ويشاهد الصياد يفوق سهمه على عدد من حيوان الصيد المحصورة في حظيرة من الشباك؛ ويلاحظ هنا أن اختلاط

الحيوان بعضه ببعض في داخل هذه الحظيرة قد أُخرج بطريقة تجلت فيها حرية الرسام أكثر مما نشاهد في المناظر الأخرى التي من هذا النوع، فسطح الجدار الذي صور عليه هذا المنظر قد لون باللون الوردى الخفيف وقد بعثر عليه حصي ملون ، وترى الحيوانات تنهب الأرض نها في رقعة هذه الصحراء، وأشكال الحيوان هنا لا تختلف كثيرا عن النماذج التقليدية ، غير أن ما بقى من الرسم أحيانا لا يعطينا صورة صادقة عن الحيوان وحركاته كما هي الحال في النعام أو في الضبع التي نشاهدها تعض بحنق وغيظ السهم الذي نفذ في صدرها ، ويلاحظ أن السهام التي أصابت الحيوانات غليظة مما جعل الدم يتدفق منها وجعل كل حيوان يرنح لساقيه العنان . ومما يسترعى النظر كذلك أن تأليف هذه اللوحة يمثل اختلاط الحابل بالنابل كما يمثل الارتباك الذي يسود أرجاء الشبكة ، وهذا لا يتفق مع القواعد التقليدية . وقد أظهر الفنان مهارته في حفظ مجاميع الحيوانات منفصلة بعضها عن بعض كما أفلح في تنويعها ، فالجزء القريب من الميدان لعين الناظر يظهر مملوءا بحيوانات تعدو بسرعة خاطفة في حنق ورعب ، ثم يأخذ بعد ذلك منظر حركات الحيوانات في الهدوء عند ما تقع فريسة للسهام ، وتشاهد الكلاب تنقض عليها في الحال إثر إصابتها .

منتجات الصحراء : (راجع Pls. XLIV, XLV) يظهر أن المصرى كان عظيم الاهتمام بإظهار ثمره بمجهوده بوصفه صيادا وكذلك ما كان يسيده من نشاط في جنى الكروم وعصيرها وعرض محاصيل الصحراء إذ نشاهد الوزير « رخ مى رع » قد خصص جزءا كبيرا لهذه الأشياء فقد رسمت أمامه هذه المناظر وهو جالس على كرسي عظيم يباشر القيام بأعبائها ، وقد كتب فوق صورته متن يفسر لنا ذلك وهو : « رخ مى رع » الذى أنجبه الكاهن المطهر للإله « آمون » « ثروين » ووضعت سيدة البيت « نب » يشرف على محصول نابع ويتسلم جزية « طرق حور » ... من ثيران ذوات قرون طويلة وأخرى ذوات قرون قصيرة وسلك وطيور وفاكهة وزهر بشتين وأعشاب ... من الدلتا وكذلك جزية « طرق حور » : وكذلك تقرأ (راجع Pls. XLIV, XLV) : إحضار ما حصل عليه من صيد الصحراء يتبل

وغزال ووعل وكل الطرائف الطيبة من لحم وخضر بمثابة قربان « طريق حور » ، وهى أزهار بشنين وأعشاب وبراعم بشنين وسمك وطيور لاحصر لها وثيران ذوات قرون طويلة وأخرى ذوات قرون قصيرة ونبيذ وفاكهة محققا بذلك كل ما تصبو إليه النفس لأجل روح « رخ مى رع » .

ولا نزاع فى أن وفرة هذه الأشياء التى أحصيت فى هذا المتن توحى إلينا بأنه يوجد فى مثل هذه الحالة فاصل بين التاريخ والخيال . فقد يكون من باب المجازفة استنباط أن « رخ مى رع » كان له ضياع خاصة فى الدلتا وبخاصة فى النهاية الشرقية منها ، أى المكان المعروف باسم « طريق حور » (الملك) ، أو أنه كان يتمتع بالصيد فقط هناك ، إذ أنه ليس من المحتمل أن يكون لدى « رخ مى رع » من الوقت بعد أن عددنا المهام التى كانت ملقاة على عاتقه — ما يسمع له بترك « طيبة » والقيام بسياسة طويلة إلى الدلتا ، بل أن ذلك كان مجرد تحقيق أحلام ادعاها هنا وجعلها حقيقة ليلقى فى زوع الناس والآلهة أنه فرد جدير بالتمتع بكل ملامه الدولة وخيراتها ، وبخاصة إذا علمنا أن حدود نفوذه كانت تتحصر فى صعيد مصر وحسب .

المناظر : (راجع Pls. XLIV, XLVI, 1) وسواء أكان ذلك أضغاث أحلام أم حقيقة فإننا نجد أمامنا فى الصورة الصيد المقتول مكدسا فى كومة تحتوى كل أنواع الحيوان عدا الضبع وقد كان يدونها كاتب ، كما نشاهد أنه يجانب كل حيوان مقتول آخر حتى قد جرى به لیسمن فى الحظيرة الخاصة بذلك ، ونجد من بين الحيوانات الحية الضبع غير أنها ترى محمولة على قضيب ، والسبب فى ذلك أن الضبع حيوان صعب المراس ، وصورته هذه متقولة عن التقاليد القديمة منذ الدولة القديمة .

ومن جهة أخرى نشاهد الكروم تجمع وتمصر كما كانت الحال فى « طرق حور » (الملك) ، وهذا الإقليم الواقع على حدود مصر الشرقية كما ذكرنا كان عظيم الخصب مشهورا بنبيذه وقد حافظ على هذه الشهرة العتيقة حتى عهد القرون الوسطى الحديثة . وصورة قطف الكروم وعصرها عادية فى ذاتها غير أنه قد أسبغ عليها بهجة ورواء

تلك الأغنية التي كان يتغنى بها عصار وبنت الكرم أثناء عملهم فينشدون :
يا « أرنوت يا سيدتى أغدق علينا الخير العميم ! » وقد كان ما تنتجه هذه الجهات
من فاكهة هو الرمان والعنب ؛ هذا بالإضافة إلى الأزهار والثيران .

غنيمة صيد الطيور : وفي جزء آخر من هذا المنظر نجد غنيمة صيد الطيور
التي عاد بها الوزير وقد قام على نتف ريشها وتكثيفها ووضعها في القدور عمال
مختصون بذلك ، وكذلك يشاهد السمك ينظف ويجفف في الشمس . وقد
كانت السنة أولئك الذين كانوا يحضرون هذا السمك لتنظيفه لا تنفك عن الكلام
فيقول واحد منهم لصاحبه وهو يحاوره : « أسرع في فتح جوف السمكة تأمل ... إنها
تظهر عند ما يخفض النيل ويقول آخر يأمر الخدم أحضروا السمك لفتحها تأملوا ... ان إلهة البطاح
تأتي وهي حسة الإدارة » .

وفي منظر آخر (Pl. XLVI, 1, 2) نلاحظ أن السمك كان يصاد بواسطة شبكة تجر
ثم تحمل إلى الشاطئ ، وكان العمال لا يزالون يتكلمون في أثناء ذلك ، غير أنه لم يصلنا
شيء من حديثهم لتهشيم المنظر ؛ أما ما تبقى من هذا المنظر فلا يمكننا أن نستنبط منه
إلا ما نجده من رجال يحملون كل أنواع المحاصيل منها طيور متوفة وغير متوفة
وسلات بيض وأطباق من الشهد وأباريق مختومة وبردى ونسيج ملفوف .

المناظر الدنيوية

لم يفت الوزير « رخ مى رع » أن يفرد جزءا من مناظر قبره لشئون الحياة
الخاصة بالتقنين وكل ما يتعلق به . ولذلك نجده قد استعرض لنا عدة مشاهد
صور فيها كل أنواع المأكولات والمحاصيل سواء أكانت من إنتاج البلاد
المصرية نفسها أم من المحصولات الخارجية ، وبخاصة ما كان متعلقا بامداد خزائن
الإله « آمون » أعظم الآلهة المصرية .

الحبوب المقدمة للإله آمون: (راجع Pl. L, & LI) دون لنا «رخ مى رع»
متنا فوق صورته يقول فيه : إنه يسلم القول؟ والشهد لخزانة معبد « آمون » ويحافظ على كل
الطرف بمثابة قربان لمعبد « آمون » ، وذلك على حسب ما تفرضه وظيفته بوصفه المراتب السرى .
والواقع أن الصورة التى على الجدران تتفق مع هذا النص ، إذ نشاهد حقائب فول
يقدمها فلاحون بخضوع ، كما نشاهد عمالا يكسسون كومة من هذه الحبوب
ويكيلونها ثم يدون مقدارها ، ويدل ما نشاهده فى هذه الصورة على أننا لسنا أمام
كومة قمح ، بل حبوب أخرى حمراء قائمة ، يغلب على الظن أنها نوع من الفول .
وتحدثنا النقوش عن ذلك فتقول : « تسليم فول » و« وع » لخزانة المعبد ،
والظاهر من الإجراءات التى كانت تتخذ بخصوص هذه المادة أنها كانت
تستعمل غذاء ، إذ نشاهد عاملين يهرسان هذا « الفول » فى هاون مصنوع من
جذع شجرة ، وقد كتب عليه الشرح التالى :

دق الفول فى خزانة « آمون » رب تيجان الأرضين ، لأجل عمل القرايين التى تزرعها جلالة ،
والظاهر أن هذا الفول كان يهرس فقط كما يدل على ذلك قشوره الخشنة حتى
بعد الهرس ، ولذلك كان من الضرورى فصلها ، فكان يخلل الدقيق المتخلف
من الهرس عدة مرات بوساطة « خدام إدارة البلح » . وأحيانا نشاهد الدقيق
يفربل بوساطة مذراة مصنوعة من خوص ، ونسمع أحد أولئك الذين كانوا يقومون
بهذه العملية ينادى قائلا : « فليسرع كل طحان منكم تأمل إننا ننفذ أوامره (؟) » .

فطائر مصنوعة من الفول (الطعمية) : (Pl. XLIX, & L.) ، وما
يلفت النظر ما نشاهده من صنع أربع فطائر من هذا الفول ، وقد مزجت عجيتها
بالماء فى حوض . وقد جاء المتن التالى شرحا لهذا المنظر : خبز رغفان يوما لأجل الإله
« آمون » ولأجل تاسوع الآلهة التابعين له . ويلاحظ هنا أن العجينة قد أخذت من
الحوض وقطعت أجزاء على هيئة أقصاع ، وذلك بدحرجتها على لوح ثم إعطائها
الشكل النهائى باليد ، ولا بد أن هذه الفطائر كانت تسوى على النار ، غير أن

الدليل الوحيد لدينا على ذلك هو وجود قرن لم يوقد بعد . ويحتمل جدا أن هذه الأُرغفة هي «الطعمية» التي تعمل من القول في أيامنا .

نوع من الفطائر الحلوة : وكذلك يشاهد في هذا المنظر (Pl. XLIV. row 1.) صناعة فطائر أضيف إليها آدم وشهد وبلح ، وكانت تسوى على النار ، أما الشهد والبلح فكانا يضافان إليها في أثناء تسويتها على النار، وذلك بإذابة الأدم في قدر خاص ، وقد فسر لنا المتن هذه العملية بالعبارة التالية : «إضافة الأدم وطهى خبز شمت» . وكانت هذه الفطائر تخبز على لوحة بعد تشكيلها في هيئة مثلثات مسطحة بيضبة ثم تدهن كلها بعجينة فيها آدم ، وكانت الفطائر المثلثة الشكل لونها أحمر ، وحاقها صفراء ، وقد نقش فوقها : فطائر بالشهد والبلح (؟) .

لف الفطائر في حزم لأجل القربان : ونجد مكتوبا على أحد صنائع الفطائر العبارة التالية : « عمل رغان » سخو « لأجل القربان المستحقة للعبد » ، ولذلك نشاهد في هذا المنظر عاملا قد أعد حزمتين حملهما بوساطة نير ، وهما يتألفان من الفطائر المثلثة والبيضبة الشكل ، وكل منهما ملون باللون الأحمر ، غير أن حافته قد لونت باللون الأصفر ، والظاهر أنها محمولة في أقفاص من الخوص .

تربية النحل : (Pis. XLVIII. & XLIX.) تدل كل ظواهر الأمور على أن الشهد والبلح كانا المادتين الرئيسيتين اللتين استعملهما المصري القديم لصنع الحلوى . وقد أراد الفنان المصري عند التدليل على وجود الشهد ضمن المحاصيل الوطنية التي كانت تجبي لمعبد آمون في عهد الأسرة الثامنة عشرة أن يرجع في تصويرها لنا إلى الماضي البعيد ، أى إلى عهد الدولة القديمة ، إذ قد وضع أمامنا صورة لتوضيح تربية النحل التي كانت تعدّ بلا نزاع من الصناعات المصرية القديمة الهامة ، والصورة الوحيدة التي بقيت لنا من ذلك العهد السحيق ، يرجع تاريخها إلى عهد الأسرة الخامسة ، وقد كشف عنها في رسوم معبد الملك

« نوسر رع » ، ولا يبعد أن يكون مفتن الأسرة الثامنة عشرة قد لجأ لتقليدها ولدينا صورة تشبه التي وجدت في عهد « نوسر رع » يرجع عهدها إلى الأسرة السادسة والعشرين وجدت في مقبرة فرد يدعى « بابس » (مقبرة رقم ٢٧٩) وقد كشفها بعثة « متروبوليتان » في عام ١٩١٨ — ١٩١٩ (راجع Lansing, M. M. (A. XV. (1920) July Part II. PP. 21ff.) ورسم هذه الصورة ردىء جداً لدرجة أن الباحث لا يعرف أنها منظر تربية نحل إلا من الإيضاح الذى كتب عليها ، أما فى منظر مقبرة « رخ مى رع » فواضح بعض الشيء ، فنشاهد الخلايا نفسها وهى مصنوعة من الطين الأحمر الرمادى ، ولا تختلف فى شكلها عن الأسطوانات المصنوعة من الفخار التى تستعمل حتى الآن فى مصر الحديثة لهذا الغرض بعينه . وقد ثبتت فى مواضعها أفقياً على مصطبة من الطين . أما الطريقة التى كانت تستعمل لجنى الشهد فهى طريقة التدخين ؛ وذلك أن يطلق الدخان فى أصل الخلية الى أن يهجرها النحل ، وكانت عملية التدخين تعمل بواسطة مصباح مركب فيه ثلاث فتائل ، وقد أشرنا المثال المصرى بنجاح هذه العملية بأن صور لنا أن كل النحل قد ترك الخلية ولم يبق فيها إلا نحلة واحدة . وكذلك نشاهد فى الصورة أن النحال قد أخرج قرصاً بيضى الشكل ، غير أنه لم يصور لنا الكيفية التى صنع بها النحل هذا القرص بشكله هذا .

تحضير الشهد : أما تحضير الشهد فكان يصنع القرص أولاً ، ونستطيع أن نفهم ذلك من إناء مملوء بأقراص بيضاء ، كما نشاهد عمالاً يختمون جرات كبيرة بأختام من طين أخذت من كومة أعدت لذلك الغرض ، وما يسترعى النظر أننا نشاهد العامل الذى يقوم بعملية ختم الأوانى ، وقد لطخت يده بالطين ، وكان يمتاز الإناء الخاص بالشهد بأنه من الفخار الأحمر وفوقه آخر مقلوب بمثابة غطاء . وقد كان يفصل بين الإناء وغطائه خيط أبيض ، كما استعمل لحبكها حبكاً متقناً مادة الشمع كما يشاهد فى الصورة .

خزن الجرار والمحاصيل الأخرى أمام الوزير : (Pl. XLIX, L. &

“Paintings from the Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes”, Pl. XV.)

وقد كان المصري يريد أن يحافظ على هذه الجرار بعيدة عن العبث بها ، ولا غرابة في ذلك ، فإن تاريخ الخبثانة يرجع إلى عهد آدم وجنة عدن ، ولذلك نجد أن الموظفين المتوط بهم ختم الأشياء الثمينة كانوا من أصحاب المكانات الهامة . وقد كان ضمن هذه الطوائف التي تجب المحافظة عليها على ما يظهر الشهد والزيت والنبذ ، والواقع أن تخزين هذه المواد في مخازن خاصة في المعبد يعتبر من أهم المناظر التي وجه لها عناية خاصة . ولما كان الزيت والنبذ من المحاصيل التي اقتصت بها الدنيا ، فإننا نجد بحارة سفن النقل احتلوا مكانة بارزة في هذا المنظر ، وكان يقوم بإدارة نقل الجرار المختومة ضابط سفينة قربان معبد « آمون » (راجع Pl. L. row. 3) ، وقد كتب فوق هذا المنظر الشرح التالي : « حل النبذ إلى مخازن المعبد ، وهي التي يسلمها الوزير « رخ مي رع » ، وقد كان رئيس العمال يحض عماله على المثابرة على العمل في حين كان العمال يشتغلون في صمت . ويلفت النظر في هذه الصورة شاب نوبي يحاول أن يرفع إلى كتفه جرة ضخمة وقد انقض عليه رئيس العمل في أثناء ذلك بعصاه قائلا : « قم لا تتخاذل » .

ونشاهد كذلك هنا عمال الواحات الذين مثلوا بهيئة قذرة ، وقد طلب إليهم رؤسائهم أن يهيموا بإنجاز العمل قائلين : أسرعوا حتى يتقبل منكم هذا العمل وحتى تفادروا هنا بالناء . « مكافأة لكم (؟) » . ومعظم هؤلاء العمال كانوا يرتدون لباسا يستر عورتهم فقط مصنوعا من الجلد .

وعند انتهاء العمل انحنى رؤساء العمال أمام الوزير بخضوع وخشوع بالغين ثم نطقوا بكلمة كلها ولاء وهي : والآن يتبع قلبك بأيها الشريف ولتسعد أحوالك إن الخزائن تفيض بجزية كل البلاد الأجنبية . وبزيت وبخور ونبذ الدنيا وتختلف محصول بلاد بنت وهذا ياها ، وحقائب وأكياس محتوية سلعا ذات قيمة لدرجة أن عددها أصبح يحصى بمئات آلاف الملايين (وكل ذلك) لملك الوجهين القبلي والبحري « منخبرع » معطى الحياة . وهو الذي منه تنقلب الناء يرميا .

محاصيل أخرى من الدلتا : (Pl. XLIX) ولدينا منظر آخر في مقبرة « رخ مى رع » اجتمع فيه بعض محاصيل بلاد الدلتا . فنشاهد فيه حزما من البردى والبراع ، وقد يجوز أنها مجرد نماذج مما كان يورد بكيات عظيمة ، كما نشاهد سلات مصنوعة من الخشب غير أنه ليس في استطاعتنا معرفة ما كان فيها . وعلى مقربة من هذه السلات نشاهد كومتين يحتمل أن واحدة منهما تشتمل على صمغ « قى شبس » كان يتسلمه كاتب الخزانة (Pl. XLIX, row. 2.) ، وكذلك نرى مساعد كاتب يتسلم جزية الواحات الجنوبية (الخارجة) مع جزية الدلتا في حضرة الوزير « رخ مى رع » . أما المخزن الذى كان يحتوى هذه السلع فبناء مقبب أقيم من اللبن وليس فيه إلا إطار بابه من الحجر كما يشاهد مما يماثل ذلك قباب حتى الآن في المخزن الذى كشف عنه بجوار « الرسيوم » . ومما يؤسف له أن اسم هذا المبنى قد فقد ويحتمل أنه كان يسمى (مخزن معابد « آمون » والآلهة التابعين له) .

محاصيل الواحات : (Pl. XLIX & "Paintings" Pl. XIII) يظهر أن كلا من خزان الذهب والفضة التابعة لمعبد « آمون » ومخزن المعبد الذى على يسارها قد أخذ الواحد مكان الآخر ، وذلك لأن الأشياء الموضوعة على يمين الأول (Pl. XLIX, 2, & "Paintings" XIII) لا تشتمل إلا محاصيل بسيطة لواحة أو إقليم فقير ، ويرجع السبب في ذلك إلى خطأ ارتكبه المقتن . ويمكننا أن نتعزف عن محصول الواحات من العنب والتعال التى نشاهدها مصورة في المنظر . وكذلك نرى سلات بسيطة الصنع وقيمتها تنحصر في محتوياتها ، غير أن بعضها قد صنعت على هيئة جرار وخلايا نخل . وقد أتقن الصانع حيكها ، هذا فضلا عن أن ما على إحداها من صور آدمية مصورة بصورة هندسية بارعة لدليل على تقدم الفن في هذه الجهات . ويحتمل أن هذه الأواني كانت مملوءة بالنبيذ ، وقد وضع فوق هذه الأواني مادة يجوز أنها لوف أخضر . أما الحزم التى نشاهدها بجوارها فيحتمل أن يكون نسيجا حفظ بلونه الطبعي فقد كانت كلها ملونة باللون الأصفر . وكذلك الحقائق الطويلة

التي تشاهد في هذا المنظر بلون أرجواني ومختومة كل منها من إحدى طرفيها تعد من مميزات الواحات أو بلاد « بنت » ، ويحتمل أنها كانت تشمل فاكهة أو بندقا .

حاصلات بلاد النوبة : (راجع . XIV. "Paintings" & Pl. XLVIII.)
وبجانب محاصيل الواحات نشاهد كومة ثانية تشمل بداهة حاصلات بلاد السودان ، إذ تشمل ريش نعام وحزما من سيقان نبات « ثنو » ، وأربعة دروع من الجلد قمية الشكل بها قرع أبيض ، وكلا من الأبنوس ، وأسنان فيلة ، وجلد فهد وأيكاسا مملوءة دوما خشنة الصنع ، وعددا من القردة تحاول أكل ثمار الدوم الموجود في الأيكاس لأن ثمار الفاكهة هو الطعام المستحب عند القردة (راجع . XIV. "Paintings") ؛ وأسفل هذا تشاهد قسي صفراء وكُل من الفضة وسبائك وخواتم من ذهب وأيكاس مملوءة بالتبر وكراسي ربما كانت لجلوس القردة عليها (راجع . Pl. XVIII.) .

محاصيل أجنبية : (راجع . Pl. XLVIII.) وفي نفس هذا المنظر نشاهد مبنى كبيرا أكثر متانة من السابق يظهر بداهة أنه أقيم من الحجر وأطلق عليه الخزانة المزدوجة للذهب والفضة (أى الخزانة) ، والداخل فيها يشاهد سلات مملوءة بالفيروزج الأخضر المائل للزرقة ، والكرتلين الأحمر (حجر الدم) ، واللازورد الأزرق وقطعا من الفضة ، ولقائف من الكتان ، وحزما من النسيج أيضا ، وجرارا مملوءة بصمغ البخور ، وعطور « سفت » ، وأكواما من البلسم ، ويراغات (قن) ، وقضبانا « قى شبس » وحلقات من الفضة ، وركائز من ذهب الجنوب ، وزيتا في جرار مختومة ، وركائز نحاس ، وكل هذه المواد قد وردت إلى مصر من الخارج .

عبيد معبد آمون وعملهم :

« رخ مى رع » يفحص أحوال عبيد معبد آمون : (Plates LVI ,

LXIII , 3. "Paintings". LVII , لما اتسعت أملاك مصر في الخارج

ونمت صناعاتها في الداخل أراد الفراعنة أن ينتفخوا بالأسرى الذين كانوا يستولون عليهم من هذه الأقطار المفتوحة على أن تكون فائدتهم منهم مزدوجة ، فقد كانوا يجلبون هؤلاء الأسرى إلى مصر ليعملوا في المصانع الوطنية وبخاصة مصانع الإله « آمون » ومعايده ؛ وكذلك كانوا ينتخبونهم من الأسر العريقة حتى يكونوا ضمانا للفرعون على عدم قيام ثورات في القبائل التي أخذوا منها . والواقع أن الغنائم البشرية كانت دائما ذات قيمة عظيمة في نظر كل الشعوب وإن كان جلبهم إلى بلد الغانمين يحمل في طياته العقاب المحتم وهو ما ينتج دائما من اختلاط جنسين مختلفين من الناس ، وبخاصة في الأنظمة والمعاملة التي كان يتبعها القاهر مع المهزوم . هذا فضلا عن الاختلاط الجنسي الذي كان لا بد منه وما كان ينجم عنه من تغييرات في الأخلاق والعادات ؛ وهذه الملكية الجديدة وما تتطوى عليه من نظم في المعاملة قد مثلت أمامنا في صورة رائدة في مقبرة « رخ مي رع » حيث نجده قد جلس وخلفه حاشيته ، وعلى الرغم من أن المتن المفسر لهذا المنظر قد هشم بعض الشيء غير أنه يقدم لنا صورة لا بأس بها عن مغزاه إذ يقول : « إن رخ مي رع » يقوم بفحص (أحوال) عيد أملاك معبد « آمون » ، وكذلك مصنع أملاك المعبد — وهؤلاء المعبد هم الذين جاء بهم الفرعون أسرى أحياء وفرض على أهلهم أن يكون أولادهم جزية — لا عطايتهم نسج كان وعطورا وملابس على أنها ذخيرتهم السنوية ... » . وفي متن آخر يقول : « إن رخ مي رع » يقوم بفحص المصانع في « الكرنك » والمعبد الذين أتى بهم جلالة من انتصاراته على الأراضي الجنوبية والأراضي الشمالية بمثابة أنهم نخب غنيمة ، وإنه (الملك) الإله الطيب سيد مصر « منبر رع » له الحياة والسعادة والصحة — لأجل صناعة كان الفرعون والكان النقي والكان البجليل ... والكان المنسوج نسجا دقيقا ؛ وهم المعبد الذين يقدمون الآن نبيجهم « لآمون » في كل أعياده على حسب عددهم لمدة ملايين سنة الفرعون ... » . ويلاحظ أن عدد العيد كان عظيما ، وكذلك كان مسك دفاترهم ولذلك نجد رجال السكرتارية جالسين في راحة مزاويلين عملهم الطويل .

الإماء : ويدل المنظر على أن هؤلاء العيد كانوا موزعين على إدارتين رئيسيتين وهما إدارة الغزل والنسيج وإدارة المراعى . ففي الأولى كان الاعتماد على النساء

أكثر من الرجال ، غير أنه كان لابد من إعطاء الجواثر الخاصة لحث النساء على العمل والقيام به خير قيام . على أن المنظر الذى نشاهد فيه النساء ممسكات بأيدي أولادهن لأجل فحصهن ثم تسجيل أسمائهن (Pl. LVII. row. 1.) يشعر بوحشية وقسوة؛ وذلك لأن القسائين بهذا العمل كانوا لا يظهرون أى اهتمام لأنهم كانوا يعمدونهم في نظرهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا، وعلى الرغم من ذلك ليس لدينا من البراهين ما يوحى بأن هؤلاء الصغار كانوا يباعون، وإن كانت خدماتهم فيما بعد يمكن بيعها ، وغالب ما كان يؤدى هذا العمل إلى أسوأ استعمال وأشنع نتائج .

(راجع Davies, M. M. A. XXIII. (1928) Sec. II. P. 40. & the light on slave dealing, Ibid XXX. (1935). Sec. II. P. 54.) ومع ذلك فليس لدينا من الأدلة ما يجعلنا نفرض عدم الإنسانية أو القسوة في معاملة هؤلاء الأسرى ، إذ نجد أن الجيل الثانى من هؤلاء العبيد لم يكن أهله بأتعس حالا من المصريين أنفسهم ، وتدل ظواهر الأمور على أن الإماء من هؤلاء العبيد كن أحسن حالا من زميلاتهن من المصريات الصميات أحيانا، إذ قد نلن حفا من السعادة ورغد العيش في وطنهن الجديد، وقد برهن على أنهن جديرات بأخذ حقوقهن فقد كان المصريون الذين يعاشرونهن يعلمون علم اليقين أنه ليس من صالحهم أن يشيروا غضبهن أو يعملوا على قهرهن .

مرتبات الإماء : وقد كانت النساء يتسلمن مرتباتهن من نسيج الكتان الذى كان يوزع عليهن ، وقد كان هذا النسيج مركزش الحواشى يقدم في هيئة مقاطع ضخمة ، وقد أمكن أن نعرف من إحدى الحالات نسبة طول الكتان المنسوج إذ نشاهد في الصورة قطعة منه مبسوطة أمامنا لنقسم اثنتين (Pl. LVI. row. 1.) وكذلك كان يصرف لمن الدهن ويحتمل أنه كان عطورا كما يحتمل أنه كان شحما للصبايح . والظاهر أنه كان على نوعين إذ نجد أنه في حالة يصب من جرة كبيرة كالزيت، وفي حالة أخرى كان يكسد كالعجين في طبق . وتدل ملامح هاتيك النسوة على

أنهن كن من « الخيتا » ذوات الشعور الطويلة ، ومن « النوبيات » اللاتي يحملن أولادهن في سلات ، ومن « السوريات » اللاتي يمترن بحللهن المزركشة . ويلاحظ أن الأطفال كانوا يلبسون تعاويذ . ومن هذه شاهد صورة شمس ساطعة على فتاة سورية وهلالا يتحلى به الطفل الذي تحمله (Pl. LVII. row. 1.) .

الرجال العبيد : ومما يلفت النظر أن الرجال الأجانب الذين كانوا يوردون الكنان (Pl. LVI, LVII.) والمصريين الذين يتسلمونه منهم لا يمكن تمييز بعضهم من بعض فقد كانوا يلبسون زيا واحدا وملاصقهم واحدة ، والنسيج الذي كانوا يقدمونه كان إما مطويا بعناية ليكون صالحا للمبادلة ، وإما منشورا للاستعمال العاجل . وشاهد هنا ثمانية الأكياس والحزم والنسيج المزركش الأطراف . وأحيانا نجد نسيجا له حواش يستعمله السوريون (راجع Pl. XXII. row. 2.) ؛ وليس لدينا فيما تبقى من هذا المنظر إلا رأس واحد تدل تقاطيعه على أنه رأس أجنبي وإن كانت ملابسه لا تدل على ذلك ؛ ويحتمل أن الماشية التي نشاهدها في المنظر كان يرعاها أولئك العبيد الذين لم يبق لنا منهم إلا رأس واحد وهم من الأجانب (راجع Pl. LXXIII, 3.) .

صناع إله آمون

رخ مى رع يشرف على الصناع : (Pls. LII, LV & "Paintings". XXIII.) كان الوزير « رخ مى رع » يعلم تمام العلم ما للصناعة والحرف من شأن عظيم لقضاء مآرب الفرعون الدنيوية والأخروية ، وكذلك بوجه خاص ما للصناع من مكانة عظيمة في إنجاز كل ما يحتاج إليه معبد الإله « آمون » من قطع فنية وأدوات العبادة المختلفة الأشكال والألوان ، ومن أجل ذلك خصص لها جزءا عظيما من جدران مقبرته صور لنا فيه نشاط أصحاب الحرف والصناعات بصورة لا تحتاج إلى إيضاح أكثر من النظر إليه بالعين المجردة ، ومع ذلك فإنه شفع كل حرفة وكل صناعة بما يوضح لنا ما يكون قد غلق علينا فهمه منها ، ولذلك تعتبر مناظر قبر هذا الوزير الصناعية

مفصلة أكثر من أية مناظر أخرى وصلتنا من هذا العهد ، يضاف إلى ذلك أن الزمن قد حبا بنا بما تتطلب منه فلم يعبث بهذه المناظر الفذة بدرجة مشينة تشوهها كما حدث في المقابر الأخرى التي أخفى عليها كرك الفسادة ومر العنى وزاد في طمس معالمها يد الإنسان وما تحدته من تخريب وعبث ؛ فنشاهد في مقبرة هذا الوزير الصناع وقد اصطفوا أمام الوزير على اختلاف مهتهم وحرفهم من صناع مجوهرات إلى عمال قطع أحجار ودباغى جلود ونجارين ومعدنين فيضع كل المشتغلين بهذه المهن منتجات أيديهم وعقولهم عند قدمى الوزير العظيم .

”رخ مى رع“ يقدم التعاليم للصناع : يشاهد هذا الوزير واقفاً وبصحبه أربعون من أتباعه يفحص كل منهم أعمال صناع معبد «آمون» ، ويعطى التعاليم لكل عامل عن واجباته في كل منهاج من أنواع الإنتاج . وقد كان « رخ مى رع » يوصف هنا بأنه الأمير الورائى وعمدة المدينة والوزير ورئيس المحاكم المت العظيمة غير أنه كان من الواجب أن ينعت هنا كذلك بأنه الوزير الذى يضع القوانين للكهنة ويقود الكهنة المطهرين عند أداء واجبهم وإن كان من الصعب تمثيله هكذا في هذا المنظر . والواقع أن وظائفه الخاصة بالكهانة لم تكن مجرد ألقاب شرف وحسب ، وحتى إذا كانت منحصرة في الملاحظة النهائية كما ذكرنا ، فإنها كانت مع ذلك عبئا ثقيلا آخر أضيف إلى الأثقال التي كانت تنوء بها وظيفة الوزير وسند ذكر هنا كل هذه الصناعات بنوع من الاختصار .

صناع الخرز : (Pl. LIV.) يشاهد في هذا المنظر (Pl. LIV. row. 1.) صباغ منكبون على أعمالهم فنجد أولا ثلاث كيات من الخرز الأخضر لعمل فلائد «منات» ، كما نجد جرارا بعضها مصنوعة من المرمر والبعض الآخر من مادة مطلية ، وأسماطا منظومة بحبات من الخرز الصغير والكبير ، وفوق هذه الأشياء يرى صانع يثقب خرزا من الحجر ، وبجانب هذا الصانع نشاهد صناعا آخرين ينظمون الخرز أو ينظفون الثقوب التي عملت وبجانهم سلات تحتوي بداهة على أكوام من الخرز

الأزرق المسائل للخصرة . ولا بد أن هذه السلالات كانت لوضع القلادات التي فرغ من صنعها .

تفريغ الأواني المصنوعة من الحجر : (Pl. LIV) . تدل شواهد الأحوال على أن صورة صناع أواني المرمر قد انحدرت إلينا من عهد قديم جدا (Pl. LIV, left) وفي هذه الصورة نشاهد الخطوات التي كان يتبعها الصانع حتى ينتهي من تفريغ آنيته، وقد كان ذلك يحتاج إلى صبر وأناة . ومما يلفت النظر هنا أن الصانع عند ما كان يكلف تفريغ إناء ضخم لم يكن لديه من الآلات ما يساعده على القيام بذلك دون كسر الحجر ، وبخاصة إذا كان الإناء واسعا في جزئه الأسفل وضيق الرقبة ولذلك كان يصنعه من قطعتين يفرغ كلأ منهما على حدة ثم يلحم بعضهما ببعض عند أوسع نقطة في جسم الإناء .

العمال وصناعة الجلود : (راجع Pl. LII, LIV) إن أهم ما يلفت النظر هنا صناعة النعال البيضاء وهذه النعال كانت على نوعين عرضتا هنا في وضعين أحدهما عادي والآخر عمل بأشكال غريبة؛ والواقع أنها نعال ذات أشكال خيالية صنعت أربطتها على صورة سمكة ، ويشاهد هنا كذلك مجاميع من لفافات الجلد مما يدل على أن الجلد الأبيض كان يستعمل مادة كالبردى للكتابة عليه . غير أنه تشاهد كومة أخرى من الجلود ذات لون أحمر ورقعة بيضاء بيد أنها رقيقة تستعمل للكتابة عليها، وترى كذلك خادما يحضر كبة جلود وهذه بلا شك أدوات السراجه والمعدات اللازمة للعربة . ويمكن للإنسان أن يرى في هذا المنظر الخطوات التي كانت تتخذ لتحضير الجلود لعمل النعال .

دبغ الجلود وصناعة النعال : (Pls. LII, LIII) يشاهد هنا عملية تليين الجلود في وعاء كبير لتصبح صالحة لصناعة الدروع كما ذكرنا من قبل ، والواقع أن الدرع كانت تحتاج إلى معظم جلد حيوان صغير . وكان الجلد بعد تليينه يعطاه

صانع آخر (Pl. LIII, row. 1.) فتؤخذ القطعة المربعة منه ليصنع منها نعال للأحذية؛ وهنا نشاهد كل الخطوات التي كانت تتبع لإتمام الحذاء كما نشاهد كل الآلات التي كانت تستعمل في ذلك وكذلك كيفية العمل (راجع Pl. LIII, row. 1.) .

الحبال المصنوعة من سيور الجلود : (راجع Pl. LII, row. 1.) وفي أقصى المنظر السابق نشاهد عاملا ماهرا ذا تجارب قد أمسك بقطعة كبيرة من جلد حيوان وأخذ يقطع منها سيورا طويلة بوساطة سكين لتصنع حبالا مفتولة من ثلاثة سيور كل منها . وطريقة قتل هذه الحبال موضحة في الرسم وهي نفس الطريقة التي تستعمل في قتل الحبال المصنوعة من الكتان (راجع Pl. LII, row. 1.) .

النجارة وآلاتها : (راجع Pls. LII, LIII, LV.) عرض في هذا المنظر بعض قطع أثاث مصنوعة من الخشب (راجع Pl. LV, row. 1.) منها مقبض مروحة ووسادة وصندوق مطعم وتمثال واقف مصنوع من خشب الأبانوس أو الخشب المطلي باللون الأسود وهو ذو حواف مذهبة، هذا ويرى محراب ليحفظ فيه التمثال السالف الذكر .

ويشاهد في هذه الصورة عاملان يضعان طبقة من الجص على صندوق وقد وضعت على سطح مغرى لأجل تذهيبه وذلك لما نشاهده من إذابة الغراء في إناء موضوع على النار . أما الجص فكان يطحن بحجر رملي أحمر، هذا ويوجد كذلك نجار مفتن مجهز بالآلات ^(١) دقيقة لإنجاز أعماله .

صناعة المحاريب : (راجع Pls. LII, LIII, row. 3.) في هذا المنظر نشاهد صنع محراب من الخشب الأصفر المزخرف بالأبنوس وكل بصناعته أربعة عمال . وفوق هذا المحراب مصراعا باب . ويشاهد في ترصيع هذا المحراب صور تعاويذ وحليات ذوات قيمة فنية عظيمة والمتن المفسر لذلك يقول : (راجع Pl. LIII, row. 3.) إن هذا الشريف هو الذي يضع القواعد ويرشد أيدي الصناع الذين يصنعون أثاثا من العاج والأبنوس وخشب « سترم » وخشب « مرو » وخشب الأرز الحر المحلوب من قة متحدرات جبال « لبنان » .

(١) راجع ما كتبه الأستاذ « اسكندر بدوي » عن هذه الآلات في (A. S. XLII. P. 145ff.) .

ومن هذا المتن يظهر جليا أن الوزير « رخ مى رع » أراد أن يعزز أماننا صراحة ما له من باع طويل وعلم غزير في الحرف لدرجة أنه كان يتدخل حتى في هذه الصناعات الدقيقة ليرشد الصناع بخبرته ودرايته فيها ، ولا غرابة في ذلك فقد كان سيده الفرعون « تحتمس الثالث » يضع التصميمات لبعض القطع الفنية ثم يعطيها الصناع لتنفيذها ، وفي هذا المنظر نرى كذلك كيفية سير العمل وتدرجه حتى النهاية .

وزن المعادن الثمينة : (راجع Pl. LV.) وقد كان من أهم ما يعنى به عند القائمين بوضع تصميمات القطع المعدنية الفنية أن يزونا للصياغ المقدار اللازم لكل قطعة على أن يتساموها ثانية بعد صناعتها تامة غير منقوصة ، ولذلك نشاهد في هذه الصورة الميزان الذى كانت توزن به هذه المعادن (Pl. LV. row. 2.) . وفي المنظر الذى أمامنا نشاهد خمس حلقات من الذهب وضعت في إحدى كفتي الميزان وفي الكفة الأخرى وزن مقبب الشكل والآخر على هيئة رأس ثور كما نشاهد وحدات موازين أخرى بالقرب من الميزان لاستعمالها عند الحاجة . ويلاحظ من بينها وحدة في صورة فرس بحمر ، كما نشاهد ثلاث حلقات من الفضة وأربعا من الذهب وضعت في سلة لتوزن . ومن المحتمل أن الرأس الذى يتوج به عمود الميزان هو رأس الإلهة « ماعت » إلهة العدل والحق أى أنها وضعت في مكانها هنا لتنبه القائم على الوزن أن يزن بالقسطاس المستقيم .

ونشاهد كذلك في هذا المنظر معظم قطع الأثاث التى كانت تستعمل في المعبد وبخاصة الأوانى والأقداح والقواعد التى كانت توضع عليها وكلها قد صنعت من الذهب والفضة على التوالى والمتن المفسر لهذا المنظر هو « إعداد صياغ الإله آمون » والمشرفين على صياغ آمون لإنجاز كل عمل لمقر الملك على حسب عملهم اليومى وكانوا يحصون بملادين الآلاف في حضرة العدة والوزير رئيس المحاكم الست العظيمة « رخ مى رع » .

طرق المعادن ولحم الأوانى : ولدينا مناظر في مقبرة « رخ مى رع » توضح أمامنا عمليات طرق المعادن ولحم الأوانى فعملية الطرق كانت بسيطة ساذجة وذلك

بأن تطرق الحلقات بوساطة مدقة حتى تصير لوحات رفيعة (راجع Pl. LV)، وهذا المعدن كان يستعمل بعد طرقه في صنع الأواني والتمن المفسر هو : صنع أوان مختلفة لأجل أن يستعملها الإله لشخصه ، صنع عدد عظيم من الأواني الذهبية والفضة وكلها منتجات خالدة .
وقد كان لا بد من لحم بعض أجزاء الأواني . فكان المصري يستعمل في الوصول إلى ذلك طريقة خاصة يستعمل فيها معدنا خاصا يذاب والطريقة مشروحة كلها في الصورة (راجع Pl. LII, LIII row. 3) .

صهر المعادن : (راجع Pl. LII. row. 2) وكذلك نشاهد في الصورة طريقة صهر المعادن وصبها في قوالب ولما كانت المعادن المصهورة التي يحتاج إليها كثيرة فلذلك نشاهد أنه كان يقوم بهذه العملية عدة فرق كما يشاهد في المنظر .

صب المعادن : وكذلك لم يفت المفتن أن يرسم لنا كيفية صب المعادن في القوالب والأشكال المطلوبة (Pl. LII, LIII) ، ونشاهد في المنظر الخاص بذلك صب مصراع باب لا بد أنه كان من النحاس (Pl. LII. row. 2) . ولذلك نشاهد قالبا من الطين المحروق يوجد به ما لا يقل عن سبعة عشر ثقباً يصب في أحدها المعدن المصهور ، غير أن هذه الصورة صعبة الفهم لأننا لم نر باباً من النحاس قد صب دفعة واحدة بهذه الكيفية كما أنه ليس لدينا مما وصلنا من الأزمان القديمة ما يثبت ذلك ، ومهما تكن العملية التي نشاهدها هنا فإنها تدل على مشروع ضخم ولذلك لم تترك لفرد واحد للقيام بها فنشاهد العمال يمشون كأنهم جنود تحت الطلب حاملين آلاتهم وكأنها أسلحة قتال ليساعدوا القائم بالعمل إذا اقتضت الحال .

وقد نقش متن مع هذا المنظر يحتمل أنه كان أغنية يتغنى بها الحدادون وهم سائرون (راجع Pl. LIII, row 3) ترويحاً للنفس وهي : — مرحبا يا « منبرع » يا مالك الآثار الجميلة يا من أعطى الحياة نخدا ! ! إنه موجود كما هي موجودة (الآثار) أبديا ! وإن «آمون» يعطيه مايسارها من الحياة والسعادة لأنه يقدم المرة تلو المرة العطايا إلى بيت والده المقدس .

ويشاهد على يمين هذا القالب حقيبة مملوءة فخما ثم ثلاثة رجال (Pl. LIII, 3) يحضرون ركيزة من النحاس وستين مملوءتين من نفس المعدن . وهؤلاء العمال يصفهم المتن : « بأنهم أحضروا نحاسا أسويا وهو الذى جلبه جلالته من انتصاراته فى بلاد « رتنو » لأجل صب بابى معبد « آمون » بالكرك ، وهما اللذان قد غشى سطحهما بالذهب الذى يسطع فى أفق السماء وقد كان العمدة والوزير « رخى رع » هو الذى يدير الأعمال لإنجازها » .

المباني والتماثيل

الأعمال الضخمة : (راجع. XXIII. "Paintings" LIII, LXIII, Plates) لقد كان ضمن الأعمال الإدارية التى اختص بها الوزير « رخى رع » المباني العظيمة التى أقامها الفرعون فى « الكرك » . ومما يؤسف له جد الأسف أن الصورة التى مثل فيها وهو يشرف على هذه الأعمال قد هشمت ولم يبق لنا من الموظفين الذين مثلوا معه فيها إلا عدد قليل .

ولكن لحسن الحظ قد أبقت يد المخربين على المتن الذى يصف لنا هذا المنظر وهو : "إن « رخى رع » وهو الشريف الذى يضع القواعد لمعايد الوجه القليل والوجه البحرى والقاضى الأعلى صاحب المكاة المتهتزة . يقوم بفحص كل أعمال مؤسسة « آمون » فى الكرك جاعلا كل إنسان يعرف عمله المتاد ، وذلك لانه « رخى رع » هو الموظف المشرف على الأعمال " . وقد استعرض فى هذا المنظر أمام الوزير أعمال كثيرة لم يبق منها إلا ما يشير إلى إنجاز مبنى ضخيم للإله « آمون » بعضه باللبن وبعضه بالأحجار ثم صناعة تماثيل وقفل كل من الأحجار يحتاج إليها بطريق النيل واليابسة . وكذلك نشاهد تنظيم طوائف العمال الذين كانوا يساعدون على إنجاز هذه الأعمال العظيمة .

العيد وصناعة اللبنة : (راجع. XVI, XVII. "Paintings" LIII, LIX, Plates) كانت صناعة اللبنة من أهم الحرف السائدة فى طول البلاد وعرضها وبخاصة إذا علمنا أن بيوت الفقراء والأغنياء على السواء كانت تقام من هذه المادة فى كل أزمان التاريخ المصرى القديم وذلك لاعتبارات صحية ودينية معا . إذ كانوا يعتقدون أن المباني الدنيوية عرض زائل ، كما كانوا لا يريدون أن يقيدوا من يحىء بعدهم

بمبانهم التي ربما لا تتفق مع ذوقهم أو ذوق العصر الذي يعيشون فيه هذا فضلا عن أن المباني التي باللبن تجعل المنازل رطبة في أيام القيث الشديد في مصر التي يمتاز جوها بالحر الشديد خلال أشهر الصيف .

ونشاهد في المنظر الذي خلفه لنا « رخ مى رع » صناعة اللبنة ونقلها ، ويدل العرض الذي أمامنا على حيوية ومهارة عجيبة فقد رسمت أمامنا البركة التي تؤخذ منها المياه كأنها لوحة مزخرفة بأزهار البشنين وكذلك نبت على شواطئها المنحدرة الكلا المتماوج . ("Paintings" Pl. XVI.) والواقع أن المفتن الذي رسمها قد قدم لنا بركة نموذجية زين سطحها بالأزرق الموج والعمال فيها قد انحنوا في الماء ليلثوا جراحهم ملوين بالألوان الجميلة مما أضفى على المنظر بهجة ورواء ، بدلا من أن يرسمها مجرد حفرة فيها ماء والمنظر يعتبر بمثابة ضوء لامع قد أرسلت أشعته على مكان قائم مظلم . أما اللبنة التي كانت تصنع فترى مصفوفة يزداد عددها كلما ازداد انتاج العمال بالقوالب التي في أيديهم . وعلى مقربة من العاملين الذين يقومان بضرب الطوب تُرى أكوام من التراب الذي كان يصب عليه الماء رجال قد لطخت أيديهم وأرجلهم بالأوساخ . والمدقق في سحنة هؤلاء العمال يلحظ أنهم غرباء كما يدل على ذلك ما كتب أعلى هذا المنظر إذ يقول المتن : « الأسرى الذين أحضرهم جلالته لأعمال المعبد » . والواقع أننا نجد بينهم سورين ذوى بشرات بيضاء وأعين زرقاء . كما يوجد بينهم نوبيون يمتازون بجلودهم الحمراء وشعرهم المصبوغ باللون الأحمر هذا فضلا عن وجود آخرين لا يكاد الإنسان يميزهم من المصريين . ومما تلفت النظر هنا أن السورين كانوا كلهم متقدمين في السن كما يفهم من شعورهم البيضاء . (Plate XVII) على أن ذلك قد يكون مجرد لون يدل على بياض البشرة .

أحجار المباني : (راجع . "Paintings" Pl. XVII - LXV ; Plates LVIII - LXV) من المدهش أن العمل الذي يقوم به الصناع في هذا المنظر قيل عنه في المتن

المفسر له : " إنهم يصنعون لبنات لبناء مصانع جديدة للإله « آمون » في الكرنك " ؛ غير أن ما نشاهده في الصورة يختلف عن ذلك إذ نجد أمامنا « سوريا » يضرب (ببلطته) في كومة من قطع الأحجار هذا إلى أن هذه الأحجار لا تدل على أنها آجر محروق لأن هذه المادة كان لا يستعملها المصري في تلك الفترة من تاريخ البلاد يضاف إلى ذلك أنه كتب فوق صورة حامل يحمل قطعة واحدة بيضاء من الحجر المتن التالى : " إن المشرف يقول لبنا. إن قطع الحجر جميلة في يديه ". ونشاهد في منظر آخر مبنى يقام في معبد الكرنك وقد صنع له متزلق كالذى نراه حتى الآن في الكرنك مبنى باللبن والطين والبراق وأغصان الأشجار وغير ذلك (راجع Pl. LX.) كما نشاهد لذلك منظرا يصور لتاجر الأتقال وبخاصة الأحجار الثقيلة (Pl. LVIII.) وفى ثالث يشاهد تسويه الأحجار (راجع Pl. LXII.) والآلات المستعملة لذلك . ثم نرى كذلك كيفية وضع الألوان والزخرفة (راجع Pl. LXXIII, 2.)

تمائيل معبد « آمون » ونحتها : (راجع Plate. LX.) وقد كان من الضرورى بعد إتمام بناء المعبد من القيام بعمل ما يلزمه من قطع فنية كان لابد منها وبخاصة تماثيل الإله وقد أسعدنا الحظ بأن حفظت لنا صورة نفخة نشاهد فيها نحت التماثيل الضخمة التى لا تزال حتى الآن موضع إعجاب العالم بأسره . ففى الصورة نرى تماثيل نحتا ضعفى الحجم الطبيعى ، وقد وقف نحاتون على حالات يعمل كل فيما كلف بإنجازه . والظاهر أن هذين التماثيل قد نحتا من الجرانيت الأحمر . وكذلك نرى تماثلى « بولهول » ومائدة قربان عظيمة من الحجر الجيري الأبيض . وهناك تماثل ضخيم جالس يمثل « تحتمس الثالث » يعمل فى إنجازه ثلاثة نحاتين كل منهم يقوم بالعمل الخاص به . فصانع يهذب القطع الزائدة وآثر يصقل سطح التمثال بحجر صلب أما الأخير فكان يصنع التفاصيل الأخيرة التى يعد بعدها التمثال قد تم نهائيا .

وقد كان المفتن يقوم بإنجاز الخطوات التى يجب أن تتخذ الواحدة تلو الأخرى ، غير أنه على ما يظهر جعلها كلها تنجز فى آن واحد ، ففى حين نرى صانعا يعمل بمدقته

كان هناك آخر يقوم بعملية التلوين أو مداواة القطع التي أصابها عطب بالحص .
أما مائدة القربان التي كانت لا تحتاج إلا للنقش فقد كان يعمل فيها صانع بمدقته
وحسب .

ومما هو جدير بالملاحظة هنا من الوجهة الفنية أن المفتن قد حاول أن يصور
لنا أحد الصناع وهو يعمل في وضع كان يجب فيه أن يكون جسمه ملتويا وهذا
يذكرنا بالمحاولة الجريئة التي حاولها المفتن في تصوير خادمة في وليمة في مكان آخر
من هذه المقبرة بعينها . وهي في وضع يظهر لنا ثلاثة أرباع جسمها . أما التمثال
الذي يشاهد واقفا في الصورة فيلاحظ أن نقاشا يقوم بنقش منته باللون الأخضر .
وهذه الصورة على الرغم من أنها تساعدنا على فهم سير العمل فإنها تتركنا في دهشة
عظيمة إلى حد بعيد جدا ؛ وذلك أن النحات المصرى القديم قد أبرز لنا إشارات
هيوغليفيّة متقنة في أصلب الأحجار بآلات خشنة على حسب ما نشاهد في الصورة
وقد وضع هذا المنظر بالمتن التالى : طاقة متعبة من جماعات الصناع الذين يعملون في هذا البناء
الذى أقامه جلالته بإرادة الوزير « رخ مى رع » لأجل أن يبقى على عرشه في معبد آمون والآلهة الذين
في ركابه « فى الكرنك » .

وليمة أسرية

إن منظر الوليمة التي كان يدعى إليها كل أهل صاحب المقبرة عامة ينظر
إليها في العادة بأنها كانت تقام في عالم الآخرة بعد الموت . ولكن الواقع أنها كانت
لابد تقام كذلك في مدة حياته . وفي الحق أن التمييز عند المصرى بين الحياة
الدنيا والحياة الآخرة يكاد يكون لا وجود له ، وذلك لأن روح المتوفى (كا) يمكنه
أن يكرما كان يعمل وهو إنسان حتى يرزق ، وسنرى فيما بعد أن هذا العمل
المزدوج قد أتاح للمصرى أفقا واسعا على شرط أن تكون الأعمال التي يأتينا وهو
في عالم الآخرة من التي يأتينا في الحياة الدنيا . وعلى أية حال فلدينا منظر الوليمة
التي أقامها « رخ مى رع » للوظفين وهي بلا نزاع لا تمت بصلة لمناظر الآخرة .

(راجع Pls. CXI, CXII; "Paintings" XXV) ؛ وقد شغلت الوليمة التي أقامها « رخ مى رع » لمشيرته الأقربين حيزا كبيرا ، 2, LXIX, LXIII - LXVII, IV, Pls.) & "Paintings" Pl. XXVI,

ويلاحظ على وجه الضيفان الفرح والسرور في حين أن محيا صاحب الوليمة لا يمكن قراءته على وجه التأكيد . وذلك على الرغم من أن تقديم الصابجات له كان من الأشياء المحببة إلى نفسه فإن تقديمها يعتبر في غالب الأحيان احتفالا دينيا للتوفى .

وينقسم رسم هذه الوليمة العظيمة التي مثلت أمامنا إلى منظرين علوى وسفلى . أولهما وهو العلوى خاص بوليمة النسوة (Pls. IV., LXIII, - LXVII) والمنظر الثانى وهو السفلى خاص بوليمة الرجال (راجع 2, LXIX, LXVI - LXVII, Pls.) فيشاهد « رخ مى رع » وزوجه مريت يشتركان في المنظرين وهما يتقبلان البركات الإلهية من أبنائهما وبناتهما . ويلاحظ أن كلا من المنظرين قد فسر بمتن خاص يكشف لنا عن الغرض الذى من أجله أقيمت هذه الوليمة الشاملة . وهالك المتنين (راجع 2, LXIX, LXIII, Pls.) .

الأول يصف المناظر التي يلعب فيها « رخ مى رع » الصابجات وحقود منات التي تقدمها له امرأتان وفتاتان وجميعهن بلا شك من بناته وهو . « التمتع برؤية الطعام الطيب والموسيقا والرقص والفناء والتدليك بزيت الباسم والتدهين بزيت الزيتون وشم البشنين والخبز والجمعة ونبيذ البلع وكل ما لذ وطاب مما يقدم لروح (كا) الحاكم الوراى وعمدة المدينة والوزير « رخ مى رع » ، وكانت زوجته حبيبة قلبه ربة البيت مريت في صحبة » . وكتب فوق النسوة المتن التالى عند ما كن يقدمن تحياتهن لعمدة العاصمة فيقلن : ليت بنت « رخ » تحبوك وتكرمك ! ولبنها تحبلك بمحابتها يوما عندما تضم شخصك ! المس جلاتها عندما تلف ذراعها حول كتفك حتى تتمتع بحياة مديدة سعيدة على الأرض وتضمك الحياة والسعادة والصحة .

وفي المنظر السفلى (Plate. LXIX, 2.) يشاهد « أمنحتب » بن « رخ مى رع » ويحتمل أنه كان يقدم أزهارا مزينة والمتن الموضح للنظر لا توجد فيه النعومة

النسوية التي لاحظناها في المتن السابق . وهو : التمتع بالابتهاج السار ، وبمشاطرة الطعام الطيب بسم بشين الصيف ، وبزيت البسم الذي يعطرقة الرأس لأجل روح الأمير الوراثي وعمدة المدينة والوزير « رخ مى رع » وزوجه « مريت » أما المتن الذى نقش فوق الذين يقدمون أزهارا فهو . أما ما قبل فهو : خذ زهر البشين الذى كطف من حديقتك المروية لأنك لن تحرمها ، وليتها تغدق عليك كل أنواع الفاكهة الطيبة والطراف التى تنوفها حتى تستطيع أن تتمتع بلذاتها وتتمتع بخراجها وأن يكون قلبك نصيب فى أشجارها النضرة ، وأن تمتش بظل أشجارها وتعمل فيها كل ما يصبو إليه قلبك أبدا الأبدى .

أغاني الموسيقيين : (راجع Plate LXIV, LXVI) كان يوجد فى كلتا الولييتين موسيقيون يغنى كل منهم على الطريقة المصرية المعروفة عند الضرب على آلات الطرب والتصفيق على الأيدي بطريقة منظمة وقد نظمت مقطوعة للنساء ليشعر الإنسان فى ألفاظها بنغمة غنائية ؛ أما أغنية الرجال ف فيها طول وليس فيها ما يبعث على المرح والسرور وهاك المقطوعة التى كانت على ما يرجح تتغنى بها النساء :

ضع المهرم العطرى على غداثر « ماعت » لأن الصحة والحياة معها ... يا « آمون » إن السماء قد رفعت لك وإن الإله « بتاح » يقيم يديه لك محرابا ليكون بمثابة مكان راحة لقلبك ، تعال يأبها النسيم لقد بصرت بك عند ما كنت على البرج (؟) .

أما أغنية الرجال مخاطبين « رخ مى رع » فهى : ليت نسيم الصبا الحلوى يكون فى أفك والنفس نلشومك ! استول على القربات الملكية التى رفعت إلى مواته قرايين رب الكل حتى تنعم روحك أنت يأبها العدة المدوح من آمون يا « رخ مى رع » ؛ وليت السنين التى كتب الله لك أن تقضها تكون مقرونة بالفلاح العظيم . ولينك تعيشها مشغولا بالعطف وبصحة وفرح . وما تقوله معتمد منذ كنت إلها وأعدائك مهوورون فى بيتك الذى اقترن بالأبدية ووصل بالخلود وليت الحياة المشغولة بالخطوة تكون من نصيبك وليت لك يوم عيد أى يوم عيد حقيق من أعياد الجنة وكذلك يمضى تمشالك يوم العيد يأبها العدة . لأن جمالك قد خلد فى بيت « آمون » .

النساء يرجلن شعورهن بأساليب رشيقة : قد يطول بنا الحديث إذا تكلمنا بإسهاب عن كل من الطائفتين على حديثها بل منقصر الكلام على ما يلفت النظر فى كل ؛ وأبرز ما يسترعى النظر فى زى السيدات أنهن كن يرغبن فى أن

يقوم على خدمتهن فتيات رشقات في ميعة الصبا وشرح الشباب، ولا يبعد أن هاتيك الفتيات العذارى كن بنات هؤلاء السيدات؛ وعلى أية حال نلاحظ أنهن كن يقمن أحيانا بمساعدة هاتيك العذارى في أثناء الوليمة. والظاهر أن النساء جميعا في هذا الحفل كانت شعورهن طبعية إذ كانت ترى مسبلة في غدائر طويلة. ويلاحظ أن الفتيات الخادومات كانت شعورهن مرحلة بأصاليب صيبانية تشعر بالدلال والصبا والأنوثة الناعمة. فمعظم شعورهن قد بدا قصيرا اللهم إلا غدائر طويلات أسبلت على صفحات وجوههن أو على قمة الرأس. وهذه الغدائر ترى مصفوفة بتاية ودقة ورشاقة وكأن المفتن قد أراد أن يتخذ من شعورهن نحارا أسود يستر به بشرة الوجه الناعمة فتكون محجوبة عن أعين الناس مما يزيد في الإغراء، ولكن هذا الخمار الشفيف المخرى كان يبدى ما يستر تحته جليا عند ما كانت العذراء تنفخ يمنة أو يسرة وسرعان ما تقف منتصبه ثانية حتى ترى خصل الشعر قد تجمعت كرة أخرى فسترت وجهها الصبيح. أما القديرة التي كانت في قمة الرأس فتسدل على ظهر الفتاة اللهم الا ضفيرة صغيرة منها كانت تسبلها الفتاة على جبينها مصفوفة بأنافة ورقة يعرفها المصريون قديمهم وحديثهم. وعلى أية حال قد يكون من الصعب علينا أن نفرق بين المرأة المسنة والعذراء الفتية عندما يكون كل الشعر مسبلا على الكتف (أنظر لوحة ٣٧) وقد أظهر المفتن براعته في تصوير شعور الفتيات في اللحظات التي يكن فيها جذابات خلاطات لعين المصري القديم والحديث طبعاً.

ملابس الفتيات وواجباتهن : وما يستلفت النظر في ملابس السيدات هنا أن الفتيات صاحبات الأجسام الغضة الجذابة واللاتي كن يأخذن يجمع القلوب في ملابس السهرة المتهكة من اللاتي قد ارتدين الملابس التي تشعر بالوقار والمقف فقد ظهرن بملابسهن المحبوكه التي تستر كل محاسنهن. والظاهر أن المفتن كان يشعر في قرارة نفسه أن المحاسن المخفية عن الأنظار هي التي تكون أكثر إغراء للنفس وشحذاً للخيال ومدعاة لحب الاستطلاع، غير أن المفتن مع ذلك لم يكن في مقدوره أن يظهر حلية الفتاة كما كانت على حقيقتها.

أما الدور الذى كانت تقوم به أولئك العذارى الحسان فلم يكن فيه كبير مشقة أو عناء إذ كان كل عملهن منحصرًا فى تدليك معاصم السيدات المدعوات وتطويق جيدهن بقلائد الأفراح، ويصبين لمن النبذ أو الجعة فى كتومهن ، ومرحبات بهن قائلات لكل : « من أجل حضرتك ! أتمنى لك أن تقضى يوما سعيدا » .

وقد برزت بين أولئك السيدات سيدة تلفقتها الأعين وتحولت إليها الأنظار وبخاصة لما كان أمامها من طعام غزير وكرسیها الوثير الذى كانت تجلس عليه وهو من نوع الأثاث الذى سنراه شائع الاستعمال فيما بعد . وهذه السيدة هى وصيفة الملكة والأم المحبوبة « بت » والدة الوزير « رخ مى رع » . ونشاهد فتاة خادمة تصب لها الجعة مريحة بها قائلة : « لحضرتك . اقضى يوما سعيدا وأنت على الأرض لأن إلهك « آمون » الذى يعطف عليك ويحبك قد كفلك ذلك » .

على أن هناك تفاصيل طريفة فى وليمة السيدات تستحق الذكر . منها ما نلاحظه من أن المصرى كان يحتاج إلى تصفية الجعة بمصفاة (Pl. LXI. row, 1.) مما يوحى بأنه لم يصل إلى طريقة مهذبة لعمل الشراب .

وكذلك نشاهد فى الصف الأول من هذا المنظر ثلاث نسوة يوقعن بأيديهن للضارب على العود . ويقدم لمن الشراب والعطور (Pl. LXIV. row 2) ، وتدل ظواهر الأحوال على أنهم كن يفهن بنكات لا بفناء يدل على ذلك النقش الذى كتب فوقهن وهو : « هل من الجائز أن الإله « ماعت » (إلهة العدل) هى التى يظهر على محياها الرغبة فى أن تسكر سكرًا عميقًا ؟ » .

والآلة الموسيقية التى تشاهد خلفهن على الأرض أشبه بالربابة ويحتمل أنها نوع مختلف عن العود المعتاد تمتاز بثقلها عنه . وكان يضرب بها وهى موضوعة على الأرض .

نقد المنظر : ولا نزاع فى أن هذا المنظر فى نظرنا له مساوئ كما أن له محاسن فتصوير الفتاة الخادمة ملتفتة لفتنة تظهر ثلاثة أرباع جسمها (أنظر الصورة رقم ٣٧)

كانت تعد بلا شك خطوة جريئة من جانب الرسام وهى من الأمثلة القليلة جدا التى حاول فيها المفتن المصرى أن يخرج على التقاليد القديمة فى رسم الصور الآدمية التى كانت دائما جانبية (راجع Davies. M. M. A. XXIII, (1928), Feb. Sec. II. P. 63. and Tomb. 95 .)

ولا يبعد أن زملاءه قد أعجبوا به لقوة ملاحظته ومهارته فى رسم الصور على حقيقتها . والواقع أن هذه الصورة كانت اتجاها جديدا فى رسم الأشكال الآدمية غير أن المفتن قد ارتكب بعض الأخطاء فى هذه المحاولة إذ قد ترك القدمين دون أن يضمهما فى الوضع الذى يلائم صورته .

تولى أمنحتب الثانى عرش الملك وموقفه

من الوزير « رخ مى رع »

صعد تحتمس الثالث إلى السماء كما تقول النقوش المصرية قبل أن يتم الوزير « رخ مى رع » نقوش قبره . وسواء أكان هذا الوزير العظيم يعلم ما كانت تخفيه له الأيام من خير أو شر على يد العاهل الجديد فإن الحوادث لم تعاجله والمصائب لم تباغته قبل أن يقوم بالدور الذى لعبه فى توليه الملك الجديد على عرش الملك والاحتفال به . غير أن ما نشاهده من النقوش الخاصة بذلك قد أحيطت بجو من الغموض والإبهام القاتم جدا . فالمنظر الأخيرة التى دقنها « رخ مى رع » (راجع PI. LXX, LXXI) تصور لنا الاستقبال العاطفى الذى استقبلته به أسرته عندما عاد إلى « طيبة » بقلب ملؤه الفرح والغبطة ، إذ كان قد غادرها فى رحلة لمقابلة مليكه الجديد الذى لم يكن فى مقر الملك (طيبة) .

المتن الموضح لهذه الرحلة : (راجع Fig. 8. & Plates LXIII, LXX, LXVI. “Paintings”) . وقد ترك لنا « رخ مى رع » نقشا عن رحلته لمقابلة مليكه يمكن به فهم الغرض منها وهو : « وصول عمدة المدينة « رخ مى رع » عائدا من « حت سخم »

(وكى بلدة « هو » الحالية) في سفرته لمقابلة جلالة ليقدّم له طاقة أزهار بوصفه ملك الوجه القبلي والوجه البحرى « عا خبر رع » — لته يعطى الحياة مخلدا — والآن كان هذا الوزير هو مدير الأعمال والمشرف على رجال الصناعة وصاحب أراس اليقظ جدا في إدارة أعمال سيده وكل أثر في معبد « آمون » وفي محاريب آلهة الوجه القبلي ، والوجه البحرى ، ومن كان يعمل لهدف ومن بنى للأجيال القادمة كما كان يرغب جلالة ، ومن كان يظهر نشاطا جعل الناس يدعون الله له ، وقد منح ذهب الرضا لما كان له من قبول حسن عند سيده (؟) الذى كان ينقذ له أوامره . وعند ما وصل إلى طيبة (التى يطلق عليها اسم « التى تواجه سيدها ») مضورا بالعطف الملكى ، تملك الفرح قلوب خدام معبد « آمون » ، وكذلك كان كل مواطنيه يقيمون الأفراح معا ، وكانت كل البلاد يصمها السرور ؛ فأتوا على ملك مصر ، وتعبدوا « حور » صاحب الساعد القوى ، لأنهم رأوا أن « ماعت » قد نالت مكافأة من الذهب النضار — ليت قلبها تحمل الحياة والرخاء لابنها ملك الوجه القبلي والوجه البحرى « عا خبر رع » وليتها تحمله يضى سنين وفيرة مثل « رع » مخلدا .

ومن هذا المتن نفهم إذا أنه عند ما قضى « تحتمس الثالث » كان ولى المهدي يقيم في الشمال في بلدة « برونفر ؟ » (ضاحية في منف) وأن « رخ مى رع » غادر طيبة في الحال على متن سفينة ليقابل العاهل الجديد الذى وصلت « لرخ مى رع » الأخبار عنه أنه في طريقه نحو الجنوب ليتسلم مقاليد الأمور هناك ويكون واثقا من أن صعيد مصر في قبضة يده . غير أن النقوش تخبرنا أن « رخ مى رع » قابل الفرعون الجديد في « حت سخم » (بلدة « هو » الحالية) وتقع على بعد سبعين ميلا شمالى طيبة . فمن الجائز جدا أن المقابلة في هذه البلدة كانت مجرد صدفة . وأن الفرعون قد حط فيها رحاله مؤقتا في طريقه إلى « طيبة » عاصمة ملكه وذلك لأنه ليس من المعقول أن يكون للفرعون قصر في هذه البلدة وآخر في « طيبة » ؛ أما ما قام به « رخ مى رع » من تقديم طاقة أزهار للفرعون مع أنه حادث غاية في البساطة فقد كان في الواقع ذا معنى عميق جدا إذ كان يدل على أن « رخ مى رع » هو الرأس المنظم للكهنة هذا فضلا عن أنه كان وزير البلاد الأعلى ، فهذه الطاقة إذن كانت تحمل في أزهارها وأوراقها بركة الإله « آمون » للفرعون الجديد ، ولا غرابة إذن في استقبال الفرعون « رخ مى رع » وزيره ببالح الحفاوة ومظاهر الرقة والعطف كما تحدثنا

النقوش . فيشاهد في الصور (راجع Pl. LXX) « رخ مى رع » وهو يحمل القلادة التى حباه بها مليكه مطوقا بها جيده وتشمل حبات من الذهب مؤلفة من ثلاثة أسباط وكذلك نشاهده محيا رسفه ومعصمه بأساور من ذهب مما أنم عليه الملك به فى هذه المناسبة . وقد كان فى ركاب الوزير أربعة من خدمه يحملون كل ما عساه أن يحتاجه وأربعة آخرون يحملون قربانا من الطعام والأزهار بمشابة رمز معبر عن ذلك الاستقبال الرائع الذى قابله به الشعب كما جاء فى النقوش السالفة .

استقباله بين عشيرته : (راجع Plates LXX, LXXI) لقد كان طبعيا أن يكون أول من يستقبل الوزير « رخ مى رع » عند عودته إلى طيبة بعد مقابلة الفرعون هم عشيرته الأقربون ، والواقع أنهم قد استقبلوه استقبالا حارا وقدموا له طاقة أزهار معبرين عن فرحهم ، إذ قد علموا الآن أنه قد وُطد فى وظيفته الرفيعة ولا سيما أن أقدار عشيرته وحظوظهم كانت تصلو وتخفض على حسب ما يصيبه من نجاح أو خيبة فى منصبه ؛ وهنا نشاهد ابنه « منخبرع سنب » الكاهن الثانى للاله « آمون » يقدم لوالده طاقة من الأزهار قائلا : « لحضرتك رائحة الأزهار البرية التى قدمت أمام رب الآلهة « آمون » إله مصر القديم » . وفضلا عن ذلك نشاهد ستة من أولاده الذكور ويحوز أنهم من أقاربه فقط يحملون أزهارا قد نسقت فى أشكال متوعة . وأسماؤهم قد محيت ويحتمل أن الأخير منهم هو أحد أحفاده ويدعى « قن آمون » ؛ وكان أولم هو المتكلم عنهم إذ يقول : « قبل أزهار البطاح الياضة لآله (أى الإله) يعبوك ويحبك » . أما المستقبلون له من السيدات قريباته فقد كان عددهن لا يقل عن الإحدى عشرة ابنة أو حفيدة وقد كانت كل منهن تقوم بدور مغنية للإله « آمون » وتحمل صابحة وعقد « منات » أو صابجتين من الذهب الباهت أو الفضة وقد كن يمين « رخ مى رع » بالكلمات التالية : « إنك تأتى فى سلام إلى المدينة الفاترة لأنك تسلمت منح رب القصر » . أما عن « طيبة » فقد احتشدت فى بهجة وسرور لأن أهلها قد رأوا « ماعت » خلفك (أى تمحيك) . وكلمة « ماعت »

هنا لها معنى عميق . وذلك أننا عند ما نعلم أن هذه الإلهة التي نُمثل فيها الاستقامة والعدالة كانت غالباً خلف الفرعون في الصور الرسمية وأن «رخ مى رع» كان يمثل الفرعون في هذه الأيام الحرجة فلا نستغرب إذا أن يستقبله الشعب في « طيبة » بحفاوة تقرب من حفاوته بالملك نفسه ، وقد كان ذلك أمراً طبعياً على الرغم من أنه لم يكن من الحكمة في شيء — إذ كان الفرعون بعد أن تأكد من ولاء أهل الصعيد له قد ولى وجهه شطر الشمال ثانية من بلدة « هو » التي قابله فيها « رخ مى رع »، وأن وزيره قد قبل بالترحاب والابتهاج في « طيبة » بوصفه ممثله المفوض .

السفينة التي قام « رخ مى رع » بالرحلة فيها : (Plates LXVIII, LXIX, i) لم يفت « رخ مى رع » أن يصور لنا الأبهة والعظمة والجلال التي كانت تحيط به في سفرته الرسمية لمقابلة الفرعون الجديد وإعلانه له بأنه قد أصبح فرعون مصر الجديد، فرسم لنا صورتين عظيمتين للسفينة التي ركبها في سياحته لمقابلة الفرعون؛ ففي الأولى تظهر السفينة وقد أعدت بأحسن المعدات مسرعة في سيرها نحو « طيبة » وكل نواتيها يحذفون وشرعها منشورة، أما الصورة الثانية فتمثل أماننا نجاح الرحلة؛ إذ نشاهد نفس السفينة واقفة في مراسها وشرعها مطوية وأُزل عليها . وقد غادرها كل من كان على ظهرها لمقابلة الفرعون . ويلاحظ أن هذه السفينة قد رسمت بحجم كبير لتناسب مع المهمة التي قامت من أجلها، والشخصية العظيمة التي كانت على ظهرها . والظاهر أنها لم تكن سفينة حربية^(١) كما يظهر من إعدادها، وبخاصة أن صورة الإله « متو » إله الحرب لم تكن مصورة عليها (Davies, "Tomb of Ken Amon". Pl. 1, XLII, LXVIII.)

منظر وليمة رسمية: (راجع. "Paintings" XXV. Plates CXI, CXII, 1,2 &) ليس لدينا ما يفسر لنا موضوع هذا المنظر على وجه التحقيق وبخاصة أنه ليس له نظائر في قبور عظماء القوم . والآن يتساءل الإنسان هل هذا المنظر من المناظر التي كانت تحدث عادة في حياة الوزير عند ما كانت تحم عليه الأحوال

(١) راجع : Sâve Soderberg: The Navy of the 18th. Dynasty (Uppsala 1946).

دعوة موظفيه ليستشيرهم أو يلقي عليهم تعليمات، أو هل كان هذا الاجتماع قد عقد بسبب موت الفرعون ؟ ومما يؤسف له أن المتن الخاص ليس صريحاً (Paintings Pl. XXV.) فاستمع إليه : ” الحاكم الوراثي وعمدة المدينة والوزير « رخمى رع » جالس في القاعة العظمى بعد أن عاد من معبد « آمون » بالكرك، وقد أدى الشعائر هناك لجلالة هذا الإله واستلم عن أحوال هذه الأرض “ . ويلاحظ أن النحت الذى يوصف بها الوزير فى هذا المنظر لما علاقة تيمط اللثام بعض الشيء عن الفرض من هذا الاجتماع، وبخاصة وصفه بأنه هو الذى يسيطر على المرافق العامة ويضع المنهاج للقضاة . على أنه لدينا متن آخر على يمين هذا المنظر (راجع Pl. CXII, 1) يصف لنا المنظر بعض الشيء وهو : ” موظفو المجلس والمشرفون ... وافرين ومقدمين أنفسهم أمام الوزير ليتناولوا وجبة فى حضرة ... « رخمى رع » عند ما حضر من معبد « آمون » بالكرك بعد أن أدى الشعائر هناك لروح الفرعون الراحل ومن ... ووضعت الأنظمة الخاصة بواجباتهم اليومية (؟) ... “ .

والواقع أننا نجد صدق لما جاء فى المتن الأخير، وبخاصة (وضع الأنظمة للواجبات اليومية) ، إذ نشاهد فى المنظر طائفة من الكتبة كل منهم يواجه زميله فالذين على اليسار (راجع Pl. CXII, 1) كتبة فى خدمة الوزير . أما من على اليمين فهم كتبة المجلس الذين يدقون الأوامر الجديدة . وكذلك كان يوجد بينهم حاجب لمرعاة القواعد المتبعة فى مثل هذا الاجتماع . ومما يؤسف له أن المتن الذى كان لا بد أن يلقى ضوءاً على هذا الاجتماع لم يبق منه إلا تنف صغيرة لا تشفى غلة، غير أن ما تبقى مع ذلك يشعر بأن قاعة الوزير كانت مزدحمة، ويكشف عما أظهره من كرم ومخاء لضيافته .

والمنظر كما هو يحتوى على بقوة يحتمل أنه كان فيها ضيفان يحلسون . ومما يلفت النظر فى هذه الصورة أن الوزير كان يتناول طعامه محجوباً عن الضيفان بستر متحرك (راجع Pl. CXI) كأنه ملك . وقد يعزز هذا رأى ما نراه من أشخاص يقبلون الأرض بين يديه . والظاهر أن الخدم كانوا يحضرون الطعام أمام الوزير وهو فى خلوته ثم يخرجون به ليقدم للضيفان، ولا نزاع فى أن السجف التى أقيمت

بين الوزير وضيافته كانت تحجبه عنهم تماما، ولا أدل على ذلك من أننا نشاهد بعضهم وقد جلس موليا ظهره شطر الوزير. هذا ويفهم من المنظر أن الخدم كانوا في حركة مستمرة يقدمون الطعام والشراب إلى الضيفان بكل نشاط وهمة .

الصمت المطلق عند ذكر موت الفرعون كان عاديا عند المصريين :

وليس لدينا أية إشارة في هذا المنظر تدل على علاقته بموت فرعون واعتلاء آخر مكانه ، اللهم إلا إذا اعتبرنا إقامة الشعائر الدينية التي أداها الوزير لتمثال الفرعون المتوفى في المعبد قبل حضور هذا الاجتماع كان السبب المباشر لعقد هذا المجلس من الموظفين . إذ ليس من المعقول أن موت فرعون عظيم مثل «تحتمس الثالث» الذى حكم البلاد عهدا طويلا يتردود أن يحزن له الشعب أو يظهروا شعورهم نحوه في مظاهرات قومية أو إقامة حفل ديني . غير أنه قد جرت العادة في معظم الأحيان أن يصمت الشعب صمتا تاما عند وفاة الفرعون وربما يعزى ذلك إلى أن إعلان موت الفرعون يعدّ موضوع خزي ونجل، إذ أن الفرعون كان يعتبر إلهًا والإله لا يموت بل يبقى حيا مخلدا، ولذلك لا يعبر عنه أنه قضى بل يقال عنه أن حور (أى الملك) قد طار إلى السماء وأن حور آخر من ظهره قد حل محله على الأرض . وكان الملك الجديد يعلن ألقابه وحسب، وعلى ذلك كان حور لا يزال يحكم البلاد ولكنه سمي « عاخبورع » بدلا من « منخبورع » فالملك إذن في الواقع لم يمت ، فضلا عن ذلك بقى « رخ مى رع » وزيرا .

منظر المتظلمين المساكين (Pl. LXXII. راجع)

لسنا نعرف السبب الأكيد الذى حدا بالوزير «رخ مى رع» على أن يضم هذا المنظر إلى المناظر التي تركها لنا على جدران قبره اللهم إلا إذا كان الغرض منه رغبته في أن يتال شهرة الحاكم الشفيق الذى لا يحيد عن الحق كما أظهر نفسه بهذا المنظر في مناسبات سابقة (راجع Pls. XXIV, XXV) ؛ والمثلن المفسر لهذا المنظر

الغريب هو ما يأتي : ” إن الوزير « رخى رع » يخرج إلى عالم الدنيا عند مطلع الفجر ليؤدى شعائره اليومية وليستمع إلى تطلعات الأهلين وشكاوى الوجه القليل والوجه البحرى دون أن يصدّ صغيرا أو كبيرا ، ومفتيا البائس ونحيفا عبء من أثقل كاهله ومجازيا مقترف الشر “ .

على أن ما يتركه هذا المتن في نفس القارئ من أثر حسن في إقامة العدالة لا يتفق تماما مع ما نشاهد من حوادث تقع في الصورة التي أمامنا ، إذ نشاهد جما غفيرا من الكتبة والحجاب لا يتناسب مع المقام ، هذا فضلا عن المعاملة السيئة التي كان يعامل بها المذنبون والمحاولات الكثيرة التي كان يحاولها المتظلمون لإغراء صفار الموظفين بالرشوة لقضاء حاجاتهم . على أن كل ذلك لا يعنى أنه لا يتفق مع ما يجب أن تظهره الحكومة من غيرة مشكورة ونجاح حقيقى في القيام بالواجب الثقيل الملقى على عاتق حكومة منظمة عادلة ؛ بل الواقع أن الصورة تدل على أمانة ساذجة في التعبير ، ولذلك يمكن أن تفسر على وجه حسن بالنسبة للحكومة . هذا فضلا عما فيها من صور تعبر عن الواقع بشكل رائع كالمرأة التي تشاهد وقد لُف ذراعها بالأربطة وقد رفعت يدها متظلمة ممن اعتدى عليها بكسرهما . وبهذه المناسبة نذكر هنا أن أحد الباحثين قد جاء في تقرير وضعه : ” إنه قد لاحظ في القبور المصرية نسبة كبيرة بين النساء اللائى قد أصيبت معاصمهن بأذى أو كسر .

ومما يلفت النظر هنا كذلك أن ذهاب الوزير لأداء فروضه الدينية قبل أن يبدأ القيام بعمله الرسمى يجعلنا نعتقد أن الصلاة في المعابد لم تكن مجزوء تادية فرض وحسب ، بل كانت رادعا خلقيا يظهر أثره عند الفصل في المظالم والشكاوى بالعدل . ولا نزاع في أن وزيرنا المؤمن بربه قد ذهب صباحا ليؤدى فريضة الصلاة داعيا إلى الله أن يلهمه الصواب في المسائل التي سيجلس للفصل فيها بعد مغادرته المعبد . وهكذا كان ينظر المصرى إلى الصلاة بأنها وسيلة تلهمه الصواب في الحياة الدنيا لينال بها الجزء الأوفى في الآخرة التي هى خير وأبقى عند الله .

ولا نزاع في أن هذا المنظر (على الرغم من كل ما فيه مما يدل على حدوثه في عالم الدنيا) كان خاصا بالحياة الآخرة ، ولا غرابة في ذلك فإن المتوفى كان يصرف

يومه في عالم الآخرة كما كان يصرفه في عالم الحياة الدنيا، وقد كان يسجل أعماله اليومية على جدران المقبرة كما نسجلها الآن في يومياتنا عند المساء . وعلى ذلك فليس من الأهمية بمكان أن نعرف إذا كانت هذه الأحداث قد وقعت بعد الموت أو قبله ، أو أنها وضعت هنا على حسب ما جاء عن الحياة الدنيا أو عن الحياة الآخرة ، وذلك أن الحياة الآخرة والحياة الدنيا تؤلف وحدة في نظر المصري . وعلى ذلك فإن عبارة « كما كان على الأرض » تدل على أن المتوفى كان لا يزال مستمرا يعمل على حسب ما كان يعمل في الحياة الدنيا فقط . ولذلك نرى هنا كما جاء في المتن أن الوزير « رخ مى رع » كان ذاهبا إلى عمله اليومي ولكن المتن يقول في الحالة التي نحن بصدددها إنه كان آتيا من القبر ليقوم بأعبائه . والغريب هنا أنه كان لا يؤدبها في قاعته الرسمية وأمامه المظلمون بل كان يسير في الطرقات ومعه ضباطه ويقول الأثرى « ديفز » : ” إن هذا التواضع وهذا الصمت المنذر بالشر الذي يتحدثنا عنه الفراغ الذي نشاهده على الجدار وهو الذى يلى هذا المنظر، قد يوحى إلينا أن هذا المنظر لم يدقنه الوزير الذى كان يشعر بدق سقوطه من عليائه إلا لينتزع عطف الناس ورضاهم عن أعماله . وعلى أية حال فلا يهمننا أن نعلم إذا كان « رخ مى رع » قبل أن تحل به الكارثة كان لديه من الوقت ما يسمح بتسجيل هذا الاجتماع الرسمى معبرا فيه عن أن الموت لن يكون نهاية لذوده المتواصل عن شعبه ، أو أن بعض أهله وأصدقائه قد قاموا له بهذا العمل النبيل . ومع كل ذلك قد يكون الأمر على خلاف ما نظن ، وأن المنظر قد وضع هنا ليملاً مكاناً خالياً على جدران القبر، وعلى أية حال فإنه كان عملاً صالحاً لم يسبق له مثيل “ .

الشعائر الدينية

المناظر الجنازية : راجع 1 ; V, Plates XXIV - XX, XVIII “Paintings” (LXXV - XCIV) يمتاز قبر الوزير « رخ مى رع » بتثيل الشعائر الدينية فيه بصورة مفصلة وبإتقان عظيم وبخاصة شعائر فتح القم التي قد فصل القول فيها تفصيلاً لم نعهده من قبل في أية مقبرة من مقابر طيبة القوم . والواقع أن لدينا عدة مناظر يحتمل أن الكثير منها كان يمثل عند الدفن على أنه وقع حوادث وقعت .

الآلهة التي تقام لهم الشعائر : (Fig. 8.) يدل ما لدينا من نقوش هنا على أن الآلهة الذين كانت تقام لهم الشعائر في مقبرة « رخى رع » أربعة وهم : (١) إله الصقر صاحب الجبابة (راجع LXXXVI.) (٢) الإله « أوزير » إله العالم السفلى (راجع LXXXVIII.) (٣) الإله « أنوبيس » إله الدفن (راجع Pl. LXXXVI.) (٤) إلهة الجبابة الغربية (راجع Fig. 9.) وما يلاحظ هنا أن الشعائر التي خصصت لكل من هؤلاء الآلهة لا تدل على أنها تنطبق عليه تماما .

الروايات المختلفة : ولا نزاع في أن هذه الشعائر نجدها تقام في معظم مقابر « طية » وقد استمرت تدون فيها حتى قرب نهاية عهد الفراعون « أمنحتب الثالث » ، غير أن هذه المناظر لم توجد قط تامة ومحفوظة كما وجدت في مقبرة « رخى رع » ، وقد يكون من المتطرق علينا أن نتكلم هنا شيء من الإسهاب عن هذه الشعائر إذ أن ذلك يحتاج للرجوع إلى الماضي البعيد وتتبع خطواته حتى العصر القدي نحن بصده .

وقد شرح هذه الاحتفالات الأثرى « ديفز » في كتابه عن « رخى رع » فليرجع إليها من يفيى الازدياد .

المشتركون في إقامة الشعائر : وما يلفت النظر هنا أن موكبا من الخدم والحشم الذكور يبلغ عددهم نحو ستة عشر كلهم من الموظفين كانوا يسرون في ركاب المتوفى مقدمين له الخدمات كلما احتاج الأمر ، ولا يبعد أنهم كانوا قائمين على خدمته في أثناء حياته وقد اتخذوا الآن صبغة جنازية ، هذا الى أنه كان في استطاعة المتوفى أن يطلب مساعدة سكان المدن المقدسة اذا اقتضت الضرورة . وتتوقف معظم الظواهر الغربية التي تصادف المتوفى بعد الموت على العقائد المختلفة التي كان يعتقدوا الفرد عن مصيره في عالم الآخرة ، وبخاصة الأقطار العلوية والسفلية التي كان لا بد له أن يخترقها وما فيها من مخلوقات شريرة كان لا بد له من التغلب عليها قبل أن يستقر به المقام في جنة الخلد . وقد كان مصير المتوفى يشبه مصير الفراعنة أنفسهم وهم الذين أصبحوا على حسب التقاليد آلهة .

وتاريخ الدفن الذي نشاهده في هذه المناظر يرجع الى عهود قديمة جدا عند ما كان الإنسان يقدم أخاه الإنسان ضحية على مذبح الآلهة . يضاف الى ذلك أن قمل المتوفى عبر النهر أو على متنه ، وكذلك جعل مكان المحيطات والبحيرات والأنهار

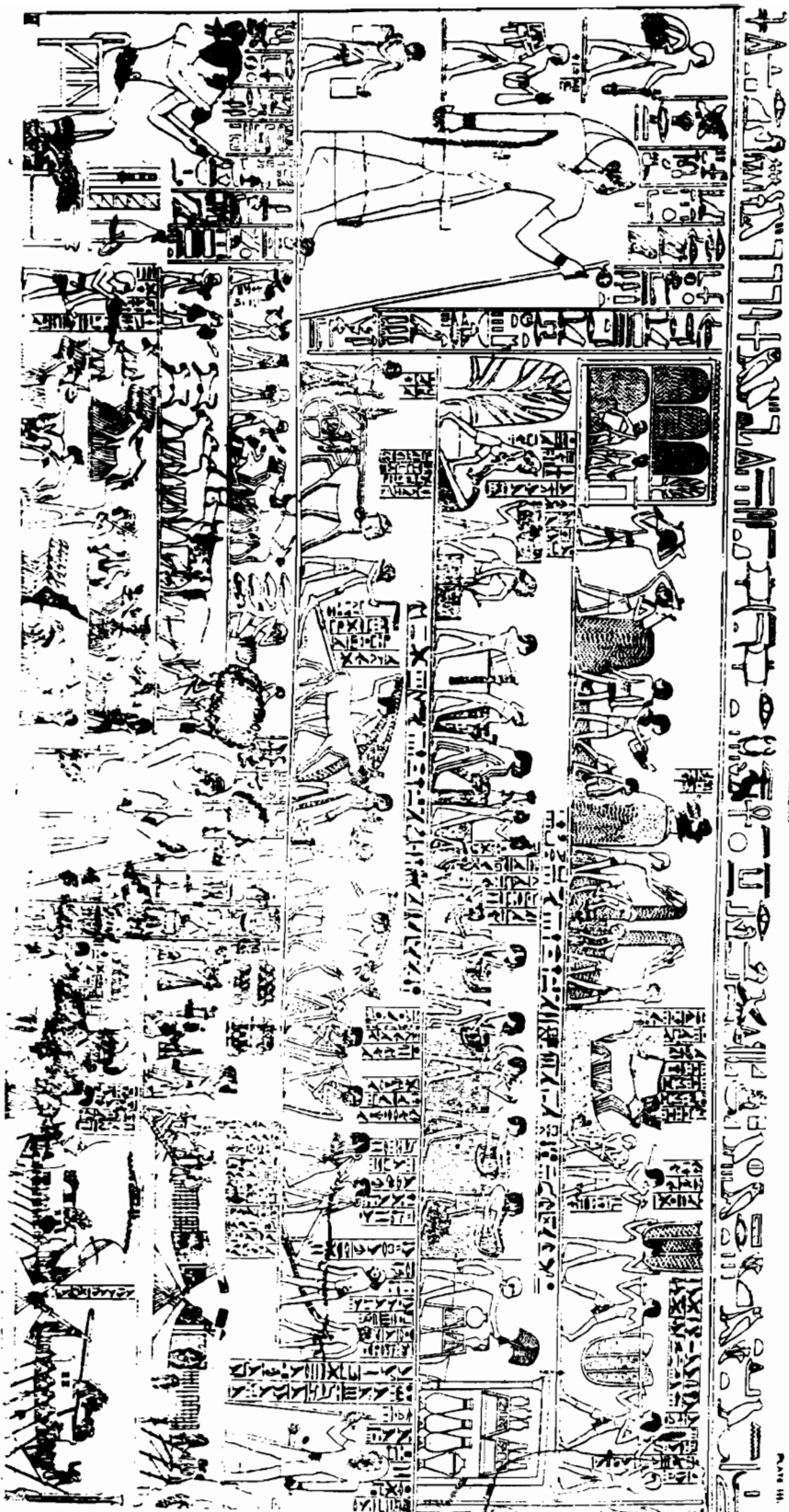
نوات الأسماء المعروفة في السماء أو في العالم السفلي كل ذلك يفسر لنا السبب الذي من أجله يقع كثير من الحوادث الخاصة بالمتوفى على الماء أو في السفن كما يفسر لنا التعبير عن الوفاة برسو السفينة في الميناء ، وغير ذلك من الرموز التي تحدثنا عن بعض الأمور البارزة في عالم الآخرة .

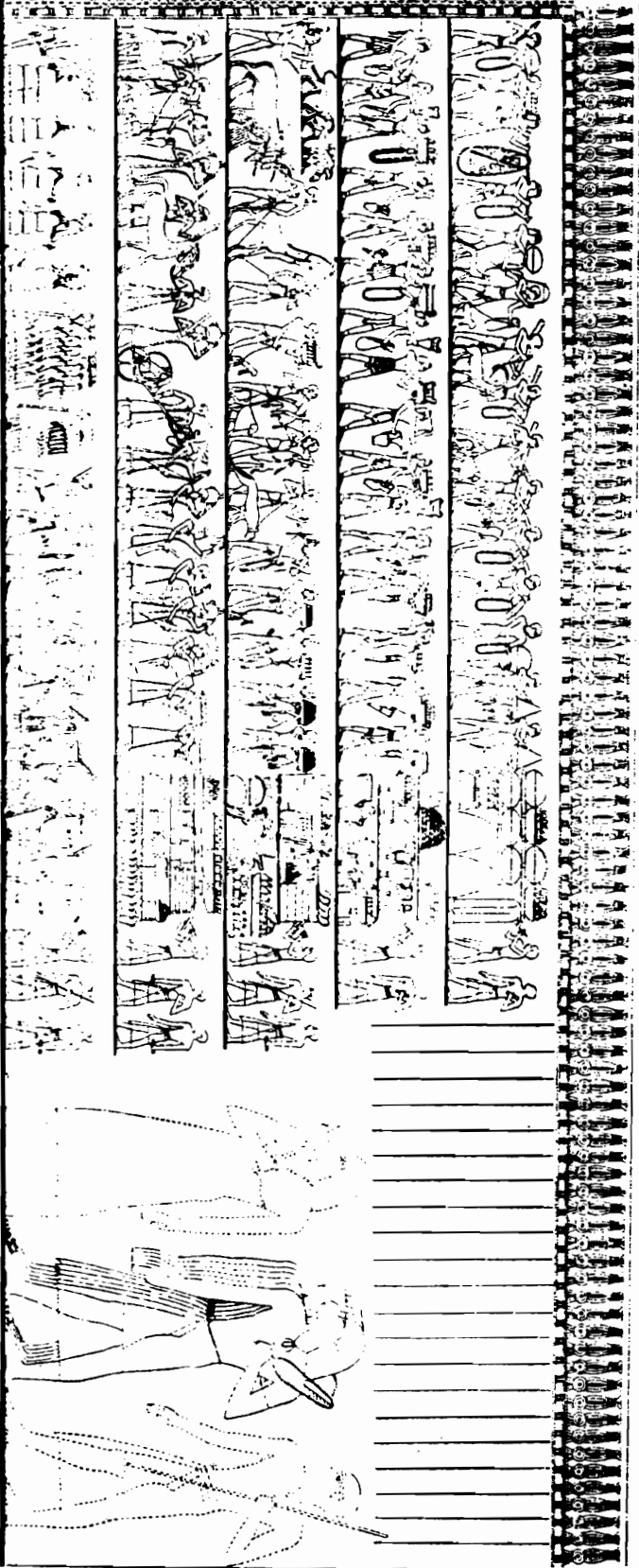
الشعائر الجنائزية الخاصة بغذاء المتوفى : (راجع - Plates V, 2; XCV - CX. & "Paintings" XXV) على الجدار الشمالى من الحجرة الكبرى لمقبرة « رخ مى رع » نشاهده جالسا يتناول وجباته الأربعة ، ويلاحظ أن المنظر قدكرر أربع مرات في أربعة صفوف بعضها فوق بعض والأخير منها قد أخرج بإتقان وعناية . وقد فسر كل منها بمتن . وقد ضم الى متون الصفيين المتوسطين من صفوف الوجبة المقدسة هذه ، ثلاثة صفوف تمثل حوادث تحدثنا عن الشعائر المختلفة التي بها ينتعش التمثال بعد موت صاحبه أو المومية بعد مفارقة الروح لها ، وبذلك يكون في قدرة التمثال أو المومية أن يعود للحياة ويتمتع بحياة أرغد حالا وأكثر تنوعا عما كان في الحياة الدنيا .

فنشاهد « بت » والدة « رخ مى رع » تظهر مرتين معه عند تناول طعامه . أما الذين كانوا يقومون بأداء هذه الشعائر للمتوفى فهم أولاده « أمنحتب » و « سنوسرت » و « منخبر رع سنب » ويحتمل كذلك « مرى » .

التعاويذ المفسرة لهذا المنظر : (راجع Pl. CIV. CVIII) أما التعاويذ التي كانت تتبع شعيرة فهي تعويذة لإحضار إنسان منم متوفى وجعله يشبع بالخبز ، وتعويذة لتطهير موائد القرايين ولأجل البخور ، وتعويذة للدخول لنقل الطعام . (Pl. XCVI, CIV.)

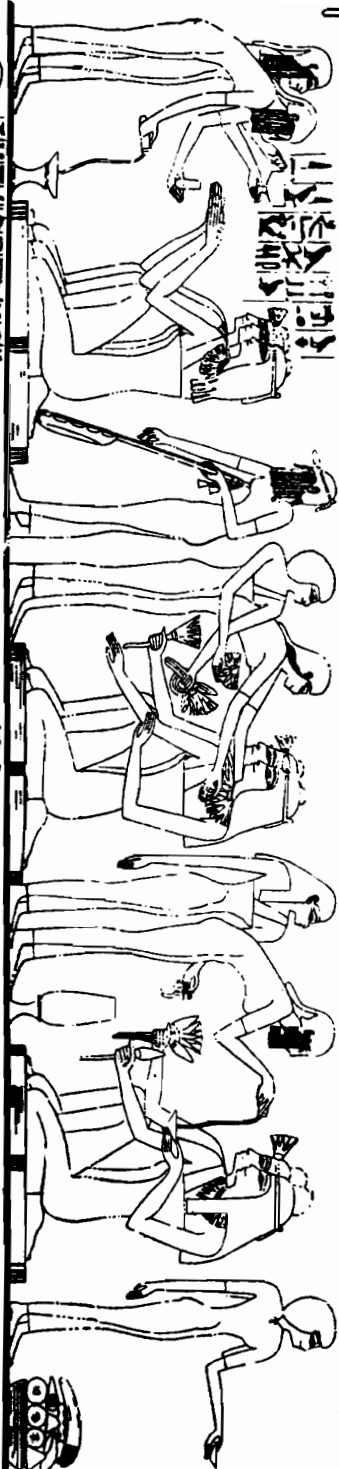
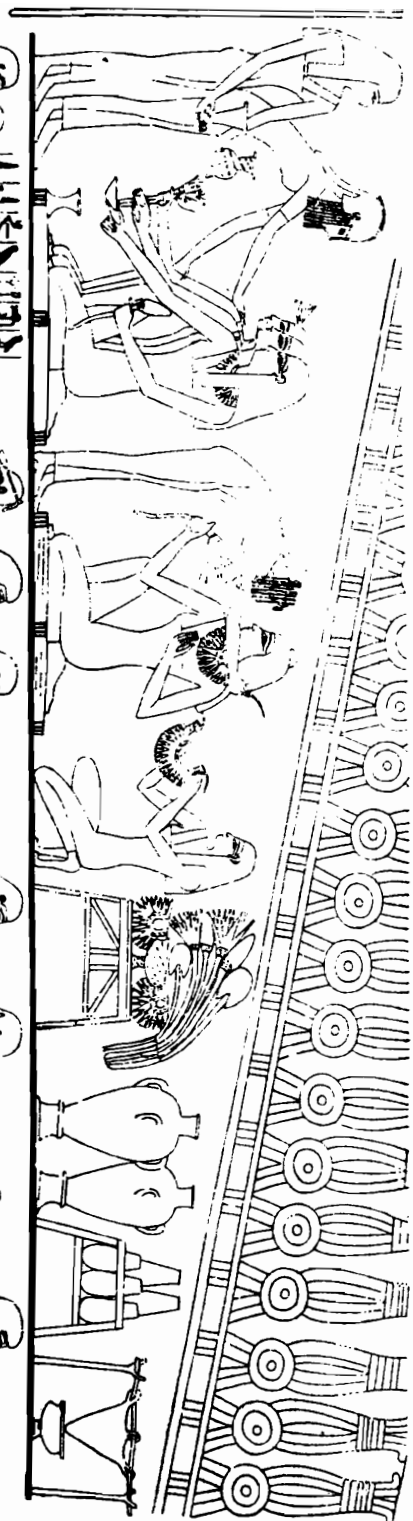
وهالك المتن الذى كان يتلوه الكاهن على أسفل صف من الصفوف السابق ذكرها (راجع Pl. CVIII) .





(٣٥) سطر استبان - رمى ربح - دودر الأقطار الأجنبية عاتلير - حرة - بلاد دودر للبحر





إنك تعيش هناك إلها مجهزا بالهيز والجنة وكذلك بالماء البارد . وقد منحت أنفاذا من اللحم تقدم لك وأجزاء متخبة تحضر إليك ، وكذلك فإن أحسن ما على مائدة القربان يكون ... لأجل «أوزير» عمدة البلد والوزير «رخ مى رع» . وقدر ما عليه الملك من الطهر فلتصر كل القرابين التى تعمل لروحك طاهرة وقدر ما يرضى إله بقربانه فليجعل «أوزير» ذابيا بقربانه . مرحبا يا خادم «أوزير» بوصفك روحا بين الأرواح وقسوة فى قبره الذى منحه إياه التساوع الأعظم الذين يأوون فى البيت العظيم ملك أمير «هليوبوليس» . اعمد الى وابق بجوارى ولا تبعدن عنى ، وإن قبرك هو ما واك ، وانى أطمئنك على نفسك . تأمل ، لقد أعطيتك عين (حور) وقد منحتك إياها . ولت عين حور التى ملك تكون نافذة لك وانك تخرج بها فى صحبة «ازيس» ، وتظهر فى الفجر فى سفينة الصباح ، وتكون صاحب قوة على السباحة وتخطو قدماك . وإنك ولدت لحور ووضعت ^(١) «لست» . والماء نق لك فى مضائق النهر ، وانك تسلم نصيبا قى مدينة «هليوبوليس» مع والدك أوزير ومع الإله «أتوم» ، وانك سترضه وتضمه بين ذراعيك ... يا «أوزير» العمدة والوزير محبوب «أنوبس» «رخ مى رع» .

تاريخ شعيرة فتح الفم : لا نزاع فى أن بعض الاحتفالات الدينية والتعاويد السحرية يرجع عهد استعمالها الى عهود غاية فى القدم ، غير أنه ليس لدينا براهين على أنها كانت تنظم وترتب فى صورة تمثيلية كما نشاهد فى مناظر تمثيلية فتح الفم المرسومة على جدران مقبرة «رخ مى رع» ، اللهم إلا إذا استثنينا ما جاء فى «متون الأهرام» عن هذه الشعيرة إذ أنها فى الواقع كانت تتلى فى صورة تدل على أنها تمثل (Sethe Pyr. Text. 9 b, 40) ، غير أن أول محاولة جديدة لجمع كل أجزاء هذه الشعيرة فى سلسلة واحدة متصلة الحلقات منطقية الترتيب هى التى نقرؤها فى المتون والصور التى تركها لنا «رخ مى رع» على جدران مقبرته ونستطيع أن نصل إلى تاريخ إقامة هذه الشعيرة من الفقرات التى نقرؤها فى المتن مشيرة إلى العهود القديمة التى كان يكتفى فيها بدفن الهياكل العظمية ، أى عند ما كان أهل المتوفى يرجون أن تضم أعضاؤه بعضها إلى بعض وألا يفصل الرأس من الجسم كما جاء ذكر ذلك مرارا وتكرارا فى متون الأهرام . والواقع أن إحياء الجسم أو المومية كما يقال عنها يرجع أصله إلى قصة «أوزير» إله الموتى وإحيائه بعد أن مرق «ست» أخوه أشلاء ثم جمعتها أخته «إزيس» ثانية ، ولا تختلف الرواية هنا عن الرواية القديمة

(١) راجع تفسير هذه العبارة فى كتاب الأدب المصرى القديم أدب الفراعنة الجزء الأول ص ١٣٦

إلا في أن « حور » الابن الأكبر لأوزير هو الذى يلعب دور إحياء المتوفى لا « إزيس » ؛ وذلك لأنه عند ما كانت ألأعيب « ست » الشيطانية التى كان يكيد بها لأخيه « أوزير » سائرة فى طريقها نجد أن « حور بن أوزير » قد ضحى بإحدى عينيه لنجاة والده ومن ثم أصبحت تلك العين التى ضحيت تدعى العين المقدسة كما أصبحت رمزا للتضحية ، كما يعتبر الصليب الآن عند المسيحيين رمزا للقداء مع الفارق أن عين « حور » كانت تعتبر رمزا لكل شئ مادى يفيد المتوفى مهما كان نوعه .

تمثيلية البعث : (راجع Plates V, 2 ; CV - CVII) وتنقسم شميرة فتح الفم فى ظاهرها قسمين ، وإن كانت فى الحقيقة شميرة واحدة . وتبتدئ بتمثيلية صغيرة لخلاص المتوفى ، فكان ينحت تماثال من الحجر أو من الخشب على هيئة المتوفى وهذا التمثال كان لا يراه أهل الراحل الذين أخذ منهم الحزن كل مأخذ لأنه فاقد الحياة ولا حراك به . ولكن الكهنة كانوا أولا يؤدّون له شعائر مختلفة خاصة بتطهيره ، ثم بعد ذلك يفهمون ابن صاحب التمثال الذى تغلب عليه اليأس والقنوط أن الحياة ستعود إلى والده فى هيئة تماثله ، وعلى ذلك يتعزف الابن الحزين على والده فى هذا التمثال ثم يجعل نفسه هو الحامى له . وبعد ذلك يحضر رمز التضحية (وهى العين المقدسة) لأجل أن يضمن القضاء على عدوّه وبذلك يخلص والده من كل الأمراض التى كانت قد نزلت به .

صورة تمثيلية لإحياء تماثال المتوفى : دلت كل الأحوال عند فحص الديانة المصرية القديمة وبخاصة ديانة الشعب على أن القوم كانوا لا يرغبون فى الاعتقاد فى الأشياء المعنوية بل كانوا يتمسكون بأهداب المحسّات التى تراها العين وتلمسها اليد وهذا هو السرفى تمثيل المصرى لمعبوداته فى صور مادية سواء أكانت حيوانات حية أو تماثيل جامدة . ولهذا نجد فى موضوعنا هنا أن القوم كانوا يرغبون فى وجوب عودة التمثال إلى أحواله أو بعبارة أخرى أحوال من يمثله عندما كان فى الحياة الدنيا فترجع إليه كل حواسه ، وهذا هو ما نشاهده هنا من الحوادث

التي تؤدي إلى هذه النتيجة، وتختصر في استعمال آلات سحرية وتلاوة تعاويذ تأتي بنتائج مدهشة . وقد أَرْضَى الكهنة عامة الشعب بذلك إذ جمعوا بين عمليات آلية يمكن فهمها وبين أخرى سحرية لا يمكن تصوُّر كنهها . وكانت هذه العمليات يتلو بعضها بعضا دون أن يكون لها نتيجة إيجابية .

حديقة لمسرات المتوفى : (Pls. CIX, CX, CXII, 3, 4.) ومن المناظر السارة التي خلفها لنا « رخ مى رخ » على جدران قبره حديقة غناء، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن ما يحيط بها من مناظر لم يبق منها إلا القليل جدا وكذلك أصبح من العسير علينا فهم الغرض منه تماما، ولكن لحسن الحظ حفظت لنا بعض النقوش التي كانت على المنظر الذي يحى معقله (Pl. CXIII, 3.) والظاهر أن المنظر كان يمثل « رخ مى رخ » « ومرت » زوجه جالسين إلى اليسار وأمامهما صفتان من النقوش، وكذلك نجد صفتين من الضيفان المذكور أسفل هذا المنظر والحديقة على اليمين . أما الصف الأعلى فكان يحتوى خدما محضرين طعاما لأكلة خفيفة ومقدارا عظيما من الأزهار . والمتمن المفسر لذلك هو « خذ أزهار البركة العطرة التي أحضرتها لك من خيرة النباتات التي في هذه الحدائق ، تأمل ! إن الخدم يحملون منتجات وأصنافا وسبقانا ذكية الرائحة من كل نوع ، لأجل أن تتمتع بملأها وتضر بقربانها، ولأجل أن يشاطر قلبك في نباتها النضر، ولأجل أن تعمل فيها ما تصبو إليه روحك أبد الأبدن » .

ولا نزاع في أن ذكر الأزهار وتقديمها هنا لم يكن عبثا لأن هذه الوجبة الخفيفة لم تكن تكرر للوجبة اليومية التي كان يتناولها المتوفى على مائدته بل الواقع أنها كانت لاحتفال خاص يحتمل أنه الاحتفال المعروف (عيد الوادى الجميل) ؛ وهو العيد الذي كان يحمل فيه تمثال « رخ مى رخ » من مقبرته ثم يوضع في قارب يمر حول البركة التي في وسط الحديقة (راجع Pl. CX, "Paintings", XX) ؛ وبذلك كان في استطاعته أن يشرف كرة أخرى على كل شيء ويتمتع بالنسيم العليل والروائح الذكية التي كانت تضيوع من أزهار الحديقة، ويجلس في ظلال أشجارها الوارفة .

كل هذا كان يجرى فى أثناء شعيرة «فتح الفم» غير أن هذا القناع الشفيف من الفرح ، الظاهر يتلاشى ويذهب جفاء عند ما يرى الإنسان النساء يطمئن الحدود ويظهرن جزعهن على الراحل الكريم مظهرات أن الموت مع كل ذلك قد نال النصر فى النهاية على الرغم من الاحتفالات العدة التى كانت تقام لفتح الفم ، وهذا المنظر الذى كانت تظهر فيه النساء جزعهن وحنهن لم يكن من المستطاع حذفه من تلك الصورة . وعلى الرغم من أن المثال أو بعبارة أخرى رجال الدين قد حاولوا أن يمثلوه فى أصغر حين ممكن بالنسبة لمنظر شعيرة فتح الفم ، ولكنه مع ذلك كان يحتوى على كل شئ فنشاهد فيه إلهى الحزن « إيزيس ، ونفتيس » وكذلك النسوة اللاتى كن يضعن بعض القربان أو يروين القبر ، يضاف إلى ذلك أولئك النسوة ذوات الشعور المرسله وزوجة الراحل التى كانت تحشو التراب على رأسها .

وبهذا سنحت الفرصة لمفتن مقبرة « رخ مى رع » أن يصور له حديقة خلابة نموذجية . على أننا لا نعلم إذا كانت هى حديقة قصر « رخ مى رع » أو هى التى كان مفروضا على وجه عام أن تكون من لوازم القبر المثالى ، فإذا كانت حديقة القصر فلا بد إذن أن يكون المبنى الذى على يسارها هو القصر . أما إذا كانت حديقة المقبرة فإن هذا المبنى يكون جوسقا أو مزارا خاصا للعبادة .

وإلى هنا نستودع هذا الوزير العظيم يتمتع براحة أبدية هو جدير بها بعد أن ترسم خطاه فقد أعدائه إلى نهاية المطاف ، فى حين كان أصدقاؤه يخمدونه بولاء وإخلاص فى إقامة شعائره التى أعدت من أجلها هذا المثوى الفاخر .

خاتمة : لا ريب فى أن من يلقى نظرة فاحصة على الاستعراض البارع الذى خلده لنا « رخ مى رع » فى المناظر والنقوش التى خلفها على جدران قبره الضخم عن الحياة المصرية يجد أنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة فى كل نواحي الحياة ومرافقها خاصة كانت أو عامة ودخلية كانت أم خارجية إلا أحصاها وأوضحها إيضاها كاملا شاملا . ولعمر الحق كانت هذه الصور وما تنطوى عليه من تفاصيل دقيقة عن حالة

اشعب الاجتماعية والخلقية والسياسية والدينية هي نسيج وحدها في كل ما وصل إلينا من صور التاريخ المصرى فى أى عصر من عصوره القديمة والحديثة من حيث الكمال والدقة والتفصيل . هذا فضلا عن أنها تصور لنا الحياة المصرية فى أزهر عصورها وأمجدها ، وهذه الصورة التى تصف الحياة الدنيا قد شفعت بأخرى تصف لنا الشرائع المصرية القديمة الدينية وما كانت تصبو إليه نفس المصرى فى الوصول إلى دار النعيم المقيم فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، من أجل ذلك نجد أن « رخ مى رع » جمع فى استعراضه الرائع نصيبه من الدنيا بما فيه من سعادة وشقاء وما كان ينتظره فى عالم الآخرة من ثواب وعقاب ، وكل على حسب ما أتى من الأعمال إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، وكل مهسر لما خلق له . ولا نزاع فى أن سيرة « رخ مى رع » لا تترك مجالا للشك فى أنه كان ميسرا للخير والمجد ، وقد سار فى طريقه حتى تسلم قته ونهج سبيل العدالة حتى أصبحت علما عليه . ولا غرابة فى ذلك فقد كان وزيرا لأعظم فراعنة مصر قدرة وذكاء وطول باع فى الحروب المظفرة . ولن نكون حائذين عن جادة الحق والانصاف إذاقررنا هنا أن « رخ مى رع » كان العامل الأكبر فى تمهيد السبل للفرعون « تحتمس الثالث » للظفر بأعدائه فى داخل البلاد وخارجها ، فقد هيا له كل ما يحتاج إليه حملاته المظفرة وفتوحه الشاسعة فى آسيا وأفريقيا . فقد كان « تحتمس الثالث » قائد مصر الفذ يسير كل عام على رأس جيوشه للفتح والغزو وهو مطمئن البال هادئ النفس من ناحية داخلية بلاده التى كان يدير شئوننا وينظم أحوالها رأس وزيره « رخ مى رع » العظيم ، فكان الفرعون يفتح الأمصار ويهبط الضرائب ويجمع الغنائم ثم يعود إلى مصر سنويا فى حين كان وزيره فى تلك الفترة يقوم بالتمير والإنشاء والإصلاح فى كل مرافق الحياة المصرية ويمد للفرعون ما عساه أن يحتاج إليه من عدة وعتاد للغزوة المقبلة ، ثم كان فى الوقت نفسه يسهر على راحة رعية مليكه ناشرا لواء العدل فى أنحاء البلاد ومتفقدنا تنفيذه بنفسه ومخيا ثروة

البلاد الطبيعية بكل ما أوتى من قوة عزيزة وأصالة رأى . ولا غرابة إذن في أن ينعت الفرعون بأنه مثله وصنوه في إدارة البلاد ولا فرق بينهما إلا أن الفرعون كان ينسب إلى نسل الإله الأعظم « رع » ، أما « رخ مى رع » فكان من نسل أسرة عريقة في المجد والشرف والجاه والمحدد الأئيل ، غير أنه على الرغم من هذا الفارق الأسمى كانت تجمعهما رابطة أقوى وأعظم أثرا في نفس الفرعون ، فقد كان « رخ مى رع » أخاه من الرضاعة وتلك صلة ما بعدها صلة ورابطة وثيقة مجدها الأديان الحديثة وجعلت أخوتها كاملة ؛ فهذان البطلان اللذان أرضعتهما « بت » (والدة رخ مى رع) بلبانها قد أتيا بالعجب العجيب معا في خلق مصر الجديدة سيطرت على العالم أكثر من أربعة قرون .

ولقد وفينا تحتمس حقه في غير هذا المكان . أما « رخ مى رع » فإننا إذا نظرنا نظرة إجمالية إلى مواهبه وحسن بلائه في إدارة سكان البلاد كما جاء في النقوش التي خلفها لنا على جدران قبره الضخم لحكمتنا بأنه قد أوتى من العلم والنشاط وطول الباع في تصريف شئون الدولة ما لم يستطع أن يأتيه أحد من السابقين أو اللاحقين من أبناء جلدته ، والواقع أنه كان مشرفا على كل نواحي الإدارة فكانت في يده أعظم سلطة قضائية . وكان هو المحرك لكل أصحاب الحرف والصناعات ، وكان هوروح التجارة الداخلية والخارجية وواضع نظم الضرائب وجبايتها والرى وحفر الترع وشئون الزراعة ؛ والمشرف على المباني والمدبر لأحوال الكهنة . وخلاصة القول أنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة من مرافق الحياة إلا أشرف عليها بنفسه من قريب أو بعيد ، بل بالغ في ذلك إذ كان أحيانا يوجه الصناع وأصحاب الحرف في مصانعهم حتى في أحقر الحرف وأدقها مما يدل على علم غزير وتجارب واسعة النطاق مما جعله في أعين الشعب الوزير المثالي في كل عصور التاريخ كما كان أخوه « تحتمس الثالث » الملك المنقطع القرنين في التاريخ المصرى القديم .

أمنحتب الثانى



وفاة تحتمس الثالث وتولية أمنحتب الثانى : لقد وضع أمانا القائد « أمنحباب » صورة صادقة عن وفاة « تحتمس الثالث » وتولى ابنه « أمنحتب » الثانى العرش مكانه عند ما يقول « لقد أتم الفرعون حياته الحافلة بالسنين بشجاعة وسلطان ونصر من السنة الأولى إلى السنة الرابعة والخمسين ، فى اليوم الثلاثين من الشهر الثالث من الفصل الثانى وهو حكم الملك « منخبر ورع » ثم صعد إلى السماء واتحد مع الشمس : واندمجت الأعضاء المقدسة مع بارئها ، وعندما انفلق الصبح وأشرقت الشمس وأضاءت السماء تربع « أمنحتب » الثانى على عرش والده وتلقب بالألقاب الملكية » .



(٣٨) مومية أمنحتب الثانى

وعلى إثر وفاة « تحتمس الثالث » ركب الوزير « رخ مى رع » متن سفينة عظيمة ومخر بها عباب النيل حيث كان ولى العهد فى مكان يدعى « حت سخم » (ومكانها بلدة « هو » الحالية بمركز نجع حمادى) وهناه بالملك .

نسأته : كان « أمنحتب » الثانى من الفرعنة القلائل العريقين فى النسب ، فقد ولد من أبوين يجرى فى عروقهم الدم الملكى ، فوالده « تحتمس الثالث » ابن الفرعون « تحتمس » الثانى ، وأمه هى الملكة « مريت رع حتشبسوت » ابنة الملكة « حتشبسوت » بنت « تحتمس الأول » كما فصلنا القول فى ذلك . ويدل ما لدينا من الآثار على أنه ولد فى « منف » عاصمة الملك الثانية ، إذ منذ حكم والده أصبحت البلاد مقسمة قسمين كبيرين يدير كل واحد منهما وزير خاص الأول مقره فى « طيبة » ويسيطر على الإقليم الذى يمتد من « أسوان » حتى « أسيوط » ، والثانى يسيطر على الجزء الواقع شمالى « أسيوط » حتى البحر الأبيض المتوسط ، ولدينا جعران قد نقش تذكر لولادته فى « منف » (راجع . A. S. Vol. XXXIX. P. 116.)

اللوحة التذكارية التى أقامها بجوار « بواهول » : وقد كشف حديثا عن لوحة فى الجهة الشمالية الشرقية من المكان الذى يربض فيه تمثال « بواهول » فى عام ١٩٣٦ ، وقد أقامها « أمنحتب » الثانى فى هذه الجهة تذكارا لزيارته لهذا الإله العظيم الذى كان كعبة ملوك الأسرة الثامنة عشرة ومن بعدهم يحجون إليه عند توليتهم عرش الملك كما سنرى بعد . وقد بنى « أمنحتب » معبدا صغيرا لهذه اللوحة وغيرها ، وقد كشف عن بقاياها أيضا ، واللوحة تعد من أعظم اللوحات التى كشف عنها وأكبرها حجما حتى الآن ، إذ يبلغ ارتفاعها نحو أربعة أمتار وخمسة وعشرين سنتيمترا ، وعرضها نحو مترين وثلاثة وخمسين سنتيمترا . وتنقسم هذه اللوحة قسمين . القسم الأعلى مثل فيه الفرعون « أمنحتب » يتعبد لصورة « بواهول » والقسم الأسفل يحتوى نص اللوحة الذى يعتبر من أهم النقوش

التي كشف عنها حديثا ، إذ يتحدثنا عن صفحة مجيدة في تاريخ حياة هذا الفرعون وتنشئته على يد والده كما يقدم لنا معلومات هامة عن ممارسته الرياضة ، وتربيته الخيل وأساليبها وعبادة « بو الهول » في تلك الفترة من تاريخ البلاد .

معلوماتنا عن « أمنحتب الثانى »

قبل كشف هذه اللوحة فى صفر سنة

غرامه بالرياضة البدنية : حقا يدل ما وصل إلينا من الرسوم والنقوش على أن « أمنحتب » الثانى كان رجل رياضة عظيما قوى العضلات . كما تدل موميته على أنه كان طويل القامة قوى الساعد .

والواقع أن « أمنحتب » ، كان مولعا بالرماية بل كانت شغله الشاغل طوال حياته منذ نعومة أظفاره ، إذ فى « طيبة » الغربية نجد ، فى القبر رقم ١٠٩ وهو قبر « مين » عمدة مدينة « طينة » وهو الذى حارب فى شبابه مع « تحتمس الثالث » فى حملاته ، لمحة طريفة عن طفولة « أمنحتب الثانى » . فقد كان « مين » هذا مدرب الأمير « أمنحتب » ، فنشاهده فى منظر قبره يحمل ملك المستقبل على حجره وهو عارى الجسم ، مما يدل على أنه كان لا يزال صغير السن جدا عندما وكل أمر تنشئة هذا الأمير لهذا الجندى القديم ، وفى منظر آخر تمتع فى نفس القبر نشاهد هذا الجندى وهو يدرّب « أمنحتب » على الرماية وقد كان يرتدى وقتئذ ثوبا شفيفا فضفاضا ، ومفوقا سهمه نحو هدف مستطيل الشكل كان قد أصاب الهدف فيه أربع مرات من قبل . وكان يقف خلفه مربيه « مين » مصححا لتلميذه الوضع الذى يجب عليه أن يتخذه لإصابة المرمى كما تدلنا على ذلك النقوش التى تقول : ” إنه (أى مين) قد تبن الصبي القواعد الأولى فى تعليم الرماية قائلا « شد القوس حتى أذنك ، واستعمل كل قوة ذراعيك وثبت السهم ياها الأمير « أمنحتب » . وهذا المنظر كتب فوقه العبارة التالية تفسيرا له : ” الأمير « أمنحتب » يتمتع بدرس فى الرماية فى ساحة القصر فى طينة “

(راجع : Davies, M. M. A. (1935), PP. 52, 53.)

متن لوحة (بوالهول) : أما متن لوحة « بوالهول » فينقسم بدوره قسمين :

(١) مديح الفرعون (ب) وأعماله .

(١) مديح الفرعون : ” يعيش « حور » ، الثور القوى ، صاحب القوة العظيمة ، ملك الوجه القليل والوجه البحرى ، ذو السلطان القوى ، الذى ظهر ملكا فى « طيبة » ، « حور » الذهبى — الذى يتقلب (على كل شئ) بصوليحانه فى كل الأراضى ، ملك الوجه القليل والوجه البحرى ، « عاخبورع » (= عظمة صورة رع =) ابن الشمس « أمنحتب » حاكم « هليوبوليس » الإلهى ، ابن « آمون » الذى خلفه ، ونسل « حور اختي » والبذرة الفاتحة من الأعضاء المقدسة ، ومن برأت صورته الإلهة « نيت » ، ومن أبجده فى الحياة ؛ إله مصر الأزلى ، لأجل أن يستولى على الملك الذى ضمه ، ومن جعله يظهر بنفسه ملكا على عرش الأحياء ، ومن منحه مصر تحت سلطانه ، والصحرار رعية له ، ومن نقل إليه إرثه مخلدا ، والملك إلى الأبد ، ومن أعطاه عرش الأرض (جب) ، ووظيفة الإله « آتوم » الفاتحة ، وملك « حور » و « ست » ونصيب إلهى الوجه القليل والوجه البحرى ، وسينتهما فى حياة وسعادة ، ومن وضع له بقته (ماعت) على جسمه ، ومن ثبت له تاجه على رأسه ، وهو الذى وطى النوبيين تحت نعليه ، وأهل الشمال يخنون لقوته ، وكل الأراضى الأجنبية تخافه ، وقد حزم له رؤساء قبائل البدو التسع ، والأرضان فى قبضته ، وأهل مصر فى وجل منه ، والآلهة يحبونّه ، وقد رقا « آمون » حاكما على ماتحيط به عينه ، وعلى ما يضيئه قرص الشمس ، ولقد استولى على مصر كلها ، والأرض الجنوبية والأرض الشمالية فى كنفه ، والأرض الحمراء تقدم له محاصيلها ، فى حين أن كل أرض أجنبية تحت حمايته ، وحدوده تصل الى ماتحيطه السماء ، والأراضى فى قبضته فى عقدة واحدة ، ولقد ظهر ملكا على العرش العظيم ضامنا لنفسه الساحرين العظيمين (التاجين) ، والتاجان العظيمان (بشت) منضمان على رأسه ، وأتخ (تاج رع) على جبينه ، وقد زين بحياه بتاجى الوجه القليل والوجه البحرى ؛ واستولى على المصابة والقبة الزرقاء ، والريشتان العظيمتان على رأسه ، والنمس (لباس الرأس) يغطى كتفيه ، وعلى ذلك ضمت تيجان « آتوم » ومنحتها صورته أى (صورة آتوم) على حسب أوامر الآلهة ، وأعطى الإله « آمون » الإله الأزلى الذى جعله يظهر الأوامر ليكون فى مقدوره أن يستولى على كل الأرض متحدة دون أن تنتقص (أعنى) ابن الشمس « أمنحتب » حاكم « إيون » الإلهى ، ووارث « رع » وبذرة « آمون » الفاتحة .

(١) كانت صورة الإله « ماعت » تعلق على صدر قاضى القضاة وهو الوزير بمثابة علامة على أنه هو الذى يفصل بالعدل فى أمور الناس فن كان فى جانبه الحق أمسك الوزير بتمثال العدالة الصغير الذى كان مطلقا فى صدره وأشار به نحوه من فى جانبه الحق .

والبيضة الرفيعة (الخارجة) عن الأعضاء المقدسة ، الواحد النبيل صاحب السلطة ، والواحد الذى عندما خرج من القرج كان متوجا بالتاج الأبيض والذى غزا الأرض بوصفه ملكا يجرى في عروقه الدم المصرى ، وهو الذى ليس أمامه عدو فنيا ترسل عليه عين « آتوم » أشعتها ، وقوة الإله « متسو » في أعضائه ، ومن انتصاراته مثل انتصارات آبن « نوت » ، وهو الذى حكم ووجد نبات الجنوب مع نبات الوجه البحرى (البشني والبردى) ، ومن أهل الجنوب وأهل الشمال فى جبل مت ، ومن نصيبه هو ما يضى عليه (رع) ، ومن يملك ما يكتفه المحيط العظيم ، ومن ساعد رسوله لا يقام فى كل أراضى « الفخو » ، ومن لا نظيره على أعداء حور (؟) ، ومن لا يوجد للإنسانية حام (غيره) . وهو الذى يأتى إليه أهل الجنوب منحنين ، وأهل الشمال ساجدين على بطونهم ، وكلهم منضون فى قبضته ، وهو الذى يشم صولجانه وموسمهم كأمر بذلك رب الآلهة « آموت رع — آتوم » ، ومن يفتح الأراضى مظفرا دون أن يكون له قرين فى كل الأبدية .

إحتلاؤه العرش وعلمه بفنون الحرب والرياضة : والآن أشرق جلالته ملكا ، وهو لا يزال شابا جبلا سليم الجسم بعد أن ختم الثامنة عشرة من عمره دابا على قدميه فى قوة ، وقد كان على علم بكل أعمال الإله « متسو » ، إذ كان متقطع النظر فى الميدان ، وكان ماهرا فى معرفة الخيل ، فلم يكن له مثل بين أولئك الجنود الكثيرين ، ولم يكن فى مقدور واحد منهم أن يشد قوسه ، ولا أن ياتاهضه فى الجرى على الأقدام .

أمنحتب الثانى المجدف : « وقد كان قوى الساعد لا يكل من التجديف . واتفق أنه كان يجدف فى مؤنزة سفينة الملكية المجهزة بمائتى بحار ، وقد تركوا الشاطئ . وجتفوا نحو نصف ميل غير أن قوتهم خارت ، وانحلت أعضاؤهم ، ولم يكن فى استطاعتهم النفس (بعد ذلك) ، ولكن جلالته كان قويا يجدها الذى كان يبلغ طوله عشرين ذراعا . فصادد الشاطئ . ثم نزل على البر بعد أن جدف مسافة ثلاثة أميال وهو مضاد للتيار دون أن يتوقف عن العمل ، وقد كان الأهلون ينظرون إليه مظهرين إعجابهم بذلك العمل .

أمنحتب الرامى : « ثم قام بالعمل التالى : وهو أنه شدد ثلثمائة قوس قوية بمنحنا إياها ليقرن عمل الصناع ليميز الخيث من الطيب من بينهم (فى الصناعة) . والآن حضروا قام ليعمل ما هو أمام وجوهكم : فدخل فى مكانه الشمالى ووجد أنه قد نصب له أربعة أهداف من النحاس الأسيرى ، سمك الواحد منها قدر كف اليد ، وبين كل هدف وما بعده عشرون ذراعا ، ثم ظهر بعد ذلك جلالته على مربته التى تجرها الجياد مثل الإله « متسو » فى شدة بأسه ، وشد قوسه ، وقبض على أربعة سهام معا ، ثم سار شمالا وأطلقها مثل « متسو » فى تأهبه (للقاتل) فنفذ سهمه من ظهر الهدف ، ثم رمى هدفا آخر .

وهذا هو الشيء الذى لم يؤت مثله من قبل ، ولم يسمع به فى القصص : « إن سبها قد فوق على هدف من النحاس ، وإنه تقذفه ساقطا على الأرض ، ولكن مثل هذا العمل قد حدث على يد الملك صاحب البأس الشديد ، ومن أعطاه الإله « آمون » القوة ألا وهو ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « عا خبرورع » الشجاع مثل « متو » .

أمنتحتب الخيال : « وعند ما كان أميراً حدث السن ، كان مقرماً بجياده ، ينعم بها وفرحاً يتمهدا ، وكان يعرف طبائنها ، كما كان ماهراً فى تدريبها متمقاً فى أحوالها ، ولما وصل خبر ذلك من القصر إلى مسامع والده « حور » الثور القوى الذى يشرق فى « طيبة » ، كان له أثر طيب فى قلب جلالة عند سماعه ، وفرح بما قيل عن ولده البكر وقال فى قلبه : إنه هو الذى سيكون سيد البلاد قاطبة » ، ولن يوجد من ينازله لأنه يضفى بنفسه لإحراز الشجاعة ، وينعم بالنصر ، وإنه لا يزال طفلاً رقيقاً ، ولم يصل بعد السن التى يأتى فيها بعمل « متو » ، ولكن تأمل ! فإنه قد تفاضى عن شجوات الجسم ، وأحب الشجاعة ، لأن الإله هو الذى وضع فى لبه أن يفعل هكذا حتى يستطيع أن تصبح مصر محمية به ، وتنحى إجلاله (؟)

وعندئذ قال جلالاته (تخمس الثالث) لمن كان فى حاشيته : لنمط أكرم الجياد فى حظيرة جلالاته التى فى « منف » وليقل له : اعتن بها واجعلها سلسة القيادة ، واجعلها تحب فى سيرها ، ورضها إذا كانت جائعة . . وبعد هذه المحادثة أخبر الابن الملكى أنه فى حل من القيام بالعناية بنجيل حظيرة الفرعون ، وقد قام بما عرض عليه ، وكان كل من الإله « رشف » والإله « عشت » مسرورين منه عندما رأياه يفعل كل شئ يحبه قلبه ، وقد ربي جياداً منقطعة النظير ، لايحقق بها التعب ، عندما كان يأخذ بمناتها ، وكان لا يتصب عرقها حتى بعد شوط بعيد ، وقد شد جياده فى « منف » وهو لا يزال صبياً ، ووقف عند محراب الإله « حورام أخت » (حرنخيس) أى (بواهل) ، وقد مكث مدة هناك جاثلاً حوله (بمرتبه) متأملاً جمال محراب « خوفو » و« خفرع » (المبجلين) ، وكان قلبه يتوق لإبقاء اسميهما حياً ، وأن يضمه فى قلبه ، والآن كان قد اعتاد أن يؤدى ما أمر به والده « رع » .

إهداء محراب الجيزة : « والآن بعد أن توج جلالاته ملكاً ، واتخذ الصل مكانه على رأسه ، ورض « رع » آوى إلى مكانه ، وعندما كانت البلاد فى أمان كما كانت من قبل فى عهد سيدهم ، وحكم « عا خبرورع » الأرض الأجنبية خاضعة لتعليه عندئذ تذكر جلالاته المكان الذى تمتع فيه بجوارأهرام « حورام أخت » « بواهل » فأصدر الأمر بإقامة محراب هناك على أن تحت لوحة من الحجر الجسمى الأبيض يكتب عليها اسمه العظيم « عا خبرورع » محبوب « حرنخيس » معطى الحياة مخلداً .

التعليق على هذا النص : ولا نزاع في أن نص هذه اللوحة يكشف لنا عن صفحة مجيدة في تاريخ حياة الفرعون بل في تاريخ الحياة المصرية من الوجهة الرياضية والحربية ومقدار شغف الملوك والشعب بهما ، فنعلم زيادة على المدائح والنموت التي كان يوصف بها الفرعون عادة ، أن « أمنحتب الثاني » تولى عرش البلاد في ختام الثامنة عشرة من عمره بعد وفاة والده العظيم « تحتمس الثالث » مباشرة ، ولدينا نقوش قد تدل على أنه كان مشتركاً معه في الملك مدة ما ، لا نعرف مداها على وجه التحقيق . وقد كان أوّل من قدّر بمحق عمر « أمنحتب الثاني » عند توليته عرش الملك هو السير « فلنדרز بترى » (راجع Petrie, "History", (Il. P. 154.

ثم نجد بعد أوصاف هذا الفرعون عرضاً رائعاً لضروب أنواع الرياضة البدنية التي حذقها هذا الفرعون وهو لا يزال يافعاً ، ولا نزاع في أنها كانت بتوجيه من والده الذي كان كما سبق يحمي ضروب الرياضة ويتفوق فيها على رجال جيشه قاطبة ، غير أن « أمنحتب » قد تخطى والده في صنوف منها وأحرز قصب السبق في ضروب لم نعرف أن والده قد زاوطها . وتدل الظواهر على أن « أمنحتب » الثاني لم يكن مولوداً في « منف » عاصمة الملك الثانية وحسب ، بل كذلك قد تربى فيها ، ولا يبعد أنه كان في أثناء اشتراكه مع والده في الحكم قد اتخذ مقر ملكه في إحدى العاصمتين ، قبلنا كان « تحتمس » يسكن « طيبة » كان « أمنحتب » ابنه قد اتخذ مقره في « منف » ؛ ونشاهد أن بطلنا كان قد أخذ ينكب على التمرينات الرياضية المحببة إليه وإلى والده ، وقد رأى معلموه أن يدرّبه بإرشاد من والده طبعاً أولاً على الجرى أشواطاً بعيدة حتى أصبح لا يدانيه في هذا المضمار جندي من رجال الجيش المدربين ، ثم نجده قد درّب على التجديف في النيل الذي كان يعدّ في تلك الأزمان أعظم طرق المواصلات والتجارة ، فراه يركب ظهر سفينة كبيرة من سفن القصر معدّة بمائتي مجدّف وهو واقف في الخلف

يقبض بيديه على مجداف طوله أكثر من عشرة أمتار (يحتمل أنه الدفة) . وتدل الأحوال على أن السير في النيل كان صعبا بسبب التيار، فزى أنه بعد أن قطع المجدفون الذين كانوا بصحبته نحو نصف ميل خارت قواهم وتلاشت عزيمتهم، ولم يكذب يري « أمنتحب » ذلك حتى جاء لمعوتهم ، وأخذ يجدف وحده بقوة ونشاط ومثابة لا تعرف الملل لدرجة أنه قطع بمفرده نحو ستة كيلومترات ووصل بالسفينة إلى البر بصورة رائعة تسترعى النظر وتدهش اللب . حقا إن القارئ الحديث لا يكاد يصدق أنه كان في استطاعة بشر أن يأتي بمثل هذا العمل الخارق لكل ماهو مألوف، ولكن لا يفوته أن ملوك مصر كانوا من نسل الآلهة، وكان لابد لهم أن يفوقوا البشر في كل شيء يعملونه ! ! ثم نرى هذا الأمير الفتى يعرض أمامنا صورة أخرى من تفوقه في ضروب الرياضة البدنية والمهارة اليدوية . فبعد أن حاز قصب السبق في مضمار التجديف نجده يقباز في تفويق سهامه في الرماية، فقد كان الرماة في سالف الأزمان يكتفون برمي الهدف وإصابته، ولكن منذ استعمال الخيل والعربات في الصيد والحروب كان من مستلزمات فارس العربية أن يكون ماهرا في الرماية وهو في عربته ، ويكون قادرا على إصابة مرماه على الرغم من حركات الخيل وقفزها بسرعة عظيمة .

وقد أراد « أمنتحب » الثاني فضلا عن ذلك أن يظهر فوقه في ضروب الرماية على والده « تخمس الثالث » الذي كان على ما نعلم أول من استعمل هدفا من النحاس بدلا من الهدف الذي كان يصنع عادة من الخشب . وقد اختار البقعة التي تحيط « بمنف » على مقربة من السهل الذي أقيم فيه الأهرام و « بو الهول » ، وهذه الجهة كانت على ما يظهر مسرحا مختارا للصيد والقنص . وتحديثا النقوش أن الفرعون قد بذل مجهودا عظيما في العناية باختيار السلاح الذي أراد استعماله في رمايته، إذ قد امتحن نحو ثلثمائة قوس على التعاقب لمعجم عودها، ويعرف عنها من ثمينها ، ثم انطلق بعد اختيار سهامه في ميدان الرماية حيث كان قد نصب

له أربعة أهداف على مسافات متساوية كل هدف منها صنع من لوح من النحاس سمكه يساوى سمك راحة اليد، وعندئذ فوق سهامه بدقة وحذق وقوة ساعد، فلم يطش منها سهم واحد. هذا فضلا عن أن كل سهم قد اخترق هدفه النحاسى ومرق فى الجهة الأخرى هاويا على الأرض . وبذلك فاق والده فى الرماية لأن سهم الأخير على الرغم من أنه قد أصاب الهدف إلا أنه لم ينفذ كله منه إلى الجهة الأخرى . إذ يقول المتن ”وقد فوق سهامه على لوحة من النحاس بعد أن تهشمت كل الأخشاب كأنها البراع ، وقد وضع جلالته واحدا منها فى معبد « آمون » وهو هدفٌ سمكه ثلاث أصابع رشق فيه سهم من سهامه ، وقد جعل السهم ينفذ فى الهدف مقدار ثلاثة أشبار من الجانب الآخر“ .

ومن هذا نعلم أنه ضرب الرقم القياسى فى الرماية . وبهذه المناسبة لا يسعنا إلا الإعجاب بالمهارة الفنية التى قاد بها هذا الأمير عربته وساق بها جياده وهو يفوق سهامه ، وقد كان « تحتمس » الثالث الذى ينسب إليه هذا الفضل يحس حسن مستقبل ابنه فى هذا الميدان إلى أبعد حد، ولذلك نجده قد سلمه قياد أكرم جياده التى كانت تربي فى الحظيرة الملكية « بمنف » ، وكذلك وكل إليه أمر تدريبها، وقد برهن « أمنتحتب » من ناحيته على أنه كان خليقا بهذه الثقة الغالية تماما، فنجده قد درّب جياده على كل أنواع السير كما مرّنها على الجرى أشواطا بعيدة دون أن يلحقها تعب لدرجة أنها كانت تقطع المسافات الشاسعة عدوا من غير أن يسيل عرقها . وقد ترك لنا « أمنتحتب » الثانى برهانا قاطعا على حسن عنايته وتعهده لجيله، إذ قد عثر على لوحة صغيرة من « الكرنين » (حجر الدم) مثل عليها هذا الفرعون وهو يقدم العلف لجواده بنفسه، وقد قلده فى ذلك « رعمسيس الثانى » كما سنرى ذلك بعد (راجع Hall, "Catalogue of Scarabs" I. P. 161, No. 1640) .

وفى خلال إحدى الجولات التى كان يقوم بها للرياضة فى سهل « منف » أدى به المطاف إلى الوقوف فى بقعة بجوار تمثال « بو الهول » العظيم (وهو الذى يمثل

صورة إله الشمس) الذى يريض فى حرم معبد « خفرع » ، وقد أعجب بجبال هذا التمثال الذى أصبح محبا للزوار من الملوك وغيرهم . وقد بقيت فى نفسه ذكريات عميقة الأثر لهذه الزيارة ولتلك المحطات السعيدة التى أمضاها بجواره ، حتى أنه لما اعتلى عرش الملك كان من أول أعماله إقامة لوحة تذكارية للزيارة وتبركا بهذا الإله العظيم الذى كان يعتبر فى عصره من أعظم الآلهة المصرية ، كما أقام محرابا لهذه اللوحة كان قبلة الزوار للوك من أخلافه ، وكعبة تركوا لنا فيها آثارهم .

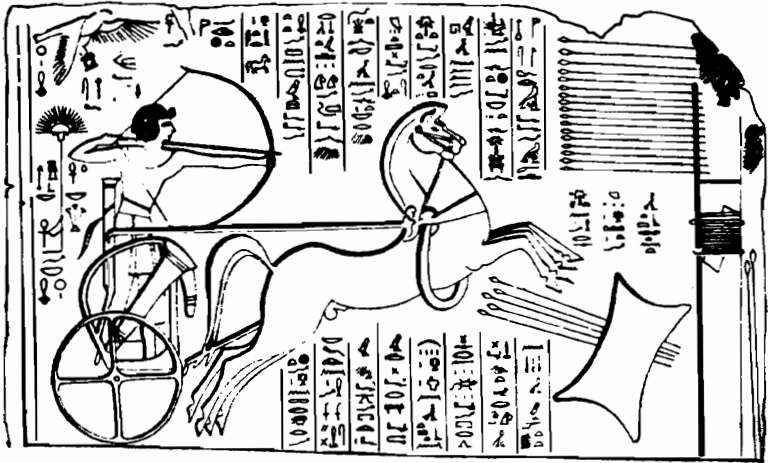
ولقد حقق « أمنتب » فراسة والده فى مستقبله فبرهن على أنه كان ملكا نشيطا ومحاربا لا يجد الخوف إلى قلبه سبيلا ، فقد ظهر متصرا فى ساحة الوغى أكثر من مرة على أعدائه فى « آسيا » كما سنرى ، على أن انهماكه فى مكافحة التائرين فى البلاد الخاضعة لمصر لم يمنعه من زواله ضروب الرياضة المحببة إليه فى أثناء فراغه ، حتى وهو فى ساحة الوغى كما تدل على ذلك الوثائق المختلفة التى وصلتنا حتى الآن .

مشاهد أخرى يظهر فيها أمنتب مهارته فى الرماية : فقد عثر

مهندس البناء « شفرييه » (A. S. Vol. XXVIII P. 126 Fig. 5) . فى أثناء إصلاح البوابة الثالثة التى أقامها الفرعون « أمنتب » الثالث على قطعة منخضة من الحجر ، زين أحد وجوها بمنظر مثل فيه الفرعون « أمنتب الثانى » ، وهو يفوق سهمه لإصابة الهدف ، هوايته المحببة . وهذا المنظر يكاد يكون شرحا مصورا للثن الذى جاء فى لوحة « بواهل » الخاص بالرماية (أنظر لوحة ٣٩) ، غير أنه يشير إلى مفخرة أخرى من مفاخره فى هذا المضمار ، إذ نشاهد فيه « أمنتب » يتقدم بمرسته التى يجرها جوادان من أصائل الخيل تحفه أبهة الملك وعظمته فراه خلال سير العربية وهو يفوق سهمه بدقة ويشد قوسه بقوة حتى أذنه كما دزبه على ذلك معلمه « مين » ثم يطلق السهم تلو السهم فيصيب المرمى أربع عشرة إصابة ، وهذا الهدف الذى كانت تفوق إليه السهام هو قطعة من النحاس مستطيلة الشكل . والنقوش التى

على هذا المنظر تفسر ما قام به الفرعون في هذا المضمار فاستمع إليها : الإله الطيب
السخى بقرته ، والذي يعمل بساعديه في مقدمة جيشه ، والقوى البأس في معالجة قوسه ، ومن يفوق
سهامه بجذق فلا تخلى . هدفها ، ومن يصوّب سهامه على قوالب من النحاس فيخرقها كأنها لإصامة بردى ،
إذ لم يكن هدفه المصنوع من الخشب يشيع طموحه لأن قوته كانت عظيمة جدا وساعده شديد مقطع الظفر
بل هو الإله « متو » عندما يظهر على عربته .

وكذلك عثر على قطعة من النحاس منحنية الجانبين وهى تشبه ركيزة من المعدن
الغفل كانت مما يقدم أحيانا جزية . وقد استعملت هدفا . وقد وجدت على الأرض
وشوهد أنه قد مرق فيها أربعة أسهم ، ويقول المتن المفسر لها : إنها قالب عظيم
(هدف) من النحاس الغفل كان يستعمله جلاكه هدفا وكان سمكه ثلاث أصابع (ستة سنتيمترات) .
وقد اخترقه صاحب القوة العظيمة بعدة سهام ، وجعلها تنفذ في هذا الهدف الذى يبلغ طوله ثلاثة
أشبار ، وأنه هو الذى يفوق سهامه بضربات متتالية ، وهو صاحب الساعد المتفوق ، ورب القوة ،
وإن جلالة قد أنهى هذا العمل العظيم أمام العالم أجمع . (راجع Van de Walle, "Les Rois
Sportifs de l'Ancienne Egypte". Chronique d'Egypte; Vol. XIII
No. 26 Juillet 1938, pp. 234-257. وفى « الممدود » عثر له على قطعة من الحجر



(٣٩) أسنحتب يفوق سبمه لإصابة الهدف

(راجع Bisson de la Roque. "Medamoud" (1927 - 1928) P. 145. جاء متقوشا عليها « إن السهم الملكى (أمنحتب) قد اخترق سبعة أسياع طول الهدف ، وأن الفرعون قد تحدى أى شخص كان فى أن يأتى بمثل هذا العمل الفريد » .

نقوش لوحتى «أمدأ» : ولايسعنا بعد سلسلة البراهين والشواهد التى أوردناها هنا على نبوغ « أمنحتب الثانى » فى فنون الرياضة والفروسية إلا أن ثبت هنا مع سلف مقدمة النقش التذكارى الذى دقنه على اللوحين اللتين أقيمتا فى معبدى « أمدأ » و « إلفنتين » إذ أن هذه المقدمة قد رسمت أمامنا بالفاظ معبرة عن صورة هذا الفرعون الشجاع الجسمية والخلقية معا ، وعلى الرغم من أن معظم هذه الأوصاف كانت تقليدية تقال فى وصف كل فرعون إن صدقا وإن كذبا ، إلا أن الإنسان لا يسمعه إلا اعتبارها حقيقة إلى حد ما عندما يوصف بها « أمنحتب »

الثانى (راجع L. D. III, Pl. 65; Kuentz, "Deux Steles d'Amenophis II. (Steles d'Amada et d'Elephantine) Bibliotheque d'Etude de l'Institute Français d'Archeologie Orientale du Caire" Vol. X (Cairo, 1925) pp. 6 - 12; Schafer, A. Z. XXXVIII, p. 67; Sethe, ibid, XLVII, p. 85.

وهاك هذه المقدمة : « السنة الثالثة الشهر الثالث من الفصل الثالث اليوم الخامس عشر من حكم جلالة ... أمنحتب الثانى ... الإله الطيب الذى برأه « رع » والذى خرج من جسمه القوى ، وصورة « حور » على عرش والده ، والعظيم البأس ، من لا نظير له ، والمنقطع القرين ، الفرعون ذو المساعد العظيم الخطر ، ومن لا يستطيع فرد من بين جنوده ولا من بين رؤساء البلاد الهمج (الهكسوس) ، ولا من بين امراء سوريا أن يشد قوسه ^(١) ، لأن قوته جعلته يفوق قوة أى ملك ، ولا يوجد من فى مقدوره أن يحارب بجانبه ، فهو رام شديد فى المعركة ، وثور يحمى مصر ، ثابت الجنان فى ساحة الوغى

(١) وهذه العبارة هى أساس الخرافة المعروفة التى ذكرها « هردوت » وهى التى تمثل بحجر الملك « قبيز » عن شد قوس ملك « ايثوبيا » ، (راجع A. Z. XXXVIII, P. 66) ، وهى عبارة نصادفها عادة مذكورة فى المؤلفات القديمة ، ومن المدهش أنه عثر على قوس « أمنحتب » الثانى فى قبره وقد نقش عليه نص يصفه بأنه ضارب الهمج ، وهازم الكوش ، ونحرب المدن ... وجدار مصر العظيم وحامى جنوده (Cairo Catalogue 24120) .

عندما نحن ساعة التخريب ، وساحق أولئك الذين يثورون عليه ، وصاحب القلعة السريعة على أنوار المجمع كلهم رجالهم وخيلهم حينما ينازلونه بالآلاف الآلاف ، لأنهم يعرفون أن الإله « أمون » كان حليفه ، ولأنه لا يفر ، بل القوة في أعضائه ، وهو شبه الإله « مين » في عام الفزع ، ولا يوجد إنسان في مقدوره أن يثبت أمامه ، يعامل أقرانه بمثابة خارجين ، وكذلك قبائل البدو التسع . ولا غرابة إذن في أن يقلده الملوك الذين جاءوا بعده .

أمنحتب الثانى يقلد والده فى كل أعماله : والظاهر أن « أمنحتب » الثانى كان يقلد والده فى كل مراحل حياته من حيث الرياضة ، والحروب ، وحتى فى الصيد والقنص فى خلال حملاته فى البلاد النائية . فسنرى أنه بعد أن خضعت له بلدة « قادش » التى كانت من أعظم البلاد التى قاومت والده مدة طويلة دون أن تخضع لسلطانه ، قد قام بنزهات للصيد والقنص كما قام والده فى « نهرين » بصيد الفيلة ، وفى بلاد السودان بصيد الأسود والثيران الوحشية ثم بصيد وحيد القرن (خريت) ، فرى « أمنحتب » يخرج فى غابات جبال « رايو » للصيد والقنص فيطارد فيها الغزلان والمهارى والأرانب الوحشية ، والحير البرية ويصيد منها عددا يخطئه العد .

هروب أمنحتب الثانى

بقيت معلوماتنا عن الحروب التى شنها الفرعون « أمنحتب الثانى » فى آسيا مقصورة على ما دون على لوحة « الكرنك » المهشمة التى نشرها « لجران » (راجع A. Z., Vol. XL, (1903) P. 126.) إلى أن كشف الدكتور « أحمد بدوى » عن اللوحة التاريخية العظيمة فى خرائب « منف » ، وهى التى تحدثنا عن حروب هذا الفرعون بصورة جلية كاملة إذا ما قرناها باللوحة التى نشرها « لجران » . وقد نشر الدكتور « أحمد بدوى » عن كشفه الجديد فى مقال رائع ترجم فيه النص وقرن

بعض جملة بما جاء في لوحة « الكرنك » من الوجهة اللغوية . وسنورد هنا نص لوحة « منف » بأكمله ثم نعلق عليه مع قرنه بلوحة « الكرنك » في الجزء المشترك بينهما (راجع A. S. Vol. XLII. P. 1ff.) .

موازنة بين لوحتي « الكرنك » و « منف »

وصف لوحة منف^(١) : يبلغ طول هذه اللوحة ٢,٨٥ سنتيمترا، وهي من الحجر الرملى الأحمر المستخرج من محاجر الجبل الأحمر بالقرب من العباسية ، وفي أعلاها المستدير قرص الشمس المجنح ، وفي أسفله منظران أحدهما يشاهد فيه الملك يقدم إناءين من الخمر للإله « آمون » والثاني يشاهد فيه الفرعون يتعبد للإله « بتاح رب منف » وأسفل هذين المنظرين يوجد المتن ويحتوى على أربعة وثلاثين سطرا. وقد تحدث فيها الفرعون عن أعماله الحربية ، وتنقسم قسمين هامين : الأول يصف لنا حروبه مع بلاد « رتنو » في السنة السابعة من حكمه ، والقسم الثانى يتحدث عن حروبه مع الولايات الصغيرة الواقعة في شمال فلسطين في العام التاسع من حكمه .

(١) ويلاحظ أن لوحة « الكرنك » كانت من الجرانيت الوردى اللون ، وقد عثر عليها « شميليون » مرتكزة على البوابة الثانية من الجنوب في « الكرنك » ، وقد وجدت مهشمة تهشما كبيرا . وفي الجزء الأعلى منها منظران يظهر في كل منهما الملك « أمنحتب » الثانى يقدم القربان لاله « آمون » وبين هذين المنظرين سطر من النقوش يذكر الإصلاحات التى قام بها « سيقى » الأول لهذا الأثر بعد أن ألقه رجال « إخناتون » ، وما هو جدير بالملاحظة هنا أن المتن يشتمل على أغلاط كثيرة ؛ ويرجع السبب في ذلك إلى إهمال أولئك الذين قاموا بإصلاح هذا المتن في عهد « سيقى » الأول بعد المهر الذى قام به رسل « إخناتون » في أثناء محاربته ديانة « آمون » .

النص المصري

مقدمة^(١) : السنة السابعة ، الشهر الأول من فصل الشتاء ، اليوم الخامس والعشرون من عهد جلالة « حور » (الملك) ، الثور القوي ، حاد القرنين ، سيد التاجين ، عظيم القوة ، المتوج في « طيبة » « حور » الذهبي : الفاتح والمسيطر على البلاد كلها ، ملك الوجه القبلي والوجه البحري : سيد الأرضين « عاخبوروع » ابن الشمس : « أمنتب المقدس » (أمير هليوبوليس) ومعلى الحياة مخلدا ، والمائل « رع » ، وابن « آمون » والجالس على عرش والده : وقد خلقه أعظم قوة وأشد بأسا بالنسبة لمن خلقهم من قبل ، ولذلك هزم جلالة أرض « نهرين » وفك قوسه بهم ، وهو الفاتح بظفروشة بأس ، مثل « متو » عند ما يظهر مدججا بأسلحته . وقلبه فرح عند ما يقع نظره عليهم ، لأنه يأخذ بنواحي التاثرين .

التعليق : ذكرنا فيما سبق أن الفرعون « تحتمس الثالث » قد توفى في السنة الرابعة والخمسين ، الشهر الثالث ، من فصل الشتاء اليوم الأخير من الشهر ، كما ذكر لنا « أمنتحاب » في تاريخ حياته ، وعلى أثر ذلك تولى « أمنتب الثاني » عرش الملك ، وقد ذكرت لنا لوحة الجيزة أن « أمنتب الثاني » تولى عرش الملك

(١) نجد التاريخ في لوحة « الكرنك » مهشا ، وقد ذهب « برست » وغيره الى أنه في السنة الثانية من حكم هذا الفرعون ارتكانا منهم على ما جاء في لوحة « أمدا » التي أقامها هذا الفرعون في هذه الجهة بد حروبه الأولى ويقول فيها : إنه عاد من حملته الأولى في بلاد « آسيا » . ولذلك يعتبر المؤرخون أن هذه الحروب قد وقعت من غير شك في السنة الأولى أو الثانية من حكمه ، وبخاصة لأنه أحضر معه أمراء أسرى من بلاد « تحشى » وذبهم في « طيبة » و « نباتا » . غير أن هذا التاريخ لا يتفق مع ما جاء في متن لوحة « منف » التي يقول فيها : انه زحف بجيشه في السنة السابعة في حملته الأولى الى « آسيا » وكذلك متن لوحة « الكرنك » لا يتفق في كثير من التفاصيل مع متن لوحة « منف » كما سنرى . وهناك مقدمة لوحة الكرنك : [السنة الثانية (؟)] ... في عهد جلالة « حور » الثور القوي ، عظيم القوة ... جزء من « اتوم » ، محبوب الإلهين : العظيم في الفنى ، المتوج في طيبة ، حور الذهبي ، الذى يقبض بقوته على كل الأراضى ، [ملك الوجه القبلي والوجه البحري] ... الأتصر ، « عاخبوروع » سيد ... السيف الذى يالسل الأقواس التسعة ، ابن الشمس من جسمه ، رب كل الممالك ، « أمنتب الثاني » حاكم « هليوبوليس » المقدس ، معلى الحياة مخلدا مثل « رع » ، فهذه المقدمة بغض النظر عن ألقاب الفرعون لا تنطبق في قليل أو كثير مع مقدمة لوحة « منف » . (راجع Breashed. A. R. Vol. II. § 782ff.)

في العبارة التالية : ”والآن أشرق جلالة ملكا وهو لا يزال شابا جويلا سليم الجسم بعد أن أتم الثانية عشرة من عمره دابا على سافيه في قوة“؛ وقد قام حينئذ بحملته التي ذكرت على اللوحة التي نحن بصدددها الآن في السنة الخامسة والعشرين من عمره أى أنه كان وقت سيره على رأسها قد اكتملت تجاربه الحربية، وبخاصة أنه كان قد عاد من خوض غمار حرب قبلها في السنة الثالثة، الشهر الثالث من فصل الشتاء، اليوم الخامس بعد أن أوقع هزيمة بأمير « تخسى » في شمال « سوريا » كما جاء ذكر ذلك على لوحتي « أمدا » و « الفتين » .

الفرعون يخرب شماش^(١) إدوم : (راجع Gardiner, "Onomastica," I. P. 139 & 164.) زحف جلالة على بلاد « رتنو » في حملته الأولى المفخرة ليوسع حدوده على حساب أولئك الذين لم يظهروا له الولاء . وقد كان يحياه ينبعث منه الخوف مثل وجه الإلهة « باستت » والإله « ستخ » في ساعة غضبهما . ووصل جلالاته بلدة « شماش أدوم » ونهبها في طرفة عين كالأسد المصور عند ما يجوب الصحراء . وقد كان جلالاته يركب عربته الحربية التي كانت تسمى « آمون قوى » و « موت » راضية ، و « خنسو » هو صاحب المشاريع الطيبة .

قائمة بالغنائم التي كسبها بسيفه في هذا اليوم : ثلاثة وثلاثون أسيرا واثنان وعشرون ثورا .^(٢)

(١) هذه البلدة ذكرت في قائمة بلدان سوريا التي فتحها « تحتمس الثالث » وقد وحدها « مسيرو » ببلدة « خربة آدماء » غير أن ذلك لا يطابق الواقع (راجع Maspero "Fragments d'une Etude sur la Geographie Egyptienne de la Syrie". Etudes de Mythologie et d'Archeologie Egyptienne" V. PP. 132 - 133. .

(٢) وجاء في متن « الكرنك » ما يأتي :

كان جلالاته في مدينة « شماش أدوم » وقد ضرب جلالاته مثلا للشجاعة هناك . وقد حارب يدا ليد ، تأمل ! إنه كان مثل أسد مفترس العين ضاربا أقاليم لبنان (رمن) ... واسمه كان

قائمة بالغنائم التي استولى عليها جلالاته في هذا اليوم : ثمانية عشر أسيرا وستة عشر جوادا . فهذا المتن إذا ما قرن بمتن لوحة « منف » لا يتفق معه في شيء اللهم إلا في ذكر بلدة « شماش أدوم » غير أنه قد جاءت جملة في متن لوحة « منف » قد تشير بأن الفرعون كان قد قام بحملة قبل ذلك الوقت على هذه البلدة وهي الجملة الأولى التي يقول فيها ، إنه قد زحف على بلاد « رتنو » في حملته الأولى =

وقوع معركة بعد اجتياز نهر الأرنط (نهر العاصي)^(١) : وبعد ذلك اجتاز جلالة نهر «الأرنط» (نهر العاصي) فاقحمه مثل الإله «رشف» ، ومن ثم قتل راجعا ليحمي مؤخرته ، إذ كان قد لمح بعض الأسويين قد قدموا منسللين وهم مدبجون بأسلحتهم لمهاجمة جيش القروون . وعندئذ انقض جلالته عليهم انقضا الصقر الإلمى . وعلى الرغم مما كانوا عليه من نقه وطيدة فإن قلوبهم قد تحاذلت الآن ، إذ تساقط الواحد منهم فوق زميله حتى قاتلهم ، على أنه لم يكن بجانب جلالته أحد بل كان منفردا ومعه سيفه البثار فأهلكهم جلالته بسهامه ، وتقدم بقلب فرج مثل الإله «متو» شديد القوى بعد أن أحرز النصر على الأعداء .

قائمة بالأسلاب التي غنمها جلالته في هذا اليوم : أميران ، ستة أشراف مع عربات قتالهم ، وخيولهم ، وكل أسلحتهم^(٢) .

مدينة «ني» تسلم بدون مقاومة شديدة : وبعد ذلك زحف جلالته نحو بلاد «ني» . غير أن أمير هذه البلاد وروباياه من رجال ونساء قد أظهروا الولاء والطاعة ، وظهرت

= ليوسع حدوده على حساب أولئك الذين لم يظهروا له الولاء ، إذ قد فهم من ذلك أنه قد أدهم مرة ، ولكنهم قد عادوا إلى شؤ عصا الطاعة ثانية فخار بهم ، غير أن ما يلي من المتن يشعر بتقارب المتنين ثانية وأن الحملة في كلا المتنين واحدة .

(١) وجاء في متن «الكرنك» ما يأتي : الشهر الأول من الفصل الثالث ، اليوم السادس والعشرون . عبر جلالته مجرى نهر «الأرنط» ، في هذا اليوم ، وجعل يعبر [...] مثل «متو» صاحب «طيبة» ، وقد رفع جلالته ذراعه لأجل أن يرى آثار الأرض (الأفق) وقد لمح جلالته شرذمة من الأسويين آتين على جيادهم [...] آتين عدوا . تأمل إن جلالته كانت مسلحا بأسلحة الواقعة وقد ظهر جلالته (على العدو) بقوة [الإله «ست»] في ساعته (أي ساعة غضبه) فتقهقروا عند ما صوب جلالته النظر لواحد منهم ، وبعد ذلك هزم جلالته بنفسه ... بحربته [...] تأمل فإنه حل هذا الأسوي (أسيرا [...] وخيله) وحررته وكل أسلحة قتاله . وقد عاد جلالته بقلب فرج لوالده «آمون» . ومنحه (أي الملك) عيدا [...] .

(٢) وجاء في متن الكرنك : قائمة بما أسره جلالته في هذا اليوم : جوادان ، وعربة واحدة ، ودرع ، وقوسان ، وكفانة مملوءة بالسهام ، وزود ، و [...] . ومن ذلك فعل أن الحوادث فيها تشابه غير أن الغنائم كانت مختلفة .

على وجوههم الدهشة (وقد جاءت هذه العبارة في متن الكرنك هكذا . وقد كان سوريو هذه المدينة رجالا ونساء واقفين على جدرانهم ودهشوا من الإله الطيب » .

الملك يستولى على أوجاريت : « وبعد ذلك ضرب جلالة مرادقه بالقرب من « أوجاريت »^(١) وتقلب على كل أعدائه هناك . وقد أهلكهم كأن لم يفتوا بالأس ، إذ جعل عاليهم سافلهم ثم قفل راجعا فرح القلب بعد أن أصبحت هذه الأراضي الأجنبية قاطبة ملكا خاصا له » .

الملك يضرب خيامه في « تارنخى » وغيرها من الأماكن الحربية : « وبعد ذلك عسكر جلالة على مقربة من « تارنخى »^(٢) وهى فى شرق « شماش رام »^(٣) (= الشمس العالية) . وقد خرب قري « منزاتو »^(٤) (Mindatu) ووصل جلالة حتى « هثرا » نخرج أميرها بقلب فرح لمقابلة جلالة ومعه أولاده ومناعه ، وكذلك استقبل جلالة أهل بلاد ينكا (Unka) بسرور »^(٥) .

قادش تمقديمين الإخلاص للملك : « وبعد ذلك وصل جلالة أمام « قادش » نخرج أميرها لمقابلة جلالة بسرور ، وعقد هو وأولاده يمين الإخلاص لجلالة » .

(١) وكان جلالة قد سمع (على ما جاء فى متن الكرنك) أن بعض السوريين الذين كانوا فى مدينة « أوجاريت » قد عقدوا الأيمان أن يعطوا الأوامر على طرد حامية جلالة التى كانت فى هذه المدينة . ومن أجل ذلك ذبحهم وخلص المدينة منهم .

(٢) « تارنخى » أو « تانخى » : ذكر هذا المكان فى خطابات « تل الهارنة » (١٢٦، ٥٠، ١) وكتبت « سانخى » وهو المكان المعروف بجبل الأفرع وهو الذى يسميه اليونان (Kasion) وفيه كان يقدر الإله « زيوس كاسيوس » ، ومن ذلك نعرف أن الفرعون « أمنحتب » الثانى كان قد ترك « أوجاريت » وعبر نهر الأرنط وعسكر على الجانب الشرقى من « جبل الأفرع » .

(٣) شماش رام : هذا المكان لم يأت ذكره إلا فى هذا المتن ومعناه « الشمس العالية » .

(٤) قرية منزاتو ومدينة هثرا : لا بد أنهما يقعان بجوار الأخيرة وعلى أية حال فإن كل هذه الأماكن تقع على الجانب الأيمن من نهر « الأرنط » .

(٥) ينكا : هذه المدينة التى تقع فى سوريا الشمالية قد جاء ذكرها منذ عهد « تحتمس الثالث » (راجع Urkunden. IV, P. 789) غير أن موقعها بالضبط لا يعرف حتى الآن ، وقد جاء فى الحوت الآشورية بلدة باسم « ينق » وتقع فى الاقليم الواقع شمالى « قادش » .

«ثم قام جلالة بإصابة هدفين من النحاس بسهامه أمامهم في الجهة الجنوبية من هذه المدينة، ثم جال في غابات جبال «رايو» وقصص غزالا، ومهارى وأرانب وحشية وحيروا برية يخطئها المد» .

الملك يغتم بنفسه بلدة خاشابو : «ثم سار جلالة بعربته نحو مدينة «خاشابو»^(٢) ، وقد كان وحيدا لا رفيق له ، ولم يمض إلا زمن قصير جدا حتى عاد من هناك بعد أن غنم ستة عشر من الأشراف وساقهم بجانب عربته ، وكذلك كان معه عشرون يدا (مقطوعة) معلقة على معرفة جواده ، هذا إلى ستين ثورا ساقها أمامه ، وعلى ذلك طلبت هذه المدينة الأمان من جلالة» .

الفرعون يقبض في عودته إلى الوطن على رسول معاد : «وبعد ذلك سار جلالة جنوبا في وادي «شارونا»^(٣) ، فقابل هناك رسول أمير «نهرين» وكانت يحمل (حول) عنقه كتابا على لوحة من الآجر مخنوما فأخذه أسيرا بجانب عربته ، ثم فض جلالة خيابه وحملها على خيبله ، وبقى معه الشريف السورى وحده أسيرا» .

العودة نحو منف وفحص الغنائم التي عاد بها الفرعون : «وقد وصل جلالة إلى «منف» وقد كان قلبه فرحا مثل قلب البور القوي» .

قائمة الغنائم : «خمسائة ونحسون شريفا سوريا...»^(٤)، وأربعون ومائتا امرأة، وأربعون وستة كنعاني ، اثنا عشر وثلاثون ومائتان من أبناء الأمراء ، وثلاث وعشرون وثلاثمائة من بنات الأمراء ، وكذلك حظيات أمراء من كل الأراضي الأجنبية : سبعون ومائتان بحليق المصنوع من الفضة والذهب

(١) لا بد أن غابة «رايو» تقع بالقرب من «قادش» حيث يوجد عدد عظيم من الحيوان البرى وقد جاء ذكر المهارى البرية ، وقد غنم منها الفرعون «تحتس التالث» ١٩١ مهرا خلال حلة مجدو (راجع Urkunden IV. P. 662ff) ولا نزاع في أن غرض الفرعون من إصابة الهدفين أمام أولئك القوم هو إظهار ما كان عليه الفرعون من الخدق في إصابة المرمى .

(٢) تقع مدينة «خاشابو» على بعد ثلاثين كيلومترا جنوب «صيدا» على ساحل «فينيقيا» وقد جاء ذكرها في خطابات «تل المارئة» «خاشابو» والظاهر أنها هي البلدة التي تسمى الآن «حسية» عند منبع نهر «الحسبانى» .

(٣) سارونا (شارونا) : ذكرت هذه البلدة في خطابات «تل المارئة» باسم «شارونا» . وهى في سهل البحر الأبيض المتوسط بين «باقا» و «قيصرية» .

الذى كن يحمله ، ويبلغ الكل أربعة عشرة ومائتين وألفين ، يضاف إلى ذلك عشرون وثمانمائة جواد وثلاثون وسبعمائة عربية بكل معدّات الحرب ، وقد أدهش الزوجة الإلهية والزوجة الملكية ، والابنة الملكية انتصايات جلّالته ^(١) .

(١) المجموع الذى أعطى فى النص خطأ ويجب أن يكون خمسة وخمسين ومائتين وألفين .

(٢) المقصود بالزوجة الملكية هو « نى ما » التى عثر لها على جزء من تمثال فى حفائر الجيزة . وكذلك يحتصل أن المقصود هنا بزواج الإله هو أم الفرعون « استنجب الثانى » « مريت رع حنشبوت » الثانية وتميز هذه الألقاب هنا صعب جدا ، ومن المحتمل أن « نى ما » كانت تحمل كل هذه الألقاب بعد أن وضعت « تحتمس الرابع » وهو الصواب

(٣) جاء فى متن الكرنك عن فتح بلدة « نى » ما يأتى : « الشهر الثانى من الفصل الثالث اليوم العاشر وقد زحف جلّالته عند ما كان سائرا نحو الجنوب إلى مصر على خيله إلى بلدة « نى » . تأمل فإن أسبوبي هذه المدينة رجالا ونساء كانوا واقفين على جدرانهم مادحين جلّالته ... للإله الطيب » . ويلاحظ أن هذا المتن يقرب بعض الشيء من متن لوحة « منف » كما يلاحظ أن فى لوحة الكرنك يذكر المتن توارىخ الممارك وقد خلت منها لوحة « منف » . بعد ذلك نجد المتنين يختلفان اختلافا بينا من جهة سرد الحوادث : « وحتى بلدة » « أوجاريت » قد كتبت بطريقة مختلفة فى متن « الكرنك » تأمل ! إن جلّالته قد سمع ما قيل من أن بعض أولئك الأسبوبيين الذين كانوا فى مدينة « إكاثى » (Ikathy) قد تأمروا على عمل خطة لطرد مشاة جلّالته الذين كانوا فى المدينة لأجل أن يغلبوا ... الذين كانوا على الولاء بجلّالته ، وعندئذ وضعهم جلّالته فى [... هذه المدينة ... وهزمهم (؟) فى الحال ، وهذا هذه المدينة ... ضد كل بلاد كذا ... الشهر الثانى من الفصل الثالث اليوم العشرون + س ... [...] جعل مدينة « إكاثى » ... وباقى الأسطر من اللوحة حتى سطر ٢٩ لا نجد منها إلا بعض عبارات مبعثرة أهم ما فيها هى الكلمات التالية : « من أطفاله » . تقرير بما استولى عليه جلّالته (سطر ٢١) حربته (سطر ٢٦) . قائمة الأسرى (سطر ٢٧) أسلحة حرب لا حصر لها (٢٨) وكان جلّالته قد زين بشعار ملكه « . ويقرن هذا المتن بمتن لوحة « منف » نجد أن بلدة « إكاثى » لم يرد ذكرها فى المتن الأخير . وكذلك نجد حتى بقرن الألفاظ التى جاءت مبعثرة فى متن « الكرنك » مع متن « منف » أنه ليس هناك أى تشابه بل نجد أن الفرعون قد فتح بلدانا أخرى ربما جاء ذكر بعضها فى متن الكرنك المهمش .

وقد كانت آخر بلدة مر بها الفرعون فى عودته إلى مصر فى متن الكرنك هى بلدة « خاتيثانا » (Khatithana) أما فى لوحة « منف » فقد جاء أنه قفل راجعا بعد فتح « خاشابو » مارا ببلدة =

= «شارونا» ومنها إلى «منف» . أما في متن الكرنك فانه قفل راجعا من «خاتيانا» إلى «منف» وهاك المتن الذي تبق :

... .. جلالته قبيلة «خاتيانا» مجتمعة تأمل الرئيس المدينة خوقا من جلالته . رؤساؤه وزوجاته ، وأطفاله قد سبقوا أسرى ، وكذلك كل قومه . [تقرير عما استولى عليه جلالته نفسه خيله .

العودة الى منف وكذلك في متن الكرنك نجد كاتب اللوحة قد أعطانا تاريخ العودة إلى «منف» ولم يبق منه إلا يوم الشهر وهو السابع والعشرون . ونجد في هذا المتن تفصيلات لا توجد في متن «منف» وهاك متن لوحة الكرنك اليوم السابع والعشرون خرج جلالته من معبد صاحب الوجه الجميل (بتاح) وذهب إلى «منف» حاملا معه الفينة الى عليها من بلاد «رتو» .
قائمة بما استولى عليه :

٥٥٠ + س شريفا من المريانا أحياء .

٢٤٠ — من أنزاجهم

٦٨٠٠ — دبنا مصنوعة أوانى من الذهب (= ٦٥٧ ١/٢ رطلا) .

٥٠٠٠٠ — دبنا من النحاس (= حوالى مائة ألف رطل) .

٢١٠ جواد .

٣٠٠ عربية .

وقد شاهدت كل البلاد انتصارات جلالته . أقسم بالإله الطيب سيد الأرضين رب القريان ... محبوب «آمون» حامى من في «طيبة» المحتفل بأعياد بيت آمون ، سيد «طيبة» [... ..] ابن الشمس «تحتمس» الراج معطى الحياة أبد الآبدين .

فإذا قرأنا ما جاء في هذا المتن بما في متن «منف» نجد أن هناك بعض الفروق وبخاصة في عدد الأسرى كما نجد أن متن «منف» قد أغفل كلية أوانى الذهب ومقدار النحاس ، وكذلك نلاحظ أن أول عمل قام به الفرعون عند دخوله «منف» أن زار معبد الإله «بتاح» ثم ذهب إلى قصره . وأخيرا نجد أن هذا المتن قد نقشه «تحتمس الرابع» ابن أمنحتب الثانى بعد وفاة والده .

رحلة السنة التاسعة

التاريخ : « السنة التاسعة الشهر الثالث من فصل الربيع اليوم الخامس والعشرون زحف جلالته على بلاد « رتنو » في حملته الثانية المظفرة على بلدة « ابق » ^(١) فطلب أهلها الأمان بسبب ما أحرزه الفرعون له الحياة والسعادة والصحة من الانتصارات . »

الفرعون يسير نحو « يحما » ويخرب القرى المجاورة : « ثم زحف بمد ذلك جلالته بجياده وعدة حربه نحو « يحما » فنهب جلالته قرية « ما باسن » ^(٢) وقرية « حاتيشان » وهما قريتان غربي « سوكا » ^(٣) وقد هاج هناك الملك كالصقر المقدس ، وعندئذ طارت جياده كالشهاب حينما ينقض من السماء ، ولم يكن جلالته يدخل المعصمة حتى أسرى أمراء البلدة وأولادهم وزوجاتهم ، وكل أتباعهم وكل منافعهم الذي لا يحصى من بهائم وحياد والماشية الصغيرة . »

الإله آمون يظهر للفرعون في حلم ويمنحه القوة : « وقد اضطلع جلالته ليسترخ فأتى في المنام جلالة هذا الإله الهى « آمون » رب « الكرنك » إلى جلالته ابنه الملك « حاخبروع » لينحه القوة ، وقد كان الوالد « آمون » يرغب في أن يحصى بأعضائه هذا الفرعون . »

الملك يحرس بمفرده أسرى الحرب الذين أسرهم في بلاد السامريين : وفي الصباح المبكر سار جلالته في عربته نحو بلدة « إتورين » (Itwryn) ثم بلدة « مجدول يون » ^(٤) . وقد كان جلالته في قوة الإلهة « سخمت » ومثل الإله « متو » في « طيبة » فأمر أمراءهم وبلغ عددهم أربعة وثلاثين ، وكذلك استولى على سبعة وخمسين عبداً ، وواحد وثلاثين ومائة أسرى ، واثنين وسبعين

(١) المقصود هنا بلدة « ابق » التي تقع في أقصى جنوب جبال جلبوا (Gelboa) في شمال فلسطين على بعد عشرة كيلومترات من « بيت شان » (Beth Schan) ، ويدل المتن الذي يلي هذا على أن تلك الحروب شنت على فلسطين الشمالية .

(٢) تقع كل من بلدة « ما باسن » و « حاتيشان » غربي « شويكة » في إقليم السامريين .

(٣) أما « سوكا » فهي بلدة « شويكة » الحالية الواقعة شمال « نابلس » .

(٤) الظاهر أن بلدتي « تورين » و « مجدول يون » يقعان في إقليم السامريين ، غير أن موقعهما بالضبط لا يمكن تحديده ولكن شواهد الأحوال تدفعنا بأنهما على مقربة من بلدة « شويكة » وذلك أنه من المؤكد أن الفرعون بعد رؤيته التي رآها في نومه بجوار شويكة قام بعدها في الصباح المبكر وهاجم هاتين المدينتين .

وثلاثمائة يد ، وأربعة وخمسين جوادا ، وأربع وخمسين عربية حرب بكل معداتها ، كما استولى على كل الرجال البالغين وأطفالهم ونسائهم ، وكل مناعهم . ولما رأى جلالة كثرة الغنائم التي استولى عليها أراد أن يأخذ الأسرى أحياء فحفر خندقين حول أولئك الأسرى ، وسهر على حراستهم حتى مطلع الفجر وفي يمينه (بلطة) قتاله ، وكان وقتئذ وحيدا لا أحد بجانبه ، وكان جنوده بعيدين عنه على الطريق ، ولم يسموا إلا صوت طلب النجدة من الفرعون . وفي الصباح الباكر من اليوم التالي سار الفرعون على جواده ثانية ، وكان مدججا بأسلحة الإله « متو » .

الفرعون ينهب « أنا وخرات » في عيد التتويج : « وفي يوم عيد تتويج جلالة نهب بلدة ^(١) » أنا ونثر ^(٢) : قائمة بغنائم جلالة في ذلك اليوم بمفرده : سبعة عشر شريفا أسبوريا وستة من أولاد الأمراء . وثمانية وستون أسبوريا ، وثلاثة وعشرون زمائة يد (مقطوعة) ، وسبعة جياد ، وسبع مربات حرب من الفضة والذهب ، وكل معدات حروبها ، وثلاثة وأربعون وأربعمائة ثور ، وسبعون وثلاثمائة بقرة ، وعدد لا يحصى من الماشية الصغيرة ، وقد قدم كل الجيش الغنائم التي يخطئها العذ للفرعون من بهائم وحياد وماشية صغيرة .

الفرعون يستولى على « جرجور » أمير « قبعاسومنه » : « ثم زحف جلالة على « هرعكتي » وأسر أمير « قبعاسومنه » واسمه « جرجور » ، وقد استولى كذلك على زوجه وأولاده وأتباعه ، وعين بدلامته أميرا آخر .

العودة إلى « منف » وإحصاء الغنائم : « وبعد ذلك فضل جلالة راجعا إلى مدينة « منف » وقلبه مفعم بالسروء من كل البلاد الأجنبية ، وذلك بعد أن جعل كل الأصقاع تحت موطنه قديمه » .

(١) يوم تتويج الفرعون كان أول يوم يشن وبذلك يكون نهب بلدة « أنا وخرات » بعد خمسة أيام وخمسة أشهر من بداية الحملة التي قام بها الفرعون في السنة التاسعة من حكمه .

(٢) وبلدة « أنا وخرات » لا يعرف موقعها بالضبط وقد ذكرت في حروب « تحتمس الثالث » (Urkk. IV. P. 783.) ، وهي البلدة الجبلية الواقعة عند المنحنى الجنوبي لمرتفع « مورة » قبالة « قتالي » التي ذكرت في (Joshua , 19,19) .

(٣) لقد ذكرت إمارة « قبعاسومنه » في حروب « تحتمس الثالث » (Urkk. IV. P. 782.) ويقول عن هذا المكان « مسبرو » أنه يقع على أطلال « الشيخ أبريق » جنوبي « حيفا » ، ويقول عنه « بورخارت » أنه « عبق شعبة » « تل السبعة » .

قائمة بالغانم التي عاد بها جلالته الى الوطن : « سبعة عشر ومائتا أمير من « رتنو » ، وتسعة وثمانون ومائة من إخوة الأمراء ، وستمئة وثلاثة آلاف من العبرو ، ومائتان وخمسة عشر ألفا من البدو ، وثلاثمئة وستة وثلاثون ألفا من السورين ، وستمئة وخمسة عشر ألفا من أسرى « نجس » ^(٢) « لاعاش » هذا الى اثنين وخمسين وستمئة وثلاثين ألفا من أتباعهم ، فيكون المجموع الكلي ستمئة وتسعا وثمانين ألف نسمة ^(٣) ، يضاف الى ذلك مناعهم الذي لا يحصى ، وكل بهائمهم ، وكل مواشيهم الكبيرة التي يحفظها المنة ، هذا الى ستين عربة حرب من الفضة والذهب ، واثنين وألف ملوثة ، ومربعات حرب من الخشب بكل معداتها الحربية وكذلك خمسون وثلاثون عشر ألفا من الجياد ، وذلك بقوة الإله « آمون » ^(٤) الوالد المجلل المحبوب منه ، والذي منحه حمايته ، وإله « آمون » هو الذي حياه بالشجاعة .

أمراء آسيا العظام الذين راعهم انتصارات الفرعون يرسلون رسل السلام الى البلاط : « ولما سمع أمير « نهرين » وأمير بلاد « خاني » وأمير « سانجار » بالانتصارات العظيمة التي أحرزها جلالته ، حمل كل واحد منهم هدايا الود والمصافاة لب كل الأراضي الأجنبية وقد

(١) إن أهم ما يلفت النظر هنا في قائمة الأسرى ذكر أجناس الأقوام الذين كانوا يقطنون « سوريا » وفلسطين منذ عهد البرز المتأخر ، وقد ذكروا بالترتيب من الجنوب الى الشمال . وماله أهمية عظمى بين أولئك الأقوام الذين ذكروا هنا لأول مرة بوصفهم سكان الجنوب قوم « عبرو » (العبرانيون فيما بعد) وقد جاء ذكرهم فيما بعد في خطابات « تل الهارثة » بلفظة « خيرو » وهم العبرانيون الذين ذكروا في الكتاب المقدس وورد اسمهم هذا بعضد ماجاء في رسالة أنطون ريكو (راجع Anton Jirku, "Die Wanderung der Hebräer in Dritten und Zweiten Vordrinnstlicheh Jahrtausand (Alte Orient, Bd. 24, Heft, 2. Leipzig).

(٢) وقوم « نجس » يقابل ما ذكر في الخط المسماري « نوحاشي Nuchassi » والظاهر أنه في ثانيا هذا الاسم قد خفي أصل كلمة « لاعاش » ، وسلالة « لاعاش » كانوا يسكنون في الإقليم الواقع بين « قوقيش » وقادش (= تل نبي مندو) ، وبلادهم لا تبعد كثيرا عن نهر الفرات عند انحناؤه الغربي على شاطئه الغربي قبالة بلاد المنسى (راجع Vgl. M. Noth, "Lacach und Hazrak" (Z. O. P. V. Bd. 52. (1929). s. 138.

(٣) يلاحظ هنا أن المجموع في المتن خطأ ، والظاهر أنه قد ترك ١٢١٨٥ من الأسرى لم يحسبوا .

(٤) ونجد هنا كذلك أن الكاتب قد ذكر عددا وفاته أن يذكر نوعه ، والظاهر هنا أنه عدد الجياد

لأن الحديث كان عن المربات .

وطلدوا العزم على أن يطلبوا الى جلالتهم أن يمنحهم نفس الحياة كما كان يفعل والده آبائهم ، وقالوا : لقد حضرنا بهذا الى البلاط يابن « رع » يا « أمنحنب » ياها الإله ، وأمر « هليوبوليس » ، ويا أمير الأمراء ، وياها الأسد المحصور ، وبذلك أبعد الخوف من هذه البلاد الى الأبد .

ويدل ما لدينا من معلومات على أن « أمنحنب » الثانى قد قام بحروب فى آسيا قبل الحملة التى يطلق عليها الدكتور « بدوى » الحملة الأولى فى لوحة « منف » السنة السابعة من سنى حكمه . غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن بداية لوحة الكرنك التى كانت حتى زمن قريب مصدرنا الوحيد عن حروب هذا الفرعون ، قد ضاع منها الجزء الذى دُون فيه .

تاريخ بداية الحملة الأولى : وقد ذهب بعض المؤرخين أنها السنة الثانية من حكم هذا الفرعون ، وذلك استنباطا مما جاء على لوحى « أمدا » و « الفتين » المؤرخين بالسنة الثالثة من حكم « أمنحنب الثالث » ، وقد جاء فى قوسهما ذكر انتصار الفرعون على بلاد « التخسى » الواقعة فى شمال « سوريا » . على أن البعض يظن أن هذه الحملة قد قامت فى السنة الثالثة ، وقد عثما حملته الأولى المظفرة الى بلاد « رتنو » . على أن هذا التاريخ لا يتفق مع ما جاء فى لوحة « منف » التى يذكر فيها أن حملته الأولى كانت فى السنة السابعة من حكمه . وقبل أن نفحص هذا التناقض نضع أمام القارئ ما جاء على لوحة « أمدا » خاصا بإقامة اللوحة التذكارية فيها ، وما توه به الفرعون عن حروبه قبل السنة الثالثة . « وبعد ذلك أمر جلالتهم بخت هذه اللوحة لتقام فى المعبد فى مكان « موقف الملك »^(١) وتنقش باسم سيد الأرضين العظيم

(١) « موقف الملك » هو المكان الخاص الذى يقف فيه الفرعون فى قدس الأقداس لتأدية الشعائر الدينية . وقد عرف من هذه « المواقف » واحد فى « أمدا » واثان فى الفتين ، وثالث فى « طية » (فى معبد « أمنحنب الثالث » فى الجهة الغربية من النيل) وكذلك يوجد واحد فى « منف » (راجع Breasted, A. R. II. §. 140. .

ابن الشمس « أمنحتب » الثانى حاكم « هليوبوليس » المقدس فى بيت الآباء وهم الآلهة بعد عودة جلالة من « رتنو » العليا ، وكان قد هزم كل أعدائه مادا حدود مصر فى حملته الأولى المظفرة .

تضحية الأمراء الأسويين : وعند ما عاد جلالة بقلب فرح لوالده « آمون » ذبح بيده الأمراء السبعة الذين كانوا فى إقليم « تحسى » وقد علقوا منكس الزهوس عند مقدمة سفينة جلالة التى كانت تسمى « عاخبورع » (أمنحتب الثانى) مؤسس الأرضين « وقد علق ستة رجال من أولئك الخاسنين أمام جدار « طيبة » وكذلك تلك الأيدي^(١) . أما الخامس^(١) الآخر فإنه أخذ إلى بلاد النوبة ، وعلق على جدار « نباتا » لأجل أن يظهر انتصارات جلالة أبد الأبدى فى كل الأراضى وفى ممالك أرض السود ، ومنذ ذلك استولى على أهل الجنوب ، وغل أهل الشمال وهى الأراضى الخلفية لكل العالم الذى يضى عليه الإله « رع » وذلك لأجل أن يحمل حدوده تمتد على حسب ما يرغب فيه ، ولا أحد يقاوم يده كما أمر والده « رع » و « آمون رع » رب « طيبة » ، وذلك لأن ابن رع من جسده ومحبوبه « أمنحتب الثانى » حاكم « هليوبوليس » المقدس يعطى الحياة والثبات والرضا ، وسرور القلب على يديه مثل « رع » مخلدا أبدا .

التعليق على هذه النصوص وملخصها : فهذا النقش الذى أرخ بالسنة الثالثة من حكم « أمنحتب الثانى » يدل دلالة واضحة على أن هذا الفرعون قد قام بحروب قبل حملته الأولى التى جاء ذكرها على لوحة « منف » . والواقع أن « أمنحتب » الثانى كان قد قام بهذه الحرب فى السنين الأولى من حكمه ، وذلك لأن بلاد « تحسى » هذه لم تذكر لا على لوحة الكرنك ولا على لوحة « منف » الجديدة . غير أن المشكل هنا فى ذكر عبارة « حملته الأولى المظفرة » التى جاءت على لوحة « أمدا » ثم جاءت على لوحة « منف » ثانية مع أن الأولى مؤرخة على أكثر تقدير بالسنة الثالثة ، والثانية مؤرخة بالسنة السابعة من حكمه ، فهل تشير هذه الجملة التى على اللوحة الأولى إلى أنه قام بهذه الحرب عند ما كان مشتركا مع والده

(١) أى الأيدي التى قطعها بعد قتل أصحابها .

في الحكم^(١)، وأنه عند ما انفرد بالملك تكلم عن حملته في السنة السابعة من حكمه بأنها حملته الأولى ؟ هذا مالا يمكن القطع به على وجه التأكيد .

حقا إن النقوش تدل دلالة واضحة على أن « أمنحتب » كان قد اشترك مع والده في حكم البلاد كما أشرنا إلى ذلك من قبل ؛ غير أننا لا نعلم مدة اشتراكه معه في الحكم فهل عند ما بلغ « أمنحتب » سن الثامنة عشرة من عمره أشركه معه والده في الحكم ، وأعطاه مقاليد الأمور في يده ، وبقي يعمل منفردا في حكم البلاد حتى وافى والده الموت ، وأصبح هو الملك الوحيد بلا شريك ، ومن ثم قام بحملته الأولى المظفرة منفردا في السنة السابعة من حكمه أى أنه قد

(١) يعتقد كل من « زيت » (Untersuchung I. P. 55.) و « برست » في اشتراك « أمنحتب الثاني » في الحكم مع والده « تحتمس الثالث » ، ويقول « برست » إن هذا الاشتراك لابتدأ في السنة الثالثة والخمسين ، أوفى أوائل السنة الرابعة والخمسين لأننا نجد « تحتمس الثالث » لا يزال وحده في السنة الثانية والخمسين "Untersuchung" L. D. III. Pl. 45e. & Sethe I, 23. No. 1. و « أمنحتب » الثاني وحده في السنة الثالثة من حكمه . ولما كانت الحملة التي قام بها في « آسيا » قد انتهت في السنة الثالثة من حكم « أمنحتب » وكان لابد من القيام بها لموت « تحتمس الثالث » ، وقيام الثورات في آسيا على إثر وفاته — فانه من الواضح أن « أمنحتب » قد حكم سنة الأولى مع « تحتمس » الثالث ، وحارب حربه في « آسيا » في السنة الثانية وذهب إلى بلاد النوبة في سنته الثالثة ليستعد لإتمام معبدى والده في « الفنتين » و « أمدا » (راجع Breasted. A. R. II. § 180.) غير أن الأستاذ « أدوردمير » يقول إن هذا الزعم يناقض ما جاء في ترجمة حياة « أمنحتب » عن توليه العرش ، إذ يقول إن « أمنحتب » تولى العرش بعد موت والده . أما عن إهداء « أمنحتب » الثاني تمثال والده « تحتمس الثالث » ، إلى « نب واوى » وقد كتب على التمثال « العائش أبديا » فإن العبارة الأخيرة ليس محققا وجودها . أما عن معبد « أمدا » فإن « أمنحتب » الثاني لم يقيم بيئاته مع والده في وقت واحد بل أكمل بناءه (راجع Breasted, "Temples of Lower Nubia", (A. J. S. L, Vol. XXIII, (1906). P. 48ff. Meyer, "Gesch" II, § 147. N. 1. ومع كل ذلك فإن اللوحة التي أقامها « أمنحتب » الثاني في « منف » يستتبع منها أن « أمنحتب » اشترك مع والده .

حسب سنى حكمه منذ أن اشترك مع والده فى الحكم ، وبذلك لا يكون هناك أى التباس فى هذه العبارة فى كلا النصين^(١) . كل هذه احتمالات قد تكون صائبة أو شطت عن الصواب ، أما العقدة الثانية فى نقوش « أمنحتب » الثانى الحربية فتتحصص فى عدم انسجام ما جاء على لوحى « الكرنك » ولوحة « منف » فى كثير من النقط ، وبخاصة فى عدد الغنائم ونوعها ، وكذلك فى ذكر الممدن التى فتحها الفرعون . والظاهر أن هذا الاختلاف قد نشأ من أن اللوحة الجديدة قد أقامها الفرعون « أمنحتب الثانى » بعد عودته من الحملتين اللتين قام بهما فى السنة السابعة والسنة التاسعة من حكمه فى « منف » مسقط رأسه ، وهى المدينة التى استعرض فيها غنائم حربه . أما لوحة الكرنك فيظهر أن الذى أمر بإقامتها هو ابنه « تحتمس الرابع » كما تدل على ذلك الجملة الأخيرة التى جاءت على هذه اللوحة ، ولا بد أن الحفار الذى دَوّن نقوش هذه اللوحة لم ينقلها عن الأصل الذى فى « منف » ومن المحتمل أن لوحة « الكرنك » كذلك قد احتوت حوادث حروب هذا الفرعون دون مراعاة الدقة فى عدد الغنائم والبلاد التى فتحت ، بل نشاهد أنه قد ذكر عليها أحيانا تفاصيل لم توجد على لوحة « منف » وأحيانا نجد إغفال ذكر تفاصيل أخرى . ولا غرابة إذا كنا نجد أن « تحتمس الرابع » قد نقل حوادث حملة والده من التقارير الرسمية المحفوظة ضمن الوثائق الحكومية التى كانت تحفظ فى سجلات خاصة ، ولا أدل على ذلك من أننا نجد تواريخ لتغلات جيوش « أمنحتب » كانت تدون بكل دقة فى هذه اللوحة ، والواقع أن « تحتمس » الرابع كان مغرما بتخليد ذكر أجداده فهو الذى أقام مسلة « تحتمس الثالث » المنفردة كما فصلنا القول فى ذلك بعد أن بقيت ملقاة على الأرض نحو خمسة وثلاثين عاما .

(١) راجع ما كتبه حديثا الأستاذ « جاردنر » عن تولية « سنوسرت » الثانى وما فى ذلك من تشابه مع « أمنحتب الثانى » (J . E . A . Vol 32 p 100) .

هذا فضلا عن أنه قد ذكر فيها ما دخل الخزانة من أموال مثل الذهب والنحاس مما أغفل ذكره في نقش لوحة « منف » ، كما أغفل ذكر تفاصيل الحياة التي تثبت في الوثائق الرسمية .

وسواء أكانت حملة بلاد « تحسى » قد قام بها « أمنحتب الثانى » خلال مدة اشتراكه مع والده فى الحكم أم فى عهد حكمه المنفرد ، فإنها كانت أول الحروب التى شنها على آسيا ، ومن المحتمل أن بلاد « تحسى » قد ذكرت فى الجزء الذى ضاع على لوحة الكرنك ، على أنه لم يذكر على لوحة « منف » ؛ غير أن من المستبعد أن نجد « أمنحتب الثانى » يفخر بقتل أمراء « التحسى » فى ثلاثة نقوش أقامها فى « أمدا » و « إلفتين » وفى « أرمنت » ثم لا يذكرها فى لوحته التى أقامها فى « منف » وعدد فيها بالتفصيل كل البلاد التى فتحها حتى القرى الصغيرة .

ولا غرابة فى أن نجد أهل ولايات « آسيا » قد أخذوا يشقون عصا الطاعة على هذا الفرعون الفتى ؛ إذ كانوا يريدون دائما أن يعجموا عود الفرعون الحديد فتلك كانت أخلاقهم ؛ لو يحدون مغمزا أولينا أو مدخلا لولوا وهم يجمعون متحزرين من نير الحكم المصرى ، وبخاصة أن بقايا « الهكسوس » كانوا لا يزالون يعالجون النفس الأخير من حياتهم فى تلك الجهات . هذا فضلا عن أنه من الملاحظات الخطرة فى حياة أية دولة ناشئة أن يتوفى منشئها والبلاد التى فتحها لم تألف بعد عيشة الخضوع والاستسلام لحاكم لم يعرفوا عنه شيئا . على أن من المشكوك فيه فى نظر القوم أن يكون فى قدرة الفرعون الحديد أن يظهر من النشاط العظيم ما يجعله ناجحا فى إدارة حكم ممتلكاته مثل سلفه المتوفى ، ويشكون كذلك فى أن يكون عنده من المهارة ، وحصافة الرأى ما يجعله يقدر ما على هذه البلاد من جزية بصورة لا تجعل أهلها يثنون تحت عيئها ، فإذا لم يظهر هذا الحاكم الجديد أن فى قدرته المحافظة على ما تركه له سلفه من إرث بأى ثمن كان ، وأن عماله لا يزالون قادرين على السيطرة على مقاليد الأمور من غير خور أو فتور ، فإن رعاياه لا بدّ أن يثرين عليه ، وبذلك

يصبح تغير العاهل فرصة سانحة لإعلان العصيان العام في كل أنحاء الامبراطورية .
والواقع أن أهالي « سوريا » قد أرادوا أن يعجموا عود هذا الملك الجديد كما فعلوا مع والده « تحتس الثالث » الذي خيب مهارته الحربية رجاءهم ، وقضى على قوتهم قضاء حاسما بأسرع ما يمكن ، ومع ذلك فإنهم أعادوا الكرة مع ابنه ، فكان التنكيل بهم أشنع ، فقد قاد تلك الحملة الفامضة إلى بلاد « تحسى » وهى التى نكل فيها بالأمراء السبعة كما سبق ذكره ، وتدل اللوحة الجديدة على أن أهالي « سوريا » وفلسطين قد أدخلوا للسكنة مدة حتى العام السابع من حكمه أى وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، وذلك عندما قام بحملته الأولى زاحفا بجيشه على بلاد « رتو » ليخضع أولئك الأمراء الذين شقوا عصا الطاعة عليه ، فوصل إلى بلدة « شماش ادوم » فخربها واستولى عليها فى مدة قصيرة ، وكان هو الذى يقود الجيش بنفسه فى عربته المسماة^١ « آمون قوى » و « موت راضية » و « خنسو » صاحب المشاريع الطيبة^٢ ، وبعد أن غنم منها بعض الغنائم عبر « نهر الأرنط » ، غير أنه أدرك فى الحال أن بعض الأسويين أرادوا أن يهاجموه من الخلف فعاد إليهم ثانية ، وانقض عليهم انقضاض الباشق الإلهى ، ولم تنفعهم نقتهم بنفسم بل دب فى نفوسهم الرعب ، واستولى عليهم الفزع . وتساقطوا مكدين بعضهم فوق بعض حتى قائلهم . وتقول النقوش إنه لم يكن ثمة من ينازلهم فى الميدان إلا « أمنحتب » وليس له رفيق إلا سيفه البتار ، وقد غنم فى هذه المعركة أميرين من أمراء هذه الجهة ، وبعض الأشراف هذا إلى عرباتهم وخيولهم وكل أسلحتهم .

والظاهر أن مدينة « نى » قد سمعت بانتصارات الفرعون وقوته فدب فى نفوسهم الفزع حتى أن الفرعون لم يكذب يظهر بجيشه أمام المدينة حتى رأى أهلها وعظماءها واقفين على أسوارها مقدمين له فروض الطاعة والولاء .

وبعد أن تم تسليم مدينة « نى » سار الفرعون بجيشه نحو « أوجاريت » (رأس الشجرة) الواقعة على مسافة أحد عشر كيلومترا شمالى « اللاذقية » وضرب خيامه

هناك فهزم العدو هزيمة منكرة، وجعل عاليها سافلها ثم قفل راجعا بقلب يغمره الفرح ويملؤه الفخار بعد أن أصبح مسيطرا على كل هذه البلاد الأجنبية قاطبة ، وقد حدا الفرعون إلى تخريب « رأس الشجرة » ما سمعه عن أهلها وعن عزمهم على طرد الحامية المصرية من هذه البلدة ، من أجل ذلك ذبح المتآمرين ، وخلص المدينة منهم . (انظر مصور « رتنو العليا ») .

بعد هذا النصر عبر « امنحتب الثاني » نهر العاصي ثانية وحسكر على الجانب الشرقى عند « جبل الأقرع » بالقرب من بلدة « سالحى » وتقع على منحدر نهر « الأرنث » ، وشرق بلدة تدعى « شماش رام » (الشمس العالية) وهو مكان غير معروف ، خرب قرية « متزاتو » ، ولما سار جلالته إلى قرية « هثرع » خرجوا وعلى رأسهم أميهم حاملين كل أمتعتهم وقدموها للفرعون بقلوب فرحة ، وقد سرى خبر ذلك إلى بلدة « ينقا » فخرج أهلها لمقابلاته مقدمين فروض الطاعة أيضا ، وكل هذه البلاد تقع بالقرب من « قادش » على الضفة اليمنى لنهر « الأرنث » .

وبعد أن تم للفرعون الاستيلاء على هذه القرى والبلدان زحف إلى مدينة « قادش » العظيمة وعسكر أمامها ، ولم يكد أهلها يعلمون بوجوده حتى خرجوا لمقابلاته بقلوب ملؤها الفرح والسرور ، وعقدوا له يمين الطاعة والولاء .

وبعد أن تم « لأمنحتب الثاني » النصر على كل هذه الأماكن . وبخاصة الاستيلاء على « قادش » أراد أن يقلد والده « تحتمس الثالث » ، بل يفوقه فى فنون الصيد والرياسة ، فقام أولا بأعمال رياضية تدل على حذقه فى إصابة المرمى ، وإحكام رماية الهدف فأصاب هدفين من نحاس بسهامه أمام أهل المدينة ، ثم قام بترهة للصيد والقنص فى غابة جبال « رابيو » ورجع من طراده بغزلان ومهارى ، وأرانب برية ، وحير وحشية لا يحصى عددها .

وبعد ذلك سار « أمنحتب » بعربته منفردا نحو مدينة « خاشابو » الواقعة على مسافة ثلاثين كيلومترا من جنوبى « صيدا » على ساحل « فينيقيا » (بلدة

«حسبية» الحالية عند منبع نهر «الحسبانى»؛ ولم يستغرق الاستيلاء عليها إلا مدة قصيرة، وقد عاد منها بغنائم كثيرة، إذ ساق أمامه ستة عشر من أشرافها كما علق عشرين يدا من التى قطعها على معرفة جواده، وكذلك قاد ستين ثورا، ولعمري فإن أعمال هذا الفرعون فى مضمار الفروسية تذكرنا بسيرة «عنترة العبسى»، وأعمال فروسيته.

وبعد أن أحرز هذا الفرعون كل هذه الانتصارات المدهشة، سار جنوبا فى وادى «شارونا» وتقع بين «يافا وقيصرية» وقد جعل وجهته الوطن، فقابل هناك رسول أمير «نهرين» وكان يخفى معه خطابا كتب بالخط المسامى معلقا فى رقبته ومختوما فأخذه الفرعون، وساقه أسيرا بجانب عربته. وبعد أن مكث فى هذا المكان فترة قصيرة فض خيامه وحلها على خيله، وقد بقى معه هذا الشريف السورى أسيرا، وتابع بعد ذلك الفرعون السير نحو أرض الكنانة حتى وصل إلى «منف» عاصمة ملكة الثانية بقلب ملؤه الغبطة، وتفيض منه القوة كأنه الثور القوى. وفى هذه المدينة المقدسة التى كان قد ترعرع وشب فى ربوعها استعرض أمام الشعب ما غنمه فى حملته الأولى المظفرة من البلاد التى قهرها، فدخل «أمنحتب» المدينة فى عربته المصنوعة من الذهب تجرها كرائم الخيل، وسير خلفه خمسين وخمسمائة شريف سورى، وأربعين ومائتى امرأة وأربعين وستمائة كنعانى واثنين وثلاثين ومائتين من أولاد الأمراء وثلاث وعشرين وثلثمائة من الأمراء، وكذلك حظيات من البلاد الأجنبية كلها يبلغ عددهن سبعين ومائتى حظية عليهن حلين من الذهب والفضة، ثم يأتى بعد ذلك عشرون وثمانمائة جواد، وثلثون وسبعمائة عربية بكل ما يلزمها من عدة، ولقد بلغ من عظم هذه الغنائم أن أخذت الملكة الدهشة من عظم ما أحرزه زوجها الفتى من النصر وما حمله لبلاده من ثراء. والظاهر أن «أمنحتب الثانى» لم يكن فى حاجة بعد ذلك للقيام بحملة ثانية فى العام التالى: كما كان يفعل والده بل بقى عامين فى عاصمة ملكه، ولا يبعد أنه كان ينظم شئون البلاد، ويقم المباني العدة التى خلفها فى طول البلاد وعرضها كما سنرى.

وفي العام التاسع من سنى حكمه جاءته الأخبار بقيام ثورة في شمالى «فلسطين» فزحف في الحال بجيشه في ربيع هذه السنة إلى بلدة «إبى» في شمالى فلسطين وتقع على مسافة نحو خمسة عشر كيلومترا من «بيت شان» وشنّ على أهلها الحرب ولم يمض طويل زمن حتى طلبوا إليه الأمان، إذ كان قد هزمهم هزيمة نكراء، وبعد أن استقرت الأحوال في هذه البلدة سار بجيشه نحو بلدة «يحا» التى تقع على مسافة خمسة عشر كيلومترا غربى «إبى» السالفة الذكر، فغرب القرى المجاورة وسقطت في قبضته قرية «ما باسن» وبلدة «خايتان» ويقعان غربى بلدة «سوكا» وهى «شويكة» الحالية الواقعة شمالى مدينة «نابلس»، ثم أخذ الفرعون الغضب كأنه الصقر المقدس، وطارت جياده كأنها الشهب المنقضة، ولم يكد يدخل الممعة حتى استولى على أمراء البلدة وزوجاتهم وأتباعهم وكل متاعهم. ومهما يكن من شىء، فيبدو أن الفرعون كان مشغول البال حائر الفكر فى أمر الثورات التى كانت على ما يظهر منتشرة فى جهات «فلسطين» فكان يفكر فى أمرها ليل نهار، حتى أنه رأى فيما يرى النائم إلهه الأعظم «آمون» يبشره بالنصر على الأعداء مما شدّ عزيمته وقوى روحه لمنازلة الأعداء، ولعله كان للأحلام وتفسيرها سوق رائجة فى هذا العصر، فقد كان «يوسف الصديق» الذى يحتمل أنه عاش فى هذا العصر مشهورا بتوفيقه فى تفسير الرؤى وقتئذ، وسنشاهد فيما بعد أن «تحتس الرابع» قد بشره (بوالهول) بالملك فى رؤيا صادقة، وهو لا يزال أميرا.

وعلى أثر هذه الرؤيا قام «أمنحتب الثانى» فى الصباح المبكر، وأعدّ العدة لنفسه وسار بعربته منفردا نحو بلدة «أتورين» ثم إلى بلدة «مجدول يون» وهذان البلدان يقعان فى إقليم السامريين. وهنا نجد الفرعون يأتى بالعجب العجائب فى مضمار الفروسية على غرار ما فعله فى مضمار التجديف والمباراة فى إصابة الهدف، بل ضرب هذا الرقم القياسى مما فاق ما نقرأه فى القصص الخيالى عن عترة العيسى، وأبى زيد الهلالى وغيرهما من الفرسان. غير أنه قد أباح لنفسه إتيان مثل هذه

المعجزات بقوله إنه كان في قوة « سحمت » إلهة الحرب ، وقوة « متو » إله القتال . فقد أسر أمراء هاتين المدينتين ويبلغ عددهم أربعة وثلاثين ، وكذلك استولى على سبعة وخمسين عبدا ، وواحد وستين ومائة أسبوى ، وأربع وخمسين عربية حرب بكل معداتها ، كما استولى على كل الرجال البالغين فيهما ومعهم نساؤهم وكل متاعهم . وقد أراد الفرعون أن يستولى عليهم أحياء فضرب عليهم حصارا بحفر خندق حولهم ، وسهر على حراستهم حتى الصباح ، وهو شاهر (بلطته) في يمينه ، منذرا كل فار بالموت العاجل .

والواقع أن مثل هذه المشاهد الحربية تفوق ما نقرؤه في « الإلياذة » عن أعمال « أخيليس » ، و « هكتور » . ولا يبعد أن اليونان قد نقلوا هذه الأعمال الخارقة لحدّ المؤلف عن المصريين ، وبخاصة أنهم كانوا ينسبونها إلى من يجرى في عروقهم الدم الإلهي مثل « إلهيليس » ، ويقول المتن بعد ذلك ما يأتي : وفي الصباح المبكر من اليوم التالى سار الفرعون على جواده ثانية (بفنائمه) وكان مدججا بأسلحة الإله « متو » ، وهذا نفس ما كان يفعله « أخيليس » فإنه كان يدجج بأسلحة إله الحرب وهى التى كانت تهبه النصر . فإذا ما خلعها عنه ذهب عنه القوة الإلهية .

على أن هذا النصر المبين لم يرض أطماع هذا الفرعون الشجاع ، إذ آثر ألا يستريح يوم عيد تنويحه ، ويحتفل به ، بل زحف فى هذا اليوم على بلدة « أنا وحرآت » واستولى عليها ، وأسر أشرافها وخيلها ، ورجلها وعرباتها وماشيتها ، وقد كان له نصيب الأسد فى الفنائم التى استولى عليها فى هذه المدينة ، مما لم يسمع به من قبل فى أعمال البطولة المنفردة إلا فى أقاصيص « الإلياذة » . وبعد ذلك علم أن « جرجور » أمير إقليم « قبا سومنه » التى يقول عنها « مسبرو » إنها كانت تقع مكان بلدة « الشيخ إبريق » القائمة جنوبى « حيفا » قد شق عصا الطاعة فأمره واستولى على زوجه وأولاده وأتباعه ، ونصب بدلا منه أميرا من المواليين له .

ومما سبق نعلم أن « أمنحتب الثانى » قد أخضع كل السلالات التى كانت تقطن « فلسطين » فى خلال هذه الحملة وقد ذكرت كلها فى هذا العرض من الجنوب إلى الشمال، على أن أهم ما يلفت النظر من بين هذه السلالات ذكر « العبرو » وهم الذين جاء ذكرهم فى خطابات « تل العمارنة » باسم « الخيرو » وهم العبرانيون فيما بعد كما ذكرنا ذلك عند الكلام على الهكسوس .

وبعد أن وصل « أمنحتب » فى فتوحه إلى هذه النقطة قفل راجعا إلى أرض الكنانة جاعلا قبلته مدينة « منف » كما حدث فى الحملة الأولى، وقد كان مغتبطا مسرورا بما ناله من نصر فى كل البلاد الأجنبية التى أصبحت خاضعة له تحت قدميه . وقد كانت الغنائم التى دخل بها عاصمة ملكه الثانية أعظم بكثير من الغنائم التى ظفر بها فى حملته الأولى ولا نزاع فى أن استعراضها كان من أعظم المشاهد التى عرفت فى التاريخ المصرى قاطبة فقد ساق إلى منف الأمراء والعظماء والأسرى من كل السلالات التى كانت تقطن « فلسطين » وقتل حتى أن عددهم بلغ نحو تسعين ألف أسير، هذا إلى عربات سن الفضة والذهب يبلغ عددها نحو الستين عربة ، وأكثر من ألف عربة أخرى ملونة وغيرها بمعداتهما . وكان الفضل فى هذه الانتصارات وإحراز هذه الغنائم راجعا للإله « آمون » والده الذى حماه فى ساحة الوغى وأمدّه بالشجاعة وقوة البأس، وساقه إلى هذا النصر ، وهذا الثراء وبذلك فاق والده « تحتمس الثالث » فى حملته الأولى إلى « سوريا » ، ولم يكد يستقر المكان بالفرعون فى عاصمة ملكه حتى وفد على بلاطه عظماء أمراء « آسيا » الذين كانوا يرقبون عن كثب انتصارات هذا الفرعون حتى راعهم ما كان عليه من قوة وشدة بطش . وقد كان كل منهم يحمل من بلاده الهدايا التى تم عن الولاء والإخلاص . وقد ذكرت لنا المتون أن كلا من أمير « نهرين » وأمير « خيتا » وأمير « سنجار » قد وفدوا على جلالته راجين منه أن يمنحهم نفس الحياة متبعين فى ذلك السنة التى سار عليها آبائهم من قبل . فاستمع إلى قولهم : « لقد حضرنا بهدايا

إلى بلاطك يا بن «رع» يا «أمنحتب»، وياها الإله، ويا أمير «هليوبوليس»، ويا أمير الأمراء، وياها الأسد المحصور، وبذلك يبعد الخوف عن هذه البلاد أبد الآبدين» . هذا موجز عما قام به «أمنحتب الثاني» في آسيا في سبيل توطيد أركان الملك الذى قام ببنائه «تحتمس الثالث» والده على أسس متينة بالنسبة لعصره ومما يلفت النظر في تاريخ فتوح «أمنحتب الثاني» تدفق الأسرى الأجانب من «سوريا وفلسطين» رجالا ونساء مما كان له أثر بالغ في الحياة المصرية الاجتماعية كما سنرى بعد . أما عن حروبه في السودان فيظهر أنه لم يحدث في تلك الأقاليم الشقيقة ما يستحق الذكر، والظاهر أن تمثيل الفرعون بأحد أمراء «آسيا» في بلدة «نباتا» كان بمثابة درس عملي ناجع في جعل أمراء السودان يخضعون إلى السكينة طوال مدة حكمه . وقد ترك لنا «أمنحتب» نقشا في إحدى مقابر رجال عصره في جبانة «شيخ عبد القرنة» ذكر فيه الأقاليم التي كان يسيطر عليها «أمنحتب الثاني» وهى في الواقع الأملاك التي كانت تدين لوالده بالطاعة ، فقد مثل على إحدى جدران هذا القبر الفرعون جالسا على عرشه ، وقد نقش حول قاعدة هذا العرش أسماء أهلى واحات «لوبيسا» وبلاد «كوش» وبلاد «فينيقيا» و«نهرين» و«سوريا» وبلاد «مالوص» (يحتمل أن تكون كليكا الحالية) (راجع L. D. III, Pl. 63a. Petrie, "History", II, P. 157; Maspero. "The Struggle of the Nations", P. 292. هذا ونجد أنه قد أمر بإقامة لوحتين لتحديد أملاكه من جهة الشمال ومن جهة الجنوب في السنة الرابعة من حكمه ، واحدة عند أقصى حدوده في «نهرين» والثانية عند أقصى حدوده في الجنوب عند «كاراي» وأقامهما له «أمنحتب» مدير أعماله في معابد الإله في الجنوب وفى الشمال، وكاتب الفرعون «أمنحتب» (راجع Breasted, A. R. II. § 800) فهاكى بهذا العمل والده «تحتمس الثالث» عند ما أقام لوحة على الضفة اليمنى لنهر الفرات شمالا، وأخرى عند جبل «بركل» جنوبا .

(١) وبذلك يكون فراغة الأسرة الثامنة عشرة قد أقاموا أربع لوحات عند «نهرين» واحدة أقامها «تحتمس الأول» واثنان أقامهما «تحتمس الثالث» وواحدة أقامها «أمنحتب الثاني» .

آثار أمنتب الثاني الباقية

في سوريا : لم يعثر للآن على لوحة « أمنتوب » الثاني التي أقامها عند حدود ملكه الشمالي ، كما لم يعثر على لوحة أخرى من اللوحات التي أقامها الملوك الذين سبقوه في هذه الجهة . وكل ما عثر عليه من آثاره في سوريا هو مقبض إناء في « تل الحسي » كتب عليه « قصر عاخبورغ » و « أمنتب الثاني » (راجع Bliss, "A Mound of Many Cities", P. 89; Petrie, "Researches in Sinai", P. 107; Gardiner and Peet, "Inscriptions of Sinai", Pl. IX, 206.

في الدلتا : عثر له في الدلتا على لوحة في « منف » كما عثر له في « ميدوم » على مجموعة جمارين ، وكذلك وجد اسمه في مبان بطوخ في مقبرة « ست ميري » ؟ (راجع Rec. Trav., XVI. P. 44.) ، والظاهر أن هذا الفرعون قد بدأ بإقامة آثار في بلدة الإلهة « باست » ربة القوة (بوسطه) الزقازيق الحالية ، إذ نجد منظرين في أحد مباني المعبد يشاهد فيهما الفرعون « أمنتب الثاني » يقدم قربانا للإله « آمون » ، وقد أصلح « ستي الأول » ما أُلِفَ منهما (راجع Naville, "Bubastis", P. 31, Pl. XXXV.)

ولدينا نقش هام أمر بنحته هذا الفرعون في محاجر « طرة » . وهذا النقش له أهمية عظيمة من الوجهة الدينية ، والوجهة التاريخية . ففي الجزء العلوى من اللوحة نجد منظرا يشاهد فيه الفرعون واقفا أمام صفين من الآلهة يبلغ عددهم ثلاثة عشر إلهة وإلهة ، والظاهر أنهم قد ذكروا بترتيب عبادتهم كل في جهته الخاصة به من « طيبة » حتى الدلتا الغربية ، وهم « آمون » و « حور » و « سبك » و « وبوات » و « حتخور أطفيح » و « باست » و « بتاح » و « أوزير »

(١) راجع : Lacau, "Stèles du Nouvel Empire", No. 34020.

(٢) راجع : Petrie, "Memphis", III. P. 36.

و « خشتخانى » و « عشتارت » و « سلكت » و « حنخور آمو » والإلهة « وازيت » ؛ ومن ثم نعلم أن « عشتارت » و « خشتخانى » كانا يعبدان في أعلى الدلتا . وأسفل هذا المنظر نجد المتن التالى : "السنة الرابعة في عهد جلالة الملك «عابرون رع» ابن رع « أمنتب الثانى » معطى الحياة .

لقد أمر جلالة بفتح منجم قطع الأحجار نانية لاستخراج حجر بيان (الجبرى الأبيض) لبناء معابده المخلدة مئات السنين ، وذلك بعد أن وجد جلالة حجرات قطع الأحجار التى في « طرة » قد بدأت تتول الى الخراب منذ العهد الذى كان قبله ، وان جلالتى هو الذى جددتها لأجل أن يمنح الرضا والحياة مثل « رع » مخلدا .

وقد عملت بإشراف الأمير الوراثى ، والحاكم ، ومرضى الفرعون بحفظ آثاره والساھر على معابده ، والذى أقام لوحين في بلاد «نهرين» وبلاد «كاراي» ومدير أعمال معابد الآلهة في الجنوب والشمال كاتب الملك « منحب »^(٩) (راجع Breasted, A. R. II. § 799 - 800 & Petrie "History" (٩) II. P. 157 & A. S. XI. P. 258. ويحتمل أن العمد الثلاثة المغتصبة التى عثر عليها في الإسكندرية هى لهذا الملك ولا بد أنه قد أتى بها من مباني الدلتا (راجع Rec. Trav., VII. P. 177) أما في مصر الوسطى فلم يعثر لهذا الفرعون على آثار ذات أهمية ، اللهم إلا أربعة جعارين من « غراب » (راجع Petrie, "Kahun" Pl. XXIII; Petrie, "Illahun", Pl. XXIII) ووجد اسمه في بلدة «نوبت» (بلاص الحالية) المقابلة لمدينة « قفط » على النيل على تمويزة ضخمة من الفخار المطفى في المعبد (راجع South Kensington Museum London) ولا بد أن هذا الفرعون قد أقام في معبد « المدمود » بعض مبانيه ، إذ عثر له هناك على عمود من الجرانيت الأحمر (راجع Champollion, "Notices", II, P. 291) .

وكذلك وجد له عتب باب هناك من الجرانيت الأحمر أيضا (راجع Rec. Trav. VII. P. 129) .

وفى « دندرة » عثر له على قواعد وأوان مصنوعة في صورة زهرة اللوتس من الفخار المطفى (راجع Petrie, "Denderah", Pl. XXIII) .

الكرنك : أقام « أمنحتب الثانى » مقصورة فى « الكرنك » كشف عن بعض بقاياها « لجران » بالقرب من (البوابة الخامسة) (راجع A. S., V, P. 34) والأحجار الباقية من هذه المقصورة رسم عليها منظر يشاهد فيه « أمنحتب الثانى » يقود سبعين مجيئا أسوياء للإله « آمون » ، وقد وجد معهم المتن التفسيرى التالى :
 فائمة بتلك الأقطار التى ضرب جلالته أهلها فى وديانهم وقد جدلوا فى دمائهم ... لأجل أن يعلى الحياة نخدا . ويلاحظ أن أربعة وعشرين مجيئا ، صفوا صفين نقش معهم أسماء الأقاليم التى يمثلونها ، ولا يزال من المستطاع قراءة الأسماء الآتية من بينها :
 « رتنو العليا » ، « رتنو السفلى » ، « خارو » ، « قادش » ، « حلب » ، « نى » ، « ثنو » ، « قطنه » .

وفى « الكرنك » كذلك ينسب لهذا الفرعون بناء غريب الشكل كما يقول « بترى » (Petrie, "History", II. P. 158) فقد بنى الجدار الشرقى الموصل للبوأتين اللتين فى أقصى الجنوب ، وهما البوابة العاشرة والبوابة الحادية عشرة ، وأقام البناء الغريب الشكل الذى يوجد فى وسط هذا الجدار . ولما كان هذا البناء الأخير ليس بمعبد ولا قصر ، فقد ظن أنه قاعة حراسة أو مكان راحة للاحتفال أو قاعة مجلس . ويشبه هذا البناء قاعة عمد واجهتها فى الشمال الغربى ، وخلفها ردهة عظيمة مؤلفة من عشرين عمودا يكتنفها من الجهتين ثلاث حجرات متصل بعضها ببعض .

وقد أضاف « أمنحتب الثانى » على واجهة بوابة « تحتمس الأول » (وهى البوابة التاسعة) منظرين يمثلان ذبحه الأعداء (راجع Champollion, L. D. III. Pl. 61 ; "Notices", II P, 183 .)

وكذلك نلاحظ أن « سىتى الثانى » قد استعمل قطعاً عتة من الأحجار عليها اسم « أمنحتب » عند ما كان يعيد المباني التى كانت أمام محرابه المصنوع من الجرانيت . وكذلك وجد له بقايا معبد جميل من المرمر الفاخر — كان قد أمر هذا الفرعون بإقامته فى معبد الكرنك — فى حشو (البوابة) الثالثة التى أقامها « أمنحتب

الثالث» ، وقد نشر كثيرا من نقوشها المهندس « بليه » وكذلك « شفريه » (راجع A. S. Vol. XXIII. (1923). Pl. VI, XXIV, (1924). Pl. I, X & XI, Vol. XXV. (1925). Pl. I. & IV. & Vol. XXVIII. P. 126.

وأقام هذا الفرعون عمدا في الجزء الجنوبي من قاعة العمدة التي أقامها « تحتمس الأول » وهي التي هدمتها « حتشبسوت » لتقيم مكانها مستلتها . وقد ترك لنا نقشا هاما على عمود من العمدة التي أقامها هذا الفرعون بين البوابتين الرابعة والخامسة ، وهذا المتن يصف لنا الثراء الذي أحرزه من حروبه : وهو :

السيادة العالمية : يعيش حور الثور القوى ، العظيم القوة ، محبوب الإلهين : عظيم الثراء والذي خلق ليشي . في « طيبة » حور الذهبي : الذي يقبض بسلطانه على كل الأراضي الإله الطيب ، مثيل « رع » ، وبذرة « آتوم » الفائزة — ابن الذي أنجبه ، والذي أوجده ليشي . في الكرنك . ولقد نصب ليكون ملك الأحياء ، ويعمل ما عمله حضرته ، وهو المتمتع له ، والباحث عن الأشياء المتنازة ، والعظيم المعجزات ، المبقرى في المعرفة ، الحكيم في التنفيذ ، الماهر القلب مثل « بتاح » ، ملك الملوك ، وحام الحكام ، الشجاع المتقطع القرين ، رب الرعب بين سكان البلاد الجنوبية ، والعظيم المخوف حتى نهاية الشمال ، ومن تأتى إليه البلاد كلها منحنية ، وروساؤهم يحملون صلاياهم ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « حاخيرورع » (أمنحتب الثانى) معلى الحياة ، السيد المظفر الذى يستولى على كل أرض ، ومن ظفمه « حور » لقوته ، وأمرأه « المنى » يأتون إليه ، وجزيتهم على ظهورهم : راجعين جلالته أن يمنحهم نفس الحياة الخلو . وهذه حادثة عظيمة لم يسمع بمثلها منذ زمن الآلهة ، وذلك أن هذه البلاد التي لم تعرف مصر ترجو الإله الطيب ، وأنه والذى « رع » الذى يأمر أن أفضل ذلك ، وأنه هو مصور جمال ، وقد نصبنى لأكون حامى بلاده لعله بأننى سأقدمها له ، وأنه قد وهبني ما معه ، وما تضى عليه عين صله ، وكل الأراضي ، وكل المسالك ، وكل إقليم ، والدائرة العظيمة (المحيط) وكلها تأتى إلى خاضعة مثل كل فرد من رعايا جلالتي ، ابن الشمس « أمنحتب الثانى » ، الحاكم المقدس لطيبة ، العائش الخالد ، وهو الواحد يقظ الذى أنجبه الآلهة .

الإهداء : وقد عمله أثرا لوالده « آمون » فأقام له الأعمدة الفائزة بحجرة المعبد الجنوبية مشاة بالسلم الفزير جدا لتخليده ، ولقد أقت له أثرا في وكان أجمل مما سبقه ، وزدت عما كان من قبل ، ففقت ما عمله الأجداد ولقد نصبنى لأكون سيد الشعب ، وأنا لا أزال صيا في المهد ، ومنحنى نصفى البلاد ، وجعل جلالتي يسلم المرش ، لأفضل كل جميل لوالهـى . ولقد مكنت على عرشه ، وأعطاني الأرض ، ... وليس لى أعداء في كل الأرض .

إعداد المعبد : وأقت له قدس أقداس من الذهب ، ورفعت من الهضة ، وصنعت له أواني
عدة ، وقد كانت أكثر جلالاً من النجوم ، وبيت ماله كان يحتوي ذخائر من جزية كل إقليم ، وكانت
مخازن فلاحه طالحة بالحبوب الثمينة ، مشقة كل الجدران ، وأسست له القرب الإلهية ، وأصلحت أشياء
من أنجبى لأجل أن يعطى « رع » « أمنحتب الثانى » حاكم « هليوبوليس » المقدس الحياة والنبات ،
والرضا مثل « رع » مخدداً (راجع Dumichen, Breasted, A. R. II, §. 803 - 6; "Historische Inschriftens Altägyptischer Denkmaler"; (Leipzig,
1867), II, P. 38.

معبد أمنحتب الثانى الجنازى : وقد أقام « أمنحتب » لنفسه معبداً
جنازياً فى جبانة « شيخ عبد القرنة » بالقرب من معبد « الرمسوم » ، وقد أعاد
نظام هذا المعبد الفرعون « أمنحتب الثالث » ليدفن فيه ابنه وزوجه « ست آمون » .
وقد عثر له على تمثال وبعض قطع من التى توضع فى الأساس فى مكان هذا المعبد .
وقد بقى الترتيب التاريخى متبعا فى إقامة المعابد الجنازية لفراغة هذه الأسرة حتى
بناء معبد « أمنحتب الثانى » من الشمال إلى الجنوب ، وقد كان « أمنحتب
الأول » عند نهاية « ذراع أبو النجا » ثم يأتى معبد « تحتمس الأول » فالثانى ،
وقد أقيما فى الدير البحرى ، ثم « تحتمس الثالث » و « أمنحتب الثانى » ،
و « تحتمس الرابع » ، و « أمنحتب الثالث » ، وكلها يتبع بعضها بعضاً فى سلسلة
منظمة متجهة نحو الجنوب حتى « كوم الحيطان » (راجع L. D, III, Pl. 62.
Petrie, "Six Temples at Thebes 1896", Pl. XXIII. &) وقد عثر على مواد
أساس هذا المعبد (راجع A. Z, XXXVII. P. 143. & Rec. Trav. XIX, P. 88.
& Petrie, "Six Temples" Pl. V.)

وفى أرمنت : عثر على بعض مناظر على قطع من الحجر ذكر عليها اسم هذا
الفرعون . ومن بينها قطعة رسم عليها القارب المقدس فى محرابه ، وقد
نقش عليه « أمنحتب الثانى » « إن قلى فرح جداً لأنى نلت القربان » (راجع Mond,
"Temples of Armant" (Text) P. 174.) وقد عثر من قبل « برکش » على
قطعة من الحجر عليها اسم هذا الملك (راجع Petrie, "History", II, P. 159.

كما وجدت في لوحة نقش عليها الجزء الأعلى من نسخة من لوحة « أمدا » وهي الآن « بمتحف فينا » (راجع A. Z. Vol. XL. P. 33). والجزء الأسفل منها محفوظ بمتحف القاهرة (Breasted. A. R. II, § 790, note. g). وقد ذكر اسم هذا الفرعون على جدران مقبرة « أماتو » (Baedeker, "Egypt", P. 258). وقد جاء على لوحة « إلفتين » زيادة عما جاء في لوحة « أمدا » تشرىعات خاصة بالأعياد المقتسة هناك وهي :

القصة الرابعة : لقد أمر جلالة بعل شمع (ظهور) لأجل سباحة أولئك الآلهة القاطنين في « إلفتين » ، على أن تكون شرعا كبيرة كل واحد منها طوله عشرة أذرع بدل أن كان الشراع من قبل صغيرا يبلغ طوله ثلاثة أذرع . وقد أمر جلالة بإضافة يوم لوالدته « عشت » لعيدها الذي عند سباحتها المسماة « بداية النهر » ، والمؤمن هي : الخبز والحب ، والثيران والأوز ، والنمر ، والبخور والفاكهة ، وكل شيء طيب وطاهر ، وهي جزية سنوية زيادة على ثلاثة أيام العيد الاحتفالية ، لأجل أن يقام عيدها العظيم لأول الشهر من أصل الثالث ، مدة أربعة أيام ، ويسبق مقاما وباقيا ، يعطى الحياة لمخلدا (راجع Breasted, A. R. II. § 798).

آثاره في الفتين : وفصلا عن اللوحة التي سلف ذكرها ، وهي التي وجد منها نسختان ، واحدة في « أمدا » والثانية في « أرنت » توجد قطعة من الحجر يفهم مما جاء عليها أن الفرعون كان يقوم بأعمال التعمير والإصلاح في معبد هذه البلدة (راجع De Morgan, "Cat. Monuments" Vol. I. P. 115).

وقد وجد اسم هذا الفرعون في « سلسلة » (راجع Baedeker, "Egypt". P. 258). وكذلك وصف لنا « باريس دفن » مسلة يحتمل أنها من هذه الجهة (Revue Arch. I, Ser. II, 2, P. 730.)

وقد جاء اسم هذا الفرعون على جدران معبد الكاب (راجع A. S. VI, P. 256) ومثله على مسلة صغيرة في « أسوان » (راجع A. S. XXIII, P. 163). وتوجد نقوش على منحور « أسوان » لكبير يدعى « خع ام واس » (L. D. III, pl. 63; De Morgan, "Cat. Monuments" I, P. 90, 87.)

وكذلك يوجد نقش آخر لمعبدة الفرعون والاسم مفقود (Ibid, I, P. 91, 103).
وفي «سبل» يوجد نقش لشخص يدعى «بانحي امون» يتعبد لاسم «أمنحتب
الثاني» وهو موضوع على قاعدة (Ibid, I, P. 95, 160) وفي جزيرة «بيجه»
بالقرب من «الفيلة» يوجد تمثال ضخيم من الجرانيت في صورة الإله «بتاح» وعليه
اسم هذا الفرعون (راجع Champollion, "Notices", P. 160).

آثاره في بلاد النوبة : وقد كانت أعمال التعمير في عهد الفرعون قائمة على
قدم وساق في بلاد النوبة كما كانت في عهد والده «تحتمس الثالث» ؛ ففي معبد
«كلبشه» يشاهد في الردهة الأمامية للمعبد منظر يقدم فيه الفرعون القربان للإله
«مين» وللإله «مروترو—حور—رع» إله بلاد النوبة (راجع Champollion,
bis. 1. "Monuments", P. 54).

وفي إبريم : يوجد محراب صغير منحوت في الصخر وملون يشاهد في أحد
مناظره «أمنحتب» جالسا في مقصورة وأمامه حامل مروحة من الريش ، وحامل
مروحة آخر خلفه ، وخلف المقصورة تقف الإلهة «سات» ويأتي أمامها موكب
من الرجال يقودون أسودا ، وكلاب صيد ، وذئابا ، ويمكن قراءة النقوش حتى الآن
إذ تذكر لنا ١١٣ ذئبا (راجع Champollion, "Notices" I, P. 84 ; and Cham-
pollion, "Monuments". P. 39).

وفي منظر آخر يشاهد الفرعون يقدم القربان للإله «خنوم» والإلهة «سات» .
والإلهة «عنفت» والإله «سبد» والإلهة «حتحور» والإلهة «نخت» (راجع
L. D. III, Pl. 63d).

أما في معبد «أمدا» فتدل الأحوال على أن «أمنحتب» قد أتم قش المعبد
الذي كان العمل جاريا فيه في عهد والده . وتشير النقوش إلى اشتراك «أمنحتب»
مع والده في حكم البلاد مدة قصيرة . إذ نجد باين على كل منهما طغراء «تحتمس
الثالث» وأمنحتب الثاني» ، مكتوبين معا (L. D. III, Pl. 65, b, c) في حين أننا
(١) راجع موضوع اشتراك الملكين في الحكم (J. E. A. Vol. 31. P. 27.) وما ذكرت من قبل

نرى اسم «أمنحتب الثانى» منفردا فى أماكن أخرى من المعبد (Ibid. d, e.)، وقد استمر العمل فى هذا المعبد حتى السنة الثالثة عند ما جاء الفرعون إلى بلاد النوبة ، وأمر بإقامة اللوحة المشهورة التى تحدثنا عنها ، وقد جاء فيها عن بناء هذا المعبد ، وعن القرب التى خصصت لآلهته ما يأتى :

« إنه ملك قلبه مبال لبانى كل الآلهة ، لأنه يقيم مياثيمهم ، ويخت تماثيلهم ، والقربان المقدسة التى ترفع من شأنه قد أسست للزة الأولى من رمضان وبعة بفزارة ، ودجاج بوفرة بمثابة قربان دائم لكل يوم ، وماشية كبيرة وصغيرة فى مواعيدها بدون ... وقد أهدى البيت إلى سيده مجهزا بكل شئ من ثيران وعجول وماشية صغيرة ، ودجاج يخطئه العد . وهذا المعبد ممتن دائما بالرخان والنيذ . وقد خصص الدخل للزة الأولى لآبائه الآلهة ليراهم الأهلون وليعرفها الكل .

إتمام المعبد : تأمل إن جلالة قد جعل المعبد الذى أقامه والده ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « منخبرع » (تحتس الثالث) لآبائه كل الآلهة ، وقد أقامه من الأجارليكون عملا مخلصا . والجدران التى حوله من اللبن ، والأبواب من خشب الأرز من أحسن نوع تنجيه جبال « لبنان » ، ومداخل الأبواب من الحجر الرمل لأجل أن يبقى اسم والده العظيم ابن الشمس « تحتس الثالث » فى هذا المعبد أبد الأبد . احتفال التأسيس : « مد جلالة هذا الإله الطيب ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سيد الأرضين « عا خبروع » « أمنحتب الثانى » خيط القياس لكل الآباء (الآلهة) ، وأقام للعبد بوابة من الحجر الرمل مقابلة لقاعة الحجر المقدسة فى المتوى المقصم محاطة بعهد من الحجر الرمل بمثابة عمل خالد . وقد موائد عدة عليها أوان من فضة وبرز وأعلام قربان (٩) ومواقد وأوانى قربان وألواح مقدمة « (راجع : Breasted, A.R, II. § 793 - 795) .

وفى « وادى حلفا » وجد فى المعبد المقام من اللبن عمد نقش عليها اسم «أمنحتب الثانى» (راجع Maclver "Monuments", P. 2. 7; Champollion, and Woolley, "Buhen", P. 84, 89, 94, 103, 131.) .

وفى معبد « قفة » عند الشلال الثانى كان العمل فى النقوش التى أمر بحفرها « تحتس الثالث » لا يزال مستمرا عند موته ، إذ قد ظهر اسمه فى حين نرى « أمنحتب الثانى » فى مناظر يقدم قربانا للإله « خنوم » و « سنوسرت الثالث » بوصفه إلهها (راجع : L. D. III, Pl. 64b, 66.) .

وكذلك نجد هنا مدخلى باين أقامهما « أمنحتب الثانى » (L. D. III. Pl. 67.) .

وفى معبد « سمنه » نجد اسمه منقوشا فى المعبد (راجع Murray,, "Handbook" P. 545. (1880)) .

وفى جزيرة « سائى » (Sai) توجد بقايا معبد ينسب إلى عصر هذا الفرعون ،
(راجع Lepsius, "Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai", P. 237.) وقد ذكر معبد « نباتا » عند الشلال الرابع فى نقوش لوحة
« أمدا » بوصفه المكان الذى أعدم فيه أحد الأمراء السوريين السبعة الذين
أعلموا فى « طيبة » وفى « نباتا » .

تماثيل أمنحتب الثانى : وجد لهذا الفرعون تماثيل ضخمة وأخرى صغيرة
الحجم ، غير أن عددها كان قليلا بالنسبة لما عثر عليه لوالده « تحتمس الثالث » ،
فمن التماثيل الضخمة وجد له واحد أقيم أمام البوابة التاسعة فى « الكرنك » غير أنه
وجد مهتما ، وهو منحوت من الحجر البلىرى الأبيض . وكذلك له جذع تمثال جميل
هشم أنفه وذقنه ، عثر عليه فى « الكرنك » وهو الآن بالمتحف المصرى . والتمثال
— الذى فى صورة مومية — ، الذى عثر عليه فى « بجه » بجوار « أسوان » نحت
من الجرانيت الأحمر . وفى المتحف المصرى يوجد له تمثال فى صورة « أوزير »
مصنوع من الجرانيت الرمادى ، وقد عثر عليه فى « القرنة » غير أنه مما يؤسف له
قد ضاع رأسه (راجع Petrie History II. P. 161.) .

ووجد له ثلاثة تماثيل راكمة ، كل منها يحمل فى كلتا يديه إماء مستدير الشكل
يقدم فيه قربانا ، واحد منها فى « تورين » (راجع Lanzone, Catalogue of Turin", 1375) والتمثالان الآخران ، وهما أصغر من الأول محفوظان فى متحف
« باريس » (راجع Cat. Sal. Hist. P. 11.) وفى متحف « برلين » (راجع
L. D. III, Pl. 70.) .

وقد عثر عليهما في « بنى نجع » ، وهذا الوضع الفني للتماثيل قد أدخله والده من قبله على الفن المصرى ، وقد استعمل كثيرا فى مناظر المقابر التى من هذا العهد كما يشاهد فى إحدى مقابر « القرنة » (راجع L. D. III, Pl. 63, 64) .

ووجد له تمثال مجاوب (راجع Budge, "Guide to the Egyptian Collection", P. 232.) وهو مصنوع من « الديوريت » ونقش عليه الفصل السادس من كتاب الموتى (Budge, "History", IV. P. 71.) .

وعثر له على لوحة فى « الأقصر » يشاهد عليها وهو يتعبد للإله « آمون » (Wiedemann, "Geschichte", P. 376.) ، وكذلك يوجد له فى متحف « باريس » إناء وجد فى الأساس مصنوع من المرمر ، عثر عليه فى « طيبة » (راجع Rec Trav, XVI, P. 30.) كما عثر له على رأس (بلطة) هى الآن فى « المتحف البريطانى » (Budge, "Guide" P. 232.) ، وكذلك عثر له على قطعة من البساط باسمه فى قبر « تحتمس الرابع » (راجع Carter and Newberry, "The Tomb of Thothmes IV", p. 143.) ، وكذلك وجد له فى نفس هذا القبر أوان باسمه (راجع Ibid, P. 18.) وتوجد له بردية مؤرخة بالسنة الخامسة من حكمه اليوم التاسع عشر من برموده وتحتوى على مدائح « لأمنحتب » الثانى ، ويقال فيها إن الإله « شاي » (الحظ) والإله « رننت » (الطعام) قد نشأه وعلماه (راجع Papyrus Rollin, 15, P. 23.) ومن المحتمل أن قطعة الرق التى فى « برلين » الخاصة بتأسيس المعبد الذى أقامه « سنوسرت » الأول فى « هليوبوليس » من عهد هذا الفرعون ، وليست من عهد « أمنحتب الرابع » (راجع A. Z. XII, P. 86.) .

جعارين عهد « أمنحتب الثانى » : ظهرت فى جعارين هذا الفرعون وتماويله خواص جديدة لم تعرف فى جعارين العهود السابقة من فراعنة هذه الأسرة. إذ نجدها على شكل لوحات صغيرة بيضية الشكل مستوية السطح على كلا الجانبين مرسوم عليها صور ، وقد كثر استعمال هذا الصنف من الجعارين فى هذا

العهد، والمهد الذى أعقبه، ثم نجده قد اختفى بعد ذلك . وقد كانت هذه الجعارين تستعمل فصوص خواتم لتلبس مسطحة على الأصبع ، وقد كان سبب اختفائها ظهور استعمال خواتم مؤلف كل منها من قطعة واحدة فى عهد «أمنحتب الثالث» . وفى هذا العهد ظهر كذلك ثانية استعمال الحليات الرمزية القديمة، التى كانت تستعمل رمزاً يعرف بها اسم صاحب الخاتم (راجع Petrie, "Scarabs", 1097) . وكذلك ظهر تقليدها الرخيص رسم عليه صف من الدوائر دوات المركز الواحد . ومن خواص جعارين هذا العهد رسم صلين أو أربعة أو ستة حول الطغراء أو التمويذة كل منها فوق الآخر .

هذا وقد استعملت الجعارين لتدل على حوادث تاريخية بكتابة جمل عليها يقصد منها ذلك ، ويرجع هذا النوع من الجعارين لللكة «حتشيسوت» التى ابتدعتها ، على ما يظهر كما سبق ذكره . ومن هذا الصنف الجعران الذى يحدثنا عن ولادة هذا الفرعون فى «منف» : «أمنحتب الثانى» المولود فى «منف» . وكذلك الجعران الذى نقش عليه حادث إقامة مستلين : «أمنحتب الثانى» الذى أتم له سلطان فى عهد «آمون» . (راجع Petrie, "Hist. Scarabs", (1889) . (Pl. 36; Hall, "Scarabs", P. 161, No. 1634.)

وكذلك الجعران الذى نقش عليه : «أمنحتب الإله الطيب الأسد على ممر رب القوة على الحياة مثل الشمس» "أو الذى دقن عليه : «أمنحتب» رب المناصر فى بيت «آمون» . وتقوش هذه الجعارين تدل على حوادث فى عهده لم نصل إلى كتبها . (راجع Petrie, "History", II, P. 162. Grenfell, "The Scarab Collection at Queen's College, Oxford." J. E. A. II. (1915) P. 228. وعثر له على جعارين فى «موسكو» الآن (راجع J. E. A. (1915) P. 238) . وكذلك عثر على جعران «لأمنحتب» وأمه «مريت رع حتشيسوت» (راجع Mariette, "Abydos", II, 40, N.

آثاره الأخرى : وتوجد آثار أخرى نقش عليها اسم هذا الفرعون منها :

(١) لوحة « نب وع » في العرابية المدفونة (راجع Mariette, "Abydos"

• (II. 33A.

(٢) تمثال راعٍ لكاهن الإله « انخور » في « العرابية المدفونة » (Ibid, II, 372.)

(٣) مجموعة « نخاع أم واس » وزوجه في « متحف الفاتيكان » (راجع

Wiedemann, "Geschichte". P. 376.) ومن المحتمل أنه نفس الشخص الذي

وجد له نقش على الصخر في « سهل » .

(٤) لوحة للكاهن الثاني للفرعون « أمنحتب الثاني » المسمى « نفرحتبف »

في المتحف الانجليزي، وكذلك غروط له (Mission Arch. Franç., Caire. VIII.)

• (P. 277, 55.

(٥) وقطعة من تمثال من الجرانيت لقائد من قواد الفرعون « أمنحتب الثاني »

• (راجع Florence Museum Catalogue, F. 1504.)

الملكة « تاا » : ذكرت هذه الملكة على مجموعة باسمها ، واسم ابنها

« تحتمس الرابع » وقد لقت بالأم الملكية ، والزوجة الملكية ، مما يدل على أنها

كانت أم « تحتمس الرابع » وزوج « أمنحتب الثاني » بطبيعة الحال . ولا يمكن

أن تكون زوجة لأن أم « أمنحتب الثالث » معروفة باسم « موت مويا » كما أنه

لا يمكن أن تكون أما ملكية أخرى زوج « تحتمس الرابع » . وهذا من الأهمية

بمكان لأننا نجد لها في مقبرة « شنونا » (Champollion, "Notices" P. 481.)

وقد لقت بالزوجة الملكية فقط ، وهي مرسومة مع « تحتمس الرابع » ، وقد كان

المعتقد أنها كانت زوج الأخير ، وليست زوج والده « أمنحتب الثاني » كما هو

الواقع . وقد ذكر ابنها « تحتمس الرابع » بوصفه ابن « أمنحتب الثاني » في مقبرة

« حور أم محب » (Mission Arch - Franç. V. 434.)

وقد كشف حديثا عن بقايا تمثال للملكة « ناعا » في معبد « أمنحتب الثانى » الذى وضعت فيه اللوحة العظيمة التى شرحناها فيما سبق ، والظاهر أن هذا التمثال قد أهدته « ناعا » لزوجها « أمنحتب » بعد وفاته ، والقطعتان اللتان عثر عليهما من هذا التمثال منقوشتان ، وقد كرر طيهما ألقاب الملكة ، هذا فضلا عن سطر مهمم قرأ فيه : ” مقصيا عنى — ليت يبعد عنى حزنى ... ناعا ، وليت إلهى المهلى يكون حاميا لى ، وليت زوجى يكون أمامى ، وليت يبعد عنى ... “ الخ . والواقع أننا نجد بين الكتابات التقليدية التى نقرأها فى هذا النقش عاطفة من الأحاسيس الإنسانية فى الكلمات التى تتضرع فيها الملكة للإله ليخلصها من أحرانها وآلامها . وقد عثر على قطعة من الخزف (استراكا) عرف منها أن الملكة « ناعا » هى بنت « تحتمس الثالث » ، وهذه الاستراكا محفوظة الآن بمتحف « اللوفر » (راجع Rec. Trav. XVI. P. 66.) وكذلك ذكرت بوصفها أم « تحتمس الرابع » على تمثال (راجع Legrain, “Statues” 42080.)

وكذلك وجد اسمها على قطعة من إناء (راجع University College) ، وقد ذكر ابنها « تحتمس الرابع » فى مقبرة « حور محب » بأنه ابن « أمنحتب الثانى » (راجع Mission Arch. Franç. V, P. 434.) . وقد شوهدت أميرة على حجر « حور محب » على إحدى مناظر قبره تدعى « أمنمات » غير أننا لا نعرف بنت من هى ؟ لأنه عاش فى عهد أربعة ملوك .

ومن المحتمل أن « أمنحتب » كان له ما يربى على خمسة أولاد لأننا نجد ممثلا على جدران قبر مربي « تحتمس الرابع » المسمى « حكر إن نبح » (L. D. III. Pl. 69A.) « تحتمس » وهو ولد صغير على حجر مربيه ومعه أولاد ملك آخرون . ومما يؤسف له أن أسماءهم كلهم كانت قد محيت قصدا ، وسرى الأسباب التى دعت إلى ذلك عند الكلام على تولى « تحتمس الرابع » الملك بعد وفاة والده .

وقد توفى هذا الفرعون العظيم بعد أن حكم البلاد خمسا وعشرين سنة وعشرة أشهر كما يقول « مانيتون » وقد أكد لنا ذلك ما جاء على الآثار إذ عثر على إناء

نبىذ معتق مؤرخ بالسنة السادسة والعشرين من حكم هذا الفرعون (راجع Petrie, "Six Temples", Pl. V.) .

وقد دفن « أمنحتب » فى وادى الملوك فى قبر نحت فى الصخر لون سقفه باللون الأزرق ورصع بالنجوم الذهبية المتلاثة . وفى خلال الضجة التى قامت فى عهد « رمسيس التاسع » عن سرقة قبور الملوك نهب قبره ، (راجع A. S. III, P. 115.) غير أن موميته قد بقيت نحو ثلاثة آلاف سنة تشاطر الملوك الآخرين حظهم إلى عام ١٨٩٨ م بعد أن نقلت جثثهم فى مقبرته فى هذه الأثناء ، ومن بينهم ابنه « تحتمس الرابع » وجده « أمنحتب الثالث » والفراعنة « سبتاح » « ومرنبتاح » ابن « رمسيس الثانى » و « رمسيس الرابع » ، ولكن بكل أسف كان نوما مزعجا لأن اللصوص قد اقتحموا القبر ونهبوا ما فيه من أثاث غال كره أخرى ، وعند ما علم المسيو « لوريه » مدير المتحف المصرى وقتئذ من الأهالى بمكان هذا القبر فتمعه ووجد فيه « أمنحتب الثانى » وضيفانه . وقبر هذا الفرعون يشبه كثيرا قبر « تحتمس الثالث » والده ، ولا يزال فى حالة جيدة جدا ، وجدرانها مزينة بصور عدة مجاميع من الآلهة ، وكذلك نقش على الجدران نسخة من الكتاب الجنازى العظيم المعروف باسم « كتاب ما يوجد فى عالم الآخرة » . وقد كانت مومية « أمنحتب الثانى » عند هذا الكشف لا تزال ثاوية^(٢) فى تابوتها المصنوع من الكوارتسيت (الحجر الرملى) (انظر لوحة رقم ٣٨) . وقد عثر معه على مجموعة تماثيل للآلهة « سخمت » و « أنوبيس » و « أوزير » و « حور » و « بتاح » الخ ، ومجموعة عظيمة من الأوانى المصنوعة من المرمر ، وكذلك على تعاويذ من كل نوع ، كما وجد معه قوسه الجبار الذى كان يفخر به ، وقد نقش عليه المتن

(١) راجع : Weigall, "Guide" P. 22.

(٢) راجع : Smith, "Royal Mummies", 61069.

(٣) راجع : A. Z., XXXVII, P. 65.

المشهور : ” ضارب سكان الكهوف ، وعازم أهل الكوش ، ومغزب مدنهم ... وجدار مصر العظيم وحمى جنوده “ . وكذلك ضار على أوانى أحشائه ، وقد ترك جسم هذا الفرعون العظيم إرضاء لماعطفة كريمة أبدأها بعض من يقدرون عظمة هذا الفرعون في قبره الأصلي وفى تابوته الذى أودع فيه منذ القدم فلم ينقل إلى « متحف القاهرة » ، غير أن هذه المحاولة النبيلة لم تتوج بالنجاح على أية حال ، لأن اللصوص على الرغم من الحراسة التى كانت تقوم بها مصلحة الآثار قد اقتحموه فى نوفمبر سنة ١٩٠١ ، وقد عبث اللصوص بموميته عبثا مخزيا فى أثناء بحثهم عن الكنوز الموهومة التى كانوا يظنون أنها معه ، ولكن ظنهم قد خاب فلم يجدوا معه ما يشبع نهمهم . ومنذ هذا العهد ظل « أمنحتب » ينام فى تابوته نوما هادئا بقدر ما تسمح به الأحوال فى تلك الفترات التى كانت تنقطع فيها زيارات السائحين الذين كانت تستعرض لأنظارهم جثث الملوك العظام لإشباع رغباتهم الحفيرة ؛ مما لا يدل على حسن ذوق الذين فكروا فى هذه البدعة ، ولا الذين استمروا فى العمل بها ، غير أن أولى الأمر قد فطنوا أخيرا بعد التقذ اللاذع الذى وجهه إليهم العالم ، فأراحوا أولئك الملوك العظام من أعين النظارة الذين لا يبنون من وراء ذلك شيئا إلا حب الاستطلاع لا الموعظة الحسنة (راجع James Baikie ، “History of Egypt”, Vol. II, P. 159).

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد أمنحتب الثانى

« قن آمون » : كان هذا الموظف الكبير أبا « لآمون أم أبت » المربية « لأمنحتب الثانى » ، وهى التى قد مثلت فى قبر ابنها ترضع أخاه من الرضاعة « أمنحتب الثانى » فبأ بعد (Davies, “The Tomb of Kenamon”, P. 19, Pl. IX.) . وألقاب « قن آمون » هى الآتية : الأمير الوراثى ، وعينا ملك الوجه القبلى ، وأذنا ملك الوجه البحرى ، وحامل المروحة على يمين الفرعون ، ومتكلم « حور » (الملك) ومحبو به ، والمشرف على بقرات « آمون » الجميلة ، ومدير

البيت العظيم للفرعون . وقبر هذا الشريف قد نحت في جبانة « شيخ عبد القرنة »
(رقم ٩٣) . (راجع Porter and Moss, "Bibliography" I, P. 123ff.)
ومن المدهش أن الباحثين قد عثروا على بعض تماثيل مجاورة له في « شبرمنت »
بالقرب من الجيزة . وقد وجدت مدفونة في الرمال . ولم يعثر هناك على أثر دفن
معه قط ولذلك فإن وجود هذه التماثيل في هذه البقعة لم يفسر تفسيراً مقنعاً حتى
الآن (A. S. : XIX. P. 145 & 149.) ، وقد نقش على تماثيل المجاوين هذه
الألقاب التالية : أخو مرضعة رب الأرضين . والمشرف العظيم على البيت ،
ووالد الإله ومحبوب الإله ، والمشرف على البقرات الجميلة ، المقرب من الإله
الطيب ، والمشرف على ثيران « آمون » والمدير العظيم لدخل بيت الإله الطيب (؟)
وحامل المروحة الخ ، والكاهن الثانى للإله « آمون » .

وقد كانت مقبرة « قن آمون » ذات شهرة عظيمة لما تحتويه من مناظر
جميلة وأهمها ما يأتى : منظر فيه « أمنحتب الثانى » تحت مظلته الفخمة ذات
السقف المزين بزخرفة بدیعة . وقد جلس يتقبل هدايا السنة الحديدية المعروضة
أمامه ويرى أمام الفرعون مباشرة تحفة من الذهب مرصعة بالأحجار الملونة على
هيئة مجموعة من شجر الدوم يتسلق سيقانها قردة تجنى ثمارها ، وقد رصعت أوراقها
بالأحجار الخضراء ، والثمار بأحجار حمراء ، (Davies, M. M. A. (1918) P. 33)
وكذلك نشاهد فى مناظر هذا القبر بعض التماثيل الملكية فى محاريب تجزأ زحافات
وهذه كانت للفرعون « أمنحتب الثانى » و « تحتمس الأول » والملكة « مريت
رع حتشبسوت » زوج « أمنحتب الثانى » ، ويشاهد تماثل واقف للأخير فى سفينة
الشمس ، وتماثيل أخرى له تمثله وهو راكع أو جالس أو فى صورة « بواهول » .
هذا إلى مجوهرات وأسلحة ودروع كالتى نشاهدها فعلاً مما استخرج من مقبرة
« توت عنخ آمون » ، وكذلك نرى مصوراً له مرايا ومرآوح وأثاث . وقد حفظ
لنا فى منظر صيد مهشم صورة وعلى يهاجمه كلب صيد ، وتعد هذه الصورة من أدق

ما خلفه لنا المصريون في حسن التعبير وصدق التمثيل . ومن بين الدرر التي خلفها
المصور المصرى في هذا القبر صورة فتاة تضرب على القيثارة وهى بين أترابها كالبدر
في وسط النجوم (راجع Wreszinski, "Atlas", Pl. 298) . ومما يسترعى النظر
في مقبرة هذا العظيم أن اسمه قد محى من كل أرجاء المقبرة . ولم يفلت من الذين
قاموا بهذا العمل إلا مرة واحدة .

« وسرحات » : كان « وسرحات » من أكابر رجال الدولة ويحمل الألقاب
التالية : « كاتب الملك ، وطفل الرضاة ، والمشرف على حسابات مدينة الشمال
ومدينة الجنوب ، والحاجب الأول ، والمشرف على ماشية الإله « آمون » ،
(A. S. Vol. VI. P. 67.) وقبره في جبانة « شيخ عبد القرنة » (رقم ٥٦) . ويحتوى
على بعض مناظر تعبر عن بعض نواحي الحياة المصرية القديمة رسمت من غير كلفة
أو مقالة بل مثلت أمامنا الحوادث كما كانت تقع كل يوم . ومن بين هذه المناظر
لوحة تمثل « أمنتب الثانى » وهو يشرف على تجنيد طائفة من الجنود ليقوموا
بالخدمة في ساحة القتال ، وتوزع جراياتهم عليهم . فنجد وقت الغداء قد حل ،
وقدتم مائدة الفرعون له على حدة ، وييده (بلطة) كما يحسدر بقائد جيش أن
يمسك بيده . ونشاهد في حجرة مجاورة ضباطه يتناولون غذاءهم ، أما عامة الجنود
فكانوا مكتفين بوجبة متواضعة تحوى خبزا وماء على الأقل ، أما الذين هم أرقى
منهم فكان يقدم لهم بالإضافة للخبز لحم ونيذ مكان الماء . ويشاهد الجنود في الخارج
وقد صفهم ضباطهم في ساحة وكل منهم يحمل حقيبته ليضع فيها نصيبه من الخبز .
على أن المجندين الأحداث لم يكونوا قد تلقوا دروسهم في التدريب العسكرى ،
ولذلك لم يكونوا صالحين للظهور في صفوف فرق الجيش بعد ، وقد كانت
شعورهم طويلة ، وكان لابد من حلقها ، ومن أجل ذلك نراهم قد جلسوا في الساحة
الخارجية ينتظر كل منهم دوره ليحلق شعره (انظر لوحة ٤٠ ص ٦٩٦) . وقد
كان حلاقو الكتبية يقومون بهذه العملية . وقد ظهر على وجوههم ملل الانتظار ،

وربما أعاد ذلك إلى ذاكرتهم كل ما يختلج في نفوسهم من يأس وقنوط لتركهم
أوطانهم إلى بلاد مجهولة قد لا يعودون منها قط ، وربما لن تسمح لهم الأحوال
بالتمتع ببلادهم التي فارقوها عن قريب ، ونلاحظ أن أحد الجنود كاد يتفجر
بالبكاء ، فيهدئ أحد رفاقه المرحين ما به من ألم بأن ربت يده عليه . ونشاهد
آخر يجرد عزاءه في أن يشاطر رفيقا له كرسيا بدون ظهر فيترك له الأخر حافة الكرسي
ليجلس عليها وفي آن واحد يستعمل ظهر رفيقه سنادا يتكىء عليه .

أما المجند الذي يقوم له الحلاق بإصلاح شعره للمرة الأولى في حياته فقد تحمل
بصبر إجراء تلك العملية الشاقة في نظره ، فيشاهد الحلاق عندما أراد أن يصلح
من شعره الغزير قد ربط شعره الكثيف وأخذ في صفه خصلة خصلة بفصل الشعر



إلى غدائر صغيرة وجعلها تثبت على رأسه بوساطة نوع من الدهن . وهذا كان أول درس يتعلمه الجندي الجديد في النظام الحربي ، وهو شيء عجيب للضباط الذين كانوا يحتمون أن تظهر كل جنودهم بمظهر واحد ، غير أن الجندي كان لا يروقه هذا النظام لانعدام حريته وخصيسته . حقا إن هذه الصورة قد رسمت بشكل خشن غير أن ذلك لم يخف ما تحويه من حياة في باطنها . فإذا قرنا بين أولئك المجندين المحزونين وكل منهم قد دفن تحت عبء من المصوم ، وبين فرق الجنود المدربين الذين نشاهد في أعلى الصورة القائمة يمضون في صفين ليتساموا بجراياتهم من الخبز لوجدنا في الحال الفرق بين الجنود القدامى والجدد (راجع Wreszinski, "Atlas", Pl. 168; (M. M. A. (1926); PP. 13, 14, fig. 11.) .

ولدينا منظر آخر نشاهد فيه تسجيل الماشية وكبها وهي الماشية التي كان «وسرحات» مشرفا عليها للإله «آمون» ، كما نشاهد منظر صيد تنبعث منه الحياة والحركة ، وفيه يطارد «وسرحات» بسرعة فائقة في عربته حيوانات الصحراء المختلفة ، ويلاحظ أن جواذى عربية «وسرحات» قد مثلا هنا بدقة عظيمة . وكذلك نجد في قبره منظرا مزخرفا يمثله يصطاد هو وأسرته الطيور والبط في البطاح (راجع Wreszinski, ibid, Pl. 183.) .

«رع» الكاهن الأول : كان «رع» يشغل وظيفة الكاهن الأول للإله «آمون» في معبد «تحتمس الثالث» المسمى «المعطي الحياة» ، وكذلك كان الكاهن الأول «لآمون» في المعبد المسمى «زسرت» (الفاحر المكانة) . ويقع في الجزء الجنوبي من جبانة «طيبة» ، وقد أقامه «تحتمس الثالث» لهذا الإله (Schafer, "Egypt. Insch. لهذا الإله. (Mus. Berlin", II. P. 220; Gauthier. "Dict. Geog". II. P. 133.) وقبر هذا الكاهن يقع في جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ٧٢) . وأهم منظر في هذه المقبرة هو منظر صيد للفرعون «أمنتب الثاني» يشاهد فيه وهو يطارد الحيوانات الوحشية متطليا عربته ومفوقا سهمه نحوها ، ورسم الفرعون في هذا المنظر شبه

في تفاصيله المنظر الذي شاهدنا فيه نفس الفرعون يصوّب سهامه نحو هدفه النحاسي ويرى فيه رسم « حورادفو » محلقاً فوق رأس الفرعون حامياً إياه ، كما يشاهد رمز الحياة « عنخ » قابضاً بمظلة خلف جلالاته . وكذلك نرى نعلمات وسط الأعشاب المزهرة وفي وسط الطرق الصحراوية الملتوية وهي ترعى لسيقانها وأجنحتها العنان ، كما كانت كلاب الصيد تطارد وعلا وتحضره الخ . وكان في ركاب الفرعون ثلة صغيرة من الجنود يحملون الأقواس والسهام والدروع والأعلام الحربية ، وفي عودته نشاهد رجلاً يحملون الطراد التي أصابها سهام الفرعون وأت بها الكلاب .

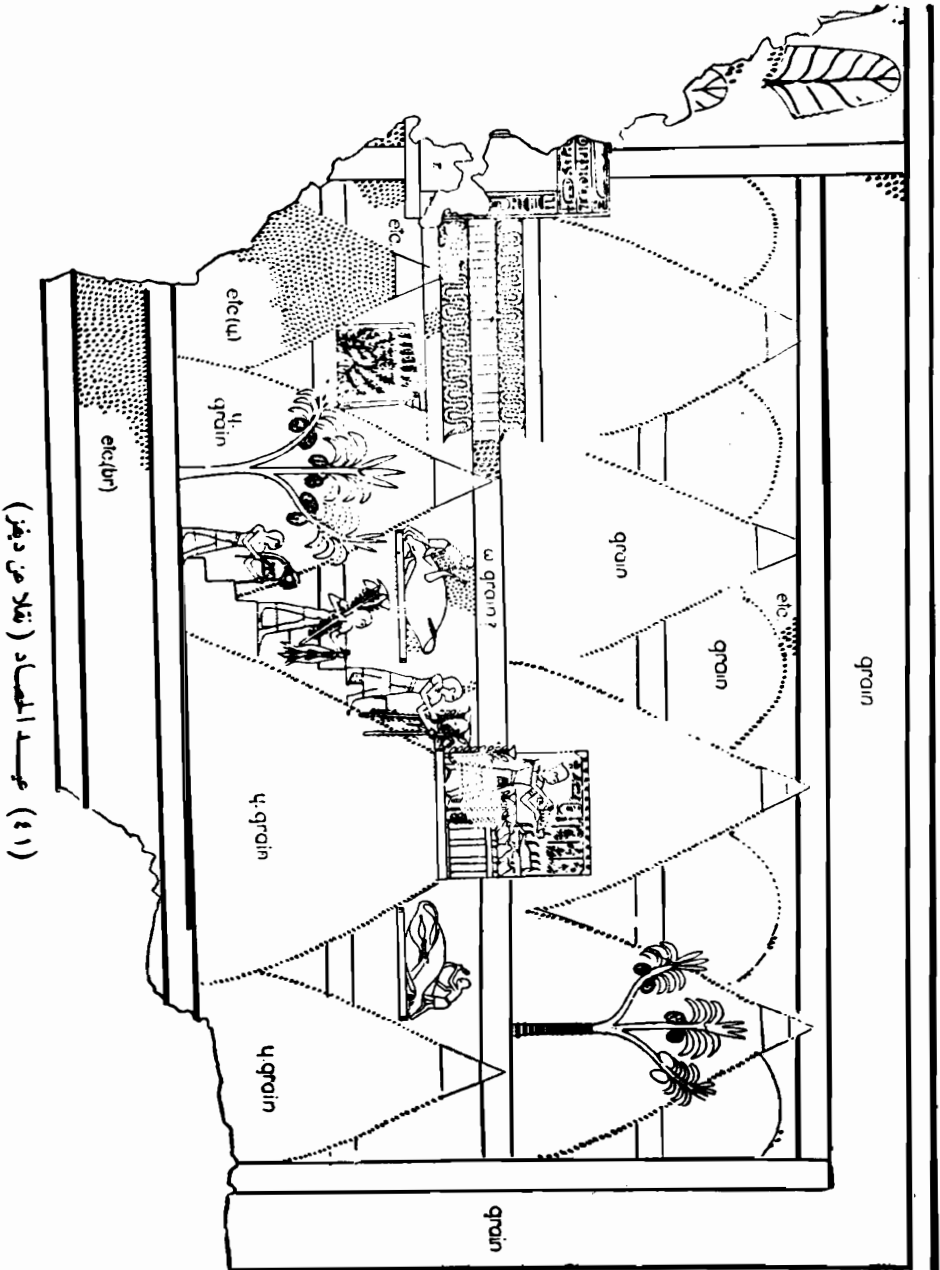
أما المتن الذي يفسر هذا المنظر فإنه مهتم ولكن يفهم منه أن مكان هذا الصيد والقنص كان على ما يظهر الضفة الغربية من النيل ، وأن ما غنمه الفرعون في هذا اليوم يعدّ بالآلاف ، وقد أهداه الفرعون ضخمة لمعبد والده الجنائزى . ولما كان « رع » هذا هو الكاهن الأول لهذا المعبد كما ذكرنا فإن ذلك كان يعدّ من البراهين على وجود هذا المنظر في هذه المقبرة . وهذه الصورة التي ظهر فيها « أمنحتب الثانى » تعدّ فريدة بين مناظر القبور الخاصة كما أنها من الصور التي تقدم لنا برهاناً جديداً على مهارة هذا الفرعون في هذا الميدان ، فقد كان بطلاً من أبطال الصيد ، كما كان من أعظم الملوك غراماً بالرماية ، ومنقطع القرنين في إصابة الهدف (راجع Davies, M. M. A., (1935) P. 49, 50.)

«سن نفر» : كان « سن نفر » من أصحاب المكانة العالية بين رجال الدولة في ذلك العهد لما كان له من صلات أسرية ونفوذ بوظائفه الهامة التي كان يشغلها . فقد كان يحمل لقب الأمير الوراثي ، وعمدة المدينة الجنوبية (طيبة) ، والمشرف على مخازن غلال « آمون » ، والمشرف على ثيران « آمون » والمشرف على زراع أملاك « آمون » ووالد الإله ومحبوبه ، والمشرف على بقرات « آمون رع » الجميلة ، والمشرف على حقول « آمون » وقد كان أخو « سن نفر » عمدة المدينة

والوزير المسمى « آمون أم أبت » ، وقبره في جبانة « شيخ عبد القرنة » (رقم ٢٩) وكان « سن نفر » قد تزوج من ثلاث سيدات كتن جميعا مرضعات ملكيات وهن : « سنائى » مرضعة الملك ، ولها تمثال عثر عليه في « خبيثة الكرنك » (Legrain, *ibid*, No. 42126) ثم « سن أم أع » المرضعة العظيمة للفرعون « أمنحتب الثانى » (Rec. Trav. XX. P. 211 - 223) و « سنت نفر » مرضعة الفرعون ومغنية « آمون » (Rec. Trav. *ibid*. P, 215.) ، ومع كل ذلك كانت زوجه المحببة إليه هي « مريت » إحدى مغنيات « آمون » وهى التى كانت ترسم معه فى غالب الأحيان (Ibid. P. 220.) ؛ ويعرف قبر « سن نفر » فى أيامنا هذه بقبر العنب ، ويقع فى « جبانة شيخ عبد القرنة » ، (رقم ٩٦) ، ويرجع السبب فى هذه التسمية إلى رسم كرم عنب على سقفه ، والجزء الأعلى من جدرانها ملون بألوان جميلة. Rec. Trav. *Ibid* P. 211 - 223 ; XXI. P. 127 - 133, 137 - 149. جملة & XXII. P, 83 - 97.

منظر عيد الحصاد : ويحتوى القبر كذلك على منظر كبير يظهر فيه مخزن غلال الإله « آمون » التى كان يشرف عليها « سن نفر » (راجع Davies M. M. (1929) P. 41ff. fig. 8.) وهذا المخزن يشمل مساحة عظيمة مسورة يصل إليها الإنسان من بوابة ضخمة نقش عليها ألقاب « أمنحتب الثانى » ، ويشاهد بعد المدخل مباشرة سلم يصعد فيه إلى ممز مرتفع قد كدست الغلال على جانبيه فى أكوام هرمية الشكل يدل عليها قتها التى عملت على هيئة مثلث أسود اللون ليحاكى قطعة البازلت التى تنتهى دائما فى قمة الهرم الأسمى . وهذا السلم يكتنفه شرفة نحت فيها ثعابين ضخمة . ويلاحظ أنه يوجد على أكبر كومة فى هذا المنظر وهى التى يصل إليها الإنسان بسلم طوار مثل عليه الفرعون « أمنحتب » يحرق بخورا . ويقدم قربانا محروقا على مائدة قربان صغيرة ، كما يشاهد ثلاثة خدام يصعدون إلى هذا الطوار ليحضروا قربانا ، وكذلك يشاهد على كلا جانبي كومة الحبوب جزار يذبح

نورا، وبالقرب من المدخل المؤدى إلى مخزن الغلال أقيم جوسق صغير يحتوى على جرار مزينة بأكاليل . وقد لوحظ وجود مناظر مثل هذا المنظر جميعه فى عدة مقابر فى هذه الجبانة منها مقبرة « ماحو » (رقم ١٢٠) ومقبرة « خنمس » (رقم ٢٥٣) ومقبرة « أممحات سورر » (رقم ٤٨) . والآن كيف نستطيع أن نفسر سلسلة هذه المناظر المتكررة والتي على ما يظهر تمثل نفس الرواية فى الحياة القومية المصرية ؟ فالمخازن الضخمة هى بلا نزاع ملك ضياع الإله « آمون » ، وعلى ذلك يمكننا أن نمن أن الفرعون يحتفل بشعائر عيد الحصاد ، وذلك بتقديم الشكر للإله « آمون » الذى أقيم فى مخازنه الضخمة الاحتفال بالعيد ، (انظر لوحة رقم ٤١) على أنه لدينا معلومات عن موضوع الحصاد وشعائره من مصادر أخرى . ففى مقبرة « خع أم حات » (رقم ٥٧) نشاهد صاحب المقبرة يقدم قربانا محروقا للإلهة « رنوت » التى مثلت فى صورة امرأة برأس حية جالسة على عرش ترضع طفلا هو إله الجيوب الصغير المسمى « نبرى » ويحمل اسم الملك الحاكم « أمنحتب الثالث » . وتقول النقوش المفسرة لهذا المنظر : « خع أم حات » يقدم كل الأشياء الطيبة الطاهرة للإلهة « رنوت » سيدة مخزن الغلال فى اليوم الأول من الشهر الأول من فصل الصيف (الشهر التاسع من السنة) وهذا اليوم هو يوم ولادة « نبرى » . ويلاحظ أنه فى القبور المعاصرة مثل مقبرة « أممحات سورر » (رقم ٤٨) وقبر « زسر كارع سنب » (رقم ٣٨) وستكلم عنهما فيما بعد ، أن صورة « رنوت » مصحوبة بالتاريخ ، اليوم السابع والعشرون الشهر الثامن (وهو يوم الحصاد على حسب ما جاء فى مقبرة رقم ٣٨) . ومن ذلك نعلم أن عيد الحصاد لابد أن كان يظل عدة أيام . ففى اليوم الأول كانت تمسح الأرضى المزروعة قمحا بواسطة موظفين حتى يمكن تقدير المحصول ، وعلى حسب ذلك يجبى الخراج وبعد ذلك يضم القمح ، ويدرس ثم يذرى فى اليوم الأول من الشهر الجديد ويقدم للإلهة الخاصة بالحصاد (راجع (J. E. A. Vol. VIII P. 236) وفى حالة الأفراد كانت الإلهة « رنوت » بطبيعة الحال تتقبل الصلوات والدعاء فى أثناء عيد الحصاد ، ولكن لما كان هذا العيد يمس كل الأمة فلاحها



(٤١) عهد الحساد (تقلا من ديفر)

والفرعون وحكومته فقد كان من الضروري أن يستعطف في هذه الحالة الإله الأعظم الذى يحكم العالم . ولذلك نرى في قبر « سن نفر » كما نجد في مقبرتي « ماحو » و « خنمس » أن الإله الذى كان يقرب إليه هو « آمون » . أما في مقبرة « أمنمحات سورر » فلم يعين فيها الإله ، ولكن كون الفرعون يشاهد فيها يضحي في مكان مكشوف وأمام نافذة مكشوفة يوحي بأن الإله المقرب إليه هو إله الشمس والشعيرة التي كان يؤذيها الملك في هذه المناظر كانت شكرا للخالق لأجل الحصاد أو قربانا للإله « آمون » بمثابة نصيبه من الحصاد . كما يلاحظ ذلك من الخراج الذى كان يحدد له في اليوم السابع والعشرين من الشهر الثامن ، ويحتمل وجود حفلات أخرى في الأيام الثلاثة التالية التي تنتهي في اليوم الرابع الذى يكون في اليوم الأول من الشهر التاسع ، وهو اليوم الذى كان على ما يظهر يعد يوم ميلاد الملك الزراعى ، وبذلك كان يوجد الملك مع ابن آلهة الحصاد كما يوجد مع ابن الشمس في السماء (الملك) ؛ وهكذا كان الفرعون بوصفه ابن الإله « رع » وابن إله الحصاد يعد وسيطا سريا لعطايا الشمس والأرض لأبناء مصر . ومما يؤسف له أننا لا نعرف أى حادثة من أسطورة إله الشمس أو أسطورة الإله « أوزير » تمثل لنا حوادث هذا العيد ، غير أن الإعداد المتبع الذى يتخذ لإعداد هرم من القمح وهو عمل كان يتطلب عدة أيام في شغل متواصل لتجهيزه يوحي بأنه كانت تقوم أحداث كثيرة أكثر مما دون أماننا في هذه المناظر السابقة . وفي منظر آخر في هذا القبر نشاهد هدايا أول السنة الفاخرة التي قدمها « سن نفر » للفرعون ، إذ تقول النقوش عنها إن عدة المدينة الجنوبية (طيبة) « سن نفر » محض هدية السنة الجديدة ، وهي بوابة الأبدية ، ونهاية الزمن الخالد ، هذا إلى كل الأشياء المهداة الجميلة التي قدمها لجلالته بمثابة بركة شاملة (راجع Davies, M. M. A.) 1928) P. 46. Fig. 6 .

والهدايا التي يقدمها شبه الهدايا التي قدمها « قن آمون » السابق الذكر ، غير أنها ليست عديدة مثلها .

«باسور» : كان «باسور» هذا رجل حرب ويحمل الألقاب التالية : رئيس الرماة لرب الأرضين ، وطفل الرضاعة^(١) ، رئيس رماة جلالته ، وتابع جلالته ، والمقرب كثيرا من رب الأرضين ، وقبره في «جبانة شيخ عبد القرنة» ، وقد مثل فيه وهو يقدم للفرعون طاقة أزهار (راجع Piehl, A. Z. Vol. XXI. P. 135. (12b,) & L. D, (III. Pl. 274. .

«مرى» : كان «مرى» من أكبر رجال الدولة في عهد «أمنحتب» فقد كان يحمل الألقاب التالية : الكاهن الأكبر للإله «آمون» والأمير الوراثي ، والمشرف على أرض الجنوب والد الإله في المكان العظيم (؟) وربما يرجع الفضل في تقليده هذه المناصب العالية إلى أنه كان ابن المربية العظيمة لرب الأرضين المسماة «محنأ» وتدل الكشوف الأثرية على أن هذا الكاهن كان له قبران اختصب أحدهما من «آمون نزع» السالف الذكر (رقم ٨٤) في «جبانة شيخ عبد القرنة» ، والثاني في هذه البقعة كذلك (رقم ٩٥ ، وهذا قد أقامه لنفسه (راجع Porter & Moss, ibid, I. P. 113 & 125) ، وفي القبر الأخير يشاهد ممثلا مع والدته يتقبل القران ، وفي منظر يشاهد موسيقيا كامل العدة من آلات وراقصات (Champollion. "Monuments", cLXXV.) ، وكذلك نشاهد في قبره منظر صناعة العربات (Wreszinski, Pl. 307.) ، وصناعة المعادن والأواني (Ibid. Pl. 59.) في مصانع الإله «آمون» .

«آمون أم أبت» : كان «آمون أم أبت» وزير الفرعون «أمنحتب الثاني» ويحتمل أنه هو الذي حل محل «رخ مى رع» بعد عزله ، وقبره موجود في جبانة شيخ عبد القرنة ، وقد ذكر كذلك في قبر أخيه «سن نفر» المشرف على غلال «آمون» (Porter & Moss ibid, I. 65, 66.) ، وكان «آمون أم أبت» يحمل الألقاب التالية : الأمير الوراثي والسمير الوحيد ، والقاضى لقلب سيده (؟) والمقرب إلى ملك الوجه القبلى في القصر ، الثابت الخطوة ، والدائم الحب ، عمدة (١) هذا اللقب كان يمنح لأولئك الأفراد الذين تربوا في القصر الملكى أومع الملك نفسه في صغره .

المدينة، والوزير عمدة المدينة الجنوبية، ومدير بيت الفرعون « أمنحتب الأول » ومدير عبيد الملك « تحتمس الأول » والمشرف على كهنة « أحمس نفر تارى » ، والكاهن الأكبر للإله « آمون » فى « الكرنك » (Weil "Viziere" P. 78 - 9) ، ويحتوى قبر « آمون أم ابت » على مناظر ونقوش تشبه مناظر الوزير « رخ مى رع » بما فيها صورة العصى التى قيل عنها خطأ إنها إضماتات جلد نقش عليها القانون (راجع رخ مى رع) ومعظم جدران مقبرته قد نزلت عنها نقوشها ومناظرها (Davies, "Five Theban Tombs", P. 16. Note. 4.) ؛ ومما هو جدير بالذكر هنا أن هذا الوزير كان يتقلد وظائف جنازية فى مقابر ملوك الأسرة الثامنة عشرة .

« نب أم كمت » : كان هذا الجندى من أتباع الفرعون الذين يسرون فى ركاب سيدهم أينما ذهب برا وبحرا وفى كل الصحراوات . وكذلك كان يلقب المقرب العظيم لرب الأرضين ، والممدوح من الإله الطيب ، ورئيس الإصطبل ، وحامل المروحة وقبر هذا الجندى فى « الخوخة » رقم (٢٥٦) (راجع Porter and Moss, ibid, Pl. 161.) .

« سوم نوت » : كان هذا الموظف كذلك من خدم الفرعون الذين يسرون فى ركابه ، ويحمل الألقاب التالية : تابع خطوات الفرعون فى كل أرض صحراوية فى الجنوب والشمال ، وساقى الفرعون ، طاهر الدين . (Wreszinski, ibid. Pl. 295.) والظاهر أن معظم مناظر قبر هذا الموظف كانت تنصب على تمثيل مهام عمله بوصفه « ساقى الفرعون » ، إذ نشاهده يشرف على تحضير أنواع عدة من الشراب (راجع Ibid. 295-7.) .

وفى مشهد آخر نراه يعرض طعاما شهيا قدم على مائدة صغيرة (راجع Ibid. Pl. 297.) ، وكذلك يوجد منظر آخر لصيد الطيور والسماك فى البطاح ولكنه لم يتم ولا تزال نرى المربعات التى وضعت لإتمام المنظر على الجدار .

«تحتوتى»: مدير بيت الكاهن الأول للإله «آمون»، وكاتب الملك، وقبره في جبانة «شيخ عبد القرنة» (رقم ٤٥)، وقد اغتصبه شخص يدعى «تحتوت ام محب» الذى كان يحمل لقب رئيس صناع الكتان الجميل (٩) لضياح «آمون»، ومن المحتمل أن الأخير عاش في عهد «رعسيس الثانى»، وقد وضع اسمه على صور صاحب المقبرة ومعظم مناظرها. وأهم منظر يسترعى النظر مشهد وليمة جلس إليها ضيفان، ويلاحظ أن السيدات يقدم بعض أزهارا لشمها في حين نشاهد فتيات رشيقات يساعدن في تجميل أنفسهن وتقديم النبيذ لهن (Porter and Moss, Ibid, P. 78; Wreszinski. ibid. Pl. 169.)

«تحتوتى نفر»: يمتاز قبر تحتوتى نفر كاتب الفرعون بأنه يحتوى بعض مناظر شيقة للفرز والنسيج (Roth, "Ancient Egyptian and Greek Looms", P. 12. Fig. 9-). وقبره في جبانة شيخ عبد القرنة (رقم ١٠٤).

«وبن سنو»: هذا الأمير ابن الفرعون «أمنتب الثانى» أى أنه كان أخا «لتحتمس الرابع» وفضلا عن لقبه ابن الفرعون من جسده، فإنه كان يحمل لقب المشرف على الخليل (Gauthier L. R. II. P. 289 - 290.) ولا نزاع في أن هـ اللقب الذى يحمله ابن ملكي يشعر بأنه كان يعد من الألقاب العالية في الدولة.

فهرس الموضوعات

تمهيد

الدولة الوسطى

الأسرة الثالثة عشرة

- ١ مقدمة — ٤ الملك «مخمرع خوتاوى — أمنمحات سبك حتب» ٠ — ٦ الملك «سعنخ تاوى — سخم كارع» ٠ — ٨ الفرعون «مخمرع خوتاوى — بنتن» ٠
- الملك «مخمرع كارع — أمنمحات سنبف» ٠ — ٩ «سزفا كارع — كاي أمنمحات» ٠ — الملك «خوتاوى رع — وجاف» ٠ — ١١ الملك «سنفرأب رع — سنوسرت» ٠ — الملك «سعنخ اب رع — أمينى أنتف أمنمحات» ٠ —
- ١٢ الملك «حورأب شدت أمنمحات» ؛ الفرعون «مختبأب رع — أمنمحات» ٠
- ١٣ الملك «سمنخ كارع» — مرمشع ٠ — الملك «مخمرع سوازاوى — سبك حتب الثالث» ٠ — ١٧ الملك «خع مخمرع — نفرحتب» ٠ — ٢٥
- الملك «سا حتحور رع» ٠ — الملك «خع نفررع — سبك حتب الرابع» ٠
- ٢٩ الملك «خع عنخ رع — سبك حتب الخامس» ٠ — ٣١ الملك «خع حتب رع — سبك حتب السادس» ٠ — الفرعون «مرمخمرع — نفرحتب» ٠ — ٣٣ الملك «مركاورع — سبك حتب» ٠ — فى خع ن ماعت
- رع — ختزر الأؤل ٠ — ٣٥ الملك «وسركارع — ختزر الثانى» ٠ — ٣٦
- الملك «واح أب رع — لع إب» ٠ — ٣٧ الملك «مر نفررع — آى» ٠
- ٣٨ الملك «مر حتب رع» — إنى (سبك حتب الثانى (٩)) ٠ — ٣٩
- الملك «سوازا إن رع — نب آرى راو» — اللوحة المشهورة التى كتبت فى عهد عن بيع وظيفة ٠

- ٤٥ الملك « رد نفر رع - ددومس » . - ٤٦ الملك « زد حنب رع - ددومس » . - الملك « سواح ن رع - سنب ميو » . - ٤٧ الملك « زد عنخ رع - متوام ساف » . - الملك « نحسى » . - ٤٨ الملك « من خمو رع - سش اب » . - ٤٩ الملك « حنب اب رع - ميامو حور ن زحرتف » .
 • نظرة عامة في حكم الأسرة الثالثة عشرة - ٥٢ الأسرة الرابعة عشرة .

عصر الهكسوس

٥٤ مقدمة - ٥٥ هجرة الهكسوس - ٥٦ طرد الهكسوس - ٥٧ مضموناتا عن الهكسوس من المصادر القديمة المدونة - ٦٠ تفسير كلمة هكسوس - ٦٢ ملوك الهكسوس في ورقة تورين - ٦٣ العثور على جوارين من عهد الهكسوس - ٦٥ ملاءة الإله « ست » بالهكسوس - ٦٨ رواية « مانيسون » عن الهكسوس - ٧٠ اللوحة التذكارية للاحتفال بعيد أربعمائة البنة التي مرت على تنويع « نيقو » (الإله « ست ») ملكا على دوة الهكسوس - ٧٣ عبادة الإله « ست » في « أواريس » في عهد الأسرة الثالثة عشرة - ٧٦ « تابس - أواريس - بردعيس » - ٨٠ تاريخ فنز الهكسوس لمصر - ٨٢ الهكسوس وآثارهم الباقية - ٨٦ آثار الملك « وسرع » - « أبوفيس » - ٨٧ آثار الملك « نب خبش رع » « أبوفيس »

٨٩ الملك « عاقن رع - أبوفيس » - ٩١ الملك « سومرن رع - خبان »

فراعنة الأسرة السابعة عشرة

٩٥ الملك « محم رع واح - رع حنب » . - ٩٧ الملك « محم رع هرورح ماعت - انتف » . - ٩٩ الملك « محم رع وب ماعت - انتف عا »
 ١٠١ الملك « نب خبر رع - انتف » . - ١٠٤ الملكة « سبك ام ساف »
 - ١٠٥ الملك « محم رع واز خع - سبك ام ساف » . - ١٠٦ الملك « محم رع شد تاوى - سبك ام ساف » . - ١١٠ الملك « سانشت ان رع - تاوا الأول - وزوجه تقي شري » . - ١١٥ الملك « سقن رع - تاوا الثاني » . - ١٢٠ الملكة « اع حنب » والكشف عن تابوتها وما وجد فيه من آثار - ١٢٥ التعرف على محبسة « أحسن قمر تاري » . - ١٢٧ بداية الماوشات مع الهكسوس

١٣٠ « الملك كامس » : — ١٣٢ قصة الكشف عن بقايا الفرعون « كامس » — ١٣٦ مقبرة الملك « كامس » — ١٣٩ لوحة « كازنفون » الخاصة بحروب الملك « كامس » — ١٤٣ النصوص الخاصة بحروب الهكسوس — ١٤٥ أهمية نصوص تاريخ حياة « أحس ابن أبانا » — الدور الذي قام به « أحس بنخبت » في حروب الهكسوس .

١٥١ الإشارة الى حروب الهكسوس في المتون المصرية : — ١٥٢ مدى فزوح الهكسوس في مصر — ١٥٥ الهكسوس من المصادر الأثرية — ١٥٦ الكشف الأثرية في « فلسطين » تزيد في معلوماتنا عن الهكسوس — ١٥٧ طراز نفار « تل اليهودية » — ١٥٨ ظهور نفار من طراز جديد يدل على هجرة قوم جدد — ١٥٩ علاقة الهكسوس ببلاد « مسوبوتاميا » — انتشار تجارة الهكسوس ومدنيتهم — ١٦١ طراز التحصينات الخاص بالهكسوس — ١٦٣ الهكسوس يجلبون الخيل والعربات الى مصر — ١٦٤ عظم مدينة الهكسوس .

١٦٦ الأدلة على وجود الهكسوس في مصر في عهد الأسرة الثانية عشرة : — ١٧٠ آثار الهكسوس في « بيلوس » من عهد الأسرة الثانية عشرة — ١٧٣ الآثار الأخرى التي تنسب الى الهكسوس — ١٧٥ موازنة بين هجرة الهكسوس وهجرة الكاسيين — ١٧٨ عصر الهكسوس المتأخر — ١٨٠ « تحتمس الثالث » يقضى على قلوب الهكسوس في آسيا — ١٨٢ نفقة الهكسوس في « فلسطين » — ١٨٥ السلالات التي تألفت منها شعب الهكسوس — ١٨٧ الساميون هم الناصر الهام لقوم الهكسوس — ١٨٨ من أين أتى الهكسوس ؟ — ١٩٠ الموطن الأصلي للحصان — ١٩١ نسبة اختراع الحصون المستطيلة للآريين .

الأسرة الثامنة عشرة

١٩٩ الملك « أحس الأول » مؤسس الأسرة الثامنة عشرة : — ٢٠٠ أعماله الحربية في الخارج والداخل — ٢٠١ اللوحة التي أقامها في معبد الكرنك تخليدا لأعماله وأعمال والدته وأمهاتها — ٢٠٩ مبانيه — ٢١٥ أسرة « أحس الأول » — ٢١٧ موميّة « أحس الأول » — ٢١٩ عبادة « أحس الأول » — ٢٢٠ رجال الدولة والحياة الاجتماعية في عهد « أحس الأول » — ٢٢٤ « أحس بن أبانا » — ٢٢٥ « أحس بنخبت » — « سني » — ٢٢٦ « نقريرت » — « عباو » — « باكا » — « يوف » — ٢٢٧ « نحرى » — « تقي كي » وأهمية مناظر قبره — ٢٣٠ « رعى » — « نوحوى » .

٢٣١ « أمنحيب الأول » : — ٢٣٢ حروب « أمنحيب الأول » — ٢٣٥ المبانى فى عهده — ٢٣٦ إقامة معبد له بالدير البحرى — المعبد الجنازى — ٢٣٧ آثاره الباقية — ٢٣٨ لوحة « كارس » مدير أملاك الملكة « اغ حنب » وأمهيتها — ٢٤٠ وفاة « أمنحيب الأول » وابنتاه فى إقامة مدفن له — ٢٤١ عبادة « أمنحيب الأول » والملكة « نفر تارى »

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد « أمنحيب الأول »

٢٤٦ — « كارس » — « حور منى » — « رنى بن سبك نخت » — ٢٤٧ « رنى بن سبك حنب » — ٢٤٨ « لاني » وأهمية نقوشه — ٢٥٠ « بن آتى » — ٢٥١ « أمنعات » — « آمو » — « أنف قر » — ٢٥٢ « بازو » — « حوى » — « تحنس » الكاتب الملكى .

« تحتمس الأول » : — ٢٥٣ أسرة تحتمس الأول — ٢٥٤ تاريخ تنصيبه ملكا على البلاد — أوصاف « تحتمس الأول » — ٢٥٦ حروبه فى السودان — ٢٦٠ حروب « تحتمس الأول » فى آسيا — ٢٦٣ مبانى « تحتمس الأول » — إقامة سلقين والنقوش التى عليها — ٢٦٨ أعماله فى معبد العرابة ومبانيه الأخرى — ٢٧٣ أسرة الفرعون « تحتمس الأول » .

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد « تحتمس الأول »

٢٧٥ « باحرى » وأهمية نقوشه — ٢٨٥ « رعى » مدير بيت « تحتمس الأول » — « سانب إاحو » عمدة « طية » — ٢٨٦ « سات رع » مرضعة الملك — « نفر اضع » مربية « حنشبوت » — ٢٨٧ « أحس » (حومى) مدير بيت زوج الإله — « أمنحيب بن سنى تحوتى » — ٢٨٨ « نخت » — « بوى » — « وصر » — ٢٨٩ « وسرحات » — « باك » — « سبك حنب » — « عا خبركا » — « منغ » — « تحوتى بن قارى » وترجمة حياته .

الفرعون « تحتمس الثانى » : — ٢٩١ كيف تولى الملك — ٢٩٢ وصف « تحتمس الثانى » — ٢٩٣ منزلة « لاني » عند « تحتمس الثانى » — ٢٩٤ حروب « تحتمس الثانى » فى السودان — ٢٩٧ مبانى « تحتمس الثانى » .

الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد « تحتمس الثانى »

٣٠١ « نب آمون » — ٣٠٤ « خع ام واست »

حتشبوت وتحتمس الثالث

٣٠٥ مقدمة — ٣٠٧ «تحتمس الثالث» يتولى عرش الملك — ٣٠٨ ألقاب «حتشبوت» قبل تولي الملك — ٣١٣ سلطان «حتشبوت» والعقبات التي أقرضتها في تولي العرش — ٣١٦ أسباب ادهاء «حتشبوت» أحقية عرش البلاد — ٣١٩ تولى «حتشبوت» عرش الملك فلا — ٣٢٠ أعمال «حتشبوت» — ٣٢٣ «سنوت» وتصميم معبد الدير البحرى — ٣٢٦ الحملة إلى بلاد «بنت» — ٣٣٥ مقبرة «حتشبوت» وعلاقتها بالدير البحرى — ٣٣٦ نقل موميّة «تحتمس الأول» والدها إلى قبرها — ٣٣٨ «حتشبوت» تقيم سلات — ٣٤٣ «سنوت» يقيم لنفسه مقبرة في جبانة شيخ عبد القرنة — ٣٤٥ مكانة «سنوت» في التاريخ — ٣٤٧ مبانيها الدينية خارج طيبة — المعبد الذى أقامته «حتشبوت» في المكان المعروف «بطن البقرة» (سيوس أرتيميدوس) — ٣٥٢ الأميرة «نقرو» و«سنوت» — «مريت رع حنشبوت» زوج «تحتمس الثالث» — ٣٥٣ «سنوت» يقيم قبراً ثانياً لنفسه — ٣٥٥ وصف محتويات القبر — ٣٥٦ مصر «سنوت» — ٣٥٧ مكانة «حتشبوت» — آثار «حتشبوت» في جهات القطر وخارجه ، — ٣٥٩ سبب تزيين «حتشبوت» بزي الرجال — ٣٦٣ آثار أخرى للملكة «حتشبوت» — ٣٦٥ أشكال الجمارين في عهد «حتشبوت» — ٣٦٦ مصر «حتشبوت» — «تحتمس الثالث»^(١) وآثار «حتشبوت» — ٣٦٨ عهد «حتشبوت» كان عهد رخاء .

الموظفون والحياة فى عهد «حتشبوت»

٣٦٩ «سنوت» — ٣٧٣ قطع الاستراكا المخطوطة التي وجدت في مقبرة «سنوت» وأهميتها التاريخية — ٣٧٨ «حبوسنب» الوزير — ٣٨٠ «حبو» والد «حبوسنب» — تحوت المشرف على نخابة «حتشبوت» — ٣٨٤ دوانح الحجاب الأول — «نب آمون» كاتب الحسابات الملكية — ٣٨٥ «آمون احب» — ٣٨٧ «نحسى» .

«تحتمس الثالث» — انفراد بالحكم : — ٣٨٨ مقدمة — ٣٩٠ قصة تنويع «تحتمس الثالث» — ٣٩٣ وصف الاحتفال بتنويع «تحتمس» — ٣٩٤ سن «تحتمس الثالث» عند توليه العرش وتربيته الأولى — ٣٩٥ «تحتمس الثالث» بطن الحرب على بقايا الهكسوس — ٣٩٦ موقعة «مجدو» — ٣٠٤ أهمية هذه الموقعة في تاريخ الحروب —

(١) يلاحظ أنه قد ذكر خطأ «تحتمس الأول» بدل تحتمس الثالث في صفحة ٣٦٦

وصف حصار « مجدو » — ٣٠٧ أسلاب الحرب — ٣٠٩ سياسة « تحتمس » في حكم الأقاليم المقهورة — ٤١٠ تحتمس يقيم لنفسه معبدا جنازيا — ٤١١ إقامة معبد للإله « بتاح » — ٤١٢ إقامة لوحة بانتصارات « تحتمس » بالقرب من وادى حلفا — ٤١٣ « تحتمس » يقيم الأعياد لانتصاراته ويفرق الهدايا على معبد « آمون » — ٤١٤ جزية أمراء آشور — ١٥٤ جزية « سوريا » — ٤١٧ « تحتمس » يقيم معبدا خاصا للاله « آمون » في الكرنك — ٤٢٢ الحملة الثانية — الأشجار والحيوانات التى جلبها الفرعون من بلاد « سوريا » — ٤٢٦ تحتمس الثالث يستولى على موانئ ساحل « فينقيا » لتكون قاعدة لجيوشه . الحملة الخامسة — ٤٢٨ أثر الغنائم فى المصريين — ٤٢٩ الحملة السادسة فى السنة الثلاثين وحصار « قادش » — ٤٣٠ الحملة السابعة والغرض منها — ٤٣٢ الحملة الثامنة وتعد أعظم غزواته — ٤٣٣ كيفية الاستيلاء على « قرقيش » — ٤٣٤ غنائم هذه الموقعة — ٤٣٥ علاقة « الحنى » بمصر — نتائج الحملة — العودة إلى مصر — تحتمس الثالث يخرج لصيد الفيلة — عبقرية تحتمس الثالث فى تنظيم هذه الحملة ، وأثرها فى توطيد ملكه — ٥٣٧ القائد « تحتمس الثالث » ، والقائد منتجمى — ٤٤١ الحملة التاسعة — ٤٤٣ الحملة العاشرة — ٤٤٥ الحملة الحادية عشرة والثانية عشرة — ٤٤٦ الحملة الثالثة عشرة — ٤٤٨ الحملة الرابعة عشرة — ٤٤٩ الحملة الخامسة عشرة — ٥٥٠ الحملة السادسة عشرة والأخيرة — ٥٥٣ حروب « تحتمس الثالث » ونتائجها — ٥٥٥ منشآت « تحتمس الثالث » الدينية — مسلات « تحتمس الثالث » — ٤٦٣ تعليق المؤرخين المحدثين على نقل المسلات من أماكنها الأصلية .

« تحتمس الثالث » والسودان ٤٦٤ حمله إلى بلاد السودان فى السنة الخمسين — إصلاح

معبد سم .

٧٠٤ الآثار التى خلفها « تحتمس الثالث » : — حدود امبراطورية « تحتمس الثالث »

— ٧١١ آثاره فى « آسيا » وفى « الدنا » — ٧٣٣ آثاره فى الصعيد — ٧٤٤ معبد « قنط » — ٧٥٥ معبد مدينة « هابو » — ٧٧٧ معبد « تحتمس الثالث » فى « أرميت » وللوحه التى تلخص أعماله — ٨٨٣ آثاره فى « كوم امبو » و « إلفتين » — ٨٨٤ آثاره فى « بلاد النوبة » ولوحه « جبل بركال » — ٩٩٢ آثاره الصغيرة — ٩٩٣ التماثيل — ٩٩٦ الجمارين — ٩٩٨ أسرة « تحتمس الثالث » — ٥٠١ وفاة « تحتمس الثالث » — ٥٠٣ أخلاق « تحتمس الثالث » ومكانته فى العالم القديم .

الموظفون وحياتهم الاجتماعية في عهد « تحتمس الثالث » ٥١٥ الوزير « وسر آمون »
 أو « وسر » نموذجاً لرؤساء الوزارات — ٥٢٢ « أمنحات بن تحتمس » مدير بيت الوزير
 « وسر » وأمية ققوش قبره — ٥٢٣ « أمنحات » كاتب الملك ٥٢٤ « أمنسو »
 مدير بيت الفرعون في « طيبة » وتبادل التجارة بين مصر وبنات — ٥٢٦ أمنس
 رئيس الرماة — ٥٢٨ « منخبرع سنب » الكاهن الأكبر للاله « آمون » — ٥٣٢
 أمنحاب المسمى « محسو » نائب الجيش وأعماله — زوج أمنحاب تلعب دوراً في حياته
 الحكومية — ٥٣٨ أنتف الحاجب ومهام وظيفته ومكانته — ٥٤٢ « أموزح » حاجب
 الفرعون — ٥٤٦ من قرا المشرف على كل كهنة الآلهة — رحلته إلى بلاد « لبنان » لإحضار
 الخشب — ٥٤٧ أمنحاب مدير بيت الفرعون — ٥٤٨ أمنحات وكيل « آمون » —
 أمنحات حاكم « بيت تحتمس الأول » (المعبد) — ٥٤٩ أنتف كاتب المجندين — « بتاحس »
 الوزير — ٥٥٠ « بتاحس » حامل الخاتم — « منى » المشرف على كهنة الإله « أنحور »
 « منى » المشرف على الكهنة — « متوليوى » ساق الفرعون — ٥٥١ « قرحبر » طحان
 « آمون » — « قحبرت » ساق الفرعون « قحرب وعى » مدير بيت الإله « أوزير » —
 ٥٥٢ « نخت » مدير الفلال — « حبي » كاهن معبد الفرعون « تحتمس الثالث » الجنازى
 « خارو » حامل العلم — « ساموت » المشرف على أعمال « آمون » . « سنى مس » مربى
 الأمير « وازمس » — « كام حرابسن » الكاهن الثالث للإله « آمون » — ٥٥٣ « دديا »
 المشرف على كتاب مباني « آمون » — « ددى » رئيس الشرطة — ٥٥٤ « تاي »
 المشرف على الخزنة .

الوزير « رخ مى رع »

٥٥٥ — ألقابه — ٥٥٨ مقبرة « رخ مى رع » وزخرفها — ٥٦٠ مناظر المقبرة — ٥٦٢
 تاريخ أسرة « رخ مى رع » — ٥٦٤ حياة « رخ مى رع » كادوتها عن نفسه — ٥٦٩
 تنصيب « رخ مى رع » وزيرا للصعيد — مهام الوزير التي وضعها الملك — ٥٧٢ « رخ مى رع »
 يستقبل جزية البلاد الأجنبية — ٥٨٣ أعمال الوزير — إدارة الوزير — ٥٨٧ واجبات
 الوزير وأداة الحكم — ٥٩٦ « رخ مى رع » وعلاقته بمصانع آمون وضياعه وأنواع هذه المصانع
 والحرف وتمتدها — ٥٩٩ جقول « امون » — ٦٠٤ المناظر الدنيوية في مقبرة « رخ
 مى رع » — ٦١٠ بلاد النوبة — محاصيل أجنبية — « رخ مى رع » يفحص أحوال عبيد
 « آمون » — ٦١٣ صناعات الإله « آمون » على اختلاف أنواعهم

٦١٩ المباني والتماثيل : — العيد وصناعة البينات — ٦٢٠ أحجار المباني — ٦٢١ تماثيل
معبد « آمون » ونحتها — ٦٢٢ وليمة أسرية — ٦٢٤ الأغاني والموسيقى — النساء يربطن
شعرهن بأساليب رشيقة — ٦٢٥ ملابس الفتيات وواجباتهن .

٦٢٧ — تولى « أمنحتب الثانى » عرش الملك وموقفه من الوزير « رخ مى رع »
— ٦٣٠ ولبة رسمية — ٦٣٢ منظر المتطلعين والمساكين — ٦٣٤ الشعائر الدينية —
٦٣٦ الشعائر الجنائزية الخاصة بقداء المتوفى — ٦٣٧ تاريخ شعيرة فتح القم — ٦٣٩ حديقة
لمسرات المتوفى — ٦٤٠ خاتمة .

٦٤٣ « أمنحتب الثانى » : — وفاة « تحتمس الثالث » وتولية « أمنحتب
الثانى » — ٦٤٤ نشأته — ٦٤٥ معلوماتنا عن « أمنحتب الثانى » قبل الكشف عن اللوحة التي
أقامها بجوار « براهول » — ٦٤٦ من اللوحة وأهميته — ٦٥٢ مشاهد أخرى يظهر فيها
« أمنحتب » مهارته فى الرماية — ٦٥٥ — « أمنحتب » يقلد والده فى كل أعماله .

٦٥٥ حروب « أمنحتب الثانى » ، ولوحة « منف » — ٦٥٦ الموازنة بين لوحة
« منف » ولوحة « الكرنك » — ٦٦٧ تاريخ بداية الحملة الأولى — ٦٦٨ التعليق على نصوص
حروبه — ٦٧٩ آثار « أمنحتب الثانى » الباقية — ٦٨٣ معبد « أمنحتب الثانى » الجنائزى
— ٦٨٤ آثاره فى « إلفتين » وغيرها — ٦٨٧ تماثيل « أمنحتب الثانى » — ٦٨٨ جدارين
عهد « أمنحتب الثانى » .

٦٩٣ الموظفون والحياة الاجتماعية فى عهد « أمنحتب الثانى » — « قن آمون » —
« وسرحات » — ٦٩٧ « رع » الكاهن الأول — ٦٩٨ « سن قمر » ومنظر عيد الحصاد
٧٠٣ « باسور » رئيس الرماة — « مرى » الكاهن الأكبر للإله « آمون » — « آمون
أم بت » وزير الفرعون — ٧٠٤ « نب ام كت » رئيس الأصطبل — « سوم نوت » ساقى
الفرعون — ٧٠٥ « تحوتى » مدير بيت الكاهن الأول للإله « آمون » — « تحوتى قمر »
كاتب الفرعون — « بن سنو » بن الفرعون « أمنحتب الثانى » .

الاشكال الابضاحية والخرائط

صفحة	شكل	صفحة	شكل
١٤	١	٢٩١	٢٢
١٨	٢	٣٠٥	٢٣
٣٢	٣	٣١٢	٢٤
٣٨	٤	٣٢٢	٢٥
٨٨	٥	٣٣٠	٢٦
٩٣	٦	٣٥٤	٢٧
٩٨	٨	٣٨٩	٢٨
١٠٠	٩	٤٢٠	٣٠
١١٢	١٠	٤٧٦	٣١
١١٦	١١	٥٠٢	٣٢
١١٧	١٢	٥٠٤	٣٣
١٢٤	١٣	٥٧٢	٣٥
١٩٩	١٤	٥٨٥	٣٦
٢٠٧	١٥	٦٢٥	٣٧
٢١١	١٦	٦٤٣	٣٨
٢١٨	١٧	٧٥٣	٣٩
٢٣١	١٨	٦٩٦	٤٠
٢٥٥	١٩	٧٠١	٤١
٢٦٤	٢٠		
٢٨٠	٢١		

٩٦	٧	المصورات الجغرافية
٤٠٢	٢٩	خريطة طية الغربية
٥٣٤	٣٤	خريطة لموقع مجدو
		مصور شمالى سوريا

فهرس الأعلام والالهة والأماكن وغيرها

اثيوبيا (بلاد) : ٢٣٣
 أح ست (ملكة) : ٤٩٩
 اجير (كلية) : ٤٠٥
 أحد بدوى (أثرى) : ٦٥٥
 أحد نغرى (أثرى) : ٣٤٧
 أحد كمال باشا (أثرى) : ١١
 أحسن الأول (ملك) : ١٤٢٤١١٣٤٨٩٤٥٦٤٥٤ :
 ١٩٩ - ٥٢٣٤٣٢٤٤٢٩٨٤٢٥٣٢٣٠ : الخ
 أحسن انتخابى (ملكة) : ٣٦١
 أحسن بن أبانا (موظف) : ١٤٣٠١٣٠ - ١٥٠ :
 ٢٢٤٤٢٣٢٢٥٦٤٢٦١ : الخ
 أحسن بن نخب (سوظف) : ١٥٠٤١٨٠٤٢٢٥ :
 ٤١٦ : الخ
 أحسن حنت قاسحو (ملكة) : ٣٦٢٢١٩ :
 أحسن سيدة محو (ملكة) : ٣٦٠ :
 أحسن حومى (موظف) : ٢٨٧ :
 أحسن ساب اير (أمير) : ١٣٧ :
 أحسن نفر نادى (ملكة) : ٢٤٣٤٢١٢٤١٢٦٤١٢٥ :
 ٣٣٦٤٢٨٧ :
 أخليس (قائد) : ١٧٦ :
 اخناتون (ملك) : ٤٧٣٤٣٦٣٤٢٤٩٤٢٣٣٤١٠ :
 ادورد مير (مؤرخ) : ٢٠٦٤٢٠١٤٩٤٤٩ : الخ
 أدليد (مدينة) : ٤٧٣ :
 أدفو (بلد) : ٢٢٦٤١٠٤٤٨٠٤٤٦ :
 أربنجا (مكان) : ١٩٢ :
 إرتسن (مهندس) : ٣٢٣ :
 أريجوا (جزيرة) : ٢٥٩٤٢٧ :

(١)
 أبا خناس أو (أبا خنام) أو (باختم) (ملك) : ٨٥٤٨٢ :
 ابب = أبو نفيس (ملك) : ٨٥٤٨٤ :
 ابت = الأقصر : ٢٣٥ :
 ابراهيم (علم) : ١٩٧ :
 انعيم (بلد) = ٤٧٢ :
 أبريم (بلد) : ٢٧٢ :
 إيشا (رئيس أسوى) : ١٩٦٤١٧٧ :
 ابن إنى (علم) : ٤٩٨ :
 إبوتى (امراة) : ٢٨٤ :
 إيو (مرضة) : ٣٠٥ :
 إبور (كاتب) :
 أبواب الملوك (مقابر) : ٢٤٤ :
 أبو زيد الهلالى (علم) : ٦٧٥ :
 أبو نفيس (لقب ملك) : ١٨٦٤٧٩ : الخ
 ابى (ملك) : ٨٥ :
 اتا (أمير) : ٢٠١٤١٤٩ :
 أتريب (بنا) : ٦ :
 إتف ترى (كاتب) : ٢٧٩ :
 إتف نفر (موظف) : ٢٥٢٤٢٥١ :
 أتودين (بلدة) : ٦٧٥ :
 إنى (زوجة أمير بنت) : ٣٢٩ :
 آتوم (إله) : ٥٤٦٤٢٨٦٤٢٠٣٤٥٠٤١٩ : الخ
 إنت تاوى (بلد) : ١٩ :
 أشامى (علم) : ٣٠٣ :
 إئو (كاتب الفرعون) : ٨٦ :

اغ حنب (ملكة) : ١٠٩ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ٢٤٣ ، ٢١٢ ، ٢٠٦ ، ١٣٧ ، ١٣٢
 أفریکانوس (مؤلف) : ٨٢
 إكائی (بلد) : ٦٦٢
 الاسکندر الأكبر (ملك) : ٣٩٣
 الأشمونین (بلد) : ٢٤١
 الأقصر (بلد) : ٧٧
 الحرجة (بلد) : ١٦٨
 الخرطوم (بلد) : ١٠
 الخوخة (جبانة) : ٣٨٥ ، ٣٨٦
 الخينا (مملكة) : ١٧٥ ، ١٨٦ ، ٥٢٩
 الدير البحري (معبد) : ١٣٦ ، ٢١٢ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٣٠٢ ، ٥٢٠ الخ
 الرقة (بلد) : ٥٤٩
 السودان : ٥٤٣
 السوین (قناة) : ٣٢٧
 العرابة المدفونة (مقابر) : ٤ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ١٣٣ ، ٢١٣ ، ٢٤٠ ، ٢٨٦ ، ٥٤٩ الخ
 الفاتیکان (منحنى) : ٤٩٥
 القرافرة (واحة) : ٢٩٧
 الفتنین (جزيرة) : ١٠ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ٢٦٦ ، ٢٧٧ ، ٣٤٢ ، ٦٨٤
 الفيوم (إقليم) : ١٦٨ ، ٤٧٢
 القاهرة : ٤٥٩
 القصیر (بلد) : ٣٢٧
 القوصية (بلد) : ١٤٠ ، ١٥٣
 الکاب (بلد) : ١٧ ، ٥١٦ ، ٥٢ ، ١٥٠ ، ٢٣٧ ، ٤٨٢
 الکرنک (معبد) : ١ - ٢٤٩
 الکوم الأحمر (بلد) : ٢٤٧

ارخ (ارج) = الألاخ (إقليم) : ٤٤٧ ، ٤٤٩
 أردن (إقليم) : ١٨٨
 ارستانویس (مؤلف) : ٣١٤ ، ٤٦٢
 إدم (إقليم) : ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٣٣١
 أرمنت (بلد) : ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٤٧٧ ، ٥٩٦ ، ٦٧١ ، ٦٨٣
 أرمنیا (بلاد) : ١٨٩
 أرنت (نهر العاصی) : ٣٩٦
 أرواد (مدينة) : ٤٢٩
 أرینا (بلد) : ١٨٩
 إزیت — إر — ناس — ب — تو (إلهة) : ٣٥٠
 إزیس (والدة تحنسن الثالث) : ٣٠١ ، ٣٨٨
 إزیس (إلهة) : ٢٧٧ ، ٢٣٣ ، ٢٣٩ الخ
 إزیس (سلکت) : ٤٨٤
 إسمحاق (رسول) : ١٩٧
 أسوان (بلد) : ١٧٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٤٩٦ ، ٥٩٢ ، ٦٨٤
 استا (بلد) : ٢٧٩ ، ٢٩٨
 استارام (علم) : ١٤٧
 است (ملك) : ٨٢ ، ٨٥
 اسکندریدوی : ٦١٦
 اسکندرية : ٢٨ ، ٤٩٤
 إسی (بلاد) : ٥١٢
 آسیوط (بلد) : ٥١٠ ، ٥٩٣ ، ٦٤٤
 أشرو (معبد) : ٣٨٦
 آشور (بلاد) : ٦٠ ، ٢١٤ ، ٤٢٢
 اصطیل عتر (انظر : سبوس أرتمیدوس) : ٢٥١
 أطفیح (بلد) : ٢٦
 اغ (ملك) : ٨٤

- اللاهون (بلد) : ١٦٨
 اللني (قائد) : ٥٠٧ ، ٤٠٤
 إلم (قبيلة) : ٣٣١
 المتحف البريطاني : ١٨٤ ، ٨٩ ، ٨٦
 الممعة (بلد) : ٢٦ ، ٨
 الهكسوس : ١ — ٢٦٠ الخ
 اليوت سمث (دكتور) : ٢١٣ ، ١٢٠ ، ١١٩
 أمانوس (جبال) : ٥٧٨
 إميراس (مجموعة) : ١٠٧
 أمدا أو أمادا (بلد) : ٦٨٥ ، ٦٦٩ ، ٦٥٤ ، ١٥٢
 أمبروز لانسنج (مؤلف) : ١٦٩
 إمبوس (كوم أمبو) : ٨٠ ، ٧٩ ، ٦٧
 إمرو (حاكم الكاب) : ٤٠
 أممحب (أخو سنوت) : ٣١١
 أممحب الأول (ملك) : ٢٢٢ ، ٢١٣ ، ١٤٤ ، ٨٧
 ٢٣١ — ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٣٠٤ ، ٣٨٩ الخ
 أممحب الثاني (ملك) : ١٨٤ ، ١٨١ ، ١٥٢
 ٧٠٤ — ٦٤٣ ، ٥٢٧ ، ٤٤٤
 أممحب (أمير) : ٢٧٤
 أممحب بن منى تحوتي (كاهن) : ٢٨٧
 أممحب الثالث (ملك) : ٥٢٤ ، ٤٩٦ ، ٣٥٨ ، ٢٢١ الخ
 أممحب (المدير ليت الملك) : ٣٨٣
 أممحب (مدير بيت الفرعون) : ٥٤٧
 أممحب = محو (قائد) : ٥٣٨ — ٥٣١ ، ٥٠١ ، ٤٣٢
 أممحات الأول (ملك) : ٥١٦ ، ٤٢٤ ، ٣٧٧ ، ١٢
 أممحات الثالث (ملك) : ١٧١ ، ١٦٨ ، ٨٦ ، ٢٨
 أممحات الرابع (ملك) : ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٢ ، ٥٥
 أممحات بن تحتمس (مدير بيت الوزير ومسر) : ٥٢٢
 أممحات (حاكم بيت تحتمس الأول) : ٥٤٨
 أممحات سبك حنب (ملك) : ٥٠٤
 أممحات (كاتب قربان معبد أممحب) : ٢٥١
 أممحات (ويكل آمون) : ٥٤٨
 أممحات (كاتب الملك) : ٥٢٣
 أمممس (رئيس الرماة) : ٥٢٦
 أمممس (ابن الملك) : ٣٠٦
 أمممسو (موظف) : ٥٢٤
 أممفيس الأول (أنظر أممحب الأول) : ٣١٥ (ملك)
 أممو (موظف) : ٢٥١
 أمموزح (حاجب الفرعون) : ٥٤٥ — ٥٤٢
 آمون (إله) : ٦٧ ، ٩٥ ، ٢٠٤ ، ٣٢٦ ، ٢٣٢ ، ٤١٧
 آمون إري نفر (موظف) : ٥٤٨
 آمون إم ابت (وزير) : ٧٠٣
 آمون رع (إله) : ٤٥٨ ، ٥١٢ الخ
 آمون رع — آتوم (إله) : ٦٤٧
 آمون المحب ويسمى «محو» (موظف) : ٣٨٥
 آمون مس (كاتب بيت المال) : ٥٤٧
 آمون ومسر (وزير) أنظر «مسر» : ٥٦٤
 إمي — وتيو (إله) : ٣٥٠
 إميل بركنش (أثرى) : ٣٣٧
 أميني سنبو (موظف) : ٣٤ ، ٣٣
 أفاضول (إقليم) : ١٩٥
 أفا وخرات (بلد) : ٦٦٥
 أننف (ملك) : ١٠٩ ، ١٠١
 أننف إمر (موظف) : ٢٢٩
 أننف الحاجب : ٥٣٨ — ٥٤٢

- أنف (كاتب المهندسين) : ٥٤٩
 أنف عا (الأكبر) (ملك) : ١٠١٠٩٩
 أنحابي (ملكة) : ٢٤٢٠٢١٩
 أنحور (إله) : ٥٥٠
 أنحور خوري (علم) : ٢١٥
 أنجلباخ (أثرى) : ٥٠٠٠٤٥٧
 أنراثو = الاوزا (بلد) : ٤٣٠
 أنطونيوس (ملك) : ٤٧٥
 إني (موظف) : ٢٩٢٠٢٧٥٠٢٦٣٠٢٤٨٠٢٣٥
 أنوبيس (إله) : ٥٧٧٠٢٧٦٠٢٤٨٠٢١٤
 أنوت (الهة) : ٥٧٧
 إنيث (إلهة) : ٤٩٤
 أواريس (بلدة) : ٢٠٦٠١٢٨٠٨٢ — ٧٥٠٠٥٢
 أوجاريت (رأس الشجرة) : ٦٦٠
 أورشليم (مدينة) : ٦٠
 أوزير (إله) : ١٨٠٥٥١ الخ
 أوزير عزتي (إله) : ٧٩
 أوهت أبو (علم امرأة) : ١٥
 إيجيا (بحر) : ٢٩٦٠٢٩٤
 إيراب : ١٩١٠١٨٩
 إيوف : (موظف) : ٢٢٦
 آي (وزير) : ٤٣
 آي (حاكم الكاب) : ٤٠
 آي (رئيس مائدة قربان آمون) : ٤٤
 إيفانز (علم) : ١٦٠٠١٣٧٠٩٣
 إينو (بلاد) : ٥١٣
 إيون انظر (عين شمس) (مدينة) : ٦٤٦
 إيسون (ملك) : ١٢
 إيونيت (إلهة) : ٥٠٠٠٤٨٠
 (ب)
 ياماري (موظف) : ٣١١
 يابا (بن رعنت) (علم) : ١٤٣
 يابل (ملكة) : ١٧٥٠١٧٤٠٩٤ الخ
 يانا (موظف) : ٥٤٩
 ياسري (حاكم نخبت) : ٢٧٥ — ٣٠٤٠٢٨٥
 ياحري (رسام آمون) : ٢٢٥
 يابخن (علم) : ٢٩٩
 ياروكو (مجموعة) : ٥٠٠
 يازو (كاهن) : ٥٥٢
 ياسبخانو (ملك) : ٢٤٢
 ياسر (علم) : ٢١٩
 ياسور (رئيس الرماة) : ٧٠٣
 يافون آمون (موظف) : ٢٣٧
 يالك (موظف) : ٢٨٩
 ياك (موظف) : ٢٢٦
 ياهورليب (أثرى) : ٨٨٠٨٤
 ييلوس (ميناء) انظر «جيل» : ١٧٠٠١٧١٠١٧
 يي (شريف) : ٥١
 «بت» (والدة رخ مي رع) : ٦٣٦
 بتاح (إله) : ٦٩٢٠٤٥٥٠٤١١٠٧٤
 بتاح سكر (إله) : ١٢٥٠٧٦
 بتاحس (حامل الخاتم) : ٥٥٠
 بتاحس (وزير) : ٥٤٩
 بترى (أثرى) : ١٠٤٠٢١٦٠٨٥٠٣٦٦ الخ
 بحر نفر (موظف) : ٦٥٠٠٥٣

بخت (إلهة) : ٣٤٨ ، ٣٥١ الخ .

برحو (أمير بلاد بنت) : ٣٢٨

برسد (مؤرخ) : ١٥٢ ، ٢٥٨ ، ٣٢٣ ، ٤٦٨ ، ٥٠٠ الخ .

برعسيس (وزير) : ٧١

برعسيس (مدينة) : ٨٦

بركش (أثرى) : ٦٨٣

بركل (جبل) : ٤٠٦ ، ٤٦٨ ، ٥٠٠ الخ .

برى (كاتب) : ٥٤٩

بريس دافن (أثرى) : ٤٢٢ ، ٦٨٤

البريت (أثرى) : ١٥٥

بسالكوا (أثرى) : ١١٠

بطن البقرة (مكان) : ٣٤٧

بطليموس العاشر (ملك) : ٤٧٥

بطليموس المنديسي (مؤرخ) : ١٤٨

بصل (إله) : ٦٦

بصخي (فرعون) : ٤٨٧ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠

بفداد (مدينة) : ٩٣ ، ٩٢

بلاص (قرية) : ٤٧٥

بن آتي (موظف) : ٢٥٠ ، ٢٥١

بن إن رع (موظف) : ٢٨٩

بنبر (أمير) : ١٢٦ ، ١٢٧

بنت (بلاد) : ٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٥١ ، ٣٨٧ ، ٤٣٩

٤٩٢ ، ٥٧٣ ، ٦١٠

بتن = (يوناتان) (أمير) : ٢٢

بنفص (ملكة) : ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩

بنسلفانيا (جامعة) : ٢٨٦

بن حسن (مقابر) : ١٥١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٨

بنى نهم (مكان) : ٦٨٨

بنتي (مهندس) : ٢٣٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٩

بولول (إله) : ٨٦ ، ٢٧٥ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٨٣

٤٥٩ — ٦٢١ ، ٥٠٠

بوام رع (مهندس) : ٣٨٥ — ٣٨٧ ، ٤٥٦ الخ .

بوتو (بلد) : ٢٠٥ ، ٣٥٨ الخ .

بورخارت (مؤلف) : ٨٥ ، ١٤٧ ، ١٨٦

بروكوك (سائح) : ٢٦٥

بولونيا (متحف) : ٢٣

بون = بنون = بنم (ملك) : ٨٥

بوهرن (بلد) : ٢٤ ، ١٢١ ، ١٦٧ ، ٣٠٠ ، ٤١٢

٤٨٥

بوى (موظف) : ٢٨٨

بيت (أثرى) : ١٦٧

بيت شان (مكان) :

بينامون (موظف) : ٢٣٧

بينوزم (ملك) : ٤٧٥

(ت)

تاخنس (إله) : ٤٨٥

تاغا الأتول (فرعون) : ١١٠ ، ١١١ ، ٢٠٦

تاغا الثاني (ملك) : ١١٣ ، ١١٥

تاغا (ملكة) : ٦٩٠ ... الخ

تاغاخ (مكان) : ٣٩٩

تاجحو (أرض الشمال) : ٣٦١

تائيس (صان الحجر) : ٧٢٦ — ٧٨ ، ١٠٥

تاي (المشرف على الخزائن) : ٤٧١ ، ٥٥٤

تاعان (علم) : ٢٠١

تقى شري (ملكة) : ١١٣ ، ٢١٣

- تق كى (ابن الملك) : ٢٢٧
 تخمس الأول (ملك) : ١٥١ ، ١٣٨ ، ١٢١ : ٤٣٣٦ ، ٣٢١ ، ٢٩١ — ٢٥٣ ، ٢٤١ ، ١٢٦
 ٤٦٨ ، ٣٨٨ ، ٣٧٩
 تخمس الثاني (ملك) : ٢٦٢ ، ٢٤٤ ، ٢٢٥ ، ١٨٠ : ٣٤٠ ، ٣٣٦ ، ٣١٩ ، ٢٠٥ — ٢٩١ ، ٢٧٣
 ٥٠٣ ، ٣٧٨
 تخمس الثالث (ملك) : ٥٦ ، ٢٥ ، ٩ ، ٤ ، ١ : ٢٧٣ ، ٢٦١ ، ١٨٠ ، ١٥٢ ، ١٤٨ ، ٦٣
 ٦٤٣ — ٣٠٥
 تخمس الرابع (ملك) : ٤٣٥ ، ٢٧٥ ، ٢٢١ : ٦٨٣ ، ٦٦٣ ، ٥٠٠ ، ٤٥٩ الخ
 تخمس (ساق الملك) : ٥٥٤
 تخمس (الكتاب والمدير الملكي) : ٢٥٢
 تخموت (إله) : ٣٠٠ ، ٢٧٢ ، ٢٦٩ ، ٢١٤ : ٥٦٨ ، ٣٤٩
 تخوى (مدير بيت الكاهن الأول) :
 تخوى (مدير القصر) : ٣٨٢
 تخوى (القائد) : ٤٤٣
 تخوى (الكاهن الأكبر لآمون) : ٢٣٠
 تخوى (المشرف على الخزانة) : ٣٨٠
 تخوى حتب (حاكم) : ٢٤٨
 تخوى بن قارى (مدير النحاتين) : ٢٩٠ ، ٢٨٩
 تخوى عا (أمير) : ٨
 تخوى قمر (موظف) : ٣٠٤
 تخى (إقليم) : ٦٧١ ، ٦٦٩ ، ٦٦٨ ، ٤٣٦ : ١٩١
 ترانس كاسيا (ما وراء النهرين) : ١٩١
 تشب (إله) : ٦٦
 تفتت (الهة) : ٥٦٨
 تل الحسى (مكان) : ٦٧٩
 تل العجول : ١٦٤
 تل المقدام : ٧٤
 تل اليهودية : ١٧٨ ، ١٦٢ ، ٣٧ ، ٢٤ : ٩٠ ، ٣٧ ، ٢٦ ، ١٥ ، ٦ : ١٧١ ، ١٥٥
 تل بوسطه (الزقازيق) : ١٧١
 تل بيت مرسيم (مكان) : ١٧١
 تل كيسان : ١٧١
 تل نبي منه (انظر قادش) : ٤٢٩
 نحو (بلاد) : ٣٦٠
 نبوس : ٢٥٦ ، ٢٣٣
 نيمو (قبيلة) : ٢٣١
 نيجور (مكان) : ٢٥٩
 نفت حابي (أميرة) : ٣٦١
 نغن (رب المعادن) : ٢٦٨
 نثيت (إلهة) : ٤٨١ ، ٢٩٨
 نتي أو (تيناي) (بلد) : ٤٥٣
 نوتايوس (تخمس) : ٥٨
 نوت غنخ آمون (ملك) : ٢٢١
 نوري (حاكم السودان) : ٢٥٩
 نومبس (جزيرة) : ٢٥٨ ، ٢٥٦ ، ٢٣٣ ، ٢٢٨ : ٥٩
 نوموسس (ملك) : ٥٩
 نونب (بلد) : ٥٠٠ ، ٤٩٨ ، ٤٣٠ : ١٠٢
 نوقى بن منحوب (شريف) : ١٠٢
 نى (امراة) : ٢٩٠
 نيقى علم : ١٨٦
 نيقى شرى (ملكة) : ٢١٥ ، ٢١٣ ، ١٢٢ ، ١١٤ : ٢٨
 نيفون (= ست) : ٦٨

(ث)

ثارو (تلى أبو صيفة) : ٧٠ — ٧٢ ، ١٤٨ ، ٤٨٠

ثنو (مكان) : ٦٨١

ثنا (علم) : ١١٣

ثنونا (موظف) : ٦٩٠

ثوقى (موظف) : ٤١١

(ج)

جاردنر (مؤلف) : ٣٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ١٤٠ ، ٥٣٦

جارستنچ (أثرى) : ١٧٤

جب (إله) : ٢١٤ ، ٢٦٨ ، ٣٧٢ ، ٥٦٨ ، ٦٤٦

جباة شيخ عبدالقرنة : ٣٦٩ ، ٣٧٩ ، ٣٨٤ ، ٥١٥

٦٨٣ ، ٦٩٩ الخ

جبلين (بلد) : ٨ ، ١٦

جبل (أنظر يلويس) : ٢٢

جر لارى (وسام آمون) : ٢٢٥

جرجور (أمير) : ٦٧٥

جردفوى (رأس) : ٣٢٧

جرقل (مجموعة) : ١٣٨

جريفث (مؤلف) : ١٢ ، ٦٠ ، الخ

جرينوبل (بلد) : ٤٧٧

جليوا (جبال) : ٦٦٤

جيكية (أثرى) : ٣٥

(ح)

حاعننف (علم) : ١٧

حارنيوت (أقاليم بحرايجه) : ٢٩٤ ، ٢٠٦ ، ٢٩٦ ، الخ

حبرون (بلد) : ١٩٧

حبو (كاهن) : ٣٨٠

حيوسنب (وزير) : ٣٣٥ ، ٣٣٨ ، ٣٧٨

حي (كاهن) : ٥٥٢

حنب بنو (محراب) : ٣٧٨

حنب ابرع — سيامو حورنر حرتف : (ملك) ٤٩

حنب قفرو (أميرة) : ٨

حتحور (إلهة) : ٢٢٨ ، ٣١٧ ، ٤١١ ، ٤٧٢ ،

٥٤٤ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠

حت سخم (بلدة «هو» الحالية) : ٦٢٧ ... الخ .

حتشبسوت (ملكة) : ١٥١ ، ١٨٠ ، ٢١٩ ، ٢٣٦ ،

٥٠١ ، ٤١٧ ، ٤١١ ، ٣٨٨ — ٣٠٥ ، ٢٥١

حتتوب (محاجر) : ٢٣٥

حرتب (شريف) : ١٧

حرمس (موظف) : ٢٨٥ ، ٢٨٦

حرنكر (بلدة) : ٤١٤

حرى (موظف) : ٢٢٧

حوت (علم) : ٢٦٩

حقاو خاسوت (المكسوس) : ٨٣

حكمت (إلهة) : ٣٥٠

حلب (مدينة) : ١٩٤ ، ٤٠٩

حكران نخح (مربى) : ٦٩١

حماة (بلدة) : ٤٣٦

حمة بك (أثرى) : ٧٦

حمص (بلد) : ٤٣٦

حمن (إله) : ٢٦

حوراني (ملك) : ١٧٥ ، ١٧٦

حنو شليش (ملك) : ١٩٤

حوت وعمرت (أنظر أوارس) : ٧٧

حور (إله) : ٢٠٢ ، ١٤٠ ، ٨١ ، ٤٠ ، ٢٣ ، ٢١ : ٢٠٢ ، ٢١٣ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٧٨ ، ٢٩٤ ، ٣٠٢ ، ٣٩١ : الخ .
 حور اخي (إله) : ٤٨٤ ، ٤٧٢ :
 حورام اخت (كاتب) : ٢٥٢ :
 حورام اخت أو « حرميس » (بولبول) : ٦٤٨ :
 حورتاخنس (إله) : ٤٨٦ :
 حور محب (ملك) : ٦٩١ ، ٦٩٠ ، ٤٧٥ ، ٨٠ :
 حور مني (موظف) : ٢٤٦ :
 حوى (كاهن) : ٢٥٢ :
 حيفا (بلد) : ٦٦٥ :
 خايتانا (خاتيان) : ٦٦٤ ، ٦٦٢ :
 خاشابو = خاشا بابو (بلدة حسبية الحالية) : ١٦٢ ، ٦٦١ :
 خارو (إقليم) : ١٨٣ :
 خارو (حامل العلم) : ٥٥٢ :
 خبيرو (المبرانيون) : ١٩٥ :
 ختلش (ملك) : ١٩٤ :
 خع ام واس (موظف) : ٦٩٠ :
 خع ام واست (ابن الملك) : ٣٠٤ :
 خع تحت (موظف) : ٣٦١ ، ٢١٥ :
 خع حنبرع — سبك حنبرع السادس (ملك) : ٣١ :
 خع خنم رع (نقر حنبرع) : ٢٣ ، ٢٢ ، ١٧ :
 خع موع (ملك) : ٨٣ :
 خع نقر رع — سبك حنبرع الرابع (ملك) : ٢٨ ، ٢٥ :
 خع ومرع (ملك) : ٨٣ :
 خنفت حرنيس (مناحية) : ٢٥٧ :

(خ)

(د)

خنيس (كروم الخبيزة) : ٣٩١ :
 خنفت كاوس (ملكة) : ٣٦٢ :
 خنقى أمتى (أوزير) : ٢٦٨ : الخ
 خنقى سى (النوبة) : ١٠ :
 خنزر الأول (ملك) : ٥٠ ، ٣٥ ، ٣٣ :
 خنزر الثانى (ملك) : ٣٥ :
 خنسو (إله) : ٦٥٨ ، ٥٥٣ ، ٢٨٨ ، ٢٥٢ :
 خنسو (كاهن) : ٤٧٧ :
 خنمس (وزير) : ٧٠٠ ، ٧ :
 خنوم (إله) : ٤٨٣ ، ٤٦٦ ، ٣١٧ ، ٢٧٩ ، ٢٦٧ :
 ٦٨٦ ، ٥٠٠ :
 خنوم حنبر (أمير) : ١٧٨ :
 خورى أوسوران (قطر) : ١٥٩ :
 خوفو (ملك) : ٤٧٤ :
 خبيان (ملك) : ١٥٣ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٦١ :
 ٣٨٧ ، ١٩٣ ، ١٥٤ :
 خنيتا (انظر) الخيتا : ٤٣٩ ، ٤٣٨ :
 خنيتى (وزير) : ٥٧٠ :
 دارمى (أثرى) : ٣٦١ : الخ
 ددون (ديدون) (إله) : ٥٠٠ ، ٤٦٦ ، ٣٠٩ :
 ددى (رئيس الشرطة) : ٥٥٣ :
 دديا (موظف) : ٥٥٣ :
 دندرة (سشت) : ٦٨٠ ، ٥٥٤٢ ، ٥٠٠ ، ٤٧٣ ، ٢٧ ، ١٠ :
 دودى (موظف) : ٤١١ :
 دومنيو كوفوتانا (مهندس) : ٤٦١ :
 دير المدينة (جبانة) : ٢٤٥ ، ٢٤٤ :
 ديسو (مؤرخ) : ٢٢ :
 ديفز (أثرى) : ٥٥٩ ، ٣٢٨ ، ٣٢٥ : الخ

رعميس الثالث (ملك) : ٩٨ : ١٣٢ : ٢٤١ : ٣٦٢

٤٧٥ : ٣٦٦

رعميس الرابع : ٦٩٢

رعميس التاسع (ملك) : ٢٤١

رعى (مرضة) : ٢٣٠

رعى (موظف) : ٢٨٥

رنسب (موظف) : ٤٤

رنى بن سبك حنب (موظف) : ٢٤٧

رنى بن سبك نخت (موظف) : ٢٤٦

رنوت (إلهة الحصاد) : ٧٠٠ : ٥٥١

رو (أثرى) : ١٧٢

روستاو (جبانة) : ١٧٦

روسيا : ٢٩١

روما (مدينة) : ٥٠٠ : ٤٦١

رى (مرية) : ٢١٦

ريزر (أثرى) : ٥٠٠ : ٤٦٨

(ز)

زاهى (فيتيا) : ١٥١ : ٢٠٠ : ٤٤١

زدحنب رع ددوس (ملك) : ٦٤

زدغنخ رع — متوأم ساف (ملك) : ٤٧

زدقورع — ددوس (ملك) : ٤٥

زسرو (الدير البحرى) : ٣٠٢

زسرس (معبد) : ٦٩٧

زغنت (تاتيس) : ٧٦

زينة (أثرى) : ٥٤ : ٦٤ : ٨٠ : ١٤٨ : ٣٨٨

٤٤٩ : ٤٦٩ : ٦٦٩ : الخ

دكة (بلدة) : ٤٨٤

دوانمح (موظف) : ٣٨٤

دودى (موظف) : ٤١١

(ذ)

ذراع أبو النجا (جبانة) : ٩٨ : ١٠١ : ١١٧

(ر)

را أخت (اسم مكان) : ٧٧

رابو (غابة) : ٦٦١

راندل (ملك إيفر (أثرى) : ٢٨٦ : الخ

ران سنب (شريف) : ٥١

رأس الجنوب (إقليم) : ٢٩

ربرت هنشتر (مؤلف) : ٣٣٥

رتنو (بلاد) : ٤٢٢ : ١٥٢ : ١٤٥ : ٤٥٠ : ٥٠٠

٦٨١ : ٥١٢ : الخ

رع مى رع (وزير) : ٢٣٠ : ٥٠٩ : ٥٥٤ : ٦٤٢

رشف (إله) : ٦٤٨

رشوات (شبه جزيرة سيناء) : ٣٤٩

رع (الكاهن الأول لآمون) : ٦٩٧ : ٦٩٨

رع (إله) : ١٧ : ٢١ : ٢٩ : ١٤٥ : ٢١٠ : ٢٢٠

٤١٢ : ٣٩٢ : ٣٤٤ : الخ

رع حور اختى (إله) : ٦٩ : ٧٠ : الخ

رع نفر كا إم با امن (ضابط) : ٢٤١

رع موسى (علم) : ٣١١

رعميس الأول (ملك) : ٣٦٢

رعميس الثانى (ملك) : ٢٦ : ٧٠ : ٧٧ : ١٤٦ : ٣٨٨

٣٩٢ : ٣٦٧

سن نقر (عمدة المدينة) : ٦٩٨ — ٧٠٢
 سنورت (كاتب) : ٥٦٤
 سنورت الأول (ملك) : ١٠٢٠٩٠٠٣٤ :
 سنورت الثاني (ملك) : ١٧٠٠١٦٨٠٥٤ :
 سنورت الثالث (ملك) : ٣٠٩٠٢٥٩٠١٦٨٠٥ :
 ٤٦٥٠٣٦٥
 سنوهيت (قصة) : ٣٧٧٠١٧٦٠٦١ :
 مهل (جزيرة) : ٦٩٠٠٠٦٨٥٠٢٤٠١٧ :
 سني (حاكم) : ٢٩٩٠٢٢٥٠٢٢٣ :
 سني مس (مربي) : ٥٥٢ :
 سواح ان رع — سنب ميو (ملك) : ٤٦ :
 سوازان رع — نب اري راو (ملك) : ٣٩ :
 سوم نوت (ساقى الفرعون) : ٧٠٤ :
 سورس (محارب) : ٢٢٨ :
 سوريا (بلاد) : ١٧٦٠١٧٠٠١٦٣٠٩٢ :
 ١٨٥٠٣٦٢٠٣٨٧٠٤٥٤٠٥٠٠ :
 ٥٤٣ ... الخ
 سومرن رع (ملك) : ٩٣٠٩١ :
 سوكا (شويكة) : ٦٦٤ :
 سو (بلاد) : ١٨٩ :
 سى آمون (ملك) : ٢٤٢ :
 سيتوم (أميرة) : ٥٠٠ :
 سيقى (كاهن ست) : ٧١ :
 سيقى الأول (ملك) : ٣٩٤٠٣٦٣٠٢٤٧٠٢٢٦ :
 سيقى الثاني (ملك) : ٤٦٣ ... الخ
 سينا (بلاد) : ٣٥٧٠٣٥٢ :
 سيون (بيت) : ٤٨٣ :

مراية الخادم (بسينا) : ٣٥٧ :
 سرو (وادی) تصحيح (ست) : ٣٤٧ :
 سشات (الهة) : ٣٠٢ :
 سمنخ أب رع (ملك) : ١٢ :
 سمنخ — تاورى — سخم كارع : ٦ :
 سعيد باشا : ١٣٣٠١٣٤٠١٣٥ :
 سفارة : ٤٠٤٠٣٥٠٦٢٠٨٧٠٣١٤٠٤٧٢ ... الخ
 سمنخ رع (ملك) : ٢٥٣٠١٣٦ :
 سكت (ملك) : ٨٤ :
 سكستس الخامس (باباروما) : ٤٦١ :
 سلطة (بلد) : ٢٣٧ :
 سمنخ (ملك) : ١٩٣٠١٨٣٠٦١ :
 سمنخ كارع — مرشع (ملك) : ٩٠٠٥٢٠١٣ :
 سمة (قلعة) : ٤٦٤٠٢٧٣٠٢٧٢٠١٠٠٥٠٥ :
 ٥٠٥٠٥٠٠
 سمند (بلد) : ١٢٣٠١٢ :
 سميرا (بلد) : ٤٣٠٠٤٢٩ :
 سنای (مرضة) : ٦٩٩ :
 سقرال بارك (ميدان) : ٤٦٢ :
 سمنخ ان رع ناعا الأول (ملك) : ١١١ :
 سنجار = بابل = (بلاد) : ٤٣٦٠٤٣٨ :
 سن رس (عمدة طيبة) : ٣٠٤ :
 سنسنب (ملكة) : ٢٥٣٠٢١٦٠١٧ :
 سن من (موظف) : ٣٧٧ :
 سنوت (مدير أعمال حنشبوت) : ٣١٣٠٢٣٦ :
 ٤١٩٠٤١٧٠٣٧٨ — ٣٦٩٠٣٤٤٠٣٣٥ :
 سن نقر (المشرف على كهنة الالهين سبك وانوبيس) : ٥٤٦ :

(ش)

- شارك (ملك) : ١٩٣٠٨٤
 شادوهن (بلدة) : ١٥١٠١٥٠٠١٤٩٠١٤٨٠١٤٤
 شاي (إله الخط) : ٦٨٨
 شارونا : (مكان) : ٦٦١
 شبرمنت (بلدة) : ٦٩٤
 شبت (معبد) : ٢٧٦
 شرفي (أثرى) : ٢٤٥
 شستر (علم) : ٣٦٤
 ششي (ملك) : ٨٤
 شط الرجال (مكان) : ٢٥٠٠٢٣٧٠١٠٦٠٢٤٠١٧
 شفريه (مهندس) : ٦٨٢٠٦٥٢٠٢١٧
 شفنفوت (بجائه) : ٤٢٣
 شماش آدوم (مدينة) : ٦٥٨
 شماش رام (مكان) : ٦٦٠
 شفيخر (أثرى) : ١٦١
 شو (إله) : ٥٦٨٠٤٩١
 شيكاجو (مدينة) : ٣٥٢

(ص)

صيدا (نهر) : ٤٣٩٠٦٦١

(ط)

- طرق حور : ٦٠٢
 طروادة (بلد) : ٥٧
 طرة (محجر) : ٦٧٩٠٢٣٧٠٢٣٦
 طود (بلد) : ٤٤٩٠٢٩٨٠٨
 طهرافا (فرعون) : ٤٨٧

طية (بلد) : ٧٧٠٦٣٠٠٢٦٠١٥٠٦٣٠٦٢
 ٢٥٢٠٢١٠٠١٢٨٠١٠٥٠٩٧٠٩٤
 ٣٤٣٠٣٣٣٠٣٠٤٠٢٨٨٠٢٧٣٠٢٥٦
 ٤٢٣٠٤١٣٠٣٩٣٠٣٧٢٠٣٧٠
 ٥٨٩٠٥١٤

طيه (بلد) : ٥٣٩٠٣٤

(ع)

- عاباو (المشرف على ثيران القرون) : ٢٢٦
 عابد (علم) : ٨٧
 عاحتب رع (ملك) : ٨٣
 عاجبركا (موظف) : ٢٨٩
 عامهر رع = آست (ملك) : ٨٥
 عاقن رع = أبوفيس (ملك) : ٩٠٠٨٩٠٨٥
 عامنو = أر = أحسن (وزير) : ٥١٧٠٥١٦
 عامو (ملك) : ٨٤
 عاوسرع (ملك) : ٨٧
 عبرو (العبرانيون) : ٦٦٦
 عرونا (مكان) : ٤٠٠
 هشارت : ٦٨٠
 عفرم الخيى (علم) : ١٩٧
 عكا (مدينة) : ١٧٢
 عمود يومي : ٢٨
 عمو (بلاد) : ٣٨٦
 عنات هر (ملك) : ٦٩٠٦١
 عترة العيسى : ٦٧٥
 عنخو (وزير) : ٥٠٠٣٤
 عزقي (إله) : ٨٠
 عنقت (إلهة) : ٤٨٣٠٢٤

قن آمون (ابن رخى رع) : ٥٦٤

قتير (بلدة) : ٧٦

قواز (بلاد) : ١٨٨ ، ١٨٩

قيصرية (بلد) : ٦٧٤

(ك)

كاراى : ٦٨٠

كاتر (أثرى) : ٢٤٠ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٥٥

كارس (موظف) : ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦

كارزفون (مكتشف) : ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٥٣ ، ١٦٤

٣٥٥ ، ٢٤٠

كام حرابسن (موظف) : ٥٥٢

كاس (ملك) : ١٠٩ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٤٢

كاھون (اللاهون) : ٥٠ ، ٧٦ ، ٩١ ، ١٢٠

١٧٠ ، ١٧٧

كارا (بلدة) : ١٥٣

كرفس (ملكة) : ٣١٤

كرمة (قلعة) : ٥

كریت (جزيرة) : ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ٢٠٧

٣٨٧ ، ٥١٦ ، ٥٧٣ ، ٥٧٧

كفتيو (بلاد) : ٥٢٩ ، ٥٧٢

كلبشة (مدينة) : ٤٨٤

كليكية (مالوس ؟) : ٥٣٧

كليوبرة (ملكة) : ٤٦٢

كلوديوس (امبراطور) : ٤٨٢

كى (امراة) : ١٧

كسو (موظف) : ٤٣

كنت سنت فريول : ٤٧٧

كنمان (بلاد) : ٥٦

عين شمس (بلد) : ٢٣٠ ، ٢٥٧ ، ٣٤٩ ، الخ .

(غ)

غراب (بلدة) : ٤٧٢

غزة (نفر) : ٣٩٨ ، ٢٩٦

(ف)

فريزد (مجموعة) : ٢٨ ، ٤٥ ، الخ .

فلورنس (مدينة) : ٤٩٣

فنخو (أقاليم) : ١٧٧ ، ٢٠٢

فولكنز (أثرى) : ٥٠٧

فيدمان (أثرى) : ٢٨ ، ٢٥١

فيل (أثرى) : ٤ ، ٧٨

(ق)

قادش (مدينة) : ١٨١ ، ٤٢٧ ، ٦٦٠

قار (ملك) : ٨٤ ، ٤٤٢

قبرص (جزيرة) : ١٥٩ ، ٥٧٧

قبما سمنة (الشيخ ابريق) : ٦٧٦

قدنا (إقليم) : ٤٣٧

قرنة (قرية) : ٦٨٧ ، ٦٨٨

قسطنطينوس (ملك) : ٤٦١

قسط (بلد) : ٣٠ ، ٣٧ ، ١٠٥ ، ٤٧٢ ، ٥٠٠

٥٩٣ ، ٥٢٦

قرقيش (مدينة) : ٢٦١ ، ٤٣٣ ، ٤٤٩

قطة (بلد) : ٤٣٣

قلعة الموضيق (= نى) : ٤٣٦ ، ٥٣٥

قة (قلعة) : ٢٧٣ ، ٢٩٩ ، ٥٠٥

قنا (نهر) : ٤٨٩

قن آمون (المدير العظيم للبيت) : ٦٩٣ — ٦٩٥

كنوسوس (قصر) : ٩٣

كوبان (بلد) : ٤٨٤

كوش (السودان) : ١٤٠ ، ١٤٤ ، ٢٥٤ ، ٢٩٥

٣٨٣ ، ٤٣٩ ، ٤٥٥ الخ

كوم السلطان (مكان) : ٤٨

كوم امبو (بلدة) : ٨٠ ، ٢٢٣ ، ٣٥٨

كهك (حقول) : ٢٣٣

كهكا (قبيلة) : ٢٣٣

(ل)

لاران (مكان) : ٤٦١

لاعاش (انظر نجس) : ٦٦٦

لاكو (أثرى) : ٣٩ ، ١٤٠

لاننج (أثرى) : ١٣٦

لاهور (كلية) : ٤٠٩

لبسيوس (أثرى) : ٣٣٨ ، ٤٧٢ ، ٤٧٧ ، ٣٥٨ ... الخ

لبنان (بلاد) : ٤١٨ ، ٤٣٨ ، ٤٩١ ، ٥٤٦

ليب جننى (أثرى) : ١٢

لئون بريس (مجموعة) : ١٠٦

لجران (أثرى) : ٢٥٢ ، ٦٨١ ، ٦٩٢ الخ

القت (بلد) : ٢٦ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ١٦٨

لندن (مدينة) : ٤٦٣

لوث (مؤرخ) : ٩

لورنس (منابط) : ٤٠٤

لورية (أثرى) : ٦٩٢ الخ

لوييا (بلاد) : ٢٣٣ ، ٣٨٧

ليدن (بلد) : ٣٥٩

ليوتوبوليس (بلد) : ٢٦٩

(م)

ماباسن (قرية) : ٦٧٥

ماحور (موظف) : ٧٠٠

ماع اب رع (ملك) : ٨٣

ماعت (إلهة العدل) : ٣٧١ ، ٦٤٦

ماعم (عنبه) : ٤٨٥

ماكسياس (ميدان) : ٤٦١

مانو (جبال) : ٣٤١

مانيتون (مؤرخ) : ٣٦١ ، ٢٠ ، ٢٥٣ ، ٢٦٣

٦٨ ، ٨٢ ، ٩٨٥ ، ٩٩٤ ، ١٤١ ، ١٥٣ ، ١٧٩

١٧٩ ، ١٩٩ ، ٢٩٨ ، ٣١٥ ، ٣٦٨

متحف (ستونجارت) : ٢٤

متحف القاهرة : ٨٩ ، ٢٤٣ ، ٣٤١ ، ٤٩٣

متحف اللوفر : ٣٩ ، ٩٧ ، ٩٩٩ ، ١٠٩ ، ١٢٢ ، ١٣١

١٣٥ ، ٢١٧ ، ٢٣٨ ، ٢٩٠ ، ٣٥٨ ، ٤٩٧

متحف الفاتيكان : ٣٥٩ الخ

متحف برلين : ٣٧ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١١٠ ، ٢٣٧

٦٨٧

متحف بريطانيا : ٤٩٤ الخ

متحف تورين : ٢١٩ ، ٤٩٣ الخ

متحف جنيف : ٢٥١

متحف فلورنس : ٢٤٦ ، ٤٩٣ الخ

متحف فينا : ٦٨٤

متحف القاهرة : ٢٦٨

متحف ليدن : ١٠٦ ، ٢١٧ الخ

متحف متروبوليتان : ٣٥٩ الخ

متحف مرسيليا : ٤٩٥

منى (بلاد) : ١٨٤ ، ٤٠٩

نبدیس (تل الریح) : ٧٠
مزانو : ٦٦٠
مف (بلد) : ٥٥٠٠٢١٠٠٨٤٠٦٧٠٥٨٠٢٣
٦٤٤
منجات (أمیر قفط) : ١٠٣
منتوس (إقليم) : ٥٣٦
منی (موظف) : ٥٥٠
موت (إلهة) : ٥٥٣٠٤١٦٠٢٥٢
موت قمرت (ملكة) : ٣٠٦٠٢٩١
قمر موت (بنت رخ می رع) : ٥٦٤
موسی = مس (كاهن) : ٢١٩
موشلیش (ملك) : ١٩٤
موتخومری (قائد) : ٥٠٧٠٤٣٧
میت رهینه (بلد) : ٨٩
میت غمر (مركز) : ٧٤
مین (مدرب أمتخب الثاني) : ٦٤٥
مین (إله) : ١٠٣٠٤٨٠٣٠٠٢٦٠٢٤٠١٥
٥١٨٠٥٠٠٠٤٧٤٠٢٠٢٠١٤٩٠١٠٦
میدوم (بلدة) : ٦٧٩
مین نخت : ٥٤٥ — ٥٤٦
مینا (ملك) : ٧٩
مینوس (ملك) : ٣٦٩
(ن)
نابلیون الثالث (امبراطور) : ١٣٢
نابلیون (أمیر) : ١٣٥٠١٣٣٠١٣٢
ناجو (بلاد) : ٤٩١
نافیل (أثری) : ٢٩٦٠٤٤٦

نب أم حاب (ملكة) : ٣٠
نب ام کت (موظف) : ٧٠٤
نب آمون (کاتب) : ٣٨٤
نب آمون الثاني (کاتب حساب الحبوب) : ٣٨٥
نب آمون (مدير قاعة القرمون) : ٣٠٤٠٣٠١٠٣٠٠
نب یوتب (علم) : ٢٥٢
نباتا (بلاد) : ٦٥٧٠٥٠٨٠٢٥٦
نبت (بلد) : ٢٧٢
نبتا (سيدة) : ٥٢٨
نباوی رع (ملك) : ٨٣
نب خبر رع أنف (ملك) : ١٠٨٠١٠١
نب خبش رع (أبوفیس) : ٨٨٠٤٨٧
نبیری (رب الحبوب) : ٧٠٠٠٥٧٧
نب کاوحر (موظف) : ٢٢٩
نب واوی : ٦٦٩
نب وعی (مدير بیت أوزير) : ٦٩٠٠٥٥١
نجس = یونجس (بلدة) : ٦٦٦٠٤٤٦٠٤٤١٠٤٠٧
نجب (بلدة) : ٤٣٣٠٤٣٢
نحسی (ملك) : ٧٤٠٦٤٠٥٢٠٤٨٠٤٧
نحسی (كاهن) : ٣٢٠
نخت عاوی (إلهة) : ٣٥٠
نخت کاو (إلهة) : ٣٥٠
نخی (حاكم السودان) : ٤٦٩
نخن (علم) : ٨٨
نخب (بلدة) : ٢٧٧٠٢٧٥
نخت (إلهة) : ٥٢٨
نخت (اسم كاهن) : ٢٨٨

نخت (مدير) : ٥٥٢

نخن (بلد) : ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٧٩ ، ٥٥٥

نشى (ضابط) : ١٤٦

نقنيس (إلهة) : ٣٣٩ ، ٥٦٨

نقراغ (مربية) : ٢٨٦ ، ٣٨٥

نقريت (ساقى الفروعون) : ٥٥١

نقريت (حامل خاتم الفروعون) : ٢١٠ ، ٢٢٦

نقرت حور (زوج سنوت) : ٣١١

نقرتارى أو «نقرتيرى» (ملكة) أنظر (أحمس نقرتارى) :

٢١١ — ٢١٥ ، ٢٤١ ، ٣٨٤ ، ٥٤٧

نقرجنت (كاهن) : ٦٩٠

نقرجبو (طهان آمون) : ٥٥١

نقرجب الأول (ملك) : ١٩ ، ٢٣ ، ٥٠ ، ٢٨٧

نقرجب ودر (كاتب) : ١٠٣

نقردنبث «نقى» (موظف) : ٥٥١

نقروبقى (أميرة) : ٣٠٦

نقروبن (والد رخى رع) : ٥٦٣ ، ٥٥٨ — ٥٦٤

نقرومى (إقليم) : ١٤١

نقرورع (أميرة) : ٣٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣١٥ ، ٣٤٤ ، ٣٧٨

٣٧٨ ، ٣٩٤ ، ٤١٧ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠

نقرو سبك (انظر سبك نقرورع) : ٣١٤ ، ٣١٥

نقادة (بلد) : ٢٧٢

نلسن (مؤرخ) : ٣٩٧

نوت (إلهة السماء) : ١٩ ، ٥٦٨

نوتكريس (ملكة) : ٣١٤

نوسرع (ملك) : ٦٠٧

نون (إله) : ٢٦٩ ، ٤١٨ ، ٤١٩

نهر الكلب : ٤٣٠

نهرين = (منفى) : ٤٤٣ ، ٦٧٨

نى (بلد) : ٤٤٠ ، ٤٤٩ ، ٤٨١ ، ٥٠٠ ، ٦٥٩

نيت (إلهة) : ٣٧٠ ، ٣٧١

نيورى (أثرى) : ٧ ، ٨٥ ، ١٧٤ الخ

نيويورك (مدينة) : ٤٦٢

(و)

واح اب رع — اع اب (ملك) : ٣٦

وادى الملوك (جبانة) = ٢٤٥ ، ٦٩٢

وادى حلفا : ٦٨٦

واح نب رع (ملك) : ١٠٥

واحة آمون : ٢٣٣

وادى طليات : ٣٢٧

وادى علاق : ٤٤٨

وادى مقارة (مكان) : ٣٥٨

وارثت (مدينة) : ٤١٧ ، ٤٥١

وازيت (الهة) : ٤٨٥ ، ٥٢٨

وازخبروع (ملك) : ١٣٢ ، ١٣٨

وازد (ملك) : ٨٣

واج (عبد) : ٢٧٧

وازمس (أمير) : ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٨٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠

٥٥٢ ، ٤٩٥

واش شوجانى (بلد) : ٤٣٤

واوات (بلاد) : ٢٤٦ ، ٤٣٢ — ٤٤٩ ، ٤٩٠

وين سنو (موظف)

وابوت (إله) : ٢٠ ، ٢١ ، ٣٩ ، ٥٠ ، ٢٦٩ الخ

وشتون امون (اسم مكان) : ٥٢٨

هديران (ملك) : ١٧٢
هليو بوليس (بلد) : ٦٧٠١٦٢٠٤٨٠٠٤٦٦٨ الخ
هوق (أميرة) : ٨٦
هوروس (ملك) : ٣١٤
هوميروس (شاعر) : ٥٧
هيرا كنبوليس (الكوم الأحمر) : ٢٨٩

(ى)

ياخو : ٢١٣
يافا (بلدة) : ٦٦١
برزه (بلد) : ٢٦٢
يعقوب (رسول) : ١٩٧
يعقوب يعل : ١٨٦
يعقوب هر (ملك) : ٨٤
ين (مريية حنشبوت) : ٣٢٥
يناس أو يوناس (ملك) : ٩١٠٨٢
ينعم (مدينة) : ٤٠٧
ينقا (شمال قادش) : ٦٦٠٠٦٧٣
ينكر (أثرى) : ٦٥٠٦٨٠١٦٩
يودا (إقليم) : ٦٠
يوزيب (مؤرخ) : ١
يوسف : ١٩٧
يوسفس (مؤرخ) : ٥٧٠٠٥٩٠١٨٦٠٣٦٠
يوقى (ملك) : ٦٤
يوليوس قيصر : ٢٩٣
يوياء (كاتب) : ٢٨٦

وجاف (ملك) : ١١٠٩
ورقة إبوت : ١٠١٠٠١١٥٠١٣٦٠٢٤١ الخ
ورقة امهارست : ١٠٧
ورقة تورين : ٢٩٠٣١٠٣٧٠٤٨٠٥٣٠٦٤
الخ : ٨٥٠٣١٤
ورقة رند : ٨٦
ورقة ساليه : ٦١٠٦٨٠٧١٠١٢٠١٢٨

وسر (كاتب) : ٢٨٨

وسر أو آمون وسر (وزير) : ٤٢٤٠٥١٥ — ٥٢١٠
٥٥٨

وسر آمون (موظف) : ٣١٠

وسر حات (امم سفينة آمون) : ٢٠٤

وسر حات (موظف) : ٢٨٩٠٦٩٥٠٦٩٨

وسر حات (كاتب الملك) : ٦٩٥٠٦٩٨

وسر كارع (ملك) : ٣٦٠٣٥

ولسن (مؤرخ) : ٥٠٧

ولف (أثرى) : ٦٠

والى (أثرى) : ١٦٧

ولك (أثرى) : ٩٤٠٩٥٠٩٠١٢٣٠٣٣٨٠٣٤٤
الخ : ٣٥٦

ويجول (أثرى) : ٢١٠٠٢٤١٠٤٠٥٠٤٦٤٠٥٠٠

وين رايت (أثرى) : ٥٣٠٥٧٨٠٥٣٠ الخ

(ه)

هابو (مدينة) : ٢٣٦٠٢٩٨ الخ

هايس (أثرى) : ٣٧٦

هثوع (قرية) : ٦٧٣

List of Abbreviations

- A. A. A.** = "Annals of Archeology and Anthropology". (Liverpool, 1908 —).
- A. A. S. O. R.** = "Annual of the American Schools of Oriental Research". (New-York, 1920 —).
- A. J. S. L.** = "The American Journal of Semetic Languages and Literatures". (Chicago, 1884 —).
- Am.** = Knudtzon, "Die El-Amarna Tafeln". (Leipzig, 1907—1915).
- Arundale and Bonomi, "Gallery"**. = Arundale and Bonomi, "Gallery of Antiquities Selected from the British Museum". (London).
- A. S.** = Annales du Service des Antiquities de l'Egypte". (Cairo, 1901 —).
- A. Z.** = "Zeitschrift für Ägyptische Sprache und Altertumskunde". (Leipzig, 1863 —).
- Baikie, "History"**. = Baikie, "A History of Egypt". (London, 1929).
- B. A. S. O. R.** = "Bulletin of Schools of Oriental Research". (South Hadly, Mass., 1919).
- Benson and Gourlay, "Temple of Mut"**. = Benson and Gourlay, "The Temple of Mut in Asher". (London, 1899).
- B. I. F. A. O.** = "Bulletin de l'Institut Française d'Archeologie Orientale". (Cairo, 1901 —).
- Birch, "Pottery"**. = Birch, "History of Ancient Pottery, Egyptian, Assyrian, Greek, Etruscan and Roman". (London, 1858).
- Bisson de la Roque, "Medamoud"**. = Bisson de la Roque, "Les Fouilles de Medamoud", (Cairo).
- Boeser, "Leyden"**. = Boeser and Holwerda, "Beschreibung der Aegyptischen Sammlung des Niederländischen Reichmuseums du Altertumer in Leiden". (Copenhagen, 1908 — 1918).
- Borchardt, "Statuen."** = Borchardt, "Statuen und Statuetten von Königen und Privalueten". Catalogue General des Antiquities Egyptien du Musee du Caire, (Berlin, 1911 - 1925).

- Breasted, A. R.** = Breasted, "Ancient Records of Egypt." (Chicago, 1906 - 7)
- Brugsch, "Thesaurus"**. = Brugsch, "Thesaurus Inscriptionum Aegyptiacarum". (Leipzig, 1883 - 1891).
- Brugsch, "Recuell"**. = Brugsch and Dumichen, "Recueil de Monuments Egyptiens". (Leipzig, 1865 - 1885).
- Budge, "Guide"**. = Budge, "A Guide to the Egyptian Collections in the British Museum". (London, 1909).
- Budge, "Sculpture"**. = Budge, "A Guide to the Egyptian Galleries (Sculpture)", (London, 1909).
- Budge, "The Book of Kings"**. = Budge, "The Book of the Kings of Egypt". (London, 1908).
- Budge, "History"**. = Budge, "A History of Egypt from the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra VII, B. C. 30". (London, 1902).
- Champollion, "Notices"**. = Champollion, "Notice Descriptive des Monuments Egyptiens du Musee Charles X." (Paris, 1827).
- Champollion, "Letters"**. = Champollion, "Letters à M. le Duc de Blacas d'Aulps relatives au Muse Royal de Turin". (Paris, 1824).
- Davis, "Tomb of Hatshepsut"**. = Davis, "Excavations at Biban el Moluk. The Tomb of Hatshepsut". (London, 1906).
- Evans, "Palace of Minos"**. = Evans, "The Palace of Minos at Knossos". (London, 1921).
- Fraser, Coll.** = Fraser, "A Catalogue of the Scarabs Belonging to G. Fraser", (London. 1900).
- Gardiner, "Onomastica"**. = Gardiner, "Ancient Egyptian Onomastica", (Oxford. 1947).
- Gardiner and Peet, "Sinai"**. = Gardiner and Peet, "The Inscriptions of Sinai". (London, 1917).
- Gardiner and Weigall, "Catalogue"**. = Gardiner and Weigall, "A Topographical Catalogue of the Private Tombs of Thebes". (London, 1913).

- Gauthier, "Dict. Geog".** = Gauthier, "Dictionnaire des Noms Géographiques Contenus dans les Textes Hieroglyphiques". (Cairo, 1925).
- Griffith, "Kahun Papyri".** = Griffith, "Hieratic Papyri from Kahun and Gurob". (London, 1898).
- Hall, "Catalogue of Scarabs".** = Hall, "A Catalogue of Scarabs in the British Museum". (London, 1913).
- Hall "Ancient History".** = Hall, "The Ancient History of the Near East". (London, 1920).
- J. E. A.** = "The Journal of Egyptian Archaeology". (London, (1914 — 1947)).
- J. P. O. S.** = "The Journal of the Palestine Oriental Society", (1923 —).
- Lanzone, "Cat. Turin".** = Lanzone, "Catalogo generale dei Musei di antichità: Regio Museo di Torino".
- L. D.** = Lepsius, "Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien. (Berlin, 1849).
- Legrain, "Statues".** = Legrain, "Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers" Catalogue General des Antiquities Egyptiens du Musee du Caire. (Cairo, 1906 — 1914).
- Legrain, "Repertoire".** = Legrain, "Repertoire Genealogique et Onomastique du Musée Egyptien du Caire". (Geneva, 1908).
- Lepsius, "Auswahl".** = Lepsius "Auswahl der wichtigsten Urkunden des agyptischen Alterthums" (Leipzig, 1842).
- Lepsius, "Letters".** = Lepsius, "Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai". (London, 1853).
- Lieblen, "Dict. Noms".** = Lieblen, "Dictionnaire des Noms Hieroglyphiques en Ordre Genealogique et Alphabetique". (Christiania, 1871).
- Macailister, "Gerza".** = Macailister, "The Excavation of Gerza". (London, 1912).
- Mariette, "Abydos".** = Mariette "Catalogue General des Monuments d'Abydos Decouverts pendant les Fouilles de cette Ville". (Paris, 1880).

Mariette, "Abydos II.". = Mariette, "Abydos. Description des Fouilles Executees sur l'Emplacement de cette Ville". (Paris, 1869 - 1880).

Mariette, "Monuments". = Mariette, "Monuments Divers Recueilles en Egypt et en Nubie". (Paris, 1889).

Maspero, "Bib. Egypt". = Maspero, "Bibliotheque Egyptologique", XVII. (Paris, 1904).

Maspero, "Temples Immerges". = Maspero, "Les Temples Immerges de la Nubie Rapports relatifs à la Consolidation des Temples". (Cairo, 1909 - 1911.).

Maspero, "Guide". = Maspero, "Guide du Visiteur au Muse du Caire". (Cairo, 1915).

Maspero, "Momies Royales". = Maspero, "Les Momies Royales de Deir el Bahari". (Paris, 1889).

Maspero, "Melanges d'Arch". = Maspero, "Melanges d'Archeologie Egyptien".

Massi, "Description". = Massi, "Description des Musees de Sculpture Antique Greque et Romaine. Musée du Vatican". (Rome, 1891).

Mercer, "Amarna". = Mercer, "The Tell el Amarna Tablets". (Toronto, 1939).

Meyer, "Gesch". = Meyer, "Geschichte des Altertums". (Stuttgart, 1928).

Meyer, "Hist. de l'Antiq." = Meyer, "Histoire de l'Antiquite". (Paris, 1912 - 1926).

M. M. A. = "The Bulletin of the Metropolitan Museum of Art". (New York, 1909).

Morgan (De), "Cat. Mon.". = Morgan (De), "Catalogue des Monuments et Inscriptions de l'Egypte Antique". (Vienna 1894 - 1909).

Murray, "Handbook". = Murray, "Handbook for Travellers in Egypt". (London, 1880).

Newberry, "Timins Collection". = Newberry, "The Timins Collection of Ancient Egyptian Scarabs and Cylinder Seals". (London, 1907).

O. I. P. = "The Chicago University. The Oriental Institute. The Oriental Institute Publications". (Chicago, 1924 —).

"Paintings". = Davies, "Paintings from the Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes". (New York, 1935).

Petrie, "Scarabs". = Petrie, "Scarabs and Cylinders". (London, 1917).

Petrie, "Six Temples". = Petrie, "Six Temples at Thebes, 1896". (London, 1897).

Petrie, "Illahun". = Petrie, "Illahun, Kahun and Gurob" (London, 1890).

Petrie, "Hist. Scarabs". = Petrie, "Historical Scarabs". (London, 1927).

Petrie, "History". = Petrie, "A History of Egypt". (London, 1927).

Petrie, "Season". = Petrie, "A Season in Egypt, 1887". (London, 1888).

Petrie, "Kahun". = Petrie, "Kahun, Gurob and Hawara". (London, 1890).

Petrie, "H. I. C.". = Petrie, "Hyksos and Israelite Cities". (London, 1906).

P. E. F. Q. S. = "The Palestine Exploration Fund Quarterly Statement". (London, 1869 —).

Piehl, "Recueil". = Piehl, "Inscriptions Hieroglyphiques recueillies en Europe et en Egypt". (Stockholm, 1886 - 1903).

Pierret, "Rec. d'Inscriptions". = Pierret, "Recueil d'Inscriptions Inedites du Musee Egyptien du Louvre". (Paris, 1874 - 1878).

Porter and Moss, "Bibliography I". = Porter and Moss, "Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Inscriptions, Texts, Reliefs and Paintings", I. "The Theban Necropolis". (Oxford, 1921).

Porter and Moss, "Bibliography II". = "The Theban Temples". (Oxford, 1929).

Porter and Moss, "Bibliography III". = "Memphis" (Oxford, 1931).

Porter and Moss, "Bibliography V". = "Upper Egyptian Sites". (Oxford, 1937).

P. S. B. A. = "The Proceedings of the Society of Biblical Archaeology". (London, 1879 — 1918).

R. E. A. = "Revue de l'Egypte Ancienne". (Paris, 1929).

Rec. Trav. = "Recueil de Travaux Relatifs a la Philologie et a l'Archeologie Egyptiennes et Assyriennes". (Paris, 1870 - 1923).

Rev d'Arch. = "Revue d'Archeologie".

Rouge (De), "Monuments". = Rouge (De), "Notice des Monuments Exposes dans la Galerie d'Antiquities Egyptiennes au Musee du Louvre. (Paris, 1885).

S. A. O. C. = "Chicago University. The Oriental Institute. Studies in Oriental Civilization". (Chicago, 1931 —).

Schafer. "Aeg. Insch. Berlin". = Schafer, "Aegyptische Inschriften aus den Koniglichen Museen zu Berlin". (Leipzig, 1924).

Schiaparelli, "Catalogue". = Schiaparelli, "Catalogo Generale dei Musei di Antichita di Firenze". (Rome, 1887).

Sethe, "Das Hatschepsut-Problem". = Sethe, "Das Hatschepsut-Problem noch Einmal Untersucht". (Berlin, 1932).

Sethe, "Untersuchungen". = Sethe, "Untersuchungen zur Geschichte und Altertumskunde Aegyptens". (Leipzig, 1896-1917).

Sethe, "Urkunden IV, or Urk. IV". = Sethe, "Urkunden des Agyptischen Altertums". (Leipzig, 1906 — 1914).

Sethe, "Pyramidentexte". = Sethe, "Die Altagyptischen Pyramidentexte" (Leipzig, 1908 - 1922).

Sethe, "Achtung". = Sethe, "Die Achtung feindlicher Fursten - Volker und Dinge auf altagyptischen Tongeffasscherben des Mittleren Reiches". (Preussische Akademie der Wissenschaften Philos - Hist. Klass, 1926),

Sharpe, "Inscriptions". = Sharpe, "Egyptian Inscriptions". (London, 1837 - 1855).

W. B. = Erman and Grapow, "Worterbuch der Aegyptischen Sprache". (Leipzig, 1925).

Weigall, "Guide". = Weigall, "A Guide to the Antiquities of Upper Egypt". (London, 1913).

Weigall, "History". = Weigall, "A History of the Pharaohs" (London, 1925).

Weigall, "Lower Nubia". = Weigall, "A Report on the Antiquities of Lower Nubia in 1906 - 1907". (Oxford, 1907).

Weil, "Veziere". = Weil, "Die Veziere des Pharaonenreiches". (Leipzig, 1908).

Wiedemann, "Geschichte". = Wiedemann, "Agyptische Geschichte". (Gotha, 1884).

Wiedemann, "Kleinere Agypt. Insc". = Wiedemann, "Kleinere Inschriften aus der XIII-XIV Dynasie". (Bonn, 1891).

Wilkinson, "Thebes". = Wilkinson, "Topography of Thebes and General View of Egypt". (London, 1835).

Winlock, "Dier el Bahri". = Winlock, "Excavations at Dier el Bahri". (1943).

Wreszinski, "Atlas". = Wreszinski, "Atlas zur Altagyptischen Kulturgeschichte", (Leipzig, 1923 — 1936).

W. D. V. O. G. = "Deutsche Orient-Gesellschaft, Berlin Wissenschaftliche Veröffentlichungen". (Leipzig, 1900 —).

٢٠٠٠/١٠٥٧٥

I.S.B.N. 977-01-6775-4



تم طباعة الموسوعة بالتعاون مع

شركة نهضة مصر للطباعة والنشر